

سليم حسن

(المصور الفني)

مصر القديمة

في تاريخ الدولة الوسطى ومدنيتها

والتأثيرات الأجنبية في الفن المصري القديم

الجزء الثاني



2000

مهرجان القاهرة الجامع عشر سنوات



موسوعة مصر القديمة
الجزء الثالث

الجزء الثالث

صورة الغلاف

تمثالين: الأميرع حوتب وزوجته نضرة

تمثالين من الحجر الجيري الملون نحتا فى الأسرة الرابعة، تكسوهمما الألوان الزاهية، ويتميزان بشكلهما الأخاذ ووضع الذراع مائلة على الصدر، مما يوحى بتقرب الأسلوب لنحت الأسرة الثالثة التقليدى، أما أعظم ما يميز التمثالان، فعلى الرغم من كونهما منفصلين فى وحدتين، فإننا نكاد نراهما يمثلان ثنائيا يجمع بين الوحدة والتوحد، مما يفسر غنى الفن المصرى ويلوغه أسمى المراتب الفنية.

محمود الهندى

موسوعة مصر القديمة

الجزء الثالث

في تاريخ الدولة الوسطى وملئيتها
وعلاقتها بالسودان والأقطار الآسيوية والعربية

سليم حسن



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٠
مكتبة الأسرة
برعاية السيدة سوزان مبارك
(موسوعة مصر القديمة)

الجهات المشاركة:
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التعليم
وزارة الإدارة المحلية
وزارة الشباب
التنفيذ : هيئة الكتاب
والمجموعة الثقافية المصرية

موسوعة مصر القديمة
الجزء الثالث
سليم حسن
الغلاف:
والإشراف الفنى
الفنان: محمود الهندى
المشرف العام:
د. سمير سرحان

على سبيل التقديم

وتمضى قافلة «مكتبة الأسرة» طموحة منتصرة كل عام،
وها هي تصدر بصفة مستمرة طول العام برعاية كريمة من
السيدة سوزان مبارك تحمل دائماً كل ما يثرى الفكر
والوجدان... عام جديد ودورة جديدة واستمرار لإصدار
روائع أعمال المعرفة الإنسانية العربية والعالمية فى تسع
سلاسل فكرية وعلمية وإبداعية ودينية ومكتبة خاصة
بالشباب. تطبع فى ملايين النسخ التى يتلقفها شبابنا
صباح كل يوم.. ومشروع جيل تقوده السيدة العظيمة
سوزان مبارك التى تعمل ليل نهار من أجل مصر الأجل
والأروع والأعظم.

د. سمير سرحان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمهيد

في صيف عام ١٩٤٠ أتممت وضع الجزأين الأول والثاني من تاريخ مصر القديمة حتى العهد الإهناسي أي الأسرة العاشرة . وكان بؤدى أن أسير قدما في طريق وأضع الجزء الثالث الذى ينتظم الأسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة ، ولكن عقبات نهدت في الطريق والحرب قائمة ، فلم أستطع بين طوفان الحوادث وطفیان الكوارث أن أتصل بالأوساط العلمية الأوروبية وأن أغترف من مصادرها ما يساعدنى على إخراج بحث واف تام العناصر قنوى الأسباب . من أجل ذلك آثرت وقتئذ أن أخرج للناس ” كتاب الأدب المصرى القديم “ الذى كنت قد سرت في وضعه شوطا بعيدا حتى تنفرج القمعة ويزول شبح الحرب المخيف . فلما استقرت السيوف في أعمادها وذهبت نوازى الشر من الرؤوس واتصل ما انقطع من أسباب التعاون الفكرى ؛ أخذت أدرس كل ما جء من البحوث العلمية حول هذا العصر والأسرة الحادية عشرة منه بخاصة ؛ لأن هذه الأسرة لا تزال رغم مجهود العلماء وكشف الباحثين في حاجة إلى من يظهر حقائقها التاريخية ناصعة بريئة من شوائب الظن والحدس .

لقد أبان لنا معول المنقب صفحات مجيدة في حياة القوم الاجتماعية والزراعية والدينية والصناعية في هذه الفترة مما لم نحظ به في عصر آخر . ومن أجل هذا نشرنا

هذه الصفحات مستعيزين بها عن تلك الحقائق الجافة المتكررة المتشابهة التي نتناول الملوك وأعمالهم والتي نلقنها أبناءنا في شيء من التكلف والتصنع .

فإذا قرأت رسائل « حقا نخت » في هذا الكتاب وجدت أمامك صورة حية عن حياة الفلاح المصرى كانت مطوية محجوبة عنا منذ أربعة آلاف سنة تقريبا ، وإذا لفصت محتويات مقبرة « مكت رع » وجدت صفحة مجيدة تقرأ فيها حياة القوم الاجتماعية بكل مظاهرها من صناعة وفق ونجارة وشئون منزلية وزراعية واقتصادية مما يجعلك تقف مشدوها حائرا أمام ما وصل إليه القوم من الحذق والمهارة الفنية وتفهم طرائق الحياة والافتنان فيها والإبداع في إجادتها .

وإذا درس رب السيف لوحات الجندية التي عرضناها في هذا الكتاب لمس فيها قوة التضامن الحربى وإجادة فنون القتال ومكانة الجندى بين قومه ، وعرف لأول مرة في تاريخ العالم قيمة الكلاب في الحروب والدور الذى كانت تلعبه .

كل هذه لمع تبدو من وقت لآخر فتأخذ بيدنا في تلك المجهل المظلمة التي اعترضت سيرنا عند الكتابة في تاريخ الأسرة الحادية عشرة .

والواقع أنك لا تجد اثنين من مؤلفى عصرنا يتفقان على رأى واحد عند الكتابة في تاريخ هذه الأسرة ، وأن أعظم قدر كتب فيها لا يتعدى عشرين صفحة . على أنا قد جمعنا هنا كل ما يمكن من الحقائق التاريخية الهامة عن حياة هذه الأسرة وبخاصة الناحية الاجتماعية . وقد كان اعتمادنا في ذلك على المصادر الأصلية بقدر ما سمحت به الأحوال .

أما الأسرة الثانية عشرة ، وهى العصر الذهبي لمصر الخالدة ، فإن الباحث فيها ، رغم ما يلاقيه من فجوات فى تاريخها ، لا يعسر عليه أن يعرف تاريخها لها مرتب العهد مسلسل الحوادث وإن كان جزؤه الأخير عليه ستار رقيق من الشك والإبهام .

وإن الباحث فى التاريخ المصرى منذ نشأته يلحظ أن شعب مصر قد قام بعد سقوط الدولة القديمة بأول ثورة اجتماعية على الأغنياء والملوك ، وطالب بالعدالة الاجتماعية والدينية ، فنال ما أراد ؛ وبذلك سجل أول انتصار للإنسانية فى ميدان النضال لنيل الحرية الشخصية والمساواة بينه وبين الحكام الفاشمين ، مما أفضى إلى مساواته فى عالم الآخرة بالملوك الذين كانوا يعتبرون أنفسهم أربابا ، وأن اللجنة ماوهم وحسب . وكان أن تأسست الأسرة الثانية عشرة بفضل حاكم عادل يظهر أنه من أسرة شعبية بل من أم نوبية (سودانية) ، فسارت البلاد بخطى واسعة سريعة نحو التقدم التجارى والصناعى والفنى ، وازدهر الأدب ازدهارا عظيما وبدأت الفتوح المظفرة فى الشمال والجنوب ، فكان ذلك إيذانا بتأسيس إمبراطورية عظيمة لم تلبث أن امتد سلطانها على كل أرجاء العالم المتمدن فى الدولة الحديثة .

والظاهرة التى تستحق التسجيل هنا أن الثقافة التى عمت البلاد فى هذا العصر كانت وليدة التربة المصرية نفسها ، والتفكير المصرى ذاته ، لم تستعن فى ذلك بدولة أجنبية ، ولم تأخذ عن غيرها شيئا ؛ فأدبها وفنونها وصناعاتها وديانها وطرق حياتها ونظم حكمها تضرب بأعراقها إلى أصل مصرى بحت ؛ من أجل هذا أطلقنا على هذه الفترة « العصر الذهبي فى التاريخ المصرى » .

وقد حاولنا في هذا الفصل من الكتاب أن نعرض أعمال كل ملك على حدة ، ثم شفعنا ذلك بفصل في أصول المدنية في هذا العهد ، وبخاصة من ناحية علاقات مصر بالأمم المجاورة لها وهى فلسطين وسوريا وبلاد شرق الأردن ولبنان والأناضول ولوبياتم السودان وارتباطه بمصر منذ أقدم العصور التى ترجع إلى ما قبل التاريخ . وقد فصلنا القول في نشأة الإمبراطورية المصرية في آسيا والروابط التى كانت بين أهلها وبين مصر في عهد الأسرة الثانية عشرة ، ثم تعرضنا لما كان بين مصر وبلاد النوبة من علاقات ، وما طرأ عليها من الوهن ، ثم توقفها في عهد «الدولة الوسطى» حتى وصلت الفتوح المصرية في هذه الجهة إلى ما بعد الشلال الثالث على يد « سنوسرت الثالث » الفاتح العظيم .

ولقد وجهنا مزيد عناية لدرس الحياة الدينية في هذا العهد ، فرسمنا صورها كما وجدناها على الآثار وطبق ما أوحته متون التوابيت التى امتاز بها هذا العصر ، وأخصها ما جاء عن عالم الآخرة وكيف يصل إليه المتوفى ، وما يصادفه من عقبات ومصاعب تحاول صدّ المتوفى عن ورد الخوض المحبوب . ولقد فصلنا القول في ذلك رغم ما فى المتن من صعوبات لغوية بما لم نسبق إليه ؛ إذ أن معظم المشتغلين بالآثار لم يلتفتوا إلى هذا الكتاب الذى أسموه "كتاب الطريقين" . ولقد خصصته بعنايتى لأوجه الشبه الكبيرة بينه وبين الخرافات التى نقرؤها فى الكتب القصصية عن الجنة والنار ، ولأنه يكشف عن ناحية من النواحي العقلية عند القوم ويبين تصوّراتهم الفلسفية عن عالم الآخرة الذى لا يفوز فيه إلا من آمن وعمل صالحا .

وبعد — فأرجو أن أكون قد وفقت بعض الشيء للكشف عن هذا الجزء الغامض من تاريخ مصر الخالدة .

وإني أسأل الله أن يسد خطانا ويوفقنا لخدمة مصر وأبنائها ، كما أسأل
مواطني الأعزاء أن يقدموا وافر شكرهم معي لأولئك الذين فسحوا لي الطريق
على كره منهم لإنجاز هذا العمل الشاق المحبب إلى نفسي .

وإني أتقدم بالشكر لصديق الأستاذ محمد النجار الذي أسهم بقسط وافر
في قراءة الكتاب قبل طبعه وقراءة تجاربه . كما أشكر حضرة الأستاذ محمد نديم
مدير مطبعة دار الكتب المصرية ورجال المطبعة على ما بذلوه من عناية لإخراج
هذا المؤلف .

والسلام على من اتبع الهدى ما

الدولة الوسطى

الأسرة الحادية عشرة

مقدمة

فى العهد الذى نجحت فيه أسرة حكام «هراكليو بوليس» (أهناسية المدينة) فى اغتصاب السلطة من آخر ملوك «منف» الضعفاء . كانت هناك أسرة أخرى فى الصعيد تنمو وترعرع فى مقاطعتها التى كان يطلق عليها أسم «واست» (الأقصر الحالية) وهى المقاطعة الرابعة من مقاطعات الوجه القبلى ، وتقع جنوب مقاطعتى «قفط» وهى المقاطعة الخامسة ، ومقاطعة «ندرة» وهى المقاطعة السادسة . وكانت عاصمة «واست» تسمى «إيون» الجنوبية أى (عين شمس) الجنوبية ، وموقعها الآن بلدة «أرمنت» الحالية . ولا نعلم عن تاريخ مقاطعة «واست» شيئا خطيرا فى عصر الدولة القديمة ، وكل ما نعرفه فى ذلك الوقت أن البقاع التى تكوّن منها بعدُ مدينة «طيبة» العظيمة كانت قرى صغيرة متجمعة حول مدينة الأقصر الحالية ، وهى «واست» السالفة الذكر و«الكرك» . وكانت هذه المقاطعة تضم مدنا صغيرة أهلة بالسكان ، غير أنه لم تبلغ واحدة منها ما بلغت «واست» أو «الكرك» . ففى أعلى النهر كانت مثلا قرية «طود» وتبعد ثلاثين كيلومترا على الضفة الشرقية من النيل ، وكان يقابلها فى الجهة الأخرى من النهر بلدة «أرمنت» . وكانت «المدمود» كذلك تقع على منحدر النهر بالقرب من الصحراء الشرقية على مسافة لا تقل عن خمسة عشر كيلومترا . وعند ما برزت هذه المدن الصغيرة أو القرى فى عالم الوجود للزة الأولى فى عهد الدولة القديمة كان لكل منها معبد للإله «منتو» (إله الحرب) وهو إله المقاطعة ، ومن المعقول أن يكون معبده فى كل قرية من هذه القرى ، هو المعبد الذى

يُتم به ويُسعى إليه . غير أن الإنسان كان لا يعدم ذكر اسم الإله « أوزير » في هذه الأماكن ، وكذلك الإله « مين » الذى كان يُمثلُ بعضو التذكير منتشرا . ولم نسمع قط بذكر الإله « آمون » حتى عام ٢١٤٠ ق م . ومع ذلك فانه كان لا يذكر إلا نادرا جدًا . (Stela of Magegi, Scott-Moncrieff, Hieroglyphic Texts in the Brit. Museum, vol. I pl. 50.) وقد انتخب عظماء هذه القرى ، وهى التى أصبحت طيبة عند نهاية الدولة القديمة ، لدفن موتاهم تلا صخوريا قليل الارتفاع فى صحراء الجهة الغربية من النيل يسمى فى عصرنا « الخوخة » . فقد اختار « ونيس عنخ » الذى كان يلقب ولى العهد ، وحاكم الجنوب ، ومدير مخازن الغلال ، هذه البقعة لدفنه . وكذلك فعل ابنه . (راجع Metropolitan Museum of Art ; Diaries, Metropolitan Museum of Art. Bulletin March 22-3-325 ; Part II p. 23, Fig 34.)

مقبرة إاحى حاكم مقاطعة طيبة — وكذلك عثر فيها على مقبرة لعظيم يدعى « إاحى » وامراته « إامى » . وكان يلقب حاكم المقاطعة العظيم ، والسمير الوحيد ، والكاهن ، والمرتل ، وكاتم السر لكل كلام سرى يصل إلى المقاطعة ... ، ومدير مخازن الغلال ، والمدير الملكى . ونجد فى مقبرته علاقته بالآلهة فقد كان المقرب من الإله (متو) رب « أرمنت » ، ومن إلهة كانت تعبد فى مقاطعة عين شمس (ربما كانت مصر القديمة الحالية) ، ومن الإله « أوزير » رب بوصير ، ومن الإله العظيم « رع » . ومن ذلك يظهر أن « إاحى » هذا كانت له مكانة عظيمة فى البلاط ، إذ كان على ما يظهر حاكم مقاطعة عظيمة فى الوجه القبلى ، وإن لم يذكر ذلك صراحة ، وربما كانت المقاطعة الرابعة . كما نرجح أنه كان حاكما لمقاطعة أو بعض مقاطعة فى الوجه البحرى . هذا إذا لم يكن لقب « عزمر » (حاكم مقاطعة فى الوجه البحرى) مجرد لقب فخري له ، ولم تذكر نقوشه صلة له بالإله « آمون » الذى كان يظن أنه الإله المحلى للمقاطعة ، بل ذكرت علاقته فقط بالإله « متو » ،

وكذلك ذكرت علاقته بالإله « أوزير » الذى كانت عبادته شائعة فى هذا العصر ، كما ذكرت علاقته بالإله « بتاح سوكر » إله عاصمة الملك « منف » ^(١) وقتئذ .

وقد دفن فى هذه الجهة كذلك الأمير الوراثى وحامل الخاتم الإلهى (الملكى) « سنى إقر » (راجع Gardiner & Weigall, Topographical Catalogue of Private Tombs at Thebes No. 185) . ولم يرد اسم طيبة فى عهد الدولة القديمة غير ما ذكر إلا نادرا فى النقوش . وقد ذكر اسم مقاطعتها فى قائمة الاثنين والعشرين مقاطعة التى كان يحكمها « شماى » فى عهد الفرعون « تترباو » ولكن على أثر وفاة « شماى » هذا أعطى هذا الملك نفسه ابنه (إدى) خمسا من هذه المقاطعات تحت حكمه من « الفنتين » (أسوان) الى « ديوس بوليس بارقا » (هو) الحالية (Moret, Comptes rendus de l'Académie des Inscriptions 1914, p. 565 & Cairo 43053; M. M. A. 14, 7, 11) وتقع بالقرب من مرتفع جبل الطريف حيث ينعطف النيل على هيئة زاوية قائمة عند الحدود الشمالية لمصر الجنوبية . ولا نعلم عن هذه المقاطعات الخمس أكثر من أنها كانت تعتبر كتلة واحدة تحت حكم « قفط » وذلك بعد انقضاء عهد الدولة القديمة . وإن « الفنتين » و « إدفو » و « الكاب » قد أغار أهلها على حكام (طيبة) وجيرانها كما نعلم ذلك من نقوش مقبرة عثر عليها فى « المعلقة » وكانت النتيجة أن تمزق شمل أرض الجنوب وأصبحت ولايات صغيرة . (Drioton and Vandier, L'Egypte pp. 215-233) .

(١) تقع مقبرة حاكم المقاطعة « اسى » فى الجهة القبلىة للكان المسمى الآن « خلوة الهوى » وهو تل صغير فى الجنوب الغربى من « العسايف » فى طيبة الغربية وهذا القبر لا يدل فى ظاهره على نفاسة فى صنعه ولا فى نقشه ، بل هو فى الواقع يشبه فى أسلوب زخرفته الطراز البسيط الذى كان شائعا فى مقابر هذا العصر تقريبا فى « أسوان » مثل مقبرة حرخوف . أما عبادة « آمون » باعتباره إلها محليا لهذه المقاطعة فلم تظهر إلا فى أواخر الأسرة الحادية عشرة كما سيجى . بعد Annales du Service des Antiquities de l'Egypte Vol. IV, p. 97. Chronique d'Egypte vol 35. p. 23, (٢)

وقد آتته الدولة القديمة حسب الرواية التي يرويها مؤلف ورقة « تورين » في عام ٢٢٤٢ ق م . وهو تاريخ بداية الدولة الوسطى . وقد حدث ذلك نتيجة للثورة التي قام بها الملك « مري . اب . رع . ختي » فرعون «هيراكليوبوليس» مؤسس الأسرة التاسعة وموحد مصر حتى الشلال . (Ed. Meyer, Geschichte des Altertums Nachtrag p. 68) كانت ضمن فتوح « ختي » وقد أصبح ملكها الذي نجهل اسمه الآن ضمن رعايا الفرعون الجديد .

أصل فراعنة الأسرة الحادية عشرة

وحوالى منتصف القرن الثاني والعشرين قبل الميلاد رزقت امرأة تدعى « اكوى » ابنا أسمته « أنتف » ومن هذا الطفل المجدود نسل كل أمراء « طيبة » الذين أصبح منهم فيما بعد فراعنة مصر في عهد الأسرة الحادية عشرة ، غير أن الحظ لم يسعفنا حتى الآن بالعثور على أثر معاصر له ، اللهم إلا لوحة لحارس باب يدعى « ماعت » ويحتمل أنه مع ذلك كان معاصرا للفرعون العظيم «نب حبت — رع» وحامل خاتمه « ببي » وقد دعا « ماعت » هذا في نقوش لوحته بصلوات جنازية من أجل « انتف عا » ابن « اكوى » هذه قائلا :

ليت يهني قربانا في الجبانة بقدر ما أحتاج إليه كل يوم من ما كل وهذه اللوحة محفوظة الآن (Polotsky Inschriften des XI Dynastie) بمتحف «مترو بوليتان بأمریکا .

وبعد مرور قرن على تاريخ هذه اللوحة نجد « سنوسرت » الأول قد أهدى تمثالا صغيرا من الجرانيت الأشهب على هيئة رجل جالس متربع على الأرض وذراعه موضوعتان على صدره بمخشوع . وقد نقش اسم صاحب التمثال في بردية محفورة على حجرة جاء فيها :

« عمله ملك الوجه القبلى والوجه البحرى » « خبر - كا - رع » بمشابة أثر لوالده الأمير « انتف عا » قربانا ملكيا يقدم من خبز وجعة ونبذ وألف من البقر والإوز وألف من أوانى الرمرر وألف من الملابس والبخور إلى المحترم عند « آمون » رب عروش الأرضين الأمير الوراثى « انتف عا » الذى وضعته أمه « اكوى » (Legrain, Statues et Statuettes de Rois et de Particuliers No. 42005 & Evers, Staat aus dem Stein Pl. 52).

أسرة أنتف - وتدل كل الشواهد على أن جد سلالة أمراء « طيبة » وهم الذين أصبحوا فيما بعد ملوكا فيها كان يسمى « انتف » وكان أميرا معروفا للخاص والعام لدرجة أن « تحتمس الثالث » الذى خلفه على عرش مصر بعد ثمانمائة عام بنى فى معبده بالكرك قاعة خاصة لأجداده ونقش أسماءهم عليها . وكان أول اسم نقشه على جدرانها للأسرة الحادية عشرة هو : الحاكم والأمير الوراثى « انتف » المبرأ ولكنه لم يضع الاسم فى طغراء (Prisse; Monuments Egyptien, Pl. 1; Sethe, Urkunden der 18 Dynastie; IV. 606.)

وقد كشف « مریت » عن لوحة جنازية لهذا الأمير فى « ذراع أبو النجا » وهى غاية فى دقة الصنع ، وقد نقش عليها بعد الصبغة الدينية : الأمير الوراثى والحاكم العظيم لمقاطعة « واست » (طيبة) والذى يرضى الملك بوصفه حارس باب الجنوب ، والعباد العظيم لمحي الأرضين ، والكاهن الأول المقرب لدى الإله العظيم رب السماء « انتفى » (Mariette, "Monuments Divers Recueilles en Egypte et en Nubie. p. 16, Pl. 50; Maspero, Dawn of Civilisation, p. 115; Lange und Schafer, "Grab und Denkstein des Mittleren Reichs, No. 20009; Breasted, Ancient Records, Vol. 1, Par 420.)

غير أن اسم « انتفى » هنا يوحى إلينا بأننا أمام لوحة لحاكم مقاطعة آخر غير ابن السيدة « اكوى » . ويحتمل أن هناك « انتف » ثالثا على لوحة لفرد عادى يحمل نفس الاسم « انتف » . ويدل الطراز الجميل الذى نقشت به لوحته على أنه من المحتمل أن ينسب إلى عصر متأخر عن عصر « انتف » الذى نحن بصددده . وقد جاء

فيها بعد الصيغة الدينية = حامل الخاتم ، والسمير الوحيد ، والمشرف على الترابجة القائد = انتف = يقول : إني أنحدر في النهر وأصعد فيه مع الأمير الوراثي وحاكم المقاطعة العظيم للوجه القبلي « انتف » . وتشاهد زوجه واقفة خلف صاحب اللوحة وقد نعتت بأنها زوجه المحبوبة ، وحلية الملك الفريدة (وصيفته) رئيسة الكهنة «إرو» (Spiegelberg & Portner, Grab und Denksteine aus Suddeutschen Sammlungen, Vol. I. Pl. XI, No. 18; Spiegelberg, Zeitschrift für Agyptische Sprache (1912) p. 119.)

ولدينا قطعة من لوحة عثر عليها في «دندرة» لكاهن الإلهة « حتحور » سيدة « دندرة » تذكر لنا اسم أمير عظيم للأرض الجنوبية يسمى «انتف عا» . ومن المحتمل أنه أحد هؤلاء الأمراء (Daressy A. S. 1919, 185)

ومن كل هذا نرى أننا أمام اثنين بل أربعة من أعضاء هذه الأسرة قد اختلط علينا أمرهم بسبب تشابه أسمائهم . فلدينا «انتف عا» بن «اكوى» ، و«انتفى» و «انتف عا» ومن المحتمل « انتف » آخر . وكل هؤلاء قد عاشوا في القرن الذى جاء بين قيام دولة « إهناسية المدينة » والثورة التى قام بها الطيبون .

ومن المحتمل أن يكون أكثر الأمكنة ازدحاما بالسكان في « طيبة » هو الذى حول «الأقصر» الحالية . وكان يعرف في الأزمان القديمة باسم «أبت» (الحريم) (Steindorff and Wolff, Thebanische Graberwelt p. 9.)

وتدل ظواهر الأمور على أنه عندما امتدت قرية الأحياء على الشاطئ الأيمن للنيل حتى جاورت معبد « متسو » بالكرك، كانت مدينة الأموات الواقعة في الغرب على ما يظهر قد نقلت إلى الشمال ، ولم يكن في هذه البقعة مخور مجاورة ليمكن الأهليون من أن ينحتوا مثواهم الأبدى ، وذلك لأن الصحراء الواقعة شمالى بداية وادى الملوك عبارة عن سهل من الحصباء يشبه بعضه البعض ، وتخرقه مجارى ماء، غير أنه كان في وسع الرجل الرقيق الحال أن يخفر حفرة مستطيلة بصورة لا تجعل التابوت يخدش عندما يدلى في القبر . أما إذا كان صاحب القبر من أهل اليسار خط

لنفسه مقبرة ذات ردهة محفورة في السهل وأقام لها رواقا ذا عمد بسيطة .
وفي خلال القرن الذى تلا استعمال هذه البقعة نجد أن هذه الجبانة قد شغلت ما يزيد
عن كيلومتر من هذه الصحراء شمالا وجنوبا وما يماثل هذه المساحة غربا
(Petrie, Qurneh p. 2) . ونظن أن أمراء المقاطعة قد دفنوا في المقابر الكبيرة الواقعة
في الطرف الشمالى من هذه الجبانة بالقرب من مجرى المياه الذى يخترق السهل قبالة
معبد "متو" . ولا نستطيع أن نقطع بمكان دفنهم ، غير أننا لسنا بعبيدين عن
الصواب فيما ذهبنا إليه ، وذلك لأن العادة قد جرت فى أسر التاريخ المصرى أن يشغل
الفضاء المعد لإقامة المقابر مبتدئا من الشمال ومتقلا إلى الجنوب وفى هذه الجبانة
التي نحن بصددناها الآن نجد أن هذا الميل كان متبعا . وقد أثبتت ذلك الحفائر
الضئيلة التي أحرثت في هذه الجهة حديثا .



سهر تاوى أنتف

٢٤٣ ■ ٢٤٠ ق م

ويظهر أنه قد جاء بعد « أنتف » مؤسس هذه الأسرة أنتف آخر كان يحكم المقاطعة الطيبة. ولقد أحس في نفسه القدرة على اغتصاب ملك البلاد الجنوبية، ولكالما لم نره - كما لم نر أحدا من خلفائه الثلاثة الذين تولوا بعده الملك - يلبس تاج البلاد المزدوج « تاج الوجهين القبلى والبحرى » وإن كان يلقب كل واحد منهم نسوت بتي (ملك الوجه القبلى وملك الوجه البحرى) . وقد روت لنا الأجيال التالية لحكمه أن اسمه « حور سهر تاوى » أى حور مهدى الأرضين ، ابن الشمس أنتف ، من غير لقب خاص أو اسم آخر من أسماء هؤلاء الملوك الذين كانوا يحكمون القطرين، أى (Vandier, Bulletin de l'Institut Français d'Archeologie Orientale (1936) p. 102 ; F. Bisson de la Roque. Tod. p. 75, fig. 27, 30.) أنه لم يحمل كل الألقاب الفرعونية الرسمية التى كان يلقب بها الفرعون يوم توليته العرش فى احتفال رسمى (مصر القديمة جزء أول ١٦٦ الخ) .

ويعتبر « سهر تاوى أنتف » فى نظر التاريخ الأمير الأول من الأمراء الستة الذين تتألف منهم الأسرة الحادية عشرة وهم الذين حكموا نصف البلاد قبل مجيء الأسرة الثانية عشرة بما يقرب من ١٤٣ سنة أى منذ نحو سنة ٢١٤٣ ق م إلى سنة ٢٠٠٠ ق م وقد كان أول حاكم طبيى كتب اسمه داخل طغراء ، بل إنه بدأ أسافرا وظهر فى غير التواء مناهضا للفرعون الذى كان يحكم البلاد فى « أهناسية المدينة » و « منف » فى تلك الفترة .

ولقد أفلح هذا العصيان وأتى بثمره، قبل وفاة « سهر تاوى » بثلاث سنين أو أربع . وكان قد أتم إقامة مقره الأخير على الضفة الغربية للنيل . وتدل ظواهر

الأمر على أنه مكث يحكم « طيبة » عدة أعوام ولا أدل على ذلك من أنه حفر مدفنه في الجبابة الشمالية على مقربة من مقابر حكام المقاطعة .

وهذا النوع من المقابر الملكية يطلق عليه المصريون الآن في هذه الجهة « صف » . ويطلق هذا الاسم بخاصة على أول مقابر ملكية في طيبة الغربية انظر شكل (١) لأنها تشمل صفوفًا من الأبواب الفائرة في سهل الصحراء ، وهذه المقابر كانت تتجه نحو « الكرنك » . وقد كانت مقبرة هذا الأمير أو صفه كما يسميه سكان هذه الجهة الآن ، مقامة في السهل المنبسط المكوّن من الحصا على بعد ثلاثة كيلومترات تقريبًا عبر النهر من معبد الإله « متو » وكانت قد حفرت على عمق خمسة أو ستة أمتار في جوف السهل ، غير أنها كانت تظهر للعين أكثر عمقا من ذلك ، لما زاكم حولها من الأكوام الهائلة من شظيات الأحجار . وقد كان عرضها حوالي ٨٠ مترا وطولها يربى على مائة متر قبل أن تخترق ترعة الري الحديثة طرفها الشرقى . وعلى الإنسان الذى يريد الوصول إليها أن يسير من شاطئ النهر قبالة طيبة مخترقا سهلا ضيقا حيث كان صناع اللبن يصنعون لبناتهم التى كانت تحتوى



شكل رقم ١

على جزء كبير من الرمل . ولما تحول النيل في السنين الأخيرة نحو الشرق بقي غرينه الجميل، فأصبحت اللبنة التي تصنع منه تشبه التي تصنع في عصرنا الحالي . وعلى مسافة خطوات قليلة بعد حفر عمال اللبنة تصادفنا الصحراء . وهنا نجد الردهة الغائرة ذات الأبواب التي أقيمت فيها من كل الجهات، وهي التي تؤدي إلى المقرات الأبدية لرجال بلاط « سهرتاوى » . ويوجد خلف « الصنف » نحو الاثنى عشر بابا وهي التي تشتمل عليها مقبرة هذا الأمير، وهذه الأبواب تنحدر عند زاوية في الصخرة من واجهة بارزة ومنحدرة بعض الشيء . وإنا لنظن أن هذه الواجهة كانت قاعدة لمرم مصنوع من اللبن أقامه هذا الأمير فوق مقبرته . ومما يؤسف له جد الأسف أننا لا نعرف عن هذا الفرعون شيئا غير اسمه، وغير هذه المقبرة التي كانت بلا مرء مقره الأخير، وغير ثلاث السنوات التي سلعها في حكم البلاد .

ولا نزاع في أنه هو أول من وضع اسمه في طغراء واكتسب لنفسه بعض مظاهر الملك من حكام مقاطعة طيبة الذين حكموها زهاء قرن ؛ غير أننا لا نعرف شيئا عن أية حادثة حدثت في عهده خاصة بالحروب التي هزت أركان البلاد نحو ثمانين عاما أو تزيد .



واح عنخ - أنتف حوالى ٢١٤٠ - ٢٠٩١ ق م

لما توفى سهرتاوى تولى بعده الحكم على طيبة والمقاطعات الأربعة الأخرى المؤلفة للوجه القبلى وقتئذ فتى فى ريمان الشباب بى معتليا عرش ملكه قرابة نصف قرن، والمرجح أنه تولى قيادة ملكه حوالى عام ٢١٤٠ ق م . وقد تسمى باسم « حور - واح عنخ » = (حور مثبت فى الحياة) أنتف العظيم . وبما يؤسف له أننا نجد اسمه الحورى قد تهشم بفعل الزمن فى قائمة الملوك بالكركك وهى تلك التى كتبها الكهنة للفرعون « تحتمس الثالث » أما فى ورقة « تورين » فبالرغم من ضياع اسمه قد استخلصنا من طول مدة حكمه الذى بلغ تسعة وأربعين حولاً أنه وضع ترتيبه الثالث بدل الثانى من ملوك هذه الأسرة . ولا نزاع فى أنه كان أحد أبناء « سهرتاوى » غير أنه لم يكن ولده البكر . وقد جرت عادة ملوك مصر فى عهد الدولة الوسطى فى غالب الأحيان أن يتبادلوا الأسماء من جيل إلى جيل ، ولا يبعد إذًا أن يسمى « سهرتاوى أنتف » بكر أولاده « مشو حتب » وأنه لما توفى قبل والده ورثه فى الحكم ابن آخر اسمه « أنتف » وهو الذى لقب نفسه « حور - واح عنخ » ومن المدهش أنه لم يصلنا حتى الآن إلا شواهد ضئيلة عن الحروب التى يغلب أن أوارها ظل يستمر فى طول البلاد وعرضها أيام « واح عنخ » هذا . على أن لوحة الموظف العظيم « نثى »^(١) الذى عاصر هذا الملك وعاصر خليفته وهى أهم أثر وصل إلينا من عهده لم نر فيها أية إشارة للحروب فقد جاء فيها : « يعيش حور واح عنخ طويلاً ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ابن رع » أنتف » مبتدع الجمال والعائش مثل رع نخلدا ! خادمه الحقيقى وموضع محبته ، صاحب المكانة

(1) Journal of Egyptian Archaeology, Vol. XVII (1931) p. 56.

الرفيعة في بيت سيده، والحاكم المتناهي في عقله، الذي يعرف إرادة سيده، والذي يتبعه في كل روحاته، والذي يمثل قلب جلalته وحده حقيقة، والذي يحتل المكانة الأولى بين العظماء في القصر، والمشرف على الأشياء الثمينة التي في المكان الخفي والتابع المقرب (شمو) للملك“ والمبجل ثنى يقول :

”لقد كنت إنسانا محبوبا من سيده ممدوحا منه كل يوم ، وقد أمضيت حقبة طويلة من السنين في خدمة جلالة سيدي ، حور العائش طويلا ، ملك الوجه القبلي والوجه البحري ابن الشمس « أنتف » عندما كانت هذه الأرض تحت إشرافه جنوبا من « الفنتين » (أسوان) إلى « شس » (العرابة المدفونة) في مقاطعة طيبة، وكنت إذ ذاك خادمه الخاص ، وتابعه الحقيقي ؛ ولقد جعلني عظيما ورفع مكانتي واتخذني موضع ثقته في قصره الخاص ، وكانت الأشياء الثمينة في حوزتي وتحت خاتمي ، بما في ذلك الطيبات النادرة الوجود التي كانت تجلب لجلالة سيدي من الوجه القبلي ومن الوجه البحري، وكانت تحتوى على كل شيء يجلب السرور، من منتجات كل البلاد وذلك بسبب رهبته في هذه الأرض ، وكانت هذه تجلب دائما لجلالة سيدي بمعرفة الرؤساء الذين يحكمون الأرض الحمراء ، لأنهم يخافون جلالتهم في كل البقاع الجبلية، ولقد عهد إلى بهذه الأشياء بعد أن أيقن أني جم النشاط وقد وضعت له تقريرا في ذلك، ولم يحدث تقصير أستحق عليه عقابا ، لأنني كنت حازما ؛ موضع ثقة حقيقية عند سيدي، وحاكما غاية في العقل هادئ الأخلاق في بيت سيده ، حانيا الذراع بين العظماء ، ولم أتعوّد البحث وراء الشر الذي بسببه تكره الرجال ؛ وإني إنسان يحب الخير ويكره الشر وشخصية محبوبة في بيت سيدها ، وإنسان تعود أن ينفذ كل واجب حسب إرادة سيده ، وإذا وُليت عملا مثل تحقيق شكاية ، أو فحص ملتمس إنسان في حاجة كنت عادلا ، ولم أعتد أن أتخطى التعليمات التي فرضت عليّ ، ولا أن أضع شيئا مكان آخر ، ولم أكن منغطرسا لما أوتيته من ثراء، ولم آخذ شيئا اختلاسا لأجل أن أنهى عملا .

ولقد نفذت كل إرادة ملكية وكل جلالتة أمرها إلى ، وقت بما أمرني به من مهام يريد بها قلبه مهما عظمت ، وقد أتممت كل ما دؤن خاصا بها ولم يوجد فيها تقصير قط لأني كنت حازما .

ولقد صنعت سفينة للدينة وقاربا « سحت » لأرافق فيه سيدى عندما كان يجرى الحساب مع العطاء وفي أية مناسبة جلب شئ أو إرسال شئ ، وهكذا كنت ثريا وكنت عظيما ، لأني كنت أمد نفسي من أملاكى الخاصة التي وهبني إياها جلالة سيدى ، فلقد كان يحبنى دائما (حور العائش طويلا ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ، ابن الشمس « أنتف » ليته يعيش مثل رع مغلدا) حتى ذهب في سلام إلى الأفق « أى توفى » . وعندما خلفه ابنه « حور نخت - تب قمر » ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ابن الشمس « أنتف » خالق الجمال - الذى أتمنى أن يعيش مثل رع إلى الأبد تبعته في مظان مسراته الطيبة ، ولم يوبخنى مرة لأني كنت حازما ، وقد وكل إلى كل الوظائف التي كنت أشغلها في عهد والده فزاولتها تحت إشراف جلالتة ، ولم أرتكب أى تقصير فيها ، وأمضيت كل أوقاتي على الأرض أعمل تابعا للملك ملازما لشخصه ، وكنت ثريا ، وكنت عظيما في عهد جلالتة وكنت إنسانا كؤن شهرته ومدحه سيده ليل نهار .

ولوحة « ثنى » هذه وإن لم نتحدثنا بشئ عن حروب « واح عنخ » إلا أنها تلقى بعض الضوء على ذلك العهد الذى نجعله من حيث النقوش فيحدثنا « ثنى » بأنه كان المشرف على الأشياء الثمينة الخفية التي كانت في جازة هذا الملك ، وأنه هو الذى كان يعلم المكان الذى أخفيت فيه مما يشعر بثقة الملك به ، وكذلك بأن الملك كان في خوف على متاعه الثمين الخاص مما يدل على اضطراب الحال في البلاد . وكذلك يحدثنا « ثنى » بأن العطاء كانوا يدفعون ضرائب ، وأن الملك كان يقوم بنفسه ليحاسبهم على ذلك إذا خالف واحد منهم الأوامر . وكان « ثنى » يتبع الملك في هذه الجولات في قاربه الخاص ، هذا إلى أن رؤساء المقاطعات أو البلاد الصحراوية

كانوا يقدمون لللك الجزية مما تغله أراضهم . وفضلا عن ذلك فقد حدّد لنا « ثى »
البلاد التى كانت تحت حكم « واح عنخ » وهى من أسوان إلى طينة (أى العرابة
المدفونة) .

أما ما يذكره « ثى » عن أحسن الأشياء المختارة التى كانت تأتى للملك من
الوجه القبلى والوجه البحرى فقد ذكرت من طريق المبالغة وحدها .

وما تحدّث به « ثى » عن نفسه وما كان عليه من الاستقامة والعدل ومضاء
العزيمة فنعرة كانت شائعة عند كبار الموظفين جميعهم فى كل عهود التاريخ المصرى
وبخاصة فى عهد الدولة الوسطى التى قام فيها رجال الإصلاح يطالبون بالعدالة
الاجتماعية . ولدينا نقش آخر من هذا العهد على صخرة فى أسوان غير أنه ليس مؤرخا ،
ونرجح أنه من عمل الموظفين الذين ذهبوا للبحث عن الجرانيت الأحمر . إذ قد
وجد متقوسا على الصخور فى الفتين اسم « حور - واح - عنخ » ابن الشمس
« أنتف العظيم » وذلك يدل على أن عماله كانوا قد ذهبوا إلى هذه الجهة يفحصون
قطع الجرانيت المنفصلة كما فعل أجدادهم فى عهد الدولة القديمة من قبل .

ويقول الأستاذ « ونلك » عن نقوش « ثى » هذه إنها لا بد أن تكون قد
كتبت فى الفترات العدة التى وقعت فيها مهادنة بين القطرين لأنه ليس فيها ما يوحى
بثورة المقاطعات الخمس النائية فى عهد « سهرتاوى » أو أن « واح عنخ » كان
ينتظر الفرصة المواتية ليمدّ حدود أملاكه .

وقد كان فى حاجة بوجه خاص ليمدّ نفوذه إلى مقاطعة « العرابة المدفونة »
(طينة) عندما يغنى النيل الخناء عظميا نحو الشمال الغربى ، حيث كانت تقع (العرابة)
ومعبد ها . على أن « فقط » التى كانت عاصمة هذه المقاطعات الخمس فى عهد الدولة
القديمة لم تعد بعد الحاضرة لأنها نزلت عن مكاتها لطية الواقعة فى أحد السهول
الواسعة الجنوبية على امتداد شاطئ النهر . وقد بدأ الآن سكان أهل الجنوب

— وتقرب مساحة بلدهم نحواً من مائتى ميل — ينظرون بعين جشعة إلى « طينة »
والعرابة . والظاهر أن « سهرتاوى » لم يلق عتاكيراً من بلاد الوجه البحرى مدّة
حياته ، ولا بدّ أنه كان يعتبر فى نظر الفرعون فى « هيراكليوبوليس » (أهناسية المدينة)
بمثابة شريف مشاغب يحكم على المقاطعات الخمس التى فى أقصى الصعيد ، ويعدّ
من الذين كانوا قد أغرّتهم العظمة . هذا ولم نجد أية إشارة فى نقوش أمير مقاطعة
أسيوط عن « واح — عنخ » ، وعلى أية حال فإن أسيوط تقع تقريباً فى منتصف
الطريق بين طينة وأهناسيا المدينة فكانت لذلك بعيدة عن أية مشاغبة مع أمراء
الجنوب .

علاقات الملك مع أمراء المقاطعات فى هذه الفترة :

وتدل النقوش التى تنسب إلى هذا العصر كلها على أن « سيوط » كانت موالية
للك « هيراكليوبوليس » بل كانت أكبر عضد له فى محاربة من ناروا عليه . ففى
نقوش مقبرة « خيتى » الذى كان يلقب بالأمير والحاكم وخازن مالية الفرعون
والسمير الوحيد والكاهن الأول للاله « وبوات » سيد أسيوط نقراً : « أنه جند
جنوداً ... وحاملى أقواس » وجعلهم درعا أمامية للوجه القبلى . وكان له أسطول جميل
وكان محبوباً لدى الملك أينما صعد فى النهر :

(Brunner, Graber der Herakleopolitarzeit Tomb V, line 1.)

وكذلك تحدّث إلينا « خيتى » عن حفر ترع عندما كانت البلاد كلها قاحلة ثم
تكلم عن رعايته لسكان مقاطعة فى وقت القحط . غير أن هذه المبارات نجدها
مكررة فى كثير من نقوش هذا العصر كما سنرى بل نجد أن خلفه قد كررها فى نقوشه
أيضاً (Ibid, Tomb III, 1, 13) .

ولكن « خيتى » يقفنا على ارتباطه الوثيق بالفرعون عندما يقول : لقد جعلنى
حاكماً عندما كنت لا أزال طفلاً طوله ذراع (أى عندما ولدت) ووضعنى على
رأس أولاده وجعلنى أتعلم السباحة مع الأمراء الملكيين ... وكانت أسيوط سعيدة

بقيادتي وشكرتني « هيراكليو بوليس » ، وقال عنى الوجه القبلى والوجه البحرى إننى مثل أولئك الذين تربوا مع الملك .

أما مقاطعات الشمال فقد انتشرت فيها الفوضى والعصيان حتى إن أمراء مقاطعة «الأرنب» (المقاطعة الخامسة عشرة فى الوجه القبلى) قد أعلنوا الحرب على الفرعون نفسه . ولقد شجع هذا العمل أمير طيبة الذى كان سلطانة يزداد يوما بعد يوم على العصيان والتمرد . ولما كانت هذه المقاطعة تمتد من أهم المقاطعات فى ذلك العصر بخاصة لأن أمراءها أعلنوا الحرب على أحد فراعنة هيراكليو بوليس مما أدى إلى الخضد من شوكة العرش رأينا أنه لابد من التحدث عن هؤلاء الأمراء وعن الدور الذى لعبوه مع الفرعون فى تلك الفترة «أى العهد الإقطاعى الأول» .

تدل ظواهر الأمور كلها على أن أسرة حكام مقاطعة الأرنب كانوا مشاغبين نافرين ولا أدل على ذلك من أن «عجاتخت» أحد حكامها الأول الأقوياء البطاشين قد بين سياسة الشدة التى اتبعها فى عصره حيث يقول فى نقوش قبره ؛ يصف لنا نفسه : — «كنت إنسانا أدنى الحق ، ذرب اللسان بين الحصوم وتكلم بلسانه ونفذ بساعده ، ومتيقظا لخطواته بين الحكام ... وكنت محارب العصبية وكنت صاحب المشورة فى مجلس استشارة الموظفين فى يوم الكلمات المؤلفة^(١)» .

وفى هذا دليل قاطع على أن الأحوال لم تكن هادئة وقشذ فى الحكومة ولقد بلغ الخلاف أشده فى عهد «نحرى» الأول وهو أحد حكام المقاطعة المتأخرين عندما احتك بالتاج . وقد كان «نحرى» هذا إلى العام الرابع من حكمه لا يزال مطيعا مولاه الفرعون ، يدل على ذلك ما قرأناه من أن المشرف على سفنه المسمى «تروحتب» قد ساح فى كل مصر من الفتين إلى الدلتا ، لأجل أن يؤدى مهام سيده المتعلقة بالقصر ، ثم تكلم بعد ذلك عن احترام مجلس الدولة لسيده^(٢) ، ولكنا فى السنة التالية

(1) Newberry, El Bersheh, II, Pl. 13.

(2) Anthes, Die Felseninschriften von Hatnub, Graffito, 17.

نسمع بقيام ثورة مسلحة في مقاطعة الأرنب، ففي نقش مؤرخ بالسنة الخامسة من حكم «نحري» يتحدثنا «كاي بن نحري» الذي يظهر أنه كان مشتركاً مع والده في حكم المقاطعة عن الدور الذي قام به في الحرب التي نشبت فيقول: «وقد جندت جنودى من الشبان وسرت للحرب مع مدينتى، وقد كنت أقوم بنصيبى في المؤخرة في «شديت شا» (اسم مكان مجهول) مع أنه لم يكن معى غير أتباعى من «المزوى»: و: «واوات» ... والأسيويين (?) وكان الوجه القبلى والوجه البحرى متحالفين ضدّى. وقد عدت بعد نجاح باهر ... ومعى كل أهل مدينتى دون خسارة، ولقد خلصت الضعيف من القوى، وجعلت من ببقى حصناً لمن أصابهم الخوف في يوم الزال» ويخبرنا كذلك «ماتخوت نخت» أخو «كاي» الذى كان يقوم على أمور المقاطعة الدينية أنه كان ظهير مدينته في «شديت شا» عندما فر كل فرد^(١). ولا نزاع في أن الفقرتين الأوليين يدلان بوضوح على تاريخ هذه الحرب وعلى شخصية الخصم «فكاي» يخبرنا أن جيش الأعداء قد جند من الوجهين القبلى والبحرى وبذلك لا يكون قد قام بهذه الحروب ضد أناةفة طيبة الذين لم يكونوا قابضين على ناصية الحكم في الدلتا، وكذلك من باب أولى لا يمكن أن يكون محالفا لهم، يضاف الى ذلك أنه لا يمكن أن يكون قد شق عصا الطاعة على أحد الملوك الذين كانوا يسمون «متوحتب» وهم الذين حكموا البلاد جميعها لأنه ليس من المعقول أن يكونوا قد تركوا خلفهم رجلاً قوياً من الأشراف يستطيع أن يثور ضدهم، هذا فضلاً عن أن نقوش «حتوب» كما يقول الدكتور «أنثس»^(٢) كانت أقرب في تاريخ نقشها إلى نقوش أسيوط التي تصف لنا حروب أمراء «طيبة» ضد بيت «هيراكليوبوليس» وعلى ذلك فالحل الوحيد الذى يبق لهذا الموقف هو أن هذا العصيان الذى قام في مقاطعة الأرنب قد حدث قبل قيام الثورة في الجنوب بقليل وأن المناهض للثوار هو ملك «هيراكليوبوليس». ولا نزاع في أن ملك «هيراكليوبوليس» كان وقتئذ

(1) Anthes, ibid, Graffito 17

(2) A. Z. LIX, 100 & Anthes, ibid, p. 92.

مسيطرًا على البلاد كلها وقد كان في مقدوره أن يجند جنودا من النوبيين مما جعله صاحب السيادة ، ولا أدل على ذلك من العثور في « سيوط » التي كانت موالية له كما ذكرنا على تمثال خشبي لأحد رماة السهام خشن الصنع من الجنس النوبي^(١) . على أن تجنيد النوبيين هذا لم يعد ممكنا بعد ثورة أمراء طيبة ضد العرش في « أهناسية المدينة » .

وقد كانت نتيجة هذا الصراع بين الفرعون والأمير « نحري » أن انهزم الأخير هزيمة منكرة ، فبعد أن استرد العاصمة التي طرده منها جيش الملك اضطر كما سنرى إلى أن يسرح جيشه . وتدل فقرة من نقوشه مؤرخة بالسنة السادسة من حكمه على أنه خضع^(٢) للفرعون وقد وصف « نحري » نفسه بأنه « إنسان يرد كلمات من يريد أن يعارضه وأنه هو الذي قال للملك ما أمره به عندما حل يوم الاستشارة » وعلى أية حال فإن « نحري » وابنه قد استمرا يفخران بعصيانهما الفرعون ، إذ في نفس نقوش السنة السادسة لم يكن « نحري » قد تحول عن الإشارة إلى أنه إنسان فتح بيته لمن انتابه الخوف في يوم التزال وأنه قلعة في داخل مقاطعته يأوى إليها كل الناس . وليس هذا نهاية ما يتجلى به حكام هذه المقاطعة ، فإنا نرى في نقوش يحتمل أن تاريخها يرجع إلى السنة السابعة^(٣) من سنى حكم « كاي » بن « نحري » يتكلم فيها بصراحة تامة عندما كان يتحدث عن الجنود الذين حلوا محل جنود آخرين شتوا فيقول : لقد جندت جنودها من الشباب ليكون عددهم عظيما ، بدل جنودها الذين عدنوا في أماكنهم واستوطنوها واستقروا في دورهم (أى أصبحوا ضمن السكان وقعدوا في منازلهم) ولم ينفروا إلى القتال في وقت الفزع من القصر . وخلصت مدينتي في يوم النهب من الملح الذي اعتراهم من القصر ، وكنت حصنها في يوم المعركة وحاميا في « شديت شا » . وكذلك يصف لنا « تحوت تحت » الدور الذي لعبه

(1) Scharff, Die Historische Abschnitt der Lehre für König Merikaré p. 21. (2) Anthes, Ibid, Graffito.

(3) Anthes, ibid, Graffito 25.

في إتقاذ المدينة بالفاظ مماثلة^(١) على أن « نحرى » نفسه في نقش مقطوع بنسبته إلى السنة السابعة من حكمه يقول :

”لقد كنت عضوا شجاعا في المعسكر، وإنسانا يقظا لخطواته في كل مكان وعندما قال الملك تجهز للحرب، أخذت أهبتى أيضا للأمر . « وكنت حصنا في «شديت شا» يأوى إليه كل الناس ، وكنت إنسانا ترتعد الناس منه ، وخوفه في قلوب القوم مثل « سخمت » في يوم الواقعة “ . والمدهش في هذا الاقتباس الأخير أنه هو المباراة الرسمية التي قالها الفرعون لخصمه الثائر، وهذا الحادث يذكرنا بالشكوى التي نطق بها الملك « مري كارع » في تعاليمه الخاصة بالبدو المغيرين : ” إنه لا يملن يوما للقتال فهو في ذلك مثل من يقوم بالقضاء على متأمرين “ . ولا جدال في أن كل المقتبسات السالفة الذكر تشير إلى الحملة التي قام بها « نحرى » في السنة الخامسة من حكمه ولا أدل على ذلك من الإشارات المتعددة إلى المكان «شديت شا» وإلى الحماية التي قدمت للشعب خلال الحرب . وتدل الأحوال على أن هذا العصيان الذي حمل لواءه « نحرى » كان قبيل نشوب الحروب التي شنتها « طيبة » على الفرعون . تلك الحروب التي كان في مقدور الفرعون أن يقضى عليها في الحال . بفضل تهادنه على ما يظهر مع أمير مقاطعة الأربب الثائرة ، وإلا فإن تركه مقاطعة معادية له خلف أمراء أسيوط في الوقت الذي قام فيه أمراء طيبة بهجومهم ، كان من شأنه أن يقطع مواصلاتهم مع العاصمة ويشل من مقاومتهم لزحف أمراء طيبة . ولسنا ندرى شيئا عن مشار الخلاف بين الملك وحاكم المقاطعة إذ لم تذكر لنا النقوش شيئا عن ذلك ، غير أنه مما يجدر ذكره أن «نحرى» لم يأت في نهاية الأمر السيادة الاسمية للفرعون الحاكم في ذلك الوقت برغم عناده ونفوره من الخضوع له خضوعا فعليا، وهو في هذا يختلف عن أنانفة « طيبة » الذين تربوا بزمى الملك من وقت أن شقوا عصا الطاعة، وادعوا لأنفسهم عرش مصر كلها في آخر المطاف .

(1) Anthes ibid Graffito 23.

(2) Ibid Graffito 25.

هذا ما كان من أمر مقاطعة الأرنب المعادية . أما المقاطعات التي كانت تليها شمالا مثل بنى حسن فكان إسهام القوم في المعركة التي كانت على أبوابهم بين الفرعون وأمراء طيبة يتوقف مقداره على قريهم من ساحة القتال . بل إن استقلال الأشراف في مقاطعات أعلى النهر كان يزداد كلما اضطرب ملك هيراكليو بوليس إلى تفريق جيشه للقضاء على أعداء البلاد المنتشرين في داخلها ، وأعنى بهم حكام الإقطاع الوراثيين المعادين للفرعون . أما في « أسيوط » التي كانت دائما مهادنة لفرعون « هيراكليو بوليس » فكانت حالتها على ما يظهر تدل على الرخاء والطمأنينة في ذلك العهد ، فلقد تولى بعد موت « خيتي » الذي تكلمنا عنه فيما سبق ابنه المسمى « تف إاب » وكان يحمل ألقابا طنانة مثل ألقاب والده فاستمع لما يقول في نقوشه التي تركها لنا على جدران مقبرته الواقعة في جبل أسيوط واصفا حالة الأمن والرخاء في طول البلاد وعرضها : ” وعند ما يبحن الليل يمدحنى أولئك الذين ينامون على الطريق لأنهم كانوا في أمان كأنهم في بيوتهم . وكانت قوة جنودى المخيفة هى حمايتهم عندما كانت وحوش الحقل تنام بجوارهم “ (Brunner, ibid Tomb III, 1. 10).

وبقدر ما كانت عليه أسيوط من أمن ودعة كان الفزع يغزو الجهات التي في أعلى النيل ، ثم يستمر « تف إاب » واصفا أول معركة بين جنوده والمقاطعات الجنوبية التي تجملت من الفتين جنوبا ثم انحدرت في النهر إلى مكان مجهول بالقرب من العرابية ، والظاهر أنه هزمهم هزيمة منكرة إذ قال : ” وأنيت إلى المدينة وهزمت أعداء الفرعون واقتفيت أثرهم إلى حصن سد رأس الوجه القبلى وأعطانى الفرعون أرضا مكافأة “ وقد تابع « تف إاب » قتال أمراء طيبة وحلفائهم حتى ولوا الأدبار إلى شرق البلاد فاصطادهم آخرون في الجنوب مثل كلب الصيد الذى يقفز بخطوات واسعة خلف غزال مذعور . ولا شك في أن الإنسان عندما يقرأ مثل هذه العبارات الصريحة لا يتسرب إليه أى شك في نجاح الجيش الإهناسى ولكن الأمور لم تجر مع جيش الشمال (جيش الفرعون وحلفائه) كما كان يظن . فقد

كان لزاما على « نف لب » أن ينازل الطيبين العصاة ككرة أخرى بجيش آخر، وذلك عند ما هاجمهم للمرة الثانية: «ولقد سرت نحوه بفصيلة صغيرة فقط وضربته ضربة مؤلمة حتى إنه ترك ميدان القتال في ذهول وعادت مقاطعة أسيوط كالثور الذى يهاجم قطيعا من الكلاب ، ولم يهدأ لى بال حتى قضيت عليهم“ . والظاهر أن قائد جيش الجنوب قد سار إلى الموقعة في ملابس جميلة ولكنه سقط في الماء وغرقت سفنه وهرب جيشه مثل الإوز أمام الصائد ، ” ولقد أشعلت النار في سفنهم وارتفع لهبها أعلى من السارية، ولقد تغلبت على من قام بالعصيان .

وكان في مقدورى أن أقول وقتئذ لرئيس الوجه القبلى : اصغ وكنت متأكدا من أنه سيصنى إلى“، وفي نهاية هذا النقش تقريبا نقرا: ”وكانت الأرض في رعب أمام جنودى ولم تعد هناك بلاد أجنبية لا تخاف هيراكليوبوليس بعد ما رأت الدخان يتصاعد في المقاطعات الجنوبية“ .

على أننا قد سمعنا بعض الشيء عن هذه الغزوات نفسها من الجانب الآخر أى من طيبة، فقد ترك لنا « زارى »^(١) الذى دُفن في « طيبة » لوحة منقوشة نقشا رديئا جدا ومفعمة بالأخطاء حتى في أسماء الأعلام الذائعة الشهرة مثل « الفنتين » و « العرابة المدفونة » مما يدل على جهل الحفار الذى نقشها وقد جاء فيها: ” زارى بن الأمير والسمير الوحيد « حسى » وكان أميرا وسميرا وحيدا وحاكما للحاضرة ومشرفا على مخازن الغلال يقول ” إن حور — واح — عنخ — ملك الوجه القبلى والبحرى ابن الشمس « أنتف » مبتدع الجمال أرسل إلى رسالة بعد أن حاربت بيت « خيتى » في مقاطعة « طينة » (العرابة المدفونة) وإن الأمير قد أعطانى سفينة لأحمى أرض الجنوبيين من جهة الجنوب حتى الفننين ومن جهة الشمال حتى اشقاو ولقد رقيت بين الكبار لأنى كنت مفترسا في يوم الواقعة ، وقد غمرتنى العظمة لأنى قمت بأعمال ممتازة وكنت رئيس مقاطعتى وصرت رجلا قويا وأميرا“ .

(1) Walker, in Petrie, Qurneh p. 16, Pls. II, III.

والظاهر مما سبق أن « زارى » هدا وزوجه الحظية الملكية وكاهنة « حنحور » السماء « سنت متو » كانا يعيشان عند ما بدأ أصراء « طيبة » ينقضون على المقاطعة السادسة أى مقاطعة « طينة » والعرابة التى كانت تعتبر بلدة مقدسة . والواقع أن « واح عنخ » قد ورث المقاطعات الجنوبية الخمس من أسوان وما تحتها ثم أضاف إلى أملاكه المقاطعة السادسة وهى مقاطعة « طينة » ووطد حدود ملكه الشمالية بالقرب من أفروديتو بوليس (كوم شقاو) فى غربى النيل و «بانو بوليس» (لأنخيم) فى شرق النيل^(١) .

غير أن الغنيمة الكبرى كانت العرابة ومعبد «أوزير» القائم فيها ويرجع عهده إلى الدولة القديمة وكذلك مقابر الملوك الأول الواقعة فى الصحراء خلف العرابة . ولا يمكننا أن نقرر شيئاً هنا عن الدور الذى لعبه من كانوا يحججون إلى هذه البقعة المقدسة أو الأموات الذين دفنوا فى هذه البلدة فى أوائل عهد الأسرة الحادية عشرة ، ولكنه من غير شك كان دوراً أقل أهمية بكثير من الدور الذى لعبه القوم فى عهد الأسرة الثانية عشرة ، ومع ذلك فإن من المقطوع به أن تملك معبد أوزير القديم كان له أهمية عظيمة فى بداية الدولة الوسطى ، وإن كان قد أصبح بعد مرور جيل أو أكثر أعظم أهمية وأعلى شأنًا عند ملوك الأسرة الثانية عشرة وأفراد الشعب على السواء وذلك لقدامته العظمى .

لوحة واح عنخ انتف

ومما يدعو إلى الأسف أن هذا الأمير العظيم «واح عنخ انتف» لم يبق لنا من مخلفاته إلا لوحة واحدة عليها نقش هام ولم يصل إلينا منها إلا الجزء الأسفل من نقوشها ، وقد عثر عليها «مریت» عام ١٨٦٠ ولكنه تركها فى مكانها ، ومما زاد

(1) Meyer, Gesch. ibid, Par. 276. Scharff, Der Historische Abschnitt des Lehre für König Merikare, pp. 18 ff.

أفروديتو بوليس (= كوم شقاو الحالية وهى المقاطعة العاشرة و بانو بوليس (أنخيم) وهى المقاطعة التاسعة .

الطين بلة أن الأهلالي قد هشموها في مكانها . وفي عام ١٨٨٢ راجعها ثانية « مسبرو » وأخيرا جمع « دارسي » ما تبقى منها ، وقد حفظ بالمتحف المصرى القطع التى سلمت من يد التهشم والضياع . والنقوش التى على هذه اللوحة تنقسم قسمين : جزء ميامى نحض والآردىنى ، ففى الجزء السيامى يقول « حور واح عنخ » ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ابن الشمس أنتف العظيم الموسوم بالجمال كيف سقطت طينة فى يده وكيف حرب تخومها الشمالية حتى مقاطعة « أفروديتو بوليس » (كوم شقاو) . « ولقد نزلت بالوادى المقدس واستوليت على مقاطعة « طينة » كلها وفتحت المعاقل جميعها وجعلتها « باب الشمال العظيم » كما أن (الفتين) كانت باب الجنوب » ، وكما يسمى أهل (أهناسيا المدينة) هذا الصقع « رأس الوجه القبلى » .
(Lange & Schafer, ibid, No. 20512 & Breasted, A. R. I, 421.)

وتدل الأحوال على أن الفرعون كان يشعر بدنو أجله عند ما أقام هذه اللوحة فى العام الخمسين من حكمه ، ولذلك لم ينس أن يظهر على لوحته هذه أنه كان من حماة الدين ، ورغم ما أصاب لوحته من التدمير نلاحظ أن السطرين الأولين منها يعتدان ما قام به الفرعون من جليل الأعمال للآله ، ولا بد أنه كان يقصد الإله « متو » عند ما قال « وملاأت معبده بأوانى القربان الفاهرة » وكذلك يقول عن الآلهة الأخرى :

« وبنت معابدهم وصنعت سلاليمهم وأصلحت أبوابهم وأبقيت قراينهم المقدسة لكل الأزمان » وفى نهاية هذه اللوحة جاء ما يأتى : السنة الخمسون التى أقيمت فيها هذه اللوحة على يد « حور واح عنخ » ملك الوجه القبلى والبحرى ابن الشمس أنتف العظيم ، وعلى ذلك تكون وفاته فى عام ٢٠٩١ وما يلفت النظر فى هذه اللوحة أن هذا الأمير قد رسم على لوحته هذه خمسة من كلاب الصيد يظهر أنه كان يعتبها وكان كل منها يحمل اسما لوبيا ، وقد بقى لنا ترجمة ثلاثة أسماء منها بالمصرية بجوار أصحابها وهى : « الغزال ، والأسود ، وإناء الطهى » ، ولا نزاع

فى أن هذا الأمير لم يرسم كلاب صيده عثا بل ربما كان يقصد ما نشعر به نحن الآن من وفاء الكلاب لأصحابها ، وهذا يذكرنا بما كتبه أحد الإنجليز المفكرين على لوحة بينه : ”كلما امتحنت بنى الانسان زاد حبي لكلبى“ ويموز أن هذا الأمير لم يفكر فى هذا قط بل أراد أن يصحبه كلابه إلى عالم الآخرة ليتمتع بها عند الصيد والقنص ، لأن كل مصرى كما نعلم كان يعتقد أن عالم الآخرة صورة مكررة لمصر وطنه العزيز ولذلك يقال : إن المصرى هو أكثر الناس حبا لوطنه .

على أن هذه اللوحة التى لم تصل إلينا كاملة كان لها تاريخ عجيب فى زمن الفراعنة أنفسهم فى عهد الفرعون « رعمسيس التاسع » أحد ملوك الأسرة العشرين اتهم عمدة طيبة الغربية بأنه لم يعط المقابر التى يشرف عليها العناية الكافية لحراستها مما أدى إلى نهبها ولذلك ألفت لجنة خاصة لفحص المقابر الملكية وغيرها فذهب المفتشون من مدينة طيبة الشرقية إلى مقابر الملوك وقد كان القرار عن هذا القبر كما يأتى :

”هرم الملك ابن رع « أنتف » العظيم له الحياة والسعادة والصحة وهو الواقع شمال بيت « أمنحوتب » أحد رجال البلاط له الحياة والسعادة والصحة ، والذي قد أزيل هرمه منه ولكن لوحته لا تزال مثبتة أمامه وصورة الفرعون مصورة وهو واقف فى هذه اللوحة وكلبه المسمى « بحك » جاثم بين قدميه ، وقد فحص هذا اليوم ووجد سليما “ :

(Papyrus Abbott, col. II, 1. 8; Peet, The Great Tomb Robberies p. 38.)

قبر الملك — أما قبر هذا الملك فلا نعرف إلا التز اليسير عن ترتيبه بالنسبة لمقابر حكام الجنوب ، فنعرف أنه كان ثانى مقبرة ملكية أوصف كما يقول الأهالى الآن إذا اعتبرنا أن قبر « سهر تاوى » الذى يقع شماله هو المقبرة الملكية الأولى ، وكذلك نعلم أنه قد أقيم ببساطة تتفق مع وضع صاحبه فى مرتبة أقل قليلا من مرتبة مؤسس الأسرة الأولى بالنسبة لمقبرته .

وقد تركت الشظايا التي تخلفت من نحت مقبرته متراكمة حولها لتجعلها تظهر بعيدة العمق أكثر من الحقيقة .

ومقبرة هذا الأمير وإن كانت أضيق بقليل من مقبرة والده يمتد طولها في داخل الصحراء إلى الورا ما بين ١٨٠ و ٢٠٠ متر تقريبا وليس هناك أى أثر ظاهر لهرم كان يقوم فوق نهايتها كما هو الحال في مقبرة « سهرتاوى » وذلك يميز لنا أن نأخذ رواية « مريت » كما هى أى أنه وجد اللوحة المنسوبة لهذا الملك في مكان ما في رقعة المقبرة أو الصف . ومن ملاحظاته المختصرة التي تركها لنا نعرف أنها استخرجت من هرم مبنى باللبن تبلغ مساحته خمسة عشر مترا مربعا لتوسطه حجرة فيها لوحة ترتكز على جدارها الخلفي وكان يمكن رؤيتها من الباب غير أن « مريت » لم يتحدثنا بشيء عن مكان حجرة الدفن لأنه لا يعرف موضعها بطبيعة الحال ، وإذا كانت الأشياء تقاس بأشباهاها جزمنا بأنها كانت تحت الهرم نفسه قياسا على تصميم قبر معاصر لمقبرتنا في العراية عثر عليه (Peet, Cemeteries of Abydos II, 35) ، ويروى لنا « نورمان دى جارس ديفير » Norman de Garis Davies نقلا عن أحد الأهالي في عام ١٩١٧ أنه عندما حفرت ترعة الفضلية كان الهرم لا يزال قائما وأنه هدم في ذلك الوقت ، ومن ذلك يمكن للإنسان أن يستنتج أنه كان قائما أمام المقبرة أو الصف وأن تصميم هذا الأثر كان يختلف عن مقبرة « سهرتاوى » التي كانت قاعدة هرمها مقامة على سطحها ، ومن المحتمل إذا أن ما كان يسمى « الهرم » كما رأى « مريت » وهو الذي كان يحتوى على اللوحة لم يكن إلا معبدا أقيم أمام المقبرة وهو في هذا يشبه معبد الوادى ، وأن الهرم الحقيقي قد بنى في مؤخرة المقبرة على غرار ما فعل « سهرتاوى » (Winlock, American Journal of Semitic Languages (1915) p. 22 ; Steindorff-Wolff; ibid p. 20.)

آثار أخرى لهذا الملك — ولم تكن اللوحة العظيمة التي تركها « وواح عنخ » تذكاره الوحيد الذي أعده لمقبرته في أغلب ظننا ، إذ يظهر لنا أنه كان قد أقام عدة

لوحات مستطيلة الشكل في ردهة قبره . وقد عثرنا على واحدة منها عليها صورة هذا الملك يقدم آنية الجمعة وإريق اللبن للإله « رع » متمسا منه الحماية بالليل . وإلى « حتحور » منشدا لها المسدأح (M. A. M.13, 182, 3. Winlock, A.J.S.L. 1915, p. 17) وكذلك كان يصلى من أجل قربان جنازى ، وكان يسمى في هذه اللوحة « حور واح عنخ » المبجل عند « أوزير » ابن الشمس « أنتف » الكبير مبتدع الجمال .

مقابر الأسرة المالكة والأشراف — أما أسرة هذا الأمير من أزواجه وحظياته وخدمه من الرجال فلا بد أنهم قد دفنوا في المقابر العدة التى نشاهد أبوابها محفورة في الصخرة على كلا الجانبين من مقبرته . وهذه المقابر هى التى يسكنها فقراء القوم في وقتنا الحالى ، أما أثرياء القوم وعظماؤهم الذين كانوا في حاشية الفرعون فنعرف أنهم قد أقاموا لأنفسهم مقابر خاصة بهم ، يدلنا على ذلك لوحاتهم التى عثر عليها في هذه الجهة ، وقد كشف كل من « جوتيه » و « فلندر زبترى » عن بعض مقابر هذا العهد ، غير أن جوتيه كان قد وجد اللصوص قد سبقوه إلى هذا المكان ونهبوه تخريبا تاما فلم يعثر بعدهم إلا على قطع عديدة مغروطة الشكل عارية من النقوش . (Gauthier B. 1. F. A. O. 1908, p. 121 & Petrie, Qurneh, p. 2.)

(١) هذه المقابر المنحوتة في الصخر يسكنها الأهالى الآن وقد أخذت الحكومة في نزع ملكيتها .



نخت نب تب نفر . أنتف (٢٠٩١ . ٢٠٨٨ ق م)

تولى الحكم أنتف الثالث بعد وفاة والده كما جاء ذكر ذلك في لوحة « ثثي » السالفة الذكر ، ولا بد أنه كان متقدما في السن لأن والده حكم البلاد زهاء خمسين سنة . ولذلك لا ندهش إذا كان « أنتف الثالث » لم يمكث على العرش إلا مدة قصيرة بعد تنويجه (J. E. A. Vol. 25, p. 116) ومما يؤسف له أن اسم هذا الملك قد فقد من قائمة الكرنك السالفة الذكر بسبب كسر في الحجر . ولكن لحسن الحظ قد ترك لنا حكمه القصير أثره وبخاصة في لوحة ثثي السابقة الذكر حيث يقول هذا الموظف الكبير : ” والآن عند ما خلفه ابنه في مكانه « حورنخت . نب . تب . نفر » ملك الوجه القبلي والبحرى ابن الشمس « أنتف » مبدع الجبال الذى نتمنى له أن يعيش مثل رع مخلدا - تبعته في كل أما كن مسراته الطيبة ” الخ .

لوحة « كاور - أنتف » - هذا ولدنا لوحة لموظف كبير يدعى « كاور - أنتف » يقول فيها بعد الصيغة الدينية إنه خدم في عهد « حورواح عنخ » ابن الشمس « أنتف » الكبير ثم خدم من بعده حور « نخت . نب . تب . نفر » ابن الشمس « أنتف » ، وأخيرا خدم في عهد « حورسعنخ أب تاوى » ابن الشمس « متوحتب » ؛ ويلاحظ في هذه اللوحة أن المتوفى قد رسم واقفا ويده مرفوعة يتسلم بها قربانا مقدما إليه من ابنه وخلفه ، وقد وقفت زوجاته الثلاث . وقد عدد لنا المتوفى أعماله الطيبة فقال مامعناه ” إنه قدم سفينة للغريق ، وأعطى العطشان ماء ، والجوعان طعاما ” ثم أخذ يصف الخدمات الجليلة التى قدمها لأسياده وغير ذلك مما سيأتى ذكره . ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن أسماء هؤلاء الأمراء

لم توضع في طغراء مما يدل على أنهم لم يكونوا ملوكا للبلاد بالمعنى الحقيقي

Budge Egyptian Sculptures in the British Museum Pl VII.

لوحة « حنو ون » — وكذلك لدينا لوحة لموظف يدعى « حنوون » يلقب
بالمدير الملكي نقرأ فيها : أنه قد وضع « نب . تب . نفر » بين ؟ « واح عنخ »
و « حور سعنخ اب تاوى متوحتب » (A. Z. 1905 p. 132) والأخير هو حفيد
« واح عنخ » . ومن ذلك يمكننا أن نستخلص من بقاء ثلاثة من رجال بلاط
والده حتى أيام ابنه أنه لم يحكم إلا فترة وجيزة جدا . هذا ونجد على لوحة « ثنى »
السالفة الذكر صورة شخص يدعى « مايجى » ومن المحتمل أنه كان يدعى كذلك
« أنمحات » وقد ترك لنا لوحة يقول فيها :

لقد عشت في عهد « حور . نب . تب . نفر » (M. M. A. 14. 2. 6) ومع
أن هذه المعلومات التي في متناولنا الآن ضئيلة إلا أنها لم تكن معروفة لنا من مدة
طويلة وكان كل ما نعلمه إلى عهد قريب اسمه فقط محفورا على قطعة من مصراع
باب لفرد يدعى « نختى » في جبانة العراة المدفونة التي كانت لا تزال في قبضة حكام
« طيبة » إذ قد نقش على هذا المصراع ما يأتى « حور نخت . نب . تب . نفر »
ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ابن الشمس « أنتف » العظيم العائش مخلدا .

وفاة الأمير أنتف — وقد مات « نب . تب . نفر » في عام (Lange
& Schafer, ibid No 20502) ٢٠٨٨ ق م بعد حكم مدة لا تتجاوز ثلاث سنوات ،
وقد كان من الطبيعى أن يكون مدفنه في جبانة « طيبة » الغربية في مكان ما بين
مقبرة والده ومقبرة ابنه ، غير أننا لا يمكننا إلى الآن أن نحدد مكانها بالضبط .
ولا نزاع في أن غرضه كان نحت مقبرة أو صف له جنوب مقبرة والده أو على
يمينها وخلف مقبرة (واح عنخ) ولكنها لا ترى اليوم . هذا فضلا عن أنه قد
حفرت ترعة الآن مخترة السهل في النقطة التى ينتظر وجودها فيها .



سعنخ . أب تاوى . متوحتب

٢٠٨٨ - ٢٠٧٠ ق م

وعلى أثر وفاة = نب . تب . نفر . = انتف الثالث = خلفه على العرش
بكر أولاده ولقب باسم « حور سعنخ - أب تاوى » ومعناه : (الذى يعمل قلب
الأرضين يعيش) بن الشمس « متوحتب » .

وقد دَوَّن المؤرخ الذى وضع قائمة أجداد الفرعون تحتمس الثالث ، اسمه
فى الكرنك بالصورة الآتية . « حور الجذ » متوحتب « المبرأ » فى أول طفراء
للأسرة وذلك بعد اسم أمير المقاطعة « أنتف » مباشرة ، ولكنه بعد ذلك أتم مهمته
بطريقة تدل على عدم الاعتناء ، ولذلك لاندھش إذا كان قد ارتكب غلطة رخيصة
كـهذه (Prisse; Monuments Divers, Pl. I; Sethe, Urkunden IV p. 608)

والواقع أن « سعنخ - أب - تاوى » كان ترتيبه واضحاً [وهو الرابع] فى ورقة
تورين ، فإنك تجد عند هذه النقطة فى الورقة يظهر حكم ملك طوله ٨ - [...] وهو
ما يمكن تصحيحه ١٨ حتى يتفق مع المجموع الكلى لعدد السنين التى حكمتها هذه
الأسرة حسب الفحص الأخير الذى قام به الأستاذ « فرينا » فى ترتيب قطع ورقة
تورين الممزقة (Farina, Il Papiro dei re p. 53 Pl. V; Winlock, J. E. A. الممزقة
1940 p. 119.)

وإن العلم الذى اتخذ هذا الأمير لنفسه (متوحتب) يعد عدولا ظاهرا عن
الاسم التقليدى القديم للأسرة وهو « أنتف » ولكن يظهر أن كثيرا من
أولياء عهود هذه الأسرة كان يختصر ويسمى نفسه (متوحتب) وإن كان الحفيد
الأكبر « لسعنخ أب تاوى » كان يسمى أنتف فاسم « متوحتب » و « أنتف »
كانا يتبادلان إذا فى أفراد هذه الأسرة أو على الأقل من الأسماء التقليدية فيها .

والظاهر أن الأمير الجديد كان في عنفوان الشباب وبهجة العمر في عام ٢٠٨٨ قبل الميلاد عند ما ذهبت روح « نب . تب . نفر » إلى الأفق (وهو المفتر الأخير حيث توجد الآلهة) وقد كان « حننون » الذي اقتبسنا من لوحته هذا التعبير في خدمة ابنه = حور سعنخ [اب تاوى] بعده :

(Sethe, A. Z. 1905 p. 132, Gauthier B. I. F. A. O. 1906. p. 39.)

وفي هذا الوقت كان الفرعون في « هيراكليوبوليس » لا يزال بئن من الهزيمة التي ألحقها به « واه عنخ » وأراد أن ينتقم فقام بهجوم على الوجه القبلي عام ٢٠٧٤ ق.م وكان النصر في جانبه إلى درجة ما، وقد جاء على لوحة « كاور انتف » السالفة الذكر ما يأتي : السنة الرابعة عشرة هي السنة التي ثار فيها طيبيو، ولا بد أنه قد مات في هذه السنة نفسها وهو نفس الشخص الذي نراه مصورا على هذه اللوحة مع أزواجه الثلاث وهن « ماري » Mery و « إيوتو » Iutu و « إرو » Iru ولا يمكن أن تكون إحداهن مشجعة للفنون فإن اللوحة التي رسمن عليها تدل على خشونة وعدم دقة في النحت .

الحالة في هيراكليوبوليس — وفي تلك الفترة كان الفرعون « واه . كا . رع . ختي » ملك هيراكليوبوليس يتقدم في السن وقد أخذ على نفسه أن ينتحي ناحية يكتب طائفة من التعاليم وتجارب الحياة التي مارسها ليتفع بها ابنه — مري — كارع :

(Gardiner, J.E. A. 1914 p. 22. Scharff, Merikare p. p. 7, 18ff.)

وقد كان في رأيه أن الخطر العظيم لا يحق ببلاده إلا من الأجانب النازحين من «آسية» ومن ثم اعتقد أن الوجه القبلي لا يستحق مثل العناية التي توجه إلى الشمال متزح أولئك الآسيويين . ولذلك نراه يحض ابنه على أن يترك (طيبة) تسلك طريقها وبخاصة بعد أن ألحق بها هزيمة نكراء فأصبح السلم نخما على ربوع البلاد . وليس لدينا ما يدعو إلى عدم تصديقه حين يقول : ” إنهم لا يهاجمون حدودنا وإنى

لفخور بطينة و « متى » والحدود الجنوبية حتى طود حيث يظهر أن انتصاره بلغ الى هذه الجهة . ولقد انقضضت عليهم كالصاعقة ، ولم يحدث مثل هذا على يد المرحوم الملك « مرى أب تاوى » مؤسس أسرة «أهناسيه المدينة» . ثم يقول : «حافظ على مهادنة الجنوب الذى يأتى إليك محملاً بالهدايا وطالما يأتى إليك الجرائيت دون عائق فلا تحدث تلفاً بآثار آخرين ، واقطع أحجارك من محاجر طره... وإذا كانت تخومك من جهة الصعيد فى خطر فإن الحال كذلك من جهة البدو الذين يمتنطقون بالحزام ويجب عليك أن تقيم حصوناً لصدهم فى مصر السفلى» .

وهذا الاقتباس من تعاليم (مرى كارع) يدل صراحة على أن الفرعون (واح - كارع) كان محاطاً بالخطر من كلا الجانبين مما جعله يشعر بفداحة الخطر الذى كان يقترب منه ، ولكن لم يكن فى استطاعته أن يتصور مقدار سيطرة الأمراء الصغار الذين كانوا يحكمون « طيبة » على مصر فى الوقت الذى كان هو فيه فانما بقطع أحجار الجرائيت الأحمر من أسوان بأذن من سكان الوجه القبلى .

حالة البلاد فى الجنوب - ومن جهة أخرى كان توقع اشتعال الحرب يملأ ذهن كل طبيب ويشغله عما سواه ولذلك لا ندهش عندما نقرأ فى النقوش أن أحد أبناء « سعنخ أب تاوى » الذى زجح أنه قضى نجسه فى حياة والده كان جندياً فى ساحة القتال ، فقد اشترى « هيرس » من طيبة قطعة من تابوت نشرها « الأستاذ جرفت » (Griffith, Proceedings of the Society of Biblical Archaeology. (1891) p. 41) وهذا التابوت كان يضم جسم الأمير حامل الختم الملكى ، بكر أولاد الملك ، وقائد الجنود « هرو نفر » المسبأ الذى وضعت الزوجة الملكية العظيمة «ست شرت» . وإذا كان اسم الملكة يشك فى قراءته فليس هناك مجال لأى شك فى أن والده هو « سعنخ - أب - تاوى » وليس هذا بغريب فإن الحال إذا تحرجت واستطاع العدو أن يسترد طينة كان من الطبيعى أن يهب أولاد الملك فى طليعة جيش والدهم للدفاع عن أملاكهم .

ولم يعثر على الشيء الكثير من آثار هذا الفرعون حتى الآن اللهم إلا خاتما من حجر ستايتيت على شكل عجل جائم على الأرض وقد نقش عليه على ما يظهر «سعنخ أب تاوى» (M. M. A. 10, 130, Newberry, Scarabs, Fig. 87.) وكذلك يظهر أن أحد أتباع هذا الفرعون الذين دفنوا في دندره قد ترك لنا شظية منقوشة نقشا غائرا عليها اسم هذا الملك (Petrie, Denderah XII) .

وفاة الملك وآثاره — وقد توفى « سعنخ أب تاوى متوحتب الأول » في عام ٢٠٧٠ ق.م. بعد أن حكم ثمان عشرة سنة كانت مليئة بالمتاعب والحروب . وقبل موته كان قد بدأ ينحت لنفسه أكبر مقبرة (صف) من المقابر الملكية الواقعة في الجنوب، وقد انتخب موضعها بكل تواضع خلف مقابر آبائه، وقد كان تصميمها على أن تكون ٣٠٠ متر أو يحتمل أنها نحو ٦٠٠ ذراع في الطول وبذلك تكون أكبر من أى مقبرة أقامها من سبقه من رجال أسرته ، غير أن الأجل المحتوم لم يمهل ليم تشييدها . ولا بد أنه كان قد مضى على وفاته نحو أربعين سنة أو يزيد عندما توفيت زوجته « اعح » وهى والدته خلفه ، ومن المحقق أنها قد دفنت في مقبرة زوجها إذ تدل كل الأحوال على أنه لا يوجد في الدير البحرى قبر يتناسب مع منزلتها يمكن أن تكون قد دفنت فيه غير هذا القبر .

وقد أقام أتباعه حول قبره العظيم هذا مثواهم الأخير . بل تدل الدلائل على أن بعض من بدأ حياته في عهده من عطاء القوم لم يمت إلا في عهد خلفه . على أننا فضلا عن ذلك نرى أن بعض المحافظين الذين جاءوا بعد موت هذا الفرعون بقرن مثل (انتف بن مابت) وكثيرا من أهالى (طيبة) غيره الذين كانوا أقل ثراء منه كانوا لا يزالون يدفنون موتاهم في الجزء الجنوبى من هذه الجبانة (Petrie, Qurneh, p. 2)



نتر حرت (وفيما بعد) نب حبت رع متوحتب (الثانى) ٢٠٧٠ - ٢٠١٩ ق م

فى عام ٢٠٧٠ ق م . ذهب سعنخ أب تاوى الى الأفق (أى توفى كما يعبر
المصريون عن موت الفرعون) وخلفه على أريكة الملك أسن أولاده الذى اختار
لنفسه اسم « حور نتر - حرت » (السيد المقدس للتاج الأبيض) - ملك الوجهين
القبلى والبحرى ابن الشمس « متوحتب » . وهذه التسمية كان قد راعى فيها التقليد
الذى سار عليه أجداده منذ أربعة أجيال (Vandier; Ordre de Succession des
dernier Rois de la XI Dynastie, Studia Aegyptiaca (1938) p. 39.)
وكان حديث السنّ ، ولذا ظل فى الحكم واحدا وخمسين عاما . ويظهر أن أملاكه
لم تكن واسعة فى مستهل حكمه ، لأن والده كان قد فقد « طينة » والعراية . وقد
كانتا من أملاك أمراء « طيبة » منذ أيام جدّه الأكبر « واح عنخ » .

حربه مع ملك إهناسيا المدينة وأمير أسيوط - ولم يهنا هذا الأمير الفنى
بهذوه البال طويلا فإن كثيرا من المناوشات بدأ على أثر تسلمه زمام الملك ، ولم تعمر
الحرب التى اندلع لهيها بعد أمدا طويلا لأن « تف اب » أمير أسيوط الذى كان
أكبر عضد للفرعون فى إهناسيا المدينة غاله الموت . وتولى ابنه ختي مكانه .
وكل ما نعلمه بعد ذلك أنه لم يمض زمن يسير حتى رأينا حدود مملكة طيبة قد
انتقلت الى « شاسحتب » وتقع الآن مكان « شطب » الحالية القريبة من « دير ريفه »
على نفس حدود سيوط . ويظهر أن « ختي » أخذ يتسلّى ويفطى موقفه بالكلمات
الحماسة والجلل الطنانة يرددها عسى أن تخفى الحقيقة المرة التى كانت تواجهه وتنذره
بأن حربا شعواء على الأبواب تندلع فى عهد مليكه « مرى كارع » فتراه يقول
مفاخرا : "إناك قد نشرت الرعب فى كل البلاد ، وإناك بمفردك أخضعت مصر العليا

للك وجعلته يذهب نحو الجنوب في حين أنك جعلت السماء خالية من السحاب".
وكانت الأرض كلها مع الملك : أمراء الوجه القبلي وأشراف هيراكليوبوليس .

على أنه لم يحدث قط أن كانت أول سفينة من الأسطول تصل الى «شاسحتب»
في حين أن آخر سفينة منه كانت (في قرية ما على مسافة عدة أميال في أسفل النهر).

أما الجيش فقد عاد بالنهر ورسا عند «هيراكليوبوليس» وفرحت المدينة
بسيدها وابن سيدها وكذلك النساء والرجال والشيوخ والأطفال . وقد وصل
ابن السيد المدينة ودخل بلاط والده وعاد ثانية من كانوا قد هجروا وطنهم ،
ودفن أولئك الذين ليس لهم أبناء — سيد الأرضين الملك مري كارع

(Brunner ibid Tomb IV 1, 10.)

ومما يؤسف له أننا لا نعرف من النقوش حتى الآن من الذي كان يحكم طيبة
وقتئذ ولا نملك في أنه كان «حور ترحزت» «متوحب» .

ولم يمكث «مري كارع» على عرش الملك بعد ذلك إلا سنتين فلائل ، وتدل
الآثار المكشوفة على أنه دفن في منف بالقرب من هرم الملك «تيقي» في هرم يدعى
«أماكن مري كارع مزدهرة» :

(Quibell, Saqqara 1905 - 1906 Pl. XIII, XV, 1906-1907 Pl. VI; Firth
and Gunn, Teti Pyramid Cemeteries pp. 187, 202, 257.)

والظاهر أن كهنة هذا الهرم قد مكثوا مدة يزاولون مهمتهم لأننا نعرف أكثر
من ستة منهم .

الملك نب - كاو - رع آخر ملوك إهناسيا المدينة — ويقال إنه بعد
موت «مري كارع» قد تولى الحكم بعده الفرعون «نب كاو - رع» وهو الفرعون
التي تنسب إلى عصره قصة الفلاح الفصيح^(١) ، غير أنه لم يحكم إلا عهدا قصيرا ،

(١) راجع كتاب الأدب المصري القديم ص ٤٤ الخ .

ويرجع السبب في ذلك إلى أن «هيراكليو بوليس» آل أمرها إلى السقوط نهائياً وحلت محلها طيبة عاصمة لعرش البلاد من أقصاها إلى أقصاها (Scharff, Merikare p. 51) توحيد البلاد — وليس هناك ما يدعو إلى الدهشة من أننا لا نعرف شيئاً قط عن الحروب التي أدت إلى القضاء الأخير على سلطان ملوك «هيراكليو بوليس» بعد مضي ١٨٠ سنة من بداية تربعهم على عرش البلاد . والدليل المعاصر الوحيد الذي يمكننا أن نقدمه في هذا الصدد هو الأسلوب الذي أصبح يعرف به حاكم طيبة، ففى بادئ الأمر كان يحمل اسمين يكتب ثانيهما في طغراء (Bissing-Bruckmann, Denkmaler Aegyptische Sculptur, Pl. 33 A.)

وفي هذه الطغراء كان يكتب قبل الاسم النعت «ابن الشمس» كما كانت الحال غالباً في عهد الأسرة السادسة، وكان الملك يضيف إلى هذا الأسلوب لقباً كتب أولاً [«نب حبت» ويمحور أن يكون «حبت» فقط] على آثاره المبكرة جداً في الجبلين، وعلى نقش في الصخر في طيبة حيث يقرأ الإنسان «حور نرحرت» ملك الوجه القبلي والبحري «حبت» (؟) ابن الشمس «متوحب» (Winlock, A. J. S. L. 1941. p. 144) ثم نجده فيما بعد يلقب اللقب بإيضاح أكثر «نب-حبت-رع» (Louvre Stela C 252; Meyer, Gesch. ibid. Par. 277, Winlock, A. J. S. L. 1915 p. 12.)

أى «سيد المربع المقدس هو رع» ثم يضاف اسم إلهتين وُحِدَ مع «حور» على أنه يوجد على جزيرة «كونوسو» الواقعة عند الشلال الأول نقشان على الصخر يحور أنهما نحتا هناك قبل أن يكون «نب حبت رع» قد أتم فتح البلاد كلها (Lepsius, Denkmaler, Pl. 150 a; De Morgan, "Catalogue des Monuments; Vol. 1, 71, No. 31, p. 73, No. 44.)

وفي كل نقش يلاحظ رسم صورة للإله «مين» إله التناسل وهو واقف بين الإلهة «سات» إلهة الشلال . والإله «متو» والإله «خنوم» الذين يقدمون له الحياة، وفي إحدى النقوش نرى الملك غير قانع برسم تسعة الأقواس التي اعتاد

المصريون أن يرمزوا بها للأقوام الممج الذين يطوهم الفرعون بقدميه فرسمهم خمسة عشر قوسا ، يضاف الى ذلك أنه عثر على نقش في صخرة في (وادي الحمامات) كتب فيه ابن الشمس «متوحتب» كل ذلك في طغراء واحدة ، محبوب «مين» إله «قفط» مثل رع في الخلود (Cuyat & Montet, Inscriptions Hieroglyphiques du Ouadi Hammamat No. 112.)

آثاره وأعماله — وفي تل الشيخ موسى في الجبلين على مسافة بضعة أميال من «أرمنت» أقيم معبد صغير احتفالا بإقامة باب عظيم لمعبد ما محلي ولإظهار الفرع بإحدى انتصارات الملك الأول (Bissing-Bruckmann, ibid Pl. 33 A ; Maspero ibid. p. 459, Breasted, A. R. Vol. I Par. 423 ff.)

وقطع الأبحار التي بقيت من هذا المعبد الصغير موجودة الآن في المتحف المصري وقد حفظت لنا من يد المخربين الحاليين لأنها كانت قد استعملت ثانية في إقامة جدار لمعبد من عهد البطالمة ، وهذه البقايا لها أهمية بالغة . فعلى قطعة منها نشاهد الملك «تحرزت» يقرب أمير لوبيا المسمى «حز — وواش» وعلى الأخرى يشاهد وهو يذبح أربعة من الأسرى البائسين وهو يقول :

لأنه مسيطر على رؤساء الأرضين ، الصعيد والدلتا والأجانب وشاطئ النيل والأقواس التسعة وكلا المصريين ، وهؤلاء الذين يصب عليهم جام غضبه هم أسرى مجهولو الاسم ، ويقول عنهم البعض إنهم : مصري ، و «سيتيو» من بلاد النوبة ، و «سيتيو» أسوي ، و «تحنو» من لوبيا . وقد كان من الطبعي أن نجد معلومات كثيرة عن هذا الفرعون في «طيبة» غير أن التغيرات التي حدثت في المباني بسبب تغير الدول منذ الأسرة الحادية عشرة كانت عظيمة جدا لدرجة أنه لم يبق لنا من آثارها شيء في الجهة الشرقية . أما في الجهة الغربية من «طيبة» على ضفة النيل اليسرى أى في مدينة الأموات فكانت الأحوال تختلف اختلافا عظيما إذ قد بقي لنا بعض الآثار الهامة عن هذه الأسرة الغامضة . ففي متحف القاهرة توجد لوحة

عثر عليها في « ذراع أبو النجا » نقش عليها « حور ترحزت » ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « نب حبت رع متو حتب »^(١) (Daressy, A. S. (1907) p. 242)

بدء العمل في بناء معبد « متو حتب الثانى » — وقد انتخبت نقطة على هذا الشاطئ الغربى نفسه على مسافة ستة كيلومترات من الجنوب الغربى لمعبد « متو » عند سفح الصخرة وعند رأس الوادى جنوب مقابر الدولة القديمة . وقد بدأ العمل فى هذه المنطقة على أثر تولية هذا الملك ليكمل منها أثرا ضخما لنفسه . وقد كان أول شيء وضع تصميمه مهندسو هذا الفرعون الشاب هو ردهة ضخمة على هيئة درفة تمشيا مع روح العصر الفنية . فكانت قاعدتها متجهة نحو معبد « متو » بالكرك وكذبى من جدارها الشرقى ما لا يقل عن ٢٣٠ مترا وترك فيها فتحة اتساعها ٤ مترا عند رأس الوادى غير أننا لا نعرف مقدار تصميم علو الجدار أو طوله ، لأن الجدار نفسه قد استعمل فى العصر التالى محجرا تؤخذ الأحجار منه لأعمال البناء حتى اندثرت خرابته كلية (Winlock, Dier el Bahri p. 203. Pl. 3.) وهذا التغيير فى تصميم المبنى الأصلى قد أجبر عليه مهندس البناء بسبب كومة من الشظايا الضخمة نحتت من التلال الواقعة فى الجنوب وتراكت هناك ، وسواء أكان هذا الجدار قد عمل تصميمه لتشييد طريق من الردهة يتجه مباشرة نحو معبد متوأم لغرض آخر ، فإن الفكرة قد عدل عنها الى إقامة بناء يتجه بعيدا نحو الجنوب .

مقابر زوجات الملك — وأول ما عمل فى هذا البناء مسطح فى الشظايا الواقعة عند سفح الصخرة أقيم على ظهره ستة هياكل مكعبة الشكل فوق ست مقابر منحوتة فى جوف الصخر لست من زوجات الملك « نب حبت رع » (Neville; XI Dyn. Temple, I, 7, 30, 47, 53. Pls. XI, XVII, XXIII. : III, 9 Pls. II, III ; Winlock; Dier el Bahari p. 35, Fig 4.)

(١) ويقول « دارسى » إن الآثار التى عثر عليها فى هذا المكان من عهد الأسرة الحادية عشرة قد وجد معظمها مهشما من عهد قدماء المصريين أنفسهم ويظن أنه لابد قد حدثت ثورة سياسية ضد ملوك هذه الأسرة مما أدى الى هذا التخريب المشين .

تلقب كل منهنّ بـ«كاهنة الإله» «حتحور» ولا غرابة في ذلك فإن «حتحور» كانت تلقب بإلهة الغرب في هذه الجبابة وكذلك كان من ألقابها أنها إلهة الحسن .
عبادة الإلهة حتحور — والظاهر أنه كان يوجد بالمعبد جزء خاص بعبادة هذه الإلهة يقع في الجزء الخلفى منه الملاصق للصخر — ويمرّز هذا الرأى محراب «متوحب» نفسه وكان يسمى «انت» (الوادى) . ويستبعد أن الإله «آمون» كان يعبد هنا وحده في عهد الأسرة الحادية عشرة ، وبخاصة أن لفظة «أت» معناها الوادى الذى تخرج منه الإلهة «حتحور» من جبل الغرب ، ويعتبرها المصريون إلهة الجبل إذ كان يظنّ أنها تخرج من كهفها وتذهب نحو النهر إلى الأراضى المستنقعة حيث كان يعتقد أنها قد أرضعت «حور» كما سنشاهد ذلك في معبدها العظيم الذى أقامه لها تحتمس الثالث في عهد الأسرة الثامنة عشرة .

والواقع أن تمثيل البقرة بهذه الكيفية كان الغرض منه إظهار «حتحور» بصفته الأم الإلهية للملك كما كانت من قبل أم «حور» التى أرضعته في منافع الدلتا (أى أنها تمثل الإلهة إيزيس) والرسم الذى وضعه الأستاذ «نافيل» لمعبد «متوحب» الثانى يشاهد في نهاية دورانه أسس ستة المحاريب أو المقاصير الصغيرة التى بنيت لتوضع فيها التماثيل الجنازية للأميرات الست اللاتى كنّ يتألف منهنّ (الحریم الملكى) وقد عثر على أجزاء كثيرة من جدرانها تكفى للدلالة على أن المحاريب الستة الواقعة جنوب الباب من الدوران الى الردهة كانت مخصصة لمكان «هنهيت» و «كسيت» و «كاويت» .

مقابر الملكات ووصف محتوياتها — أما المحاريب الثلاثة التى في الشمال فكانت للأميرات «ساده» و «عاشيت» وأميرة لم يكن قد عرف اسمها بعد الى أن كشف الأستاذ «ونلك» في موسم ١٩٢٠ - ١٩٢١ عن حجرة دفن هذه الأميرة المجهولة . وهى «مايت» (القطة) ، كما كشف عن حجرة دفن الملكة «عاشيت» وبذلك تم الكشف عن مقابر هؤلاء الأميرات جميعا . وأهم ما يلفت النظر من

الوجهتين الفنية والدينية محتويات حجرتي دفن الملكتين «كاويت» و«عاشيت» وبقايا تابوت الملكة «كسيت». فحجرة دفن الملكة «كاويت» وجدت منهوبة غير أن للصمصام قد تركوا الجثة في تابوتها الذي يعد قطعة فنية من تحف هذا العصر البالغة حد الجمال وهي الآن بين نفائس المتحف المصري. وقد ألفت من عدة قطع من الحجر الجيري ركبت معا بحذق ومهارة حتى إن الناظر إليها يعتقد أنها قطعة واحدة. أما المناظر والرسوم التي وجدت على هذه التوابيت فإنها ترجع بذاكرتنا إلى ما وجدناه على جدران مقابر الدولة القديمة ومعابدها مما كان ينقله المصري من مناظر الحياة الدنيا إلى قبره. فهناك نرى الرجل الثرى وقد جهز نفسه بكل ما يحتاج إليه الشريف في حياته وما كان يملكه، فيشاهد وهو يشرف على عماله وصياديه الذين يمدونه بأنواع لحوم الصيد كلها، وخدمه يقوم كل بعمله الخ. فهذه المناظر التي كنا نجدناها على جدران المقابر قد شاهدناها لأول مرة مضافا إليها الصيغ



شكل رقم ٣ (١) منظر من تابوت الملكة كاويت

الدينية على ما نعلم على جوانب التابوت في عهد الأسرة الحادية عشرة إذ كل ما كنا نجده مكتوبا على التوابيت صيغ دينية وأدعية أو بعض ألقاب المتوفى — ويمكننا أن نفرض هنا أن القرابين التي كانت تقدم للأميرة، ومخازن الغلال التي كان يخزن فيها غذاؤها ، والبقرات التي كانت تدرّ لبنا سائفا ، كل ذلك كان جزءا من الخيرات التي يُعتقد أن الأميرة ستتمتع بها في الحياة الآخرة .



شكل رقم ٣ (ب) منظر من تابوت الملكة كاويت

وصف تابوت كاويت — والواقع أننا إذا استثنينا الصيغ الدينية والأدعية الإلهية التي على تابوت الأميرة « كاويت » وجدنا صورة مختصرة عن مسكن الأميرة في الحياة الآخرة، وهو في الوقت نفسه تابوتها ، لأن العينين اللتين نراهما مرسومتين على الجانب الأيسر للتابوت قد فرض فيهما أنهما عينا المتوفى ينظر بهما الى ما يجري في عالم الدنيا^(١) . وعلى كلا الجانبين نجد أبوابا تؤدي الى أجزاء مسكن الأميرة ،

(١) وقد طلع علينا الأستاذ كابار غنيسر آثار لوطنفة العينين إذ يقول عنهما إنها لمنع الحسد . راجع

وعلى الجانب الصغير للتابوت الذى يسبق الجانب الطويل من جهة اليسار نشاهد قربانا يقدم فى حجرة (بردوات) وهى حجرة تكون صغيرة أحيانا يرتدى الإله فيها ملابس و يؤتى له فيها بالعطور والزيت «حجرة زينة الصباح» Blackman, J E A Vol. V, p. 148 ff. فترى الخادم واقفا أمام صندوق ربما كان يضم ملابس الأميرة وحليها ونرى بقية الخدم يحمل كل منهم نوعا من العطور .

ويظهر أن الباب الكبير الذى على يسار الداخل يؤدى إلى حجرة كانت تترين فيها الأميرة فنشاهد خادما تضع دبوسا فى شعرها ، وفى إحدى يدي الأميرة مرآة وفى الأخرى قدح قد ملأته خادم أمامها وهى تقول : ” إنه لحضرتك أيتها الأميرة، اشربى ما أعطيك إياه“ . ويظهر أنه قدح من لبن بقرة يحملها خادم بالقرب منها (فى المنظر) وقد ربط صغيرها بساقها الأمامى ، وكأن هذه البقرة تذرف دمعة حسرة على درها الذى حرمه ابنها . ونشاهد اثنتين من هذه البقرات على هذا الجانب وأخرين على الجانب الآخر من سلالتين مختلفتين ، فواحدة منها بلا قرن وهى من سلالة لا تزال موجودة للآن فى إفريقية ، ويمكن أن تعرف من بقايا تابوت الأميرة « كمسيت » أن هذه السلالة كانت بيضاء اللون ذات بقع سوداء وقد استعمل اللون الأزرق هنا للأسود ، أما البقرة ذات القرن الكبير فجعلها أسمر .

وعلى الجانب الأيمن من التابوت نشاهد ثانية بابا ذا مصراعين محلى بإشارات دينية ، ونشاهد كذلك الأميرة تزين نفسها فتأخذ بيدها بعض زيوت معطرة تقدمها لها خادمتها التى تحمل فى يدها ما يشبه جناح إوزة لتروح به على الأميرة . وفى الحجرة نشاهد حليها ويشتمل على صدرية وفلائد وسوار ثم اللعبة التى تحتوى كل هذا ، وعلى يمين الباب تظهر الأميرة تتناول الطعام وقد أخذت بيدها كعكة أو رغيفا من قدر عظيم من الطعام مكدس أمامها على مائدة القربان ، ولما كانت الأميرة تأكل ولا تشرب فلم يكن هناك داع لحلب البقرات ، وعلى أحد جانبي التابوت الصغيرين بجوار القدمين قد مثلت مخازن الغلال والحقائب التى تفرغ فيها . وهناك

كاتب يقيد الكليات التي تجلب ، وعلى مقربة منه مشرف يدعى « انتف » يلاحظ ما يجري ويوجد سلم يؤدي إلى الإيوان التي تجلس فيه الأميرة كما يفعل الفرعون في عيد « سد » (L. D. III, Pls. 76, 77) وذلك عند ما يحضر مزارعوها وأتباعها ضرائبهم ومحاصيلهم مما ينتجونه وكانوا يؤدونها لها في أوقات معينة من السنة .

تابوت الأميرة كمسيت

وعلى غطاء التابوت قد نقشت أدعية للإله « أنوب » .

وما بقى لنا من تابوت الأميرة « كمسيت » يجعلنا نضعه في منزلة أهم وأعظم من تابوت الأميرة (كاويت) غير أنه لم يوجد كاملاً :

(Deir el Bahri II Dyn XI, Pls. XXII, XXIII)

فقد كان غاية في الإتقان وكان منحوتاً ، وملوناً وقد لَوّن داخله كذلك . وما وجد منه قطع صغيرة مركب بعضها مع بعض وهو الآن في المتحف البريطاني وقديقي رسم الأميرة على قطعة من الداخل (ibid, Pl. XXXIII) ولونها أسود ويظهر أنها كانت سودانية الأصل وقد عثر على جمجمة في حجرة دفنها تنسب إلى الجنس الأسود ومن المحتمل أنها جمجمة الأميرة ، وعلى هذه القطعة نشاهد خادمين تحضران لها قدحين قد يحتويان لبناً وتخاطبها إحداها الخادمتين قائلة : ” إن هذا لك أيتها الأميرة اشربي وكوني مسرورة “ . وفوق رأسها كتبت ألقابها فهي « كاهنة حتحور » التي تحب والدها وهي حظيته كل يوم .

ومناظر التابوت كما نأظر الأميرة « كاويت » وليس فيها ما يلفت النظر إلا ألوان الخدم إذ نجد بعضهم ملوناً باللون البني المائل للأحمر وهو اللون العادي الذي يلون به الرجال المصريون وبعضهم قد لَوّن بلون أصفر خفيف وهو اللون الذي يدل على السيدات ويلاحظ بقدر ما تسمح به حالة الأحجار المهشمة أن رؤساء الخدم وهم الذين يشغلون أعلى الوظائف مثل المشرف على المخازن أو الرجل الذي يحضر الجعبتين اللتين ربما كانتا تحتويان على أحجار كريمة أو معدن ثمين ، كانوا

مصريين ملونين باللون الأحمر، أما الملونون باللون الأصفر فهم الذين يحضرون الزبوت والطور إلى « بيت الصباح » ذلك البيت الذى يترين فيه المتوفى عقيب استيقاظه من النوم، ويلاحظ بكثرة فى قبور الدولة القديمة أن النسوة تلون باللون الأصفر الخفيف مثل هؤلاء الرجال . وقد فسر ذلك علماء الآثار بأن النسوة يمكن فى عقر دورهن أكثر من الرجال . بفناء لون جسمهن أفتح من لون زملائهن . ولكن هذا التفسير لا يمكن أن ينطبق هنا على هؤلاء الرجال . وربما كان الحل الحقيقى لذلك أننا نشاهد هنا جنسين من الناس، فالجرحهم المصريون الغزاة، أما الصفر فهم اللوبيون الإفريقيون القدامى . واللون الأصفر كما ذكر « ليسيوس » يمثل « التحنو » الذين حاربهم « متوحتب الثانى » الذى نحن بصددده . والظاهر أن هذه الصورة التى على تابوت الأميرة « كمسيت » هى ذكرى تدل على أن المصريين كانوا مؤلفين من إفريقيين وعنصر أجنبي غزا البلاد^(١) .

أما التابوت الثالث فهو بسيط الصنع جدا عار عن أية زينة اللهم إلا الصيغ الدينية التى نحتت عليه . والنقوش صورة من نقوش تابوت الأميرة « كاويت » وهو للحظية الملكية الوحيدة كاهنة « حتحور : ههنيت » وأغرب ما يبدو فى نقوش هذا التابوت أن رسم الأفعى (⚡) وهو يمثل حرف « ف » قد وجد رأسه مقطوعا ومفصولا عن الجسم، وهذه الظاهرة نجدها فى نقوش متون الأهرام منذ الدولة القديمة . ويعزو بعض العلماء السبب فى ذلك إلى أن المتوفى كان يخاف شر هذه الحشرات وأنها ربما انقلبت إلى صورتها الحقيقية فتضر بالمتوفى فى حجرة دفنه، ولكن الغريب هنا أننا نجد ذلك فقط فى مقبرة إحدى الأميرات دون سواها مما يبرهن على أنه ربما كان لكل منهن عقائد خاصة فى السحر وتأثيره أو قد يجوز أن هذا يرجع إلى الحفار الذى نقش هذه الأشكال .

(1) Naville, Deir el Bahari I, p. 56.)

مقبرة عاشيت

كشفت عن حجرة دفن الأميرتين «عاشيت» و«مايت» الأمتاذ «ونلك» في موسم عام ١٩٢٠ — ١٩٢١ من مواسم الحفر في جهة الدير البحري .

أما «عاشيت» فكانت على ما يظهر ملكة حقيقية رغم أنها ماتت ولم تبلغ بعد الثالثة والعشرين ، وقد وجد في قبرها شعرها مصفوفا في هيئة جدائل بكل عناية ودقة وتدل موميئها على أنها كانت صغيرة الجسم ، ولا شك في أن الصانع المتفنن الذى نحت تابوت الملكة «كاويت» الفاحر الذى سبق الكلام عليه والذى يعد أبجل قطعة منحوتة وصلت إلينا من عهد الأسرة الحادية عشرة ، هو نفس الذى نحت تابوت «عاشيت» . والواقع أن فن هذين التابوتين يعد مثلاً رائعاً فى النحت لمدرسة كانت لا تزال قديمة فى طرازها ، غير أن ما ظهر من المهارة الفنية فى صنع التابوت الأخير يكاد يكون منقطع القرن بالنسبة لهذا العصر ، فنشاهد على جانبه الشرقى ممثلاً صورة باب القصر تعلوه شرفة افترض فى إقامتها أن تطل عاشيت من نوافذها



شكل رقم ٤ منظر من تابوت الملكة عاشيت

بعينين حفرتا لذلك بخاصة ، وإن كان هذا التفسير للعينين أصبح غير مقبول عند بعض العلماء كما ذكرنا آنفا . وفي داخل القصر ترى أكواما متراكمة من لذيذ الطعام أمامها ، وترى هي جالسة وكلها يقعى تحت عرشها ، وخلفها وصيفة تروح عليها يجتاح إوزة ، وهي تشرب لبنا سائنا يقدمه لها لبان من بقرتين قد أحضرتا لها مع صغيريهما .

وترى في منظر آخر وهي تزور مزارعها فتشاهد مدير بيتها مشرفا على المزارعين وهم يحملون حقائب الفلال ليضعوها في المخازن ، وفي منظر آخر تبدو وصيفتها تقدم لها زجاجات العطور من صناديق في خزانها . وكذلك ترى جزاريها يذبجون ثورا ويكدسون كومة من اللحم فوق مائدة مرتفعة وضعت أمامها . وفي داخل التابوت نشاهد نفس المناظر بالألوان الزاهية وتلك كانت صفحة من أعمال الأميرة اليومية كما سبق شرحه في وصف تابوت الأميرة « كاويت » . أما التابوت الخشبي الذى وجد داخل التابوت الحجري فإن ما رسم عليه من الزينة كان خاصا بعالم السحر . والتابوت من الظاهر خلو من كل حلية غير إطار ذهبي حول حافته ، حفرت فيه صلوات ودعوات دينية بحروف غائرة ، وغير عينين تنظران بهما إلى عالم الأحياء . أما الداخل فقد زين جميعه بالتعاونيد البراقة التى تنتمى إلى عالم السحر . فغطاء التابوت يمثل السماء وقد نقش عليه بالألوان تقويم فلكى فى شكل قائمة تبين لنا مطلع النجوم والأبراج مدة الاثنتى عشرة ساعة التى يتكوّن منها الليل ، وصلوات طويلة للكائنات السماوية . فالدب الأكبر قد مثل بساق ثور وغطى جانبا التابوت ونهايتاه بمتون سحرية . وفوق هذه المتون صفوف مرتبة من الصيغ المأخوذة من قوائم التعاويذ والصيغ الدينية اللازمة لروح المتوفى حتى تفلت من الأخطار والشراك التى نصبت لها فى العالم السفلى . على أن الباحثين فى العلوم الدينية والسحرية سيجدون فى هذه النقوش مقدمات غريبة تدل على حذق الإنسان فى اختراع التعاويذ السحرية الغامضة ، وقد وجد فى داخل التابوت الخشبي موميّة

«عاشيت» في صندوق من النسيج المقوى ويمدّ رغم بلاء وتمزقه وثيقة مصرية هامة عن العادات الجنازية. إذ وجد مكدسا فوق الجثة عدد عظيم من الجلايب المصنوعة من الكنان ، وعلى الكنان علامات تدل على أنه من النوع الذى كان يستعمله القصر الملكى منذ أربعة آلاف عام . فوجد على قطعة مثلاً « الملك متوحتب » أو « مخزن الكنان الجميل » أو نجد اسم مدير القصر الذى كان يشرف على صناعة هذه الجلايب أو الحصول عليها . ويجانب الملكة وجد تمثال صغير يمثلها صنع من الخشب الصلب وقد حليت يداها بسوارين من الذهب وقيص أحمر على جسمها مرفوع بحالة بيضاء وقد وجد معها كذلك بعض حلى وأشياء أخرى قليلة .

تابوت مائت

أما تابوت « مائت » التى يظن أنها كانت من صغيرات بنات الملك فلم يوجد معها أشياء كثيرة تستحق الذكر اللهم إلا بعض حلى من حبات الذهب المفرغة وقلادة من الكرنالين وأخرى من الخرز . وقد وجد اسمها مكتوبا على موميها . ومعظم هذا الأثاث الآن فى متحف « المتروبوليتان » بنيويورك إلا الأشياء التى ذكرنا أن المتحف البريطانى أو المتحف المصرى أعطيتها .^(١)

آثار الفرعون خارج طيبة — أما آثار هذا الفرعون خارج « طيبة » فكثيرة إذ عثر له فى دندرة على طغراء نقشت على قطعة حجر (Petrie, Denderah Pl. XII) ولكن أهم أثر لللك « نب حبت — رع » فى هذه الجهة هو محراب صغير مهدى للإلهة « حتحور » والإله « حور — أختى » والإله « مين » .

(Daressy, A. S. 1917, p. 226; Petrie, "History of Egypt" Vol. I p. 139; Evers, ibid Pl. 9.)

وفى هذا الأثر يرى الملك لابسا التاج المزدوج للوجه القبلى والوجه البحرى ورافعا يده قابضة على صولجانه وبأيد الأخرى يقبض على نباتى البردى والبشنين

(١) وقد غص الأستاذ دى أجسام هذه الميات فى مقال الرابع راجع A. S, Vol. 4 p. 246 ff.

المتعاقبين كأنه يريد أن يضر بهما وقد كتب أمامه : محبوب « حتحور » سيدة «دندره» ابن الشمس « متوحتب » المتصر ، القابض على البلاد الشرقية وهازم الأصقاع الجبلية ، والخائض قلوب النوبيين ، والذي يدفع له النوبيون الجزية ... والمازوى « وأرض الواوات » ، « واللوبيون » [والأسيويون] بواسطة حور صاحب التاج المقدس ملك الوجه القبلي والبحرى «نب حبت» .

وتحت قدميه نشاهد الأرضين مربوطتين معا بواسطة إلهين يمثلان النيل : أحدهما يمثل نيل الوجه القبلي ، والآخر نيل الوجه البحري وتقف خلفهما الإلهة «مرت»^(١) . ويرى على جدار أحد جانبي المحراب «حور ترحزت» (لقب الملك) محبوب « حتحور » سيدة «دندره» ملك الوجه القبلي والبحرى «نب حبت رع» الإله الطيب سيد الأرضين ابن الشمس «متوحتب» وعلى الجانب المقابل من المحراب يرى الملك مع الآلهة ويتبعه حامل المروحة ويرى ثانية وهو جالس على عرشه يقدم له اللبن والطعام . وهذا المحراب لا يتسع إلا لتمثال واحد والنقوش بارزة وعتيقة جدا مثل نقوش الجبلين وتشبه التي على محاريب تماثيل معبد الدير البحري ويرجع تاريخها للأسرة الحادية عشرة .

نهاية الحروب بين هيراكليوبوليس وطيبة — وتدل قرائن الأحوال على ان ختام الحروب بين طيبة وهيراكليوبوليس كانت السنة التاسعة من حكم «نب حبت رع» أى سنة ٢٠٦١ ق م وكانت قد حلت . وقد دامت هذه الحرب مدة طويلة بين جنود من طراز أولئك الذين نشاهد تماثيلهم النادرة في مقبرة مسحيتي في فرق كل واحدة منها أربعون .

(Porter and Moss, Bibliography IV. 265, Meyer, ibid par. 274.)

(١) الإلهة مرت هي إلهة مائية ويلاحظ في النقوش أنها تكتب في صورة الثني وفي هذه الحالة

تمثل نيل الدلتا ونيل الصعيد وراجع Max Muller, Egyptian Mythology, p. 136.

وكان معظم الجنود في ذلك الوقت يحملون قوسا بسيطا طويلا . أما القوس المركب فقد جلبه الهكسوس معهم ، ومع هذا القوس كان الجندى يسلح بقبضة من السهام لأن الكانة كانت غير عادية بشكل مدهش .

(Newberry, Beni Hassan, Vol I, Pls. XIV-XVI, Vol II, Pls. V, XV; Naville, ibid, Vol I Pls. XIIb, XIV d. f., X. V. C. d. Winlock Dier el Bahri pp. 72, 127 Pl. 20.)

وكان بعض الجنود يتسلح لحماية نفسه بدروع ضخمة من جلد الثور وينتخب الجلد ذا شعر كثيف بقدر ما يتجود به الطبيعة . وقد عثر على جثث نحو ستين جنديا ممن حاربوا مع جيش هيراكليو بوليس في مقبرة من أوائل المقابر التي تشرف على مقبرة « نب حبت رع » نفسه وتدل أجسامهم على أنهم قتلوا عند ما كانوا يهاجمون حصنا (Winlock; Dier el Bahari p. 123, Pl. 19.) وبعضهم قتل في ساحة الوعى فعلا . أما البعض الآخر فقد جرحه المدافعون فوق الأسوار . ولما هرب المهاجمون نزل رجال الحامية من معقلهم وجمعوا من تبقى من المهاجمين على قيد الحياة ، وضربوهم بالعصى حتى قضوا نحبتهم ، والظاهر أنهم بقوا في ساحة القتال مدة طويلة قبل أن يدفنوا بدليل أن أجسامهم قد نهشتها طيور السماء ، ولكن لم يمض طويل وقت حتى كان النصر حليف « نب حبت رع » فجمع موته وحملهم إلى قبر على مقربة من المدفن الذي كان يجهزه لنفسه وهناك واراهاهم التراب إلى أن كشف عن جثثهم معول الحفار الحديث ، وليس لدينا معلومات صريحة مباشرة عن سير القتال منذ أن استطاع أمراء طيبة ضم مقاطعة « طيبة » إلى ملكهم ولذلك لا نعلم شيئا على وجه التحقيق قبل الهجوم العام الذي قام به « متوحتب » الثاني وهو الهجوم الذي أدى إلى توحيد البلاد كلها وجعلها تحت سلطانه ، اللهم إلا حادثا واحدا وهو الثورة التي قام بها أهل « طيبة » في السنة الرابعة عشرة من حكم « متوحتب » الأول ولكن من جهة أخرى لدينا شواهد غير مباشرة تشير إلى الحالة التمهية التي سادت البلاد خلال تلك الفترة مما يؤكد لنا ما جاء في الوثائق التاريخية

النادرة الخاصة بهذا العهد ، ومن بين هذه أسعفتنا الحظ ببعض مصادر أثره لم تفهم قيمتها الحقيقية من حيث إنها تلقى ضوءاً على حالة البلاد الجنوبية (الصعيد) في هذه الآونة من الناحية الحربية . وهذه المصادر تنحصر في بعض لوحات كانت تهدى للجنود بعد وفاتهم فتنصب على قبورهم لتكون تذكاراً لما قاموا به في سبيل الدفاع عن مملكتهم الجنوبية وهو ذلك الدفاع الذي أدى إلى تغلب أمراء « طيبة » على ملوك « هيراكليوبوليس » واعتلائهم عرش البلاد كلها . وهذه اللوحات قد وجدت مبعثرة في المتاحف الأوروبية وقد جمعها الأستاذ « فنديه »^(١) وأظهر مالمها من قيمة تاريخية حربية هامة في هذه الفترة من تاريخ البلاد الغامض .

وعدد هذه اللوحات اثنتا عشرة لوحة يرجع تاريخ معظمها إلى ما قبل حكم الفرعون « متوحتب » الثاني ولا بد أن الكثير من بينها يرجع إلى عهد « أنتف » واح عنخ » ومعظم هذه اللوحات مصدرها مدينة « نقاده » أو مدينة الجبلين وهما مدينتان تقعان في شمالي وجنوبي طيبة على التوالي . وهى عاصمة مملكة الجنوب التي كان يحارب في صفوف جيشها هؤلاء الجنود ، على أن ذلك لا يحتم أن الملوك الأول للأسرة الحادية عشرة قد حصروا انتخاب أحسن جنودهم في هاتين البلديتين بل قد يعزى ذلك لمجرد الصدفة ، وربما تجود الحفائر المقبلة في جهات أخرى بالكشف عن لوحات تشبه التي سنفحصها الآن ، ويلاحظ أن هذه اللوحات تتفق جميعاً في شيء واحد وهو تمثيل الجندى عليها ، وليس من السهل دائماً أن يميز الإنسان بين الجندى والمدنى في الرسوم المصرية ، ولكن في معظم الأحيان يمكننا تمييز الجندى بأسلحته ، لأنه يشاهد حاملاً قوسه وسهامه بدلاً من العصا الطويلة والصولجان اللذين كانا يحملهما الرجل المدنى في معظم الأحيان . ففي الاثنتى عشرة لوحة التي عثر عليها لجنود نجد هذه الميزة شائعة في عشر منها ، ومن الجائز أن نتعرف

(1) Vandier, Quelques Steles des Soldats de la Premiere Periode Intermediaire, Chronique d'Egypte, No. 35 Janvier 1943 p. 21 & Fig. 1 — 12.

على صورة الجندي أحيانا بميزة خاصة في هندمة ملابسه؛ والظاهر أن جنود جيش مملكة الجنوب الصغيرة لم يلبسوا حلا عسكري نظامية معينة على أن معظم الجنود كانوا يصوبون رؤوسهم بشرائط يدل طرفها على الظهر . وهذه الشرائط تختلف عن أختها المحلاة بالأزهار التي كان يلبسها علي القوم رجالا ونساء في عصور التاريخ المصرى كلها وقد كانت هذه الشرائط من خصائص هذا العهد الإقطاعى الأول لرجال الجيش ويحتمل كذلك أن البحارة كانوا يرتبطونها والرماة الذين نشاهدهم في مقبرة «عنتفى نخت» يلبسونها أيضا ، كما أننا نجد في نفس هذا العصر المحارب الذى يدل عليه في النقوش بكلمة « مشع » (أى الجيش) قد عصب رأسه بهذا الشريط أيضا والجنود فى عامتهم كانوا يرتدون جلبابا بسيطا وقد يستبدلون به جلد حيوان (شكل ٩) (ibid Fig. 9, Stele Turin II. 115.) .

وقد يلف الجندي حول وسطه شريطا من النسيج معقودا بطريقة تترك حافة النسيج الخارجية ظاهرة من الأمام مكونة شريطا متديلا يكون له أحيانا هذبات وينتهى طرفه عند الركبة . ومن النادر أن تكون الملابس الحربية على أتمها إلا عند ما نشاهد الجندي يحمل نجادا يمر فرق كتفه وعلى صدره (ibid Fig. 8 & Fig. 12) والمتوفى من الجنود كان يصحبه كلب أو عدة كلاب (ibid Figs. 2, 3, 4, 8, 10)

استعمال الكلاب فى الحروب — وكان الكلب فى مصر القديمة كمادته حيوانا أليفا كما كان يدرّب على فنون الحرب ، والمناظر المهشمة التى بقيت لنا على جدران مقبرة « عنتفى » بالمحلة^(١) برهان صادق على صحة ما تقول إذ نجد أن الرسام قد نقش على أحد جدران هذه المقبرة صفا من الجنود الرماة يسير الواحد منهم فى أثر الآخر، وكل منهم بيده مقود كلب، وهذا المنظر يمثل حربا من غير شك ولا دخل للرياضة فيه والكلب هنا كان يساعد سيده فى الموقعة فيستخدم لاقتفاء أثر العدو أو مهاجمته ، وهذا الاستنتاج ينحّول لنا أن نفهم بطريقة مقننة فاصلة

(١) هذه المقبرة لم تشر بعد نقوشها .

سبب وجود الكلاب بكثرة على لوحات العهد الإقطاعي الأول ، إذ الحقيقة أن الجندى القديم عند ما كان يرجع إلى حياته المدنية العادية لم يكن لينسى صديقه القديم وساعده في ساحة القتال فكان يرغب عن طيب خاطر في أن تمثل صورته بجانبه على الأثر الذي كان يهدى إلى ذكره ، ويلاحظ أن نوع الكلاب الذي كان يستعمل في هذه الحروب هو من فصيلة الكلاب السلوقية التي كانت توجد في مصر بكثرة ويتعزف عليها المرء بخالبها العالية وخرطومها المدبب وأذنها المنتصبه، وذيلها المقوس . ومما يؤسف له أن معظم ما رسم من الكلاب على اللوحات التي نحن بصدددها قد رسم رسما رديئا . وسبب ذلك أنها لم تكن لأفراد من علية القوم ووجهائهم وليس في المناظر الأخرى التي مثلت على هذه اللوحات ما يسترعى النظر إلا القليل إذ هي في الواقع من نوع اللوحات الجنازية الكلاسيكية ولذلك يندر رسم المتوفى عليها منفردا (ibid Fig. 4) بل كان العرف أن يرسم مع المتوفى واحد أو أكثر من أفراد أسرته وكان المتوفى يرسم دائما واقفا وفي أغلب الأحيان تكون أمامه مائدة قربان كما كان وضع الأشخاص في اللوحة كلاسيكيا فلا تتطلب إلا إيضاها قليلا جدا ولذلك ستقتصر الوصف هنا على اللوحات الثلاث التي وجدنا فيها بعض تفاصيل غريبة .

لوحة الجنود النوبيين — فلوحة « تحنو » (راجع (ibid Fig. 8) تمثل اللوحات الأسرية التي تسودها روح المحبة الخالصة وأفرادها كلهم جنود من النوبيين فيشاهد صاحب اللوحة مرتديا ملابسه العسكرية وإلى جانبه زوجه وهو يتقبل تحيات إخوته الأربعة وكلهم جنود مثله كل منهم يقبض على أسلحته بيديه . ويشاهد كذلك ساقٍ بيده قدح يقدمه لسيده وهو من الشراب الذي تصبو إليه نفسه، كما يرى كلبه الأليف باسطا ذراعيه عند قدميه .

أما اللوحة الثانية وهي الآن بمتحف "تورين" فقد عثر عليها في الجبلين (ibid Fig. 9) ويمجد المرء في تفسيرها صعوبة بالغة ، فالتقوش التي عليها تذكر

فقط أسماء الأشخاص المرسومين دون أن تشير إلى العلاقة الأمرية التي تربط بعضهم ببعض : غير أننا رغم ذلك نتعرف على اثنين منهم كانا على ما يبدو رفيقين في ساحة القتال إذ نشاهد كلا منهما يمسك بذراع رفيقه كما يحدث ذلك كثيرا بين الجنود المتحاربين ، وكان يلبس كل منهما جلد حيوان بسيط ويقبض بيده على الأسلحة التي امتاز بحملها في ساحة الوغى ، وهناك اثنان آخران كان يقبض كل منهما على يد زميله يرتديان جلباين قصيرين يستقبلان المحاربين السالفي الذكر .

لوحة «إتى» قائد الجيش — أما اللوحة الثالثة فهي لشخص يدعى «أتى» وربما كانت أهم هذه اللوحات وأكثرها إيضاحا وحيوية . (ibid Fig. 10) وقد كان «أتى» هذا يحمل لقب قائد الجيش ولقب « حامل الخاتم الإلهي » ويرتدى جلبا با مقوى (منشيا) ويمسك بيده اليمنى عصا طويلة وقد زين شعره شريط وفي صحبته زوجة التي تضمه بشغف وكان يسير بجواره كلباه ، ويلاحظ أنه يضغط بيده اليسرى بحماسة على يد أخيه الذي كان يتقدم نحوه ، ويشغل بقية رقعة اللوحة القرابين المختلفة وصف من الخدم يتألف من امرأتين ورجلين والأخيران يحملان على محفة قطعا من اللحم .

وقد كان بؤدنا أن نجد بعض تفاصيل ثمينة عن الحياة الحربية في تلك الفترة من حياة الأمة ولكن لسوء الحظ كان المصري وقتئذ يعتبر أن مثل تلك التفاصيل لا قيمة لها عنده لأنها شيء عادي رتيب لا يحتاج إلى شرح أو تفصيل ، بل إنه يعد تناولها بالإسهاب من العبث وفضول القول ، وكانت غاية همه أن يدون على مثل هذه اللوحات الصيغ الدينية التي يظن أنها كفيلة بحفظ مكانه في الحياة الآخرة وتقدم له الطعام والشراب كلما احتاج إليهما ، ونجد أحيانا فضلا عن ذلك نداء للأحياء كما في اللوحة رقم عشرة .

لوحة حقا اب — وقد نجد على اللوحة تاريخ حياة المتوفى منقوشا على الطريقة المصرية المألوفة التي كانت سائدة في هذا العصر وهي التي لا تبرز لنا شيئا عن شخصية

صاحب اللوحة ومميزاته كما نجد في لوحة « حقا اب (ibid Fig. 6) » فإنه لم يذكر لنا شيئا مطلقا عن حياته الحربية وما قام من ضروب الشجاعة في ساحة القتال ، في حين أننا نجده من جهة أخرى يقص علينا شجاعته وفضائله المدنية والمنزلية حتى كان من المحتمل أن نجعل إلى الأبد مقدرته الحربية التي جعلته يخوض معارك عنيفة لولا بعض الظواهر البادية في ملابسه الحربية ومعدات القتال التي كان يحملها ، ولكن رغم كل ذلك فإنه يوجد على بعض هذه اللوحات سطر من النقوش يلقي ضوءا جديدا على محتوياتها ويبرز قيمتها من ناحية خاصة ، وأعني بذلك عبارة الإهداء التي نجدها على هذه اللوحات . إذ نجد خلافا للقاعدة المتبعة أن الابن تولى الإهداء في حال واحدة فقط من ست حالات مع أن المتوفى قد ترك خلفه ذرية من الذكور بدليل أننا نرى معه في بعض اللوحات ولدا أو أكثر .

والعادة جرت على أن المتوفى إذا خلف من بعده ذكرا قام أكبرهم بدور الكاهن فيقدم القرابين ويؤدى الطقوس الدينية وقد يحدث أن يقوم بذلك أبو المتوفى أو أخوه بدلا من الابن باعتبارهما متولين أمره ومشرفين عليه وقد يقومان بذلك لأن المتوفى قد عاجلته المنية في ساحة القتال ولم يعقب ذكورا تقوم له بما يجب مما جرى به العرف منذ أقدم العهود ؛ فاذا اتفق أن لوحة من اللوحات لم تذكر في نقوشها عبارة الإهداء ولم يمثل عليها أولاد للمتوفى فليس ذلك لمجرد الصدفة بل لأنه لم يترك أولادا فعلا أو قد هصر عوده في ساحة القتال قبل أن ينجب ذكورا . ولذلك نجد المتوفى ممثلا في هذه الحالة منفردا أحيانا مع زوجته (راجع ibid. Figs. 2, 7, 11) وأحيانا محاطا بإخوته (راجع ibid Figs. 9, 10, 8) وفي هذه الحالة الأخيرة يقوم بطبيعة الحال أحد الإخوة بإهداء اللوحة لنفس السبب السالف الذكر ، وإن لم يذكر اسمه على اللوحة بأنه هو المهدى .

ومن كل ما سبق من الملاحظات التي أوردناها عن هذه اللوحات نعلم أنها قد أهديت إلى جنود احتضروا في رباعن شبابهم ، من أجل ذلك يجوز لنا أن نستنبط

أن أصحابها قد لاقوا حتفهم في ساحة الشرف والفخار وماتوا ميتة الشجعان !! وقد احتفظوا بنفس الأسلحة التي لم يتخلوا عنها في ساحة التضحية السامية فخلد رسمها معهم . والآن نعود إلى الحالة الشاذة التي أشرنا إليها فيما سبق وأعني بذلك لوحة الجندي «حقا اب» وهي التي أهداها له ابنه الأكبر «إتى» ومن البدى أنه ليس من المستحيل أن «حقا اب» كان قد قتل في ساحة الوعى بعد أن رزق أولادا ذكورا بلغوا سنّ الرشد ، ولكن إذا أمعنا في النظر إلى لوحة هذا الجندي نجد فيها حلا آخر مقبولا أكثر من السابق ، إذ يلاحظ أنه قد رسم على هذه اللوحة شخصية واحدة تحمل السلاح، وهذه الشخصية ليست «حقا اب» المتوفى ولا ابنه «إتى» بل هو ابن آخر للتوفى اسمه «أقر» . ولا نزاع في أن هذا الابن هو الذى قد لاقى حتفه في ساحة الشرف لا «حقا اب» المهدى إليه اللوحة . وحقيقة الأمر إذن أن «إتى» كانت فكرته المؤثرة هي إقامة هذه اللوحة التي تجدد في وقت واحد ذكرى والده وموت أخيه الأكبر مستشهدا في ساحة الشرف . والوضع الذى نشاهد فيه هؤلاء الأشخاص في اللوحة يؤكد لنا هذا التفسير، إذ نجد أن كلا من «حقا اب» و «أقر» يدير وجهه نحو اليمين ويتسلم في الوقت نفسه القربان والخضوع من مهدى اللوحة .

أما اللوحة الأخيرة في هذه المجموعة فهي لشخص يدعى «نختى» ويرجع تاريخها إلى الأسرة الثانية عشرة، ويلاحظ في صناعتها تقدّم عظيم عن اللوحات السابقة، ورغم أنها تختلف عنها إلا أنها يوجد وجه شبه بينهما إذ نجد بين الصنف الذى يضم أفراد هذه الأسرة من رسما في أعلى هذه اللوحة شخصا يدعى «وبوات نخت» قد زين رأسه بشريط ويقبض بيده على قوس وسهام وكذلك نلاحظ أن «نختى» المهدى إليه اللوحة قد زين رأسه بشريط فلا بد أن يكون كذلك من رجال الجيش وقد أهدى أباه هذه اللوحة ابنه الأكبر وهو الذى يشاهد سائرا في مقدمة أعضاء الأسرة، وإذا اقتصرنا على الشخصيات الثلاث الأولى الموجودة

في هذا الصف وجد نفس الممثلين الذين وجدناهم على اللوحة السالفة الذ كرأى نجد الوالد وهو محارب قديم ، وأخوين أحدهما جندي وهو الذى يقبض بيده على القوس والسهم . أما الثانى وهو الذى يقدم لوالده نخذ ثور فهو مهدى اللوحة ، والواقع أنه لا يوجد أى اختلاف بين هاتين اللوحتين إلا في توزيع رسم الأشخاص مما يجعل بعض الشك يخالج نفوسنا في تفسيرها ، ولكن الحقيقة أننا نشاهد الأولاد الآخرين الثلاثة ، وحفيد المتوفى يقدم له كل منهم قربانا . وفي هذه الحالة ألا يجوز لنا أن نفرض أن الأسلحة التي يحملها ابنه الثانى ليست إلا قربانا أيضا أو بعبارة أخرى أن الابن الذى اعتنق مهنة الجندي التي كان والده قد انخرط في سلكها من قبل قد جاء ليقتد واجبات الاحترام لوالده وهو بملابس الجندي . والواقع أننا لا يمكننا أن نرفض مثل هذه النظرية جملة ، ولكن مع ذلك لا نستبعد أن يكون هذا المنظر شبيها بمنظر اللوحة السابقة (ibid Fig. 8) ويفسر بنفس الروح الذى فسر به زميله ، وقد كان المهدي يريد في هذه الحالة أن يمجّد ذكرى أخيه الأكبر الذى مات في ساحة الشرف في نفس الوقت الذى كان يمجّد فيه ذكرى والده .

ومما سبق يتضح أن العادة التي كانت مستعملة في نقش الألواح في العهد الأول من العصر الإقطاعي وبخاصة في أوائل للحاربين لم تستمر عظيمة الانتشار في العهد الذى جاء بعده ، ولكنها لم تختف نهائيا بانهاء العصر الذى نشأت فيه ، ولذلك لن نكون متجاوزين حدود الموضوع الذى نحن بصدد الآن إذا فحصنا لوحتين يرجع تاريخهما للدولة الوسطى .

لوحتان لحنود من الأسرة الثانية عشرة — وهما اللوحتان الوحيدتان على ما يظهر اللتان لهما علاقة باللوحات التي فحصناها فيما سبق : وأولى هاتين اللوحتين يرجع عهدها الى باكورة الأسرة الثانية عشرة (ibid Fig. 12) وقد أقيمت تذكارا لموظف كبير وكل إليه القيام بأعمال الشرطة في الصحراء الغربية ، وقد كانت الصحراء في هذا الوقت كما هي الحال في عصرنا مأوى للجربين . وقد كان عمل

الشرطة أن يبحث عن هؤلاء المجرمين في هذا المكان فنشاهد المهدي إليه وقد تسلم بالقوس والسهام ويصعبه كلبه . وقد رسم في هيئة تدل على أنه يقوم بواجبات وظيفته (ibid Fig. 12) وليس بعيد أنه قد امتاز بميزة شريفة ، لأن حرفته لم تكن خالية من الأخطار وليس الجنود المحاربون هم الذين وحدهم كانوا يموتون شهداء الواجب .

أما الأثر الثاني فهو أحدث عهدا من سابقه (ibid Fig. 13) لأنه ينسب إلى العهد الإقطاعي الثاني . وما يؤسف له أن النقوش لم تعطنا أية معلومات عن شخصية المهدي إليه . اللهم إلا رسمه الذي جعلنا نؤكد أنه كان يحترف الجندية فهو يلبس جلبابا غريبا في هيئته ، يتألف من قطعتين من النسيج لكل منهما لون خاص يختلف عن لون الأخرى . ولذلك لا يبعد أن يكون هذا الجلباب هو اللباس العسكري في هذا العهد ويشاهد بيده اليسرى القوس والكثانة معا . ومن المحتمل أن الشيء الذي بيده اليسرى هو مضرب « بومرايخ » . ورغم أوجه الشبه المحققة التي نجدها بين منظر هذه اللوحة ومناظر اللوحات الأخرى التي فحصناها فإنه من خطئ الرأي الجزم بأن المهدي إليه هنا قد لاقى في ساحة الوغى ميتة مجيدة .

الحياة الحربية في هذا العصر — وعلى أية حال فإن فحص هذه اللوحات قد وضع أمامنا صفحة جديدة في تاريخ الحياة الحربية في هذا العصر إذ قد صوّرت لنا الجندي في ملابسه وأسلحته وكذلك الكلاب والدور الذي كانت تلعبه في ساحة القتال . هذا فضلا عن العلاقات الأسرية التي كانت تربط بين أفراد الأسرة وما يكنه كل منهم للآخر من الألفة والمحبة التي تجلّت بكل معانيها في مناظر تلك اللوحات ، يضاف إلى ذلك أنه كان يوجد في هذا العصر أسربا كلها من النوبيين يعملون في الجيش المصري في المملكة الجنوبية وبينهم من الود والإخاء ما نطقت به أوضاع صورهم على اللوحة التي مثلوا عليها .

متوحتب الثاني موحد الأرضين — ومن المؤكد أن شجاعة مثل هؤلاء الجنود الذين عثرنا على لوحاتهم كانت تجعل النصر يقترب من الأبواب إذ أنهم كانوا

يؤمنون بحق أمراءهم في طيبة ويضحون من أجل فائدهم الأعلى بأعلى شيء لديهم وهي حياتهم وقد كان أميرهم وقائدهم على يقين من عدالة قضيته كما كان يثق بأن الغلبة في النهاية ستكون له وأنه سيصبح حاكم البلاد المصرية كلها ولذلك بادر فأعلن نفسه فعلا ملك مصر الحقيقي واتخذ لنفسه اسم « حور — سام — تاوى » (أى الملك موحد الأرضين) وصاحب الإلهتين سام — تاوى — وحور الذهبي « قا — شوتى » ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « نب حبت رع » ابن الشمس « متو حتب » وهذه هي الألقاب الفرعونية الخمسة الكاملة .

(L. D. Vol. II, Pl. 149 b في أسوان & Daressy, A. S. 1907 p. 244; Bisson de la Roque, ibid, p. 67, Naville ibid, I, 3; II, 21.)

وقد كتب كلا الاسمين الأخيرين في داخل طفرأين في حين أن ملك الجنوب كان لا يوضع في الطفرأ إلا اسما واحدا . وعلى أية حال فإن عبارة « سام تاوى » (موحد القطرين) كانت ترتكز على حقيقة تاريخية حتى ولو كانت الاسم الذى يطلق على صورة من صور « حور » (Lanzone Dizionario di Mitologia egizio p. 600.)

أما عبارة « قا — شوتى » رفيع الريشتين — فإنها كانت كذلك نعمتا يليق به لدرجة عظيمة . والواقع أن الأسلوب الذى استحدثه هذا الفرعون في كتابة لقبه كان يعد من وجوه كثيرة تغييرا هاما ، وذلك أنه منذ هذه اللحظة كان يكتبه دائما بعلامة « المجداف » بدلا من الإشارة التى تدل على حروفها وهى الإشارة التى كانت تستعمل في الرقص المقدس . فعلمة المجداف تكتب هكذا (𓂏) وتنطق « حبت » والعلامة ⁽¹⁾ (𓂏) تنطق « حبت » أيضا فنجد أن « متو حتب » أصبح يكتب لقبه « نب حبت رع » بعلامة المجداف بدلا من العلامة الثانية التى كان يستعملها من قبل . ولزمن قريب جدا كان يعتبر التغيير

(1) Gardiner "Egyptian Grammar" pp. 487, 524; Farina II Papiro dei ne No. 16 & Winlock J. E. A. 1940, p. 116.

في الاسم علامة على أنه كان يوجد ملكان كل منهما يسمى « متو حتب » عند هذه الفترة في تاريخ الأسرة الحادية عشرة غير أن الرواية التي وصلت إلينا عن طريق ورقة « تورين » تدعو إلى اعتبارهما ملكا واحدا وهذا ما سنتبعه هنا . وقد اعترف كاتب قائمة الكرنك بالمركز الهام الذي ناله هذا الفرعون بوصفه ملكا على مصر كلها وذلك أنه لم يكتف بوضع اسمه في جزء آخر من قاعة الأجداد الصغيرة غير الذي كان فيه أجداده الذين سبقوه مباشرة بل نعتة كذلك بأنه « الإله الطيب » رب الأرضين ملك الوجهين القبلي والبحرى سيد القربان « نب حبت - رع » المبرأ (Prisse ibid Pl. I; Sethe Urkunden IV p. 609.)

ونجد اسمه كذلك في قائمة الملوك التي نقشت في مقبرة « ترى » بسقارة أما في المرسوم فنجد . (Porter & Moss, ibid III, 192) أن مكانته قد ظهرت بصورة بارزة جدا فهناك نجد الملك « مينا » والملك « نب - حبت - رع » والملك « احمس » يظهرون بوصفهم المؤسسين للدولة القديمة ، والدولة الوسطى فالدولة الحديثة على التوالي (L. D. Vol. II, Pl. III, Pl. 163) .

والظاهر أن الكتاب كانوا يعلمون أن من واجبهم تعلم كتابة أسماء الملوك بسرعة دون ارتكاب أخطاء في كتابتها ، ولكن قد وجدنا خطأ رغم ذلك في العراية المدفونة وذلك عند ما نقش حفار ما : ” يعيش طويلا حور سام تاوى ملك الوجه القبلي والوجه البحرى ” ابن الشمس « متو حتب » دون أن يكتب أى لقب للفرعون (Petrie, Abydos Vol. II Pl. XXIV.) ويوجد في متحف « اللوفر » لوحة قبر يرى فيها الإنسان آثار الرجوع للقديم بوضوح ، هذا رغم رسمها الممتاز وكان يعتبر بمثابة تاريخ فيها الاسم « حور » واسم الملك الذى يكتب بالإلهتين (نقى) وقد كتب ذلك دون ارتكاب أخطاء ثم نجد أنه يأتى بعد ذلك بغاء « ملك الوجه القبلي والبحرى » ابن الشمس (في الطغراء) متو حتب كما كان يكتبه الإنسان عادة في أوائل حكمه (Louvre C. 14, Prisse, ibid Pl. VII; Maspero, “Transactions of the

Society of Biblical Archaeology," 1877, p. 555; Petrie, History, p. 142) وهذا الاقتباس هو من لوحة مثال يدعى «يرتسن» الذى وضعته «ادت» وزوجته «حيو» وقد رسما مع أولادهما «سنوسرت» و «متوحتب» و «سى متو» و ابنتهما «قم» و ابنها «تم نك» ويخبرنا «يرتسن» أنه عرف كيف يصور الخروج والعودة ... وحركات صورة الإنسان وهيئة المرأة وتوازن الذراع لصيد فرس البحر وحركات العداء، ولا يفصح أحد فى كل هذا غيرى أنا وبكر أولادى من جسمى . ويقصد من هذا أنه كان متقطع النظر فى فنون الحفر التى لقنها ابنه .

على أن الإنسان قد يشك بحق إذا كان كل ما قاله طبعيا كما فكر هذا المثال، غير أنه فى مقدورنا أن نرى فى بعض القطع المنحوتة فى هذا العصر تهنيا عظيما ورقة بالنسبة للإنتاج الساذج الذى كان ينتجه رجال الفن الطيبون فى الأزمان السابقة، وذلك مما يبشر بفتح أرقى ينتظر ظهوره فى القريب العاجل فى عهد الأسرة الثانية عشرة . استمرار الحروب بين الشمال والجنوب — ورغم كل هذه الادعاءات الطنانة الزانة التى يدعيها «نب حبت رع» فإنه لم يحن للآن انتصارا حاسما على أعدائه فقد ترك لنا موظف عظيم يدعى «ريمو» فى «إيسكو» الواقعة على بعد ٢٧ أو ٢٨ كيلو مترا جنوب الفيلا ثمانية نقوش على الصخور هناك تبرهن على أن الحرب كانت لا تزال مستمرة وان كانت سائرة ببطء :

(Roeder, Debd bis Bab Kalabsche, p. 103; Meyer, ibid par. 277 Drioton & Vandier, ibid, p 252.)

فقد جاء فى إحدى هذه اللوحات على لسان «زامو» ما يأتى : لقد بدأت أذهب إلى ميدان القتال جنديا فى عهد «نب حبت رع» عند ما ذهب مصعبا فى النيل إلى الجبلين . وعدنا إلى الملك بعد أن اخترقنا كل البلاد، وفكرنا فى قتل متوحشى «زأتى» الذين كانوا مستولين على المحاجر ولكنهم ولوا الأدبار وهزمتهم . وفى نقش آخر نرى أنه يتعدى الحديث عن حرب الجنوب ويحدثنا كيف بدء الواقعة فى الشمال (الدلتا) منحدرين فى النهر فى كل البلاد و «زيمو» مقتنف أثرهم،

وقد ذهب نحو الشمال مثل الأسد في إثراين ملك الوجه القبلي والبحرى مع جمعه هذا . وبعد ذلك مات العدو في الواقعة لأنى كنت قويا ضده ما فعله أهل الشمال . ومن ذلك نستنبط أن مصر لم تكن قد وضعت السلاح مباشرة بعد أن سمي « نب حبت رع » باللقب الرنان « موحد الأرضين » .

ولا يمكننا أن نتمر مرة الكرام على لوحة « متوحتب » بن « حابو » فطرازها وتاريخها لا يمكننا من نسبتها إلى حكم هذا الفرعون إذ تقرأ فيها ما يأتى : « وبعد ذلك أتى نيل منخفض — السنة الخامسة والعشرون » ومن ذلك نعلم أنه حتى بعد السنين الطوال التي قضتها مصر في حروب داخلية والتي أخذت البلاد تنسى بعدها



شكل رقم ٥ تمثال الملك متوحتب الثانى

ويلاتها نجد أن الطبيعة قد غضبت عليهم لتذيق الأهليين الويل وتلحق بهم العذاب فقد انخفض النيل مما زاد الحالة في البلاد ضغطا على إباله .

الاحتفال بعيد سد — وبعد ذلك تمز أيام من حكم هذا الفرعون دون أن يصادفنا شيء هام يمكن تأريخه بصفة قاطعة ، وكان أول تاريخ يصادفنا بعد ما ذكرنا آنفا هو تاريخ احتفال هذا الفرعون بعيد «سد» (عيد الثلاثين) ونحن نعلم أنه احتفل به على التحقيق والمرجح أنه كان في السنة التاسعة والثلاثين من حكمه أى بعد مرور ثلاثين عاما على توحيد القطرين أو بعبارة أخرى بعد أن انتصر على الشمال انتصارا جعله يؤمن بالنصر النهائي وإحرازه السيادة التامة الفعلية على كل البلاد ريفها وصعيدها (Naville ibid I, 40) . وتدل الشواهد على أنه عند الاحتفال بهذا العيد أمر الفرعون بنحت تماثيل لنفسه بالملابس العتيقة الغريبة التي كانت تحم التقاليد لبسها في الاحتفالات المقدسة لهذا العيد، وقد أمر بأن يوضع واحد منها تحت كل شجرة في ردهة معبده . وكذلك أمر بنصب طائفة منها على طول الطريق الذى يؤدى للمعبد . هذا إلى إقامة تماثيل في الردهة نفسها ، وبالرغم من أن هذا الفرعون قد شرع يحفر لنفسه مقره الأخير في داخل المعبد نفسه فإنه ابتداء بنحت مقبرة ضخمة أخرى وهى المعروفة الآن بباب الحصان، ونعلم أن كل ما كان عليه أن يفعله ليكمل هذا الضريح قابلا للاستعمال أن يست الحجرة التي لم يتم حفرها في نهاية البئر ثم يردم هذه البئر نفسها (Winlock J. E. A. 1940 p. 118 ; A J. S- L. p 143 & 147, 153 Fig. 8) وبعد ذلك جاء بتمثال ثالث (انظر شكل رقم ٥) ولفه بنسيج من الكتان الجميل ووضع في الحجرة الآنف الذكر عند رأس البئر المردومة بجوار تابوت خال ، وهذا التمثال عار عن كل نقش ، وقد وضع بجواره بطنان ونخذا ثور وعدد من الأواني، وقد وجد في كوة يظهر أنها كانت بداية لحجرة في المنزل المؤدى الى البئر تابوت لتمثال « مجاوب » كتب عليه صلوات « لآنوبيس » و « أوزير » ليقدما قربانا للإله الطيب « نب حبت » ؟ ... « ابن رع متوحتب » وبعد انتهاء

هذه الاحتفالات والمراسيم الدينية ملئ مدخل المقبرة حتى أصبح بمستوى سطح
رقعة الردهة . وقد شاعت الأقذار أن يبقى هذا القبر بعيدا عن الأنظار مدة تقرب
من أربعة آلاف سنة الى أن كشف عنه حديثا (Carter A. S. 1901, p. 201
Pls. 1. 2; Naville, ibid, 1, 9, 26 Pl. XIII g; Budge ibid Pl. VI; Bonnet
A Z. 1925 Pl. 41; Evers, ibid Pls. 12, 13 Fig 54; Winlock, Deir el
Bahari p. 130, Pl. 12).

الملك نب حبت رع منتوحتب وزياريته مع بلاطه لشط الرجال



شكل رقم ٦

منظر لزيارة منتوحتب الثاني لشط الرجال مع ابنه وزوجه

وحامل خنمه « ختي »



لقد تضاربت الأقوال والآراء في اللوحة التي نقش عليها رسم الملك «متوحتب»
الثانى والأشخاص الثلاثة الذين معه، والواقع أن المجموعة التي على هذه اللوحة
لوحة رقم (٦) غريبة في بابها حتى أنه لم يصل أحد إلى حل رموزها لأن حلا
شافيا، ولا نزاع في أنها من أهم اللوحات التي نقشت على الصخر في هذا الوادى
المهجور، ولم يعرف أحد للآن لماذا اختير ذلك المكان لحفر هذا النقش وغيره من
النقوش التي ترجع على ما يظهر إلى الأسرة الحادية عشرة . من أجل ذلك سنبحث
هنا اللوحات التي وجدت في هذا المكان لأن ذلك سيلقى ضوءا عظيما على تاريخ
الملك «متوحتب» الثانى وحاشيته وعظماء رجال دولته .

وادى شط الرجال — وشط الرجال الذى وجدت فيه هذه اللوحة وادٍ
صغير يقع على حافة الصحراء الغربية على بعد ٣٥ كيلومترا جنوب «إدفو» وعلى
بعد ٤ كيلومترات شمال جبل السلسلة، وأقرب محط له هو محط «كاجوج» على
الشاطئ المقابل للنيل .

وتوجد على الصخر (جرافيتي) في هذا الوادى عدّة نقوش تعزى إلى عصر ما قبل
التاريخ، وعلى بضعة أمتار من فوهة هذا الوادى كان يوجد محط لصيادى
عصر ما قبل التاريخ [على ما يظهر] قبل تحوّل هذه البقعة إلى صحراء، وربما
كان ذلك في العصر الذى كان النيل فيه لا يزال يجرى شرق جبل السلسلة فيشاهد
على الصخرة مناظر حيوان كالزراف سائرة^(١) قطعانا، ومن بينها نلاحظ نعامة وفيلة .
ولا نعرف على وجه اليقين وجود نقش آثار لبعض من ارتادوا هذا المكان بين
عصر ما قبل التاريخ وعصر الأسرة الحادية عشرة . وكل ما نعرفه نقش الملك يدعى
«حور — وار» .

(1) Petrie, A Season in Egypt. p. 414.

وقد ظنّ بعض الأثريين أنه من العصر الطينى كما ظنّ أنه هو الملك ثعبان^(١). ويعتبره بعض المؤرخين أحداً للملوك الذين حكموا بين عهد الدولة الوسطى والدولة الحديثة^(٢). ومن المحتمل أن رأى الثانى أكثر رجحانا لأن شكل الكتابة التى كتب بها الاسم يؤيده. يضاف إلى ذلك أنه عثر على ملك يسمى « خيتى » فى خرطوش وقد قرأ بطرق مختلفة. وقد ذهب البعض الى أنه فى العصر الذى سبق الدولة الوسطى أو العصر الذى أعقبها^(٣). جريا وراء الحدس لا اليقين.

وصف لوحة متوحش الثانى— وإنه لمن خطل رأى أن يستنتج الإنسان من اسم هذين الملكين شيئا عن تاريخ « شط الرجال » على أننا لم نعتز حتى الآن على أسماء أفراد من عهد الدولة القديمة فى هذه المنطقة، والحقيقة أن تاريخ « شط الرجال » قد عرف فقط من النقوش التى نحتت على ضحور الوادى الملاء، وأول ما يشاهده زائر هذه الجهة عندما يدخل الوادى نقشا جميلا قد نحت فوق النقوش التى من عصر ما قبل التاريخ فى شكل لوحة صور فيها أربعة أشخاص أطولها رسم بالجسم الطبعى وقش أمام وجهه « حور » موحد الأرضين ملك الوجه القبلى والبحرى « نب حبت رع » عاش مغلدا وعلى رأسه التاج المزدوج، وقد ارتدى الجلباب القصير المحلى بذيل الأسد وفى يده عصا وبالأخرى « مضرب الحرب » وقد رسم خلفه أم الملك التى يحبها « اعح » وتحمل بصورة عقاب على رأسها وتحمل فى يدها عصا وفى الأخرى زهرة بشنين، وأمام الملك رسم شخصان، الأول كتب فوقه « الوالد المقدس » المحبوب من الملك ابن الشمس « انتف » عاش مغلدا، وهو يلبس زى الملوك، فعلى جبهته

(1) De Morgan, Les origines de l' Egypte I (1896 (163 - 64. Fig. 488 - 489 (Nos. 15-25); Winkler, Rock Drawings of Southern Upper Egypt. (Archel. Survey of Egypt. I. 1938, 9. Sites 35 - 36 Pls. XX-XXI; II (1939) 5 - 6. Sites 35-36, 48, 52.)

(2) Petrie Season p. 15 & A. S, V. (1904) p. 144 ff.

(3) Petrie ibid p. 15 No. 430.

الصل والكوفية (نمس) ويلبس جلبابا ملكيا وذيل أسد كالذى يلبسه « نب — حبت — رع » وذراعه متدليتان على جانبيه ، ويقف خلفه شخص يحمل لقب مدير الخزانة الشمالية حامل الخاتم « خيتي » ، وقد وقف بوضع يدل على الخضوع لابس الجلباب الطويل الذى يرتديه العظماء ، وبطنه قد ظهر فيه الثنايات التى تشعر بالأبهة وعيشة الترف والنعم ، وعلى نحو ستة خطوات غربى هذا النقش يوجد نقش آخر على صخرة مفصولة عن الجبل وهى لوحة تمثل الملك « نب حبت رع » وأمامه حامل الختم « خيتي » فقط .

والملك « متوحب » الثانى الذى لا يحتاج إلى تعريف قد حكم البلاد على أقل تقدير نحو ٥١ عاما ، ويعد حكمه أطول حكم فى هذه الأسرة ، وفى عهده توحد القطران ثانية كما أسلفنا . أما الصورة التى ظهرت خلفه فموضوع إشكال عند المؤرخين . فقال بعضهم إنها زوجة « متوحب » الثانى . وأم « انتف » وهذه فكرة فى ظاهرها خلافة ولكن يعترضها أن قد كتب فوق هذه السيدة أم الملك لا زوجته ووضعها بهذه الكيفية يدل على أنها كانت تنسب إليه ، ويجب أن تكون والدته^(١) ويحتمل أنها إحدى حظيات والده لا زوجته الشرعية ، كما يحتمل أنها أم « نفرو » التى أصبحت زوجة أخيه الملك « متوحب الثانى » وقد دفنت بجواره بالدير البحرى كما سنرى ؛ ورغم أن « اع » كانت فى هذه الفترة متقدمة فى السن فإن ذلك لا يمنع زيارتها مع ابنها هذا المكان .

على أن « انتف » ابن الشمس كان كذلك موضوع حدس كبير فقد قيل عنه إنه أمير نوبى من أتباع الملك « متوحب الثانى » جاء ليقدم خضوعه لسيده (Meyer ibid I. p. 277) ولم نجد اسم أمير نوبى يحمل لقب « ابن الشمس عاش مخلدا » يقف فى حضرة الفرعون نفسه وهو المثل لإله الشمس على الأرض

(1) Eisenlohere, P. S. B. A, (1881) pp. 99 ff & Petrie, ibid. 15, No. 489 & Winlock M. M. A. Feb. 1928, p. 18 ff & 22.

ومن جهة أخرى قال عنه «برستد» : إنه سلف مخلوع للملك « متوحبب الثانى »
وقد ترك حيا إلى عهد هذا الملك^(١) (Breasted, A. R, I. p. 418, 424-25.) أو احد
مع أناتفة آخرين من النصف الأول من عهد الأسرة الحادية عشرة .

(Steindorff A. Z. XXXIII, p. 88 & Petrie History I, (1923) p. 141.)

كذلك عدّ من هؤلاء الأناتفة^(١) (المتوفين) فى حضرة « متوحبب الثانى »
حسب رأى « فندييه » (Vandier B. I. F. A. O, Vol. XXXVI p. 114,)

ومن جهة أخرى قد سمي « انتف » ابن « متوحبب الثانى » ووارثه
(Maspero, Dawn of Civilisation p. 462-63 & Naville, "XI Dynasty
Temple", I. p. 7, Gauthier, B. I. F. A. O, Vol. V, p. 30 & 35.)

وربما كان هذا الرأى هو التفسير المعقول لمنظر « شط الرجال » وبهذه
الصفة يكون لأنتف كل الحق فى أن يسمى « ابن الشمس » « عاش مخلدا »
كما يجوز له أن يكتب اسمه فى طغراء ويلبس النمى والصل الملكيين الخ . غير أنه
لم يكن ملكا حاكما لأنه لم يلقب بلقب التاج « ملك الوجه القبلى والوجه البحرى »
ولكنه كان يحمل مع ذلك اللقب الأكثر انتشارا وهو :

« الوالد المقدس ؛ المحبوب من الإله » ، ونحن نعلم أن الذى خلف « نب
حبت رع » كان يطلق عليه « متوحبب » أيضا فيحتمل أن الابن الأكبر الذى
كان يحمل اسم « انتف » وهو اسم أجداد الأسرة — قد مات قبل والده ، وأنه
دفن فى الدبر البحرى فى مقبرة عظيمة لا تبعد كثيرا عن قبر والده الملك وبالقرى
من مقبرة الملكة « نفرو » كما سنرى (Winlock, M. M. A., ibid) وقد كتب فوق
ذلك القبر على سور معبد الأسرة الحادية عشرة عدة مرات اسم « انتف معطى
الحياة » ! والظاهر أن الذين كتبوا ذلك كانوا من المعاصرين له ، وقد عرفوا
حقا الفرد الذى أقام هذا القبر .

(١) أناتفة جمع انتف مثل رعسيس ورعامه .

شخصية « خيتى » المرسوم على اللوحة — وكذلك نعرف شيئا عن رابع أشخاص هذه المجموعة وهو « خيتى » حامل الختم فقد كان من أكبر شخصيات البلاط ولكنه كان يلعب هنا دورا هاما غير عادى ، ففي اللوحة الأولى نراه مرسوما بنفس حجم ولى العهد وفي اللوحة الثانية نجده واقفا أمام الملك وحده ، وأهم من ذلك نراه قد رسم بحجم الملك نفسه ، ونحن نعلم من نقش فى « أسوان » أن أ.ه. تسمى « سات رع » وقد ذكر « برستد » أنه من أسرة أسيوطية . وأنه التحق بخدمة « متوحتب الثانى » (Breasted "Ancient Records", I, 414) بعد أن استولى الطيبون على الشمال ، وفكرة « برستد » لا يوجد ما يناقضها . بل تتفق تمام الاتفاق مع دليل آخر؛ ذلك أن اسم « خيتى » كان يكتب عادة على نسيج الكنان الذى ينسج للبلاط الطينى ، ولكن ذلك على ما يظهر قبل اتحاد القطرين فلم يوجد اسمه على أكفان الطفلة « مائت » التى يظن أنها ماتت قبل توحيد البلاد ودفنت بين أميرات البلاط فى الدير البحرى ، ولكن من جهة أخرى وجد اسم « خيتى » على لفائف « عاشيت » و«هنهيت» اللتين يحتمل موتهما بعد اتحاد البلاد ، وكذلك وجد على لفائف امرأة بتاريخ السنة الأربعين أى بعد هزيمة الاهناسيين (Winlock M. M. A. Nov. Part II , p. 13-14) ؛ وقد نحت « خيتى » لنفسه مقبرة تشرف على معبد الدير البحرى فى نقطة من أهم نقط جبانة الأسرة الحادية عشرة كما سيحىء ذلك بعد (Winlock, ibid 1923 Part II p. 14.) وقد وضع تمثالا لنفسه فى معبد آمون بالكرنك ومن المحتمل أنه قرب مذبحا من الجرانيت (Mariette, Karnak Pl. 5 j Text p. 44 No. 12. Moharram Kamal, A. S. XXXVIII, p. 158.) وفى نقوش معبد الدير البحرى ظهر يقدم الخضوع « لمتوحتب » الثانى فى عيد « سد » (Naville, XI Dyn. Temple I, 40 No. 1) كما يشاهد فى منظر «شط الرجال» ونعرف من نقوش فى «أسوان» أنه قام بجولة الى «واوات» فى بلاد النوبة فى السنة الحادية والأربعين من حكم هذا الملك (Petrie, ibid p. VIII No. 213)

وفي هذه المناظر المختلفة نلاحظ أنه يحمل نفس اللقب الذى يحمله فى «شط الرجال» حامل الختم؛ أما على تمثال الكرنك فيلقب «حامل الخاتم فى كل الأرض حتى آخر حدودها»، وعلى نقوش قبره يحمل لقب الأمير الوراى، وحاكم المقاطعة، ويحمل كذلك لقب حامل خاتم ملك الوجه البحرى، والسمير الوحيد (على نقوش قبره ونقوش أسوان وعلى التمثال)؛ وكذلك يلقب المشرف على أمناء الخزانة (فى نقوش أسوان) والوالد المقدس (على التمثال).

وحوالى منتصف الطريق توجد بين اللوحين اللتين فى شط الرجال على الجانب الجنوبى لهذا الوادى الصغير مجموعة من النقوش الضخمة طولها نحو ثمانية أمتار (Winlock, M. M. A. Feb. 1928 Part II, Fig. 24)

نقوش لشخصيات أخرى فى وسط الرجال — ومن المحتمل أنها كانت أكثر عددا مما وجد وضاعت لنا كل الصخر ومع ذلك فلا يزال موجودا ثمانية نقوش منحوتة نحتا متقنا واثنان نقشا على عجل، ويخيل للإنسان أن جماعة من المفتنين قاموا بهذا العمل تحت إشراف الحفار «وسر — إمر» الذى ذكر اسمه على أحسنها نقشا وموضوعا وحجا وسنبتدى بنقشه وهو كما يأتى :

(١) الكاهن المطهر المشرف فى «حتنوب» (محاجر المرمر) حفار القصر،
والمشرف على الحفارين «وسر — إمر» ابن «انتف»

(Eisenlohere, ibid p. 102, Pl. II. I. I. & Petrie ibid No. 473 & Bissing
ibid p. 20.) وحفر هذا النقش يشبه كثيرا حفر النقش الأول مما يبرر أنه هو الذى كان مسئولا عن كليهما .

(٢) المشرف ... التابع «سبك حنبو» (Petrie, ibid No. 487)

(٣) مدير البيت ... ؟ (Petrie, ibid)

والنقشان الأخيران وجدا مشوهين بعض الشيء فى الأعصر القديمة بنقرهما، وقد وجد اسم مدير بيت يدعى «حنون» على قطعة من تابوته ولوحته ومصراعى

بابه في الدير البحرى (Winlock, A. J. S. L. (1940) p. 149) ويقع قبره في الصف الذى فيه حامل الخاتم « خيتى » ومدير المالية « مرو » وهو عظيم الحجم كالمقابر التى تجاوره ويحتمل إذاً أن « حنون » هذا هو الشخص المقصود هنا .

(٤) المحبوب حقاً من سيده « مكت رع » مدير المحاكم الست العظيمة (Eisenlohere, ibid, Pl. II, 1. 7. & Petrie, ibid No. 455). وأول ماظهر اسم « مكت رع » كان في معبد الملك « متوحتب الثانى » حيث ذكر في مكان بلقب « السмир الوحيد » وحامل الخاتم « مكت رع » ، ومن المحتمل في مكان آخر (حاكم المقاطعة) وحامل الخاتم « مكت رع » (Naville, XI Dyn. Temple, Vol. II, IX, D) ويحتمل أن نقش « شط الرجال » كان بعد هذه بزمان قصير، وقد عثر على قبره بين رجال بلاط الملك (سمنخ كارع) (متوحتب الثالث) وهو يشرف على معبده كما سيجىء بعد . (M. M. A. Dec. 1922. Part II. p. 19) وعلى جدرانها كان يلقب : الأمير الوراثى ، حاكم المقاطعة ، حامل خاتم ملك الوجه البحرى والأمير الوراثى لباب [جب] ، ويحتمل أن أحد هذين اللقبين كان لابنه « انتف » ، وكذلك كان يلقب « المدير العظيم للبيت » ، وقد وجد هذا اللقب على قطعة حجر من حفائر قام بها « درسى » عام ١٨٩٥ وهى الآن بمتحف القاهرة ، وكذلك ظهر على قارين من النماذج التى وجدت في سرداب قبره أنه كان يلقب « الأمير الوراثى » فقط ، وعلى قطعة حجر وجدت بالقرب من قبره كان يلقب فقط « حامل الخاتم » (A. J. S. L. 1940 April p. 150)

(٥) حاجب الملك المتصرف لدى الإله ، والذى يسمع اسمه في الجنبوب وفى الشمال المحبوب حقاً من سيده « محيسا » بن « دجا » وأمه تدعى « نرمت » ؛ ونحن لا نعرف اسم زوجة الوزير « دجا » ولا أولاده ، وقبره قد بنى في عهد ذلك الملك بالقرب من المعبد ، ولذلك لا يمكن أن يوحد « دجا » المذكور هنا و « دجا » الوزير

(٦) قريب الملك حقا حاكم الأرض الشمالية «اتو» .

(٧) حامل خاتم ملك الوجه القبلي ، السمير الوحيد وحاكم الصحراء الغربية الذي يأتي إليه الأمراء مسلمين عند باب قصر الملك ، المحبوب من سيده المشرف على أمناء الخزانة (مرو) (Eisenlohere, ibid p. 102, Pl. II; II, 10-11 X. & Petrie, ibid No. 459.) وهناك نقش آخر لم تنقشه يد متفنن على قطعة منفردة وجد عليها كذلك : المشرف على أمناء الخزانة (مرو) ، وتوجد آثار أخرى (لمرو) هذا في المقبرة رقم ٢٤٠ في الدير البحري عليها لقبه «المشرف على أمناء الخزانة»^(١) ، وعلى لوحة يحتمل أنها من «العرابة» وهي الآن في متحف «تورين» (Gauthier, Livres des Rois I, 232) وهي مؤرخة في السنة السادسة والأربعين من عهد الملك «نب حبت رع» أي بعد نقوش شط الرجال بسبع سنين وقد ذكر فيها اسم والد «مرو» وهو «اكو» وأمه «ختيتي» وألقابه كالاتي : حامل خاتم ملك الوجه البحري ، السمير الوحيد ، والمشرف على أمناء الخزانة ، كما جاء ذلك في نقوش «شط الرجال» وقد أضيف إليها نعوت أخرى مثل «الذي كسب محبة سيده» «المحبوب والمدحوق من سيده» .

(٨) حامل خاتم ملك الوجه البحري السمير الوحيد كاتب سيجل الملك (إيا) ويوجد نقش بهذا الاسم «إيا» ربما كتبه صاحبه بيده على مسافة ١٠٠ خطوة في داخل الوادي — وقد كتبت حروف اسمه هجاء وبعدها «الحياة والسعادة والعافية ! المدحوق حقا من سيده» ، وقد عثر الأستاذ «نيوبري» على قطعة حجر لم تنشر بعد في معبد الدير البحري عليها كاتب الملك «إيا» .

(٩) ضام أقطار الملك في كل ممتلكاته ، المحبوب حقا من سيده ، حامل خاتم ملك الوجه البحري المشرف على أمناء الخزانة «مرو» (Eisenlohere, Pl. II, 11 3-4 & Petrie, ibid, No. 472, 474) ومن المحتمل أن «مرو» هذا هو

(1) Eisenlohere, ibid, Pl. II, 11. 3-4 & Petrie, ibid No. 472 & 474.

الشخص المذكور في نقش أسوان سنة ٤١ (Petrie, ibid Pl. VIII No. 243) عند ما كان حامل الخاتم « خيتي » عائدا من واوات ، ويجب أن تقرأ كالاتي : السنة الحادية والأربعون من حكم ملك الوجه القبلي والبحرى « نب حبت رع » عاش غلدا مثل رع . إني معروف لدى الملك ، وحاكم مقاطعة ، والمراقب على الجزء الشرقى من مقاطعة عين شمس . وهذه الألقاب لا تتزع منه شخصية (مرى) الذى كان في « شط الرجال » منذ عامين مضيا .

(١٠) المدير الملكى « حبي » الممدوح حقا من سيده (Petrie, ibid, 468) وقد عثر « نيوبرى » على قطعة حجر في الدير البحرى لم تنشر بعد ، ذكر عليها اسم هذا الموظف الملكى « حبي » .

وهناك نقشان ليسا في المجموعة التى نحن بصدددها ولكن يظهر أنهما ينسبان إليها وهما : الأمير الوراثى كبير المرتلين ، وكاتب الكلمات المقدسة « خيتي » ؛ وخيتي هذا كذلك معروف من قطعة حجر عثر عليها في الدير البحرى كتب عليها : كبير المرتلين « خيتي » .

(١١) المشرف على أمناء الخزانة « سبك حتب » . (Petrie, ibid No. 586.) ومما يلفت النظر أنه على مسافة خمس عشرة خطوة من اللوحة الأولى وعلى مقربة من اللوحة الثانية من الجهة الغربية قد كتب شخص ما بسرعة على الصخور التاريخ سنة ٣٩ ، فى المرة الأولى كتب التاريخ في سطر واحد من الشمال الى اليمين أو اتجاه اللوحة عند ما يدير الإنسان وجهه لها ... (Petrie, ibid 542.) ، وفى المرة الثانية كتب بنفس اليد التى كتبت الأولى ولكن بالعكس^(١) . ومن وضع هذين التاريخين يظهر جليا أنه يقصد بهما حصر اللوحين ومجموعة النقوش التى بينهما . يضاف إلى ذلك أن تاريخا مدته كبيرة كهذه لا يمكن أن يكون للملك آخر غير « متوحتب الثانى » نفسه ، وعلى ذلك يظهر أن السائح الذى كتبهما كان يعرف زيارة البلاط

(1) Petrie, ibid No. 452.

لهذا المكان فكتبهما هناك وكأنه يريد أن يقول : " هذه الأسماء التى بين هذا المكان وذاك هى للملك وحاشيته الذين كانوا هنا فى السنة التاسعة والثلاثين من حكم الملك " .

زيارة شط الرجال بعد عهد متوحب الثانى — ويظهر أن وادى « شط الرجال » كان يقصد كثيرا بعد زيارة الملك (نب حبت رع) وحاشيته ؛ وفى خلال السنين القلائل التى تلت هذه الزيارة قصد هذا المكان أكثر من مائة شخص وكتبوا بعض كتابات بالقرب من نقوش عام ٣٩ على طول الوادى وبعض هذه النقوش مؤرخ فى أواخر الأسرة الحادية عشرة ، وكذلك توجد طغراء للملك « متوحب » الثانى كتبت على عجل فى الجزء العلوى من هذا الوادى (Petrie, ibid No 394.) ، وغربى ذلك يوجد رسم تخطيطى للملك « سمنخ كارع » متوحب الثالث فى ملابس عيد « سد » يتقبل قربانا من الغزلان حمله إليه رجلان أحدهما يسمى « متوحب » ، وترى اثنين من حاشيته يركبان خلفه (Petrie, ibid 359) وقد خلد ذكر هذا الملك فى نقش يقع بين نقوش رجال البلاط واللوحه الأولى حيث يوجد اسمه على لوحة سقطت من الصخر وعليها « حور سمنخ » وهى مقلوبة الآن . ولهذا الملك نقش ثالث على قطعة منفصلة من الصخر الرملى فى الجانب الجنوبى لمدخل الوادى (Sayce, ibid p. 171) وتقرأ : ملك الوجهين القبلى والبحرى « سمنخ كارع » المحبوب من « حور » و « سبك » رب « خارو » الذى خدم حور (الملك) منذ شبابه : الكاهن المطهر « إنى » أو يحتمل « أنتفى » ويمكن أن تستنبط مما سبق أن معظم أسماء الأفراد التى عثر عليها فى الوادى تقريبا كلها من هذا العصر فنجد بينها تسعة باسم « متوحب » وسبعة باسم « ختى » وأربعة باسم « انتف » وثلاثة باسم « متو أوى » (Petrie, ibid No. 464, 465, 467) وكلها أسماء خاصة يتميز بها العصر الأول من عهد الدولة الوسطى ؛ وبعض هؤلاء الذين كتبوا أسماءهم يمكن أن يكونوا من حاشية « نب حبت رع » ، وإذا كان الأمر كذلك فليسوا إذا من ذوى الحثيات لأن أسماءهم كتبت بخط صغير بغير اعتناء على الصخر ، ولا يبعد أن يكونوا

من هؤلاء الزّوّار الذين مروا بهذا المكان بعد زيارة الفرعون له بسنين قلائل .
ومما يلفت النظر بين هذه الأسماء شخص يدعى « مكتو » وكان يلقب حامل الخاتم
كتب اسمه ثلاث مرات ، وربما كان الحافز له على ذلك رؤيته اسم سيمه (مكت رع)
حامل خاتم الوجه البحري (Petrie ibid No. 409. 475) . وفي خلال السنين
الأخيرة من ختام الدولة الوسطى كان يترّ بهذا الوادى بعض الزوّار ، ولكنهم كانوا
قلائل فنجد بجوار اللوحة الثانية تاريخ السنة الثالثة من حكم « امنمحات الرابع » .
ومن عهد الأسرة الثالثة عشرة نجد نقشا باسم الملك « نفر حتب » وضعته أم
الملك (كمى) (Petrie, ibid 479.) .

وبعد عدّة سنين وقف أحد السياح وكتب تحت اللوحة الكبيرة اسم الملك
« سبك أم ساف » (Petrie, ibid No. 490.) .

وقد وجد كذلك نفس هذا الاسم « سبك أم ساف » في هذا الوادى لكاتب
لم يدونه « بترى » في نقوشه ، وقد قصد هذا الوادى سياح من العصر الذى بين الأسرة
الثالثة عشرة والأسرة الثامنة عشرة فعلى مسافة قريبة من اللوحة الصغيرة كتب بخط
جميل المحنط ؟ « بام » ابن « رن - سنب » المرحومة ، وعلى مسافة قريبة نقش
أسماء جماعة كبيرة من الرجال والنساء . (Winlock A. J. S. L. Vol. LVII)
(April 1940, p. 156 and Fig. 14.)

زوّار شط الرجال في عهد الأسرة الثامنة عشرة — وإذا كان أسماء
زوّار « شط الرجال » في العصر الإنقطاعى قليلين فإنهم كانوا أندر في عهد الأسرة
الثامنة عشرة رغم النشاط العظيم في محاجر الحجر الرمل العظيم القرب من هذا الوادى
في جبل السلسلة وفي أسفل النهر عند الحوش ، ومنهما كان يأتى الزوّار القليلون
للوادى ، فقد عثر على نقش من عهد « امنحتوب الأول » (Petrie, ibid 480)
وبعد انقضاء جيل على ذلك نجد « بتباقي » المشرف على الأعمال في معبد آمون
في عهد المرحوم « امنحتوب » الأول والمرحوم « تحتمس الأول » والملك الحاكم

« تحتمس الثاني » قد زار الوادى ونقش اسمه على الصخور التى على يمين اللوحة الكبيرة (Petrie, ibid 476) والظاهر أن « يتباتى » هذا قد قضى حياته فى المحاجر لأنه فى عصر الحكم المزدوج لكل من « حتشبسوت » و « تحتمس الثالث » قد جاء ثانية وترك اسمه عند رأس الوادى (Petrie, ibid, p. 14, No. 357) ؛ والواضح أن الزوار كانوا يأتون إلى هذه البقعة ليروا اللوحة الكبيرة ، ومن المحتمل جدًا أنهم يحجون لاسم هذا الملك الذى أصبح مؤلها فقد كتب تحتها أحد الزوار ما يأتى :

” زيارة قام بها الكاتب « أب » ليرى الآثار “ .

شط الرجال لم يستعمل محجرا — ومن كل ماسبق يتضح أن « شط الرجال » كان مقصد الزوار فى عهد أواخر الأسرة الحادية عشرة ، ومن المحتمل فى أوائل الأسرة الثانية عشرة . وبعد قرن أو قرنين من ذلك العهد كان بعض السابلة ينقش اسمه عليه اعتباطا أو مصادفة ، ولكن فى عهد الأسرة الثامنة عشرة كان زوار هذا الوادى منحصرين فى رجال المحاجر القريبة من شط الرجال وكانوا متفرجين على الآثار فحسب ، وعلى ذلك يمكن القول بأن شط الرجال لم يكن قط يوما ما محجرا رغم أن سايس (Sayce, ibid 171) قد ذكر أنه وجد نقوشا من عهد الأسرة الحادية عشرة لموظفين وعمال قد أتوا ليجثوا عن أحجار فى هضبة فوق شط الرجال ، ولكن البحوث تدل على أن أحجار مباني الأسرة الحادية عشرة المأخوذة من الحجر الرملى كانت من النوع المائل للصفرة الذى يوجد فى محاجر السلسلة فى « أسوان » وليس من بينها النوع المائل للصفرة الذى يوجد فى محاجر السلسلة وعلى هذا تكون النقوش التى يشير إليها « سايس » ليست لعمال محاجر أو كانت من عهد غير عهد الأسرة الحادية عشرة . وليس فى شط الرجال أثر لمحاجر أكثر من ثلاثة أحجار من الحجر الرملى فى الوادى ، ولابد أنها قطعت فى عهد الدولة الحديثة . وسرى بعد سر الشهرة التى خلقت لجفاء لهذه البقعة ، وبعد اتحاد البلاد بفترة قصيرة فى عهد الأسرة الحادية عشرة ، والتى أصبحت فى زوايا النسيان بعد بضعة أجيال .

والواقع أن المسافر الصاعد في النيل قبل أن يصل إلى شط الرجال يجد نفسه قد دخل في الأقطار النوبية الصبغة ، ويلاحظ حتى يومنا أن البيوت في «الكاب» التي تبعد نحو ٦٠ كيلومترا فيها ذكريات البيوت النوبية . هذا إلى أن اللغة النوبية متداولة في « دراو » التي تبعد نحو ٢٥ كيلومترا جنوبى جبل السلسلة . وهذا المضيق لم يكن قط عقبة للملاحة كالشلالات التي في جنوبه ، ولكن كانت هناك منحدرات وعقبات كان يضطر معها الملاحون أن يجيروا السفن للخروج من المضيق وبخاصة في زمن التحريق ، وحتى اليوم لا تزال هناك بعض شعاب وأماكن ضخضاحة . وعند « كوم امبو » يوجد منحى في النيل صعب اجتيازه بدون ريح رخاء ، ولا نزاع في أنه منذ أربعة آلاف سنة لم يكن النيل قد اختط لنفسه مجرى عميقا في وسط التلال كما هو الحال اليوم ، ولا بد أن سفن الدولة الوسطى كانت تجد مشقة في اجتياز هذا المضيق ، وإذا كانت الألواح والنقوش التي في شط الرجال هي نصب تذكارية كما يظهر منها — والواقع أنها كذلك — عملت لزيارة الملك « متو حتب » وحاشيته في هذه البقعة . فإنه يمكننا أن نفهم في الحال السبب الذي من أجله حط الفرعون رحاله هنا إذا فرضنا أنه صعد في النهر من عاصمة ملكه « طيبة » ، فقد كان عند وصوله إلى هذا المكان قد اجتاز حدود مصر ، وكانت المسافة التالية من النهر صعبة الملاحة ، ولهذا السبب بلا شك كان قد ضرب موعدا عند جنادل جبل السلسلة حيث كان الأمير « انتف » وحامل الخاتم « ختي » ينتظران المثل بين يدي الملك .

ولما كان الراجح أنهما لم يكلفا الهيمنة على بعثة في جوار جبل السلسلة فلا نستطيع القول بأنهما كانا في مكان آخر بعيدا عن هذه البقعة وأنهما كانا عائدين ليقدا تقريرهما عن بعثتهما ، وإذا فرضنا أنهما قد حضرا بطريق النهر في السفن النيلية فإن المعقول أنهما يتشرفان بالمقابلة عند شاطئ النهر . وفي هذه الحالة كانت النقوش التذكارية لا بد تحت على بعض الصخور المطلة على النهر حتى يمكن رؤيتها

من النيل . ولكن النقوش التي لدينا كلها في وادى (شط الرجال) بعيدة عن النهر ولا يمكن رؤيتها منه ومن هنا يصعب على الإنسان أن يعتبرها تسجيلا لرحلات نهريّة .

الغرض من نقوش شط الرجال — وعلى ذلك يمكن تفسير نقوش وادى (شط الرجال) الخاصة بالملك « متوحتب » وحاشيته بأنها تسجيل قافلة صحراوية كالتي قام بها « حرخوف » و « ببي نخت » و « سبني » في عهد الدولة القديمة (راجع مصر القديمة جزء أول ص ٣٨٧ - ٣٩٤) أما الواحات فلم يكن لها أهمية تذكيرية إليها الأمير وحامل الخاتم، وإذا كانت قد أرسلت فعلا بعثة إلى هذه الجهات فإن المعقول أن يسلك رجالها الطريق السهل القصير من بلدة « هو » . وعلى ذلك يكون من المحتمل جدا أن تكون البعثة عائدة بطريق واحة كركور .

ومما لا نزاع فيه أنه في أوائل حكم هذا الملك في مسنة ضرب الأراضي الأجنبية ... في عهد « نب — حبت — رع » قام الملك « متوحتب » بحملة بنفسه بين الشلال « وكلبشه » حسبما جاء في نقوش « دهميت » التي نقشها « نيامو » وكان ضمن رجال الجيش المصرى في ذلك العهد ^(١) :

(Weigall, "Antiquities of Lower Nubia, p. 61. Pl. XIX & Roeder, Debd bis Kalabsche 280 ff Pls. 106-8).

قبل سنة ٣٩ ؛ ورغم أنه ليست هناك نقوش تثبت ذلك فإننا نظن أن أعلى النهر على الأقل حتى وادى حلفا قد اعترفت بسلطان ملك مصر ، ومن المحتمل أن « انتف » و « خيتي » قد قاما برحلتها لتفقد أحوال الأقاليم التي أخضعت حوالى ٢٠٢٠ ق . م ؛ وإنه لمن الأمور المفغرية التي يحيطها الشك الكبير أن يرى الإنسان وثائق عن رحلة قام بها « انتف » إلى بلاد النوبة في ثلاثة عشر

(١) قد ذكر سايس في نقش لم ينشر عند الشلال الثانى يميز فيه وقوع ملحمة بين المصريين في عهد

الأسرة الحادية عشرة وبين الأهالى المحليين .

(Sayce, P. S. B. A. XXXII (1910) 202).

نقشا تقع على مسافات متقاربة على طول شاطئ النيل من كلبشه حتى أبو سنبل ذكر فيها : « حورسنفر — تاوى — اف » السيدتان « تاوى — اف حورالذهبي » « نفر » ملك الوجهين القبلى والبحرى « كح — كا — رع إن » سلالة رع أبديا (Roeder, *ibid*, 456, 458, & Weiga II, *ibid*, Pl. XXXIV. LII, LIV, LXII, LXIV. LXV, p. 138).

وكان يسمى فى العادة « انتف » وإن كان اسمه لم يكتب قط بهذه الكيفية . ولا شك فى أن اسمه الحورى من طراز « سعنخ تاوى — اف » وهو الاسم الحورى للملك « سعنخ كارع » (متوحتب الثالث) كما أن النقش الذى يشمل كتابة اللقب « ابن الشمس » فى داخل خرطوش هو على وجه عام يمثل نفس الحالة المتبعة فى عهد الأسرة الحادية عشرة . وليس هناك اتفاق بين علماء الآثار على توحيد شخصيته ، فوجد الأستاذ « مير » (Meyer, *ibid* 277) يقتبس من « جوتييه » ويعتبره حاكما نوبيا محليا ، وقد ذكر كل من « دريتون » و « فندييه » حديثا (Droiton, *Les Peuples de l'Orient Méditerranéen* II. l'Egypte.)

أنه ملك نوبى مستقل معاصر للملك الأسرة الحادية عشرة أو يحتمل قبل ذلك . ويعتبره بورخاردت (Borchardt *ibid*, p. 23 No. 114) أنه ملك مصرى جاء فى النصف الأول من عهد الأسرة الحادية عشرة ، وقد اعترض على هذه الآراء « ونلك » (A. J. S. L. XXX (1915) 6 No. 3) قائلا : إن خرطوشيه يدلان على أنه لا بد قد أتى بعد « متوحتب الأول » ، ولا شك فى أن رحلتها كانت آخر رحلة مثل التى كانت ترسل فى عهد الدولة القديمة . وانهاؤها عند شط الرجال يمكن تفسيره بأن الرحلة من هناك نحو طيبة كانت قصيرة وسهلة لا يعترضها شلالات أو جنادل .

بعض آثار من عهد الملك متوحتب الثانى — وبعد الرحلة التى قام بها هذا الفرعون إلى « شط الرجال » نجد منقوشا على صخور أسوان : السنة الواحدة والأربعون فى عهد « نب حبت رع » أتى حامل خاتم الملك ورئيس الخزانة ختي

[الذى وضعته «ست رع» المبرأة] ، إلى «واوات» بسفن ... ونجد كذلك نقشا آخر يقول : السنة الواحدة والأربعون في عهد ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «نب حبت رع» عاش مثل رع غلدا ، لقد كنت مراقبا في مقاطعة عين شمس الشرقية وموضع ثقة ملكى في العراية ، الحاكم «مرى - ثى» :

(Petrie, Season Pl. VIII. Nos. 213, 243 : Maspero, *ibid* p. 462; Breasted, A. R, 1, Par. 426, Deir el Bahari p. 117)

ثم بعد ذلك بخمسة أعوام مات حامل الخاتم «مرو» فى السنة السادسة والأربعين من عهد هذا الفرعون (Lanzone, Catalogo p. 117. Farina II Regio Museo di Torino, p. 13. Pl. 40.)

الذى كان بدوره طاعنا فى السنّ وقتئذ ، وبعد انقضاء خمسة أعوام قضى الفرعون نحيه و "ذهب إلى الأتقى" .

ولسوء الحظ ليس لدينا تفاصيل عن الحروب التى دارت على أطراف الدلتا مع الأقوام المعادين من «العامو» و «المتو» ومن المحتمل أن اللوبيين كانوا يناصرونهم فى تلك الحروب :

(Naville, *ibid* I. 5 Pl. XIV : Petrie, History I p. 141,)

على أنه حتى فى الأمور الداخلية التى لها اتصال وثيق بحالة البلاد الاجتماعية ليست لدينا معلومات ذات شأن إلا نتفا ضئيلة نثر عليها القينة بعد القينة فتثلا قرا على لوحة فى متحف «نيويورك» :

(M. M. A. 14. 2. 7. & Winlock, A. J. S. L. 1915 p. 15 No. 2.)

أن موظفا يدعى «ماعت» يشير إلى أن صديق الملك ومدير ماليته «بى» هو الذى مسئول إليه أملاكى ، ولابد أن «ماعت» هذا قد وصى بأملاكه له ، ومن المحتمل أن «بى» هذا هو الرجل الذى نسمع عنه فى تاريخ متأخر عن هذا وهو الذى أصبح وزيرا كما نشاهد ذلك فى نقوش معبد الدير البحرى :

(Davies, Five Theban Tombs, p. 39)

ولدينا عدّة لوحات جنازية عن عصر هذا الفرعون ولكنها لا نستطيع أن نحدّد لها تواريخ معينة، ومن أهم هذه اللوحات وأقربها عهدا إلى العصر الثاني لحكم هذا الفرعون أى وقت أن انتحل لنفسه ألقابه الجديدة، ثلاث لوحات تحمل اسم «انتف» بن «مايت» الذى كان يلقب بالأمير والحاكم وحامل خاتم ملك الوجه البحرى، وتوجد واحدة من هذه اللوحات بكل من لندن وبرلين وكوبنهاجن، فالأولى منها قد أحصى فيها ملكيته .

(Peet, "Liverpool Annals Archaeology 1914 - 1915 p. 82 & Winlock, A. J. S. L. 1915 p. 5, 18)

ويقول فيها: "هذا كل ما أمتلك أصلا وما أكسبنيه «نب - حبت - رع» لأنه كان يحببني حبا عظيما" وهو يلتبس في نقوشها خبرا نقيّا في معبد «متو» وموائد قربان في معبد «أوزير» ثم يتلو علينا شروط عقد أبرم مع الكاهنين «نختيو» (nekhtui) و«انتف» للاعتناء بروحه .

أما اللوحتان الأخريان فتذكران كيف أنه وجد المزار الجنائزى لمقبرة الحاكم «نختي أفر» ويحتمل أن يكون قبره قد خرب وليس هناك من يفكر في شأنه وعلى ذلك يقول: "أمرت ببنائه من جديد... .. حتى يصبح اسمى طيبا على الأرض وذكراى حسنة في القبر".

لوحتا «خيتي» - وتوجد كذلك لوحتان أخريان لم يدوّن عليهما تاريخ وهما لموظف يدعى «خيتي» وقد عاش في حكم ملك يدعى «متو حتب» ولا شك في أن المقصود هنا هو «نب حبت رع»، (Gardiner J. E. A. 1917 p. 28 ff.)

وتمتاز واحدة منهما بما جاء فيها من الأسماء الجغرافية الجديدة التي ذكرت عليها وبأنواع المعادن التي جلبها معه الفرعون على أن الغريب في ذلك أن من يقرأ محتويات هذه اللوحة لا يشعر بأن «خيتي» هذا قد تجاوز في رحلته هذه حدود شبه جزيرة سينا وهالك النص الذى جاء بعد الصيغة الدينية المعتادة يقول فيها :

لقد كنت حامل خاتم الإله^(١) (أرسلت) لأجل أن أضعف قوة البلاد الأجنبية، وعند ما كنت في إقليم المعادن فخصته وسحت حول أقاليم « نتهت » (Thenhet) وعند ما كنت في بيوت « رجل » الشمال ختمت خزائنه التي في جبل « بيت حور في مدرج الفيروز » بعد أن أخذت فيروزا من منجم « برشمع » وقد حاولت كرة أخرى في منجم آخريسمى منجم ... وهو منجم قد عمل لحور (الملك) نفسه، ولما كنت قد خرجت في هذه البعثة بأمر سيدى هذا فاني فعلت ما أرادته، ولقد كنت مبعوثه والمائل لقلبه وصورة صدره ، ولقد أدت له ما أراد كأن ما فعل كان للاله نفسه — ولقد عاقبت الأسويين في بلادهم ، ولقد كان الخوف منه هو الذى نشر هيبتي ، ونفوذه هو الذى بث الرعب منى ، حتى أن البلاد التي وصلت إليها صاحبت قائلة : مرمى مرمى بقوة ، إن حبه هو الذى جعل الأرضين تتحدان له والآلهة تسعد زمنه. وعدت في سلام إلى قصره وأحضرت له طرائف البلاد الأجنبية من معدن جديد من « بات » ومعدن لماع من « إهوايو » ومعدن صلب من « منكاو » وفيروز « حروت » ولازورد « تفررت » ومعدن « ساهرت » من فوق الجبال « وخت عوا » من جبال مستيو، ورنثت من « باوق » من الأرض الحمراء، وعصى ؟ من « رشاوت » ومزمت من « كهيو » .

ومن ذلك نستخلص أن هذا الموظف الكبير (إذا كان كل ما قاله صحيحا) يعتبر من أعظم المبعوثين الذين ذهبوا إلى « سينا » وتوغلوا في مختلف مجاهلها ومهدوا الطريق لجلها تحت سلطان مصر في عهد الدولة الوسطى وما بعدها ، ومن جهة أخرى تكشف لنا هذه اللوحة عن أسماء أما كن فيها وأسماء معادن لازلنا نجهلها تماما .

أما اللوحة الثانية لهذا الموظف فليس فيها ما يلفت النظر غير أن « خيتي » كان يشغل وظيفة بحرية ربما كانت خاصة بالنقل .

(١) هذا القرب كان يصطاه غالبا كبار الموظفين الذين يشتركون في الرحلات الخاصة بالبحث عن الأحجار الثمينة وغيرها مما يؤتى به من البلاد النائية .

هذا ولدينا عدد من الآثار المختلفة الأنواع قد نقش عليها اسم « متوحب » وكل الدلائل تشير إلى أنها للفرعون « نب - حبت - رع » « متوحب » الذى نحن بصددده ، فمنها قطعة من الحجر الجيري كانت فى « برلين » منذ ستين سنة مضت ، وقطعة من الحجر الجيري الملون فى « مرامار » (Miramar) بالقرب من تريسته ورأس تمثال فى متحف الفاتيكان (Wiedemann, Agyptische Geschichte p. 229) وكذلك عثر على جزء من لوحة لموظف يدعى « أنتف نحت » فى جبانة أمراء الأسرة الحادية عشرة فى « طيبة » الغربية . ويحتمل جدا أنها من عهد هذا الملك وقد ذكر فى نقوشها « بيت خيتى » الذى حاربه الطيبون مدة طويلة .

مبانى هذا الفرعون فى « طود » — وتدل الآثار الباقية على أن هذا الفرعون (A. S. (1907) p. 244) كان سخيا فى إنشاء مبانى عده بعد أن ملك البلاد من أقطارها ، ويلاحظ أن معظم هذه المباني كانت فى الصعيد موطنه الأصل وليس هذا بالأمر المستغرب ، (ولا يبعد أنه أقام مبانى عده أيضا فى الوجه البحرى قضت عليها يد التدمير ومياه النيل كما قضت على معظم الآثار الأخرى التى تنسب إلى غير هذا العصر فى تلك الجهة) ، ففى بلدة « طود » الصغيرة التى تقع على ما يقرب من ثلاثين كيلومترا على شاطئ النيل الشرقى جنوبى « طيبة » كان قد أقيم معبد صغير من اللبن وعمده من الجرانيت « لثورمتو » ويرجع تاريخه على أقل تقدير للأسرة الخامسة . فلما تولى « نب حبت رع » أعاد بناء هذا المعبد المتهدم لاله « متو » الذى كان يمثل رأسه برأس صقر ولوجه « تننت » وقد كانت مساحته ١٧ × ٢٣ مترا وجدرانها من الحجر الرملى والحجر الجيري ووضع فيه تمثال من الجرانيت . وقد نقش على عمدته المؤلف كل منها من قطعة واحدة : « ملك الوجه القبلى والوجه البحرى » « نب حبت رع » محبوب « متو » رب طود » وبنفس الطريقة كتب ابن الشمس « متوحب » وكان سقف هذا المعبد من الحجر الرملى وقد نقش كذلك على ثلاثة من إطارات الأبواب سطران أو ثلاثة من

من الكتابة على قممها وعلى عمودين في أسفل مصاريع الأبواب، أما جدران المعبد فقد نقش عليها مناظر تمثل الفرعون واقفا أمام الإله « متو » والإلهة « سات » ثم الإلهة « نجبت » والإلهة نيت ربة « سايس » وأحيانا تمثل الإله « متو » وزوجه تنبت يتوجان « نب حبت رع » ملك الوجه القبلى . وأهم منظر في هذا المعبد الصغير هو الذى يظهر فيه « نب حبت رع » وأجداده الثلاثة من الأناخة وهم يقدمون قربانا للإله المحلى « متو » وهذه النقوش كلها يظهر فيها القوة والخشونة معا وليس ذلك لأنها قد مثلت في معبد صغير مثل معبد بلدة طود الصغيرة بل الواقع أن هذا يرجع إلى فن العصر وأسلوبه الذى ينم عن القوة والخشونة كما سنرى بعد :

(F. Bisson de la Roque, ibid pp. 1, 10, 14, 25, 62, 79.)

آثاره في « طيبة » — أما في مدينة « طيبة » فكان يوجد معبد للإله « متو » ومعبد للإله « أوزير » ومن المحتمل أنهما كان قائمين على موقع المحراب الحالى (Winlock, A. J. S. L. (1915) p. 522) الصغير في الجنوب الشرقى من معبد متو، غير أنه لا يوجد أى أثر منهما الآن . وقد عثر « في طيبة » على مائدة قربان غاية في خشونة الصنعة قدمها الفرعون « نب حبت رع » إلى « رب العرابة » (A. Kamal, Tables d'Offrandes No. 23007)

هذا إلى مذبج آخر رسم عليه صورتان للإله النيل يقدمان القربان وتتش عليه : حور موحد الأرضين « نب حبت رع » بن الشمس « متو حبت » .

(Chabas, in Congrès Oriental St. Etienne II, 78.)

وهذه الندرة في آثار هذا العهد في مدينة « طيبة » يرجع سببها طبعا إلى تكرار تجديد معبدى الإله « متو » والإله « أوزير » ولذلك فإن أقدم آثار لها تنسب إلى قرون بعد هذا العهد الذى نجحت فيه فعبد « آمون » لا يمكن أن يكون قد ظهر في طام الوجود بناء متقنا إلا بعد عهد « أمنمحات » الأول وهو الإله الذى كان قد احتل مكانه « متو » في الأسرة الثانية عشرة

آثاره في بلدة (دير البلاص) — وفي الموقع الذي تقوم عليه قرية دير البلاص الواقعة على الشاطئ الغربي للنيل قبالة فقط تقريبا يحتمل أنه كانت توجد هناك بلدة صغيرة يحترف أهلها صناعة الفخار منذ عهد الدولة القديمة ، وكان أهلها على ما يظهر في قعر مدقع وليس في مقدورهم أن ينفقوا على نحائين أو مثاليين من أمحباب الكفايات . ولذلك يحتمل أنه قد وفد عليهم مفتنون من غير أهل قريتهم أرسلوا بخاصة لبناء هيكل ولينحتوا نقشا للملك الوجه القبلي والوجه البحري « نب حبت رع » وهو يقدم قربانا لبعض الآلهة :

(Lutz, Egyptian Tomb Steles, Pl. 32)

مقابر هذا العصر — وما هو جدير بالملاحظة هنا أنه قد عثر على طول المنحنى العظيم للنهر عند دندره عند الحد الفاصل بين الشمال والجنوب على مقابر للقوم من هذا العصر ، وقد كانت طريقة دفن الأهليين فيها كما كانوا يدفنون منذ قرون من قبل (Petrie, Denderah p. 10.) فلم يتغير طراز مقابرهم من أجيال عدة ، بل كانوا يقيمون مصاطب من اللبن مستطيلة الشكل وأمام كل منها «مركن» للقران أو يقيمون فيها حجرات ضيقة جدا كانت تسقف باللبن على هيئة قباب وكل شيء في هذه المقابر حتى أسماء الذين دفنوا فيها يدل على أنهم من هذا العهد إذ نجد من بينها «بي» و «انتف» و «انتف عا» و «أنتف أقر» و «متوحتب» . وقد عثر هنا على قطعة حجر نقش عليها اسم «سعنخ اب تاوى» متوحتب الأول . وكذلك وجدت قطعة أخرى من أثر قديم للملك «نب حبت رع» متوحتب الثاني .

هذا وقد عثر المسمدون على أسطوانة كانت تستعمل خاتما منقوشة نقشاً عتيقا فقد دُون عليها اسما «ملك الوجه القبلي والوجه البحري» «نب حبت رع» والإلهة «حتحور» .

آثاره في العرابية المدفونة — أما في العرابية المدفونة التي حارب من أجلها ملوك هذه الأسرة حروبا طاحنة فقد وجد اسم هذا الفرعون مرات عدة مما يدل على

احترامه وتقديسه لها ؛ ولذلك فإنه على أثر تقلده لقب حور موحد الأرضين أخذ يقيم فيها المباني (Petrie, Abydos, II 14, 33, 43, Pls. XXIV, LIV)

وقد كان معبد أوزير الذى أقامه له الملك «ببى» منذ قرنين ونصف قرن من هذا العهد لا يزال فى حالة لا بأس بها لم تنله يد التخريب تماما، فلما جاء «نب حبت رع» وضع على جانبى مدخل هذا المعبد مائدتى قربان من الجرانيت الأحمر صناعتهما خشنة ، وأقام بدلا من بعض الجدران المقامة من اللبن أخرى من الحجر وكذلك أقام محرابا لتمثال الملك، وبني رواقا ذا عمد مختلفة أحجامها فى الصف نفسه، هذا بالإضافة إلى حجرة زينت بتون تدعو آلافا من كل المواد الغذائية لتمثال ملك الوجه القبلى والبحرى «نب حبت رع» ونقوش أخرى تعلن أن الملك «متوحب» هو الذى أقام هذا ليكون أثره، وقد وجد على جدران الحجرة كذلك صور الآلهة «وبوات» «وختى أستي» (أوزير) و«حور» «وخنوم» «ونحوت» «وأنحور» .

ولا بد للإنسان بعد «العرابة» من أن ينحدر فى النيل مسافة حتى يصل إلى «ختنوب» حيث يحدد آثارا يمكن أن تنسب إلى عهد هذا الفرعون على وجه التقريب إذ ليس لدينا برهان قاطع على أنها من عهد «نب حبت رع» .

وذلك لأنه لم يكن من المرغوب فيه أن يكتب أى إنسان (كما كان الحال فى كل مصر السفلى) اسم ملك من ملوك الجنوب، استمر ذلك إلى ما بعد انتقال حكومة الأسرة الثانية عشرة إلى «إشتوى» (الشت) أى فى عهد «امنمحات الأول» مؤسس الأسرة الثانية عشرة .

وقد حدث أننا نعرف فعلا أخ حاكم المقاطعة «نحوتى نخت الثانى» فى البرشه، ومن المحتمل أن حاكم المقاطعة نفسه كان لا يزال على قيد الحياة فى السنة الواحدة والثلاثين من عهد «سنوسرت» الأول أى حوالى عام ١٩٥٠ ق م .

(Anthes, Hatnub p. 76 ; Baly J. E. A. (1932) p. 173)

ومنذ أربعة أجيال من هذا التاريخ إلى الراء كان « نحوى » الأول قد تولى حكم المقاطعة (مقاطعة الأرنب) فإذا قدّرنا ربع قرن لكل جيل من الحكام . فإننا نجد ابنه « نحوى » هذا كان قد تسلم حكم مقاطعته في عهد « نب حبت رع » أى حوالى ٢٠٥٠ ق م . ولا نعلم من كان يعمل فى هذه المحاجر قبل ذلك العهد غير أننا نعلم أن الفراعنة أنفسهم فى معظم الأحوال هم الذين يأخذون منها لمبانيهم . ولا يدهشنا ألا نجد أثرًا لمعبد قائم فى هذه العاصمة العظيمة قبل الأسرة الثانية عشرة فإن الفاتحين من أهل الجنوب قد حاربوا كل شىء فى المدينة عند ما سقطت فى أيديهم وعند ما أراد خلف « امنمحات الأول » بناء معابد لآلهتهم اختاروا لها أماكن أخرى مختلفة (Petrie Ehnasya p. 3 Pl. IV) .

إقامة المعبد الجنازى بالدير البحرى

شرع الملك « نب حبت رع » قبل توحيد الأرضين فى بناء معبده الجنازى فى سفح الصخور الواقعة فى « طيبة » الغربية . وقد كان فى عزمه أن يتسع فى عمارته ليكون أعظم معبد قام ببنائه واحد من أسرته غير أنه إلى وقت فتحه للدلتا والاستيلاء عليها لم يكن أقام فى بناء هذا المعبد إلا جدارا عظيمًا أمام ردهته وشيد ستة محاريب فوق المقابر الست التى نحتت لنفسائه ، ولكنه بعد فتح الدلتا أحدث تغييرات أساسية فى تصميم هذا المعبد ، وهذه التغييرات لم ينقطع معينها مدة الأربعين عاما التالية من حكمه .

وقد كان أول عمل وجه نظره إليه هو أن يبنى طريقا عرضه نحو ٧٠ ذراعا من المعبد الى الأرض المترعة يتسدى من فتحة تركت فى الجهة الشرقية الأصلية من جدار ردهة المعبد ، وبعد أن تم تمهيد هذا الشارع أحيط بميدار حجرى من كلا جانبيه ليضارع الجدران التى حول الردهة العليا ثم رصف باللبن وغطى بملاط من الطين (Winlock, Deir el Bahari pp. 9, 72, 203) ويلاحظ أن الطرق المسقوفة

التي كانت تستعمل في مثل هذه الأحوال في معابد الدولة القديمة في سفارة مثل طريق «وناس» المستوف لم يتردد صداها في طيبة وطرقها الخاصة بالمعابد، وعند موقع المعبد كان الوادى الصحراوى يسوى سطحه كما كانت الأماكن الجبلية تقطع وبعد ذلك المستويات كان يحفر نحو اثني عشر ثغرة على خط واحد بمثابة علامة تبين محور المعبد وكان يوضع في كل ثغرة أرغفة ثلاثية الشكل (ibid p. 101)، وبعد ذلك كان يذبح ثور لروح «نب حب رع» على مسافة عشر خطوات شمالى هذا الخط، ومن المحتمل كذلك أن هذه العملية كانت تكرر على بعد المسافة السابقة جنوبا، والخط الذى أسس محورا يكون زوايا قائمة مع الجدار المؤلف من الصخور المتفصلة التي يجوز أن تكون قد دفنت في وقتها، وبعد أن عملت هذه الأشياء لتقدس المكان وتباركه غابت عن ذاكرة كل إنسان بعد تركها في مكانها، ولما كان الجدار الشرق للردهة قد دفن على عمق بعيد، فإنه قد بنى جدار آخر على بعد أكثر من ٤٠ مترا غربا عند طرفها الجنوبي غير أنه ينتهى تقريبا عند نفس النقطة التي ينتهى عندها الجدار الأصيل في نهايته من جهة الشمال.

وبعد ذلك عمل تصميم مستوى السطح على هيئة درقة عظيمة عرضه عند القاعدة ٥٠ مترا، ثم سور بجدار من الأحجار الخشنة يرتكز على حفر كانت تعمل في الصحراء وفي داخل هذا السور حفر خندق لإقامة حائط من الحجر الجيري الأبيض وقاعدته من الحجر الرملى. ولقد أصبح من المستحيل علينا أن نعرف مدى امتداد هذا الحائط ولكننا وجدنا بعض أحجاره في مكانها لا تزال علامات النشر عليها مما يدل على أن هذا الحائط قد أقيم بعضه ويلاحظ أنها قد أزيلت كلية فيما بعد في خلال حكم هذا الفرعون.

ولا نزاع في أنه عند هذه المرحلة من عمليات البناء بدأ يظهر نهائيا تصميم الرصيف الذى أقيم عليه مقابر الأميرات الست. فقد وضعت ودائع قربات الأساس في الردهة السفلية في أركانها الأربعة، وقد ابتدئ بالركن الشمالى، وعند

ما كان واضعاً قربان الأساس يمزون بالركن الشمالى الشرقى لوحظ أن واحداً منهم وطئت قدمه عفوا بعض اللبنة التى كانت لا تزال لبنة ، وقد كانت هذه النقطة تحتوى على عينات من المواد التى هيئت لبناء المعبد ، وكذلك قد لوحظ فى الركن الجنوبي الغربى أن الطين الذى تخلف من صنع اللبنة قد كُوم فى الثغرة التى فيها طعام القربان فوق الأوساخ التى كانت قد وضعت من قبل ، وبعد ذلك جاء دور الحجارين ليقموا كسوة من الأحجار حول الرصيف ثم جاء غيرهم لينبؤا الردهة التى أمام الرصيف بأحجار كتب عليها بالمداد : بيت «الك» (Naville, ibid I, 19 n) وبعد الفراغ من هذا أقيم حائط من اللبن حول الحائط المصنوع من الحجر وبنفس ارتفاعه ، وقد غطي بطبقة من الجير ، وخلف ذلك أقيم حائط آخر أقل ارتفاعاً ، وعلى كل هذه الحوائط قد أقيمت على خطوط مستقيمة فى المكان الذى كان يرغب أن يقام فيه حائط عني من الحجر وقد نقش على كل من الباب الخلفى الذى أقيم فى شمال الردهة وفى جنوبها ألقاب الفرعون الخمسة وبطبيعة الحال كان الباب الرئيسى الذى أقيم فى البوابة السميكة المقامة فى الشرق قد زُين بمثل هذه النقوش .

أما فى داخل الردهة نفسها فإن سطحها مهد على شكل مدرجات ، وأخيراً غرست أشجار الجميز أربع على كل جانب من جانبي الطريق فى حفر ملئت بغيرين النيل ، وخلف شجر الجميز زرعت أشجار الخروب وقد كان زرعها بمناسبة الاحتفال بعيد « سد » أو العيد الثلاثينى للفرعون « نب حبت رع » ومن المحتمل أن شجر الخروب لم يزرع فى الوقت نفسه الذى زرعت فيه أشجار الجميز ويحتمل أنها زرعت بعد دفن الفرعون (Winlock, Deir el Bahari, pp. 49.) 72, Pls. 2. 5.)

وكان المعبد ذاته يسمى « اخت أسوت » أى المساكن المتنازة أو كان يسمى مساكن «نب حبت رع» المتنازة (Maspero, ibid p, 482; Lange und Schafer, المتنازة «Grab und Denkstein, No. 20088 & Naville ibid I, 10.)

وإذا أنعم الإنسان النظر في هذا المعبد وتصميمه بعد الانتهاء من إقامته يجد أنه قد حدث فيه عدّة تغييرات (Naville, *ibid* I, 27 ff & Vol. II, Pls. 1. XXI. XXIII; Bonnet, A. Z. 1925 p. 40)

ففى النهاية نلاحظ وجود مساحة غير مسقوفة تبلغ نحو ٥ أمتار عرضا فوق الرصيف الذى على جانبه الشمالى . وبعد ذلك نجد المعبد نفسه ، والظاهر أنه قد أقيم هرم أمام المحاريب التى كانت قد بنيت من قبل لنساء الفرعون فى وسط غابة من الدعامات والأعمدة الثينة الشكل كما ذكرنا ، (انظر شكل رقم ٢) وقد وجدنا فى ورقة « أبوت » اقتباسا يدل على أن هرم الملك « نب حبت رع بن الشمس متو حتب » الذى فى « جسر » (المكان العالى أى الجبابة) وجد سليما (Peet, *Tomb Robberies* p. 39) وبدى أن هذا الهرم لم يكن فى الحسبان إقامته اقتصادا لولا أنه كانت توجد صخرة طبيعية اتخذت نواة وشكلت بشكل هرمى ثم بنيت بالحجر ، ومن المحتمل أنه قد عمل تصميم حجرة فى داخل هذا الهرم مثل التى نحتت لحده « واح عنخ » غير أن هذا التصميم لم ينفذ قط .

ومن المحتمل أن السور السميك الذى أقيم حول قاعة العمدة العليا التى يشرف من فوق سطحها الهرم كانت فى بادئ الأمر مقصورة غير أن التصميم الأخير قد اتخذ منها قاعدة محاطة بعمد من كل جهاتها ، وفى الغرب قاعة عمد مسقوفة أخرى خلف هذه . أما المدخل الذى كان يؤدى إلى المبنى الأخير فكان موضعه الجدار الخلفى ، وقد كانت رقعة هذه الأجزاء الحديثة فى المعبد من الحجر الجيري والجدران من الحجر الرملى اللهم إلا الفناء الذى حول المذبح فى الخلف فإنه كان قد نقش نقشا جميلا ، ومن المحتمل أن الكوة الصغيرة التى فى نهاية المعبد كانت قد صنعت خاصة لتمثال الفرعون ، ويجب أن لا ننسى هنا أن اللورد « دفرين » قد قام بحفائر بالقرب من هذا المكان . ويقال إن من بين القطع التى فى مجموعته تمثال لللك « نب حبت رع » (Naville, *ibid* II, 21, Pl. X.) ومن النقاط الهامة التى تسترعى

الأنظار أن مرور الاحتفال بقارب آمون المقدس كان يعرفه وجود الهرم في وسط قاعة العمدة المسقوفة علاوة على الطرق الضيقة التي تقع بين العمدة وكذلك الأبواب الضيقة، وفضلا عن ذلك فإنه (Winlock, A. J. S. L. 1941 p. 146) مما يلفت النظر أن المبنى كله كان غير صالح للاحتفالات وأن تصميمه كان يفتقر إلى مكان يوضع فيه القارب المقدس. وفيما بعد أى عندما وضعت الأسرة الثانية عشرة النظام لج الإله عندما تسلم أئمنحات الأول مقاليد الحكم كان الدير البحري مسرعا لهذا الاحتفال، وقد كان « أئمنحات » متأثرا تأثرا عميقا بتصميم هذا المعبد ولذلك نجد أن هرمه في اللشت قد وضع على رصيف مقصورته الأصلية التي كانت عبارة عن مبنى صغير من اللبن في أسفل جانب الهرم الشرقى .

أما ضريح هذا الفرعون فيظهر أنه في بادئ الأمر قد شرع في نحت تصميمه تحت الجدار الشمالى للردهة ، وقد وضعت فعلا لبنات لتعلم المدخل ولكن هذا التصميم قد أُلغى لسبب ما ، وعلى بعد عدة أمتار جنوبا وشرقا نحت مدخل باب الحصان وله ممر تحت الأرض وقد كان تصميمه يؤدى إلى حجرة تحت الهرم على مسافة ١٤٠ مترا نحو الغرب .

وقد ذكرنا من قبل أن هذه المقبرة قد استعملت لتمثال الملك في عيد « سد » عام ٢٠٣١ ق م . ومن ثم أخذ الفرعون ينحت لنفسه قبرا آخر مدخله في قاعة عمدة معبده (Naville, ibid, 4, 5, 18, 21. Pls. VII, XXI, XXII, XXIV; Vol III, pp. 24, 31 Pl. XIX.) وهنا يجد الإنسان ممزا متزقا طوله ١٥٠ مترا، ويلاحظ أنه مستقيم تماما . ويتهى بحجرة من الجرانيت ليوضع فيها التابوت وقد وجد « نافيل » التابوت الذى لا يزال فى الحجرة خاليا وقد صنع من المرمر، ولم يجد شيئا فيه إلا بقايا نماذج قوارب ورءوس من الخشب تشبه الرءوس التي تكون عادة على غطاء أواني الأحشاء، هذا إلى عصى مكسرة وصولجانات وأقواس مهشمة أيضا .

محتويات المعبد — وقد كان يوجد فى داخل هذا المعبد نحو من ٢٣ مدفنا منها ثلاثة لم يكن قد تم صنعها بعد (Ibid I, 43, 47.pits 1. 6, 8) ومن بينها أربعة

لرجال واثنا عشر لنساء ويحتمل أن المدافن الباقية كانت لنساء أيضا وكان أحد هؤلاء الرجال يدعى « سى أعم » بن « رن - أقر » وقد وجد تماثله « المجاوب » بالقرب من مدفنه في الردهة المثلثة الشكل الواقعة جنوبا (Winlock, Deir el Bahari p. 56) وفي الردهة الشمالية المثلثة الشكل يوجد مدفنان لرجلين أحدهما في مقتبل العمر، وقد لوحظ أن قصبتى رجله متفتحتان بصورة تسترعى النظر (Winlock, J. N. E. S. p. 274) (1943) وحفرة رابعة كانت لموظف مالية يدعى « متو حتب » ويسمى كذلك « بواى »، وتوجد حجرة دفنه تحت محراب « حتحور » في معبد « حتشبوت » المجاور، وقد وجد معه قلادة من الخرز ولباس رأس مذهب ونعلان ومقبض مرآة، ونموذج مخزن غلال، ومصنع خبز، ومجزرة، وقاربان، وأربع من حاملات القسرايين (Cairo Museum Livre d'entree Nos. 31342-51. 54; Naville, Archeological Report 1895-96 p. 3; XI. Dyn. Temple I. 14, 44; Lacau, Sarcophages Anterieur au Nouvel Empire; No. 28027.)

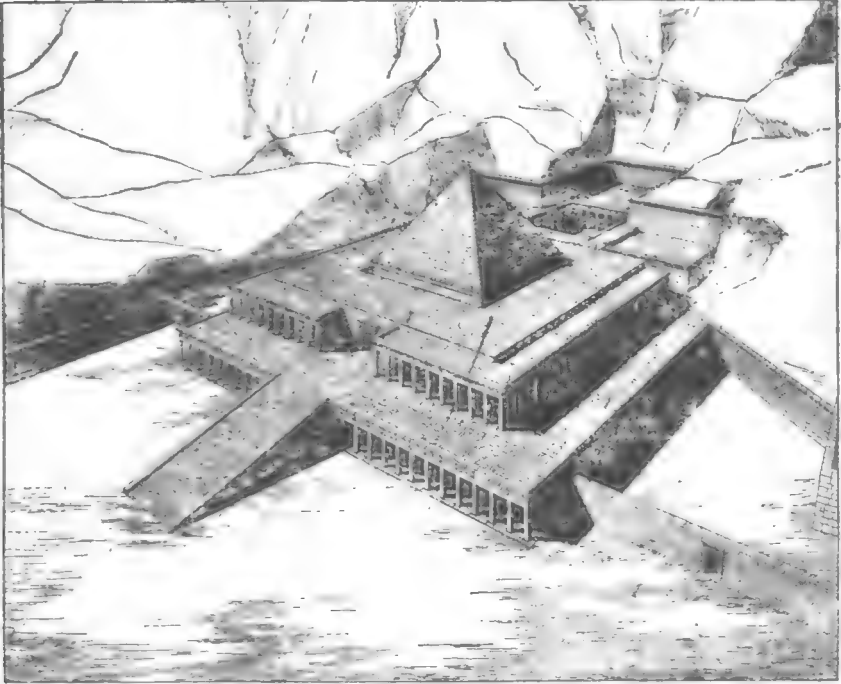
أما النساء اللاتى دفن داخل حدود المعبد فقد نهبت مقابرهن إلا واحدة عثر عليها « دارسى » وكانت مدفونة بلا شك في أقصى الركن الشمالى من الردهة المثلثة الشكل الشمالية وهذه المقبرة كانت لحظية الفرعون « آمونت » وقد وجد على جسمها وشم، ويحلى جيدها بالقلائد وقد كتب على لفائفها « ملك الوجه القبلى والبحرى ابن الشمس » متو حتب » وكذلك امم ابنته « ادح » وزوجاته « منت » Ment و « تننت » Tenneset و « تم » Tem وكذلك تواريخ من السنة الثامنة والعشرين والخامسة والثلاثين والثانية والأربعين من حكمه، وقد كانت كل من « آمونت » وحظية أخرى تسمى « آس » مرسومة في نقوش معبده ومعهما أنحريات من نوعهما (Daressy, "Recueil de Travaux" (1893) p. 166; A. S. 1900 p. 141 No. 1. Sphinx XVII, p. 99 Lacau, ibid, No. 28025-26, Winlock, Deir el Bahari p. 85 & Naville, XI Dyn. Temple I, Pl XVII b, II, 6.) ويحتمل أن « تم » كانت الملكة وقد دفنت في أكبر المقابر التى حفرت في أقصى الركن الغربى من المعبد حيث لا يزال

في استطاعة الإنسان أن يرى تابوتها الضخم المصنوع من المرمر (Maspero Trois Annees de Fouilles, P. 134; Struggle of the Nations p. 240; N. 3; Naville, XI. Dyn. I, 51; II 3, 21 Pl. VIII.) ووجدنا في قبرين امرأتين قد وشم كل جسميهما (Pits 23 & 26 (Winlock, Deir el Bahari pp. 74. 129.) كان مع كل منهما وكذلك مع النسوة اللاتي كن معهما نموذج قارب أو قارين ومن المحتمل أنه كان معهما نماذج مخازن للغلال أيضا أو مخازن (Pits, 2, 3, 4, 5, 20, 22, 23, 26, 29; Naville, XI Dyn. I. p. 43 ff; III, 24 Pl. XX.) ومن أغرب ما عثر عليه هنا قاعدة إناء من المرمر قد نقش على سطحه كله نسور وصقور مفترجة، وقد عثر «نافيل» على جزء من هذا الإناء، أما الباقي فوجده «ونلك» وقد أهدى الإناء الى المتحف البريطاني (ibid I. p. 46)، وأحيانا كان يعثر على بقايا وجوه من الجلس، وكانت بعض المدافن تحتوى على توايت من الحجر الجيري أو قطع من التوايت المصنوعة من الخشب (Pits, 4, 5, 20, 22, 26, 29) وفي حالة أو حاتين وجدنا عيدان قش من مكنسة سحرية كانت تكنس بها آثار أقدام من كان يוכל إليهم أمر الدفن (Pits, 21, 23, 27 & The Tombs of Wah and Hesem (Winlock, Deir Bahari p. 55, Pl. 14).

مقبرة الأميرة «نفرو» — فضلا عن الأمير «انتف» الذي كان مدفونا خارج الردهة الشمالية كان يوجد عضو آخر من الأسرة المالكة قد حفر قبره في الصخرة الشمالية قبل أن يقام أى جدار من الجدران المصنوعة من اللبن وهو «الأميرة» أكبر بنات الملك من جسده، زوج الملك المسماة «نفرو» التي وضعتها «اعح»، فلم تكن بنت الملك «سعنخ اب تاوى» وشقيقة «نب حبت رع» وحسب بل تزوجت هذا الأخير أيضا (Newberry, A. Z. 1936 p. 120; Winlock, Deir el Bahari pp. 56, 87, 101 Fig. 8 Pls, 13-14.) وفي شمال جدار الردهة المقامة من اللبن وعلى مقربة من وسطها أقيمت ردهة ضيقة لمقبرة لها ممر قصير مؤدى الى مقصورة مربعة قد زينت بإتقان، ويوجد ممر خارج من الركن الشمالى لهذه المقصورة يؤدى الى حجرة دفن كاذبة، ومن رقعة هذه الحجرة الأخيرة يتفرع ممر سفلى يؤدى الى باب على بعد ٤٠ مترا من السطح،

وخلف الحجر الرملى الضخم الذى يسد الباب حجرة الدفن وفيها التابوت ولم يعثر فيها إلا على نحو اثنى عشر تمثالا مجاوين وهم مصنوعون من الشمع أو الطين فى توايتهم ومغطون بأكفان من نسيج الكتان .

وكذلك عثر على خيط منفرد من الخرز سقط من اللصوص وكانت الحجر بعد ذلك خاوية تماما . ومن الجائز أن نجد اسم «نفرو» ثانية على لوحة مدير البيت «خنوم اردو» باسم آخر هو «نفروكايت» محبوبة الفرعون ، ووارثة الصعيد وبنت الملك وزوج الملك المحبوبة التى ورثت عن أمها ثروة طائلة مما جعلها سيدة القوم من الفتيين حتى «اشقاو» (افروديتو بوليس) ومن المحتمل أن «خنوم اردو» قد مات فى أوائل حكم «نب حبت رع» عند ما كانت «افروديتو بوليس» لا تزال الحدة الشمالى لملكة الجنوب ، أما الملكة نفسها فيجوز أنها قد عاشت بعد ذلك



شكل رقم ٧

معبد متوحب الثانى كما كان فى الأصل (رسم نافيل)

لندفن أخيراً في قبرها الواقع خارج معبد الملك مباشرة بالدير البحرى كما ذكرنا (Griffith in Petrie Denderah p. 52, Pl. XV; Lange und Schafer Ibid No. 20543; Newberry. P. S. B. A. 1913. p. 121 No. 20; and A. Z. 1936 p. 119.)

لوحة «خنوم أردو» — ولما كانت لوحة «خنوم أردو» لها أهمية تاريخية وأدبية أردنا أن نورد ترجمتها هنا رغم ما فيها من العقد اللغوية التي امتاز بها هذا العصر :

قربان يقدمه الملك الى «أوزير» سيد «بوصير» والى «ختى امتى» رب العرابة فى ومر، وألف من كل شىء طيب الى حامل الخاتم والسمير الوحيد وثقة سيدته العظيمة، والذي يأتى على الدوام ليرتد والذي تعرف موافقه، نابت الخاتم، جميل المحصول، ممتاز المعاملة فى كل خطوة، رب الاحترام، عظيم اليد، ناجح ناصع الثوب، شريف الجسم، قدسى المنظر، عليم بطرق التنفيذ، مهذب القلب، ككلة أشراف، فهم القلب، ومسيطر على ما فى الجوف، طلق المحيا، ممن لا يسأل حتى يقول ما فى صدره، والذي يدخل قلب سيدته وحييها وقد وهبته كأنه مجلس عظيم فى النصح، وهو إنسان محبوب فى فم الناس، عظيم المكانة فى البيت العظيم، مدير البيت، المحترم «خنوم أردو» .

يقول : لقد كنت محبوباً من سيدتى وممدوحاً منها فى شأن اليوم وكل يوم ، لقد أمضيت حقبة طويلة من السنين مع سيدتى المحبوبة الملكة «نفروكايت» ولقد كانت عظيمة فى قواها ، مقدّمة فى مركزها ، عظيمة الأب ، كريمة الأم ، عماد هذه السماء لآبائها الأجداد ، أبرز من فى هذه الأرض الشمالية (؟) الوارثة بين أهل الصعيد . تأمل إنها كانت بنت ملك ، وزوج ملك كان يحبها ، ولقد ورثت عن أمها كل أرض مصر ريفها وصعيدها (؟) . أميرة القوم من أول الفنتين الى نهاية «أفروديتوبوليس» (المقاطعة العاشرة) من نساء وحكام فلاحين وأشراف من كل الأرض . ولقد أصبحت تحت سلطة بيت سيدتى حقارة أصلى ؟

لأنها عرفت تفوق عمل يدي وكيف أتى مهدت طريق الأشراف ولذلك وضعتني في دندره في مكتبة (؟) والدتها العظيمة المخطوطات ، البارزة في معلوماتها ، وعلى حجرة المشاورة العظيمة في الجنوب ، ولقد عملت فيها توسيعات ، وجمعت أكواما من الثروة لها ولم ينقصها أى شئ لعظم معلوماتي بالأشياء ، وقد نظمتها ، وجعلتها أحسن حالا مما كانت عليه من قبل ، وقويت ما وجدت متداعيا ، وحزمت ما وجدت مفككا ، وآمنت ما وجدت ناقصا ولم أهمل كل الأعياد التي وجدتها في هذه الضيعة (في هذا البيت) فأسست الضحايا اليومية ، وأقيم كل عيد في وقته لأجل صحة سيدتي « نفروكايت » أبد الأبدين ، ونظمت بيتي على طراز حسن ، فوسعت كل ردهة فيه ، وأعطيت المئونة من يسألها ، والكلاء لمن لا أعرف مثل من أعرف رغبة في أن يكون اسمي حسنا في فم من على الأرض ، وكنت في الواقع شريفا عظيما في قلبه ، وثابتا ، حلو الرغبة ، ولم أكن سكيما ، ولم ينس قلبي ، ولم يتقم على بسبب ما وضع في يدي ؟ [وإن قلبي هو الذي جعل مكاني بارزا ، وكان خلق هو الذي جعلني أستمري المقدمة ، ولقد فعلت وحقا فعلت كل هذه الأشياء ، تأمل ! لقد كنت إنسانا في قلب سيده ، وكنت جادا ، ومكنت ما يحيط بي ، وتعلمت كل عمل تنظم به الضيعة ، وأرسلت المدد لي وجدته قد تداعى قائلا : تأمل ! إنه لحسن جدا أن يعمل الإنسان أحسن الأشياء التي في قلبه لسيدته وهي أنفخ آثاره ، ولقد أقمت لها هراما عظيما من كل الأشياء الغالية التي تعمل في وقتها ، ولقد أظهرت كل حسن في هذا المكان ، ولقد فقت كل أقراني . وإذا كان قد شرع في أى شئ في هذه الضيعة فإنى أنا الذي فهمته ، وإنى على رأس القوم وشجرة شريفة صنعها الله ، فقد جعلني ممتازا بتدييره ، وعظيم الشرف بعمل يده (؟) وكانت رئيسى سيدة أرض الجنوب بمشابة أساس عظيم لهذه الأرض (؟) ليت روحها يبقى طويلا على العرش العظيم ، وليتها تعيش ملايين السنين مثل رع خالدة مخلدة .

قربان للسحق « خنوم اردو » فى عيد « واح » وعيد « تحوت » وفى ... ،
وفى عيد سوكار (؟) وفى عيد الحرارة ، وفى عيد أول السنة ، وفى العيد الكبير
وفى عيد الخروج وفى كل الأعياد . دع اليد تمد له بالقربان الذى يوضع أمام
« حتحور » ، وليت المنعمين فى « برور » يجعلونه مقدسا وكهنة السلم
المفخم ، وليت الطرق التى نحتها تفتح له فى سلام ، المحترم « خنوم اردو » يقول :
”لقد كنت إنسانا أدنى واجبه ، وكنت محبوبا من بنى الإنسان فيما خص اليوم
وكل يوم“ .

ولنتساءل عن مضمون هذه اللوحة الفذة فى ألفاظها الغامضة فى معانيها هل
ما يشير هنا إليه صاحب هذه اللوحة من أنه كان أمين مكتبة هذه الملكة التى قد
ورثتها عن أمها...حق؟ . إذا كان الأمر كذلك وإذا كان هذا هو المضمون الحقيقى
لهذا النقش فإنه قد أصبح لدينا كشف جديد عن المرأة المصرية وقيمتها الأدبية
فى هذا العصر الذى كان قد بدأ الكتاب يتسابقون فيه بتنسيق الألفاظ من جهة
والدعاية الى عهد جديد قوامه العدالة الاجتماعية من جهة أخرى . وبذلك يمكننا
أن نقول بحق إن المرأة قد أسهمت فى هذه النهضة بل أكثر من ذلك كانت من
العمد التى قامت عليها النهضة وذلك بتسهيل البحث للكتاب الاجتماعيين الذين
أشرنا إليهم فى الجزء الثانى من هذا الكتاب .

مقابر الأشراف — ودل الحفائر التى عملت حديثا على أن واهى الدير
البحرى كان مقسما بين أشراف هذا العصر بما يحتويه من مقابر عدّة منحوتة
فى الصخر ، فى الجانب الجنوبى منه كان مدخل مقبرة الأمير والحاكم ، وحامل
الخاتم الملكى ، وخازن المالية والمشرف على مدينة الأهرام ... « داجى » وقد
كان يحمل طائفة أخرى من الألقاب التى تدرج فى مدارجها حتى وصل فى النهاية
إلى الوزارة .

وقد ظن البعض أن هناك وزيرين بهذا الاسم وذلك خطأ .

Naville, XI Dyn. Temple I, 6. Brit, Mus. 43, 123)

وفى وادى العساسيف توجد عشرة مقابر بدون رواق أمامها غير أنها لا تقل فى فخامتها وعظمتها عن مقبرة « داجى » فقيرة حامل الخاتم ورئيس الخزانة « خيتى »^(١) كانت فى الجهة الغربية ، ومقبرة خازن المالية « مرو »^(٢) كانت فى الجهة الشرقية ، وبين هاتين المقبرتين كانت المقابر الأخرى ؛ فثلاث منها تحمل الأسماء التالية على التوالى : مدير البيت « حنو » وخازن المالية « حورحنت »^(٣) والوزير « أبى »^(٤) وكان « خيتى » يعمل فى وظيفته طوال حكم هذا الفرعون لأن اسمه وجد على لفائف « عاشيت » وكذلك على لفائف « أمونيت » « وبي » وكان يشغل وظيفة قاض ووزير وقد وجد حجر فى المعبد عليه اسمه بلقب وزير !

(Naville, IX Dyn. Temple I, 7) ;

ومن الجائز أنه قد دفن فى قبر آخر من المقابر العظيمة التى فى هذه الجهة . ونجد أسماء معاصرة فى مقابر هؤلاء العظماء وبخاصة فى المدافن الصغيرة فنجد اسم « متوحتب » واسم « انتف » وهو ما نتظره فى هذه الفترة تيمنا بأسماء الملوك وهذه عادة شائعة فى كل عصر وفى كل بلاد العالم على وجه التقريب ، وكذلك نجد اسم « حنتو » يطلق على الرجال والنساء ونجد النساء يتسمين باسم « حنى » و « حتبى » و « إت » و « إت سنب » و « إيوى » و « مريت » و « نيت يونيت » و « نيت أوتف » و « ننوس » و « ررهنو » و « ست إشتك » أما أسماء الرجال فكان من بينها اسم « ددو » و « حابى » و « حتب » و « حتبى » و « حسم » و « أنحورحنت » و « إحى » و « ماجابى » و « نب اوتف »

(1) Winlock, Deir el Bahari Index, Fig. 7 Pls. 15, 16, 36.

(2) Ibid pp. 118, 123, Pl. 15; Lepsius, ibid Vol. II pl. 148.

(3) Tomb No. 314, Winlock, Deir el Bahari pp. 55, 57, 123. Lacau ibid No. 28023.

(4) Winlock, Deir el Bahari pp. 55, 98, 123, 227, Fig. 6.

« نب سنى » و « نفرحتب الراى » و « نسو إقر » و « بىي » و « سى حابى »
و « سبك حتب » و « سبك نخت » .

(Winlock, Deir el Bahari p. p. 55, 72, 129 Pls. 14, 35; Carnavon & Carter, Five Years Explorations p. 80 Pls. LXXV-LXXVI)

على أن أهم طائفة من الأسماء هى التى وجدت مكتوبة على أكفان الجنود الذين

وجدوا مدفونين معا حوالى سنة ٢٠٦٠ ق م (Winlock, Deir el Bahari p. 123 Pl. 21)

فمثلا نجد هناك الاسم «أمونى» والاسم «سنوسرت» قبل عدة أجيال من ظهور الأسرة الثانية عشرة حينما سادت التسمية بهما، وكذلك نجد أن الأسماء المركبة تركيبا مزجيا باسم الإله سبك قد عرفت منذ قرنين قبل أن يدخل اسم هذا الإله فى تسمية الملوك — «سبك نخت» ، «سبك حتب» و «سبك رع» — هذا ونجد الأسماء «أنتف» «واتنف إقر» و «متو» و «شماى» و «سى اب» على أكفان أولئك الجنود . وأخيرا نجد على أحجار من المعبد أسماء خازنى المال «نخت» و «مسى» و «قريرى» و «أبت» و «خيتى» آخر (Navelle, XI. Dyn Temple I, 6)

وقد نحت قبر «داجى» فى النهاية الشمالية من تل «الشيخ عبد القرنة» .
(راجع شكل ١) حيث نجد الصخرة قد مزقت بسبب عيب فيها لدرجة أنه قد اضطر الى تسقيف جزء من الردهة بالخشب كما أن المزار قد غطيت جدرانها بالمباني ، ويظهر أن حجرة الدفن كانت قد تمت ، وتابوته الذى كان قد نحت قبل أن يصير «داجى» هذا وزيرا وضع فى حجرة لا تتفق مع مظهر القبر الخارجى .

وصف مقبرة «خيتى» — وقد كانت مقبرة «خيتى» التى تقع فى عرض الوادى مشهورة لذاتها، وكذلك لصاحبها وبقيت مشهورة حتى عهد «رعمسيس الثانى» .
(Winlock, Deir el Bahari p. 68 Fig. 7. Pls. 15, 16; Steindorff & Wolff, ibid 26; Brunner, Die Anlagen der Agyptischen Felsgraber pp. 70, 87)

وكان على الانسان ليصل الى هذه المقبرة أن يتسلق متزلقا مائلا يكتنفه جدار

من كلا الجانبين ، وعلى هذه المقبرة صفان من المخاريط المصنوعة من الفخار

لتمثل نهاية قطع خشب السقف (Winlock, Deir el Bahari p. 127 Pl. 12) وفي وسط المدرج المصنوع من اللبن المؤدى للزار وضعت مائدة قربان من الجرانيت حتى يستطيع الماز أن يصب للتوفى شرابا أو يترك له رغيقا من الخبز ولو كان باب المزار مغلقا ، وإذا فتح استطاع الإنسان أن يسير في ممر ضيق أحكم نقشه مؤدي الى مزار مزين بالألوان . ولقد كان من النادر أن يزین الجزء الخاص بعامة الزوار وإذا اتفق أن رجلا مثل المشرف على الحرم المسمى « زار » الذي كان يتمسك بأهداب القديم زين قبره بالألوان أحدث ذلك ضجة وتأثيرا رديئا في الرأي العام (Ibid p. 204, Fig. 11 Pl. 17)، وكان يضع آثرون لوحات كبيرة من الحجر الجيري في جدران المزارات فإذا كان صاحبها من أهل اليسار مثل « حننو » وضع أربعا منها .

وتدل الظواهر على أنه كان لا يوجد بعد مزار القبرشيء ، غير أن اللصوص الذين نهبوا قبر ختي كسروا الجدار الخلفي ومرتوا في حجرتين وهميتين للدفن ، وأخيرا نزلوا من الحجرة الثانية في ممر ملتو على نفسه ثانية حيث كانت حجرة الدفن وقد كانت هذه الحجرة مكسوة بالأحجار ومزينة بدقة ، وكان التابوت مخبئا فيها تحت رقعتها .

مقبرة « حور حنب » — أما في مقبرة « حور حنب » فإن المجارين الذين كانوا يختمونها قد صادقهم صخرة معيبة فتلافوها وقطعوا ممزا جديدا تحت المزار وفي نهايته نحتوا حجرة زيت بالنفوش (Lacau, ibid No. 28023) وقد دفن « مرو » في حجرة مزينة على مستوى الممر ولكن معظم المقابر كانت طرق الدفن فيها أبسط بكثير من ذلك تشبه طريقة دفن الوزير « إبي » ، ولا يوجد في بعض القبور إلا خيئة واحدة أو عبارة أخرى حجرة دفن واحدة على حين أن مقابر أخرى تحتوي على نحو عشرين ، ويظهر أنها كانت أضرحة عدة أجيال لأشخاص من الطبقة الوسطى ، وكانت توجد مقابر أخرى مثل مقابر الجنود أو الخدم المتنازين من خدام

البلاط وهي سراديب تحت الأرض كانت يحتوى كل منها على نحو عشر حجرات للدفن وكلها من العصر نفسه

التمائيل الخشبية — وكانت التماثيل المصنوعة من الخشب توجد في هذا العصر في كل مكان غير أنها ليست ذات قاعدة من الحجر كما لوحظ ذلك في قبر «ختي» وقد عثر على آثار خمسة تماثيل في هذا القبر كذلك ، غير أن بعضها كان صغيرا جدًا يصح أن يطلق عليه لفظة تصغير تماثل «تمثيل» (Winlock, Deir el Bahari p 130. Pl. 36) وفي ثلاث حالات كان يخصص قبر قائم بذاته لمثل هذه الدمى وموضعه فوق المدخل المؤدى الى حجرة الدفن الرئيسية ، ونجد في مقبرة «نفرحتب» الراى تماثيل جالسين (Ibid, p 71, Pl. 35) وقد بق لنا تماثيل ثلاثة من الحجر الجيري اثنان منها لمدير البيت «مرى» ويلاحظ أن أحدهما قد وضع ذراعيه متقاطعتين على صدره، أما الثانى فقد وضع يديه على ركبتيه . وهناك تماثل ثالث لشخص يدعى « أقر » نحت في وضع مثل الأول ، وكلها مستخرجة من جانب الجبل الواقع شمالى العساسيف (راجع : British Museum, Third and Fourth Egyptian Rooms (1904) p. 92; Hall & King, Egypt and Western Asia p. 320; Carnavon & Carter ibid p. 23 Pl. XVIII.)

ومن الآثار التى تنسب الى عهد هذا الفرعون كذلك قاعدة تماثل لشخص يدعى « متونخت » حسبما جاء فى النقوش التى سجلت فيها . وكذلك عثر على عدد من اللوحات فى هذه الجهة كشفت عنها بعثة طليانية (Schiaparelli, Museo Arche- ologie di Firenze, No. 1710, 1767, 1770, 1773, 1774.)

التحنيط فى هذا العصر

وقد كشفت لنا محتويات بعض مقابر هذا العصر عن ناحية هامة فى عادات الدفن والمراسم الجنائزية ، بقيت بعدها مستعملة طوال العهد الفرعونى . وذلك أن أهم ما كان يصبو إليه المصرى حتى العهد الذى نحن بصددده هو أن يحافظ على جسمه فى القبر ليحيا حياة ثانية فى عالم الآخرة ، فكان يعمل مدة حياته ما يضمن له ذلك

في آخرته ، وبخاصة أنه كان يأخذ العدة لتحنيط الجسم ، فكانت حرفة التحنيط رغم اعتبار محترفها نجسا من أهم الحرف لأن ما يقوم به صاحبها من العمل كان وسيلة تؤدى الى الحياة الأبدية ، إذ كانت يخاف المصري انحلال جسمه فتترك روحه المسادية لأموى لها . وقد دلت الحفائر التي عملت في الدير البحري من عهد الأسرة الحادية عشرة على تأييد ذلك ، فقد عثر على حجرة تحنيط الوزير «إبى» مختومة لم تمس بعد وتقع بالقرب من قبره ، وقد بقى لنا منها بعض أشياء تعد فريدة في بابها .

فلقد جهز هذا الوزير هذه الحجرة بكل سخاء من منسوجات ، وعقاقير ، وزيت عطرية ، ونشارة وأوان من الفخار عديدة تفوق ما يحتاج إليه عادة لتحنيط الجسم . وقد استحضر كل ذلك في هذه الحجرة استعدادا لليوم الذى سيعنط فيه ، يضاف الى ذلك أنه وجدت كذلك مغسلة من الخشب طولها سبع أقدام وعرضها أربع أقدام وهى فى شكلها تشبه المشرحة الحديثة ، وقد حليت أركانها الأربعة بتعاويد أربع تمثل كل منها علامة الحياة . وكذلك وجدت ضمن محتويات الحجرة آلة سحرية لم تفصل الى معرفة كنهها بعد ويعتقد أنها ذات مفعول سحرى عظيم . وقد كانت العادة أن تقرأ بعض التعاويد السحرية المخصصة لهذا المقام ، ويدلك الجسم بالزيت ويمسح بالأملاح التى وجدنا آثارها لا تزال على المشرحة . وبعد تحنيط الجثة (جثة «إبى»^(١)) وتكفينها يجمع كل ما لامسها اعتقادا منهم بأن استيلاء العدو على شئ من ذلك وإن كان شعرة من رأس يعتبر سلاحا سحرى يؤذى المتوفى . من أجل ذلك كانت كل الخرق القذرة والفخار المهشم وما تبقى من الأملاح والخشب وعلامة الحياة والآلة السحرية تجمع كلها وتوضع فى نحو ٦٧ جرة كبيرة ، ثم تختم وتوضع فى حجرة تحنيط الوزير . وتدل ظواهر الأمور على أنه كان لزاما على القائمين بهذه العملية أن يحضروا هذه المواد على أربع دفعات من الحاضرة الى المقبرة إذ وجد ثمانية عشر جبلا لحل هذه الجرار وذلك يقتضى قطع المسافة على أربع مرات ، وقد وجد مثل هذه الحجرة

(1) Winlock, ibid pp. 72, 124, pl. 20 .

فى عهد الأسرة الثامنة عشرة ، ووجدت فىها كل هذه الأنواع التى ذكرناها ، وزيد عليها أن كل آنية قد كتب عليها بالمداد الأسود محتوياتها .

وكان يعتقد أن ما يمسر على المخطط القيام به وتمجزه عنه مقدرة ومهارته يستطيع الكهنة أن يدركوا تحقيقه بما لديهم من التعاويذ السحرية ، فثلا كان يمكن الساحر فى هذا العصر أن يصنع موبية سحرية من الشمع ويقرأ عليها تعاويذ خاصة فتقلب الى الصورة الحقيقية التى تمثلها وبذلك يمكن أن تحمل محل الجسم إذا كان قد هشم رغم الاحتياطات التى اتخذت لحفظه . وقد عثر فعلا على موبية من الشمع موضوعة فى صندوق صغير من الخشب لرجل يدعى «سيوه» عاش فى خلال الأسرة الحادية عشرة ، وقد عثر على هذا التابوت الصغير فى ردهة معبد الملك «متوخب» ويحذر بنا أن نلفت النظر هنا الى أن هذه التماثيل الصغيرة المصنوعة من الشمع هى السابقة لتماثيل المجاوين التى انتشرت فيما بعد مع فارق هو أن الأولى كانت تصنع لتمثل المتوفى نفسه ، أما الثانية فكانت لتمثل خدامه الذين كانوا يقومون بالعمل المفروض على الشرايف للإله «أوزير» فى عالم الآخرة ، ولذلك سى كل منها «مجاوبا» لأنه يحمل محل سيده فى القيام بما فرض عليه من الأعمال التى تحتاج الى عناء ومتاعب جثمانية ، فكان الشرايف كان ينطبق عليه قول الشاعر :

علو فى الحياة وفى الممات * لحق تلك إحدى المعجزات

ما يوضع مع المتوفى

أما القربان التى كانت توضع فى المقابر فكانت تحوى على رموس وأحفاذ وضلوع من لحم البقر وكذلك كانت توضع فى المقبرة نماذج للنساء حاملات القربان آتيات بالمئون فى سلات كما كان يوضع أيضا مجازر ومخارز حيث كان يجهز القربان كما كانت تعد نماذج قوارب ليقوم المتوفى بسياحاته حتى لا يحبس الروح فى القبر طويلا .

وكان طيببو هذا العصر قوما مارسوا الحروب نحو قرن من الزمان ولذلك وجد في معظم مدافنهم القوس والسهم الطويلان . وقد وجدنا أحيانا نحو اثني عشر قوسا وأكثر من مائة وأربعة وأربعين سهما ، وإن كان المصري يعتقد أن وجود ستة أسهم معه في قبره كافية لحاجته . ولم نثر إلا على كئنتين وكانت الكئانة مصنوعة على هيئة أسطوانة من الخشب الخفيف المغطى بالجلد ، وكذلك عثر على سيور القوس وهي مصنوعة من الأمعاء المفقولة وكانت توجد عادة ملفوفة مهيئة للاستعمال ، وقد عثرنا على سهم واحد له زر مصنوع من الكئان يحتمل أنه كان مصنوعا لصيد الطيور الصغيرة بخاصة ، وكذلك عثر مع القوس والسهم على درقة من الجلد ، وقد وجد أحيانا ثمانو درقات كما هو الحال في مقبرة « ختي » ، هذا إلى قضب وعصى رماية وقبضة برت (بلطة) نادرة .

وأحيانا كان يعثر على دمية من الخشب مسطحة مثل المجداف وعليها نقط مستديرة من الطين على خيطان لتمثل الشعر (Ibid, p. 207 Pl. 38) وكانت تدفن هذه الدمية أحيانا مع الطفل وفي هذه الحالة كانت توجد بكل أسف متأكدة بدرجة عظيمة مما يدل على أن الطفل كان قد استعملها كثيرا في حياته ، وعند ما نجد عشر دميات أو عرائس جديدة لم يصبها إلا تلف يسير نرجع أنها كانت تعتبر حظيات ، ونجزم بصحة هذه الحقيقة عند ما نجد دمية واحدة فقط أو اثنتين مصنوعتين من الطين المحروق أو المطلي بالأزرق وقد كانت تدفن مع رجل كامل الرجولة كما هو الحال مع « نفر حنب » الراعى الذى عثرنا على مثل هذه الدمي مدفونة معه في القبر (Ibid, p. 72. Pl. 35) .

هذا وقد عثر على نماذج آلات وإزميل حقيقى تركه حجار خطأ ، وكذلك عثر على أداة (خرج) مصنوعة من الحبال ذات ناحيتين توضع على جانبي الحمار (Ibid, p. 123, Pl. 21)

ومن الأدوات الخاصة بالرجال التي عثر عليها في هذه المقابر انخبة والورق ، وكذلك جعارين نادرة وأشكال أخرى للأختام .

أما أدوات النساء فقد عثرنا منها على صابجات على هيئة العصا السحرية نحتت من أستان فرس البحر .

وكذلك عثر على حيوانات خرافية لتطرد الشياطين الذين جبلوا على مهاجمة الأطفال (Ibid, pp. 14, 207, Pls. 37. 39)

وقد كان كل من الرجال والنساء والأطفال أحيانا في حاجة إلى النعال المصنوعة من الجلد الغفل أو نماذج نعال مصنوعة من الخشب ، ومن الأشياء التي وجدت خلال هذا العصر في مقابر الجنسين المرايا التي كانت في العادة بدون مقبض ونماذج جعب المرايا وصناديق للزينة والمطور وأواني الكحل وسلات صغيرة ليوضع فيها كل ما كان المتوفى في حاجة إليه ، وكذلك وسادات الرأس أو سرير عليه وسادته ، وأدوات الكاتب وقد رسم عليها صور خشنة للحفار

(Ibid, p. 129, Pl. 37; Carnavon & Carter. ibid, p. 89 Pls.

LXXV — LXXVI).

هذا إلى أخشاب عطرية كانت تطحن لتكون عطورا ، ومناشف كان ، ورقع لعب

(Winlock, Deir el Bahri pp. 129, 206. Pls. 36, 37).



الملك سعنخ كارع . منتوحتب الثالث

٢٠١٩ . ٢٠٠٧ ق م

لقد عاش الأمير « انتف » بكرأولاد «نب حبت رع» حتى جاوز سن الكهولة ثم وافاه القدر المحتوم قبل والده، ولذلك آل الملك لأخ له يدعى «منتوحتب» وقد اشترك « منتوحتب » هذا في الحروب والغزوات التي شنّها والده على ملوك « هيراكليوبوليس » إذ نشاهده في منظر من مناظر معبد الدير البحري مرسوما خلف والده مباشرة ، بوصفه ابن الملك « منتوحتب » في ملابسه الحربية ويحمل برتا (بلطة) وقوسا (Naville, XI Dyn. Temple I, 7 Pl. XII b.) .

وعلى أثر وفاة والده تقلد الألقاب الفرعونية المعتادة وأسلوب الملك مسميا نفسه « حور - سعنخ ناوى - اف » (الذى يجعل أرضيه تحيان وصاحب الإلهتين « سعنخ ناوى إف » و) حور الذهبي « حتب » (السلام) ملك الوجه القبلي والبحري ، سعنخ كارع (الذى يجعل روح رع تعيش) ابن الشمس « منتوحتب » (Bisson de la Roque, ibid, p. 6; Petrie Qurneh. p. 5 Pl. VII.)

وفي القرون التالية كان اسمه ذائع الصيت فنجدّه في نقوش الكرنك يسمى «الإله الطيب رب الأرضين ، سيد القربان سعنخ كارع» المبرأ - وقد ذكرت هذه التسمية بعد ذكر اسم (نب حبت - رع) مباشرة (Prisse, ibid Pl. I; Sethe Urkunden IV p. 609)

وقد ظهر اسمه كذلك على لوحة « تبرى » التي عثر عليها في مقبرته بسقاره (Porter & Moss, ibid III. 192.)

وفي ورقة «تورين» نص عنه أنه حكم اثنتي عشرة سنة وقد كانت أعوام سلام وهدوء (Farina, ibid. p. 35 Pl. V; Winlock, J. E. A. 1940. p. 119)

إذ كان قد انقضى على السنين الأولى الطائفة بالعصيان والثورات من حكم (نب حبت رع) جيل وخلفها عهد سكينه واستقرار استمتع به «سعنخ كارع» حينما

تولى العرش وكان وقتئذ يناهز الخمسين من عمره ، وقد كان يذعن لأخيه الأكبر « انتف » الشطر الأعظم من حياته هذه قبل توليته الملك .

أعماله :

وقد كان هم الفرعون الجديد فى تنمية فنون السلم الذى يشد الرخاء عضده ، فأقام معبدا فى « إلفتين » قد بقى لنا منه قطعة حجر جبرى نقش عليه منظر يرى فيه ماذا صولجانه ليقدم قربانا لبعض الآلهة . ومقياس رسم هذا المنظر صغير غير أنه لم يبق لنا من عهد والده « نب حبت رع » ما يضارع الفن الذى فى هذه القطعة من حيث الإتقان والدقة إلا النزر اليسير (Cledat, Rec. de Trav. 1909, p. 64.) وإذا ما تركنا « إلفتين » متحدرين فى النهر حتى « أرمنت » الواقعة قبل مدينة الجبلين مباشرة نجد أنه قد أقام بعض المباني هناك إذ عثر على قطعة فى هذا المكان من المرمز نقش عليها اسمه الحورى ولقبه

(Brugsch, Thesaurus p. 1455 No. 85.)

آثاره — وكذلك وجدت هناك قطعة من الحجر الجبرى عليها نقش جميل يمثل الملك يرقص أمام الإلهة « وازيت » التى تعلن : ” لقد أعطيتك كل الصحة ، ولقد جعلتك تظهر على عرش حور “ .

(Williams, New York Historical Society Quarterly Bulletin April 1918 p. 17.)

وفى « طود » التى تقع قبالة أرمنت كان الفرعون قد بنى جزءا كبيرا من معبدها مما جعله يظهر فى منظر بهيج ويلاحظ أن الصور فى هذا النقش كانت صغيرة كملك القطعة التى عثر عليها فى الفتين ، غير أن فيها حلاوة ورقة وتفاصيل غنية فى دقتها مما يجعلها تضارع أحسن ما عثر عليه فى عهد الأسرة الثانية عشرة ، ولدينا من حجرة واحدة أجزاء من ستة أحجار قد رسم عليها الإله « متو » وزوجه « تنت » ونشاهد على الجدار الخلفى من الحجرة أن الملك قد رسم مواجهها لكل من « متو » و « تنت » اللذين ظهرا فى الرسم ظهرا لظهر ، وكذلك شوهد

في هذه القطع رسم قارب مقدس وفي مقدمته رسم رأس كبش وقد حمل هذا القارب أمام الإله « متو » وقد وجد من بين القطع التي أعيد استعمالها في بناء هذا المعبد بعد نصف قرن من عهد هذا الفرعون سقف حجرة عليه جزء من ألقاب « سعنخ كارع » وقطعة حجر نقش عليها اسم أمير ورأى يدعى « انتف » (Bisson de la Roque, *ibid*, pp. 62, 79, Fig. 32-57 Pl. XXI, 2—XVIII.)

أما في الكرنك فقد عثر « لجران » على جزء من تمثال صغير من المرمر لملك الوجه القبلي وملك الوجه البحري « سعنخ كارع » العائش مغلدا، وقد كتب اسمه على عروة حزامه .

ويلاحظ أن هذا التمثال نحت راكما مقدما لإناءين للإله [ولا نزاع في أن الإله المقدم له هذا القربان هو الإله « متو » ويحتمل أن هذا التمثال كان في معبده أصلا وإن كان قد كشف عنه بين هذا المعبد والمحراب الذي في معبد آمون] .

ونجد هذا الفرعون قد أقام لنفسه في « طيبة الغربية » على قمة عالية هيكلًا غريبًا رمزيًا محاطًا بجدار عال من اللبن (Petrie, Qurneh p. 4 Pls. IV-VIII.) وقد عثر على أجزاء من تابوت نموذجي في هذا الهيكل نقش عليه « حور سعنخ تاوى - اف » وسيد الإلهتين [سعنخ تاوى - اف]، حور الذهبي حنب ، ملك الوجه القبلي والوجه البحري [سعنخ كارع ابن الشمس] متو حنب العائش مغلدا . لقد عمل هذا للذكرى وقد نقش عليه صلاته الموجهة إلى الإلهة « حتحور » والإله « حور » .

أما في العراة المدفونة فنجد أن الأهلين هناك قد أقاموا بدلا من معبد الدولة القديمة المشيد من اللبن وهو الذي أصلحه « نب حبت رع » بناء جديدا من الحجر الجيري تبلغ مساحته خمسة عشر مترا مربعا، وعلى أية حال فإنه كان لا يزال مطبوعا بالطابع الريفي وإن كان قد زيد في مساحته عن ذي قبل، على أن أجله كان كأجل

معبد « طود » لم يمكث أكثر من نصف قرن . وقد بقي طوال هذه المدة بمثابة بيت روح « سعنخ كارع » .

(Petrie, Abydos 11, 12, 15, 33, 43, Pls. XXIII, XXV, LV.)

بعوثه إلى بلاد بنت ووادى الحمامات — ومن أهم أعمال هذا الفرعون العظيمة استغلاله محاجر وادى الحمامات وتمهيد الطريق من « فقط » الى البحر الأحمر لتسهيل طرق التجارة بين مصر وبلاد « بنت » وقد كانت محاجر وادى الحمامات معروفة للمصريين منذ الدولة القديمة ، غير أنها لم تستغل بطرق منظمة إلا فى عهد الأسرة الحادية عشرة . ولقد كان لازما على الفراعنة أن يخضعوا بدو الصحراء الشرقية أولا حتى يتيسر لهم الوصول إلى مآربهم ، ولذلك أخذت البعوث التى ترسل إلى وادى الحمامات صبغة حربية كما سنشير إلى ذلك بعد . فأرسل فى السنة الثامنة من حكمه القائد « حنو » حامل خاتمه فى بعثة إلى بلاد « بنت » . فسار بجيش يبلغ عدده نحو ٣٠٠٠ مقاتل واتخذ طريقا حفر فيه عدّة آبار حتى وصل إلى البحر الأحمر وكذلك جهز سفينة هناك قامت بالرحلة إلى بلاد « بنت » وعادت محملة بالطرف والتحف التى أحضرتها من هذه الأقطار ، وفى عودته إلى البلاد المصرية مرّ « بوادى الحمامات » واستخرج منه الأحجار النادرة وحملت إلى مصر وقد ترك على صخور هذه المحاجر نقوشا طويلة عن تفاصيل هذه الحملة نوردها هنا بنصّها :

« السنة الثامنة ، الشهر الأول من الفصل الثالث « أى الشهر التاسع » اليوم الثالث يقول « حنو » خادمه المحفوظ حقا ، الذى يفعل كل ما يمدحه كل يوم ، وحامل الخاتم الملكى ، والسمير الوحيد والمشرف على ما وجد وما لم يوجد بعد ، مدير المعابد ، ومدير المخازن ، والبيت الأبيض (المالية) ومدير كل ما له قرن وحافر ، ورئيس محاكم العدل الست ، وصاحب الصوت العالى عند إعلان اسم الملك فى يوم ردع والذى يسرّ قلب سيده بوصفه حارس باب الجنوب ،

والمشرف على إدارة مقاطعات الجنوب رئيس المالية والذي يقهر « الهينو » (سكان جزر البحر الأبيض) والذي أتى إليه الأَرْضَان خاشعتين ، والذي تقدّم إليه كل إدارة تقريرها ، ولبس الخاتم الملكي ، والسمير الوحيد ، ومدير البيت : لقد أرسلنى سيدى له الحياة والسعادة والصحة لأبعث بسفينة إلى بلاد بنت لتحضر له عطورا « مرا » جديدة من المشايخ المسيطرين على الأرض الحمراء ، وذلك لأن خوفه كان فى الأراضى الجبلية ، ولقد خرجت من فقط على الطريق الذى أمر بها جلّالته وقد كان بصحبتي جيش من الجنوب ... مقاطعة الغزال وتبتدئ من هنا حتى « الجبلين » ونهايتها « شات » وقد انضم إلى كل وظيفة فى بيت الفرعون ، وكذلك أولئك الذين كانوا فى المدينة والحقل ، وقد كان الجيش يمهّد أمامنا الطريق قاهرا أولئك الذين كانوا غير موالين للملك ، وقد قام الصيادون وأبناء الجبال حراسا لهم ، وقد وضع كل طائفة مستخدمين لجلّالته تحت سلطتى ، وقد بلغونى عن السعاة وصنى أنا الوحيد الذى يقود (الحملة) ويصنى إليه .

ثم سرت بجيش قوامه ٣٠٠٠ رجل ، ولقد جعلت من الطريق نهرا ، ومن الأرض الحمراء (الصحراء) حقلا وذلك لأننى أعطيت قرية ماء وقضيبا لحمل الأمتعة وإناءى ماء و ٢٠ رغيفا لكل فرد فى كل يوم وكانت الحمير محملة بالأنقال .

ولقد حفرت اثنتى عشرة بئرا فى العشب وبئر فى « إدايت » إحداهما عشرون ذراعا مربعا والأخرى واحد وثلاثون ذراعا مربعا وحفرت ثالثة فى « باهيت » ذرعها ٢٠ × ٢٠ فى كل جانب من جوانبها وبعد ذلك وصلت إلى البحر الأحمر وبنت هذه السفينة ، وأرسلتها بكل شئ وأقمت من أجلها قربانا عظيما من الماشية والثيران والغزلان .

وبعد أن عدت من البحر الأحمر نفذت أمر جلّالته وأحضرت إليه كل الهدايا التى وجدتتها فى أعظم أرض « الإله » وعدت عن طريق وادى الحمامات ، وأحضرت له قطع أحجار نغمة للتماثيل الخاصة بالمعبد ، ولم يحضر مثلا قط لبلاط الملك ، ولم

يعمل مثل هذا على يد ثقة للفرعون أرسل منذ عهد الإله ولقد فعلت ذلك لجلالته
لأنه كان يحبني حبا جما ...

على أن ما يلفت النظر في هذه البعثة هو تموين ٣٠٠٠ رجل . حقا إن العشرين
رغيفا هي في الواقع رغفان صغيرة مستديرة ولكنها كانت تكلف المشرف على أمور
البعثة أن يورد ٦٠٠٠٠ رغيف كل يوم ، وسنرى فيما بعد أن «أممحات» كان جيشه
مؤلّفا من عشرة آلاف رجل فإذا كان تموينهم على هذا النمط كان لا بد لجنوده من
٢٠٠,٠٠٠ رغيف يوميا لتغذية هذا الجيش ، ولا شك أن في هذا درسا عمليا
مفيدا للأمم التي تعنى بتجهيز البعوث إلى البلاد الأجنبية ، وإنه لمن المفيد لهم أن
يأخذوا ورقة من الكتاب المصرى الخاص بتنظيم البعوث لتكون منارا لهم يهتدون
به في مجاهل الصحراء في العناية برجالهم ، إذ الواقع أننا في الوقت الحاضر نفضل
أن نسرف في الرجال وتهاون في أرواحهم ، أما المصرى القديم فكان بعيد النظر
يحافظ على حياة رجاله بالعمل على راحتهم في المسالك الخطرة ، وإمدادهم بكل
ما يكفل راحتهم وسعادتهم كما تنطق النقوش بذلك (Cuyat et Montet, ibid

No. 114, Pl. XXXI; Breasted, A. R. Vol. I par. 437 — 33.)

حالة البلاد الزراعية والاجتماعية

والظاهر أن مدينة « منف » التي يحتمل أنها كانت تسمى « دد أسوت »
باسم هرم الملك نبي (Winlock, Deir el Bahari pp. 58, 61. 65.) قد بقيت
المركز الإداري للبلاد ، وقد استولى الطيبون على ممتلكات هناك وبخاصة
عليه القوم منهم ، وقد كشف لنا الغطاء عن هذه الحقيقة مجموعة أوراق عثر
عليها في مقابر « طيبة » من هذا العصر وهذه الأوراق لها أهمية خاصة
فضلا عن ذلك لأنها توضع أمامنا صفحة مجيدة عن الحياة الأسرية والحياة الزراعية
والاجتماعية في ذلك العصر الغامض وفيها تلميح عن نواحي الحياة الدينية ولذلك

وجدنا أن ثبت بعض محتوياتها هنا ليرى المصرى الحديث التشابه العظيم بين حياته الحالية وحياة أجداده منذ أربعة آلاف سنة مضت .

كان المصرى رغم تشككه الدينى فى هذا العصر وتحوطه للمحافظة على فبره ، لا يزال يبذل عن سخاء محافظة على بقاء روحه المادية (كا) فيجهز القبر بكل ما يحتاج إليه ، فإذا كان المتوفى من أصحاب اليسار ومن المقرين إلى الفرعون وقف الضياع على روحه وأقام القربان لروح المتوفى فى المواسم والأعياد من ريع هذه الضياع . وقد كان لزاما على الكاهن أحيانا أن يسكن فى مزار مقبرة المتوفى مدة من الزمن ليل نهار (وهذه عادة شائعة فى مصر الآن) ولذلك كان يضطر أن ينقل معه بعض أوراقه الخاصة ليقوم بدرسها وقت فراغه فى المزار ، وقد أسعد الحظ الأستاذ « ونك » فعثر على بعض هذه الأوراق بعد أن مضى عليها أربعة آلاف عام وكانت تعد من المهملات ، وقد وجدنا فيها أن كاهن الروح الطيبى الأصل كان يفكر فى أشياء أخرى خارجة عن نطاق الأمور الدينية التى تصورها لنا دائما بعض مناظر القبور . وأول مهملات من هذا النوع عثر عليها كان فى شق طبيعى فى مقبرة صغيرة بالقرب من مقبرة « حورحنب » بمقابر الدير البحرى إذ عثر على بمض من الفخار كتب عليها كاهن الروح مذكرات بقطعة من الفخم وكذلك عثر على قطع بردى وكتب عليها أناشيد دينية وعلى ظهرها كتب حساب قمح أعطى اثنى عشر رجلا مختلفين ومن بينها كذلك ورقة أخرى كتب عليها حساب قمح وشعير وبلغ صرف جراية للجيش . ومن المحتمل أن هذه كانت ضرائب يجمعها كاهن روح « حورحنب » بصفته المسيطر على أوقاف القبر .

وفى مقبرة « مكرتع » التى سنتكلم عنها فيما بعد عثر على حزمة من ورق البردى المهشم فى حجر فى الطريق المؤدى إلى باب مزار المقبرة . وعند فحص هذه الأوراق وجدت أنها تحتوى على نصف من قوائم وبيانات عن أرض قد أعطاها الملك (له الحياة والصحة والعافيه) خادم الروح ، وهذه بلا شك كانت الأوقاف التى منحها

الفرعون للقرب « مكترع » . وقد وجد مع هذه الأوراق خطاب كتب على طريقتنا المصرية الحالية التي نشاهدها عند عامة الشعب في مكاتباتهم، إذ نجد أن ثلث الخطاب قد خصص للوضوح الأصل ، وثلثه الآخرين للتسليات والتحيات بألفاظ منمقة ولهذا الخطاب أهمية أثرية عظيمة إذ أن صاحبه كان يتنهل فيه لألهة « منف » و « هراكليو بوليس » (إهناسيه المدينة) مما يدل على أنه كتب في الجهة الشمالية من القطر .

رسائل (حقانخت)

وأهم من كل ما سبق الرسائل التي عثر عليها لكاهن الوزير « إبي » المسمى « حقانخت » وكان الوزير قد وقف على قبره ضيعة في بلدة « دديسوت » بالقرب من « منف » (يحتمل أنها منف نفسها) وضیعة أخرى في الجنوب بالقرب من مدينة « طيبة » . ويظن الأستاذ « ونلك » أن « متوحتب الثاني » قد استولى على هذه الأراضي الشمالية بعد انتصاراته على مملكة « إهناسيه » وقسمها بين أتباعه الذين أظهروا له إخلاصهم التام . وإن تقسيم هذه الأملاك الموقوفة كان يلزم كاهن الروح « حقانخت »^(١) أن يقوم برحلات متعددة طويلة الأمد في الدلتا، وفي أثناء انتقالاته هذه كان ينوب عنه ابنه الأكبر « مرسو » في الإشراف على ممتلكاته الواقعة في « طيبة » وكذلك كان يقوم بدلا عنه في كهانة الروح في مقبرة « إبي » على أن « حقانخت » المسن لم يهمل الكتابة لأسرته مدة غيابه في الوجه البحري وقد كان في غربته يهتم بإدارة بيته فكان يكتب ابنه ، وقد عثر على هذه الرسائل ضمن المهملات . وتعدّ أوراق « حقانخت » من أهم الكنوز التي عثر عليها في حفائر « طيبة » من عهد الأسرة الحادية عشرة ، ولم يتم بعد درسها درسا وافيا ، على أن ما نعلمه منها حتى الآن يصور لنا الحياة المصرية من الناحية الزراعية والناحية الأسرية منذ أربعة آلاف

(1) Bulletin Metropolitan Museum of Art Part II (1921-22) p. 37 f.f; Fig. 31, 32 & J. E. A. X. (1924) p. 15.)

سنة . ويمكننا أن نعتبرها أبسط وأصدق صورة صوّرها المصري بنفسه عن حياته الريفية بكل ما فيها من محاسن ومساوئ، والرسائل كلها في موضوع واحد عدا رسالة واحدة من ابنة لأُمها . وفي نهاية هذه الرسالة تقول الابنة لأُمها : ” بلنى سلامى إلى « جر » منعه الله الحياة والصحة والعافية ، ولا تجعله ينسى الكتابة إلى عن أحواله “ والظاهر أن الوالدة رأت أن أحسن وسيلة لتوصيل رسالة ابنتها أن تحو عنوان الخطاب الذى جاء باسمها وتكتب بدلا منه إلى مدير البيت « جر » .
أما باقى الوثائق السبع فهى كما يأتى :

قطعة صغيرة، وثلاث رسائل، والثلاثة الباقية قوائم حسابات كاملة، ويوجد بين الخطابات رسالة مخطومة ومعنونة وملفوفة كما طواها كاتبها .

وثائق الحسابات كلها خاصة بأملاك الكاهن « حقانخت » . وقد كانت هذه الوثائق موضع حيرة عند حلها إذ وجد أن بعضها قد عنون كما يأتى : كاهن الروح « حقانخت » يرسل هذا إلى أسرته فى « تبسبت » ورسالة أخرى مخطومة معنونة إلى المشرف « رع نفر » من « حقانخت » وقد كان وجه الغرابة هو أنه كيف يتفق أن هذه الرسائل يرسلها « حقانخت » إلى مكان مفروض أنه موجود فيه ؟ ولكن اتضح كما أسلفنا أن « حقانخت » كان صاحب أوقاف مقبرة الوزير « إبنى » وقد كان جزء من هذه الأملاك فى الدلتا وكان يذهب « إبنى » من وقت لآخر ليشرف على إدارة تلك الضياع، وبالموازنة وجد أن الرسالة التى كتبها « إبنى » إلى « رع نفر » تشبه من كل الوجوه الرسالة التى وجدت فى مقبرة « مكت رع » فقد كتب بخط كاتب واحد . هذا إلى أنه اتضح من رسالة أخرى أن الأسرة كان لها غلال فى بلدة « دديسوت » إحدى ضواحي « منف » كما اتضح أنه كان لها ضيعة أخرى بعيدة عن « منف » وبعيدة عن « طيبة » وقد كان السمر فى تلك الفترة إلى « منف » متعبا، وكانت زيارات « حقانخت » لهذه الضياع تستغرق نحو ثمانية عشر شهرا أحيانا ، ولذلك كان يرتب أعماله الأسرية بدقة وعناية قبل

الشروع في السفر ، وقد عين ابنه الأكبر « مرسو » مديرا لأشغاله في بيته ونائبا عنه في كهانته مدة غيابه ، و « مرسو » هذا هو الذى أحضر هذه الوثائق لدرسه اوقت فراغه من أعمال الكهانة في مزار المقبرة . وتدل الأبحاث على أن بلدة « تبسيت » كانت تقطنها الأسرة وتقع عند منعطف النيل بين بلدة « الجبلين » و « الرزقات » أى أنها على مسافة خمسة عشر ميلا من « طيبة » تقريبا .

وكان « حقا نخت » وقتئذ معتادا الذهاب إلى « منف » تاركا كل شئ في يد « مرسو » ؛ وقبل قيامه بأول رحلة نعرفها جمع في حضرته ابنه « مرسو » وولدين آخرين بالغين من أكبر أولاده ومعهم أمين أسرته وموضع ثقتهم « حتى » بن « نخت » ثم نشر على حجره وثيقة كبيرة من البردى وأخذ يفحص معهم مهام أموره . وقد كتب في بداية الوثيقة : السنة الخامسة من عهد الملك ، الشهر الثانى من فصل « شمو » (الصف) ، اليوم التاسع من الشهر . ولعمري فإن ذلك يشبه ما نكتبه الآن مثلا ١٤/٣/١٩٤٣ ، ولكن كان للثور على هذه القائمة في قبر لم يس بعد فضل في أنه أمكننا أن نعرف عن طريق الحدس أن المقصود من الملك الذى لم يذكر هو « متو حتب الثالث » .

ولم نفهم معنى كلمة شمو « صيف » قبل أن نصل إلى هذه النتيجة . والواقع أن فصل « شمو » عند المصريين نظريا هو فصل الحصاد ويقع بين ١٦ مارس و ١٣ يولية ، ولكن لما كانت النتيجة المصرية خالية من سنة كبسة كان كل فصل من فصول السنة يأتى مبكرا يوما كل أربعة أعوام حتى أنه في عهد « متو حتب الثالث » قد جاء في الحريف وهذا التاريخ يوافق تاريخ حكم هذا الفرعون تقريبا . بعد هذا التاريخ نجد العنوان الآتى : بيان عن شعير « حقا نخت » ؛ ثم يتفرع من هذا العنوان ما يأتى : عمله لابنه « مرسو » ؛ ثم « علف للثيران » ثم الشعير الذى حصل عليه « حقا نخت » لأجل أتباعه كل واحد منهم بقدر ما أعطاه بالشوفان (وكان يقدر قيمته بثلاثي قيمة الشعير) وكتب بالمداد الأحمر خوف الخطأ

في الجمع . بعد ذلك يأتى بيان عن الثيران التى أعطاها «حقانخت» ابنه منبوت هذا إلى ٣٥ رأسا من الماشية دؤنت تحت خمسة أنواع، وكذلك نجد الملاحظة الآتية . وإذا شكا إلى « منبوت » عن ضياع ثور فإن نصف ما يفقد سيكون مسئولا عنه هو و « حتى » بن « نخت » .

ولا نزاع فى أن «حقانخت» قد أجرى عمل حسابيه خوف ما عساه أن يحدث عند ما نظم أحوال بيته ؛ ونجد أخيرا بيانا عن الخبز الذى كان يعطى ابنه « مرسو » وكان مؤلفا من ثلاثة أنواع مختلفة ومجموعه ٧٠٠٠ رغيف . والواقع أن هذا العدد يظهر ضخما جدا، ولكن إذا لاحظنا أنه كان لا يختلف عن نوع الخبز الصغير الذى يصنع فى صعيد مصر ويربها للآن فإن دهشتنا لتلاشى ، ولا نعرف حال الأسرة فى خلال رحلة «حقانخت» الأولى ؛ ولما أراد «حقانخت» القيام بالرحلة الثانية فى السنة الثامنة من حكم الملك أحضر الوثيقة القديمة ثانية وكان لا يزال فيها متسع له ل يكتب فيها تقويم عقاره . وفى هذه الدفعة كان يستمد لرحلة إلى « منف » فى مايو أو يونيه لأن المحصول كان قد جمع وقدر بنحو ٥٥٠٠ مكيالا (بوشل) من الشعير والشوفان وهو ما بقى فى ذمة «مرسو» أو خزن عند ثلاثة عشر شخصا من الجيران ، ولكن الوقت لم يكن قد حان بعد لطحن الحبوب وخبزها فلم يدرج عدد الرغفان، وكذلك لم تدرج قائمة بالماشية فى الوثيقة، وإن كانت رسائل «حقانخت» تشير إلى شيء من ذلك . ويلاحظ أنه قد وضعت خميلة أشجار فى حيازة الأسرة لبيع مانما من خشبها . وبعد أن أتم ترتيب كل شيء فى داخلية بيته سافر «حقانخت» إلى «منف» و «دديسوت» فى الدلتا . وكان أول رسالة بعث بها «حقانخت» عندما عاد من «دديسوت» إلى ضياعه الأخرى القريبة من «منف» يقول فيها : «عند ما وصلت إلى هنا متجها نحو الجنوب»، وكان ذلك فى وقت الصيف ويدل على ذلك ما طلبه من «مرسو» قائلا : «أن أرسل إلى مقدار ٥٠٠ بوشل من القمح وما يملكك أن ترسله من الشعير وكذلك ما يزيد عن مئوتكم إلى أن يأتى

محصول الصيف " وكان يتدئ في ٢ سبتمبر . ويحتمل أنه كتب هذا الخطاب في أول أغسطس لأن الفيضان لم يكن بعد عاليا ليعرف منه مقدار حالته ، ولذلك نجد في الخطاب تعليمات خاصة بذلك إذ يقول : " أما إذا كان النيل حسنا " والواقع أن النيل قد أخذ في الارتفاع عند ما كان « مرسو » (في خلال تلك المدة يزرع محصوله الصيفي ، فقد كتب أنه يخشى ألا تحمل جسوره ضغط الماء فيفيض الماء على حقوله قبل أن يحصدها) وقد دعر كذلك « حقا نخت » فكتب في الحال بسرعة ، ولم يجر على عادة تبليغ السلامة والتحيات كما كان الحال في الخطابات ، بل كتب مباشرة قائلا : " الكاهن « حقا نخت » يخاطب « مرسو » ! أما من جهة فلاحه أرضنا فإنك أنت الذى تزرعها ! وستكون مسئولاً عن ذلك ، فعليك أن تجتهد في الفلاحة ، واحترس جدا ، وحافظ على كل ما أمتلك لأنك ستكون مسئولا عنه " وفي منتصف الخطاب عادت إليه وسأوسه ومسئولية ضياع المحصول والغلال فاندفع قائلا : " وإذا حدث أن أرضى غرقت عند ما يكون « منفرو » أخوك يفلحها معك هو و « انبو » فالويل لك و « لسيحتور » "

وقبل أن نتكلم عن رسائل « حقا نخت » الأخرى يجدر بنا أن نلاحظ هنا أن الخطاب الثانى الذى كتبه قد كتبه بعد عام من الخطاب السالف وفى خلال تلك الفترة كان مقيما فى إحدى ضياعه التى كانت فى الشمال . ولا شك فى أنه كان يكتب كثيرا أثناء غيبته إلى أهل بيته فى « نبسيت » يخبرهم بالكيفية التى يجب عليهم أن يتصرفوا بها فى الأمور عندهم . فمثلا نجد أنه يشير إلى خطاب أول سنة خاصا بالقربان لعيد أول يوم فى الشهر للإله « ختخانى » فى معبد الباب المزدوج وإلى خطابين خاصين بابنه « انبو » غير أن « مرسو » لم يحمل لنا الخطابات معه إلى المقبرة .

أما الخطاب الثانى الذى حملة معه « مرسو » ضمن تلك الوثائق فكان مؤرخا فى أول يوليه . وقد كان النيل فى الشتاء المنصرم منخفضا جدا حتى أن الحقول قد

انتابها القحط ولم تنتج محصولا، هذا إلى أن المخزون من العام الماضى قد نفذ وحل القحط بالبلاد إثر محصول ضئيل ، ولكن « حقا نحت » كان فى حالة هادئة هذه الدفعة فلم ينس كتابة السلامات والتعجيات التى يجب أن يتدئ بها الخطاب قال :

”إن الولد يتكلم لأمه ، وكاهن الروح يخاطب أمه « أبى » ثم « حبت » : كيف حالكم ، لكما الحياة والصحة والعافية بركة الإله « متو » رب طيبة ؟ وكل الأسرة كيف حالكم ؟ كيف حالكم فى الحياة أتمنى لكم السلامة والصحة ، لا تسفلوا بالكم بى ، إتنى طيب وفق صحة جيدة .

اعلموا أنكم كرجل كان فى سلف قد أكل حتى الشيع ولكنه أصبح ذا مسغبة حتى أنه يغمض عينيه ، والبلاد كلها تموت جوعا . لقد وصلت هنا فى الجنوب وقد جمعت لكم كل ما يمكن من طعام ، أليس النيل منخفضا ؟ والطعام الذى جمعته لكم يتفق مع حالة الفيضان ، فعليكم بالصبر أتم يا من ذكرت بالاسم لأنكم ترون أنى كنت قادرا على إطعامكم إلى هذا اليوم “ . وعند هذه النقطة يقدم لنا قائمة بأسماء الأفراد الذين تتألف منهم أسرته ويحدد النصيب الذى يستحقه كل واحد منهم من الطعام الذى يرسله ثم يستأق الكلام قائلا : ” ويجب عليكم ألا تفضبوا لما يحدث إذ الواقع أن البيت كله بما فيه من أطفال عبء على وكل شئ ملكى ، وأن صيشة التقشف خير من الموت كلبة ، والإنسان لا يمكنه أن يتكلم عن القحط إلا إذا كان هناك قحط فعلا ، وعلى أية حال فإن الناس قد بدموا يا كلون الرجال والنساء ! ولا يوجد فى أى مكان آخر أناس يقدم لهم طعام كهذا ، ويجب أن تعيشوا حتى عودتى ، وإنى عازم على تمضية فصل « شمو » (الصيف) هنا أو بعبارة أخرى حتى الثلاثين من شهر ديسمبر القادم “ . هذه كانت تعليماته العامة ، أما تعليماته الخاصة جدا فى نفس الخطاب فهى : ” إن « حقانحت » الكاهن يخاطب « مرسو » و « حيتى » ابن « نحت » معا : يجب عليكما أن تعطيا أهلى هذا الطعام فقط عند ما يقومون بما عليهم من الأعمال ، وعليكما أن تراعى ذلك واستغلا أرضى كلها بقدر المستطاع ،

واعملا بكل ما عندكم من جهد في فلاحه الأرض وذلك يجعل كل همكم في العمل ،
واعلموا أنكم إذا كنتم مجدين فإن الإنسان يدعوا الله لكم ، وإنى سأكون حسن الحظ
عند ما يكون في مقدورى أن أدعو لكم . وإذا عاف أى فرد من نساء أو رجال
الطعام فدعه يحضر إلى ليعيش كما أعيش “ ولن يحضر واحد منهم .

ونلاحظ أن إدارة شئون المزارع في « نيسيت » وما جاورها لما نصيب كبير
فيما يلى من هاتين الرسلتين ، ويمكن الإنسان أن يقدر على وجه التقريب موقف
(مرسو) من هذه الأمور عند ما حمل حزمة الرسائل التي نحن بصدددها إلى مزار
مقبرة «إبى» الوزير، ولا نذهب بعيدا فان التعليمات التي كان يجب عليه اتباعها قد
جاءت في الخطاب الأول من والده إذ يقول : ”مر « حتى » بن « نخت » أن
يذهب في الحال مع « سنبنوت » إلى بلدة « برحاما » لزراعة حقلي من أرض
مستأجرين على أن يأخذا قيمة أجرهما من المنسوجات التي نسجت هنا ويجب أن
تقول إن صناعتها غاية في الإتقان، ولكن دعهما يأخذاها، وبعد بيعها في « نيسيت »
دعهما يدفعا إيجار الأرض بثمنها، وطليك أن تجد أرضا، ولكن من غير أن تترط
في أرض شخص ما، بل عليك أن تستعلم من « حاو » الصغير، وإذا لم تجد عنده أرضا
فاستشر « رع نفر » فهو الذى يمكنه أن يرشدك للأرض الجيدة السهلة الرى
في « خبشيت » أما فيما يختص بما يمكن أن يعمل « حتى » بن « نخت » في « برحاما »
فاعلم أنى لم أميزه بأية مثونة، وجرابة الشهر هي أردب من الشعير لأسرته وسأعطى
أسرته نصف أردب آخر من الشعير في أول الشهر . وأعلم أنك إذا خالفت ذلك
فانى سأنتقص ذلك مما تأخذه أنت . أما فيما يختص بما قلته لك — أعطه أردبا من
الشعير شهريا فعليك أن تعطيه فقط أربعة أنحاس أردب من الشعير شهريا —
انهم ذلك “ .

واتفق أن « حاو » لم يكن عنده أرض ليؤجرها . على حين أن « رع نفر » كان
له حقل مجاور لحقل « حاو » فاستأجره كل من « سنبنوت » و « حتى » ؛ هذا إلى أن

«مرسو» قد دخل في معاملات أخرى في «برحاء» وكتب ملخصها في وثيقة عثر على نسخة منها بين الأوراق التي وجدناها في المقبرة، ويحتمل أن النسخة الأخرى قد أرسلت لوالده . وقد جاء فيها .

كان لحقا نخت غلال في بلدة «يوسبقو» في ذمة «أبي» الصغير وكذلك في بلدة «سبات معات» في ذمة «نحوى» بن «أبي» وقد نزل عنها «حقا نخت» في الخطاب الثالث إلى «رع نفر»، ومن جهة أخرى نجد في الخطاب الثاني ما يشير بإتمام مسألة «رع نفر» وبيع المحصول بمبادله بزيت . وقد أرسل الخطاب الثالث «حقا نخت» لهذا السبب ولا بد أن «سنبوت» و «حتى» قد سلماه إلى «رع نفر» حتى يتم هذا الموضوع، ولكن لسبب ما لم يصل هذا الخطاب لصاحبه أو أهله «مرسو» فترك محتوما كما وصل إليه .

أما الخطاب الذي أمر بكتابته «حقا نخت» بيد أحد الكتبة في «منف» والذي يجب إثباته هنا برمته فهو نموذج للرسائل التي تكتب بأسلوب أهل الحضر الذين يعيشون في المدن الراقية وهو :

خادم الضيعة وكاهن الروح (المادية) «حقا نخت» يقول : أرجو أن يكون حالك حال الإنسان الذي يعيش مليون عام ، وأتمنى أن يراك الإله «حريشاف» رب «إهناسية» وكل الآلهة الموجودين أيضا، وليت الإله «بتاح» الذي يسكن جنوب جداره بمنف يشرح قلبك فتحيا طويلا، وأتمنى أن يعزبك «حريشاف» رب إهناسية جزاء حسنا .

خادمك يقول : دع كاتبك — منحه الله الحياة والسلامة والعافية — يعرف أنى أرسلت «حتى» بن «نخت» و «سنبوت» بخصوص ذلك الشير والشوفان اللذين عندك . ويستطيع كاتبك (منحه الله الحياة والصحة والعافية) أن يتسلمهما دون أن يفرط في شيء منهما وذلك فضل منك إذا تكرمت بالقيام به . أما الثمن فضعه عند تسلمه في بيت الكاتب (منحه الله الحياة والصحة والعافية) إلى أن يأتي

من يتسلمه منه . واعلم أنى قد كلت هذا القمح بالميكال الخاص به ، وهو يملا مائة حقيبة تماما، واعلم أنه يوجد في «برحاء» ١٥ أردبا من الشوفان عند «نكسو» و ١٣ ¼ أردبا من الشعير عند «إبى» الصغير في بلدة «إسبكو» وكذلك يوجد في بلدة (سبات معات) ٢٠ أردبا من الشوفان عند «نحرى» بن «إبى» وعند أخيه «دشر» ثلاثة أرداد من الشعير فيكون المجموع ٣٥ أردبا من الشوفان، ١٦ ¼ أردبا من الشعير، وعلى من يملكه أن يعطينى ما يساوى مقدار ذلك من الزيت ولا بد أن يعطى مقابل كل أردبين من الشعير أو ثلاثة من الشوفان ميكالا «حبت» من الزيت؛ ومع كل فاني أفضل أن أسلم متاعى شعيرا. ولا تنس أن تكتب لى عن «نخت» وعن كل شىء يأتى إليك من جهته فهو يلاحظ كل أملاكى . وقد ذكر «حقا نخت» فى الرسالتين الأوليين أمورا تتعلق بالزراعة، فنجد أن الخشب الذى كان يؤخذ من غابات الضيعة قد بيع، وما كان يأخذه «سبنوت» أجرا له فى الخطاب الثانى كان من محصول بيع هذه الأخشاب . وكذلك كان «سيحتحور» مستأجرا قطعة أرض وكان يرسل إليه «حقا نخت» ٥ أرتال من النحاس ليدفع بها الإيجار المطلوب منه. هذا ويخبرنا «حقا نخت» عن موضوع إيجار آخر قد جعله «مرسو» صعبا عليه ، وذلك أنه أجرا الأرض وزرعها شعيرا فقط . ثم يخبره بأنه قد انتقص من شعير «حقا نخت» الجاهز عنده، ولذلك كتب له الأخير محذرا إياه ألا يقوم بأى تعد آخر .

على أن الجزء للفنك من خطابات «حقا نخت» هو ما جاء فيها تلميحا عن الحياة الأسرية وأظن أننا قد اقتبسنا فى الخطابات السابقة ما يجعلنا نعرف شخصية «مرسو» بن «حقا نخت» الأكبر؛ والظاهر أن «مرسو» كما يصفه والده تلميحا كان غيبا بعض الشىء وكان يشكو منه أحيانا ورغم كل ذلك كان يمكنه الاعتماد عليه فى أمور بيته؛ والواقع أن «حقا نخت» كان يتطلع إليه و إدارة أحوال أسرته المعقدة وحفظ النظام والطمأنينة فى بيته . وكان يساعد «مرسو» فى ذلك «سبنوت»

أخوه، و« حتى » أمين الأسرة، أما الابن الثالث « سيحتجور » فزاه في مناسبات غير مشرفة له ، ففي الخطاب الأول نرى أنه قد اقترح على « مرسو » اقتراحا أنار غيظ « حقا نخت » المسن ولذلك يقول الأخير: أما من جهة إرسال « سيحتجور » إلى بشعير جاف قديم من بلدة « دديسوت » وعدم إعطائي عشرة الأرباب من الشعير الحديد فاني لا أقبل ذلك بأى حال طبعاً . حقا إنك سعيدي بأكل الشعير الحديد، وأعلم أنى على البر، والقارب قد ربط في المرسى تماما . ولكنك عند ما تصل إلى الشاطئ ستفعل كل شيء خطأ، فان كنت قد أرسلت إلى بشعير قديم ليحل محل الحديد فما عساي أنا قائل ؟ إنه حسن جدا !!

وفي الخطاب الثانى أخبر « مرسو » أن يلاحظ « سيحتجور » في كل وقت يحضر فيه إلى البيت . وكان الإخوة الثلاثة متزوجين وكذلك « حتى » وكان لهم أولاد يقيمون في بيت الأسرة . في « نبيست » هذا فضلا عن وجود نساء وأطفال في بيت « حقا نخت » نفسه مما جعل عدد الأسرة يبلغ نحو الثلاثين نسمة على أقل تقدير، فكان هناك « أبى » وأمه وخادمتها وكذلك إحدى قريباته تسمى « حنبت » وكان معها ابن صغير يسمى « ماى » . وسواء أكانت « حنبت » هذه دخيلة أو عبثا على البيت فانا نعلم أنها كانت ممقوتة من « مرسو » ومن أجل ذلك كان « حقا نخت » مضطرا أن يكتب لابنه من أجلها : لقد أخبرتك ألا تباعد بين « حنبت » وبين صاحبة لها سواء أكانت قريبتها أم إحدى معارفها، واعتن بها، وإنى أتعلم أنك ستفعل في كل شيء تعمله بسبب ذلك ، هذا رغم أننى على يقين من أنك لا تريد ما معك .

وعلاوة على أبنائه الثلاثة المتزوجين كان « لحقا نخت » ولدان آخران هما « دانبو » و « سنفر » وكان كلاهما قاصرا لم يؤهله سنه للقيام بعمل جدى عند ما سافر « حقا نخت » في السنة الخامسة، ولذلك لم يظهر في قائمة الأقارب التى تركها في ذلك الوقت، ولكن في خلال رحلته الثانية نحو الشمال بعد انقضاء ثلاثة أعوام

على الرحلة الأولى كانا حاضرين في مخيلته فكتب قائلا "اعتن كثيرا بكل من «انبو» و «سنفرو» فتحيا معهما وتموت معهما، افهم ذلك".

وكان «انبو» أكبر الاثنين سنا مما جعله قادرا على أن يساعد «مرسو» و «سيحتحور» في زرع المحاصيل الصيفية التي كانت على وشك الفرق، وقد أشعر هذا العمل الولد الصغير بأن أخاه لم يعتن به تماما. ففى خلال مدة الشتاء شكّا من ذلك لوالده فأمر «مرسو» أن يعطى «انبو» ثانية ما فى ذمته، وكل شيء ناقص لابد أن يدفع عوضه، ثم قال ولا تجعلنى أكتب إليك فى ذلك مرة أخرى إذ قد كتبت لك مرتين بخصوص ذلك.

أما «سنفرو» وهو أصغر أولاد «حقا نخت» فكان طفلا مدللا وكان صاحب الخطوة عند والده، وكان عند سفر والده لا يزال صغيرا جدا فلم يكن له مرتب خاص، ولكن حقّا نخت قد عدل عن ذلك فيما بعد وكتب إلى «مرسو»: "افهم إذا لم يكن «لسنفرو» مرتب فى البيت معك فلا تنس أن تكتب لى فى ذلك، لأنى سمعت أنه غاضب، فعليك أن تعتنى به وتعطيه غذاء، وبلغه سلام «ختنخ» ألف مرة بل مليون مرة، واعتن به، ولا بد أن ترسله إلى فى الحال بعد الفراغ من الزراعة" غير أن هذا العرض الأخير لم يرق فى عين «سنفرو» ورفض بصراحة أن يسافر إلى والده. وفى الصيف التالى نجد «حقا نخت» يكتب مكتئبا: "وإذا كان «سنفرو» يريد أن يحرس الثيران فاجعله يحرسها لأنه لا يريد أن يروح ويغدو حرا فى الزراعة معك، وكذلك لا يريد أن يأتى إلى هنا معى، فاتركه يفعل ما يريد".

وكان كذلك ضمن أسرة «حقا نخت» شخص يدعى «رنكاس» له أسرة ومعه أخت أرملة تسكن معه فى البيت، هذا إلى ثلاثة أطفال صغار من بينهم بنت صغيرة تدعى «نفرت» ولم يكن له أم، والنتيجة أن «حقا نخت» كان أرملًا. وأمام كل هذه المتاعب لا يسع الإنسان إلا أن يفكر فى أنه مع هذه الأسرة العديدة

كان عنده من المشاغل ما يكفى لانصرافه إلى الاهتمام بتدبير شؤنه ، ولكن الأمر كان عليه أهون مما تتصور إذ اتخذ لنفسه حظية اسمها « ايتنخاب » ويمكننا أن نتصور إحساس أسرته وشعورهم تجاه هذا الأمر من الرسائل المتأججة التي كان يرسلها «حقا نخت» لهم فيقول : ” لا بد أن تعزل الخادمة «سين» من بيتي في الحال وحافظ تماما على ألا يزورك «سيحتحور» كل يوم ، واعلم أنه إذا أمضت «سنن» في البيت يوما واحدا فستكون أنت الملام إذا أساء إلى حظيتي ، وإلا فلماذا أنا أعود لكم ، وما الذي يمكن أن تعمله حظيتي ضدكم وأنتم خمسة أولاد . بلغ سلام والدتي «لأبي» ألف مرة ومليون مرة وبلغ سلامي إلى «حيت» وكل أفراد الأسرة وإلى «فرت» . واحذر إيقاع الضرر بحظيتي فإنك لست شريكى فى أملاكى فإذا لزم الهدوء فإن ذلك سيكون شيئا جميلا جدا“ .

ولا غرابة فى أن ترى «حقا نخت» يكتب ذلك منذ أربعة آلاف عام ، فإن ما كتبه هو بعينه ما نشاهده كل يوم بين ظهرائنا .

على أنه لم يفلح توبيخ «حقا نخت» فى صفاء الحياة الأسرية المتعكة المضطربة ، إذ فى الصيف التالى لذلك نجد أن صبر «حقا نخت» قد نفذ ففعل ما كان يجب عليه أن يفعله من زمن طويل فكتب : يجب عليك أن ترسل « ايتنخاب » وما دام هذا الرجل على قيد الحياة وأعنى به «اب» مؤجرى فهو عدوى ومن يسيء إلى حظيتي فهو عدوى وأنا عدوه ؛ وافهم أن هذه هى حظيتي ومن المعلوم أن حظية الرجل يجب أن تعامل معاملة حسنة ، واعلم أنه لا يمكن أن يقوم لها أى إنسان بمثل ما قمت به . وإذا استطاع أحدكم أن يصبر إذا اتهمت زوجته أمامه فإنى سألزم الصبر لما يحدث مع حظيتي ، ولكن كيف يمكن أن أعيش معكم فى دار واحدة إذا لم تحترموا حظيتي إكراما لى ؟

ولا شك فى أن ما ملح به «حقا نخت» لابنه «مرسو» من أنه ليس شريكا فى أملاكه وأطفاله وكذلك تهديداته بأن يقصى كل أولاده من داره إذا لم ينفذوا أوامره لم يأت بفائدة .

والواقع أن «حقا نخت» كان يلذله كثيرا انتهاز الفرصة لتنبية أولاده بأنهم عبء عليه وأنهم يأكلون خبزه ، وأن كل شيء ملكه ، وأن كل أفراد الأسرة كلٌّ عليه . والحق أنه كان رجلا مشاغبا متعبا . وكانت رسائله مملوءة بالتهديدات مثل قوله : «افهم هذا، واحترس جدا، وكن نشيطا جدا، وستكون مسئولاً أمامي عن ذلك، ولا تنس أن تجيب عن كل شيء كتبت لك عنه» . أو نراه يشدد في قوله : «افهم أن هذه سنة يجب فيها على الرجل أن يشتغل لسيدته» أو يقول : «ليست هذه سنة يهمل فيها الرجل سيده أو أولاده أو أخاه» .

ولا شك في أن «مرسو» قد تنفس الصعداء عند ما سافرت «إيتحاب» إلى «حقا نخت» الذي كتب بأنه سيقبى بعيدا ستة أشهر أخرى .

هذه جولات خاطفة في هذه الوثائق إلى أن ندرس درسا عميقا ، ومع ذلك فإنها تكشف لنا من صفحة مجيدة من حياة القوم الأسرية والاجتماعية في عصر مظلم لا نعرف عنه إلا القليل . والمتأمل في هذه الوثائق يمكنه أن يستنبط أمورا كثيرة لم يتسن لنا معرفتها حتى في أزهى المصور المصرية وستترك ذلك لفطنة القارئ على أن نعود إليها كلما دعت الضرورة عند درس مدينة الدولة الوسطى جملة .

آثار الملك سعنخ كارع

وقد بقي لنا عدد محدود من الآثار الصغيرة التي تحمل اسم الفرعون «سعنخ كارع» ففي سقاره عثر له على تمثال محفوظ الآن في «متحف اللوفر» ، ويقال إن له كذلك خاتما من الذهب نقش عليه اسمه (Wiedemann, ibid p. 221)

وتوجد له لوحة من ودائع الحجر الأساسى لمعبده وهى بديعة الصنع قد نقش عليها «ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «سعنخ كارع» محبوب «متو» رب طيبة» (Petrie, Historical Scarabs. p. 165.)

وقد عثر «نافيل» على خرزة كرية الشكل لونها أزرق قائم تحمل لقبه (Hall, Egyptian Scarabs in the British Museum No. 61).

وكذلك يوجد في مجموعة « بترى » جعران ولكن يحتمل أنه من عصر متأخر
(Petrie, Scarabs and Cylinders Pl. XI, 11. 9).
على أنه إذا كان « سعنخ كارع » قد قارب الخمسين من عمره عند توليته
عرش الملك فقد كانت الضرورة تمل عليه أن يسارع في إقامة مثواه الأخير ،
ولكن تدل ظواهر الأمور على أنه كان يقوم بهذا العمل بشيء من الفتور والترأخى
(Winlock, A. J. S. L. 1915 p. 29. Figs 1, 6 — 9; 1941, p. 146, Pl. 23.)
فنعرف أنه قد وضع تصميم طريق ابتداء للعمل في البقعة التي قام عليها معبد
الرمسيوم الحالى ، وكان الحجارون قد بدءوا من جهه أخرى يقطعون طريق المعبد
في الطرف الجنوبي لشيخ عبد القرنة وعلى سفح التلال للجبل . وكان انحدار هذا
الطريق بنسبة واحد إلى خمسة وعشرين ، ومن المحتمل أن هذين المكانين اللذين
ابتدأ عندهما العمل لم يتصل بعضهما ببعض قط ، وإذا اتخذنا الخنادق الظاهرة
حتى الآن وهى التى قطعت في سفح التل ، أساسا لحكمتنا استنتجنا أن العمل كان
يقوم به شردمة قليلة من العمال ، وقد تركوا عدّة قطع من الأحجار المقزوعة من
الصخر في مكانها في الرصيف السفلى من الجبل . وإنه لمن السهل أن يتتبع الإنسان
أثر الجانين اللذين سيتكوّن منهما عرض الطريق ومن ثم يمكن الحكم بأن تصميم
عرضه كان مثل عرض طريق «نب حبت رع» .

وفي أعلى هذا الطريق كان العمال قد بدءوا عمل رصيف ممهد تقريبا طوله
نحو ١٠٠ متر ، ومن المحتمل أن عرضه كان يساوى طوله لو تم . وكذلك كان العمل
قد بدئ في حفر خندق لإقامة جدار طوله نحو ٧٠ ذراعا أمام مقبرة الملك غير أنه
لم يتم ، وكانت قد وضع خمس ودائع الحجر الأساس وهى قربان من اللحم في حفر
عملت في الصخر ، وكذلك شرع العمل في نحت قبر للفرعون غير أنه لم يتم منه إلا
قطع المنز المتحدرو طوله نحو ٣٥ مترا ، وعندئذ أعلن وفاة الفرعون فكانت النتيجة
أن وسع نهاية المنز بسرعة واتخذ منه حجرة دفن لللك . ثم سدّت بعد بقطع من
الحجر الجيري الأبيض بدلا من حجر الجرانيت الذى كان يغلّق به حجرة دفن الملوك .

المعبد

أما معبد الفرعون فكان يتألف من جدار رخيص ملتصق من اللبن فوق المكان الذى دُفن فيه ، وقد أُقيم خارج هذا المعبد بيت صغير من اللبن للكهنة الحارس . ولم نجد حول قبر هذا الفرعون إلا حفرا صغيرة اتخذت مقابروا وكان لكل منها بئر مستطيلة الشكل ولم يقم بجواره حتى فيما بعد إلا بعض مدافن مربعة الشكل فى أوائل الأسرة الثامنة عشرة .

مقبرة مكت رع^(١)

أما الأغنياء الذين كان فى مقدورهم أن ينحتوا لأنفسهم مقابر على جوانب التل المشرف على موقع هذا المعبد ، فكان يبلغ عددهم نحو الثلاثين . على أنه من الأمور الغريبة التى يلاحظها الإنسان فى هذا المكان أنه كلما جال المرء حول منحدرات هذا التل يلحظ أن معظم هذه المقابر التى حُفرت فى واجهته قد هُجرت قبل أن يتم العمل فيها وأن العدد القليل منها نسبيا هو الذى قد استعمل للدفن فعلا . ففى واحد منها نجد اسم مدير البيت للقصر الداخلى المسمى « سى انخور » على قطعة من غطاء وجهه (Winlock, Dier el Bahri p. 32.)

ولكن أهم القبور وأعظمها فى الجبانة كلها كان قبر الأمير الودائى ، والحاكم ، وخازن بيت مال ملك الوجه القبلى والأمير الودائى ، عند بوابة (جب) مدير البيت العظيم والسمير الوحيد ، وحامل الختم «مكت رع» وهو نفس الرجل الذى ذهب فى ركاب الفرعون «نب حبت رع» ومضى اسمه فى «شط الرجال» على الصخور بوصفه المحبوب حقا من سيده وحاكم المحاكم الست العظيمة . والواقع أن محتويات هذه المقبرة قد كشفت لنا عن صفحة مجيدة فى حياة القوم الاقتصادية والاجتماعية والصناعية والدينية بشكل مجسم مما لم نكن نحلم به فى هذا العصر البخيل بآثاره .

(1) M. M. A. December 1920, p. 14 ff.

ولذلك سأتكلم عنها وعن محتوياتها ببعض التفصيل . ولترك الملوك وآثارها ونعيش مع موظف كبير وما يحيط به من عامة الشعب على مختلف نحلهم وطبقاتهم :

نحتت هذه المقبرة العظيمة في الصخرة المطلّة على معبد الأسرة الحادية عشرة بالدير البحرى وقد حاول الكشف عنها «درسى» في عام ١٨٩٥ فلم يصل إلى نتيجة ثم جاء بعده «السير مند» عام ١٩٠٢ واستطاع كشف الطريق المؤدية إلى بابها، (A. S. II. p. 133 & VI, p. 17.) وقد بقيت مطمورة بالأتربة حتى كشف عنها «ونلك» عام ١٩٢٢ . و«مكترع» هذا كان موظفا كبيرا يلقب بحامل الختم ومدير القصر، عاش في عهد الملك «متوحتب الثالث» وقد عثرنا قبل على اسمه في معبد هذا الملك بالدير البحرى . (Naville, XI. Dyn. Temple II. Pl. IX d.) والظاهر أنه عاش في عهد الملوك الذين خلفوا «متوحتب الثانى» . وتدل محتويات قبره على أنه كان صاحب سلطان عظيم في البلاط فقد انتخب لنفسه أنغم مكان في جبانة عصره فهو يشرف كما قلنا من قبل على معبد سيده الجنازى . ويمكن مشاهدة القبر من ساحة المعبد، وتصميم المقبرة يشعربأن «مكترع» قد نحت لابنه المسمى «انتف» مقبرة في نفس مقبرته ، وقد أصبح فيما بعد «انتف» هذا أميرا . وحامل ختم الملك . ورغم أن المقبرة وجدت منهوبة فقد عثر فيها على حجرة سرداب لم يمس بعد .

السرداب ومحتوياتها — وقد كان استعمال السرداب شائعا في عهد الدولة القديمة ومخصصا لحفظ تماثيل المتوفى في بادئ الأمر . ثم أخذ القوم بالتدريج يضعون فيه مع تماثيل المتوفى بعض أفراد أسرته أو خدمه، وقد كانوا أحيانا يضعون سردابا خاصا للخدم وأصحاب الحرف والصناعات التى كان يحتاج إليها المتوفى في آخرته . كل ذلك كان يصنع من الحجر الجيرى الأبيض أو الحجر المحلى في جبانة الحيزة أو في جبانة سقارة . وفي عهد الأسرة السادسة كثر عملها من الخشب، وربما كان سبب ذلك اتصال التجارة بين مصر و«سوريا» وجلب الخشب منها . وقد لاحظنا

أن هذه التماثيل أخذت تكثر شيئا فشيئا وبخاصة أنها كانت مجزأة نماذج صغيرة ، ولوحظ أن تماثل صاحب المقبرة أخذ يصغر حجمه حتى أصبح في النهاية يعمل بحجم تماثيل الخدم وأصحاب الحرف والصناعات . وقد رأينا في أواخر الدولة القديمة وما بعدها أن تماثيل الخدم وأصحاب الحرف والصناعات تعمل في مصانع خاصة بها كما يظهر ، وتكون كل منها فرقة خاصة بصناعة أو حرفة أو تعمل في قوارب . أما تماثل صاحب المقبرة فقد كان يشرف على ما تقوم به هذه الفرق من الأعمال . وقد كانت العقيدة السائدة في هذه الفترة عند معظم الشعب أن روح هذه النماذج من العمال وكذلك روح الطعام الذي كانوا يصنعونه ليكون خالدا يمد صاحب المقبرة بما يحتاج إليه من طعام وغيره . وهذه الفكرة كانت منتشرة انتشارا عظيما بين المصريين حوالى سنة ٢٠٠٠ ق . م . فكان كل فرد في مقدوره أن يشتري مثل هذه النماذج لتوضع معه حول تابوته أو بالقرب منه في المقبرة ، وكان لا يتأخر قط عن الحصول عليها ، ولذلك نجد بعض التماثيل من هذا النوع منتشرة في متاحف العالم . على أن المهم في مقبرة « مكترع » هو أنه كان رجلا صاحب يسار وثروة عظيمة . وأراد حسب اعتقاده أن يحيا حياة بذخ وترف في عالم الآخرة كما كان ينعم بالحياة في الدار الفانية ، ولذلك جهز نفسه بمجموعة نفخة من هذه النماذج مما لم يعثر على مثيلاتها الآن لشخص عادى ، ويرجع الفضل في بقاء هذه المجموعة لنا إلى مهندس الذى عاد إلى اتباع طريقة بناء السرداب كما كان الحال في عهد الدولة القديمة مما لم يتنبه إليه اللصوص الذين تعبدوا نهب القبور في هذا العهد . ولذلك أفلتت من أيديهم هذه المجموعة الفذة لفائدة العلم والتاريخ ، وما ذلك إلا لأن طريقة وضعها في المقبرة لم تكن مألوفة للصوص الذين كانوا يعرفون طرق الدفن في ذلك العصر وفي كل عصر بمهارة فائقة ، ونحن بوصفنا هذه المجموعة هنا نكشف عن صحيفة اجتماعية في تاريخ الشعب المصرى في تلك الفترة الغامضة .

على أننا في مثل هذا الكتاب لا يمكننا أن نصف مجموعات النماذج التى بلغت أربعا وعشرين ، جهز بها « مكترع » قبره لتقوم بحاجياته في الحياة الآخرة .

والواقع أن كثيرا من هذه المجاميع يوضح لنا عمليات ومناظر حيوية وصناعات دقيقة وغير ذلك مما يحتاج إلى درس طويل قبل أن نشرح تفاصيل كل مجموعة شرحا وافيا . ولا نزاع في أن هذه التفاصيل وبخاصة ما دق منها هي التي تصوّر لنا حياة وادى النيل منذ أربعة آلاف سنة مضت ، وفي ذلك تنحصر أهمية هذه النماذج فهي صور مجسمة من الحياة اليومية بعيدة عن الفكرة الدينية المحضة التي كانت الوازع في عمل الأثاث الجنائزى فثقلها عندنا اليوم مثل متاحف الشمع . وإذا



شكل رقم ٧

حاملة القراييف

استثنينا من بين هذه النماذج ثلاث مجموعات لها علاقة مباشرة بالفكرة الدينية كان ماتبق منها دنيويا محضا .

وهذه المجموع الجنازية تتحصر فيما يأتى : مجموعة تمثل بنتين واقفتين على جانبي السرداب وترتدى كل منهما ملابس طليسة ملونة بالألوان الزاهية وتحمل كل منهما قربانا فأحدهما على رأسها سلة فيها لحم وخبز وفى يد كل منهما أوزة حية ، وتمثالا هاتين البنتين مصنوعان من الخشب بنصف الحجم الطبيعى .

والمجموعة الثانية تتألف من أربعة أشخاص واقفين على كرسى واحد جميعا ويمثلون على التوالى كاهنا مستعدا بمبخرته وآنية الطهور ، ورجلا يحمل على رأسه مجموعة ملاءات من الكنان للأسرة ، واثنتان أنحيان تحملان إوزا وسلتين فيهما طعام ، أما ما بقى من النماذج التى يحتويها السرداب فتمثل صور الحياة التى كان ينعم بها « مكرع » مدة حياته فى عالم الدنيا وهى نفس الحياة التى كان يزعم أنه سيتمتع بها فى الحياة الآخرة .



شكل رقم ٨
إحصاء الماشية

وأنفخ هذه الصور وأعظمها المجموعة التي يظهر فيها هذا العظيم وهو يحصى ماشيته (بمتحف القاهرة) وقد ظهر هذا المنظر ممثلاً في الردهة التي أمام بيته وبطل عليها إيوان ذو أربعة عمد ملونة بألوان زاهية وفيه يجلس « مكترع » ومعه ابنه ووارثه ، ويلاحظ أنهما متربعان على رقعة الإيوان في جانب منه وفي الجانب الآخر جلس أربعة من الكتبة منهمكين في تدوين حسابات الضيعة على قراطيس البردى . وترى ساقيه ومن يرى بيته قد وقفوا في الإيوان على إحدى مراقبه ، وفي الردهة المقابلة للإيوان يقف رئيس الرعاة منحنيًا تحية لسيدته ويقدم له تقريره عن الإحصاء . وفي بداية هذا المنظر يشاهد الرعاة وهم يلوحون بعصيمهم ويشيرون بأيديهم حينما يسوقون ويقودون الماشية المختلفة الألوان ، وقد مثل كل من هذه الماشية بحجم يبلغ حوالى ثلثي قدم ، ولا يعتبر صنع تماثيل تلك الماشية من النوع الممتاز من



شكل رقم ٩
حظيرة الذبح

الوجهة الفنية غير أنها مع ذلك تشعر بصدق التمثيل ودقة الملاحظة إذ أن حركاتها قد أبرزت بحذق ، فهذه النماذج بما فيها من ألوان زاهية تعبر عن الحياة والمرح اللذين لاتصاد فهما في القطع المصرية الفنية التي صنعت حسب قواعد موضوعة متبعة .

طريقة تسمين الثيران — وبعد عملية الإحصاء هذه لثيران « مكترع » نجده قد مثل لنا طريقة تسمين الثيران في الحظيرة (تماثيل هذا المنظر محفوظة في متحف متروبوليتان) فنشاهد في الحجرية التي تعلق فيها الثيران لتسمينها بعض الحيوان مربوطا حول مقود ، ثم نشاهد في حجرية أخرى الثيران التي قد سمتت وهي تغذى باليد ، ويلاحظ أن الثور قد امتلأ جسمه لحما وشحما لدرجة أنه أصبح من ثقل وزنه راكعا على الأرض والراعى يدس له الطعام في فمه دسا .

ذبح الثيران وتجهيف لحمها — وبعد ذلك ننقل إلى آخر منظر في حياة الثور وأعنى بذلك حظيرة الذبح (متحف المتروبوليتان) فنشاهد هنالك الثيران وقد سيقّت إلى قاعة ذات عمد مكوّنة من طابقيين مفتوحة للعراء من جهة واحدة فهناك تطرح الثيران أرضا بعد أن تعدّ للذبح . وترى أن في هذه الحظيرة كاتباً ومعه أدوات الكتابة المؤلفة من جعبة أقلام وقرطاس من البردى يقوم بعملية الحساب وترى كذلك رئيس القضاة يشرف على عملية الذبح ، وطاهيين يقومان بطهو عصيدة دم على مواقد في ركن الحظيرة ، وفي شرفة القاعة قطع لحم معلقة للتجهيف .

أهراء الغلال — ونشاهد أنه بعد أن يحصل « مكترع » على حاجته من اللحم ، يهتم بالحبوب التي كانت تعدّ لطعامه . فنشاهد أهراء الغلال ، وترى كتبة يجلسون في ردهته كل يحمل قلبه وقرطاسه ليدوّن حساب الغلال ونشاهد في الوقت نفسه رجلين يكلان القمح بمكايل خاصة ليوضع في حقائب يحملها طائفة من الرجال ويصعدون في سلم ليضعوها في مخازن عظيمة الحجم (بمتحف المتروبوليتان) . وقد جلس عند باب الحظيرة « أحذب » وفي يده عصا يشرف على العمل بيقظة حتى لا يترك العمل عامل قبل انتهاء الوقت المحدّد .

صناعة الخبز والجمعة — ثم نتقل بعد ذلك إلى مشهد صناعة الخبز والجمعة وقد خصص لها بناء واحد، (بمتحف المتروبوليتان) فيشاهد في الحجرة الأولى من هذا المبنى امرأتان تطحنان القمح ثم يرى رجل يصنع من دقيقه أقراصا من عجينة يلوکها آخر في وعاء. وبالقرب منه نجد العجينة التي تركت لتختمر في أربعة قدور، وبعد أن تختمر العجينة يشاهد إنسان آخر يصبها في صف من الأواني المصفوفة وقد أحكت عليها سداداتها ووضعت مسندة على طول جدار الحجرة . أما في الحجرة الثانية فنجد عملية إنضاج الخبز حيث نشاهد رجالا يدقون الحبوب بمدقات ونساء يطحنن الدقيق ، وآخرين يقلبون العجين ويصنعون منه أرغفة وفطائر في أشكال غريبة وغيرهم يقومون بوضعها في الأفران .

النسيج والتجارة — أما الأشغال اليدوية فقد عثر منها على نموذجين :



شكل رقم ١٠
حانوت النسيج



شكل رقم ١١
حانوت النجارة

فنجند في صورة نساء يغزلن وينسجن في حانوت ، كما يشاهد النجارون يقومون بعملهم في حانوت آخر . وفي حانوت النسيج ثلاث نسوة قد أحضرن الكنان ووضعنه في وعاء ليقوم بنسجه ثلاث نسوة أخر بعد أن تقوم بغزله نسوة يشاهدن واقفات ، وفي اليد اليسرى لكل منهن مغزل تحركه بيدها اليمنى على ركبتيها (بمتحف القاهرة) وعند ما تمتلئ المغازل بالخيط المنسوجة ، توضع محتوياتها على حاملات مثبتة في الجدار المقابل الذي يشغل النسوة بجواره . ونشاهد في نفس الوقت نساء ينسجن على آلتين (نولين) منصوبتين على رقعة الحجر . ننقل بعد ذلك إلى حانوت النجار وهو مكوّن من ردهة مسقف نصفها وتحتوى على مشحذ لشحذ آلات النجارة وصندوق ضخّم يضم الآلات اللازمة فيه مناشير وقواديم وأزاميل وغاريز وهذا الصندوق موضوع تحت الجزء المسقوف من الحانوت (متحف القاهرة) . أما في العراء فيجلس النجارون زمرا يقومون بقطع الأخشاب الغليظة

بالقواديم ثم يصقلون سطحها بقطع كبيرة من الحجر الرملى ، وفى وسط تلك الردهة نشاهد نشارا ربط قطعة من الخشب فى عمود وأخذ فى نشرها ألواحاً . وفى مكان آخر نرى نجارا جالسا على الأرض وفى يده لوح من الخشب يقوم بثقبه بثقب ومدقة .

بيته وحديقته — تعود الآن الى ما أعده «مكترع» لنفسه فى حياته الخاصة المتزلية فنشاهد أنه قد شيد لنفسه حديقتين منقطعتى النظير فى كل ما عثر عليه من الآثار المصرية فى هذه الناحية .



شكل رقم ١٢
البيت والحديقة

والواقع أن المفتن المصرى الذى صنع نماذجهما قد بذل مجهودا جبارا فى إظهار كل الأجزاء الهامة التى ينتظمها بيت الشريف المصرى وحديقته التى تسرى عن قلب صاحبها وتدخل عليه الفرح والغبطة بمنظرها البهجة الأنيقة وجزء من نماذج هذين المنظرين يوجد (بمتحف القاهرة) والجزء الآخر بمتحف (المتروبوليتان) وأول ما يلاحظ أنه قد أقام جدارا حاجزا يحجب البيت عن العالم الخارجى ، وفى داخل هذا الجدار أنشأ بركة مستطيلة الشكل صنعها من النحاس حتى يسهل وضع ماء حقيقى فيها ثم حفرها بأشجار الفاكهة وأنشأ قبالتها إيوانا عظيما محلى بعمد ملونة بألوان نضرة بهجة ، وفى نهاية هذا الإيوان أقيم باب رسمى ذو مصراعين ، فى أعلاه نافذة يدخل منها الهواء والنور ، وكذلك أقيم باب آخر صغير للاستعمال العادى ، وتشاهد أيضا نافذة طويلة ينحيل للإنسان أنها واجهة البيت نفسه وقد صنعت أشجار هذه الحديقة من الخشب وكل شجرة قد ركبت فيها أوراقها بعد حيك صنعها ، وهذه الأشجار تمتاز بالبساطة الطبعية التى نشاهدها ماثلة فى كل هذه النماذج أما فاكهة هذه الأشجار فيلاحظ أنها لا تثبت من أغصان الأشجار بل من سيقانها الأصلية وفروعها .

نماذج سفن مختلفة - على أن نصف ما عثر عليه من تلك النماذج كان يشتمل على قوارب وزوارق من التى تجرى فى النيل والبحر . ولا غرابة فى ذلك فإن الشريف فى تلك الأزمان كان فى حاجة ماسة إلى القيام بأسفار فى النيل جنوبا وشمالا ليدير أملاكه المبعثرة أو ليقوم بما عليه من الواجبات فى إدارة حكومة البلاد ، ولقد كانت الأسفار فى الأزمان الغابرة دائما بالنيل فى القوارب ، وكان لعظماء القوم بطبيعة الحال سفنهم الخاصة بهم للسياحة والتزهة ، ولا يدهشنا ذلك لأن النيل والمستنقعات كانت هى مسرح المصريين فى غدواتهم وروحاتهم ، ومن أجل ذلك كان نصف النماذج التى عثرنا عليها قوارب وسفن لتقوم بسد حاجات « مكترع » فى عالم الآخرة الذى لم يكن فى نظر المصرى إلا صورة من عالم هذه الدنيا كما ذكرنا .

على أن «مكترع» قد عاش في عصر يبعد جيلا أو جيلين عن العصر الذي ظهرت فيه الشعائر الدينية الجديدة في الوجه القبلي . وهي التي كانت تتطلب من المصرى أن يجهز نفسه بقارب مقدس ليصحب الشمس في سياحتها ، وتشكك كثيرا في أن «مكترع» قد أعدّ واحدا من هذه القوارب لغرض جنازى ، بل الواقع أنها كانت نماذج لسفن عادية من التي كانت تخرج عباب النيل صعودا وهبوطا منذ أربعة آلاف سنة مضت .

ويوجد من بين هذه القوارب المصغرة أربعة وطول الواحد منها في الأصل نحو أربعين قدما ، وقد صنع نموذجها في نحو أربعة أقدام فقط . ويحتوى القارب على عدد من الملاحين يتراوح بين اثني عشر وثمانى عشر عدا الرعاة والرماة والضابط .

وكانت هذه القوارب عند ما ترفع نحو الجنوب إلى أعلى النيل سائرة مع الريح الشمالية ، تنشر فيها أربعة من الشرع ، ونشاهد النواقي الصغار يثبتون الأمراس ويشدون حبال الشرع (بمتحف القاهرة) ولكن في العودة عند الانحدار مع تيار النيل حيث يضاد التيار الريح تخفض السارية ويلف الشراع على سطح السفينة ويشغل الملاحون بالمجاديف كما نشاهد اليوم في قوارب النيل . وترى في كل من هذه القوارب الشريف «مكترع» جالسا على فراش وثير فوق كرسي وفي يده زهرة يشم عبيرها ، كما يشاهد ابنه جالسا بجانبه وفي الجانب الآخر منه مقعّ يسمح فيه ليجلو صوته للفناء ، وفي إحدى هذه المناظر ترى بجوار المقعّ عوانا ضريرا وقد وضع عوده على قاعدة من الخشب بين ركبتيه (متحف المتروبوليتان) ومما تجدر ملاحظته في أحد هذه القوارب أن الصانع كان يتوخى تمثيل الحقيقة إلى درجة تثير الإعجاب والضحك معا ، إذ نجد في حجرة قارب من هذه النماذج مدير البيت عمثلا جالسا وبجانبه كوة فيها حقيبتان مستديرتان في النهاية تشبه كل منهما تلك التي كانت تستعمل منذ جيلين من الزمان عندنا للسفر (متحف القاهرة) .

ولم تكن سفن النهر في هذا الوقت كبيرة الحجم ، ولذلك لم يكن يطهى الطعام فيها ، بل كان يهيا للطبخ قارب خاص يسير وراء القارب الكبير وعند تناول الطعام كان يربط به . (متحف المترو بوليتان) ، هذا ويشاهد على سطح القارب نساء يطحنّ ورجال يعجنون أحيانا بأيديهم وأحيانا بأرجلهم ثم يقتطعون الرغفان من العجينة بأيديهم ، وكذلك نرى في حجرات القوارب قطع اللحم معلقة ، ورفوفا صفت عليها أواني اللمعة والتبذ ، وأظن أن ذلك منتهى ما يمكن رؤيته من ضروب البذخ وحياة الرفاهية والتعم في عصرنا .

أما في السياحات القصيرة الأمد أو الزهرة فكانت تستعمل قوارب زهرة صغيرة ضيقة الحجم ذات لون أخضر . قيدومها ، ومؤخرتها معقوفان ، وعند ما يكون الريح ساكنا ملائما يرفع الملاحون السارية وينشرون الشراع المربع الشكل وهو الذى كان يستعمل في سفن السياحة ، أما اذا كان معاكسا فكان تنزل السارية ويطوى الشراع ويقوم ستة عشر نوتيا بالنجديف (متحف المترو بوليتان) ومثل هذه القوارب كانت خالية من حجر النوم ، وكان الشريف وابنه يجلسان تحت قبة صغيرة مفتوحة .

أما إذا خرج الشريف لصيد الطيور والسماك فكان يستعمل لهذا الغرض قاربا صغيرا (متحف المترو بوليتان) وكان يقف في مقدمته الصيادون بمقامهم وإذا صيدت سمكة عظيمة الحجم جرت من حافة القارب إلى داخله ، ويلاحظ أنه قد ربط في جانب حجرة القارب عمدا وأوتاد خاصة بشباك الطير ، وترى في القارب ولدا وابنة قد أحضرا إوزا حيا مما اصطاده الشريف وابنه ، ويشاهدان جالسين فوق سطح القارب ، ثم نشاهد أخيرا قارين من الغاب يجزان شبكة عظيمة مفعمة بالأسماك ؛ ويلاحظ أن كل قارب من هذين يهدف فيه رجلان ، وفي وسط القارب يقف صيادو السمك وهم يجزون الشبكة ومعهم مساعد يأتي بالسماك إلى القارب (متحف القاهرة) .



شكل رقم ١٣
قوارب تصيد السمك

على أن الأهمية العظمى التي نستخلصها من نماذج السفن هذه منحصرة في المعلومات التي نصل إليها عن كيفية تجهيز السفن بالأمراس والأشرعة والمجاديف . فقد وجدناها تامة إلى حد بعيد جدا ومحكمة الترتيب والإتقان ومحفوظة بحالة جيدة لدرجة أن في إمكاننا مشاهدة أمراس القارب وعقده سليمة جدًا وكذلك وجدنا المجذاف الذي يحرك السكان في حالة جيدة يمكننا بها فحصه تماما لأول مرة . وقد ذكر لنا الأستاذ « ونلك » أنه في صيف عام ١٩٢١ قد بعث الدهشة والعجب في نفوس أهالي ساحل « مين » في الولايات المتحدة إلى درجة يقصر عنها الوصف عند ما جهز قاربًا بأمراس وآلات لقارب صنع على نمط قوارب الأسرة الحادية عشرة . فقد صنع مجاديف عظيمة الحجم كالتى على القوارب المصرية ثم أقام فيها أعمدة لسكان القارب ووضع المجاديف في أماكنها ونقل كل الحركات التي كان يقوم بها المصريون في تجديفهم وقد أسفرت التجربة عن نجاح باهر جدا .

الحروب الداخلية

٢٠٠٧ - ٢٠٠٠ ق م

لقد كان الفرعون «سعنخ كارع» يأمل أن يتولى العرش بعد وفاته بكر أولاده ومن النقوش المهشمة التي عثر عليها في الكرك^(١) نجد أن «سنوسرت» (الوالد المقدس) (وهو لقب ديني) قد جاء بعد اسم هذا الفرعون مباشرة وذلك يذكّرنا «بالوالد المقدس» (انتف) الذي كان وارثا للفرعون «نب حبت رع» حتى عام ٣٩ من حكمه على أقل تقدير كما سبقت الإشارة الى ذلك .

سنوسرت (الوالد المقدس) — غير أننا لا نعلم من مصير «سنوسرت» هذا إلا أنه اختفى من مسرح التاريخ قبل أن يلبس تاج البلاد فعلا ؛ وقد أعقب ذلك سبع سنوات مليئة بالفوضى والاضطرابات حسب قول (ونلك) (Winlock J. E. A. Vol. XXVI p. 118.) ومن المحتمل أن «سنوسرت» هذا قد قتل ولم يترك لنا أى أثر فى مخلفات هذا العصر بقدر ما وصلت إليه الكشف حتى الآن .



الملك «نب تاوى رع» متوحتب الرابع

وهؤلاء الذين كلفوا للاستيلاء على العرش مدة خمسة الأعوام التي تلت موت «سعنخ كارع» لم يتركوا لنا أى أثر يثبت وجودهم أو شخصيتهم إلى أن نجد ملكا يظهر لمدة قصيرة باسم «متوحتب» وقد بقى المكان الذى يجب أن يحتله هذا الفرعون فى قائمة ملوك هذه الأسرة غامضا إلى أن كشف الأستاذ (ونلك) النقاب عن أثر معاصر من عهد هذا الفرعون الذى كان يسمى «نب تاوى رع» وهذا غير نقوشه التي عثر عليها فى وادى الحمامات وغيرها من الأماكن الأثرية التي سنتكلم عنها فيما بعد ، وهذا الأثر قطعة صغيرة من إناء إردوازي وقد عثر عليه منذ عدة أعوام

(1) Chevrier A. S. (1938) p. 601.

بين قطع من حفائر متحف (متربوليتان) التي عملت في اللشت . وهذا الإتياء كان قد صنع لبستعمل في المعبد وقد وجد في داخله نقش وهو الأسم الحورى « وحم نسوت » لللك المنحآت الأول رأس ملوك الأسرة الثانية عشرة ، وقد استعمل الإتياء في معبده إذ قد وجد في داخله ، غير أن الفحص قد أظهر أنه لم يكن قد صنع خصيصا لمعبد « المنحآت » الأول لأنه قد وجد منقوشا على ظاهر الإتياء بخط مختلف صغير: ” « حور نب تاوى بن رع » متوحتب محبوب حتحور سيدة دنلره معطى الحياة أبد الآبدين “ . ولا نزاع في أن الاحتمال ضئيل جدا في أن يكون مثل هذا الأثر القليل القيمة قد عاش بعد حكم « سعنخ كارع » الذى مكث على العرش اثني عشر عاما إلى أن أتى به إلى العاصمة الجديدة (اللشت) ويتضائل الاحتمال أكثر إذا حكنا بأن هذا الإتياء قد عاش مدة الإحدى والخمسين سنة التي حكمها « نب حبت رع » . وعلى ذلك نرجح أن تاريخ هذا الإتياء يرجع إلى تاريخ بعد حكم هذين الملكين في الأسرة الحادية عشرة . وبذلك يكون الملك « نب حبت رع » هو صاحب الإتياء ومن بين خلفاته . هذا فضلا عن أن الرابطة بين تتابع الاسمين بوجودهما على إتياء واحد توحى بأن « نب تاوى رع » كان السلف المباشر للفرعون المنحآت الأول مؤسس الأسرة الثانية عشرة ، غير أن هذا الفرعون قد حذف من ورقة تورين لأسباب سند كرها بعد وعلى أية حال فإننا نبحث في عصر مظلم ولذلك ليس هناك ما يدهشنا إذا كنا لا نعلم عن أصل « نب تاوى رع » أكثر من ذلك بالنسبة لما نعرفه عن غيره ممن ذكر اسمه على جزء من قائمة الملوك التي وجدت منذ بضعة أعوام مضت في الكرك ، فقد بقى على الجزء المحفوظ من هذه القائمة ثلاثة أسماء وهم : « نب حبت رع » و « سعنخ كارع » وقد كتب كل منهما في خرطوش أما الاسم الثالث الذى ذكر بعدها مباشرة فيدعى الأب المقدس « سنوسرت » ولكنه لم يوضع في طغراء . والظاهر أنه كان ابن الأخير غير أنه قد مات قبل أن يتوج كما ذكرنا من قبل ، ونجد إذا كما فهمنا من النقوش التي على قطعة

الإناء أن الأسرة الثانية عشرة قد سبقها ملك مشكوك في شرعيته لتولى عرش البلاد ، وقد تولى عرش البلاد فعلا غير أن اسمه لم يظهر في قوائم الملوك التي ألقت بعد عهده . ومن المحتمل أنه كان هناك مدعون للعرش غيره لم تصل إلينا أسمائهم ، والمختصر الذى جاء في ورقة تورين عن سنى حكم ملوك الأسرة الحادية عشرة عند نهايتها هو كما يأتى : مجموع الملوك ستة حكموا ١٣٦ سنة مضافا إلى ذلك سبع سنوات فيكون المجموع ١٤٣ سنة من ذلك المائة والست والثلاثون سنة التى حكمها ستة الملوك الذين ذكرناهم فيما سبق وهم الملوك المعترف بهم شرعا . أما سبعة الأعوام المضافة فكانت عهد فوضى وهى عبارة عن الفترة التى تطاحن فيها سنوسرت الوالد المقدس ونب تاوى رع وغيرهما على تولى العرش الذى فاز به الأخير مدّة وجيزة ثم انتزعه منه « امنمحات الأول » مؤسس الأسرة الثانية عشرة كما سدرى ، وخلاصة القول أن « نب تاوى رع » الذى وجد اسمه على قطعة الآنية هو الذى نجح أخيرا فى تولى الملك . والواقع أن الآراء كانت فى غالب الأحيان تميل إلى جعل الوزير امنمحات هو الملك الذى خلف « نب تاوى رع » على عرش البلاد ، وتدل الشواهد الآن على أن هذه النظرية يمكن قبولها وبخاصة بعد العثور على قطعة الإناء التى عليها النقوش السالفة الذكر .

أما متوحتب نفسه الملقب « نب تاوى رع » فكان معروفا لدينا من نقوشه فى وادى الحمامات (Couyat et Montet, ibid, No. 110 a. b, 191, 192 Breasted, A. R. Vol. 1, 434 - 53.)

فنجده عليها يسمى « حورنب تاوى - رب الأرضين - وصاحب الإلهتين (نب تاوى ، حور الذهبى قتر - نترى) الواحد المقدس - ملك الوجه القبلى والوجه البحرى » نب تاوى رع « بن الشمس متوحتب العائش مخلدا » .

ويموز رغم ما يحمل من الألقاب الطنانة أنه ليس صاحب حق شرعى فى العرش لأن والدته على ما يظهر كانت من عامة الشعب إذ كانت تلقب (أم الملك احمى)

أما والده فلم يذكر قط في النقوش، وقد قبض «نب تاوى رع» على صوبلحان الحكم فعلا . وقد نقش له وزيره «امنمحات» أربعة نقوش مؤرخة الاحتفال الأول بعيد «سد» في السنة الثانية الفصل الأول الشهر الثاني اليوم الثالث، وفي اليوم الخامس عشر واليوم الثالث والعشرين واليوم الثامن والعشرين من نفس الشهر أو بالتاريخ الحالى من ١٤ يناير إلى ٨ فبراير إذ كانت هذه السنة هي سنة ٢٠٠١ ق م أو ما يقرب من ذلك . (Winlock J. E. A. Vol. XXVI. p. 118.)

بعوث هذا الملك إلى وادى الحمامات — ونقوش وادى الحمامات التي تنسب إلى حكم هذا الملك تعد من أهم النقوش التي وصلت إلينا من المهود القديمة، وليس ذلك لأنها تحدثنا عن جلب الأحجار من هذه الجهات وحسب بل لأنها تحدثنا عن المعجزات التي وقعت في سيناء بالإضافة إلى أن الحملة صارت بقيادة «امنمحات» الوزير العظيم الذى آل إليه الملك بعد سيده وأسس دولة جديدة وفي هذه النقوش يشرح لنا هذا القائد بنفسه كل الأعمال بالتفصيل، ومع أنه كان من المألوف عند كبار رجال الدولة في مصر ألا يتوزعوا ولا ينجعلوا من التحدث عن أعمالهم العظيمة وخدماتهم التي قاموا بها لفرعون البلاد، فإن «امنمحات» قد غالى مغالاة كبيرة في هذه الناحية حتى إن لوحته التي أقامها في وادى حمامات كانت تتحدث عن مناقبه ومفاخره أكثر من الفرعون نفسه .

أسطورة الغزالة أثناء الحملة — وتبتدئ قصة حملته إلى وادى حمامات بعد ذكر تاريخها بحدث كان يعتبر بمثابة معجزة في أعين عمال الوزير الأول، وقد أوحى بها من السماء إليهم ! هذه المعجزة التي حدثت لجلائته هي أن وحوش الجبال نزلت له منها إذ جاءت غزالة عظيمة ومعها وليدها وقد اقتربت بوجهها نحو القوم على حين أن عينيها كانتا ملتفتتين إلى الخلف ولكنها لم تدر عينيها حتى وصلت إلى هذا الجبل الفاجر عند الككلة (التي كانت تجهز لتكون غطاء تابوت الفرعون) وكانت لا تزال عالقة بموضعها في الصخر، وفي النية قطعها لتكون غطاء هذا التابوت .

فوضعت الغزالة وليدها عليها، وكان جيش الملك ينظر إلى ذلك، وعندئذ قطعوا رقبتها أمام كتلة الحجر وأحضرُوا ناراً ليقربوا قرباناً وبعد ذلك انفصلت الكتلة بسلام (أى قطعت بسهولة) .

وكان جلالة هذا السيد العظيم رب الصحراء الذى منح ابنه (نب - تاوي - رع) « متوحتب الرابع » عاش مخلداً : هذا القربان ليكون قلبه فرحاً ويبقى على عرشه أبداً الأبدى ويحتفل له بملايين الأعياد «سد» ثم يأتى بعد ذلك ذكر ألقاب « امنمحات » الأمير الوراثى والشريف وحاكم المدينة والوزير ، ورئيس أشراف مصلحة العدل كلهم، والمشرف على كل ما تجود به السماء وتنبته الأرض وما يجلبه النيل والمهيمن على كل شئ فى البلاد كلها ، الوزير « امنمحات » ومن مختصر ألقاب هذا الوزير نعلم أنه لم تعوزه المشاغل ليصرف فيها وقته إذ يظهر أنه كان المشرف على كل شئ فى السماء وفى الأرض وفى الماء وتحت الأرضين . على أن ما ذكرناه هنا ليس إلا مقدمة لحوادث الحملة نفسها وذلك أنه بعد حدوث هذه المعجزة باثني عشر يوماً أخذ « امنمحات » ينقش على الصخر الغرض الرسمى الذى من أجله أرسلت الحملة ومدى نجاحها .

وتبتدئ النقوش بأن الملك أمر بإقامة لوحة : "لقد أمر جلاليته بأن تصب هذه اللوحة لوالده الإله « مين » رب الصحراء فى هذا الجبل الفاخر الأزلى" ثم بعد ذلك كلام لا فائدة من ذكره يقول الفرعون «متوحتب» : "لقد أرسلت جلالتى الأمير الوراثى ، حاكم المدينة والوزير، ومدير الأشغال والمقرب عند الملك « امنمحات » جيشاً يبلغ عدده ١٠٠٠٠ رجل من المقاطعات الجنوبية من مصر الوسطى مقاطعة الغزال ليحضرلى من هذا الجبل من الحجر النقى الثمين الذى خلق صفاته المتأزاة الإله « مين » لأصنع منها تابوتاً أبدياً ولأصنع آثاراً فى معابد مصر الوسطى، وذلك حسبما يرسل ملك الأرضين ليحضر لنفسه ما يتوق إليه قلبه من أرض والده « مين » الصحراوية وقد جعل هذه الآثار لوالده «مين» رب الصحراء

ورئيس البدو حتى يتسنى للفرعون أن يقيم عدة مرات أعياد (سد) وهو حى كالإله
« رع » الخالد » .

لوحة الوزير « أمنمحات » — أما « أمنمحات » فقد أقام لنفسه لوحة في نفس
اليوم ولكن ما جاء فيها من الاشادة بذكر نفسه ومناقبه يتضاءل أمامه كل شيء
ذكره عن مناقب سيده « متوحتب » فهو يقول : « في السنة الثانية الشهر الثاني
من الفصل الأول . اليوم الخامس عشر من الشهر : المهمة الملكية التي قام بتنفيذها
الأمير الوراثي ، والشريف ، وحاكم المدينة ، والوزير ، والمقرب من الفرعون ،
ورئيس الأشغال ، والمتفوق في وظيفته ، والعظيم في درجته ، صاحب المكان العالي
في بيت سيده ، والمشرف على الموظفين ، ورئيس محاكم القضاء الست والقاضي
بين الناس والأهلين ، والذي يسمع القضايا ، والذي يأتي إليه الحكام راكمين ، وأهل
كل الأرض ساجدين على بطونهم أمامه ، والذي يدرج به سيده إلى المعالي في وظائفه ،
ومحبوه بوصفه حارس باب الجنوب والذي يقود إليه الملايين من الناس ليعملوا
له كل ما يحبه قلبه نحو آثاره ، والمخلد على الأرض ، وممثل فرعون في مصر العليا
والعظيم عند الملك في مصر السفلى ، ومدير القصر ، والذي يقضي دون محابة ، وحاكم
كل الصعيد ، والذي يخبر بكل ما حدث وما سيحدث ، ومدير إدارة ميد الأرضين ،
وقائد القواد ، ومرشد الرؤساء ، ووزير الملك في مجالسه « أمنمحات » . تلك هي
ألقاب « أمنمحات » ولا شك أنه كان متأكدًا بأن سيده لن يرى كل هذه الألقاب
والوظائف الذي أغدقها وزيره على نفسه عن سعة وإلا لحق « لمتوحتب » أن
يتساءل بم يصف هذا الرجل الملك نفسه إذا كان قد كمال لنفسه كل هذه الثموت ؟

والآن نعود إلى ما يقوله الوزير عن بعثته : « لقد بعثني سيدي ملك القطرين
« نب تاوى رع » كما يسمون إنسانا امتاز بالصفات المقدسة ليقم آثاره في هذه الأرض ،
وقد اختارني على مرأى من مدينته ، وفضلني على رجال بلاطه . والآن أمر جلاليته
أن يسير إلى هذه الصحراء المقدسة جيشا بقيادتي مؤلفا من خيرة رجال البلاد كلها من

عمال مناجم، ورجال حرف، وحجارين ومفتنين ورسامين، وقاطعي أحجار وصياغ، ورجال مالية الفرعون، ومن كل مصلحة للبيت الأبيض (بيت المال) ومن كل مصالح القصر — كل هؤلاء كانوا في ركابي، ولقد جعلت من الصحراء نهرا، ومن الوديان العالية مجارى ماء، وأحضرت للملكى تذكارا أبديا خالدا لم يوت من الصحراء بمثله منذ عهد الإله (أى منذ أقدم العهود)، ولقد عادت جنودى دون أن تحقيق بهم خسارة، فلم يمت واحد ولم يضل الطريق منهم فرد ولم ينفق حمار، ولم يصب عامل واحد ضعفا، وقد حدث ذلك تميزا بلحالة سيدى، على يد الإله «مين» لأنه يحب سيدى حبا جما، ولأجل أن يكتب البقاء لروحه على العرش العظيم فى مملكة قطرى «حور» (أى الوجه القبلى والبحرى) ...

وإنى خادمه المقرب الذى ينفذ جميع ما يمتدحه كل يوم“ .

وبعد انقضاء ثمانية أيام على هذا النقش أمر بحفر نقش آخر يظهر فيه عطف الإله «مين» عليه والمعجزة التى عملها له .

وقد أخذ الواحد «الإله مين» يعمل فى هذا الجبل لإتمام غطاء التابوت، وقد تكررت المعجزة إذ تساقط المطر وظهرت أشكال الإله وتجلت شهرته للناس، فاقبلت الصحراء بحيرة وجرى الماء حتى وصل إلى حافة الحجر، وعثر على بئر فى وسط الوادى أبعادها ١٠ × ١٠ أذرع مملوءة بالماء العذب حتى الحافة لم يمسه سوء وحفظ تقيا نظيفا من عبث الغزلان، وبقي محجوبا عن أعين البدو المتوحشين، وقد كان جنود الأزمان السالفة والملوك الغابرين يروحون ويفدون بمجواره ومع ذلك لم تره عين ولم يلمسه وجه إنسان ولكنه كشف بلحلاته ومن كان فى مصر قد سمع به، وطأ طأ القوم الذين كانوا فى صعيد مصر وريفها رءوسهم وحمدوا طيبة جلالتة أبد الأبدى .

عودة الحملة إلى مصر — وبعد خمسة أيام من تاريخ النقش المتقدم ختم «امنحات» بعثته هذه بالنقوش الآتية :

في اليوم الثامن والعشرين فصل غطاء هذا التابوت من الحجر وهو كتلة أبعادها $٤ \times ٨ \times ٢$ أذرع وذبحت المشاشية والماعز وأحرق البخور وسار في ركابه جيش مؤلف من ٣٠٠٠ جندي من المقاطعات الشمالية (الدلتا) ساروا معه في سلام إلى مصر» ، وبذلك يتضح لنا أن جنود مصر كانوا رجال أعمال في زمنهم ، ويمكن أن نشبههم بالجنود الإنجليزية الحاليين ، فهم من الصنف الذي يعتمد عليه في جزر الأنتال وحملها ، ويلاحظ هنا أننا أسرفنا في وصف بعثة «المنمحات» إسرافاً عظيماً ، وليس ذلك إكراماً بلحلب تابوت من وادي حمامات أبعاده $٤ \times ٨ \times ٢$ من الأذرع . بل لأن هناك أمراً آخر أعظم خطراً ، إذ الواقع أن هذه البعثة هي البرهان الوحيد الذي بين أيدينا عن نمو قوة عظيمة خلف قوة العرش وهي التي يحتمل جداً أنها ستسيطر على العرش فيما بعد كما تدل كل الظواهر على ذلك ، وإن كان البرهان القاطع لا يزال يعوزنا في هذا الموضوع .

بعثة القائد سعنخ — على أنه لم يكن «المنمحات» هو القائد الوحيد الذي قام بجملات في الصحراء في عهد «متوحتب» إذ قام «سعنخ» قائد جنود الصحراء بحملة في تلك الصحاري حتى وصل إلى البحر الأحمر وأحضر معه أسرى من البدو ليستعمروا واحة (سليمة) وكذلك أحضر معهم ماشيتهم وبذلك أصبح كل الإقليم الجبلي والصحراوي الواقع في الشرق تحت إدارة مقاطعة «منمات خوفو» (بني حسن) في مصر الوسطى . ومنذ ذلك العهد أصبحت البعثات التي ترسل إلى بلاد «بنت» المشهورة وقتئذ بروائحها العطرية وبالبخور لا تذهب عن طريق السويس كما كان الحال من قبل بل صارت تخرج من فقط إلى وادي حمامات ثم البحر الأحمر حيث أسست مينا «ساوو» (وادي جاسوس الحالية الواقعة في شمالي القصير) . ويتبدى نقش القائد «سعنخ» كالآتي : «نب — ناوى — رع» (متوحتب الرابع) عاش مخلداً . ثم يذكر ألقاب «سعنخ» : قائد جنود الصحراء ، ومديريت الفرعون ، وقائد الأسطول النهري . سعنخ يقول : «لقد كنت قائد جنود هذه الأرض قاطبة

في الصحراء مجهزا بقرب الماء والسلات، والخبز والجمعة، وكل الخضر اليابسة من الجنوب. ولقد جعلت وديانها حقولا خضراء وتلاعها برك ماء جار، وعمرتها بالسكان كلها من الجنوب الى «زاو» ومن الشمال الى «منعات خوفو» (بنى حسن) وقد توغلت في سيرى حتى البحر الأحمر وأسرت شبنانا واستوليت على ماشية، وجبت الصحراء رغم أنى كنت في الحول الستين من عمرى ولى سبعون حفيدا من أولاد زوجة واحدة. ولقد نهضت بإتمام كل شئ على الوجه الأكمل للفرعون «نب — تاوى — رع» متوحتب عاش مغلدا^(١).

وادی الهودی واستغلاله

وتدل الكشف الحديثة على أنه أول من استغل وادی الهودی الذى كان يجلب منه حجر الجمشت المستعمل كثيرا فى الدولة الوسطى وقبل أن نتكلم عن بعوثه الى هذه الجهة سنورد كلمة عن وادی الهودی وعن حجر الجمشت نفسه .
يقع وادی الهودی^(١) فى الصحراء الشرقية على بعد أربعين كيلومترا تقريبا جنوب شرق أسوان . وظل هذا المكان مجهولا حتى عام ١٩٣٨ عندما كانت مصلحة المساحة المصرية تقوم بعمل مصورات لهذه المنطقة، فعثر أحد مهندسيها على لوحة من الحجر الجيري فأبلغ الأمر الى تفتيش آثار أسوان .

وعندما ذهب المفتش الى هناك أحضر اللوحة وأحضر لوحين آخرين عثر عليهما هناك، وقد نشر المستر «الن دو» والمسيو «دريتون» هذه اللوحات الثلاث فى مجلة أخبار المصلحة عام ١٩٣٨^(٢) . وترجم المسيو «دريتون» كلمة (حسمن)، التى كانت الغرض من رحلة صاحب اللوحة بأنها النحاس . ولما علم البدو بهذا المكان ذهب الكثيرون لسرقة الأحجار، ولكن لحسن الحظ أسرع المستر «مرى» مدير

(١) هذه الكلمة التى نكتها عن وادی الهودی هى الأستاذ أحمد نغرى الأمين المساعد بالمتحف المصرى وإليه يرجع الفضل فى السماح لى بنشر اللوحات التى عثر عليها فى هذه الجهة .

(2) A. S. IXXXIX P. 187 ff.

المساحة الطبوغرافية بنقل الكثير منها الى أسوان . ومن عام ١٩٤٢ ذهبت إلى المنطقة لمعاينتها فوجدت الكثير من اللوحات الأخرى والكتابات على الصخور . وتكررت الزيارة في عام ١٩٤٣ ، ١٩٤٤ حيث نقلت النقوش بأكملها ودرست المباني التي حولها التي كانت يقيم فيها العمال كما وجدت نقوشا أخرى في الوديان المحيطة بالمنطقة .

وانضح من دراسة الجهة جيولوجيا أنه لا يوجد بها أى أثر للنحاس بل على العكس فإن هذه النقوش كانت في منطقتين رئيسيتين كل منها يجوار حجر (منجم) كبير يحيطه حصن . وهذا المنجم ما زالت فيه بقايا الأما تيست .

وبالرجوع إلى القاموس نرى أن من معانى « حسمن » معنى غامضا وهو أنه مذكور ضمن الأحجار نصف الكريمة . وبدراسة المصادر المختلفة وخاصة ورقة بردية هاريس نرى في الأجزاء الخاصة بحصر هدايا الملك للمعابد أن هناك تماثيل صغيرة وعقودا وجعارين من الحسمن مذكورة دائما بين مثيلاتها المصنوعة من العقيق والبللور الصخرى وأشباهاها . وبذلك نؤكد أن معنى كلمة « الأما تيست » (حجر الجمشت) بالهيروغليفية هو كلمة «حسمن» .

والنقوش التي عثر عليها في هذه المنطقة يزيد عددها عن ١٣٠ ، بعضها هام ذو قيمة تاريخية ولغوية ، والبعض الآخر لا يعدو رسما صغيرا لرجل أو لحيوان ، وبعضها منقوش على الصخر نفسه والبعض الآخر على لوحات قائمة بذاتها يسهل نقلها فنقلتها كلها إلى أسوان .

ويبدأ تاريخ استغلال هذه المناجم إلى عصر الملك «متوحتب — نبتاوى — رع» ويستمر استغلالها الى الأسرة الثالثة عشرة ، وأكثر اللوحات وأهمها هي إما من عصر «متوحتب الرابع» أو عصر سنوسرت الأول .

ومما يجدر ذكره أنه ليس هناك أثر لاستغلال هذه المناجم بعد عصر الدولة الوسطى إلا في أيام الرومان فقط .

وهناك حقيقة هامة وهى أن علماء الآثار كانوا دائماً يتساءلون عن مصدر الأما تيست الجميل الزاهى اللون الذى كثر استعماله بوجه خاص فى الدولة الوسطى ، وذهبوا فى ذلك مذاهب شتى . فبالعثور على هذه المنطقة تأكد لدينا مصدر هذا الحجر الكريم . ومما يستحق الذكر أيضا أن الكثيرين ممن وردت أسماؤهم فى لوحات وادى الهودى باعتبارهم رؤساء بعثات كانوا يقومون برحلات أيضا الى وادى الحمامات وإلى سينا .

بعوث الفرعون (متحوتب الرابع) الى وادى الهودى — وتدل الكشف^(١) التى عملت فى وادى الهودى حديثا على أن هذا الفرعون قد أرسل بعوثا لاستحضار حجر الجشت (الأما تيست) الذى كثيرا ما عرفنا أنه كان مستعملا فى عهد الدولة الوسطى وبخاصة فى عهد الأسرة الثانية عشرة ، وقد عثر فى وادى الهودى على أربع لوحات لموظف كبير اسمه «أنتف بن بتاح شدو» .

وقد كان أنتف هذا فى السنة الأولى من حكم الفرعون يلقب « مدير البيت ومدير القافلة أو مدير المترجمين » ، وفى السنة الثانية أى فى رحلته الثانية كان يلقب حامل الخاتم ومدير البيت . وفى رحلته الأولى أى فى السنة الأولى من حكم « نب تاوى رع » جاء فى لوحته :

السنة الأولى ملك الوجه القبلى والبحرى « نب تاوى رع » (رب الأرضين رع مدير القافلة أنتف خادمه الحقيقى ومحبوب قلبه ، والذى يفعل مايمدحه مدير البيت «أنتف» بن بتاح شدو) . وفى اللوحة الثانية يقول :

السنة الأولى من حكم ملك الوجه القبلى والبحرى « نب تاوى رع » مثل رع الخالد .

(١) هذه اللوحات التى ترجمها هنا ترجمة سطحية قد كشف عنها الأستاذ أحمد نغرى ولم تنشر بعد وقد استأذنته فى وضع ملخص لها هنا .

انه مدير البيت أنتف بن بتاح شدو، وهو الذى أرسله ليحضر هذا الجمشت في بعثة بوصفه مدير القافلة « أنتف » المدير الأعظم لبيت سيده ... ورئيس ... والذى يفعل ما يمدحه ومحجوب قلبه ... المبرأ .

وقد جاء في اللوحة الثالثة نفس الاسم واللقب غير أن بها بعض كسور يتعذر معها حل نقوشها .

أما اللوحة الرابعة وقد أزخت بالسنة الثانية من حكم هذا الفرعون فقد جاء فيها ما معناه أن "أنتف هذا الذى كان حامل الخاتم ومدير البيت، ومدير التراجمة قد خرج ليحضر الجمشت من أرض «نخت» والظاهر أنه قهر العبيد السودانيين في «واوات» وقهر أولئك الذين في جنوبي النوبة وفي شمالها وأنه عاد سالما ونفذ كل أوامر سيده".

ومما سبق نرى أن هذا الفرعون لم يضع شيئا من أيام حكمه الممدودات ولكن يظهر أن «امنحات» خادمه العزيز الذى يفعل كل ما يحبه سيده لم يبق على إخلاصه له وولائه لعرشه فيظهر أنه بعد عودته من بعثته في الصحراء كان قد اتخذ العدة لاعتلاء العرش الذى كان يجلس عليه سيده «نب تاوى رع» وأن يتاضل من ينازعه هذا المطمح .

ولا بد أن «امنحات» قد ولد في مدينة «طيبة» رغم العلاقة البعيدة التي تربط جده بالإثمنين وهي عادة وطن «آمون» الأصل . وقد مر علينا سمي له قد مات في «طيبة» منذ تسعين سنة مضت . وعلى ذلك فإنه لا بد قد ولد وسمى كذلك بهذا الاسم في عهد «واح عنخ» أما عن الحوادث التي أدت إلى نهاية حكم «نب تاوى رع» - «رع» القصير واعتلاء «امنحات» العرش بعده فلا نعلم عنها شيئا مطلقا وكل ما يمكن قوله على وجه التأكيد هو أن «امنحات» اتحل لنفسه اسم تنويج يذكرنا باسم تنويج الفرعون «سعنخ كارع» آخر ملك شرعى للأسرة الحادية عشرة . وعلى ذلك أسس «امنحات» باسم «محتب أب رع» (مدخل السرور على قلب رع) الأسرة الثانية عشرة .

نظام الحكم في العهد الأقطاعى الأول في حكومة العهد الأقطاعى بالدلتا

مقدمة — إن أقدم عهد إقطاعى معلوم لنا من النقوش المصرية هو العصر الذى جاء بعد تفكك الدولة المتحدة التى قامت فى مصر فى عهد الأسرات الثالثة والرابعة والخامسة ، ثم بدأ عصر الانحلال فى أوائل الأسرة السادسة . وتحولت المديرىات القديمة إلى إمارات وراثية قامت على الأعطية التى كان يهبها الملك الأمراء المستقلين الذين لم يكن له سلطان عليهم منذ سنة ٢٥٠٠ ق م اللهم إلا السلطة الشخصية التى كانت للملك على أتباعه . وهذا العصر الإقطاعى يمتد من أواخر الدولة القديمة حوالى سنة ٢٤٧٥ إلى بداية الأسرة الحادية عشرة . حوالى سنة ٢١٤٠ ق م وفى هذه الأثناء كانت الوحدة المصرية فى طريق التكوين ثانية تحت حكم أسرة كان ينتخب ملوكها على ما يظهر . ولكنها أصبحت فيما بعد وراثية فى عهد الأسرة الثانية عشرة حوالى عام ٢٠٠٠ ق م وقد حلت هذه الأسرة بدلا من الإقطاعيات المفككة التى كانت تتألف منها البلاد فكانت مملكة إقطاعية متحدة مهدت السبيل إلى للدولة الحديثة التى بدأت بالأسرة الثامنة عشرة حوالى سنة ١٥٨٠ ق م .

والواقع أن هذا العهد الإقطاعى الذى مكث نحو ثلاثة قرون منذ الأسرة الثامنة إلى نهاية الأسرة العاشرة بقى مجهولا لنا ، ويرجع السبب فى ذلك إلى أن الوثائق عنه قليلة ، وكل ما لدينا ينحصر فى بعض لوحات ومراسيم الملك « نفر — كاو — حور » « نفر — اب — تاوى » ونقوش أمراء إنخيم أى المقاطعة التاسعة من مقاطعات الوجه القبلى يضاف إلى ذلك نقوش أمراء سيوط ... ثم أخيرا تعاليم الملك [خيتى] لابنه مريكارع أحد ملوك الأسرة التاسعة أى الأسرة الالهاسية وقد تكلمنا عنها جميعا ببعض الاختصار فيما سبق .

وعند موازنة هذه الوثائق السالفة الذكر بالوثائق التي من عهد الأسرة السادسة والتي توخى لنا عهد الإقطاع في تكوينه وبالوثائق التي من عهد الأسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة التي تضع أمامنا معلومات عن أقوال رجال هذا العصر، يصبح في إمكاننا أن نفهم بوجه عام أن النظام الإقطاعي الذي كان السلطان فيه للأمرء ساد في مصر الوسطى، ولم تصل إلينا حتى الآن معلومات مؤكدة عن حالة البلاد السياسية والاجتماعية في الدلتا في نفس هذا العصر لأن الوثائق التي وصلتنا من العهد الفرعوني في معظمها خاصة بالوجه القبلي ومصر الوسطى . وسبب ذلك يرجع إلى أن رمال هذه الجهات قد حفظت لنا الآثار وملفات البردى عكس ما كان عليه الأمر في الدلتا إذ أن غرين الدلتا قد دفن كل الآثار الخاصة بهذه المدينة العظيمة الضخمة التي كان مسرحها الوجه البحري والتي كانت تقع على النيل وقد أصبحنا لانعرف عنها شيئا إلا الإشارات القليلة التي نجدها فيما عثرنا عليه من الوثائق في الوجه القبلي أو ما كتبه بعد مؤرخو الإغريق . وقد كان ذلك سببا في خلق فكرة خاطئة في أفقنا التاريخي عن مصر القديمة، فقد صوّرت لنا طبق ما وجدناه في وثائق الوجه القبلي .

عراقه مدنية الوجه البحري — والواقع أن الوجه القبلي كان بلادا زراعية في أصلها وقد أدخلت فيه الحضارة بعد الدلتا بزمان طويل إذ كانت الدلتا معظمها مدن يشتغل سكانها بالتجارة البحرية والنيلية والصناعة ، ومن أجل ذلك كانت أغنى البلاد المصرية وأكثفها سكانا وأعرقها حضارة، ومع ذلك فإن مكانة هذه البلاد لا تشغل حيزا ما تقريبا في التاريخ المصري القديم لقلّة ما لدينا عنها من المصادر المدونة .

لوحة نعر مرو الحكم الديمقراطي — وعلى أية حال فلدينا سلسلة وثائق ذات أهمية ممتازة تسهل لنا درس هذه المدن واقتفاء أثر أنظمتها في إجمالها ، وفهم أصل نشأتها الاجتماعية، وذلك في عصر ما قبل الأسرات وعصر الإقطاع الإهناسي .

ففى زمن ما قبل الأسرات ألفت اللوحات الأثرية للملوك الجنوب نورا خاطفا على مدن الدلتا فقد مثل عليها ملوك هذا العهد وهم يهدمون تلك المدن ولوحة الملك «نعرمر» الذى يختلط اسمه باسم الملك «ميناء» لها أهمية عظيمة جدا فى موضوعنا هذا . فقد مثل هذا الملك وهو يضرب عصاة الدلتا مرتديا تاج الوجه القبلى وهؤلاء العصاة هم أناس يسمون بالمصرية « رخت » (سكان المدن) وهم من الخوارج وقد ذبح منهم الملك «نعرمر» خلقا كثيرا .

وبعد أن قهر قرية متليس ومليج (قوة الحالية) القوية ، وهى تميز على لوحة «نعرمر» بالرمز الخاص بها وهو المقمعة (الخطاف)، أمر بإزالة جدرانها وقصف وقاب عشرة الرجال الذين يديرون شئونها وأخضعها لسلطانها .

وهذا النصر كان بلا شك حاسما لأن الملك كان يحمل فى تلك الآونة التاجين الأحمر والأبيض للوجه القبلى والوجه البحرى . على أن توحيد مصر فى عهد «ميناء» لم ينتج عنه تهدئة الأحوال فى مدن الدلتا نهائيا، وذلك لأن ذكرى استقلالها القديم كان يعاودها، فكانت تقوم بثورات ضد السلطة الملكية، ويقص علينا حجر «بلرم» فى عهد الأسرة الثانية الحملات التى كان يرسلها الفرعون ضد مدينتى «بزم» و «شمع - رع» . (Breasted, A, R. I. p. 62)

وأخيرا قضت الأسرة الثالثة على كل مقاومة من ناحية هذه المدن فلم تعد تجد بعد أثرا لعشرة الرجال الذين كانوا يحكمونها منذ أربعة أجيال مضت . نظام الحكم فى مدن الدلتا — وكانت هذه المدن الآن قد وضعت تحت إدارة مديرين ملكيين يحمل كل واحد منهم لقب «عزمر» «المشرف على حفر الترعى» وربما كان حفر الترعى هذا عملا يستحق العناية فى الدلتا فى ذلك الوقت، ولا نستغرب ذلك لأن الدلتا فى حاجة الى توزيع المياه والعناية بها فى كل الأزمان، وسنرى أن الاهتمام بالنيل فى الدلتا كان من الأسلحة التى يشهرها الملك على كل بلدة تعصيه فيحجز المياه عنها بإقامة سد فيعطل تجارتها ورى الأراضى التى حولها ،

وبخاصة إذا علمنا أن مدن الوجه البحرى كانت تعيش فيما بينها على التجارة بالنيل وترعه .

والظاهر أن هذه المدن كانت لا تزال تحتفظ ببعض الشيء باستقلال قضائى ، ومالى يختلف عن الجهات الزراعية فى البلاد ، ويلاحظ أن الأسرة الرابعة بعد أن ركزت السلطة الملكية فى يدها (Pirenne, Histoire des Institutions et du Droit Privé de l'Ancienne Egypte Vol. II p. 144, 152.) كان الوزير يلعب فيها بلقب جديد وهو « مدورخيت » أى رئيس المدنيين .

ولما كان الوزير هو القاضى الأعلى فى البلاد فانه عنى بمد سلطانه حتى على سكان المدن (رخيت) ، وذلك مما يدل على أن هؤلاء المدنيين كانوا قبل ذلك يتمتعون بمركز قانونى خاص . ويظهر ذلك جليا منذ قيام الإصلاح التشريعى الجديد الذى أدخلته الأسرة الخامسة .

محكمة العدل العليا — ولما وحدت الأسرة الرابعة الأنظمة الإدارية فى البلاد كلها لقت حكام المقاطعات فى الوجه القبلى والوجه البحرى بلقب (قاضى مدير الترع) «ساب عزمر» وفوق هؤلاء أنشأ ملوك الأسرة الخامسة فى « منف » محكمة ستة المجالس «حت ورت . سو» وهى محكمة عليا يرأسها الوزير مؤلفة من حكام لهم ماض فى الخدمة وكانت سلطتهم تتناول كل البلاد (Pirenne ibid, p. 168) وفى الوقت نفسه نجد أن القضاة المديرين «ساب عزمر» للمقاطعات قد أضافوا إلى لقبهم هذا لقب «مدورخيت» أى (رئيس الرخيت) مؤكدين بذلك طبعا أن الرخيت (سكان المدن) منذ ذلك الوقت أصبحوا تحت سلطانهم كباقي المواطنين الآخرين . ولما كنا قد لاحظنا أن المدن منذ الأسرة الثانية كانت تحت إدارة (مدير) «عزمر» أى حاكم إدارى ، فإن سلطة القاضى المدير التى امتدت على (سكان المدن) فى عهد الأسرة الخامسة لا يمكن إلا أن تعبر عن سلطته بصفته قاضيا (ساب) أى سلطته القضائية . وهذه النظرية مقبولة جدا فى ظاهرها ، إذا لاحظنا

أن الحاكم كان لا يقوم بالعدالة في مقاطعته إلا بصفته رئيسا لمجلس أشرف (سر) ومن المحتمل أن هؤلاء لم يكونوا في المدن إلا خلفا (لعشرة الرجال) الذين كان في أيديهم قبل حكم « مينا » إدارة الحكومة في كل مدينة ، ولا بد من القول بأن « الرخيت » سكان المدن كانوا طائفة مميزة من الممولين وهذا يمكن استنتاجه من درس ألقاب الدولة القديمة . فصلحة المالية « برحز » (P. r. h. d.) . كانت تشمل إدارة هامة يقوم بإدارتها مدير الضرائب « حرى . وزب » وكانت إدارة الضرائب في عهد الأسرة الخامسة على ما يظهر تحت سلطة مديرين ، مدير ضرائب الزراعة « حرى . وزب . مریت » ومدير ضرائب المدنيين « حرى . وزب . رخيت » وكان الاثنان تحت إشراف الوزير الأعلى الذى كان من ألقابه العدة مدير الضرائب الزراعية وأهل المدن (Pirenne, ibid. p. 183) وسكان المدن هؤلاء « رخيت » رغم أنهم كانوا يخضعون بالتدريج لقانون الحقوق العامة كلما تركزت السلطة الرئيسية، قد حافظوا طوال الدولة القديمة على طابع خاص بهم من الوجهة الاجتماعية على الأقل .

عودة الحكم الديمقراطى الى الدلتا فى العهد الإقطاعى —
ومن الأمور الهامة فى تاريخ العهد الإقطاعى فى عصر الأسرة التاسعة أن نرى عشرة الرجال الذين شاهدناهم فى لوحة « نمرمر » كانوا يحكمون المدن قبل جمع السلطة الملكية فى يد « مينا » وقد ظهوروا ثانية فى متن تعاليم الملك « خيتى » لابنه « مريكارع » وهذا المتن له أهمية ممتازة فى درس تاريخ مدن الدلتا والعصر الإقطاعى بوجه عام . ومن المدهش أنه لم يدرس قط حتى الآن من هذه الناحية . وذلك أنه عند ما شرح الملك « خيتى » لابنه ما يجب عليه القيام به لتنفيذ سلطانه حتى يكون ملكا قويا فاضلا فى وقت واحد ، أشار فى سياق الحديث إلى أن الحال قد تستدعى فى مواطن كثيرة الاستعانة بسلطانه الشخصى وسلطان أتباعه ورعاياه على أن طابع هذه الوثيقة التى فى أيدينا نفسها لا يعرض أمامنا وصفا منظمًا عن مملكة « خيتى » التى كانت وقتئذ تنحصر فى مصر السفلى ومصر الوسطى ، ولكن من الممكن

أن نستخلص هذا النظام بجمع كل العناصر التي تضمها الوثيقة ويكون لها علاقة بالأنظمة الإقطاعية في تلك الفترة .

وسنرى أنها تجتمع من جهة حول الأمراء الإقطاعيين أو الأتباع ذوي الإنعامات الملكية، ومن جهة أخرى حول مدن الشمال^(١) .

ورغم أن التعاليم التي وجهت إلى «مريكا — رع» ترجع إلى العهد الإهناسي، فإن النسخة التي في أيدينا قد كتبت في عهد «تحتس الثالث» أو «أمنحوتب الثاني» هذا فضلا عن أن المتن الذي في أيدينا مشوّه وفيه فجوات ، ونجد كثيرا من قطعه لا يمكن الاستفادة منها ، وستقتصر في الترجمة على الفقرات السليمة التي يمكن الوصول فيها إلى حقائق مفهومة .

حالة بلاد الدلتا من تعاليم مريكارع — ونعلم من هذا المتن أن الملك الإقطاعي كان قبل كل شيء كاهنا أعظم، على أنه وإن كان سلطانه من جوهر إلهي فإنه لم يكن بآله كما كان الفراعنة العظام في عهد الدولة القديمة ويرجع السبب في ذلك إلى أن تفكك الدولة قد غير الفكرة عن الملكية وجعلها تعود إلى ما كانت عليه قبل توحيد «مينا» للبلاد أي إلى الفكرة الإقطاعية قبل الأسرات .

والواقع أنه بقدر التقوى التي كان يظهرها الملك نحو ربه ، يصبح ملكا ذا باس عادلا مهايا محبوبا . ولذلك يقول ختي لابنه :

«أسس بيوتا للإله وطوائف الناس الذين تجندوا (لهذه البيوت) نافعين لربهم ، وهذا هو السبيل لإحياء اسم من أقامها — ويجب على الإنسان أن يفعل ما يسر روحه «با» . أذ الخدمة الشهرية للكهنة المطهر «وعبت» فالبس حذاء أبيض ، واختلف إلى المعبد ، وتفقه في الأسرار، وانفذ إلى أعماق المحراب ،

(1) W. Golenischeff, Les Papyrus Hieratiques N. 1115-1116 A. 1116 b, de L'Ermitage Imperial à St. Petersburg 1913; Gardener, New Literary Works from Ancient Egypt, J. E. A. 1914 p. 22-32; Erman Die Literatur der Agypter 109-119.

وكل من خبز المعبد، وأبسط مائدة القربان وضاعف خبز (القربان) وزد في أهمية صحايا المؤسسات الدينية، فإن ذلك شيء نافع لفاعله . أسس بيوتا للإله حسب ثروتك، لأن يوما واحدا يثمر لكل الأبدية، وساعة واحدة تجلب السعادة للمستقبل، والله يعرف الذى يعمل حبا في ذاته .

أما ميزة الملك الرئيسية لإقامة العدل، ولكن ما أبعدنا في متون « خيتي » عن النظام القضائي الفاحر الذى كان سائدا في الدولة القديمة ، فمحكمة ست القاعات المقامة في « منف » وهى التى كان يشرف عليها الوزير وتصدر الأحكام باسم الفرعون قد اختفت وحل محلها الملك نفسه يعمل قاضيا في قصره . أما القصر فلم يعد بعد يطلق عليه اسم البيت العظيم (برعا) الذى كان مقر . (Pirenne, ibid p. 47-17, 59, Vol. III. p. 33, 43) الملك يحيط به حاشيته وعظاء ضباطه وجم غفير من موظفيه، بل كان مجزء قصر الملك «خنو» أى بيته الخاص؛ وكان الملك يجلس فيه في وسط حاشيته المؤلفة من أتباعه الذين يقيم معهم العدالة في البلاد .

نزاهة الحكم والعدالة — وكانت محكمة العدالة هذه هى أساس القوة الملكية وذلك لما كانت سلطة الملك تفرض على الناس الرهبة التى كان يجب أن تبعثها في نفوس القوم . وكذلك تفرض رهبة عليهم باستقامته التى كان يعترف بها الجميع ، فإنه كان من الضروري أن يكون عظاء حاشيته مستشارين مخلصين له وقضاة تزيين في أحكامهم، ولذلك كان من واجب الملك أن يجعلهم من أهل اليسار لأن «خيتي» يقول لابنه: "إن الرجل الذى لا يحتاج إلى شيء في مأمن من أن تشتري نفسه بالمال .

حاب عظاءك حتى يحترموا قوانينك ولن يكون محابيا من كان غنيا في بيته وله متاع ولا يشكو الفاقة ، والرجل المموز لا يتكلم حسب اعتقاده، ولا يكون مستقيما من يقول : آه لما ذالم أكن غنيا ، ويكون إذا محابيا لمن في قدرته أن يدفع له (الرشوة) .

وعظمة الرجل العظيم عند ما يكون العظماء عظماء .

وإنه للملك قوى إذا ما شد أزره مجلس ، وإنه بلدير بالاحترام من كان غنيا في عظمائه ، وعندما يكون الملك محاطا بعظمائه الذين تضمن ثروتهم استقامتهم ، فإنه يقيم عدالة صحيحة .

وعندما تقيم العدالة في بيتك فالعظماء الذين في البلاد يخافونك . وكل شيء ينجح للملك سليم القلب ؛ وإن داخلية بيتك هي التي تبعث الرهبة في خارج بيتك . أبر العدل حتى يمكن أن تبقى على الأرض ، واسم الباكي ، ولا تضطهدن الأراامل ، ولا تحرمين رجلا متاع والده ، ولا تؤذين العظماء في مراكرهم ، واحذر أن تعاقب ظلما ، ولا تضربن إلا إذا كان في ذلك مصلحة ، ويمكك أن تعاقب بالجلد وبالسجن ، فالبلاد يحسن نظامها بهذه الطريقة ، ولا تستئين إلا الثائر عندما يكشف عن نواياه ، لأن الله يعرف الشرير ويلعنه في الدم ... ولكن لا تضربن رجلا تعرف مزاياه وقد رتل مع الكتب ” .

يجب أن يكون الملك متعلما تقيا — والكتب المقصودة هنا هي التي قد حفظ فيها حكم الأجداد أساسا لتكوين الرجال المثقفين . ” قلد آباءك وأجدادك ، وتأمل فإن كلامهم محفوظ في الكتب . افتحها واقرأها لتصير من أهل المعرفة ، لأن الذي يعمل يصبح رجلا متعلما . والواقع أن الملك يبعثه مثل هذه الحكمة التقليدية يصل إلى هذه الاستقامة وطيبة القلب اللتين تسمحان له أن يقابل حساب ربه دون خوف بعد الموت ، لأنه لن ينسى قط أنه مسئول أمام الإله ، إن المحكمة الإلهية التي تحاكم المجرم كما تعرف ليست متهاونة في اليوم الذي يقف فيه الشقي ساعة النطق بالحكم ، فالشقاء إذا كان المتهم مجرما . ولا تركزن إلى التفكير في طول الأعوام (التي عشتها) لأن الحياة الإنسانية في نظر المحكمة مثل ساعة واحدة . (هذه هي نظرية العلم الرياضي) . والرجل يظل باقيا بعد أن يصل إلى ميناء الموت وأعماله تكون بجانبه مكدسة وسيبقى هناك أبدا وإنه لمن الحق أن يستهان بذلك .

ومن يصل إلى ميناء الموت دون أن يرتكب خطيئة كان هناك بمثابة إله (1. 57) وسينزده كأسياد الآخرة“ .

ومن المهم الآن أن نتساءل من هم هؤلاء العظماء والرعايا الذين مدد الملك عليهم سلطانه التشريعي . ولكن متن هذه البردية لا يمكننا من فهم ذلك إلا بعد أن نفحص فحصا دقيقا الألفاظ التي تعبر عنها ، ومن ثم يمكننا أن نصل إلى بعض نتائج بطريقة واضحة بالرغم من الفجوات والإبهامات التي تجعل بعض أجزاء المتن لا يمكن فهمها كلية .

تفسير كلمة عظماء في العهد الإقطاعي — ففى المتن كلمة (العظماء) « ورو » وهذا هو اللقب الذى كان يحمله الإقطاعيون فى عهد ما قبل الأسرات عندما كان مجلس (عشرة رجال الجنوب) « ور . مز . شمع » يؤلفون نوعا من مجلس عشرة العظماء الإقطاعيين قبل أن يصبحوا عشرة الأمراء فى عهد الدولة القديمة (Petrie, Tanis p. 100) وهذا هو اللقب الذى كان يحمله أمراء أسيوط فى عهد الأسرتين التاسعة والعاشر (Breasted, A. R, I, par. 393-408) ، على ذلك فالعظماء هم أمراء الإقطاع التابعون للملك ، وهم رؤساء عشائر وكلمة العشيرة هنا « وحيث » يقصد بها القبيلة تقريبا وهى التى تشمل الأسرة وكل أتباع « السيد » ، وهؤلاء الأتباع « الموالى » يعبر عنهم بكلمة (مريت) وهذه اللفظة تفسرها لنا المراسيم الملكية التى صدرت فى عهد الأسرتين الخامسة والسادسة (Pirenne, ibid, Vol. II p. 306-316) ومعناها المزارعون أو الفلاحون بالمطابقة مع المدنيين . وهؤلاء الفلاحون قد تحولوا فى أواخر الأسرة السادسة إلى مستأجرين (تملين) (Pirenne, ibid. Vol. III. p. 299-302) ويطلق عليهم متن « مريكارع » كذلك لفظة « زت » (تمليه) وهى كلمة تدل على نوع من المزارعين (التملية) التابعين لضبعة السيد .

وهؤلاء الأسياد كانوا يسكنون قلاعا عظيمة « حت - عات » مثل حكام الإقطاع فى عصر ما قبل التاريخ ويلقب كل واحد منهم بلقب « نب » (السيد)

مثل الملك نفسه، ونقوش أمراء أسيوط تظهر لنا أنهم كانوا يتعاقبون على حكومة مقاطعتهم حسب قواعد الوراثة الملكية، وفي أيدهم السلطة الملكية الحقيقية، ومع ذلك فإنهم كانوا تابعين للملك فهم أتباعه وأصحاب إقطاعه ومرتبون به من جيل إلى جيل وخاضعون لتشريعته ويحصلون منه على هبات وثروة؛ وهم مدينون له بالخدمة العسكرية ولكنهم يقودون جيوشهم الخاصة .

وملوك إهناسية لم يمدوا سلطتهم على الأمراء الإقطاعيين فحسب بل إن قوتهم كانت تتمثل إلى درجة عظيمة في السلطة التي يديرونها، وذلك بفرضها على مدن الدلتا أو على الأقل على طائفة منها .

تقسيم الدلتا إلى مراكز ديمقراطية — وكانت الدلتا خلافا لمصر الوسطى مقسمة بين العظماء وتتألف من مراكز (سبت) لكل مركز مدينة عظيمة تتخذ حاضرة له : وفي كل من هذه المدن كانت السيادة في أيدي عشرة رجال وكان الحاكم يستمد إرادته من الضرائب المختلفة . أما الكاهن فكان له حقل (أى أن الكاهن كان له حقل بصفة مرتب يستغله هبة وراثية) .

وصف مدينة أتريب (بنها) وحكومتها — ويصف لنا المتن بلدة « أتريب » بأنها مدينة من أهم هذه المدن وهي واقعة في وسط الدلتا على الفرع الأوسط للنيل (المقاطعة العاشرة من الوجه البحري) (9901) وهي المركز الرئيسى للطرق التي تؤدي إلى البلاد الأجنبية (في المتن يقول سره جبال أهل الصحراء) وأسوارها وجنودها كثيرة .

ويبلغ تعدادهم عشرة آلاف رجل (الذين يطلق عليهم صفة المواطنين) لا يدفعون ضرائب (أى الضرائب أو السخرة للملك التي أعفوا منها . إذ المتن في الواقع يشير إلى ضرائب يدفعونها إلى حكومة المدينة) .

ولها حكام « سر » منذ زمن الحاضرة (أى منذ أوزير وهو عصر ما قبل التاريخ الذي تنتمي إليه اللوحات المنقوشة، وهي التي عرفنا منها هؤلاء الحكام أى عشرة الرجال) .

وحدودها ثابتة ، وقوية ، وحمايتها (؟) ، وهى مؤلفة من جم غفير من رجال الشمال ، وبلاد الدلتا تنتج القمح بلا قيد ولا شرط ، وهذا القمح ملك لمن يزرعه . ولقد كانت هذه هى الميزة الأساسية لبلاد الشمال . ولا نزاع فى أن هذه الأسطر القلائل من هذا المتن (وهى لم تفهم من قبل على ما أعتقد) تظهر لنا بوضوح حال مدن الدلتا . فكان يدبرشونها حكام وهم عشرة الرجال . ومن المهم أن نلاحظ أن السلطة التى كانوا يمارسونها قد عبر عنها فى المتن بكلمة (حقا) وتدل على السيادة التى كانت فى يد الأمير . والواقع أن سيادة الأمراء الإقطاعيين كان يعبر عنها بلقب (حاكم القلعة) «حقا» فى مرسوم «نفر كاوحو» وهو أحد العقود القانونية فى العهد الإقطاعى يقول : «عندما عين «ادى» أمير «فقط» حاكما على ست المقاطعات الجنوبية للوجه القبلى» ، وقد أنعم عليه بهذه السلطة فى العبارة الآتية : اعمل أميراً (حاتى عا) ورئيسا لحكام القلاع (حقا) الذين هناك (فى هذه المقاطعات)؛ وعلى ذلك فإن المدينة كانت بالنسبة للملك كإقطاعية أى أنها ليست تابعة لأى أمير إقطاعى ، وهذا يدل على أن الدلتا لم تكن مقسمة إمارات إقطاعية ولكن المدن كانت منظمة جمهوريات تتمتع بحكم ذاتى وتحت سيطرتها الأراضى المنبسطة . وسكان هذه المدن كانوا يتألفون من مواطنين أحرار، وكانوا قابعين داخل أسوارهم ، وفى قبضتهم الأراضى التى تحيط بهم . أما مصدر حياتهم فكان التجارة ، وكانت تلتقى القوافل البرية فى هذه المدن ، وكذلك السفن التى كانت تجرى على النيل نحوها . وفى أصقاع هذه المدن لم يكن نظام (التلمية) الإقطاعية موجودا ، فالقمح كان ينتجه الزراع بحرية ومحصوله ملك لهم .

سكان المدن من الطبقة الوسطى — وهؤلاء السكان الأحرار كانوا يتألفون من الطبقة الوسطى الحرة ولكنهم لم يكونوا من الأشراف ، والمتن يعبر عنهم بكلمة «نرى» التى تعنى بالمصرية صغير «متواضع» وقد ترجمها الأستاذ «جردنر»

فى سطر ٦٢ بكلمة (متواضع) وفى سطر ١٠١ بكلمة (مواطن) والواقع أن كلمة « نرى » هنا معناها من غير الأشراف ، ولكن أهل هذه الطبقة المتوسطة الأحرار كان يتألف منهم قوم على وجه خاص مشاغبون ، وكانوا مقسمين عصابات سياسية ، وهذا ما يجعلنا نوافق على أن عشرة الرجال كانوا منتخبين من أهل المدن لإدارتها ، واستمع إلى المتن يصف تطاحن الأحزاب فيقول : ” إنهم عنصر ثورة فى المدينة فهم كالرجل المشاغب الذى يبعث الشقاق فى حزبين بين أهل الجبل الغنى فإذا فهمت أن المدينة متحازة إليه ... وأن أعماله لا تحسب حسابك فعليك أن تحضره أمام المجلس وعاقبه لأنه نائر ، والإنسان المؤذى للمدينة يكون مثل الثرثار . عليك أن تخضع الجمهور وأن تجمع هياجه “ .

ونشعر من هذا المتن المتلى حيوية بحياة هؤلاء السكان المدنيين المضطربين المتفرقين شيعا سياسية أنهم يكونون دائما على أهبة خلع النير الملكى . وكذلك نجد من جهة أخرى أن الملك ، وإن لم يكن يضرب الضرائب على أهل المدن ، فإنه كان له عليهم نفوذ تشريعى إقطاعى الصبغة ، فالقاضى كان يحضرهم أمام محكمته ويحكم عليهم . على أن الملك مع ذلك كان لا يتردد فى أن يتدخل ويخضع الجمهور كما فعل ملوك ما قبل التاريخ وملوك الأسرتين الأولىين الذين أرسلوا الحملات التأديبية الى المدن كما جاء فى لوحات ذلك العصر وفى حجر « بلرم » .

تكوين جيش الفرعون — وعند كلام الملك عن هذه المدن القوية الآلهة بالسكان الواقعة فى شرق الدلتا كان يقول : ” إنها تقدم له خدمات كرمرة بسيطة « تس » “ ويقصد من هذه (الزمرة) أن المدينة تقدم للملك فرقا عسكرية من المجندين . وسرى ذلك فيما يلى . فإذا كان أمراء الإقطاع كما فهم من نقوش أسيوط ، لهم جيوشهم الخاصة فإن الملك كذلك له جيشه الذى كان يهتم دائما بزيادته . ” جند جنودك بطريقة تجعل القصر يقدرك . وضاعف عدد رعاياك الذين تتخذ منهم أتباعك .

وارع أن تكون المدينة (يعنى هنا المدينة الملكية) مكتظة بجنود جدد وهالك
عشرين عاما والجليل الغنى مرتاح ليعيش حسب رغبته .

وعلى ذلك استمر الأتباع يقدمون أنفسهم ، ورئيس الأسرة يشترك فى الخدمة
مع أولاده ... [فهل الشيخوخة هى] التى حاربت لأجلنا عند ما جندت جنودى
وقت توليت العرش ؟

حاب عظماءك ومد (محاريبك) وضاعف أجيال أتباعك ومددم فى قوائمك
بالهبات من الحقول المجهزة ... بالماشية . وهذه الفقرة تظهر أن الملك كان
يحن من بين رعاياه رجالا يحملون السلاح ويهبهم إنعامات وراثية ، وبذلك أصبحوا
أتباعه . والظاهر أنه كان من واجبهم أن يقوموا له بالخدمة العسكرية مدة
عشرين عاما .

وهذا الجيش كان يقوده رؤساء ينتخبهم الملك من بين عظمائه كما كان ينتخبهم
من بين أهل المدن .

”لا تميز بين ابن الأسرة (أى الشريف فى النسب) وبين الرجل الرقيق الحال
أى الذى من الطبقة المتوسطة بل خذ الرجل فى خدمتك حسب قيمته “ .

ولا شك فى أن الملك كان يفرض خدمة عسكرية خاصة على سكان المدن .
ومن أجل ذلك كان يخروطهم فى سلك فرقة من الفرق «تس» التى يتألف منها جيشه .
فع أن مدن الدلتا كانت صاحبة استقلال ذاتى إلا أنها كانت تابعة للتشريع
الملكى ، ومدينة للملك بتقديم فرق من المجندين ، وكانت له منبع قوة ولذلك وصى
«خيتي» ابنه ألا يهمل ذلك المنبع ؛ ولا نزاع فى أن المدن كانت تطبق سلطان الملك
بصعوبة . وكذلك الالتزامات التى كانت تتجمل عن هذا الخضوع ، ولهذا كان يرى
الملك من بعيد المعارضة التى ينتظر أن تقوم فى وجه ابنه .

أسلحة الملك لمحاربة المدن الثائرة — وكيف حدث أن هذه المدن لم تثر؟
فيقول لأن النيل لا يخطئ ، فاذا أردت فإنه لا يأتى (الى هذه المدن) . وهذا

هو السبب الذى من أجله أصبحت الضرائب « باك » فى يدك وهى التى تنجى من بلاد الشمال . وهكذا فقد غرست وتد جبل المرسى فى القطر الذى أخضعته فى شرق الدلتا (أى أصبحت مسيطرا على شرق الدلتا) من بداية حدود جنو (بنى حسن) حتى طريق حور (حدود شرقى الدلتا) وهذا القطر أهل بالمدن المكتظة بالسكان وهى أحسن البلاد ... » .

وفى جزء آخر من المتن يفسر لنا الملك كيف تتبهر الفرصة لإجبار المدن على الخضوع ، وذلك أن المدن كانت دائماً فى حروب مستمرة فيما بينها ، فمثلاً نجد أن « اتريب » لأجل أن تقهرها « إهناسية » حاضرة الملك ، قد أقامت سداً ضدها ، وهو سد فى عرض النهر طبعاً لوقف الملاحه وإجبارها على التسليم والخضوع .

وهذه هى نفس الطريقة التى يشير إليها الملك عند قوله أن يمنع المدن من الثورة ضده ، لأنه هو سيد النيل ، وأنه بإرادته يأتى النيل أولاً يأتى حتى مدن الدلتا .

ومن ذلك نعلم أن فيضان النيل وسده كانا هما الطريقين الفعالين للسيادة على المدن ؛ فالفيضان يعوق زرع الفلال وهو مادة التجارة لمدن الشمال ، والسد يمنع الملاحه . وهكذا يصف لنا الملك الحرب التى شنها على الدلتا : « أقم سداً ضد نصف البلاد ، واغمر النصف الثانى بالمياه بما فى ذلك (؟) مدينة « اتريب » .

وهذه الجمل مع إيجازها لها أهمية استثنائية إذ تبرهن على أن المدن كلها كانت تتوقف حياتها على النيل لأنه الطريق العظيم للتجارة التى منها تعيش وبه حافظت على حريتها فى داخل أسوارها .

والظاهر أن تعاليم « مريكارع » لم تترك مجالاً للشك فى أهمية مدن الدلتا مدة العصر الإقطاعى ، إلى أنها قد سهلت علينا فهم النظام الذى كانت تعيش تحت كنفه هذه المدن ، وكذلك تأليف سكانها ونشاطهم .

وفى وسط نظام الإقطاع الذى ملك الدولة القديمة تحول المجتمع إلى ضياع يملكها الأشراف ، وأسس بين الأشراف والأحرار والعبيد نظام طبقات وراثى دقيق منظم اقتصاديا فى نطاق ضيق جدًا نجد فيه أن المدن التى كانت مركز التجارة والملاحة ، كسرت تلك القيود التى كان يضيق بها الأشراف الخناق باضطراد .

وحوادث الثورة الاجتماعية التى اندلعت لىها فى هذه الفترة فى المدن قد حفظت لنا فى أحد المصادر التى تعد من أهم الشواهد التاريخية المؤثرة فى العصور كلها . وهى التى تعرف باسم (تحذيرات متنبئ^(١)) ففىها نرى الشعب يقتل الأشراف ويخرب دواوين المساحة . ويتخلص من نير الملكية القديمة . والمدن تسترجع استقلالها الذاتى الذى كان لها منذ ألف سنة سبقت ذلك العهد قبل توحيد السلطة على يد مينا .

نظام الحكم الجمهورى فى مدن الدلتا — وقد كانت كل مدينة من هذا العهد تؤلف جمهورية لها حكومتها الذاتية ، وسكانها الذين كان يبلغ عددهم نحو ١٠٠٠٠ مواطن بالغ كما فى « أتريب » يعيشون أحرارا دون أشراف بينهم ، ولكن كان يقلل راحتهم حياة سياسية شديدة قسمتهم أحزابا ، وكانت محكومة كما كانت فى عهد « نعرمر » بعشرة حكام فى يدهم السيادة ، وهذه المدن كانت محوطة بأسوار ولها جنود مرابطون يسيطرون على الأراضى المستوية التى تحيط بها ويحافظون على حريتها ، وزراع هذه الولايات الصغيرة المدنية كانوا يزرعون بحرية القمح ويبيعونه فى المدن ويصدرونه بفضل مياه النيل إلى الأفطار الأجنبية ، وثروة المدن وقوتها كانت تأتى لها عن طريق تجارتها التى سهلت بفضل السفن التى تجرى على ماء النيل .

ومع ذلك فقد كان لزاما على هذه المدن أن تخضع للإشراف الملكى ، لأن المشاحنات التى قسمتها أحزابا قد صيرتها تحت رحمة الملك ، فجزها ذلك إلى الخضوع

(١) راجع كتاب الأدب المصرى القديم للؤلؤ جز أول ص ١٩٤ الخ .

حتى لا يفرقها أو يمنع عنها النيل وبذلك يعزلها عن باقى العالم ويجعل نشاطها
التجارى وهو قوام حياتها مستحيلا .

ومع ذلك فإن السلطة الملكية لم تظهر فى المدن إلا فى امتداد تشريع محكمة
المملك الإقطاعية وفى الالتزامات المفروضة عليها وإمداد جيش الملك بالمجندين .

أهمية تعاليم خيتى فى الأنظمة الحكومية — ونجد عند عرض ما قامت به
مدن الوجه البحرى فى العهد الأوّل الإقطاعى المصرى أن تعاليم « مريكارع »
تحتل على ما يظهر مكانة تاريخية ذات أهمية ممتازة . فاللوحات التى من عهد ما قبل
التاريخ تثبت وجود الحكم الذاتى فى مدن الشمال قبل عهد « مينا » ، ووثائق الأسرة
السادسة والعشرين تبرهن على الصبغة الأصلية للدينية الصاوية التى نمت فى الدلتا
بعد العصر الإقطاعى الثانى (الأسرة ٢١ — ٢٥) . أما تعاليم « خيتى » التى وصفت
لنا الحياة فى المدن المصرية بأنها حياة صاحبة قوية فتبرهن لنا على أن هذه الحياة قد
ظلت فى خلال أربعة آلاف عام محورا يدور حوله نظام الحكم ، ويرجع به إذا
اقتضى الأمر إلى نظام الإقطاع فى وادى النيل ، ويجعل من هذه المدن المتحضرة
جزيرات حيث تسود بفضل التجارة والملاحة حرية لا تختلف كثيرا عن تلك التى
كانت معروفة فى مدن سهل (لومباردى) و (الفلندر) فى وسط المدينة الإقطاعية
منذ القرن الحادى عشر إلى القرن الخامس عشر .

الأسرة الثانية عشرة ٢٠٠٠ - ١٧٨٧ ق م



أمنمحات الأول (٢٠٠٠ - ١٩٧٠ ق م)

مقدمة

قلنا فيما سبق : إن « أمنمحات » الأول مؤسس الأسرة الثانية عشرة يحتمل أن يكون هو نفس « أمنمحات » وزير الفرعون « متوحتب الرابع » ، والمربح أن سلطان هذا الوزير أخذ يعظم ، ونفوذه يزداد ويقوى في عهد « متوحتب » هذا



(شكل ١٤) أمنمحات الأول

حتى تمكن في النهاية من الاستيلاء على العرش عنوة ، ويقوى هذا الظن أن « متوحتب » الرابع هذا ، كان مغتصبا للملك ولم يكن صاحب حق وراثي فيه ، على أنه من الجائز أن يكون « أمنمحات » تولى العرش بعد وفاة « متوحتب » مباشرة بفضل ما كان

له من قوّة ونفوذ في البلاط ، ويعتد هذا الرأي الأخير مقبولا جدًا إذا ثبت أن « أمنمحات » هذا ، ينتسب إلى أحد فروع الأسرة الملكية الشرعية القديمة . ولدينا مصادر تاريخية تشير إلى وجود صلة دم بين « أمنمحات » مؤسس الأسرة الثانية عشرة وبين ملوك الأسرة الحادية عشرة . فقد نوه « سنوسرت » الأول عن ذلك كما أسلفنا ، ولكن على الرغم من وجود صلة الدم هذه فإن « أمنمحات » الأول على ما يظهر أراد أن يبرر اعتلاءه عرش الملك أمام الشعب المصرى بطريقة روحية مبتكرة تختلف عن الطريقة التي اخترعها ملوك الأسرة الخامسة عندما أرادوا أن يثبتوا مراكرهم أمام الشعب المصرى (مصر القديمة ج ١ ص ٣٢) ؛ وقد جرت التقاليد في التاريخ المصرى القديم ألا يتولى عرش الفراعنة إلا من كان يحوى في عروقه الدم الملكى الخالص كما سبق شرح ذلك في الجزء الأول (مصر القديمة ج ١ ص ٢٩٦) . فإذا اتفق أنه ظهر رجل عظيم في البلاد ولم يكن من دم ملكى وأراد أن يؤسس أسرة جديدة أو يقتصب الملك بما لديه من قوّة ونفوذ بدون حق شرعى ، فإنه كان يلجأ في سبيل تنفيذ مآربه عقبات جساما ، وذلك لأن الشعب المصرى كان يميل إلى التمسك بأهداب القديم ، ويحافظ على ما وجد عليه آباءه وأجداده ؛ وبخاصة فيما يتعلق بالبهت المالك الذى يرتفع في نظر المصريين إلى مرتبة الآلهة . من أجل ذلك لم يعتمد « أمنمحات الأول » في استوائه على العرش على القوّة وحدها ، بل قرنها بحيلة تدل على الحذق والمهارة ، استمال بها أبناء الشعب مثقفين وغير مثقفين ، تلك هى أسطورة حرص على إذاعتها بين القوم قوامها نبوءة لحكيم قديم رأى فيها أن الولايات التى حاقت بالبلاد ستنجاب على يد رجل عظيم يصلح عوجها ، ويرى بمحكمته عللها ، وذلك المخلص المنتظر هو « أمنمحات » ، آمن بها الدهماء ؛ لأنها نبوءة تنبأ بها حكم من قديم الزمان منذ آلاف السنين ، وقال عنه إنه المخلص المنتظر الذى سيخلص البلاد مما أحاق بها من ويلات ونكبات ظلت قرونا متوالية ، وآمن بها المثقفون لأنها كتبت بأسلوب يأخذ بجامع القلوب في عصر يحتل فيه

الأدب مكانة رفيعة بفضل كتاب نابيين كانوا يصورون حالة البلاد وما انطوت عليه من بؤس وفقر بأسلوب مؤثر. فكان ظهور هذا المخلص المتظر بعد رحمة عند الجميع . وسنورد فيما يأتي هذه النبوءة التي صاغها الكاهن المرتل « نفرروهو » في قالب أدبي جذاب تبريرا لاعتلاء « أمنمحات » عرش الملك مع التعليق على محتوياتها .

« نبوءة نفرروهو »^(١)

عثر الأستاذ « جولنيشف » على بردية هي الآن بمتحف « لسنجراد » وتحتوي على نبوءات كاهن مرتل اسمه « نفرروهو » . وهو يدعى أنها ألفت في حضرة الملك « سنفرو » الذي ينتسب إلى أوائل الأسرة الرابعة ، أي قبل العصر الإقطاعي الذي نحن بصددده بما يقرب من ألف سنة . والواقع أن ذلك هو مجزء وضع تمثيل ليسبق على كلمات « نفرروهو » قوة التأثير . ومن حسن الحظ أن كاتبها آثر من عهد الدولة الحديثة من عاشوا في القرن الخامس عشر قبل الميلاد قد ظهرت له أهمية ذلك المقال ، ولما لم يجد لديه برديا أبيض ينقشه عليه نقله على ظهر أوراق أخرى سبق أن استعملها في تدوين حسابه هو ، وبذلك بقيت نبوءات « نفرروهو » في تلك الصورة التي وصلت عفوا بما تحتويه من غموض بسبب أغلاطها الكثيرة التي حدثت عند نقلها بطريق المصادفة كما ذكرنا .

والوثيقة تبتدئ بمنظر مألوف في كل عصور التاريخ المصري حتى في النقوش الرسمية ويصور مقدمة للوضع . فيجلس الملك مع حاشيته يتشاور في أمر ، أو تفص عليه الحاشية حكاية ، أو كما نجد في غير هذا المكان أن الملك لحب استطلاع أمور الغيب تتوق نفسه لسماع شيء لم يكن يعرفه .

فيقول : « والآن اتفق في عهد جلالة الملك « سنفرو » وهو الملك المحسن في كل هذه الأرض أن موظفي الحاضرة دخلوا يوما القصر ليقدموا للملك تحياتهم .

(1) Papyrus Petersburg No. 1116 B. (Recto).

ثم جاءوا ثانية ليقدموا تحياتهم كرة أخرى كما كانت عاداتهم اليومية . وعندئذ قال الملك لمستشاره الذى كان بجانبه : ” اذهب وأحضر إلى موظفى مقر الملك الذين نخرجوا من هنا اليوم ليقدموا تحياتهم^(١) ، فدخلوا عليه وسجدوا ثم انبطحوا على بطونهم أمام جلالته كرة أخرى .

وقال لهم جلالته : ” يا إخوانى . لقد أمرت بطلبكم لتبعثوا لى عن ابن من أبنائكم يعيد الفهم أو أخ من إخوانكم بارع ، أو صديق من أصدقائك قد أنجز بعض عمل شريف ، أى فرد يتحدث إلى بكلمات جميلة وألفاظ مختارة عند ما تسمعها جلاتى تجد فيها تسلية “ .

وعندئذ سجدوا منبطحين على بطونهم فى حضرة جلالته مرة أخرى . وقالوا فى حضرة جلالته : ” يوجد مرتل عظيم للالهة « باست »^(٢) يأيها الملك يا مولانا ، واسمه « نفرروهو » ، وهو شعبى قوى الساعد وكاتب حاذق الأنامل ، وهو شخص مسود أغنى أقرانه . ليتة يشاهد جلاتك “ .

فقال جلالته : ” اذهبوا واتوئى به “ وأدخل عليه فى الحال وسجد على بطنه فى حضرة جلالته . وقال جلالته : ” تعال الآن يا « نفرروهو » يا صاحبي وحدثنى ببعض كلمات جميلة ، كلمات مختارة حينما أسمعها ربما أجد فيها تسلية “ . فقال المرتل « نفرروهو » هل ستكون الكلمات من الأمور التى حدثت أو مما سيحدث يأيها الملك يا مولاي ؟ فقال جلالته : ” لا مما سيحدث ، إذ أن الحاضر قد دخل فى الوجود ويمت الإنسان به “ . فمد يده إلى صندوق مواد الكتابة وأخذ قسطا

(١) يقصد (بتقديم التحيات) الأبناء اليومية عن كبار الموظفين ، وكانت تقدم أولا إلى الملك ثم إلى الوزير وغيره من رؤساء الأقسام . (٢) « باست » هى إلهة الفرح . رأسها رأس فطة وتعبد فى « تل بسطة » من أعمال الدلتا وهى (الغنازيق الحالية) . (٣) هذا الاصطلاح « أدخل فى الحال » عادى فى القصص التى من هذا النوع . ولا يجب الأخذ به حرفيا لأن « تل بسطة » على بعد تسعين كيلومترا على الأقل من حاضرة « سفرو » .

وقلما ومدادا ودون : كتابة ما تحدث به الكاهن المرتل « نقرروهو » حكيم الشرق
التابع للالهة « باست » ... ابن مقاطعة « عين شمس » حينما كان يفكر فيما سيحدث
في الأرض ، ويفكر في حالة الشرق حينما يأتي الأسويون بقوتهم ، وحينما يعذبون
قلوب الحاصدين و ينتصبون ماشيتهم وقت الحرث .

ثم يصف لنا بعد هذه المقدمة التاريخية التي تنسب لذلك المقال كما أوضحنا ،
الخراب والفوضى الذين كانا يحيطان به ، ومثله في ذلك مثل « خع خبر — رع —
سنب » . إذ يتكلم مع قلبه ففراه يقول : ” أنصت يا قلبي وافع تلك الأرض التي
منها نشأت ... “ .

وصف حالة البلاد المحزنة — لقد أصبحت تلك البلاد خرابا فلا من يهتم
بها ، ولا من يتكلم عنها ، ولا من يذرف الدمع عليها ، فأية حال تلك التي عليها البلاد ؟
لقد حجب الشمس فلا تضيء حتى يبصر الناس .

وقد كان من نتيجة تعطيل أعمال الري العظيمة العامة أن أصبح نيل مصر جافا ،
فيمكن للإنسان أن يخوضه بالقدم ، وصار الإنسان عند ما يريد أن يبحث عن ماء ،
(يعني النهر) لتجرى عليه السفن وجد مجراه قد صار شاطئاً ، والشاطئ صار ماء
وكل طيب قد اختفى وصارت البلاد طريحة الشقاء بسبب طعام البدو ، والذين
يفزون البلاد ، وظهر الأعداء في مصر فانهدر الأسويون إليها ... وسأريك البلاد
وهي مفزقة تتألم . وقد حدث في البلاد ما لم يحدث قط من قبل ... فالرجل يجلس
في عقر داره موليا ظهره عند ما يكون الآخريذبح يجواره ... وسأريك الابن صار
مثل العدو ، والأخ صار خصما ، والرجل يذبح والده ، وكل فم ملؤه أحببني [صياح
المتكفف ؟] ، وكل الأشياء الطيبة قد ذهبت ، والبلاد تختضر ... وأملك الرجل
تقتصب منه وتعطى الأجنبي ... وسأريك أن المالك صار في حاجة ، والأجنبي
في غنى ... وأن الأرض قد نقصت ، وقد تضاعف حكامها ، وصارت الحياة شحيحة ،
مع أن الميكال صار كبيرا ، ونكال الحبوب (أى يجابى الضرائب) حتى يطفح

الكل . سأريك البلاد ، وقد صارت مغزوة تنالم . وإن منطقة « عين شمس » لن تصبح بعد مكان ولادة كل إله .

الدعاية لظهور مخلص للبلاد — وبعد ذلك يتحول « نفر وهو » من غير تردد أو شك عن تلك الصورة التي يصف فيها الفعط الذي وقعت فيه البلاد منذ بالكلمات التالية الهامة ، داعيا لظهور الملك الذي سيخلص مصر مما حاق بها ، إذ يقول: "سيأتى ملك من الجنوب اسمه «أمينى» وهو ابن امرأة نوبية الأصل ، وقد ولد في الوجه القبلى ، وسيتسلم التاج الأبيض وسيلبس التاج الأحمر، فيوحد البلاد بذلك التاج المزدوج ، وسينشر السلام فى الأرضين ، (يعنى مصر) فيحبه أهلها ... وسيفرح أهل زمانه . وسيجعل ابن الإنسان يبقى أبداً الأبدى . أما الذين كانوا قد بآمروا على الشر، ودبروا الفتنة فقد أحرسوا أفواههم خوفاً منه، والأسويون سيقتلون بسيفه، واللوبيون سيحرقون بلهيبه، والثوار سيستسلمون لنصائحه، والعصاة إلى بطشه ، وسيخضع المتمردون للصلى الذى على جبينه ... وسيقيمون « سور الحاكم » حتى لا يتمكن الأسويون من أن يغزوا مصر، وسيستجدون الماء حسب طريقتهم التقليدية لأجل أن تردها أنعامهم . والعدالة ستعود إلى مكانها ، والظلم ينفى من الأرض فليتهج من سيراه، ومن سيكون من نصيبه خدمة ذلك الملك " .

فظهور الملك المخلص للبلاد بالفعل ، وبجيبته كان هو الأمل الذى ينشده الحكيم « إيبور » ثم عرف ذلك الملك « نفر وهو » بالاسم ؛ ورسم كتابة الاسم «أمينى» الذى استعمله « نفر وهو » وهو اختصار مشهور للاسم الكامل «أممنحات» ، وهو بالبداهة المؤسس العظيم للأسرة الثانية عشرة ، والمصلح الذى أعاد توطيد سلطان مصر فى العهد الإقطاعى حوالى ٢٠٠٠ سنة ق م . وقد ذكر عنه فى نقش تاريخى بعد ذلك العصر بثلاثة أجيال بشكل بارز : " أنه قد محا الظلم ؛ لأنه أحب العدل كثيراً (يعنى : ماعت) ^(١) ؛ وقد كان عزافنا هنا واثقا من أن بطله «أممنحات» سيستولى

(١) . إلهة العدل والصدق والحق .

على التاجين اللذين يرمزان لحكومة البلاد المتحدة مصر السفلى ومصر العليا ، وأنه سيفتح عصرا جديدا ، غير أنه يرجئ الإصلاح العظيم بوجه عام إلى المستقبل " وذلك يضع أمامنا سؤالاً جديداً وهو : هل هذا التأكيـد القوي بمجـزء نبوءة عن حادثة قبل وقوعها ؟ وهل كان ذلك إعلـاناً يـم عن الظفر يلقاه بطل متصر قد نجح نجاحاً عظيماً في إصلاح مصر العليا ، حتى إن انتصاره النهائي وإصلاحه لمصر كلها كان متوقفاً حدوثه ؟ أم هل كان « نـفـر روهو » مرسلـاً من قبل « أـمـنـمـحـات » إلى مصر السفلى ليعلن قدومه إليها ؟ أو هل كان كأي شخص من أنصار « أـمـنـمـحـات » قد عظم إصلاحاته فصوّرها بصورة تبرزها إذا قامها بما صارت إليه البلاد من الدمار والخراب قبل مجيئه ؟ .

وإنه لمن المستحيل أن يعطى الإنسان جواباً شافياً عن تلك الأسئلة ، ولكن يظهر أنه يوجد سبب قوى يدعونا إلى الاعتقاد بأن « نـفـر روهو » كان حقيقة عماطاً في زمنه بالخراب الذى صوّره لنا بصورة حقيقية ، وأن تاريخ حياة « أـمـنـمـحـات » الذى كان رائده النجاح فى مصر العليا قد جعل الأمل بنجاحه فى إعادة وحدة البلاد إلى ما كانت عليه ، وإرجاع مجدها القديم متوقفاً . ومن المدهش حقاً أن « نـفـر روهو » يذكر لنا هنا صراحة أن الفرعون الجديد ليس من سلالة البيت المالك القديم ، ولا شك فى أنه كان هناك مطالبون بالعرش فى البلاد ، أو مدعون له كثيرون ، فظهر مطالب آخر مثل « أـمـنـمـحـات » ليس بالأمر الغريب . على أن تسمية « أـمـنـمـحـات » (ابن الانسان) كما ذكر ذلك فيما سلف على لسان ذلك المنتبئ يلفت نظرنا ، كما يوحى إلينا فى الحال بوجود علاقات بين هذه التسمية والتسمية التى تطلق على المسيح عليه السلام ؛ إذ أن ذلك التعبير قد استعمل فى النصيحة الموجهة إلى « مريكارع » ليدل على « ابن رجل ذى أهمية » ، وقد جرى فى بلاد « بابل » القديمة استعمال تعبير مشابه لذلك التعبير . وذلك الإعلان الذى أعلنه ذلك المنتبئ يشمل القيام بعملين

يتعهد بإنجازهما مليكه ، وهما من الأهمية للشعب البائس في مصر الطريحة بمكان
وهذان العملاقان هما :

(أولا) القضاء على المغيرين وأخذ العدة لدفع الغارات المقبلة .

(ثانيا) إصلاح النظام الداخلى .

« فسور الحاكم » الذى سبق ذكره كان قلعة قديمة لحماية الدلتا الشرقية ، وكان
واقعا على التحوم الآسيوية . وقد بنى لحراسة الطريق من آسيا إلى مصر فى عهد
بناة الأهرام ، وقد أعلن « نمرور هو » أن الملك سيعيده كما كان من قبل .

والصور التى رسمها لنا ذلك المتنبئ عن الحالة التى نتجت عن دخول الآسيويين
يذكرنا بما ورد فى الرواية العبرانية الخاصة برحلة دخول أجدادهم إلى مصر .

أما إعلان الإصلاح الذى حدث فى النظام الداخلى فإنه يسترعى الأنظار لقصره
وبساطته إذ يقول : " إن العدالة ستعود إلى مكاتها ، والظلم سينبذ بعيدا " فكانت
إذا « ماعت » القديمة هى التى سيعيدها الملك الحديد فى شكل نظام ثابت يكون
رقيا ومهيما على حياة الشعب المصرى الاجتماعية .

وقد رجع إلى « ماعت » ، وهى ذلك النظام القديم الذى مكث ألف سنة
مرشدا ومهيما على الحاكم وحكومته ، سلطانها مرة أخرى من جديد .

ومن المحتمل أن الابتهاج الذى يظهره ذلك المتنبئ العتيق كان يعنى المشل
عليها القديمة للأخلاق الفاضلة والسعادة القوية . غير أن تلك الحالة كانت — مع
الأسف — بعيدة عن الحقيقة الواقعة ؛ فإن « امنمحات » وهو من كبار الإداريين
فى العالم القديم ، وكان قد وهب الله فطنة عظيمة حتى أعاد بلا نزاع ذلك النظام القديم
بقدر ما سمحت له الأحوال — قد حتمت عليه الظروف أن يتغير عماله وموظفيه
لإدارة شئون البلاد من بين أولئك الرجال الذين ترعرعوا ونشئوا فى عهد ذلك
الانحطاط الذى جاء عقب عصر الأهرام وأشربت قلوبهم حب القوضى والفساد ،

مما أدى الى قتله ونصحه لابنه بعد موته في رؤية صادقة بالآ يعتمد على أحد كما
سيجيء بعد^(١).

نشأة أمتحات وعبادة الإله آمون — تلك كانت حالة البلاد المصرية
كما يريد أن يصفها لنا « نقرر وهو » أو كما يريد أن يصورها لنا « أمتحات »
عند توليته العرش . وسرى فيما يلى الإصلاحات العظيمة التى أدخلها هذا الفرعون
العظيم فى خلال مدة حكمه الطويل . ومن الغريب أن المؤرخ « مانيتون » لم يذكر
لنا فى تاريخه عن هذا البطل العظيم شيئا إلا أنه هو المؤسس للأسرة الثانية عشرة .
ومن مدلول اسمه « أمتحات » (آمون فى الأمام) . أى آمون أمام الإله ، نلاحظ أن
أسرته كانت تنتمى إلى عبادة الإله « آمون » معبود « طيبة » المحلى ، وأنه كان يقدس
هذا الإله أكثر من الإله « منتو » إله الحرب وهو معبود بلدة « أرمنت » المحلى .
وكان ملوك الأسرة الحادية عشرة يقدسونه أكثر من « آمون » ويمزجون اسمه فى تركيب
اسمهم « متوحتب » ، هذا على الرغم من أن عاصمتهم كانت طيبة . ولكن من يوم أن
اعتلى « أمتحات » الأول عرش الديار المصرية أخذ نجم الإله « آمون » يعلو ويتلأأ
بين الآلهة المصرية حتى صار فيما بعد أعظم الآلهة المصرية شهرة وعظمة وثناء ؛
لدرجة أنه غطى على شهرة كل الآلهة المصرية ، واتحل لنفسه صفاتها ليكون هو الإله
المسيطر ، ومن ذلك أن كهنته لاحظوا أن الإله « رع » أى الشمس كان أعظم
الآلهة المصرية نفوذا وعظمة فزجوا اسم « رع » باسم « آمون » وأصبح يسمى
« آمون رع » ؛ ومنذ عهد هذا الفرعون أخذ ثالوث مدينة « طيبة » يزداد شهرة
ويتألف من الأب وهو « آمون » ومن الأم وهى « موت » ثم من الابن وهو
« خنسو » أى « القمر » وكلهم حسب الاعتقاد المصرى إله واحد ، أما الآلهة الآخرون
فأخذوا يتضاءلون أمام هذا الثالوث ، اللهم إلا الإله « أوزير » إله الآخرة ، فإنه
حفظ مكانته وسلطانه ، وسرى فيما بعد أن كهنة « طيبة » قد ازداد سلطانهم

(١) راجع كتاب الأدب المصرى القديم من ص ٣١٩ الخ .

تدريجا، حتى أنهم في النهاية أصبحوا أصحاب السيطرة الدينية في البلاد كلها، وأغنى طائفة فيها في عهد الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة؛ وستكلم عن نشأة عبادة «آمون» عند الكلام على الديانة .

مقرّ الملك الجديدي — ولكن على الرغم من أن «أمنعات» قد نجح في رفع شأن آمون إله «طيبة» المحلى وهى مسقط رأسه، وجعله يعبد في كل البلاد من أقصاها إلى أقصاها، فإن حالة البلاد عند ما أخذ بزمام الأمور فيها لم تسمح له أن يجعل «طيبة» عاصمة ملكه وقد كانت حاضرة الملك في عهد الأسرة الحادية عشرة ، لأنه كان يريد أن يجعل كل البلاد في متناول قبضته، فرأى بثاقب نظره أن مقرّ الملك يجب أن يكون في نقطة تكون كواسطة العقد بالنسبة لبلاد ، فضرب صفعا عن «طيبة» مقرّ أسلافه واختار بقعة بعيدة عن «هناسية» عاصمة الملك في خلال الأسرتين التاسعة والعاشر كما أجمم عن اتخاذ «منف» عاصمة الملك في عهد الدولة القديمة التى كانت حاضرة لسلسلة فراعنة أجماد . والظاهر أنه كان يرى من وراء إبعاد الحكم عن هاتين العاصمتين أن يكون مجتدا في كل ما يقوم به ، وفي الوقت نفسه معيدا للبلاد عظمتها وسمعتها . وقد وقع اختياره على بقعة تدل شواهد الأحوال على أن قرية «الشت» الحالية قامت على أنقاضها، وهى تبعد نحو ١٥ ميلا جنوبي «منف» . والواقع أن الموقع الحقيقى قد ضاعت معالمه . وقد أقام في هذه البقعة مدينة محصنة كانت تحتوى على القصر الفرعونى ومركز القيادة العامة للجيش على ما يظهر . وقد أطلق على العاصمة الجديدة اسم «اث تاوى» (الشت) الحالية ومعناها (مراقبة الأرضين) . وقد وصف القصر بأنه محلى بالذهب وأبوابه من نحاس، وأقفاله من الشبه، وكان كل بنائه قد أقمم إلتقاناً عظيماً، غير أن يد التخريب لم تبق منه أى أثر، وبهذه المناسبة نذكر أنه قد عثر على قاعدة تمثال صغير للفرعون

« أمنحات » مصنوع من النحاس في «سينا» وهذا يدل على أن هذا الفرعون كان يستخرج النحاس الذى استعمله في مبانيه من مناجم « سينا » في عصره .

(Gardiner and Peet, Inscriptions of Sinai, Pl. 63)

نظرة عامة في أخلاقه وإصلاحاته — ولا نزاع في أن هذه التسمية (مراقبة الأرضين) تحكى قصة ما كانت عليه البلاد وقتئذ من القلق والاضطراب كما وصفها « نفرروهو » ، وأن « أمنحات » لم يكن بالرجل الذى يتخذه نفسه ، إذ كان يعرف أنه لم يكن بالفرعون المحبوب ، بل ربما كان يعد في نظرهم دخيلا على البيت المالك الأصل ، وإن كان ينتسب إلى فرع منه على حسب إحدى الروايات ؛ وأن أكبر شفع له في تولى عرش البلاد واحترام الأهليين له يرجع إلى كفايته في إدارة البلاد بعد طول الفوضى ، وأنه هو المصلح المنتظر الذى تنبأت بظهوره الأساطير منذ قديم الزمان . وحقا قد حقق ما أنبأت به الكتب بما أظهره من مقدرة نادرة في توجيه سكان البلاد ، وهى تلك المقدرة التى ورثها عنه أخلافه ، وميزت هذه الأسرة وجعلتها أقوى أسرة مصرية ، حكمت البلاد في كل عصورها بمقدرة فذة وكفاية منقطعة النظير ، حتى أصبح عصرها يعترف بالعصر النهي في تاريخ الديار المصرية ؛ وبخاصة من حيث الإدارة والأدب والفرن .

ذكرنا فيما سبق أن نبوءة « نفرروهو » لم تكن إلا دعاية لهذا الفرعون ، ومبررا لاعتلائه عرش الملك أمام الشعب المصرى — وقد كان مما تنبأ به هذا الحكيم أنه سيقام « سور الحاكم » ولن يسمح للأسيويين ثانية بتزول مصر . ولا نزاع في أن « نفرروهو » يشيرنا إلى سور الحدود الذى كان مقاما على خليج السويس ليصد غارات الأسيويين عن بلاد الدلتا . وقد كانت هذه الغارات الأسبوية موضع شكوى في الأزمان السالفة .

تاريخ سيدنا إبراهيم وما يقال عنه — وينسب بعض المؤرخين خروج إبراهيم عليه السلام وطرده من مصر إلى هذا العهد، وأن الإشارة إلى الأسويين في نبوءات «نفر وهو» يقصد بها هذا الحادث بعينه :

(Weigall, A History of the Pharaohs, Vol II, p. 40)

وإذا كان من الأمور الثابتة أن «إبراهيم» عليه السلام كان معاصرا لأحد فراعنة الأسرة الثانية عشرة، فالقول بأنه معاصر بالذات للفرعون «أمنمحات» الأول، وأن طرده حادثة مؤكدة وقعت في عهد هذا الفرعون قول لا نجد برهانا على صحته ؛ بل نذهب إلى جحوده وإنكاره لأسباب تاريخية ؛ فإن من المتفق عليه أن «أمرافيل» (Amraphel) الذي هزمه إبراهيم عند ما كان يريد خلاص ابن أخيه لوط ، هو «حورابى» البابلى أى أن «إبراهيم» كان معاصرا له ، والبحوث التاريخية الحديثة تميل إلى وضع تاريخ حياة «حورابى» معاصره بعد قرن على الأقل مما أُرْخا به له من قبل، وآخر تاريخ متفق عليه الآن لهذا الملك البابلى العظيم هو عام ١٩٤٠ ق م أو ما يقرب من ذلك :

(Sidney Smith, The Early History of Assyria, pp. 70 - 71.)

ولذلك فإن التاريخ ٢٠٠٠ ق م الذى يظن المستر «ويمحول» أنه يعاصر «أمنمحات» الأول يسبب بخلوة تبلغ نحو ٧٠ سنة تقريبا بين إبراهيم عليه السلام المعاصر للملك «أمنمحات» الأول و«إبراهيم» المعاصر للملك «حورابى»، وهكذا يجد القارئ نفسه أمام نظريتين جذابتين فى ظاهرهما ولا يمكن القطع بإحداهما مادام التاريخ لا يمكن القطع بصحته بصفة نهائية فى مثل هذه الأحوال التى يرتكز التاريخ فيها على استنتاجات قد تصيب وقد تخطئ ، ولكن يمكننا أن نقول على وجه التقريب : إن إبراهيم عليه السلام كان معاصرا لأحد ملوك الأسرة الثانية عشرة، ويرجح جدا أنه كان يعيش فى عهد أحد أواخر ملوك هذه الأسرة لاعهد أحد أوائل فراعنتها. وهذا كل ما يمكن القول به الآن إلى أن تجود الكشوف فى مصر أو «بابل» بما يكشف النقاب عن هذا الحادث العظيم فى تاريخ البشر، وبخاصة من الوجهة الدينية.

إصلاحاته وسياسته الداخلية — ومما لا ريب فيه أن تولى « أمنحات »
الأول ملك مصر لم يقابل بالترحاب من أمراء المقاطعات الذين كان ملكهم في
مقاطعاتهم وراثيا، فكان كل واحد منهم يحكم في عاصمة مقاطعته كأنه ملك مستقل،
ولذلك عارضوا في توحيد السلطة في كل البلاد من أقصاها إلى أقصاها على يد
الفرعون الجديد . ولهذا كان لزاما على « أمنحات » أن يذهب إلى كل مقاطعة
بنفسه، ويضع كل أمير عند حذو، ويكيح من جماع أطباعه، وينزله من عليائه، بقدر
ما كانت تسمح الأحوال به في كل مقاطعة ، هذا فضلا عن أنه على ما يظهر
قد ترك له سلفه حروبا خارجية كان لا بد من متابعتها ولذلك يقول « ادورد مير » :
(Histoire de l'Antiquite, "Tome II. par. 280).

”لم يكن في مقدور « أمنحات الأول » أن يقف بعرش البلاد والمحافظة عليه
إلا بالقوة، ونحن نعلم كذلك أنه كانت هناك حروب خارجية يمكن ربطها بالتغير
الأسرى وهذه الحروب كانت قد بدأت فعلا في عهد سلفيه « متوحتب الثالث
والرابع » وكانت ولا تزال قائمة في « آسيا » و « لوبيا » و « بلاد النوبة » .
وقد قص علينا « خنوم حتب »^(١) أحد قواده في نقش جنازى نقش على جدران
مقبرته [غير أنه مما يأسف له ملئ بالعجوات] أنه ظهر مع الملك في أسطول يبلغ
نحو عشرين سفينة . مصنوعة من خشب الأرز، وأنه هزم العدو في مصر، وأخضع
السود والأسويين الذين كانوا في معسكر العدو ، واستولى على الأراضي المنخفضة
والأراضي العالية في كلا القطرين . وقد كافأ الفرعون « خنوم حتب » على ذلك
بأن جعله أميراً على بلدة « منعات خوفو » (بنى حسن) التي كانت إلى هذا
الوقت تابعة لمقاطعة النزال، وفصلت عن حكومة هذه المقاطعة . وكذلك ضم
إليه إدارة الصحراء الشرقية ، ولقد امتدت سيطرة هذه البلدة حتى شملت كل
مقاطعة النزال (بالقرب من المنيا) ؛ والظاهر أن أسرة الأمراء القديمة في هذه

(1) Newberry, A. H. Vol. I, Pl. XIV; Breasted, A. R. Vol. I, par. 363-455.

الجهة كانت قد انضمت إلى المعسكر المعادى للفرعون نفلعوا من حكم هذه المقاطعة، ولذلك يظن أن السود والأسويين الذين ذكروا في هذه الحروب ليسوا إلا جنودا حمرترقة كانوا يحاربون في المعسكر المعادى للفرعون .

ولما لم يكن في مقدور « أمنمحات » أن يجمع كل السلطة في يده دفعة واحدة وأن يكون له الحق والسلطان المطلق في تولية حكام المقاطعات الوراثة وعزلهم كما كانت الحال في إبان عز الدولة القديمة ، لجأ إلى سبيل أخرى للحد من شوكة هؤلاء الحكام الوريثيين والأسرات القديمة القوية ، وتلك أنه أخذ يضمهم إلى جانبه بإغداق الإنعامات عليهم ومنحهم الألقاب الرفيعة وتقريبهم منه بالخطوة والعود الخلافة .

والواقع أن هذه السياسة الخاذقة قد نجحت نجاحا باهرا ، وبذلك تركت الأسرة الثانية عشرة في تاريخ الفراعنة الطويل ذكرى لعصر كان نظامه الإداري غاية في القوة والرخاء ، وبخاصة في نهاية عهدها ، وكذلك كان لها أثرها المجيد في السياسة والحياة الاقتصادية ؛ هذا إلى تجديد قوى مبتكرة في الفن والأدب . وقد بقى ذكرى إصلاح هذا الفرعون العظيم يتغنى به الأمراء حتى إن « خنوم حنب الثاني » أمير مقاطعة الغزال أخذ يعدد لنا إصلاحات هذا الفرعون العظيم بعد مضي ثمانين عاما على عهد جدّه ، وكيف أنه كافأه على إخلاصه وولائه فيقول : ” لقد ذهب لمعاقبة الجرم مشعا مثل « أتوم » نفسه لأجل أن يعيد النظام الذي كان قد قضى عليه ، ويعيد لكل مدينة ومقاطعة ما كان قد انتزع منها ، ويعمل كل إنسان يعرف حدوده بالنسبة لغيره ناصبا حدودها مثل السماء ، ومرتكبا على السجلات في معرفة كل واحد (أى ما يخصه من فرع النيل وترعه) ، وأن يعيد مساحة الأراضي حسب ما جاء في السجلات القديمة ، وذلك لأن قلبه ينطوى على العدالة “ (Beni Hassan Vol. I, pl. XXXIII) . ولما لتقرأ من بين السطور بوضوح المعنى الذى يرمى إليه هذا المتن فقد أعاد « أمنمحات الأول » في مصر سلطان الملكية وجعل الأمراء

العظام يشعرون بثقل يده . والظاهر أنه قد عين أسراعة في المقاطعات الأخرى أيضا مثل «سيوط» . وتوجد بعض نقوش من بداية حكم هذه الأسرة تشير أحيانا إلى المنازعات التي قامت بين الملك وأمرء المقاطعات ، هذا وتشير التعليل التي وضعت على لسان « أمنمحات » إلى عهد الرضاء الذي كان يمتاز به عصره كما سيجيء بعد .

والواقع أن « أمنمحات » الأول أحياء في نواحي البلاد كلها تلك الروح القومية القديمة التي أخنى عليها الدهر زمنا طويلا .

آثاره المندثرة وما بقي منها — وأخذ هذا الفرعون في إقامة آثار عظيمة في طول البلاد وعرضها ، وأصلح كثيرا من المعابد التي كانت قد هدمت ، محيا بذلك ذكرى الآلهة التي اندثرت آثام ففي « تانيس » عثر على عتب باب منقوش باسمه (A. Z. XXV, 12) مما يدل على أنه قد أقام أو أصلح معبدا هناك . وعثر في « تل بسطة » على بقايا معبد أقيم تكريما للالهة « باست » (القطة) Naville, (Bubastis; Pl. XXXIII) وفي « منف » أهدى مائدة قربان للاله « بتاح » (Monuments Divers 34 f) ومن المحتمل كذلك أن التمثال الذي عثر عليه في « تانيس » قد نقل من « منف » (Petrie, 'Tanis' Vol. I, p. 3) ورأس هذا التمثال مرسوم في تاريخ مصر للأستاذ (بترى) : (راجع شكل ١٤)

(Petrie, A History of Egypt, Vol. 1 p. 155)

وفي بلدة « شدت » أي (الفيوم) الحالية عثر على بقايا تماثيل وأعمدة من معبده (Petrie, Hawara p. 57) وفي العراية المدفونة أهدى مائدة قربان (مذبح) للاله « أوزير » (Mariette, Abydos, 138) وفي « قفط » عثر على قطعة من جدار معبد منقوش عليها اسمه (Petrie, History, 1. 157) وكذلك عثر في « دندرة » على بقايا معبد مشابهة للسابقة (Dumichen, Dendarah, III f. IV b) وكذلك عثر في « الكرك » على بقايا أعمدة هناك مهداة للاله « آمون رع » :

(Mariette, Karnak, 8 d. e.)

وعثر له على قاعدة تمثال في « سينا » عليها اسمه :

(Gardiner and Peet, Sinai, Pl. 19, 63)

وأقام هرمه بالقرب من « اللشت » عاصمة الملك ، وستناول الكلام عليه فيما بعد .
وكذلك قام باصلاحات في « معبد منتو » « بلدة أرمنت » (راجع Mond,

Temples of Armant, (text), p. 168. ff.)

بعثته إلى وادى الحمامات — ولقد أرسل هذا الفرعون بعثة إلى وادى
الحمامات على رأسها « أنتف »^(١) الذى كان يحمل لقب الأمير الوراثى ، وحامل الختم
الملكى ، والسمير الوحيد ، والمبعوث الملكى ، والكاهن الأعظم للإله « مين » ، وقد
خلف لنا « أنتف » هذا لوحة تذكارية لحملته هذه يقول فيها : « أرسلنى سيدى إلى
وادى « الحمامات » لأحضر هذا الحجر الفانحر ، ولم يكن قد أتى بمثله منذ عهد الآلهة .
ولم يكن هناك باحث يعرف غرابته ، ولم يتمكن أحد ممن بحثوا عنه من الوصول
إليه . على أنى قضيت ثمانية أيام فى البحث عن هذا المرتفع (الذى فيه الحجر)
فلم أعر على المكان الذى كان فيه ، ولقد سجدت للإله « مين » وللإلهة « موت »
(والدة الإله خنسوبطية) وللإلهة السحر العظيمة ، ولكل آلهة هذه الأراضى المرتفعة
مقدما البخور لهم على النار . وفى ذات يوم عندما طلع الفجر بدأت أجوب جبال
وادى الحمامات ورجالى خلفى وأناسى منتشرون على الجبال باحثين فى كل هذه
الصحراء ، وفى النهاية وجدته ، وكان العمال فرحين والجيش بأجمعه يمدون الله ،
وسروا خاشعين ، وشكرت الإلهة « منتو » .

حروبه الخارجية ضد آسيا — ولم يكن نشاط هذا الفرعون منحصرا
فى داخل بلاده فحسب ، بل وجه همه لمنع هجرة الأسويين عن طريق « سور
الحاكم » السالفة الذكر ، واتخذ كذلك تدابير فعالة ضد بدو الصحراء الشرقية ،

(1) Breasted, A. R. Vol. 1, par. 468 ; L. D. II, 118 d ; Couyat
et Montet, Les Inscriptions Hieroglyphiques et Hieratiques du
Ouadi Hommamat, 101.

كما تدل على ذلك النقوش التي تركها لنا « نسومتو » وهي محفوظة الآن بمتحف « اللوفر » ، وقد كان هذا القائد مرتاحا لنتائج حملته ، فيقول في اللوحة التي نقشها تذكارا لهذا الحادث في السنة الرابعة والعشرين من حكم هذا الفرعون : ” كل كلمة ذكرت على هذه اللوحة صادقة تعبر عما حدث بقوة ساعدى ، وهو ما فعلته في الواقع ، وليس فيه تمويه ، وليس فيه أى مین ؛ فقد قهرت سكان الكهوف من الأسويين ، وسكان الرمل ونحرت معاقل البدو ، وجعلتها كأن لم تكن بالأسس ، ووطئت حقولهم ، وتقدمت أمام الذين توانوا خلف حصونهم (من جنودى) ولم يحاربني في ذلك أحد وذلك بأمر الإله « نمتو » ؛ والظاهر أن جنود « نسومتو » كانوا يفضلون النجاة على البطولة “ .

حروبه في بلاد النوبة — أما في بلاد النوبة فإن « أمنمحات » قد وطد سلطانه فيها ، وقد لمع بذلك في التعاليم المنسوبة إليه ، وهي التي ألقى فيها على ابنه دروسا في الحياة ، فيقول : ” لقد أذلت الأسود . واصطدلت التماسيح ، وقهرت أهل « واوات » وأسرت قوم « المازوى » وجعلت الأسويين يمشون كالكلاب “ . وقد وجدت كذلك نقوش مقتصرة على صحرة في « كرمكو » تدل على وصول جيوش الفرعون إلى هذه البقعة ” في السنة التاسعة والعشرين من حكم ملك الوجهين القبلى والبحرى « سحتب إب رع » « أمنمحات الأول » عاش مغلدا ، لقد جئنا لنهزم أهالى (واوات) “ . (A. Z. (1882) p. 30 ; Breasted A. R. Vol. I, par. 472). ولا نعلم إذا كان الفرعون قد قاد الجيش بنفسه في هذه الحملة ، أو ذهب بقيادة أحد عظماء رجال دولته ، والمرجح هو الرأى الثانى ، وذلك لأن « أمنمحات » كان قد تقدم في السن في هذه الآونة .

إشراك ابنه « سنوسرت » معه في الحكم — ولما كان « أمنمحات » قد أخذ يتقدم في السن وكانت بغيته أن يناضل بنجاح مستمر في القضاء على حكام

المقاطعات الوراثيين الذين كانوا يدافعون عن استقلالهم بكل وسيلة وبالقوة، رأى أن يشرك ابنه الأكبر في تولى مهام الحكم معه، وهو النظام الذى جرى عليه أخلافه من بعده، ولذلك عدت هذه الخطة الحكيمة من مميزات هذه الأسرة؛ ولا شك فى أن هذا التجديد فى نظام الحكم يعدّ عملاً حكيماً، لأنه قضى على معظم الفتن والدسائس التى كانت تتبع عادة عند موت الفرعون الحاكم .

والواقع أن سلطان الفرعون قد زاد باشتراك ابنه « سنوسرت » معه فى حكم البلاد عام (٢١ من حكم أمنمحات)، فقد ظهر أثر ذلك فى الأقاليم، إذ أخذ الفرعون يتدخل فعلاً فى شئون حكام المقاطعات الخاصة كلما سنحت له الفرصة، فمن ذلك أن الفرعون استطاع أن يحفظ لنفسه حق تولية كبار الموظفين فى المقاطعات وعزهم، وقد كان هذا الحق من قبل من حقوق الأمراء أنفسهم منذ عدة أجيال متعاقبة، وبهذه الطريقة تمكن الفرعون وحكومته من استعادة السلطة العليا المطلقة فى كثير من المقاطعات، وهى السلطة التى لم يكن يتمتع بها الفراعنة إلا اسماً منذ نهاية الأسرة السادسة. سلطة الوزير — وفى ظل هذه السلطة استعادت الحكومة المركزية نفوذها القديم الذى كان قد انمحق منذ زمن بعيد . وقد وضع الفرعون على رأس هذه السلطة المركزية وزيراً كان فى الواقع يعدّ ساعداً للفرعون الأيمن، وممثله فى كل شئون البلاد المالية والقضائية والحربية الخ .

ولا شك فى أن إدارة الوزير للبلاد بما فيها من أنظمة حازمة، كانت نموذجاً صالحاً لكل الأنظمة الرئيسية، مما جعل البلاد بأجمعها تسير على نظام إدارة واحد حازم، يشمل الأمور المالية والقضائية والحربية أيضاً. وهذا النظام قد حل محل النظام المرتبك القديم فى المدة السالفة . أما فى الأمور الدينية فإن الآلهة المختلفة التى كانت تعبد فى كل البلاد قد بقيت على حالها مع إصلاح معابدها، والشيء الجديد هو ظهور الإله « آمون »؛ ولقد عظم شأنه حتى أصبح الإله الأعظم الرسمى للحكومة، وبذلك غطى على معظم الآلهة كما سبق ذكره، اللهم إلا الإله « أوزير » فقد حفظ مكانته بوصفه إله الآخرة .

تفكير الفرعون في إصلاح الفيوم — ولم تقف جهود «أمنحات الأول» عند الإصلاحات الإدارية والبنائية، بل كان كذلك أول من فكر في كثير من المشروعات التي تعود على البلاد بالخير. ولعل أجدرها بالذكر التفاته إلى إصلاح إقليم الفيوم، ويعزو بعض المؤرخين إليه أنه هو أول من فكر في إنشاء خزان المياه الذي عرف فيما بعد باسم بحيرة «موريس»، وينسب إلى «أمنحات الثالث» إتمامه بحملة.

محاربته اللوبيين — وكان آخر حادث هام في حياة هذا الفرعون المسن هو إرسال جيش إلى الحدود الغربية لتأديب اللوبيين وكبح جماحهم. فصار «سنوسرت» ابنه وشريكه في الحكم على رأس الجيش، وعند ما كانت الحملة مائدة من الحدود مظففة قابلها رسول من قبل كبير أمناء القصر ليخبر «سنوسرت» باغتيال والده، وقد بقي لنا وصف هذا الحادث بكل ما فيه من اضطراب وفرع في قصة «سنوهيت»، وقد وصلنا منها لحسن الحظ عدة نسخ، وسترك المتن المصري يقص علينا تفاصيل هذا الخبر وما لا يسد من الأحداث. وزاه يتدنى بالقابه ثم يقص قصته فاستمع إليه.

متن القصة — الأمير الوراثي، والحاكم، ومدير ضياع الملك في بلاد الأسويين، والسمير الوحيد لللك والمحبب إليه «سنوهيت». الخادم «سنوهيت» يقول: «كنت خادما يتبع سيده، وخادم نساء الملك يخدم الأميرة، صاحبة الشناء العظيم، زوجة «سنوسرت» الملكية في بلدة الهرم المسماة «خنم — أسوت» والابنة الملكية «لأمنحات» في بلد الأهرام: «كأنفرو» المسماة «نفرو» المحترمة.

واتفق أنه في السنة الثلاثين في اليوم التاسع من الشهر الثالث من فصل الفيضان دخل الإله أفقه^(١) «مات».

(١) أما ترجمته — حسب الاستعمال — «بالأفق» كان في الحالة الأولى مسكن إله الشمس في السماء، ثم استعمل للأمكنة التي تشرق منها الشمس وتغرب فيها. ولما كان الملك هو مثل إله الشمس فإن قصره وقبره كان كل منهما يسمى «الأفق» والمقصود هنا هو القبر.

فطار الملك « أمنمحات » إلى السماء واتحد مع قرص الشمس ، وامتزج جسم الإله بجسم خالقه ^(١) وعندئذ صمت القصر . وامتلات القلوب حزنا ، وأغلق البابان العظيان ^(٢) وجلس رجال القصر رؤسهم منكسة على ركبهم . وحزن القوم .

وكان جلالة قد أرسل جيشا إلى أرض « التحنو » ^(٣) وكان بكر أولاده « سنوسرت » الطيب ضابطا فيه ، وقد كان في هذه الأثناء عائدا بعد أن استولى على أسرى من « التحنو » ^(٤) وكل أنواع الماشية التي يخططها العد .

وأرسل أمناء القصر إلى حدود غرب « الدلتا » ليخبروا ابن الملك بالحادث الذي وقع في البلاط . وقد قابله الرسل في الطريق ولحقوا به عند الغروب ، فلم يتأخر طرفة عين إذ طار الصقر مع خادمه ، ولم يعلم بذلك الجيش . ورغم ذلك فقد أرسلت رسالة ^(٥) إلى أولاد الملك الذين كانوا معه في الجيش وطلب واحد منهم . وتأمل : لقد وقفت وسمعت صوته حينما كان يتكلم إذ كنت عن كذب .

المؤامرة ضدّ ولي العهد ونصيب « سنوهيت » فيها وفراره — ولاشك في أننا نرى في هذه الجمل القصيرة صورة تامة للآزمة التي حدثت في القصر عقب اغتيال الفرعون ، فإنه مات بسبب مؤامرة دبرتها ضده كما سنوضح ذلك بعد ، وقد أعقب هذا الاغتيال دسيسة لتولية أحد أولاد الملك غير « سنوسرت » الذي كان يعتبر خلفه ، لأنه أشركه معه في الملك مدة تربي على عشرة أعوام ، والظاهر بل الواقع أنه كان في البلاط حزبان : حزب موالٍ « لسنوسرت » وآخر موالٍ لابن آخر للملك . ومن حسن الحظ أن رئيس الأمناء في القصر كان يعلم بهذه المؤامرة وكان

(١) يسبح إلى السماء ويصير ثانيا جزءا من الشمس التي خرج منها . (٢) عند مدخل القصر .

(٣) قوم من اللوبيين في غرب الدلتا كانوا يهبونها بانتظام . (٤) قوم آخرون من اللوبيين .

(٥) الملك الجديد « سنوسرت الأول » . (٦) أي من حزب آخر إذ كانت هناك مؤامرة

لوضع ملك آخر ينافس « سنوسرت » وقد مر « سنوهيت » على هذه المسألة دون أن يذكرها بوضوح .

(٧) من المحتمل أنه هو الأمير الذي طلب .

في الوقت نفسه على ولاء تام لولى العهد، فأسر إليه بنجر الأزمة التي كانت في البلاط بعد وفاة والده . وطلب اليه العودة على جناح السرعة دون أن يضع لحظة واحدة، ولكن الحزب الثاني كان على استعداد لانتهاز الفرصة . ولا يبعد أن رجاله هم الذين دبروا المؤامرة ضد الملك . وتمكنوا من تطيير الخبر الى الأمير الذي وقع عليه اختيارهم من بين أبناء الملك الذين كانوا يحاربون في الجيش مع ولى العهد، غير أن مغادرة « سنوسرت » الجيش كالبرق ومعه ثلة من رجاله الذين يعتمد عليهم ، مكنته من القضاء على المؤامرة قبل أن تنفذ، لأننا لم نسمع عنها بعد ذلك . وتدل ظواهر الأمور على أن « سنوهيت » كان له ضلع مع الفريق المتآمر ضد « سنوسرت »، وأنه كان يعلم بها، وإلا فليس هناك أى تفسير آخر للفرار المفاجئ، والفرع الذى استولى عليه حينما استرق السمع وأصغى لرسول المتآمرين ضد « سنوسرت » حينما كانوا يقصون رسالتهم على الأمير الذى أرسلوا في طلبه لتولية العرش إذ يقول : « وعندئذ كان قلبى يتحرق، وخارت ذراعاى، واستولت الرعدة على جميع أعضائى، فقفرت باحثا عن مكان أختبئ فيه ، فوضعت نفسى بين أيكين لأفسح الطريق للسافرها (أى لا كون بعيدا عن الطريق المطروق) . ثم سرت نحو الجنوب، ولم يكن غرضى الوصول إلى مقر الملك، لأنى فكرت أن الشجار يقوم هناك . ولم يكن يهمنى أن أعيش بعده الخ » (كتاب الأدب المصرى ص ٣٥). هذا ولا يمكننا أن نفسر الوقت الطويل الذى قضاه فى الخارج قبل أن يسمح له « سنوسرت الأول » بالعودة من منفاه .

ولابد أن « سنوهيت » قد أقم نفسه فى هذه المؤامرة التي كان مآلها الفشل التام، ولا أدل على ذلك من أنه لم يلمح لامن قريب ولا من بعيد عن سبب هربه وترك وطنه العزيز، مما جعل علماء الآثار المصرية يتخيرون فى سبب فواره مع أنه من كبار موظفى الدولة وأعلامها المشهورين كما تدل على ذلك ألقابه ؛ ولذلك نجده قد وصف هربه بصورة من أروع الصور الحية التي ورثناها من أدب الشرق القديم ؛

إذ تدل على براعة التلمص والمروق من الموقف الحرج الذى يتطلب اللباقة والإبهام معا، وبخاصة نلاحظ تخلصه من الإجابة بصراحة عندما سأله « عمو ننشى » أمير « رتنوا العليا » . الخ . (ص ٣٦ من كتاب الأدب المصرى القديم) .

الدعاية للملك « سنوسرت الأول » — وهكذا اغتيل « أمنمحات » الأول بعد أن مكث يحكم البلاد المصرية أكثر من ثلاثين عاما قضاها فى كفاح مر فى داخل البلاد وخارجها . ولا بد أن « سنوسرت الأول » لما تولى الملك كانت الأحوال فى البلاط مضطربة، وأن الحزب المعارض له كان يدس له خفية. ولذلك احتال الفرعون الحديد على استمالة قلوب الشعب إليه وإثبات شرعيته للعرش بطرق تكاد تكون مبتكرة، واستعان على ذلك بحملة الأفلام الذين كان لهم قدم راسخة فى حسن التعبير وصياغة الكلام . فكتب له « خيتى بن دواوف » نصائح وتعاليم جعلها على لسان والده، فقد جعل « أمنمحات » يظهر لابنه فى رؤية صادقة بعد وفاته، ويلقى عليه تعاليمه ونصائحه وتجاريبه فى الحياة ليتخذها نبراسا له يهتدى به فى حكم البلاد .

ولقد ظل علماء الآثار واللغة يعتقدون أن هذه التعاليم كتبت فى حياة « أمنمحات » بعد مؤامرة أفلت منها، ولكن الواقع والبحوث الجديدة تثبت عكس ذلك . ولذلك سنفرد لها بحثا خاصا حسب الآراء الحديثة التى كشف عنها الغطاء كل من الأستاذ « دى بك » الأثرى الهولندى . والأستاذ « جردز » العالم الأثرى الانجليزى^(١) (Melanges Maspero, Vol. 1, pp. 479 ff.) ، ثم نشفع رأيهما بالترجمة الحرفية .

التعاليم المنسوبة إلى « أمنمحات الأول » — تدل الشواهد على أن تعاليم الملك « أمنمحات » لابنه « سنوسرت الأول » كانت تحتل مكانة عظيمة بين الوثائق الأدبية والتاريخية التى خلفتها الدولة الوسطى . وكان يستدل بها فى كثير

(1) Gardiner, Melanges Maspero, Vol. I, pp. 491 ff.

من المواضيع على أنها من مأثور كلام هذا الفرعون . غير أن البحوث الحديثة تكاد تثبت بصفة قاطعة أن هذه التعاليم لم يفه بها « أمنمحات الأول » ، وأنها كتبت بعد وفاته لتكون بمثابة دعاية سياسية لابنه « سنوسرت الأول » الذى تولى حكم البلاد بعده مباشرة ، وقد دلل الأثرى الكبير الأستاذ « دى بك » على ذلك بأدلة قوية مقتبسة من صلب متن التعاليم نفسها ، وكذلك من وثيقة عثر عليها بين أوراق « شستربيتى » فقد جاء فى هذه الورقة ما نصه : وأنه " هو (أى الكاتب خيتى) الذى كتب مؤلفا يسمى « تعاليم الملك سحتب - أب رع » عند ما ذهب ليستريح منضيا إلى السماء وداخلا بين أرباب الجبانة " .

تحليل العلماء لهذه التعاليم - وقد تشكك الأستاذ « جاردنر » فى أن « خيتى » هذا هو مؤلف هذه التعاليم قائلا : " إنها قد تنسب إليه بسبب جهل أحد الكتاب فى عهد الرعامسة . غير أنه من جهة أخرى يرى أن هذه التعاليم قد كتبت فى عهد « أمنمحات » الأول ، وإن كان لا يحزم بالطريقة التى دوت بها . وكل ما قاله فى هذا الصدد لا يخرج عن كونه مجرد حدس وتخمين " .

فقال : " من المحتمل أنه عند ما أشرك « أمنمحات » ابنه « سنوسرت » فى حكم البلاد فاه أمام رجال بلاطه بنصائح غالية تحمل فى طياتها ما لاقاه من المصاعب والمصائب ، وما قام به من عظيم الأعمال ، وما جمعه يشرك ابنه معه فى حكم البلاد . ولا يبعد أن رجال الحاشية الذين أعجبوا بهذه النصائح وتلك الحكم الثينة ، التمسوا من الملك أن يدونها ، فكلف بدوره كاتباً ملكياً بذلك " .

ثم قال الأستاذ « جاردنر » : " إنه يمكن أن يقاس ذلك بالخطاب الذى ألقاه الملك عند تولية الوزير كاجما نجد ذلك فى مقبرة « زحمرع » وغيرها من المقابر " .

أما الأستاذ « دى بك » فيرى أن الملك « أمنمحات » قد قتل فى مؤامرة فامت ضده فى القصر ، ويدلل على ذلك بجمل فى صلب متن التعاليم ويبرهين أخرى ، إذ يقول : إنه جاء فى صلب المتن الجملة التالية :

”ولو كنت استلكت سلاحى بيدى لكنت جعلت هؤلاء المختلين يولون الأدبار ، ولكن لا شجاع فى الليل ولا أحد يحارب وحيدا ، ولا يحرز النصر بدون عضد “ .

فاذا اعترفنا أن « أمنمحات » يشير فى هذه الفقرة الى مؤامرة ناجحة ضده ، وهذا على ما يظهر هو الرأى الصحيح ، وأن ما جاء فى ورقة « شستريتي » من أن « خيتي » هو مؤلفها كان لابد لنا من أن نأخذ بنظرية من يقول : ”إن الملك كان يتكلم ، أو كان مفروضا أن يتكلم من قبره “ .

على أن ذكر الميت الذى يترجم حياة نفسه خاصة لا تقتصر على المتن الذى نتحدث عنه ، بل نجدها فى متون جنازية أخرى . يضاف الى ذلك أن هذه ليست هى الظاهرة الوحيدة فى تعاليم هذا الملك التى تذكرنا بأسلوب الكاتب الذى يترجم حياة نفسه . وأكبر دليل على ذلك ما يأتى :

” لقد أعطيت الفقير وعلمت اليتيم ، وقد جعلت الرجل المغمور الذكر يصل الى غرضه مثل صاحب المكانة “ .

وكذلك نجد فى فقرة أخرى وهى من الصنف الذى نعر عليه فى تراجم الأموات : ” أنا الذى أنشأت الغلال والذى أحبه « نبر » (إله الحبوب) ، والفيضان قد حيانى باحترام (أى كان معتدلا فى أيامى) ، ولم يجمع لإنسان فى سنى حكمى ، ولم يعطش خلالها أحد ، وكل ما أمرت به كان فى موضعه الصحيح “ .

ولا شك فى أن أى عالم أثرى يقرأ هذه الفقرات دون أن يعلم أنها من تعاليم « أمنمحات » لا يشك فى أنها كانت على لوحة جنازية .

ولدينا فقرة أخرى يمكن أن تعتبر تفسيراً للظروف التى انفجرت فيها المؤامرة ، وهى فى الوقت نفسه تمدنا بسبب من الأسباب التى بها نجحت فى بادئ الأمر وهى الفقرة التى يقول فيها « أمنمحات » :

”انظر إن المصيبة قد حلت بى عند ما كنت بدونك“ .

والقول بأن الثورة قد بدأت و « سنوسرت » بعيد عن العاصمة يتفق تماماً مع بداية قصة « سنوهيت » إذ نقرأ هناك أن « أمنحات » قد مات عندما كان ابنه عائداً من حملته إلى بلاد « لوبيا » . على أن السرعة التى عاد بها « سنوسرت » ليصل إلى مقر الملك مع كتمان الأمر عن جيشه ، والرسالة التى بعث بها لإحضار أولاد الملك الذين كانوا يرافقون الجيش وذعر « سنوهيت » الغريب وهربه ، وسؤال الشيخ الفلسطينى « لسنوهيت » عما إذا كانت قد حدثت كارثة فى العاصمة ثم محاولة « سنوهيت » إقناعه بعدم حدوث أى شىء شاذ ، (وأن كل ما حدث هو أن « أمنحات » قد رحل إلى الأفق ... وأن ابنه قد دخل القصر وتولى ميراث والده . واعترافه بأن موت « أمنحات » لا تعرف نتائجه ، كل هذه الحقائق توحى إلينا أن هذا الموت لم يكن طبعياً مما يتفق وما جاء فى سياق التعاليم . ثم يأتى بعد ذلك فى المتن (هذا إذا كان ما ترجم هو المتن الصحيح) :

”قبل أن يسمع رجال البلاط أنى سأسلمك (الحكم) وقبل أن أجلس معك“ .
ولمى أفهم من هذه الكلمات أن « أمنحات » قد حال بينه وبين إعلان ابنه ملكاً على البلاد بصفة رسمية موته المفاجئ .

وإذا كان هذا رأى هو الصحيح عن محتويات هذه التعاليم فما هو إذن الغرض منها وما القصد الذى من أجله كتبت ؟

والجواب عن ذلك أن هذه الوثيقة مقال سياسى فى صورة قطعة أدبية صيغت دعاية لتعضيد حزب « سنوسرت الأول » ، فقد رأينا أن « سنوسرت » بعد موت والده قد أسرع إلى مقر الملك . وقد وصل فى الوقت المناسب ، لينع ما ينحش من الأحداث ، وقد أفلح فى تسلم مقود المملكة التى كان والده قد أعدها له .

ولكن لابد أن يكون تيار المعارضين قويا ، إذ كان المنافسون له على وشك الوصول الى مأربهم ، وربما كان لديهم من الأسباب الحقبة ما يبرر موقفهم ويقوى جبهتهم ويضعف من « سنوسرت » واستحقاقه العرش .

فن المحتمل أن يكون « سنوسرت » قد لجأ إلى قوة السلاح الأدبي لتهدأ النفوس عقب الضربات القاصمة التي أودت بحياة الملك الكبير .

فقد كتب أديب بإيعاز من « سنوسرت » أو بوازع من نفسه هذه التعاليم يظهر فيها الملك المتوفى بسلطانه العظيم يعضد « سنوسرت » ويخاطبه من قبره بوصفه الملك الشرعى على البلاد ، ومتهما أولئك الأوغاد الذين أودوا بحياته . ولما كان غرضه من هذه التعاليم أن يعضد ابنه جاء في مستهلها بما يؤكد ما وثبت صدقها فذكر الجملة التالية يقول لابنه في رسالة صادقة ^(١) :

وقد كان من الأمور الطبيعية في التفكير المصرى أن يأتى الوالد المتوفى من عالم الأموات لمساعدة ابنه على الأرض ، وذلك لأن موتى المصريين كانوا دائماً حاضرين ، وكان لديهم من القوة ما يؤثر على حظوظ الأحياء . فكثيراً ما نجد الحى يطلب مساعدة المتوفى وحمايته ، وقد عثر على كثير من الخطابات التي أرسلها الأحياء إلى الأموات مما يوضح لنا تاصل هذه الفكرة في معتقدات المصريين .

وإذا كان من الممكن الاتصال بالموتى بالرسائل ، وإذا كان في مقدور المتوفى أن يقرأ ما يراد إليه من رسائل الأحياء فمن المعقول المنطقي — وكان المصريون منطقيين في مثل هذه الأمور — أن يكتب الأموات بأنفسهم للأحياء .

ولهذا عثرنا على عدد قليل من الخطابات أرسلها الأموات للأحياء مقابل ما يصل إليهم من أقاربهم ، ومن بين هذه الوثائق ورقة « هاريس » التي وصفها « ستروف » الأثرى الروسى بأنها تزييف ولكنه قديم . وقد ذكر فيها أن الملك « رمسيس الثالث » المتوفى (وقد كان كذلك فريسة لمؤامرة نسوية) قد أفرد أحد أولاده بأن يكون الوارث الشرعى للعرش ، ويرجو من الآلهة والشعب أن يعضدوه ، وبذلك أفسد الغرض الذى لاقى من أجله الملك حتفه . ولا شك في أن

(١) جاء في بحث جديد للأستاذ « جن » أن « أمنمحات » ظهر لابنه في رؤيا صادقة (حلم) بعد

موته . وهذا هو الرأى القديم . (J. E. A. Vol. 27. p. 4. ff.)

المتن الذى بين أيدينا الآن بمثابة مثال مبتكر من نفس هذا النوع من المقالات السياسية التى كتبت للدعاية .

على أن الحرب بالأسلحة الكتابية أو الأدبية لم تكن من مبتكرات الملك «أممحات» الأول . وإذا كان من الممكن أن يصل إليه صدى من تعاليمه فى العالم السفلى الذى غيب فيه ، فإنه لابد أن يذكر بإبتسامة نبوءات «فقرروهو» عنه بأنه هو المخلص المنتظر الذى سينشر فى البلاد عهد سعادة ورخاء . فقد كانت تلك النبوءات دعاية له فى أول عهده عند ما كانت شوكة الحزب المتسمى للأسرة الحادية عشرة لا تزال قوية . وقد كان من نتائج هذه الدعاية أن ضمت إلى جانبه شعور القوم الدينى ومهدت له السبيل إلى اعتلاء عرش البلاد .

وفى اعتقادى أن هذه التعاليم تعد من نوع هذه الوثائق . ورغم أننا لا نرى أمامنا صورة ذلك الملك المسن اليقظ الصارم الذى لم تحده الأوهام ، فإن لدينا فى مقابل ذلك مقالا هو دعاية سياسية ليس أقل حيوية ولا إنسانية من شخصه .

التعاليم والتعليق

التعاليم التى ألفها جلالة الملك «محب أب رع» ابن الاله «رع» «أممحات» الأول متحدثا عن رسالة صادقة لابنه رب العالمين يقول :

”أنت يا من ظهرت إلها (أصبحت ملكا) أصغ لما سألقيه عليك حتى تصير ملكا على البلاد وحاكما على شواطئ النهر ، وحتى يمكنك أن تفعل الخير (أكثر مما ينتظر) . خذ الحذر من مرءوسيك ، لأن الناس يصفون لمن يرهبهم ، ولا تقرب منهم على أفراد ، ولا تتقن بأخ ، ولا تعرفن لنفسك صديقا ، ولا تصطفين لك خلانا لأن ذلك لا فائدة منه “ .

وبعد أن حذر ذلك الملك العظيم ابنه الثقة ببنى الإنسان عامتهم حتى الأخ ، حذره كذلك اتخاذ الخلان ، لأن تجاربه الشخصية عرفته أن أقرب الناس إليه

هم الذين اغتالوه . وبعد ذلك ينتقل الملك إلى نصيح ابنه بالآيتكل على أحد آخر في أن يحافظ عليه . وذلك بعد أن رأى بعيني رأسه أن إحسانه وعطفه قد قوبلا بلإنكار الجميل . قال :

”وعند ما تكون نائما كن الحارس لشخصك حرصا على قلبك ؛ لأن الرجل لا صديق له في يوم الشدة ، فإني قد أعطيت الفقير ، وعلمت اليتيم ، وجعلت من لا ثروة له مثل صاحب الثراء . وقد كان آكل خبزي هو الذي جند الجنود ضدي ، والرجل الذي مددت له يد المساعدة هو الذي أحدث لي بها المتاعب ؛ والذين يرتدون فاجر كفاي عاملوني كالذين في حاجة إليه ؛ والناس الذين يتضمخون بعطوري قد لوثوا أنفسهم وهم يستعملونه (بخيانتى) “ .

وانتقل «أممعات» بعد ذكره هذه الصورة التي تدل على الشك في الناس والتشاؤم منهم إلى حث خلفه وهم لا يزالون يذكرون تأملاته المحزنة وما أتاه من الأعمال الحربية العظيمة ، أن يعوا هذه المعلومات في أنفسهم ، وذلك لأن الخلف دائما ينسى ما قام به السلف ؛ ومع ذلك فإن الانسان لا يمكنه أن يصل إلى السعادة الحقيقية إلا بالمعرفة . اسمع اليه وهو يقول :

”وأتم يأنسى من الأحياء ويامن سيخلفوننى من الناس ؛ اعملوا على أن تكون أحرانى كأنها أشياء لم يسمع بها ، وكذلك اجعلوا ما قمت به من عظيم الأعمال الحربية لا يرى ؛ وذلك لأن الإنسان يحارب في ساحة الوغى وقد نسى (ما جرى) بالأمس ، ومع ذلك فإن الانسان الذى يتناسى العلم لا تتم له سعادة “ .

وينتقل الملك بعد ذلك إلى وصف الحالة التي كان عليها حينما هاجمه المتآمرون ، قال : ” لقد كان ذلك بعد العشاء حينما دخل الليل . وكنت أخذت ساعة من الراحة واضطجعت على سريري ، وكنت متعبا وأخذ قلبي يجمد وراء النوم ، ثم شعرت كأن أسلحة تلوح ، وكأن إنسانا يسأل عنى ، فانقلبت كأني ثعبان الصحراء (أى قمت متصببا) “ .

و بعد هذه القطعة أخذ «أممحات» يصف موقفه الحرج عند الهجوم عليه ،
وهنا تختلف الآراء كما أوضحنا فيما مضى فيقول «دى بك» : إن الملك اغتيل فعلا .
أما « جاردنر » فلا يعتقد ذلك . ولهذا نجد أن كلا منهما يترجم الجملة التي تشير
إلى ذلك حسبا يظن : ” وقد استيقظت على صوت الحرب ، وكنت وحيدا
ووجدت أنها حرب جنود . ولو كنت أسعفت بالسلاح فى يدى لكنت قد شئت
شمل المحتئين شذر مزر ، ولكن لا شجاع فى الليل ، ولا يمكن أن يحارب الإنسان
وحيدا إذ لا نصر بدون معين “ .

يرى بعد ذلك «أممحات» أنه قد أصبح طاعنا فى السن وليس فى مقدوره
أن يحكم البلاد وحده . ولما لاحظ أنه قد أصبح غير قادر على أن يتنبأ ويعوق
المؤامرة التي دبرت ضده نزل عن الملك لابنه «سنوسرت» وهو الذى أشركه معه
فى حكم البلاد ، ولذلك يقول :

” تأمل ! لقد أريق الدم وأنت بعيد عنى ، وقد سلمت لك (الملك) قبل أن
يسمع بذلك رجال البلاط . وعلى ذلك دعنى ، أفل ما تريد ، وذلك لأننى لم أخطئ
لنفسى ضده هذه (المؤامرة) فإنى لم أفطن إليها من قبل . هذا فضلا عن أن قلبى
لم يتنبه إلى ترانى الخدم “ .

ينتقل بعد ذلك «أممحات» إلى التنويه بأن هذه المؤامرة قد دبرت فى الخلور .
وقد وضع المؤلف هذه الحادثة فى ثلاثة أسئلة قد اختلف كثيرا فى ترجمتها . ونظن
أن الأستاذ « جاردنر » قد قارب الحقيقة إذ يقول :

” هل حدث أن النساء اصططفن فى ميدان المعركة ؟ وهل من لا يعرى حرمة
القانون قد شب فى القصر ؟ أو هل الماء الذى كسر السد قد انطلق ، وعلى ذلك
خاب الفلاحون فى عملهم ؟ “ .

ويمكن فهم السؤالين الأولين تماما . أما الثالث فإنه استعارة تشبيهية من الطراز
الأول ، إذ من المحتمل أن نفهم منها أن الشعور بالولاء الذى نماه الملك قد تلاشى

فأصبح الوثام الذى كان يسود القصر مقضيا عليه جملة ، ولذلك شبهه بتوزيع مياه الفيضان فى وقت الزرع بواسطة القنوات الصغيرة تشق الحقول وتقسّمها إلى مربعات مثل رقعة الشطرنج ، فإذا حدث خلل فى هذه القنوات فإن كل المساحة تغمرها المياه ، وبذلك يضيع تعب الفلاحين سدى .

على أن ما يأتى لا يثبت أن المؤامرة قد خابت ، ويمكن فهم نتيجتها ضمنا من قوله : "وسوء الحظ لم ينتبنى منذ ولدت ، هذا فضلا عن أنه لم يتأت لإنسان قط أن يقوم بمثل ما قمت به من الأعمال العظيمة بوصنى رجلا شجاعا" .

ثم ينتقل «أممحات» إلى تعداد ما أحرزه من النجاح فى ميدان الأعمال المادية فيقول : "لقد اقتنحت طريقى إلى «الفتين» (أسوان) ونفذت حتى منافع الدلتا، ووقفت عند نهاية حدود الأرض، وشاهدت وسطها، ووصلت إلى معاقل الحدود بقوة ساعدى و باهر أعمالى العظيمة" .

ثم يأتى ذكر أعمال الخير التى قام بها الفرعون المسنّ مادحا إياها قائلا :
"لقد كنت مؤسسا للحاصل الزراعية، محبوبا من الإله «نبر» رب الغلال، وقد حيانى النيل فى كل رقعة من الأرض المكشوفة ، ولم ينجع لإنسان فى سنى حكى، ولم يسفب أحد خلاها (السنون)، ولكن القوم جلسوا فى سلام بما عملت لهم وتحذثوا عنى، وكل ما أمرت به كان فى موضعه الحق . ولقد أذلت الأسود، واصطدت التماسيح ، وقهرت أهل «واوات» وأسرت قوم «المازوى» وجعلت الأسويين يشون كالكلاب ، وأقت بيتنا مزيّنا بالذهب وسقفته باللازورد ، ... ورقعته ... وأبوابه من النحاس وأقفاله من البرنز ، وقد صنعتها لتبقى إلى زمن لا نهاية له ، والأبدية تحشاها لأنها لا يمكنها أن تقضى عليها" .

ويأتى بعد ذلك عدّة حمل لا يمكن فهمها لأن المتن مشوّه .

ولا نزاع فى أن كاتب هذه التعاليم قد رسم لنا صورة التشاؤم والريبة التى بعثتها أحوال البلاد فى ذلك العصر ، رغم ما قام به «أممحات» من إعادة النظام القديم

الذى كانت عليه البلاد بقدر ما استطاع ، إذ كانت الأحوال قد حتمت عليه أن يتخير عماله وموظفيه لإدارة البلاد من بين أولئك الرجال الذين ترعرعوا وشبوا في عهد ذلك الانحطاط الذى عقب عصر الأهرام ، وكانت قلوبهم قد أشربت حب الفوضى والفساد اللذين هوى إلى حضبيهما الشعب المصرى عدّة قرون ، ولم ينقذه منها في ذلك الوقت إلا « أمنمحات » ، وإن كانت بقاياها قد ظهرت ثانية في حادثة اغتياله على يد من أحسن إليهم ، لذلك بدأ شعور النفوس في المجتمع المصرى في ذلك العهد مملوءا بالريبة والشكوك إلى حد أن ذلك الشعور قد انعكست ظلاله على أعظم أنواع الفنون في ذلك العصر وأعنى بذلك فن نحت التماثيل البشرية ، فظهر في هيئات التماثيل الخالدة التى تمثل لنا ملوك الدولة الوسطى ، سمة الرزانة والوجوم التى تلمح في أقوالهم ونصائحهم ، والتى كانوا ينظرون بها في عصرهم إلى الحياة الدنيا . وعند ما ننعم النظر في تلك الوجوه التى تدل على الجراءة والبطولة أمثال « سنوسرت الثالث » و « أمنمحات الأول » والثالث ، وقد ظللتها سحائب اليأس والقنوط ، نرى أن نفس هذه الوجوه تعد كشفا جديدا في ميدان الفن يميّط لنا اللثام من غير شك عن روح ذلك العصر الذى يعتبر أقدم عصر معروف تخلص من الأوهام ولم يخضع بها . (راجع صور هؤلاء الملوك في مكانها) .

هرم أمنمحات ومعبده — وقد أقام « أمنمحات » لنفسه هراما بالقرب من مدخل الفيوم (الشت) يظهر أنه كان على أنقاض بلدة يرجع عهدها إلى عصر ما قبل التاريخ . وتدل أعمال الحفر التى قامت في تلك الجهة على أن التصميم الأول للهرم ومعبده كان ضخما جدا ، ولكن يظهر أن الملك رأى أنه لا يمكنه إتمام هذا العمل في حياته ، وأن المكان الذى اختاره لم يكن ملائما من الوجهة الهندسية لأنه كان ينحدر شرقا وجنوبا ، فترى موضع الهرم وإن كان سهلا ، لأن الأرض التى أقيم عليها قد سويت بقطع الأحجار من المكان العالى وبنائها في المكان المنخفض ، إلا أن موضع المعبد كان غير معبد ويحتاج إلى عناء كبير ، ولذلك اكتفى « أمنمحات »

ببناء معبد صغير في الجهة الشرقية على مستوى منخفض جدًا من الهرم . ومن المدهش أنه وجدت أحجار من أحجار المعبد كانت قد استعملت في بناء آخر باسم «أممحات» ، ويحتمل أنه كان قد أعدّها لبناء آخر ولكن استعملها في هرمه هذا ، وكذلك تدل الأبحاث على أن هذا المعبد والهرم قد اغتصبهما ملك آخر فيما بعد ، ولكن لا يمكن الجزم بذلك لأن حجرة الدفن موجودة تحت الماء الآن .

ومن الأمور التي تلفت النظر رغم شيوعها منذ الدولة القديمة أن بناء قلب هرم «أممحات» وجدت فيه أحجار كثيرة منقوشة ، معظمها يرجع إلى عهد الدولة القديمة ، وقد اغتصبت إما من «دهشور» أو «سقارة» . وقد كان تمييز هذه الأحجار من أحجار الهرم والمعبد الأصلية من الأمور الصعبة ؛ وذلك لأن «أممحات» كان يقلد كتابة الدولة القديمة بكل دقة بل كان أحياناً ينقل أسطراً منها كاملة . ولما تولى «سنوسرت» الملك بنى لنفسه هرماً على مسافة ميل ونصف من هرم والده جنوباً ، وقد أقيم حول الهرمين عدّة مقابر لرجال البلاط وكبار الموظفين . وقد كان قرب كل منهم وبعده من قبر سيده يتوقف على مركزه في البلاط والمجتمع . وحول قبور العظماء أقيمت قبور أسرهم وخدمهم . وقد أخذ عدد هذه المقابر يتزايد حتى شغلت حيزاً عظيماً في أواخر الدولة الوسطى إلى أن جاء عهد «المكسوس» فهجرت ، ومن ثم أصبحت تحت رحمة السرقة ولصوص المقابر . وقد كان أول بناء عرض للنهب هو هرم «أممحات» الذي كانت معظم أحجاره مفتتحة من مقابر الدولة القديمة (انتقام التاريخ) حتى أنه بعد فترة أصبح كومة عالية فقدت شكلها الهرمي ، إذ أخذت كل أحجارها واستعملت في جهات أخرى . وفي الجهة الغربية من الهرم عثر على بعض مقابر لعظماء عصر «أممحات» ، وكان معظم أحجارها من مقابر الدولة القديمة مما يدل على أن الملك لم يكن ينتصب الأحجار لنفسه فحسب ، بل كان ينتصبها أيضاً لعظماء بلاطه .

حجر أثاث الهرم وما وجد معه — وفي هذه الجهة من الهرم عثر الأثرى «ونلك» على قطع الأثاث التي كانت توضع عند وضع حجر الأساس . وقد وجدت

في الركن الجنوبي الغربي للهرم، ويعدّ العثور على هذه الأشياء من الأمور النادرة جداً. وقد عثر عليها في حفرة مستطيلة عند الفوهة، وبيضية في نهايتها، وقد غطيت بحجر جيري مهذب بعض الشيء وهذه الحجرة كانت مملوءة بالرمل الصافي .

ويتألف هذا الكثر من رأس ثور وستة قوالب من اللبن ذات شكل ساذج، وكية عظيمة من قطع الخزف المهشم وأطباق من الفخار . وعند فحص قوالب اللبن وجد أنه قد ركب في كل منها لوحتان من النحاس، واثنان من الخزف المطلي، واثنان من الحجر الجيري الأبيض فقدت إحداهما . والكتابة التي على كل منها تشتمل على اسم الملك ثم اسم الهرم « اسوت خعو » ثم العلاقة الدالة على الهرم . ومعنى الاسم « أما كن الظهور » أى الأماكن التي يشرق فيها الملك . غير أن هذا الهرم كان يعرف قبل الكشف عن أشياء الأساس باسم « كانفر » (الروح الجميلة) لأنمحات (A. Z. Vol. 59, p. 53) ، وقد وجد هذا الاسم على لوحة محفوظة الآن في متحف « اللوفر » وكذلك جاء ذكره في قصة « سنوهيت » ، إذ قد عين حارسا (للحریم الملكي) في مدينة هرم « كانفر » . ولا ندرى أكان هذا الاسم الأخير هو للهرم كله وتوابعه، والاسم الذى كشف في الأساس هو للهرم — وحده كما نرجح — أم لا . ولكن يقول الأستاذ « شارف » أنه اسم مدينة الهرم (A. Z. ibid) .

مدينة الهرم — وفي الجهة الجنوبية كشف عن مساحة كبيرة تحتوى على بلدة وجبانة من هذا العصر . ومما يلفت النظر في هذه المدينة أن إحدى منازلها كانت على ما يظهر معملا لطلى الخزف .

ففى إحدى الحجرات عثر على حجر غائر في رقعتها ، ولا بدّ أنه كان يستعمل لعجن الجير المطفى بالماء، وفي الحجرات الأخرى لهذا المعمل وجد قنين مهشم ومبعثر في كل أنحاء البيت وخارجه، وكذلك وجد عدد عظيم من قطع العجين التي بدئ في تشكيل بعضها . هذا إلى وجود عدد عظيم من آلات الصقل مصنوعة من الحجر الرملی، وآلاف من حبات الخرز، وكية من المواد المختلفة الأنواع .

أما في الجبانة فقد نظف كثير من المدافن ووجد معظمها منهوبا نهبا تاما، غير أن البعض الآخر قد عثر فيه على أشياء ثمينة نقف منها على بعض نواحي الفن في هذا العصر وصناعاته . فقد عثر مثلا^(١) على بعض أواني من الفخار المزخرف الذي ينسب إلى هذا العصر . وقد عثرنا على أمثلة منه في منطقة أهرام الجيزة في حفائر عصر الدولة القديمة . غير أن بعض العلماء ينسبه إلى صناعة أجنبية كما سيأتى بعد . وكذلك عثر على قطعة من الحجر الجيري الأبيض نقش على جوانبها الأربعة اسم «سنوسرت» وربما كان «سنوسرت الأول» . وهذه القطعة كانت بلا شك مثقالا يستعمل في الموازين .

(1) M. M. A. "The Egyptian Expedition, 1920-1921"



سنوسرت الأول حوالى « ١٩٨٠ - ١٩٣٦ ق م »



شكل رقم ١٥
سنوسرت الأول

مقدمة — دلت ظواهر الأحوال على أن المؤامرة التي قامت ضد « سنوسرت » الأول لاغتصاب الملك منه على إثر اغتيال والده بعد أن اشترك معه في الحكم نحو عشرة أعوام لم تكن واسعة النطاق . وأنه بعودته في الحال قضى على هذه الفتنة قضاء عاجلا حاسما كما أسلفنا الإشارة إلى ذلك .

وقد خلا « لسنوسرت » الجؤ بعد ذلك وأخذ في الدعاية لنفسه . وقد حكم البلاد نحو ٤٠ سنة ، منها عشر سنوات بالاشتراك مع والده ، وثلاث منها مع ابنه عندما أشركه معه في الحكم . ويمتاز عصر « سنوسرت » الأول بجلال الأعمال وبالإصلاحات التي قام بها في داخل البلاد ، وبخاصة مبانيه العظيمة التي نشاهدها منبثة في طول البلاد وعرضها ، وقد وضعته في الصف الأول بين عظماء الفراعنة الذين اشتهروا بمبانيهم الهامة .

وصف « سنوهيت » للملك « سنوسرت الأول » — ولقد وصفه لنا « سنوهيت » الذي كان معاصرا له وحارب معه جنبا لجنب في حملة « لوبيا » وصفا شيقا لا يخلو من المبالغة فيقول :

”إنه هو الإله المنتقم القرين الذي لا يفوقه أحد ، وإنه رب الخزم المتفوق في النصيحة والحازم في إعطاء الأوامر ، والروح والفدوت تحت إرادته ، وهو الذي أخضع الأراضي الأجنبية ، ووالده مقيم في القصر ليتلقى الأخبار بأن أمره قد نفذ ، وأنه القوي الذي يحرز النصر بساعده القوي ، البطل الذي لا نظير له عندما يشاهد منتقضا على العدو ، أو مقتربا من حومة الوغى ، وهو الذي يثني القرون^(١) ، ويضعف الأيدي ، وأعداؤه لا يمكنهم تنظيم صفوفهم .

وإنه لمتقم محطم للجناء ، ولا أحد يحسر على الوقوف بجواره . وهو الواسع الخطى المهلك للهارب ، ولا نهاية لمن يولى ظهره له . (أى أن الهارب لا يصل إلى غايته سالما) . شجاع القلب عندما يرى الجوع ، ولا يسمع لقلبه بأية راحة

(١) أى قرون المدثر الذي يشبه بالثور في قوته (يعنى كناية عن البطش والغلبة) .

الجبسور عندما ينقض على الشرقيين . وسروره أن يأمر «الريدتو» (العدو) ، وهو يقبض على درعه ، ويدوس تحت القدم (العدو) ، ولا يعيد ضربته ليقفل (أى لا يضرب إلا ضربة واحدة قاتلة) .

وليس هناك من حول سهمه عن هدفه ، وليس هناك من حنى قوسه (لصلابته) ، و «شعب الأقواس» يهرب أمامه كما يهرب أمام قوة الآلهة العظيمة ، وهو يحارب بدون نهاية ، وهو لا يبق ولا يذر ، وهو رب الرشاقة ، غنى فى عذوبة ، وبالمحبة قد تغلب على قلوب الناس ، ومدينته تحبه أكثر من نفسها ، وهى تبتجج به أكثر من إلهها ، والرجال والنساء يمزون أمام قصره فرحين ، وهو ملك قد فتح وهو لا يزال فى البيضة (أى طفلا) ، وقد كانت وجهته أن يكون ملكا منذ ولادته . وهو الذى يكثر عدد من ولدوا معه ، وهو نسيج وحده ، ومنحة من الله ، وسيفتح الأراضى الجنوبية ، ولكنه إلى الآن لم يلتفت إلى الأراضى الشمالية .

ومع ذلك فقد خلق ليضرب على أيدي البدو . ويحطم سكان الرمال . أرسل إليه ودعه يعرف اسمك ، ولا تنطق بلعنة ضد جلالته ، وهو لا يفوته أن يعمل خيرا لأرض ستكون موالية له “ .

حفلة تتويج « سنوسرت » الأول — وقد كان أول عمل قام به «سنوسرت» بعد توليته العرش أن أقام حفلة لتتويج نفسه ، وقد كان الغرض منها محض الدعاية لشخصه ، وأنه هو الوارث للعرش الحقيقى ، وفى ذلك تشبه «بأوزير» و « حور » ، فإن « حور » قد أقام لنفسه حفلة تتويج عند اعتلائه عرش والده «أوزير» ، وكان الأخير قد قتله «ست» أخوه ، وهذه الحفلة كانت تقام فى صورة رواية تمثيلية تمثل فيها كل الأدوار التى حدثت فى مأساة «أوزير» و « حور » « فأوزير» هو الملك المتوفى «أممحات الأول» و «حور» هو الملك الذى خلفه ، وهو هنا « سنوسرت الأول » . وتمتاز التمثيلية التى نحن بصددتها الآن بأنها من إنشاء عصر الدولة الوسطى وقد عثر عليها « كويل » فى عام ١٨٩٥ - ١٨٩٦

في منطقة « الرسيوم » . ولما كانت هذه الدراما منقطعة القرين في بابها حتى الآن آثرنا أن نأتى على ملخصها هنا ، وبخاصة أنها كانت أكبر دعاية « لسنوسرت » الأول في تثبيت ملكه وتعريف الشعب بأحقية الملك ، وتحتوى هذه الدراما على ستة وأربعين منظرا . وها هي ذى حسب ترتيب مناظرها :

ملخص تمثيلية عيد التتويج — فنجد في المنظرين الأول والثانى أن الملك قد مات (وهو أمتحات الأول) وعندئذ يأمر ابنه ووارثه على العرش « سنوسرت الأول » بإحضار السفينة الملكية بعد إعدادها . وقد كان المفروض أن الملك يمثل دوره فيها خلال عرض هذه الدراما كلها . ولكن يظهر أنه قد تركها في المنظرين الأخيرين منها . ونشاهد في المنظر (٣ و ٤) تقديم ضحية للـك المتوفى وهو نور يذبح ثم يقطع قطعاً ليقدم وجبة . والمعنى هنا رمزى أى أن الثور هو الإله « ست » الذى قتل أخاه « أوزير » .

وفي المنظرين الخامس والسادس يطحن الشعير ثم يقدم منه كعك للـك .

وفي المنظر السابع نشاهد تجهيز سفيتين لأولاد الملك .

وفي المنظر الثامن نشاهد شارات الملك الخاصة بحور (أى الملك الجديد) تستخرج من محرابه ، ثم يجهز موكب يمز به الملك في الجبل (أى الجبانة) .

وفي المنظر التاسع نشاهد درس الشعير بواسطة البهائم وحمله إلى المخازن . وهذا المنظر رمزى يقصد به أن « حور » بدرس الشعير يمزق أوصال عدو والده « ست » انتقاما له .

وفي المنظرين العاشر والحادى عشر نشاهد زيادة الاهتمام بإعداد سفينة الملك وسفيتى أولاده . وذلك بوضع أشياء وأوان خاصة بتطهير الملك وأولاده .

وفي المنظر الثانى عشر والخامس عشر وما بينهما نشاهد صورا تحتوى على صب الماء وتقديم رأس حيوانين (رأس ثور ورأس أوزة) للآله المحلى ، ثم يأمر بإقامة العمود المقدس بأيدى الأولاد الملكيين .

وهذا رمز إلى أن «حور» قد أمر أولاده أن يجعلوا الإله «ست» تحت «أوزير» .
وعندئذ يشد العمود بمجل ويقام ، ويفسر هذا بقتل « ست » ، ثم يأمر «حور»
أولاده بأن يتركوه موثوقا ويطرحوه أرضا . أما المنظر السادس عشر فنشاهد فيه
أولاد الملك يزلون في سفيتهم ثم يتكلم «حور» عن أولاده مع «ست» الذي يمثل
هنا بالسفينة قائلا له : " احملي أنت يا من حملت والدي على ظهرك " (أى أنه
يتغلب عليه) . أما المنظر السابع عشر فنشاهد فيه تقديم الخبز والجمعة للإله «حور»
الأعمى رب «ليتوبوليس» (أوسيم الحالية) (وهى البلدة التى انتقم فيها « حور »
من قتلة والده ثم دفنه فيها) ، وبذلك أعيد له نظره . أما المناظر من الثامن عشر إلى
الحادى والعشرين فنشاهد فيها حدوث مبارزة بين « حور » و « ست » ، وكذلك
إحضار مرضعتين ونجارين لصنع مائدة قربان للملك ، ثم نشاهد الكاهن الخاص
بتقديم القرابين يحضر المائدة .

وفى المنظر الثانى والعشرين نشاهد أولاد الملك يقدمون له الخمر . وهذا رمز
إلى تقديم عين « حور » إليه بعد أن اقتلعها « ست » الشرير .

وفى المنظرين الثالث والعشرين والرابع والعشرين يقدم للملك حلى من حجر الدم
والفخار المطلى ، وهذه يرمز بها إلى إرجاع عين « حور » إليه ثانية . وفى المنظر
الخامس والعشرين يقدم ساقى الملك له وجبة ، وهذا رمز للإله « تحوت » عندما
قدم عين « حور » إليه بعد أن اقتلعها « ست » ، ولذلك يقول « تحوت » فى هذا
المنظر للإله «حور» : "إنى أقدم لك عينك لتفرج بها" ، فتقديم العين إلى «حور»
هو تقديم الوجبة . وفى المنظر السادس والعشرين نشاهد كهنة خاصة يلتفون حول
علمى «حور» ، وهما اللذان يرمز بهما إلى سلطان الملك على الوجهين القبلى والبحرى
أو غرب الدلتا وشرقيها ، وكذلك يرمز بهما إلى عيني « حور » ، وفى المناظر من السابع
والعشرين إلى الحادى والثلاثين نشاهد أنه كان يقدم للملك شارات ملكه الخاصة

(١) كان البين من أهم القرابين التى تقدم للتوفى .

وهى الريشتان والصوبلجان والخاتم، وعند ذلك يهلهل عظماء الوجه القبلى والبحرى فرحا، وبعد ذلك يؤتى بكل ضرورى لترتين الملك وتضميخه وتعطيره وإطلاق البخور له، ثم وضع الحارستين على رأسه، أى الريشتين اللتين يزين بهما تاجه. وفى المنظر الثانى والثلاثين نشاهد بعد التتويج عظماء القوم الذين اشتركوا فى احتفال التتويج هذا، ويشتركون كذلك فى تناول طعام الوليمة الملكية التى أقيمت لهذا الغرض وحده. وفى المنظرين الثالث والثلاثين والرابع والثلاثين نشاهد الملك قد ارتدى لباس الحزن على والده المتوفى، وعندئذ يقدم نوع خاص من الخبز، ونوع خاص من البجعة فالخبز كان يسمى خبز «أح» أى «أوزير» الذى قتل. أما البجعة فكانت تسمى بـ «سمرت» وهى ترمز إلى «إيزيس» والدموع التى سكبها هى «حور» على «أوزير» المقتول. وكانا يقدمان طعاما فى الاحتفال بمجنازة «أوزير».

والمناظر من الخامس والثلاثين إلى الأربعين تستحضر فى آن واحد أدوات التحنيط للملك الراحل مع الملابس الحمراء لللك الذى خلفه على العرش. ثم نشاهد الكهنة المسمين «سخنوأخ» (الباحثين عن الأرواح) وهم المكلفون بخدمة الملك المتوفى يؤمرون بحمل تمثاله على أيديهم كما كان يحمل الأصدقاء «أى أصدقاء المتوفى» كما جرت العادة فى الشعائر الجنائزية. ثم نراهم ينتون بصورة رمزية سلما إلى السماء ليصعد فيه الملك المتوفى إلى العالم العلوى الذى كان لابد له أن يرجع إليه. ثم تنتخب المرأتان اللتان كانتا تقومان بالتحبيب على المتوفى وهما اللتان تمثلان دور «إيزيس» و «نفتيس». ثم بعد ذلك يعطى الكاهن مقدّم القربان نفخا من اللحم، وقطعا من النسيج لاستعمالها فى خدمة المتوفى. وفى المناظر من الحادى والأربعين إلى الرابع والأربعين نشاهد كهنة «سخنوأخ» يتسلمون هذه الأشياء التى كانوا يستعملونها فى تكفين الجثة والاحتفال بفتح القم^(١). وبخاصة أنواع العطور والزيت.

(١) شميرة فتح القم كانت من الشعائر التى يقوم بها كهنة خاصة باحتفال خاص، وذلك لأجل أن يعيدوا إلى الميت قوة فتح القم والعين ليكنه أن يتمتع بكل ما يقرب له، وكان ذلك بطريقة سحرية وتماويز خاصة وآلات معدة لهذا الغرض.

وفي المنظرين الآخرين هما اللذان لا يظهر فيهما الملك وبهما تنتهي الدراما يحضر إلى الملك المتوفى كل معنات التطهير وبخاصة النظرون الذي كان يستعمل لهذا الغرض وتوضع في المحراب المقدس، وهو المكان الذي يتوى فيه وآثر مطاف له في عالم الدنيا، وأعني بذلك هرمه الذي يدفن فيه .

مبانيه الدينية — معبد عين شمس — وقد كانت الخطوة الثانية في إرضاء الشعب وجعله ينف حول ما قام به من المباني الدينية للآلهة وبخاصة الإله «رع»، فقد أقام له معبدا في مدينة «عين شمس». وقد أسعدنا الحظ بالعثور على بردية كتبت بعد عصره بنحو ٥٠٠ عام، وتحتوى على النقوش العظيمة التي قدمها «سنوسرت» تذكارا للاحتفال العظيم الذي أقامه عند إتمام معبد الشمس في «هليوبوليس» (عين شمس) الحالية، وقد كانت هذه النقوش في بادئ الأمر منقوشة على لوحة وضعت في فناء المعبد ثم نقلها الكاتب على بردية، وما يؤسف له جد الأسف أن هذه البردية لم تصل إلينا كاملة وهالك نص ما تبقى منها .

وعندما توج الفرعون بالثاج المزدوج للوجه القبلى والوجه البحرى (أى عند توليته العرش بوصفه فرعوناً منفرداً بعد موت والده، جمع المجلس وطلب الفرعون رأى أتباعه، وهم أشرف القصر والأمراء الذين في البلاط في مكان المشاورة الخاص، ثم تكلم الفرعون وهم مصنفون وسألهم الملك رأيهم، وجعلهم يتكلمون بما عندهم فقال تأملوا ! إن جلالتى عازم على القيام بعمل، ويفكر فى أمر حسن للمستقبل وذلك أن يكون فى مقدورى إقامة أثر ونقش لوحة تذكارية للإله «حور أخى» (إله الشمس)، فإنه ذراى لأقوم له بعمل مايجب أن أعمله، وأنفذ ما أمر بنفاذه، فهو الذى جعلنى راعياً على هذه الأرض، لأنه يعلم أنى سأحافظ له على النظام فيها، ومنحنى كل شئ، تحت حمايته، وما تسطع عليه العين التى فيه (أى الشمس)، وكل شئ يعمل

(1) Breasted, A. R., Vol. I, Par. 498 ff. ; Erman, "The Literature of the Ancient Egyptians", p. 49 ff.

حسب رغبته ، وقد انجزت كل ما يريد منى لأنى ملك بحسب إرادته وفرعون لا ...
وحقى عند ما كنت صبيا كنت مظفرا وكنت قويا وأنا لا أزال فى بطن أمى ...
وقد قدرلى أن أكون سيد القطرين ؛ وقد كنت لا أزال طفلا قبل أن تنتزع عنى
لفافى ، وقد نصبنى سيد بنى الإنسان ... أمام الناس ، وعلمنى أن أستوى على العرش
عندما كنت لا أزال شابا وقد أعطانى صورته وحزاه ، وقد صورت حسب
الشكل الذى اتخذه هو ، وقد أعطيت الأرض وإنى سيدها ، وبذلك قد وصلت
شهرتى إلى عنان السماء ... وقد أمرنى أن أتغلب على ما يجب أن يتغلب عليه هو
وقد جمعت بوصفى الصقر الملكى مناقبه وقد حبست قرايين الآلهة . وسأقوم
الآن بعمل وهو إقامة معبد عظيم لوالدى إله الشمس «آتوم» ، وسأجعله منيرا بقدر
ما جعلنى مظفرا ، وسأمد مائدته بالطعام على الأرض ، وسأشيد ببنى (هذا) على
الأرض المقدسة ، وبذلك سيد كرتي فى هذا المعبد وسيكون اسمى (مخلدا مثل)
حجر « بنين » (قبة الهرم) ، وستكرى البحيرة (البحيرة المقدسة التى تجاور المعبد عادة) ،
وسيكون هذا العمل الذى عقدت العزم عليه مثل الأبدية ، لأنه لن يموت ملك
وآثاره تتحدث عنه . وإن اسمى سيد كرتا ولن يفنى لما خلده من الآثار ، وما أفعله
هو الصواب ، وما أبحث وراءه هو الممتاز . فأجاب مستشاروه بما يأتى : إن القول الفصل
فى فك ، وثاقب رأى خلفك ، يأيها الملك ، وإن ما عزمت عليه سينفذ بأياها الملك
الذى ظهر موحدا للقطرين لأجل أن فى معبدك . إنه لحسن أن ينظر
الإنسان إلى العدو ... ولكن بنى الإنسان قاطبة لن يتخيروا شيئا بدونك ، لأن جلالتك
عين كل إنسان وإنك لعظيم حينما تقيم آثارا فى «عين شمس» مسكن الآلهة أمام والدك
رب القاعة العظيمة «آتوم» . ثور التاسوع . أتم بيتك وخصص له منما لمائدة
القربان لأجل أن نمد تمثاله المقرب منه لكل الأبدية .

وبعد أن حصل على الموافقة التامة من مستشاريه ، أخذ الفرعون يعطى تعليمات
للاحتفال بوضع الحجر الأساسى للعبد ، فقال الملك نفسه لحامل الختم ورئيس تشريفاته

ومدير الخزانة والمشراف على أسرار (تاجيه) سيكون رأيك هو المعمول به لتنفيذ العمل .

وهذا ما تصبو إليه جلاتي ، وستكون أنت المدير المكلف به حسبما يحبه قلبي .
كن يقظا حتى ينفذ من غير تراخ كل عمل خاص به ، أما كل الذين يعملون فإنهم قد أمروا ليعملوا حسب أوامرك ، ثم طلع الملك لابسا تاجه وعليه الرشتان ، وقد سار خلفه القوم كلهم ، وبعد ذلك مدّ رئيس المرتلين وكاتب الكتب المقدسة الخيط ، ودق أوتاد الحدود في الأرض (أى حدود المعبد) ، وبعد ذلك أمر الملك بأن يمشى كاتب الوثائق الملكية أمام الناس الذين كانوا متجمعين في مكان واحد من الوجهين القبلي والبحري .

ومما يؤسف له أن الورقة قد قطعت عند هذه النقطة بالذات . ولكنا على الرغم من ذلك قد وقفنا على مضمونها في جملتها ، ويرى القارئ أن معظم النص ينحصر في مدائح للفرعون كان يكلها لنفسه ، ويفرغها عليه مستشاروه . ولقد أراد « سنوسرت » من إقامة هذا الأثر أن يثبت للآل أنه من نسل « رع » الذي ينتسب إليه كل فراعنة مصر وبخاصة أن موضوع نسبه للأميرة المالكة كان مشكوكا فيه . يضاف الى ذلك أنه أراد أن يبق ذكره في مدينة الشمس موطن جدّه الإله « رع » الى أبد الأبد .

مسلة عين شمس — ولكنه لو قدر له أن ييما ثانية لرأى أن يد الدهر لم تبق من كل هذا الأثر الفخم إلا ثلاث قطع من الأحجار وأهمها مسلة التي لا تزال قائمة في موضعها الأصلي بالمطرية ، وهي أقدم المسلات الخمس التي لا تزال قائمة في مكانها الأصلي . أما باقي مسلات الفراعنة فقد نقلت الى عواصم المدن الأوربية وأمريكا لإشباع شهوة طائشة . ففي « روما » وحدها يوجد تسع مسلات يزيد ارتفاع كل منها على ٢٩ قدما . ويبلغ ارتفاع مسلة « سنوسرت » هذه ٦٦ قدما ، وهي كتلة واحدة من الجرانيت الأحمر وقد نقش على كل من جوانبها سطر من



شكل رقم ١٦
مسلة سنوسرت الأول بالمطرية

النقوش الميروغليفية ، يدل على أن مقيمها هو « سنوسرت الأول » الذى تحبه
أرواح عين شمس المقدسة (أى الملوك الذين توفوا قبله من أجداده) وفى ذلك
من الدعاية لنفسه ما فيه ، وأنه صنعها تذكارا لعيد « سد » أى العيد الثلاثيني
لتولييه الحكم . وقد ذكر لنا « عبد اللطيف البغدادى » فى كتابه عن مصر عند
مازار « عين شمس » عام ١١٩٠ ميلادية أنه شاهد مسلمين عظيمتين واحدة منهما

لا تزال قائمة في مكانها والثانية ملقاة على الأرض مهشمة . وقد شوهد كذلك الجزء الهرمى لكل منهما، وقد صنعا من النحاس، وبقي ملقى على الأرض حتى عام ١٢٠٠ ق م . وفي عام ١٩١٢ عثر الأستاذ «فلندرز بترى» على بقايا مسلة في هذه الجهة غير أن نقوشها دلت على أنها للفرعون الفاتح العظيم «تحتس الثالث» .

أما الحجران الآخران اللذان وجدا من بقايا هذا المعبد فقد نقش على واحد منهما نقوش تذكر لنا أسماء « سنوسرت » وألقابه (A. S. IV. p. 101) .

هدايا « سنوسرت » للإلهة المصرية — أما الحجر الثاني فقد نقش عليه قائمة طويلة تعدد لنا الهدايا المقدمة التي قدمها على ما يظهر هذا الفرعون نفسه للإلهة المختلفة (لم يبق ما يدل على اسم هذا الملك إلا كلمة «سنوسرت») (Ibid p. 102)، وفي ذلك دليل على رغبة هذا الفرعون في إحياء ذكرى الآلهة الذين كانوا قد أهملوا في عهد القوضى مما يجب فيه الأهلين، وكذلك نستخلص من هذه القائمة انتعاش الثروة المعدنية في البلاد وعظم المستخرج منها ، وكذلك المعابد التي أقامها لهم في طول البلاد وعرضها . وهاك النص كما وجد مهشما عقد من حجر مسنت (الإله اسمه مهشم) وعدد عظيم من الأختام الكبيرة وعقد من حجر مسنت وللإلهة « عنت » (إلهة الشلال) خاتم وآنية من الفضة وآنية من الذهب وآنية من الجمشت وآنيان من النحاس ، ومبخرة من العاج ومبخرة من الفضة ، وللإله «أوزير» أول أهل الغرب وسيد العراوبة المدفونة آنية من الجمشت وآنيان من النحاس، ومبخرة من العاج . وللإله «أنحور» رب «طينه» آنية من الفضة وآنية من الذهب وآنية من البرنز وآنيان من الجمشت ومبخرة من العاج ومبخرة من الفضة؛ وللإله «إيو» (صورة من صور الإله مين) وآنية من الفضة وآنية من الذهب وآنية من الجمشت وآنيان من النحاس ومبخرة من العاج ومبخرة من الفضة ولمعبود اسمه عقد منات . وكذلك أقيمت معبدا للإلهة « سات » و « عنت » و «خنوم» رب الشلال (وهذا الثالث خاص ببلاد النوبة السفلية) من الحجر

المنحوت، وكذلك أقيمت معبدا للإله « حور » النوبي في الاقليم الثاني لمصر العليا (أى شمالى أسوان) ... وقد قدمت لمعبد « آتوم » التذكارى رب « عين شمس » كثيرا من آتية الفضة ... وعمرابا من الذهب (٩) ... وتمثالا ... لنفسى « سنوسرت » فى مدينة « سايس » وتمثالا للإلهة « وازيت » سيدة مدينتى « ب » و « دب » وآتية عظيمة من النحاس وتمثالا لسنوسرت (أى نفسه) لمدينة « ب » وللإلهة « نفتيس » ... وللتاسوع فى بلدة « رنعا » (مصر العتيقة) قدمت إناء عظيما من النحاس وتمثالا للإله « حعبى » (النيل) . وعند ما أقيمت مصعبدا فى النيل الى « الفنتين » (أسوان) قدمت موائد قربان لآلهة الجنوب، وقدمت للإله « حتحور » سيدة دندرة ... من الذهب وعقدا من حجر « حماجت » (حجر يشبه العقيق) وعقدا ... وقدمت « لحتحور » سيدة « القوصية » ! عقدا من حجر « حماجت » وعقدا من حجر مسنت .

آثاره فى أنحاء البلاد — هذا وقد شيد هذا الفرعون كذلك معبدا فى الفيوم لم يبق منه أمانا إلا المسلة ذات القمة المستديرة الموجودة الآن فى « أيجيج » (L. D. II. 119)، وقد عثر له فى « تانيس » (Petrie, Tanis, I, II, XIII) على بعض تماثيل منها تمثال نصفى يكاد يكون منقطع القرن فى فن النحت المصرى إذ ليس له عمود يستند عليه كما هو المألوف فى كل التماثيل المصرية، وكذلك عثر له على تمثال فى صورة أبو الهول فى فاقوس (A. Z. Vol. XXIII. p. 11) ، وقد كان لسنوسرت نشاط خاص فى إقامة المعابد فى جميع أنحاء القطر . فقد أقام — زيادة على ما ذكرناه معبدا فى الأطاولة بمديرية سيوط (A. Z. XXIII, p. 11) كما أقام معبدا فى « العرابة المدفونة » (Petrie, Abydos I, Pl. LIV) وآخرى « دندره » وفى « قفط » (Petrie, Koptos, Pl. X) وفى « الكرك » (Rec. Trav. XXIII, p. 63)، وقد هدم معبد « الكرك » « أمنحوتب الثالث » واستعمله حشوا فى إقامة (بنوآبته) الثالثة فى الكرك ، وقد عثر على أحجار هذا المعبد كاملة المهندس « شفرية » عند

ما كان يقوم بإصلاح هذه (البوابة) . وأعيد بناؤه في «الكرك» ثانية في مكان خال وهو من الحجر الجيري الأبيض ، وقد قدمه «سنوسرت» للإله «آمون رع» ونقوشه دقيقة الصنع إلى أبعد حد . ويعتد هذا الهيكل من أجل ما وصل إلينا من الأسرة الثانية عشرة إلى الآن ، من حيث الدقة والصنع وجمال الفن ، وقد نقش على ظاهره أسماء مقاطعات القطر المصري للوجهين القبلي والبحري . وهذه أول مرة نثر فيها على أسماء مقاطعات مصر كاملة في الدولة الوسطى ، وقد تكلمت عنها في كتاب (أقسام مصر الجغرافية) ص ٢٢ الخ في عهد الفراعنة . وستكلم عن هذا المعبد فيما بعد .

مبانيه بالعراة المدفونة — وقد نفذت أعمال البناء التي شيدها في «العراة المدفونة» تحت إدارة وزيره الأول «متوحتب» وقد ترك لنا سجلا بأعماله على لوحة كشف عنها هناك وهي محفوظة الآن في متحف القاهرة رقم ٢٠٥٣٩ (Breasted, A. R. I. Par. 530) يقول فيها : ” لقد أشرفت على إقامة المعبد فبنيت بيت الإله وحفرت بحيرته المقدسة ، وحفرت البئر بأمر جلالة «الصقر» (الملك) ... وقت بالعمل في المعبد وبنيت من حجر «عين» ... وأشرفت على العمل في القارب المقدس ، وكنت أنا الذي وضعت ألوانه ... وصنعت موائد قربان ، ورصبتها باللازورد ، والجمشت ، والسوم ، والفضة وكثير من النحاس بدون حصر ، وشبه يخطئه العبد . وكذلك صنعت أطواقا من الفيروز الحقيقي وحليا من كل أنواع الأحجار الكريمة ... والمتخبة من كل شيء يعطاها الإله في احتفالات الأعياد“ (Rec. Trav. X. p. 146) وفي بلدة «طود» بالقرب من «أرمنت» عثر لهذا الملك على مذبح (A. Z. XX, p. 123) ، وكذلك عثر على بقايا معبد في بلدة «نخن» (الكتاب الحالية) عاصمة مصر القديمة (Murray, Handbook, p. 50) ، وعثر على مذبح آخر في بلدة «نخب» المقابلة «لنخن» (Weigall, Guide to the Antiquities of Upper Egypt, p. 310)

على الشاطئ، الآخر للنيل. ووجدله قاعدة تمثال في «الفتين» (A. S. VIII, p. 47) كما مر على بعض أحجار معبد من حجر الجرانيت، (P. S. B. A. 1909. p. 252) وعثره في «الفيلة» على لوحة ذكر عليها اسم هذا الفرعون وهي الآن بالمتحف البريطاني (Budge, A Guide to the Egyptian Galleries, Sculpture p. 39).

وقد استخدم الفرعون لإقامة هذه المباني العدة «حجر البرشيا» المستخرج من محاجر «وادي الحمامات» في الصحراء الشرقية، ولا تزال النقوش الدالة على هذا ترى هناك منحوتة في الصخر، ومسجلة عليها الحملات التي قامت في السنة السادسة عشرة من حكم هذا الفرعون.

وكذلك في السنة الثامنة والثلاثين من حكمه (Coueat atd Montet, Hammamat ; 87, 117, 123).

وكذلك توجد عدة نقوش على مخور الجرانيت الواقعة على الشلال الأول، ويحتمل أنها خاصة بقطع الأحجار، ومن بين هذه نقش مؤرخ بالسنة الأولى وآخر بالسنة الثالثة والثلاثين وثالث بالسنة الحادية والأربعين (L. D. II, p. 1, 118).

أعماله في المناجم وآثاره الأخرى — وقد وجد اسم هذا الملك خلف مدينة «الكاب» عند بداية طريق الصحراء لمناجم الذهب، (P. S. B. A. 1909, p. 252) ولا شك في أن هذه المناجم قد جرى العمل فيها في عهد هذا الفرعون. وكذلك قامت عمليات في مناجم الفيروز ومناجم النحاس «بسينا» وقد عثر في «سراية الخادم» التي تعد المركز الرئيسي لهذا الإقليم الصحراوي الذي كان يحتوى على بلدة عظيمة وقلة ومعبد، على آثار كثيرة من حكم هذا الفرعون منها عتبة باب، ومذبح، ولوحة، وتمثال جالس، الخ (Gardiner and Peet, Sinai, p. 64 — 70)، وفي محاجر المرمر الموجودة «بمحتوب» بالقرب من «تل العمارنة» قد قامت أعمال قطع الأحجار، ولا يزال يوجد نقش على الصخر هناك من عهد هذا الفرعون شاهد على ذلك. (Fraser, Hatnub, X. I.)

محاجر صحراء « النوبة الغربية »

وقد كان على ما يظهر أول من استثمر محاجر صحراء النوبة الغربية في عهد الدولة الوسطى هو الملك «سنوسرت الأول». وقد كشف عن موقع هذه المحاجر حديثاً ، وتقع على مسافة ٦٥ كيلومتراً في الشمال الغربي من « أبو سمبل » أى على خط عرض ٢٢/٤٩ شمالاً وخط طول ٣١/١٦ شرقاً . وقد جاء كشفها عن غير قصد ، فلقد كان رجال من شرطة الجيش المصرى يمتزون في هذا المكان ، فلفت نظرهم قطعتان من الحجر عليهما نقوش ظهر أنها تحمل ألقاب بعض ملوك الدولة القديمة ومن بينها اسم الفرعون « زدفراع » .

ما عثر عليه في هذه المحاجر — وقد عثر في هذه المحاجر على حجر الديوريت الجبل الذى كان يستعمله « خفرع » لصنع تماثيله العظيمة ، وقد كان مصدر هذا الحجر مجهولاً حتى كشف عنه كما ذكرنا ، وكذلك عثر على أنواع أخرى من الحجر الصلب في هذه البقعة ، مثل الجرانيت الوردى ذى الحببات الدقيقة ، وحجر الكوارتسيت الأبيض القاتم .

وقد عثر في هذا المكان على لوحة من الحجر الرملى الأسمر نقش عليها طغراء كل من « أمنمحات الأول » وابنه « سنوسرت الأول » .

وفي محاجر الجرانيت الواقعة في هذه البقعة وجدت لوحة لهذا الفرعون مؤرخة

بالسنة العشرين ، الشهر الثانى ، فصل الحصاد ، والجزء الأسفل منها غامض يضاف إلى ذلك لوحة أخرى من الحجر الرملى الأصفر ، أقامها لهذا الفرعون موظف يدعى « حننو » بن « متو حنب » ويلقب عظيم عشرة الجنوب ، وقد نقش عليها محبوب « حتحور » سيدة الصحراء ، له كل الحماية والحياة الخالدة (A. S. XXXIII, p. 65. ff.).

بعوثة إلى وادى الهودى — وأرسل « سنوسرت » الأول عدة بعوث إلى « وادى الهودى » لاستحضار حجر الجمشت في السنوات العشرين ، والحادية

والعشرين ، والثانية والعشرين ، والرابعة والعشرين ، والثامنة والعشرين ، والتاسعة والعشرين من حكمه . وقد ترك لنا رجال هذه البعوث لوحات هامة عما قاموا به في هذه الجهة ، ففي السنة العشرين من حكم هذا الفرعون ترك لنا ثلاثة من قاموا بالبعثة ثلاث لوحات : الأولى منها لأعظم عشرات الجنوب المسمى « متو حتب » بن « حننو » بن « بلي » وقد صنعت من الجرانيت الأسود .

نص لوحة « متو حتب » — (١) السنة العشرون في حكم جلالة الصقر " الملك ... ملك الوجه القبلي والبحري « خبر كارع » بن الشمس " « سنوسرت » حور العائش أبديا . خادمه الحقيقي وعزيزه الذي يفعل كل ما يمدحه دائما وكل يوم ، أعظم عشرات الجنوب ، الذي شخصه « ماعت » (العدالة) : « متو حتب » بن « حننو » بن « بلي » يقول : " أرسلني سيدي له الحياة والصحة والسلامة لأحضر الجمشت من أرض « النوبة » ، واستوليت من جديد على الأماكن التي كنت قد عملتها ، وقد أحضرت منه كثيرا جدا من منجم الأحجار التي من الجمشت ، ولقد كانت قوة رب القصر وامتيازه هما اللذان رعياني ، ولرهبته انحنى أهل الأراضي الأجنبية ، وسيفه يخضع كل الأراضي ليستغلوا له ، وأعطى الصحراء التي هم فيها بأمر « متو » ساكن « أيون » (أرمنت) و « آمون » رب تيجان الأرضين ليبقى خالدا . وقد عاد « متو حتب » هذا مرة أخرى في العام الرابع والعشرين من حكم هذا الفرعون ، فكتب على نفس اللوحة ما يأتي : السنة الخامسة والعشرون من حكم جلالة « حور » حياة المواليد ، وصاحب الإلهتين ، حياة المواليد ، ملك الوجه القبلي والبحري « خبر كارع » (روح رع تأتي إلى الحياة) ، ابن الشمس « سنوسرت » الإله الطيب رب الأرضين الحى إلى الأبد : العودة لمناجاة (استخراج) الجمشت إنه خادم سيده ومحبوه الخ " .

لوحة قائد الجيش « أنتف » — (٢) وفي نفس السنة العشرين ترك لنا قائد الجيش « أنتف » لوحة لم يكمل كتابتها وقد جاء فيها : " السنة العشرون من

حكم « حور » حياة المواليد، الإله الطيب، رب الأرضين، ملك الوجه القبلى والبحرى، « خبر كارع » عاش مثل « رع » مخلصاً . حامل الختم وقائد الجيوش « أنتف » خادمه الذى يثق فيه ، والذى يفعل كل ما يرضيه ، وعشت خالياً من الذنب « أنتف » المبرأ ... » .

لوحة رئيس الخزانة « أنتف إقر » — (٣) وكذلك ترك لنا لوحة من الجرانيت الأسود رئيس الخزانة غير أن نقوشها متآكلة .

وقد جاء عليها : « السنة العشرون رئيس الخزانة وويل حامل الختم » ونى . عملت « هذه اللوحة » لقائد جيشه الذى يعمل كل ما يرضيه دائماً ، وكل يوم ، حاكم المدينة (طيبة) . والوزير ، وكاتم أسرار بيوت الفرعون « أنتف إقر » له الحياة والصحة والسلامة ، لقد أرسلنى لأحضر الجمشت والذهب ، ... وقد أحضرت منها [الكثير جداً] ... » .

وفى السنة الواحدة والعشرين ترك لنا « متونسو » لوحة من الجرانيت منقوشة نقشا جميلاً جاء فيها : « السنة الواحدة والعشرون من حكم جلالة « حور » حياة المواليد الإله الطيب « سنوسرت » الحى الخالد .

إنه خادمه وموضع ثقته بحق الذى يفعل كل ما يرضيه دائماً وكل يوم . لقد تبع خطوات سيده فى الطرق المعبدة التى أحسن صنعها الخادم « متونسو » بن « حنبى » بن « ادن » « وفى نهاية اللوحة نجد رسم الملك .
فهل هذا يشعر بأن الفرعون نفسه قد زار هذه المناجم ؟
وهذه اللوحة محفوظة الآن بمتحف « أسوان » .

(٤) وفى السنة الثانية والعشرين ترك شخصان لوحين من الجرانيت : أولهما يدعى « سنوسرت » بن « ونى » ، وقد جاء عليها ما يأتى : « السنة الثانية والعشرون ، الخروج لإحضار الجمشت « لحود » (أى الملك) حياة المواليد الإله الطيب ابن الشمس ملك الوجهين القبلى والبحرى « خبر كارع » ابن الشمس « سنوسرت » عاش أبداً

الآبدن خادمه «سنوسرت» بن «وفى» ، مما يدل على أن خادمه كان معه فى الرحلة .
أما اللوحة الثانية فهى لشخص يدعى «سبك» ابن ... وقد نقش عليها ما يأتى :
«السنة الثانية والعشرون ، ملك الوجهين القبلى والبحرى (خبر كارع) بن الشمس
سنوسرت معطى الحياة مثل «رع» مغلدا «سبك» ابن ... الممدوح ... نزل فى سلام» .
(٥) وفى السنة الرابعة والعشرين قامت حملة خامسة يقول فيها قائدها : إنه
تابع البحث عن الجمشت . والظاهر أن كاتب اللوحة قد كتبها على عجل إذ نقش
اسم « سنوسرت » بدون طغراء .

(٦) ولدينا لوحة من السنة الثامنة والعشرين باسم «وسدى» ويلقب رئيس
القوم ، ولم يذكر فيها شئ غير الألقاب الفرعونية والصيغ المعتادة فى إخلاصه
للفرعون ، وكان معه خادمه المخلص الذى يثق فيه « حور » قاطع الأحجار .
أما فى السنة التاسعة والعشرين فقد وجد على ما يظهر لوحتان من عهده :
الأولى أقامها موظف يدعى «حننو» وهى من الحجر الرملى وقد جاء عليها ما يأتى :
«فى السنة التاسعة والعشرين خرج إلى هذه البلاد أعظم عشرة الوجه القبلى «حننو»
ليته يعيش ويقوى ويصح . (ومعه) خادمه الأمين الذى يعمل كل ما يمدحه
(سيده) فى خلال كل نهار المسمى « سنب حا اشتف » » .

أما اللوحة الثانية فصاحبها كذلك « حننو » بن « متوحتب » وهو نفس
الموظف صاحب اللوحة السابقة وقد جاء عليها ما يأتى : «السنة التاسعة والثلاثون
أعظم عشرة الوجه القبلى «حننو» بن «متوحتب» ليته يعيش ويقوى ويصح (ومعه)
خادمه الأمين الذى يعمل كل ما يمدحه (سيده) كل يوم «شمسو سعنخ»» . ومن
ذلك نعلم أن اللوحتين قد عملتا للموظف «حننو» ومعه خادماه أى أن الثلاثة كانوا
قد ذهبوا سويا إلى هذه المناجم .

لوحة « حور » — وأعظم هذه اللوحات التى تنسب إلى عهد هذا الفرعون
ولحة أقامها موظف يدعى «حور» أرسله «سنوسرت» لإحضار الجمشت من صحراء

النوبة الجنوبية الشرقية من « وادى الهودى » . وهذه اللوحة مصنوعة من الحجر الجيرى الأبيض وهاك النص الذى نقش عليها :

” يعبش « حور » حياة المواليد ، صاحب السيدتين ، (الصل والعقاب) ،
حياة المواليد ، ملك الجنوب والشمال « خبركارع » (روح رع تآى للوجود)
ابن الشمس ، « سنوسرت » الإله الحسن ، الذى يذبح « الأوتى » (سكان الصحراء
الجنوبية الشرقية) ويقطع رقاب الذين فى الأراضى الآسيوية ، الملك الذى يطوق
« حانبو » (أقوام الشمال) والذى يصل إلى نهاية حدود المقهورين وحدود السود ،
والذى يهشم رؤوس الأسر الثائرة ، موسعا تخوم مصر مفسحا بذلك المجال (لبلاده) ،
وهو الذى وحد بجماله الأرضين ، رب القوة والحروب فى البلاد الأجنبية ؛ وسيفه
قد أخضع الثوار ، ومن ثاروا عليه ماتوا بسيف جلالته . وهو الذى وضع أعداءه
فى الأغلال ، وهو أمير وديع الخلق لمن يخدمه ، ومعطيا نفس الحياة من يتהל إليه ،
والبلاد تقدم له طعامها ، و « جب » (إله الأرض) أفضى إليه بأسراره ، والبلاد
الأجنبية أصبحت تابعة (له) ، والجبال صارت مبهجة (به) ، وكل مكان قد
أفضى إليه بأسراره . مبعوثوه عديدون فى كل الأراضى ، ورسله يفعلون ما يريد ،
وأملاكه هى السهل والحزن ، ويدين له ما يحيط به قرص الشمس ، وإليه تجلب
العين وما فيها (العين هنا عين حور وهى تعنى كل شئ حسن) ، وهى سيدة
الموجودات مع كل ما خلقته .

ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « خبركارع » الذى يحب « حور النوبة » ،
والذى يمدح السيدة التى على رأس « النوبة » معطى الحياة والثبات والصحة مثل
« رع » مخلدا . خادمه الأمين حقيقة ، حامل ختم ملك الوجه البحرى ، والسمير
الوحيد ومدير مخزنى الغلال ، ومدير حظيرتى الدجاج ، ومدير بيتى التبريد . ومدير
ذوات القرن ، وذوات الحوافر ، والطيور والسماك ، ومدير البيت « حور » يقول :
” لقد أرسلنى السيد (هذا الإله رئيس الأرضين) بأمر يتعلق بأعماله الطيبة فى هذه

الأرض وقد كان الجيش خلفى (أى يشد أزرى) لأجل أن أقوم بما أراده خاصا بهذا الجحشت الذى فى أرض « النوبة » وقد أحضرته من هناك بكيات عظيمة ، وعند ما جمعته مثل فم المخزين (أى مثل القطع التى تسد فم المخزين) جربزحافات وحمل على نقالات . وكل « انتو » من أرض النوبة الذين سيدفعون الجزية يعمل خادما حسب رغبة هذا الإله فان جنسه سيقى أبد الآبدن “ .

(A. S. XXXIX. p. 188. ff.)

وفى جنوب الشلال الأول عثرله على لوحين فى معبد « بوهن » ويعتدان من أهم آثاره ، وهذا المعبد قائم أمام بلدة « وادى حلفا » ؛ أقامه هذا الفرعون تخليدا لذكرى انتصاراته على أعدائه ، واعترافا منه بالجمل لآلهة هذه المنطقة .

(MacIver and Wolley, “Buhen” pp. 89, 95).

وتوجد لهذا الملك آثار مؤرخة بسنى حكمه من السنة الأولى حتى السنة الخامسة والأربعين (Petrie, “History” p. 163)

بعض من أعمال دعايته لنفسه — وقد أقام هذا الملك كذلك من باب الدعاية تماثيل لللك « سمحورع » أحد ملوك الأسرة الخامسة وتمثالا للأمير « أنتف » والد « واح عنخ أنتف » مؤسس الأسرة الحادية عشرة :

(Legrain, “statues” Nos. 42004, 42005)

وقد ذكرهما بوصفهما من أجداده وذلك ليدل على أنه يمكن تتبع سلسلة نسبه إلى نحو ٦٠٠ سنة مضت من تاريخ حكمه كما أسلفنا . وفى « طيبة » يوجد مزار جنازى يظهر أنه قد أقيم لوزيره الأول « أنتف اقر » فى عهد هذا الفرعون وكذلك لزوجته « سنت » (Davies and Gardiner, Tomb of Antefoker) غير أن « انتف اقر » قد دفن فى « اللشت » بالقرب من الفرعون سيده . وتدل ظواهر الأمور على أن زوجته « سنت » قد احتلت هذا القبر بطيبة وأدعته لنفسها ومحت من نقوشه اسم زوجها فى كثير من المناظر وكأنها تريد بذلك ألا يشاطرها قربانها الجنازى .

أعماله الحربية

حملة بقيادة « متوحتب » لإخضاع النوبيين — ومن أهم الحوادث التي وقعت في عهد « سنوسرت الأول » حملته العظيمة التي قام بها حتى الشلال الثالث ، وكان غرضه منها إخضاع قبائل السود في هذه الأصقاع وتثبيت حدود مصر الجنوبية إلى نقطة تبعد نحو ٢٥٠ كيلومترا من جنوبي « وادى حلفا » التي تعتبر الآن الحد الشمالى لبلاد السودان وبذلك تصبح كل بلاد النوبة السفلية وشمال السودان خالية من كل اعتداء أو غزو من جهة السود . وهذه الحملة قد قامت في السنة الثامنة عشرة من حكم هذا الفرعون وكانت بقيادة قائد من الأشراف يدعى « متوحتب » (P. S. B. A. 1901. p. 231) ، وقد ترك لنا هذا القائد نقشا في معبد « وادى حلفا » مثل في أعلاه « سنوسرت » الأول واقفا أمام إله الحرب « متو » الذى يقول لللك : ” أحضرت كل الممالك التي في « النوبة » تحت قدميك يا إله الطيب “ . ويشاهد بعد ذلك الإله يقود للفرعون عشرة أسرى من النوبيين كل منهم يمثل قبيلة . وتحت هذا دؤنت النقوش الخاصة بالفرعون ولكن لم يبق منها إلا بعض كلمات لا تؤدي معنى مفهوما ، وبعد ذلك ذكر « متوحتب » بعض مناقبه الشخصية ، وعزى لنفسه مفاخر هذه الحملة ظنا منه أن سيده الفرعون لن يرى ذلك . وقد كان الفرعون يعتبر القائد الحقيقى للحملة وإن لم يقدها بنفسه . والظاهر أن الفرعون قد وصله خبر ما نقشه « متوحتب » فجعله يدفع الثمن غاليا إذ مح اسم من اللوحة ومح كل ما عده من المناقب لنفسه وأصبح من المنضوب عليهم .

وقد وصلت الينا معلومات هامة من مصادر أخرى عن هذه الحملة ، منها النقوش التي وجدت على مقبرة « أمنمحات » أمير مقاطعة الغزال « بنى حسن » ، وهذا الأمير يعرف باسم « أمينى » أيضا وهو الذى خلف والده « خنوم حتب » الذى سبق ذكره في عهد « أمنمحات » الأول . وقد أنخ « أمينى » نقوشه بالسنة

الثالثة والأربعين من حكم جلالة « سنوسرت الأول » عاش أبد الآبدين ، وهذا التاريخ يقابل السنة الخامسة والعشرين من حكمه في مقاطعة الغزال بوصفه الأمير الوارثي والحاكم مما يدل على استمرار استقلال الأمراء الوارثيين في مقاطعاتهم ، وهو يقص علينا خبر هذه الحملة فيقول : «تبع سيدي عندما ألق نحو الجنوب ليهزم أعداءه الأربعة أمم الهمج . وقد أفلت جنوبا بوصفى ابن الأمير « خنوم حتب » لابسا الخاتم الملكي ، وقائدا جنود مقاطعة الغزال ، وكنت في ذلك أنوب عن والدي . (وقد كان لا يزال على قيد الحياة . ولم يكن في استطاعته قيادة الجيش لكبر سنه) ، وذلك لحظوته في القصر ومحبه بين رجال الحاشية . فررت ببلاد « كوش » وسحت في النهر جنوبا ، وتقدمت نحو تخوم البلاد (الجديدة) وأحضرت كل الهدايا ، ووصل مدحى إلى عنان السماء ، وبعد ذلك عاد جلالته في سلام بعد أن هزم أعداءه في « كوش » الخاسئة ، وعدت في ركابه مرفوع الرأس ولم تحدث أية خسارة بين جنودى » : (Breasted, A. R. Vol. I, Par. 518.) .

حملاته للبحث عن الذهب

وقد ذكر لنا بعد ذلك « أمينى » حملتين لم يكن غرضهما حربيا بل كان للبحث عن الذهب الغفل . وقد كانت طبيعة الأرض التي لابد من السير فيها تحتم أن يكون مع القائمين بالبعثة جنود ؛ فصار مع الحملة الأولى نحو أربعائة جندى ، ومع البعثة الثانية نحو من ستمائة جندى . وإذا كانت الحملة الأولى التي شيد بذكرها « أمينى » في نقوشه هي نفس الحملة التي كان القائد فيها « متوحتب » فإن « أمينى » لم يكن فيها إلا قائدا لجنود مقاطعته فحسب .

وقد أشير الى حملة بلاد النوبة هذه في ترجمة حياة أمير من « إلفنتين » يدعى « سرنبوت » في نقش دؤن على إحدى جدران مقبرته بالقرب من « أسوان » .

(De Morgan, Catalogue des Monuments, p. 183 ; Weigall, "Guide", p. 431)

وهذا الشريف الذى كان رئيسا لبلاد النوبة السفلية وحاكم بلاد الجنوب نشاهده مرسوما مع كلابه ، وقد اشترك فى هذه الحملة ، وكل ما يمكن حله من نقوشه المهمة خاصة بهذه الحملة هو " لقد حضر جلالاته لمزم « كوش » الخاسنة وقد حضر جلالاته وأحضر معه ^(١) ... " .

حملة « أكوديدي » الى الواحات — وقد خلف لنا فى « العرابة المدفونة » موظف يدعى « إكوديدي » (Ikadidj) نقشا موجودا الآن بالمتحف البريطانى Breasted A. R. Vol. I, par. 524. f. f. ذكر فيه حملته إلى الواحة الخارجية ، وعند عودته أمر بتجهيز قبره فى « العرابة » المقدسة فيقول : " لقد حضرت من طيبة « بوصنى عامل الملك الخاص لأقوم برغباته . وقد كنت على رأس فرقة من الجنود لزيارة أرض سكان الواحة ، لأنى موظف ممتاز يعرفه سيده بنفاذ بصيرته ويتمدح به موظفو القصر ، وقد أقيمت هذا القبر عند سلم عرش الإله الأعظم « أوزير » لأجل أن أكون فى ركابه ، فى حين أن الجنود الذين يتبعون جلالاته يقدمون لروحي من خبزه ومؤنته كما يفعل رسول الملك عند ما يأتى ليفحص حدود جلالاته . وقد أزلت بالسنة الرابعة والثلاثين من حكم هذا الفرعون .

(١) هذا وقد كشف حديثا كبير مفتشى الوجه القليل « ليب حبشى » عن مبنى يكاد يكون كاملا من اللبن مع كثير من الآثار التى وجدت فى أمكنتها الأصلية ، وقد تبين أن الذى أقام هذا البناء هو « سرنبوت » من حكام جزيرة الفنتين . فى عهد الملك « سنوسرت الأول » (١٩٨٠ ق . م) تمجيدا لأحد حكام الجزيرة نفسها ، وكان يعرف باسم « حقا إاب » وهو الذى عاش قبل ذلك بحوالى ستة قرون . وقد شيد فى هذا المبنى مقصورة (ناووسا) لنفسه ، وأخرى « لحقا إاب » وضع فيها مذبحا ، كما أقام أربع لوحات ، على اثنين منها رسوم تبين « سرنبوت » وهو يقوم ببعض الطقوس الدينية ، وعلى الباقية كتابات تدل على أنه كان فى نفس المكان مبنى لتمجيد « حقا إاب » شيد قبل إقامة المبنى المكشوف . ويدون أن هذا المكان لم يزدهر إلا بعد أن أقام « سرنبوت » بناءه . إذ يظهر من الآثار التى عثر عليها أن أكثر الحكام ورؤساء الكهنة الذين عاشوا إبان حكم الأسرتين الثانية عشرة والثالثة عشرة قد حرصوا على أن يقيسوا لأنفسهم هناك مزارات ومقاصير وضعوا فيها تماثيلهم ، كما حرص بعض ملوك هاتين الأسرتين وبعض موظفى « الفنتين » وكهنتها على أن يتركوا بعض الآثار تمجيدا « لحقا إاب » وهذا يفسر لنا السبب الذى من أجله عثر فى هذا البناء على عدد كبير من موائد القرابين واللوحات التذكارية والتماثيل [بيان مصلحة الآثار ١٩٤٦] .

حزم « سنوسرت » وسلوك حكام المقاطعات — وتدل النقوش التي عثر عليها من عصر هذا الفرعون على أنه كان إداريا يقظا حازما، وقد ظهر ذلك بوجه خاص في رقابته الشديدة على رجال إدارته، حتى أنهم كانوا يهابونه ويؤدون أعمالهم بكل دقة وأمانة، ولا أدل على ذلك مما ذكره لنا « أميني » عن سلوكه في حكم مقاطعة الغزال . هذا إذا صدقنا كل ما قاله في نقوشه، ولكن على الرغم من كل ما ذكره من المبالغات في كلامه، وتلك سيجية في عظماء هذا العصر، فإن مقتضيات الأحوال تدل على أنه كان حتما حاكما عادلا يخشى سلطة أكبر من سلطته فيقص علينا: ” كنت سمحا يحبتي الناس كثيرا، كما كنت حاكما تحبه أهل بلده، وقد قضيت سنين في حكم مقاطعة الغزال، وكانت كل الجزية المستحقة تمر بيدي، وقد أعطاني رؤساء عمال التساج من الرعاة في مقاطعة الغزال ثلاثة آلاف ثور بمحاريتها، ولذلك مدحت في القصر كل عام لعدد الماشية (التي أقدمها)، وحملت كل ضرائبها الى بيت الملك ، ولم أكن متأخرا في أية مصلحة “. ولا نزاع في أن « أميني » كان يعد إدارته مرضية بالنسبة لولائه للفرعون . ويمكن تصديقه لأن مثل هذه الحوادث والاعترافات كانت تجري على مرأى من كل الشعب، وتقيد في السجلات العامة . وكذلك كان « أميني » مرتاحا لما كان يقوم به في حكومة مقاطعته من المساواة والعدالة الاجتماعية التي كان ينشدها كل الناس وعلى رأسهم الفرعون . اسمع اليه يقول :

وصف « أميني » لعدالته — ” إني لم أسئ معاملة بنت أى رجل، ولم أظلم أية أرملة، ولا يوجد فلاح احتقرته ، ولا راع أقصيته ، ولا رئيس عمال قد سخرت عماله، ولا يوجد بأس في بلادى ، ولا جائع في عهدي . وعند حلول سنى القحط كنت أحرث كل حقول مقاطعة الغزال الى حدودها الجنوبية والشمالية، وبذلك حافظت على حياة أهلها مقدما لهم الطعام ، حتى أنه لم يبق فيها جائع . وأغدقت على الأرملة والمتروجة الخيرات على السواء، ولم أميز العظيم على الصغير في كل ما أعطيت . وبعد ذلك كان يأتى نيل يحمل الحبوب وكل الأشياء، ومع ذلك

فانى لم أحصل المتأخر على الحقول“. حقا إن هذه العبارات تكاد تكون المثل الأعلى في المعاملة الحسنة وحسن الأحدثنة ولا يمكن أن يصدقها إنسان، ولكن يظهر أن روح العصر كانت توحى بذلك لما أدخل من الإصلاحات، وذلك يدل على أن مقاطعة الغزال كانت أسعد البلاد، وبخاصة في وقت كانت البلاد فيه حديثة عهد بالخروج من ظلمات القوضى والفقر التي شملت البلاد فترة طويلة، على أن هذه التصريحات التي فاه بها «أميني» تكشف لنا من جهة أخرى عما كان يجري في البلاد من مظالم واضطهادات في الاقطاعات في العهد الذي سبق تولى ملوك الأسرة الثانية عشرة الحكم، وأن «أميني» أراد أن يبرئ نفسه أمام «سنوسرت» من أمثال هذه الاتهامات التي كانت فاشية في طول البلاد وعرضها، وأنه اتبع نظامه الحديد الذي يوحى بالعدالة الاجتماعية كما سنذكره فيما بعد .

زفای حمبی حاکم بلاد النوبة من قبل سنوسرت الأول ومقبرته —
ولقد كان من نتائج حملة «سنوسرت» العظيمة الى بلاد السودان أن أصبحت هذه الجهات خاضعة للاحتلال المصري الدائم نوعا ما حتى جنوبي الشلال الثالث، كما عين الفرعون حاكما مصرياً لهذا الاقليم المحتل، وكانت له مكانة وشهرة عظيمة عند المشتغلين بالتاريخ المصري القديم قبل أن يكشف الأستاذ «ريزر» مقبرته العظيمة في بلدة «كرمة» في بلاد النوبة (١٩١٤ — ١٩١٥ ق م)، فكان يلقب بالأمير الوراثي والحاكم والكاهن الأعظم «زفای حمبی»، وهو الذي نحت لنفسه أكبر مقبرة معروفة في تاريخ الدولة الوسطى في جبل «سيوط»، وجدزان مقبرة «زفای حمبی» الشرقية قد نقش عليها نصوص تعد من أهم ما عثر عليه في هذا العصر، وهي عبارة عن عشرة شروط خاصة بوقفه على معبده، وكل منها على حدة . وقد تعاقد بها «زفای حمبی» صاحب المقبرة مع كهنة البلدة المختلفين لأجل أن يقوموا له باحتفالات دينية خاصة في مقبرته على كر الأيام، وهذه النصوص العشرة تعد فريدة في بابها،

إذ نستخلص منها معلومات جمّة بالأعياد المصرية التي كانت تقام في بلدة مصرية في عهد الأسرة الثانية عشرة، وكذلك الاحتفالات الحنازية التي كانت تقام للأفراد وكان لها ارتباط بالأعياد العامة؛ ويعتقد بعض علماء الآثار المصرية أن هذه الوثائق المنقوشة على جدران مقبرة « زفای حبی » ملخص للشروط الأصلية التي عقدت مع الكهنة . وكانت بطبيعة الحال مكتوبة على ورق بردى ومختومة . ورغم أنها مختصرة فإن الإنسان ليدّهن من مقدار ما وصل إليه المجتمع المصري من نصوح في تدوين الوثائق الرسمية سواء أ كانت قضائية أم دينية . وقد اتضح بعد درس هذه الشروط أنه لم يكن يميز يوم طوال العام دون أن يقدّم للأمر « زفای حبی » الطعام والشراب اللذان لبقاء قرينه « كا » . ومن الغريب أننا عرفنا حديثاً أن « زفای حبی » لم يدفن في قبره الفاخر الذي أقامه لنفسه في جبل « سيوط »^(١) بل دفن في « كرم » بالسودان، دفنه النوبيون الذين كان يحكمهم في وسط فرقة كاملة من جنوده، وقد ذبحوا ليرافقوا سيدهم المتوفى في عالم الآخرة .

على أن الانسان في هذه الحالة يتساءل إذا كان من المستحيل أن يضمن المتوفى لنفسه — وقد دفن في وطنه الأصلي — استمرار الاحتفالات الحنازية، فأى أمل للامير « زفای حبی » وقد مات في السودان في تنفيذ رغباته بمصر ؟

وقد قال الأستاذ « ريزر » : إن رغبة « زفای حبی » في تحقيق هذه الأمنية الصعبة المنال هو الذي دعاه لكتابة هذا المختصر الفريد في بابيه . وذلك أن « زفای حبی » وهو ذاهب الى السودان حذر كاهن الروح أو القرينة « كا » بكل مهارة ألا يهمل الاحتفالات التي تعاقد على تنفيذها، ولما كان دخل هذا الكاهن مرتبطاً بالمحافظة على إقامة هذه الشعائر وتنفيذها بكل دقة ، عمل جهده ألا تُنسى أو تهمل، من أجل ذلك دقّها على جدران المقبرة، ويظهر أن التعليمات التي أعطاها « زفای حبی » كاهن روحه كما يظن الدكتور « ريزر » هي التي جاءت في خطاب

(1) J. E. A., Vol. V. p. 79 ff.

كتبه هذا الحاكم العظيم من السودان قبل مماته بقليل إلى كاهن الروح، وهذا الخطاب كان يحتوي على بعض التعليمات التي نَجدها في السطور ٢٦٩ - ٢٦٢ من عقوده وهي :

تعليمات زفای حجي لکاهن الروح — الأميرالورائي، حاکم المقاطعة، ورئيس الكهنة الأعظم « زفای حجي » يقول : ”انظر! إن كل هذه الأشياء التي تعافدت بشأنها مع كهنة الطهور « وعب » تحت رعايتك ، وذلك لأن كاهن الروح (القرينة) للإنسان هو الذي يجعل أملاكه تنمو . انظر ! لقد جعلتك تعرف هذه الأشياء التي أعطيتها الكهنة المقترين ، وذلك مقابل تلك الأشياء التي أعطوها إياي . واحذر أن ينتقص منها شيء . عليك أن تتكلم عن الأشياء الخاصة بي التي سلمتها لهم ، ويجب عليك أن تجعل ابنك ووارثك يسمعهم ، فإنه هو الذي سيعمل كاهنا لروحي . انظر ! لقد منحتك أراضى وعبيدا وماشية وحدائق وكل شيء كأي إنسان عظيم المكانة في «سيوط» ، حتى تقوم على عمل بقلب سليم ، وحتى تشرف على كل أمورى التي وضعتها بين يديك . انظر ! إنها كلها أمامك مكتوبة وستتول كل هذه الأشياء لابنك الذي تريد أن يكون كاهنا لروحي من بين أولادك ، وسيكون هو الذي يتصرف في الدخول دون أن يعبت به ، وذلك تنفيذًا لهذه التعليمات التي أعطيتك إياها “ .

حقا إن « زفای حجي » نفسه كان كاهنا وكان عنده بلا شك من الأسباب ما يجعله يسيء الظن بهؤلاء الكهنة المطهرين ، وقد نصح لکاهن الروح أن يحذرهم ، وقد كان يعتقد أن مصلحته في أن يجعل مصلحة كاهن الروح متوقفة على نفاذ ما جاء في الشروط التي فرضها ، ولا نزاع في أن كاهن الروح كان يقوم بواجبه لأن ذلك من مصلحته بصرف النظر عن مصلحة « زفای حجي » ، وقد كان « زفای حجي » يعتقد أن روحه « كا » كانت تسافر من « كرمة » مقر جسده لتبعث الحياة في تماثيله في مقبرته أو في مزاره ، ولتأخذ بنصيبها كذلك من القرابين

اللذيذة التي كانت توضع أمامها . ولا بد أن النشاط الذي كان يديه الكهنة في تأدية الشعائر أخذ يتناقص على مر الأيام كلما تناسى القوم ذكرى هذا الرجل العظيم ، وتغيرت هذه الأحوال الاجتماعية إلى أن أصبحت هذه الأوقاف التي كان يحافظ عليها بكل عناية أثرا بعد عين ، إذ لا يبعد أن التهمت الكهنة الجشعون ، أو وضع الفراعنة أيديهم عليها ، ولم يبق لنا شاهد على وجودها إلا نقوشها المحفورة على جدران المقبرة المنحوتة في الصخر ، وستكلم عنها عندما نتكلم على الحياة الدينية في هذا العصر .

مقبرة «زفای حبی» في كرمه ومحتوياتها — أما قبره الثاني الذي عثر عليه في كرمه فقد وجد فيه أثاث جنازى يكشف لنا عن صفحة جديدة في أثر الفن النوبي وتأثير كل منهما في صاحبه وتأثره به مما جعله يتفق وذوق أهالى بلاد النوبة . والواقع أننا في هذا العصر نشاهد تمصير النوبيين . ومما هو جدير بالملاحظة في هذه المناسبة أن الثقافة المصرية والحكومة كانت في الدولة الوسطى مصرية بحتة ، وأن تقدمها كان داخليا بحتا لا يعزى إلى بلد أجنبي ، وهذا نفس ما كانت عليه البلاد في عهد الدولة الحديثة إلى حد ما ، إذ كانت تجد كفاياتها في تربة بلادها وأنها لم تخرج عن نطاق حدودها الأصلية إلا عندما كانت إحدى الممالك المجاورة تهددها طلبا للفتائم ، ولم تشذ عن هذه القاعدة على ما يظهر إلا عند قيام ملوكها بالتوسع في حدودها من جهة الجنوب حيث قد امتدت الحدود المصرية في عهد الدولة القديمة حتى ما بعد الشلال الثاني .

زحف النوبيين على مصر في العهد الإقطاعي الأول — ولقد بنى السبب الذي دعا إلى هذا الفتح غامضا حتى أماطت عنه اللثام الكشوف الأثرية التي قامت حديثا في بلاد النوبة ، إذ تدل الحقائق التي كشف عنها ممول الحفار أنه قد حدث زحف قام به أقوام من السودان في العصر الذي يقع بين الدولة القديمة الدولة الوسطى . والظاهر أن هؤلاء الأقوام قد زحفوا من الجنوب وانتشروا

على طول النيل شمالا . وقد تخطت القبائل المغيرة في زحفها الشلال الثاني ، ثم اكتسحت في طريقها السكان القدامى أى سكان بلاد النوبة السفلية وهزموهم تماما ، ثم تابعوا سيرهم حتى الشلال الأول ، وتوغلوا في الأراضي المصرية نفسها ، وقد كشف عن آثار كثيرة تدل على استثمارهم لبعض الأراضي المصرية حتى « الكاب » الحالية . وكذلك تدل البحوث الأثرية وما قام به علماء الأجناس البشرية في هذه الجهات على أن قبائل من جنس واحد قد أوغلوا في البلاد حتى الشلال الثاني على أقل تقدير ، إذ قد وجدت آثار مساكنهم باقية هناك . وهؤلاء القبائل ليسوا من الزوج وكذلك ليسوا مثل سكان بلاد النوبة الأقدمين بل ينتسبون إلى الجنس الحامى ، ويحتمل أن الدم الزنجى يجرى في عروقهم ، وقد كانوا يسكنون أكواخا مستديرة الشكل محملة عروشها على جذوع أشجار . أما قبورهم فكان يقام على ظاهرها كومة مستديرة الشكل أيضا ، وتدل الكشف على أن ثقافتهم كانت ساذجة تماما . ولقد كان من البدهى أن توجد روابط بين هذه الثقافة والثقافة المصرية في عهد ما قبل التاريخ ، وهذه الثقافة كانت لها علاقة بالثقافة المصرية التي توغلت في أعماق السودان في الأزمان السحيقة في القدم ، ثم بقيت هناك في صورتها الأصلية ، على حين أنها أخذت في النمو والارتقاء باستمرار في الجزء الأسفل من وادى النيل . وتدل الكشف على أن المستعمرات التي قطعها هؤلاء الوافدون كانت عديدة بدرجة تفوق حد المؤلف ، وأن البلاد كانت مكتظة بالسكان بالنسبة للأزمان السالفة ؛ ومع ذلك فإن الهجرة الجديدة لم تكن مصدر خطر ما ، وأن إخضاعهم لم يتطلب مصاعب كبيرة ، لأنهم كانوا يقطنون في الأراضي الضيقة الزراعية الممتدة على شاطئ النيل في بلاد النوبة السفلية ، غير أنه كان يقطن في الجنوب قبائل متصلة بهم ، وهؤلاء قد أسسوا في « دقلة » مملكة قوية البنيان واتخذوا « كرمة » حاضرة للملكهم . وتقع على مسافة قصيرة من جنوبى الشلال الثالث ، وهذه المملكة هي التي تعرف بمملكة « كوش » .

وقد ظهر هؤلاء الكوشيون لأول مرة في تاريخ العالم، وهم متصلون اتصالاً وثيقاً بسكان بلاد النوبة السفلية، غير أنهم ليسوا من فصيلة واحدة، وتنطوى ثقافتهم على اختلافات كثيرة ظاهرة عن سكان بلاد النوبة. ومن الغريب أننا لم نثر حتى الآن على مستعمرات أو مساكن لقوم « الكوش » غير أن مقابرهم الضخمة التي عثر عليها في « كرمه » عام ١٩١٣-١٩١٥ م، قد بسطت أمامنا صورة واضحة عن هذه المملكة التي تعد أقدم مدينة عثر عليها في مجاهل أفريقية، فكل ملك لهم قد دفن تحت تل ضخم (هرم) يبلغ ارتفاعه نحو ٩٠ متراً، وقد دفن معه عدد عظيم من خدمه الإناث والذكور ليقوموا بخدمته في عالم الآخرة، كما كانوا يخدمونه في عالم الحياة الدنيا، وكذلك وجد في مقبرته مدافن لأعضاء أسرته وأتباعه.

وتدل قطع الفخار التي عثر عليها في « كرمه » أنها قد بلغت من الدقة حداً مذهلاً، وهي تمثل استمرار تحسن الألوان التي يرجع عهدها إلى عصر ما قبل التاريخ، ويشارك في ذلك مجاميع الفخار التي عثر عليها في بلاد النوبة السفلية. وهذا التحسن في فن صناعة الفخار وشكله نلاحظه بصورة منقطعة النظير من جهة الإتقان، وبجانب ذلك نجد أشكالاً محلية كثيرة، كما نجد تقليداً للأشكال المصرية المعاصرة، فنشاهد في قطع العاج المطعمة طرازاً دقيقاً. وكذلك وجدت بقايا ألوان منساقطة من مباني الأضرحة الملكية التي أقيمت من اللبن، وهذه الألوان تعزى حتماً إلى صناعة وطنية أصلية، والصور البارزة ترجع إلى أصل مصري، وكذلك الخزف المطلي الذي وجد بجوار مصانعه كان لا بد من عمل مصانع أسسها المصريون هناك

(Junker, Die Volker des Antiken Orients. Die Aegypter, p. 22 ff.); Archaeological Survey of Nubia, Reports. (Firth) 1907[8; Reisner, 1908[9, 1909[10; see also Kees, Kulturgeschichte des Alten Orients; p. 341 ff.

وقد كان الخطر الذي يهدد الحدود المصرية الجنوبية منبعا لمملكة « دنقلة » هذه، وقد كان سكان بلاد النوبة يشدون أزرهم، ولذلك جعل ملوك الأسرة

الثانية عشرة هذه الجهة ميدان قتالهم ، والمكان الذى يدافعون منه عن بلادهم ، من أجل هذا جعل « سنوسرت الأول » وجهته فى بادئ الأمر كما أسلفنا الإقليم الشرقى من بلاد النوبة حيث تمكن من منع أى تقدم نحو مصر من قبل العدو فأخضع له الأقاليم المجاورة ، ومد الحدود المصرية حتى الشلال الثانى ، ولكن الضربة القاضية كانت على يد « سنوسرت الثالث » كما سيجئ بعد .

وصف سنوهيت لحياته مع بدو آسيا — لقد رأينا كيف أن « سنوهيت » قد ولى الأدبار إلى بلاد فلسطين عند ما انقرد « سنوسرت » بالحكم ، وكيف أنه وصف لشيخ القبيلة « عمو ننشى » الفرعون الجديد بكل نعوت الشجاعة والمهارة والحزم بما يتفق مع موقفه الجديد بعد موت « أمنمات الأول » ، وذلك مما يدل على أنه كان يسير مع الريح ويريد تحسين مركزه بعد هربه الذى لم يذكر له هو مبررا ما . ولما كانت بقية القصة تفصح لنا عن الخلق المصرى فى هذا العصر ، وتبديه فى مظهر يجمع بين السذاجة والمكر ونفاذ البصيرة والشعور بالعظمة والبراعة فى النكتة ، كما تكشف لنا عن بعض نواحي حياة البادية وقبائلها ، فإننا أثرا أن نوردها هنا حتى يعرف الباحث فى تاريخ القوم الاجتماعى والدينى ما انطوت عليه القصة ، أو بعبارة أخرى ترجمة « سنوهيت » من عجائب وحقائق مدهشة . وعندما انتهى « سنوهيت » من وصف الفرعون اندفع الشيخ قائلا : ” حقا إن مصر سعيدة ؛ لأنها تعرف أنه (أى الملك الجديد) يفلح « فى حكمه » ولكن تأمل إنك ستكون هنا وستسكن معى وسأعمالك بشفقة “ . بعد ذلك يصف لنا « سنوهيت » حياته فى وسط هذه القبيلة ، وما وصل إليه من مركز ممتاز ، والمبارزة التى قامت بينه وبين أحد شجيمان فلسطين المتنازعين فيقول : ” وقد جعلنى على رأس أولاده ، وزوجنى من كبرى بناته ، وقد جعلنى أختار لنفسى من بلاده أحسن ما فى حيازته على حدوده إلى بلاد أخرى ، وقد كانت أرضا جميلة ، تسمى « ياء » وكان فيها التين والكرم ، ونبيذها أكثر من ماها . شهدها غزير ، وزيتونها كثير ، وكل

الفاكهة محملة على أشجارها . وكان فيها الشعير والقمح ، وماشية يخطئها العد من كل نوع ، وكذلك كان نصيبى عظيما بسبب ما نلت من الحب (حب الناس) ، وقد نصبنى حاكم قبيلة من أحسن قبائل بلاده ، وقد كان يضع لى الخبز لأكلى اليومى ، والخمر لشرا بى اليومى ، وكذلك اللحم المطبوخ والدجاج المشوى ، هذا فضلا عن صيد الصحراء ، لأن ذلك كان القوم يصطادونه ، ويضعونه أمامى خلافا لصيد كلابى . وكان يضع لى كثيرا من الحلوى ، ويحضر اللبن بكل الأشكال .

وقد قضيت سنين عدة . وقد نما أولادى ، وأصبحوا رجالا أشداء كل يحكم قبيلته . والرسول الذى كان يأتى من قبل مقر الملك شمالا أو جنوبا ، كان يتزل عندى . وقد أعطيت الظمان ماء ، وهديت الضال إلى الطريق ، وخلصت من كان قد نهب ، ولما أخذ البدو يخرجون عن الطاعة ويقاومون رؤساء الصحارى كبحت بجماحهم ؛ وذلك لأن أمير « فلسطين » قد جعلنى عدة أعوام رئيس جيشه ، وكل بلاد سرت إليها قد طردتها من مراعيها وآبارها ، ونهبت ماشيتها ، وأسرت أهلها ، وحملت طعامهم ، وذبحت القوم فيها بساعدى القوى وبقوسى وهجماتى ، وتدايرى الحسنة . وقد حزت بذلك الخطوة لديه ، وأحببى ، وقد جعلنى على رأس أولاده عند ما شاهد كيف تتفوق يداى .

المبارزة بين « سنو هيت » والفلسطينى

”وقد جاء رجل قوى من فلسطين ليبارزنى فى معسكرى . وقد كان بطلا منقطع النظر، أخضع كل فلسطين ، وقد أقسم أن يحاربنى ، وقد دبر سرقى ، وتآمر على أن يأخذ ماشيتى غنيمة بمشورة قبيلته ، وقد تكلم معى هذا الأمير فقلت له : أنا لا أعرفه ، وفى الحقيقة لست محالفا له ؛ ولان الأفراد الذين حاموا حول معسكره . ومع ذلك هل فتحت بابه قط أو اخترقت سياجه ؟ كلا . إن ذلك حقد ، لأنه يرى أنى أنفذ أوامرك ، والحق أنى كثور الماشية فى وسط قطع غريب ، وثور الأبقار يهاجمه ، والثور صاحب القرن الطويل ينطحه ؛ وهل يوجد رجل خامل الذكر

يكون محبوبا وفي منزله سيدا؟ وليس هناك بدوى يحالف رجلا من الدلتا،
إذ ما الشيء الذى يمكن أن يربط البردية بالصخرة؟ هل يحب الثور التزال، ويريد
من ثور أقوى منه أن يعلن تفهقه خوفا من أنه ربما كان مضارعا له فى القوة؟
فاذا كان قلبه مصما على الحرب فدمه ينطق بإرادته. وهل الإله يعلم بما قدر له،
أو هل يعرف هو كيف يكون المصير؟“ .

”وفى وقت الليل شددت قوسى، وفوقت سهامى، وأرهقت خنجرى، وصقلت
أسلحتى، وعند الفجر كانت «فلسطين» قد جاءت، إذ أنها أثارَت قبائلها وحشدت
ممالكها وهبأت هذا التزال، وقد برز إلى المكان الذى كنت أقف فيه، وقد وقف
بالقرب منه، وكان كل قلب يحترق من أجل، ولفظ النساء والرجال، وكان كل قلب
مكلوما بسببى وقالوا: “هل هناك رجل آخر شديد يستطيع منازلته“ .

”ثم سقط درعه وفأسه وحزمة حرا به عند ما تفاديت سلاحه، وجعلت سهمه
يمزى طائشا، ولما اقترب كل منا من الآخر هاجمنى، وأرسلت سهمى عليه فلعق
بعنقه فصاح وسقط على أنفه، وألقيته أرضا بفأسه، وصحمت صبيحة النصر على
رقيبته، وصاح كل أسيرى، وقدمت الثناء «لمشو» قربانا. وحزن له أتباعه .
أما هذا الأمير «عمو نفشى» فضمنى إلى صدره“ .

”وبعد ذلك أخذت متاعه، وأتلفت ماشيته، وما قد در به من النكاية بي جعلته
يحقيق به، واستوليت على كل ما فى خيمته، ونهبت معسكره، وقد أصبحت عظيما
بهذا واسعا فى ثروتى، غزيرا فى قطعانى“ .

وقد فعل الإله (ذلك) رحمة بفرد غضب عليه، وجعله يفر إلى أرض أخرى
واليوم أصبح قلبه فرحا ثانية .

سنوهيت يتحدث عن مجده .

”كنت فازا هرب فى وقته

والآن يكتب التقرير عني فى مقر الملك

وكنـت ثقيلا يتضاءل بسبب الجوع
والآن أقدم الخبز إلى جارى
وكنـت رجلا ترك بلاده بسبب العرى
والآن ارتدى الملابس البيضاء والكان
وكنـت رجلا أسرع الخطى لعدم من أرسل
والآن أملك العيد بكثرة
يبقى جميل وعمل إقامتى رحب
وإني أذكر فى القصر الملـكى

حنين سنو هيت إلى وطنه — ”وأنت يا أيها الإله ، الذى أمرت بهذا
الحرب، كن رحيمًا وأعدنى ثانية إلى مقر الملك . وربما تسمع لى أن أرى المكان
الذى يسكن فيه قلبى ، والأمر الذى هو أهم من ذلك أن تدفن جثتى فى الأرض
التي ولدت فيها ، تعال لمساعدتى . ولقد وقع حادث سعيد . لقد جعلت الإله
يرحمنى . وليته يرحمنى ثانية حتى تحسن خاتمة من قد عذبه ، وقلبه رحيم يحن لمن
حتم عليه أن يعيش فى الخارج . وإذا كان رحيمًا بى اليوم فليته يصنئ إلى دعوات
فرد ناء، وليته يعيد من قد نكبه إلى المكان الذى أخذ منه .

آه ليت جسمى يعود إلى الشباب ، ثانية لأن كبر السن قد نزل بى ، واستولى
على الضعف وعيناي ثقيلتان ، وذراعاى ضعيفتان ، وساقاى قد وقفنا عن السير ،
وقلبي متعب ، والموت يقترب منى ، سأحمل إلى مدن الأبدية ، فدعنى أخدم سيدتى
الملكة ، وليتها تتحدث إلى عن جمال أطفالها ، وليتها تخلع على قبر الأبدية .

وانفق أن جلالة الملك «خبر كارع» قد حدث عن الحالة التى كنت عليها ، من
أجل ذلك أرسل إلى جلالاته هدايا من الفيض الملكى لينشرح صدر الخادم هناك
كأنه أمير بلد أجنبي ، وكذلك أولاد الملك فى القصر جعلونى أسمع أوامرهم^(١) .

(١) أى كتبوا إلى أيضا .

صورة من القرار الملكي الذي أحضر إلى الخادم المتواضع خاصا بعودته إلى مصر

« حور » ، حياة المواليد ، المنسل للإلهتين ، حياة المواليد ، ملك الوجه القبلي والوجه البحري ، « خبر كارع » ، بن « رع » ، « منسوت » الحلى إلى أبد الآبدين^(١) .

قرار ملكي إلى التابع « سنوهيت »

« انظر ! إن قرار الملك هذا قد أحضر إليك ليعلمك بما هو آت : لقد اخترقت الأراضي الأجنبية ، وخرجت من « كدى » إلى « فلسطين » ، وقد أسلمتكم أرض إلى أرض ، وذلك بمشورة قلبك . فما الذى فعلته حتى يرم شىء ضدك ؟ إنك لم تلن حتى تعنف على كلامك ، ولم تتكلم فى محفل الحاكم حتى يلعن حديثك . وهذا العزم (على الفرار) قد ملك عليك قلبك أنت ، ولم يكن فى قلبى شىء ضدك (عن هذا المهرب) ، ولكن سمائك^(٢) هذه التى فى القصر لا تزال تسكن وتطلع اليوم ، ولما نصيبها فى ملك الأرض ، وأولادها فى البلاط . ولينك تعيش طويلا على الأشياء الطيبة التى سيعطونك إياها ، ولينك تحيا على فيضهم » .

وصف الاحتفال بالدفن — « تعال ثانية إلى مصر لترى مقر الملك الذى تموت فيه ، وتقبل الأرض عند البابين العظيمين ، وتعال نصيبك من رجال القصر . وذلك لأنك قد أخذت فعلا تتقدم اليوم فى السن ، وقد ضيقت شبابك . فكر فى يوم الدفن والمرور إلى دار النعيم ! وكيف سيخصص الليل لك بالطور والآكفان من يد « تايث »^(٣) . وسيقام لك محفل جنازى يوم الدفن وسيكون غطاء الموميّة من الذهب ، والرأس من اللازورد ، وسيقام فوقك سماء ، وستوضع زحافة ، وتجرّك الثيران ، ويمشى أمامك المغنون ، ويقام أمامك رقص « موو » عند باب قبرك .

(١) الألقاب الرسمية وقد وضع أول القرار فى صورة رسمية .

(٢) سماء — الملكة وتشبه بالإلهة « نوت » التى تمثل السماء . (٣) إلهة الغزل والنسيج .

وقائمة مائدة القربان ستلى من أجلك ، وتذبح الضحايا بالقرب من لوحتك ، وعمدك تصنع من الحجر الأبيض في وسط مقابر أولاد الملك ، وعلى ذلك لن تموت في الخارج ، ولن يدفنك الآسيويون ، ولن توضع في جلد غم عند ما يصنع لك قبرك . حقا كل هذه الأشياء منسقط في الأرض ، ولهذا يجب عليك أن تفكر في جثتك وتعود . وقد وصلنى هذا القرار الملكى عند ما كنت واقفا في وسط قبلى . وقد قرئ على^١ فانبطحت على بطنى ، ولمست التراب ، وثرته على شعرى . ومشيت حول معسكرى فرحا قائلا : ” كيف تفعل أشياء مثل هذه لخادم ، قد أضله قلبه وقاده الى أراض متوحشة ؟ نعم إن ذلك الواحد المحسن الذى يخلصنى من الموت طيب حقيقة . وإن حضرتك ستسمح لى بأن أختم نهاية حياتى في مقر الملك “ .

صورة من الاعتراف بهذا القرار الملكى

يقول خادم نساء القصر « سنوهيت » — ” فى سلام غاية فى الرقة — إنه من المحقق أن هذا الحرب الذى ارتكبه الخادم هناك « أنا » كان بدون تعقل ، بجياك أنت يا إله الإله الطيب يا رب الأرضين ، المحبوب من « رع » ، المثنى عليه من « متو » رب « طيبة » . ليت « آمون » رب الكرنك ، و « سبك » و « رع » و « حور » و « حتحور » و « أتوم » و « تاسوع الآلهة » و « سيدو ونفرايو وسمسرو » و حور الشرق ، وسيدة « بتو » الموضوعة فوق رأسك^(١) ، وإلهة الماء ، و « مين — حور » ، الذى يوجد في البلاد الأجنبية ، و « ورت » سيدة « بنت » (بلاد الصومال) و « حرور — رع » ، وكل آلهة مصر وجزر البحر — ليتهم كلهم يمنحون أنفك الحياة والقوة ، وليتهم يمنحونك هداياهم ، وليتهم يعطونك الأبدية المطلقة . والخلود الأبدى .

والناس يتحدثون عن الخوف منك فى السهل والحزن ، وقد أخضعت كل ماتحيط به الشمس . وهذه الصلاة من الخادم هناك (يعنى نفسه) الى سيده لينجيه من

(١) المل الملكى .

الغرب ، رب القطنة الذى يفهم صغار الناس ، قد أدركها فى قصره المنيف ، والخدامم هناك خاف أن يقولها ، لأن ذلك أمر خطير أن يعيدها ، وأنت أيها الإله العظيم الذى يماثل « رع » فى إعطاء القطنة لفرد يجاهد لنفسه ، وخدامك هذا فى يد ناصح طيب فى مصلحته ؛ وفى الحلق أنى قد أصبحت تحت إرشاده لأن جلالتك « حور » المظفر ، وساعدك قويان على كل البلاد . والآن فلنأمر جلالتك أن يحضر « مكى » من « كدى » « وختواش » من بلاد ختش . و « منوس » من أراضى « الفنخو » وهم أمراء مشهورون قد نموا على حبك غير أنهم منسيون ، و « فلسطين » ملكك كأنها كلابك .

أما من ناحية هذا الحرب الذى فعلته فلم أدبره ولم يكن فى قلبى ، ولم أفهمه ولم أعرف الشيء الذى أقصانى عن مكافئ ، وقد كان ذلك كالم كما لو كان رجل من الدلتا يرى نفسه على غفلة فى « الفتين » أو رجل من المستنقعات فى النوبة . ولم يكن هناك أى شيء أخافه ، ولم يطاربنى إنسان ، ولم أسمع أى كلام معيب ، واسمى لم يسمع فى فم المنادى ، وكل ما حدث أن جسمى أخذته الرعدة ، وبدأت قدماى تخوران ، وقادنى قلبى ، والإله الذى أمرنى بهذا الحرب جرئى بعيدا . ومع ذلك لم أكن دعيما من قبل . على أن الرجل الذى يعرف بلاده يخاف ، لأن « رع » قد بث خوفك فى كل الأرض ، والرب منك فى كل البلاد الأجنبية ، وسواء أ كنت فى مقر الملك أم فى هذا المكان فإنك أنت الذى فى قدرتك أن تظلم ذلك الأفق ، وتطلع الشمس بإرادتك ، ومياه النهر تشرب حينما تريد ، وهواء السماء يستنشق حينما تأمر .

وسيسلم خادمتك مركز الوزارة الذى كنت أشغله فى هذا المكان ، ولكن دع جلالتك تفعل ما تشاء ، فالناس يعيشون على النفس الذى تمنحه . ليت « رع » و « حور » و « حتحور » يحبون أنفك الرفيع الذى يريد « متو » رب طيبة أن يبقى إلى الأبد .

وقد حضر إلى هذا الخادم الرسل ، وقد سمح لى أن أمضى يوما فى « ياء » ، وسلمت فيه متاعى إلى أولادى ، فأصبح ابنى الكبير المشرف على قبيلتى ، وكل ما أملك أصبح فى يده : عبيدى وكل ماشيتى وفاكهتى ، وكل شجرة لذيدة أملكها .

ثم سار هذا الخادم المتواضع نحو الجنوب ، ووقف عند « ممرات حور » ، وأرسل القائد الذى كان مكلفا بحراسة الحدود هناك رسالة إلى مقر الملك تحمل الأخبار بوصولى ، فأرسل جلالته أحد رؤساء الصيد فى القصر ممن يثق بهم ومعه سفن محملة بالهدايا من الفيض الملكى للبدو الذين أتوا معى ليقودونى إلى « ممرات حور » وقد ناديت كلا منهم باسمه ، وكان صناع الجمعة يعجنونها ويصبونها فى حضرتى . وكان كل خادم منهم كافى عمله ، ثم أخذت فى سياحتى إلى أن وصلت بلدة « مراقبة الأرضين » (العاصمة) ، وعند انفلاق الصبح ، أتوا ليطلبونى مبكرين جدا ، وقد كان عشرة رجال يأتون ، وعشرة رجال يذهبون ليقودونى إلى القصر ، واستلمت الأرض بين تمثيل « بوالهول » يجهتى ، ووقف أولاد الملك عند الباب واستقبلونى ، أما أمناء القصر الذين يقودونى إلى القاعة فإنهم ذهبوا بى إلى الطريق المؤدية إلى الحجر الخاصة ، فوجدت جلالته على عرشه العظيم فى مدخل من الذهب ، فانبطحت على بطنى ، وذهب عنى عقلى فى حضرتة ، مع أن هذا الإله حيانى بفرح . وقد كنت كرجل أطبق عليه الظلام ، إذ فزت روحى وتزلزلت أعضائى ، ولم يعد قلبى فى جسمى ، ولم أشعر إذا كنت حيا أو ميتا .

وعندئذ قال جلالته لأحد هؤلاء الأمناء : « ارفعه ودعه يكلمنى » . وقال جلالته : « انظر ! لقد عدت بعد أن قطعت الصحارى واخترقت الفياض ، والكبر قد تغلب عليك ، وقد بلغت الشيخوخة ، وإنه ليس بالأمر الهين أن يدفن جسمك فى الأرض دون أن يسير فى مشهده المتوحشون . ولكن لاتبق هكذا صامتا باستمرار عند ما ينطق باسمك » . ولكن فى الحق خفت العقاب وأجبت عن ذلك جواب الخائف : « ماذا يقول سيدى لى ؟ لبت فى مقدورى أن أجيب عليه ، ولكن

لا يمكننى . انظر ! كأن ذلك يدأقه ، إذ أن الفرع الذى فى جسمى كالفرع الذى سبب هذا الحرب الذى قضى به على . انظر ! إننى فى حضرتك والحياة ملكك وليت جلالتك تتصرف كما تريد “ .

ثم أمر بدخول أولاد الملك وقال جلالته لللكة : ” انظرى . هذا هو « منوهيت » الذى عاد كأسيوى من نسل أهل البدو “ ، فصاحت صبيحة عالية جدا ، وكذلك صاح أولاد الملك معا ، وقالوا لجلالته : ” حقا كأنه ليس هو يا أيها الملك ياميدنا “ فقال جلالته : ” حقا إنه هو “ ؛ وبعد ذلك أحضرن معه عقودهن ودفوفهن وصاجاتهن ورفعنها إلى جلالته فائلات : ” لتكن يدك على الواحدة الجميلة ، أيها الملك الخالد ، على حلى (سيدة السماء) . ليت « الواحدة الذهبية »^(١) تمنح الحياة أنفك ، و « سيدة النجوم » تضم نفسها إليك . دع إلهة الوجه القبل تتحد مع النهر ، وإلهة الوجه البحرى تصعد مع النهر متحدثين ومنضمين فى اسم جلالتك . ليت العسل يوضع على جبهتك ، لقد خلصت رعاياك من الأذى . ليت « رع » يكون رحما بك ياميد الأرضين . مرحبا بك وكذلك بملكتنا . أخرج قرك ، واترع قوسك ، وامنع النفس من قد اختنق ، وامنحنا هدية جميلة للعيد ، هذا الشيخ ابن آلهة الشمال البدوى المولود فى مصر “ ، وقد هرب خوفا منك ، وترك الأرض رجا منك ، ولكن الوجه الذى قد رأى جلالتك لن يصفر بعد ، والعين التى شاهدتك لن تخلف “ .

وعندئذ قال جلالته : ” لن يخاف ولن يرتاع ، لأنه سيصير أمينا فى القصر بين الحكام ، وسيوضع بين رجال الحاشية . اذهبوا إلى قاعة الزينة لتكونوا فى خدمته “ . وبعد أن تركت المجرة الخاصة ، وقد صاحفى أولاد الملك ، ذهبنا إلى البابين العظيمين ، وقد أسكنت فى بيت ابن من أولاد الملك ، وكان مزينا بنمين الأثاث ، وكان فيه حمام وأشكال ملونة للائق ، وكان فيه أشياء ثمينة من الخزائن ، فكان فيه

(١) الإلهة « حمور » إلهة الحب والجمال .

ملابس الكنان الملكى، والبخور، والزيت الثمين الخاص بالملك، ورجال البلاط الذين يحبهم: وكان كل خادم فى عمله. وقد أخذت السنون تذهب عن جسمى، وأزيلت لحتى ورجل شعرى، وقد ألقي فى الصحراء حمل أوساخ، وأعطيتم الملابس القذرة رجال الرمال.

وقد زينت بأحسن ملابس الكنان، ودلكت بأحسن الزيت، وفى الليل نمت على سريرى، وتركت الرمال لمن هم فيها، وزيت الخشب لمن يدلك نفسه به.

وقد أهدى لى بيت حاكم مقاطعة كمالى بسمير ملكى. وقد بناه كثير من الصناع، وكانت كل الصناعة الخشبية فيه جديدة.

وكان يؤتى إلى الطعام من القصر ثلاث مرات وأربع مرات فى اليوم، هذا فضلا عما أعطانيه أولاد الملك بدون انقطاع فى أى وقت.

وقد أقيم لى قبر من الحجر فى وسط المقابر، والبناءون الذين يفتحون المقابر قد وضعوا تصميمه، وكبير مهندسى العمارة قد بدأ فى بنائيه (؟)، وأخذ النقاشون ينقشونه، وأخذ مهرة النحاتين يفتحون فيه، أما رؤساء بنائى الجبانة فوجهوا عنايتهم له، وكل ما يحتاج إليه من لاعم المتاع الذى يوضع فى القبر قد مد به، وقد رتب لى كهنة جنازيون، وصنعت لى حديقة للقبر كان فيها حقول مقابلة للمأوى، كما كان يصنع للسمر الأول للقصر، وقد رصع تمثالى بالذهب ومثله كان من خالص النضار، وإن جلالتة هو الذى أمر بصنعه، وليس هناك رجل فقير قد عمل له مثل ذلك، وقد تمتعت بعطف من الفيض الملكى إلى أن أتى يوم المات.

إشراك سنوسرت ابنه «أممنحات» الثانى فى الحكم — وفى السنة الثالثة والأربعين من حكمه كان سنوسرت قد ناهز السبعين من عمره (هذا إذا كان قد اشترك مع والده فى الحكم وهو بين الخامسة والعشرين والثلاثين من عمره)، فأشرك معه ابنه «أممنحات» الثانى فى حكم البلاد، وقد جاء ذكر ذلك فى أثر محفوظ الآن بمتحف «ليدن»: «السنة الرابعة والأربعون من حكم «سنوسرت» المقابلة للسنة

الثانية من حكم «أممحات» الثاني . (Boeser, "Aegyptischen Sammlung" des Neiderlandischen Reichmuseums der Altertumer in Leiden, Pl. IV) وكما أعتد «أممحات» الأول ابنه «سنوسرت» الأول ليكون مدزبا في فنون الحكم والحروب، اتبع «سنوسرت الأول» نفس الطريقة مع ابنه «أممحات الثاني»، إذ أرسله مع القائد «أميني» ليرى أجزاء مملكته النائية بنفسه، ولتقبل خضوع أمراء هذه البلاد، وليقضى على كل من شق عصا الطاعة منهم .

وفاة «سنوسرت الأول» : — وقد توفى هذا الفرعون المسن في السنة السادسة والأربعين من حكمه، وهى السنة الرابعة من اشتراك ابنه معه في الحكم أى بعد أن حكم نمسا وأربعين سنة كما جاء في ورقة «تورين»، وكما تدل على ذلك آثاره المؤرخة، إذ وجدنا من بينها أثرا يذكر لنا السنة الخامسة والأربعين من حكمه .

ولدينا لوحة هامة محفوظة في المتحف البريطانى الآن (No 828; Breasted, A. R, Vol. I. par 594-598) مؤرخة في السنة الثالثة من حكم «أممحات الثاني»، وهذا التاريخ يقابل السنة الخامسة والأربعين من حكم والده، وهى تحتوى على الخطوات المتتابعة التى سار فيها «سمتو» الذى كان يلقب بالأمير، والكاتب الملكى مدة حياته . فيقول : "لقد ولدت في حكم الملك «أممحات الأول» المرحوم، وقد كنت طفلا متمطقا بحزامه عندما توفى جلالتة، (وكان الأولاد يلبسون حزام الصبية بين العاشرة والحادية عشرة)، وقد نصبتنى الملك «خبر كارع» «سنوسرت الأول» عاش أبديا كاتب (الحريم)، ومدحنى كثيرا جدا في هذا العمل، وبعد ذلك نصبتنى كاتبا ومدحنى كثيرا على ذلك، ثم بعد ذلك جعلنى كاتب حسابات غلال الشمال والجنوب، ثم عيّننى كاتبا (لحريم الأعظم)، وأخيرا نصبتنى كاتبا ملكيا ومديرا لكل الأعمال في كل البلاد، وقد مدحنى سيدى لأنى كنت صامتا، وكان يحبنى، لأنى كنت ضدّ المتهور، ولم أعتد كلمة سوء. ولا بد أن «سمتو» قد بلغ ما يقرب من الخامسة والأربعين من العمر عندما أمر بكاتبه هذه النقوش .

وفي هذه السن كان يلقب نفسه الأمير الوراثي، حامل الخاتم الملكي، والشريف محبوب الصقر (الملك)، سيد القصر الذي يفعل كل ما يمدحه سيده كل يوم، الكاتب الملكي «سمتو». ومما يلاحظ هنا أن استعمال عبارة العائش أبديا بالنسبة للفرعون في هذا النقش، دليل على أن الفرعون كان لا يزال عائشا عند كتابته أى في السنة الثالثة من الحكم المشترك مع «أمنمحات».

هرم سنوسرت الأول — وقد مات «سنوسرت الأول» بعد حياة حافلة بجلال الأعمال، بنى فيها مجد الأسرة الثانية عشرة، ودفن في هرم أقامه لنفسه. انتخب موقعه في الجهة الجنوبية من معبد هرم والده بالشت، وقد وجد مدخله في رقعة الهرم عند سفحه، وكان الممر المؤدى إلى حجرة الدفن مسدودا بقطع كبيرة من الجرانيت، وقد تسرب اللصوص إلى مخدعه بنفق حفر بجانب المدخل، ولكن الحجرة لم يمكن الوصول إليها بسبب ارتفاع منسوب مياه الرشح فيها الآن.

وقد أحاط «سنوسرت» هرمه بجدار عظيم زين بالواح منقوشة باسمه، وقد وجد مذبحه في البقعة التي أقيم فيها المعبد. وعلى مقربة من هذا الهرم، أقام كاهن «هليوبوليس» الأعظم «أحموتب» قبرا له، وتدل ظواهر الأحوال على أنه هو الذى أشرف على بناء هذا الهرم، لأنه يحمل بين ألقابه مدير أعمال الملك كلها، وفي سمك أحد جدران هذه المقبرة المبنية باللبن عثر على تمثالين جميلين مصنوعين من خشب الأرز باسم الملك «سنوسرت الأول»، واحد منهما يمثله وهو لابس تاج الوجه القبلى، والثانى يمثله وهو لابس تاج الوجه البحرى. (Lythgoe, Ancient Egypt, (1915) p. 145.) هذا وقد خلف لنا مساعد الخزانة المسمى «مرى» الذى عاش في عهد هذا الفرعون نقشا سجل فيه بناء الضريح الأبدى. وهذه العبارة تشير بطبيعة الحال إما لهرم «الشت» الذى أقامه الملك هناك، أو إلى مقبرة أخرى ثانية أقامها هذا الفرعون لنفسه في «العرابة المدفونة». وهذا ليس بغريب لأن عددا عظيما من الملوك قد أقاموا لأنفسهم قبرين. فيقول «مرى» في نقشه: «ولما

كنت غيورا جدًا أرسلني الفرعون لأقيم له ضريحاً أبدياً، وكانت جدرانها تخترق السماوات ، والبحيرة التي حفرت قد بلغت في حجمها النهر، وأقيمت (بواباته) التي تناطح السماء من حجر «طرة» ، وقد فرح الإله « أوزير » أول سكان الغرب بهذا البناء الذي أقمته لسيدى . وقد سررت أنا نفسي وكان قلبي فرحاً بما أنجزته“ .

(Piehl, Inscriptions, I, II-IV; Breasted, A. R. Vol. I, par. 507-509).
وقد أزعج هذا النقش بالسنة التاسعة ، الشهر الثاني من الفصل الأول في اليوم العشرين من حكم هذا الفرعون .

قد سمي « سنوسرت » هرمه في اللشت باسم « المحمي الأماكن » وقد وجد هذا الاسم على نقش مهشم عثر عليه في « منف » Petrie, Memphis. Vol. I, (p. 18; A. Z., Vol. 59, p. 53.) وهو يشير كذلك إلى وقف خصص لهذا الهرم ولهرم والده « أمنمحات الأول »؛ والظاهر أنه كان قد جهز لمعبد الهرم عشرة تماثيل من الججر الجيرى الأبيض الجميل، غير أننا لا نعلم السبب الذي من أجله لم ترم هذه التماثيل في أماكنها، لا في عهد هذا الملك ولا في عهد ابنه، بل بقيت ملقاة على الأرض ، ومغطاة بالرمال إلى أن عثر عليها في عام ١٨٩٤ ، ومعها ستة تماثيل للملك « سنوسرت » وكذلك تماثله في صورة الإله « أوزير »، هذا إلى ثلاثة عشر مذبحاً مهداة من كاهنات هذا الفرعون، وكل هذه التماثيل موجودة الآن بالمتحف المصرى بحالة جيدة، عدا تماثل واحد قد أصابه بعض التشقق (Borchardt, "Statuen", Vol. II, p. 21, Pl. 97) وليس لوجود هذه التماثيل بهذه الكيفية إلا أحد فرضين، فإما أن يكون الملك قد مات قبل إقامتها في أماكنها، وأن ابنه لم يعتن بعد وفاة والده بآثاره ، وإما أن تكون قد دفنت في الرمال لأسباب دينية قد غاب عنا الوصول إلى معرفة مغزاها .

والظاهر أن مقر الملك في عهد هذا الفرعون كان في مكان يدعى « اث تو » بجوار الهرم في اللشت، راجع (A. Z., Vol. 59, p. 53) .



أمنمحات الثانى

١٩٣٨ . ١٩٠٣ ق م

بجمل أعماله — انفرد «أمنمحات الثانى» بالملك بعد وفاة والده «سنوسرت»
الأول، وكان عند ما تولى العرش مشتركا مع والده، قد اتخذ لنفسه لقب «نب كاو.
رع» أى الواحد الذهبى لأرواح إله الشمس .

وتدل الآثار المكشوفة إلى الآن، التى وصلت إلينا من عهده، على أن عصره
كان عصر هدوء وسلام ، وأنه لم يقم بأعمال جسيمة فى الفتوح والغزوات ، كما
أنه لم ينسب إلى عهده شئ من المباني العظيمة الخالدة ، وذلك لا يعنى أن عهده
خلا من الأعمال الجليلة التى سارت بسفينة البلاد نحو التقدّم والوحدة التى كانت
الفرض الأسمى لفراعنة هذه الأسرة، فقد أظهر نشاطه العظيم فى إرسال البعوث
العديدة إلى مختلف نواحى ممتلكاته لاستخراج المعادن من جبالها الغنية بها، أولتهدئة
الأحوال فى الجهات التى حدثت فيها اضطرابات، كما أرسل البعوث للبلاد الأجنبية
يقصد التجارة ونشر الحضارة المصرية . هذا إلى أنه أقام مباني عدة للآلهة
فى مختلف جهات القطر، غير أنها لم تضارع ما قام به والده وجده .

بعوثه إلى سينا — فمن أهم أعماله ما أظهره من نشاط فى شبه جزيرة سينا،
إذ أرسل بعثتين لاستخراج المعادن والأحجار الكريمة، وقد أُرخت الأولى بالسنة
الرابعة من حكمه على لوحة وجدت فى هذه الجهة . وكذلك وجدت نقوش أخرى
تدل على أنه أرسل بعثة ثانية مؤرخة فى السنة الرابعة والعشرين ، وهذه النقوش
قد حفرت على صخرة بالقرب من مخزن مياه «سرابه الخادم» ، وتدل على أنه فتح
منجما جديدا فى هذا المكان لم يكن معروفا من قبل . ونصها : ” السنة الرابعة

والعشرون من حكم جلالة ملك الوجهين القبلى والبحرى «أمنحات الثانى» . منجم
حفره صديق الفرعون الحقيقى ، وضابط البحارة المسمى «مين» ، وأمه « موت »
المرحوم . وقد عثر فى هذه الجهات على تمثالين صغيرين من عهد هذا الفرعون
وعلى تسعة ألواح منقوشة فضلا عن ذلك .

(Gardiner and Peet, Sinai, pls. XVI, XIX-XXII, Petrie, Sinai, Fig. 130).
يضاف إلى ذلك أن « ساحتخور » أحد الموظفين المجتدين فى هذا العصر ، يتحدثنا
أن الفرعون قد أرسله فى عدة بعوث كما سنذكر بعد ، لإحداها لزيارة أرض المناجم
فى شبه جزيرة « سينا » ، وكذلك عثر على الجزء الأسفل من تمثال جالس للإلهة
« حتخور » سيدة الفيروز وحارسة المعدين فى هذه الجهات ، وقد قدمه لها
الضابط الأكبر للأسطول ويسى « سنفرو » .

(Breasted, A. R., Vol. I, Par. 599)

آثاره فى مختلف جهات القطر — ونجد لهذا الفرعون نقوشا عدة فى
مختلف جهات القطر تدل على نشاطه فى إقامة المباني ، ففى «إسوان» عثر على قوش
عدة محفورة على الصخور مما يدل على أنه كان يقطع حجر الجرانيت من هذه الجهة ،
وأهمها نقش مؤرخ بالسنة الرابعة عشرة (Weigall, "History" Vol. II, p. 75) ،
وفى وادى الحمامات عثر على اسم « أمنحات الثانى » فى مناجم « حجر البرشيا »
الشهيرة الواقعة فى الصحراء الشرقية (Murray, "Handbook", p. 826) .

وكذلك وجد اسمه منقوشا فى محاجر المرمر بجهة «حتنوب» ، وفى إقليم الحجر
(Frazer "Hatnub", XV, 11) الرمل القريب من جبل السلسلة وجد اسمه منقوشا
هناك ، وأزخ النقش بالسنة السابعة عشرة من حكمه (Ibid, 512) .

البعوث إلى محاجر صحراء النوبة — وقد أرسل هذا الفرعون البعوث إلى
محاجر صحراء النوبة الغربية التى كشف عنها حديثا لاستحضار حجر الديوريت
والجرانيت فقد عثر له على لوحة فى المحاجر الجنوبية لهذه الجهة مصنوعة من

الدبوريت الأسود، ولكن مما يؤسف له أن هذه اللوحة قد وجدت نقوشها متأكلة ومحوّة مما يصعب معه حل رموزها ، وكل ما يمكن حله في نقوشها أن الذى كان على رأس البعثة أمير، وأن الغرض من إرسالها هو إحضار حجر «منتت» من مكان يسمى «نخت» (؟)

وكذلك أرسل «أمنحات الثانى» بعوثا إلى « وادى اليهودى » ، وقد وصلتنا لوحة من عهده غير مؤرخة، وقد أقامها رئيس البعثة المسمى « سنبلو » ، ويحمل لقب رئيس الخزانة ونقش عليها ما يأتى :

” ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «خع كا ورع» عاش أبد الآبدين محبوب «حتحور» سيدة الجمشت (حسمن) . قريب الملك الحقيقى ومحبوبه وساكن قلبه رئيس الخزانة، وهو الذى وضعته «سبك رع» ، ورب الاحترام، والذى استولى على قلب الملك باختراق الصحارى (فى البعثة) التى قام بها لسيده بتفوق «سنبلو» رب الاحترام“ . ولدينا لوحة أخرى من هذا المكان ، غير أن معظم كتاباتها قد محيت، وهى منحوتة من الحجر الرملى، ويرجع عهدها إلى السنة السادسة من الحكم المشترك لهذا الفرعون، وابنه «سنوسرت الثانى» (هاتان اللوحتان لم تنشرا بعد). ومن الغريب أنه قد عثر على نقش لأمير من عهد هذا الفرعون فى سدّ وادى «العنقابية الراويانه» ، وهذا السدّ يقع على بعد سبعة كيلو مترات فى أعلى النهر، وفى الجهة الجنوبية الشرقية عند النقطة التى يقطع فيها الوادى طريق (مصر — السويس) فى الكيلومتر الثانى والعشرين . وهذا النقش قد حفر على وجه السدّ (مخضرة)، غير أنه قد تأكل ولم يبق فيه إلا جزء من طغراء الفرعون، ولقب الأمير هو (كاهن عين شمس الأعظم) وهذا اللقب لم يعثر عليه فى الدولة الوسطى قط إلا هذه المرة ، ولا نعلم لوجود هذا النقش فى هذا المكان من سبب حتى الآن .

(A. S., Vol. XXXIII, p. 1-5, Pl. 1.)

بعوثه إلى بلاد بنت — ومن أهم البعثات التى أرسلها فى عهده إلى الخارج وتعتبر تجديدا فى نشاط هذه الأسرة ، البعثتان اللتان أرسلهما إلى بلاد « بنت » .

أما البعثة الأولى فقد وجدت نقوشها في وادي «جاسوس» على شاطئ البحر الأحمر على لوحة موجودة الآن في «النوك كاسل» (Alnwick Castle) بإنجلترا . وقد عثر عليها الرحالة «برطون» (Birch, "Alnwick", Pl. III, p. 268) .

ولهذه اللوحة أهمية خاصة، إذ عرفنا منها اسم الميناء التي كانت تستعمل كثيرا لقيام البعوث إلى «سينا» وإلى بلاد «بنت»، وهذه اللوحة تعزى إلى حامل الختم الفرعوني ومدير مخازنه المسمى «ختخاتى ور»، وقد كان غرضه إحضار العطور والروائح الذكية . ونشاهد على هذه اللوحة صورة الفرعون «أمنمحات» الثانى يقرب الشراب للإله «مين» سيد «قفط»، وأسفل هذا المنظر نرى «ختخاتى ور» نفسه رافعا ذراعه تعبدا للإله، وإلى ذلك النقوش وهى : تقديم المسديح الإلهى، والشكر من الأمير الوراثى والحاكم وحامل خاتم الفرعون ورئيس قاعة المحكمة «ختخاتى ور» إلى الإله «حور» والإله «مين» رب «قفط» . وذلك بعد وصوله مع جيشه سالما من «بنت» غائما مظفرا، وسفته قد رست فى «سواو» (وادي جاسوس) . فى السنة الثامنة والعشرين من حكم هذا الفرعون.

أما الحملة الثانية فكانت فى السنة الأولى من اشتراك «سنوسرت الثانى» مع والده «أمنمحات الثانى» بقيادة شريف يدعى «خنوم حتب»، وقد ذكر تاريخها على لوحة وجدت فى وادي «جاسوس» على ساحل البحر الأحمر، وهى موجودة الآن فى قلعة «النوك»، والظاهر أن الحملات إلى هذه الجهات كانت عديدة ويقول «ويجول» (Weigall, Guide 246) فى دليله عن آثار الوجه القبلى : إنه قد ذكر فى قبر «خوى» بأسوان ويرجع تاريخه إلى هذا العصر تقريبا . وكذلك فى قبر شريف آخريدعى «ثتى» أنهما زارا «سوريا» وبلاد «بنت» إحدى عشرة مرة (Sethe, "Urkunden", Vol. I, 140)

انظر كذلك «برست» (Breasted, A. R., Vol. I, Par. 361) حيث يعزى هذا النقش إلى الأسرة السادسة، ولكن هذا رأى فيه شك كبير .

أهمية البعوث إلى بلاد بنت — والواقع أن إرسال الفرعون « أمنمحات الثانى » الحملات إلى « بنت » تلك البلاد النائية الواقعة بجوار بلاد « الصومال » الحالية له أهمية عظيمة ، إذ يدل على أن هذا الفرعون كان يريد مجازاة أجداده القدامى فى هذه البعوث التى سبقه إليها « سخورع » و « اسى » و « بى » من ملوك الدولة القديمة ، و « سنخ كارع » من ملوك الأسرة الحادية عشرة . ولا شك فى أن الرحلة إلى هذه البلاد النائية كانت فى وقت ما شاقة خطيرة ، إذ كان على رجالها أن يخترقوا الصحراء حتى يصلوا إلى البحر الأحمر ، وبعد ذلك كان لابد من بناء السفن اللازمة لحمل رجال البعثة ، وفى أراضي الصحراء القاحلة الجرداء يلاقون قبائل العرب الرحل الذين تصودوا السلب والنهب ، يحولون طلبا للسطو على أية غنيمة . وبعد ذلك كانت تقلع البعثة عدة أيام متجهة جنوبا محاذية الشاطئ الخالى من السكان . وفى نهاية المطاف كان عليهم أن ينزلوا عند قوم من الناس غاية فى السذاجة غير معروفين لهم ، فيتجرون معهم ، ثم يحملون عند عودتهم المترو والأصماغ ذات الروائح الذكية . وتدل شواهد الأحوال على أن السياحة إلى بلاد « بنت » العجيبة كانت مما يثير الدهشة والإعجاب حتى إن رجال القصص قد ألفوا سلسلة قصص عن المخاطر التى كان يلاقيها المسافرين إلى هذا القطر الغريب ، وقد وصلت إلينا واحدة من هذه القصص وهى ، « قصة الفريق » التى يرجع تاريخها إلى هذا العصر . وهى تذكرنا بقصة « السندباد البحرى » فى « ألف ليلة وليلة » . وبطل هذه القصة الطريقة يقلع فى سفينة طولها ١٢٠ ذراعا وعرضها ٤٠ ذراعا وبها ١٢٠ من خيرة البحارة المصريين ، وقد أرسل هذه البعثة الملك إلى أرض الإله (أى بلاد بنت) ليحضر بعض النفائس منها ، ولكنهم لم يفلحوا فى مهمتهم فرجعوا بالخيبة بعد أن لاقوا فى الطريق أهوالا عظيمة ، وصلوا بعدها إلى الوطن سالمين . ثم تستمر القصة فى سرد قصة أنحرى فاستمع إلى ماجاء فيها : قصة الفريق : يقول تابع حاذق : « كن فرحا أيها الأمير ، انظر ! لقد وصلنا إلى مقر الملك ، وقد أخذت المطرقة ودُقّت أوتاد المرسى ، وأُقيمت حبالها على

البر، وكان الثناء والشكر لله ، وقد عانى كل فرد زميله ، وقد وصل ملاحونا سالمين أصحاء ، ولم نفقد من جنودنا أحدا ، وقد وصلنا إلى أقصى « إاوات » ومررنا « بسنموت » . تأمل ! لقد عدنا بسلام ووصلنا إلى بلادنا .

اصغ الى أيها الأمير، إننى فرد خلو من المبالغة . اغسل نفسك، وصب الماء على أصابعك، وأجب عندما تحيا، وتكلم إلى الملك وأنت مالك لشعورك، وأجب في غير تعلم ، وإن فم الإنسان هو الذى ينبجيه ، وكلامه هو الذى يجعل الناس يرفقون به ، وستفعل ما يحلو لك ، ومع ذلك فالكلام معك غير مجد ، ومع ذلك سأقص عليك شيئا مما نلا لقصتك ، فقد حدث لى شخصيا عند ما أقلمت إلى إقليم مناجم الملك ذاهبا إلى البحر فى سفينة ذرعها ١٢٠ طولا و ٤٠ عرضا ، وكان فيها ١٢٠ بحارا من نخبة مصر؛ وكانوا يتعرفون السماء، وكانوا يتعرفون الأرض، وكانت قلوبهم أثبت من قلوب الأسود، وكانوا يتنبئون بالعاصفة قبل أن تحدث، والزوجة قبل أن تمر. وقد هبت عاصفة ونحن مازلنا فى البحر، وقبل أن نصل إلى الأرض، وقد قامت الريح فضاغت من شدتها ، وجاءت موجة ارتفاعها ثمانية أذرع، وقد حملت من على سطح السفينة مع السارية .

وبعد ذلك غرقت السفينة، ولم يبق غير واحد من بين الذين كانوا فيها، وقد رمت بى موجة إلى جزيرة ، وقد قضيت ثلاثة أيام وحيدا، ولم يكن لى رفيق غير قلبى، ونمت فى خباء من الخشب ، واحتضنت النىء ، ثم وقفت على قدمى لأجد ما يمكن أن أضعه فى فى، فوجدت تينا وعنبا هناك ، وكل أنواع الخضر الجميلة، وكان هناك فاكهة « كاو » و « نكوت » وخيار كأنه مزروع ، وكان هناك سمك وطيور، ولم يكن هناك شىء لا يوجد فيها، وعندئذ أشبعت نفسى، وتركزت بعضها على الأرض، لأن حمله كان ثقيلا على ذراعى، ثم أخذت زنادا وأوقدت نارا للنفسى، وقدمت قربانا مشويا للآلهة .

وبعد ذلك سمعت صوت رعد ، وظننت أنها موجة بحر ، فتكسرت الأشجار وزلزلت الأرض، ولما كشفت عن وجهى وجدت أنه ثعبان يقرب منى، وكان

ذرعه ثلاثين ذراعا طولا، ولحيته تزيد طولها على خمسة أذرع، وكان جسمه مرصعا بالذهب وحاجباه من خالص اللازورد، وقد كان غاية في العقل، ثم ففر فاه لى حينما كنت ملقى على بطنى أمامه وقال لى :

”من أحضرك إلى هنا؟ من أحضرك إلى هنا أيها الصغير؟ من أحضرك هنا؟ وإذا تأخرت عن إجابتي عنم أحضرك إلى هذه الجزيرة جعلتك لا تجد نفسك إلا ترابا، وتصير كالذى لم يكن قد رُئى“. فأجبت: ”إنك تتحدث إلى- ومع ذلك لم أسمع ماتقول. إني فى حضرتك ولكن حواسى قد ذهبت“.

وبعد ذلك أخذنى فى فمه، وأحضرنى الى بحره، ووضعنى دون أن يلمسنى، وكنت صحيحا ولم يمزق شئ منى؛ وففر فاه لى عند ما كنت ملقى على بطنى أمامه وقال لى: ”من أحضرك إلى هنا؟ من أحضرك إلى هنا أيها الصغير؟ من أحضرك إلى جزيرة البحر هذه التى يحيط بها الماء من الجانبين؟“ وقد أجبت وذراعى مثنيتان فى حضرته وقلت له: ”إني فرد ذهبت إلى المناجم فى أمر لللك فى سفينة ذرعها ١٢٠ طولا و ٤٠ عرضا وكان فيها ١٢٠ بحارا من نخبة مصر، وكانوا يتعرفون السماء، وكانوا يتعرفون الأرض، وكانت قلوبهم أثبت من قلوب الأسود؛ وكانوا يتنبئون بالعاصفة قبل أن تحدث، والزوجة قبل أن تكون، وكان كل واحد منهم شجاع القلب قوى الساعد أكثر من زميله، ولم يكن بينهم أحق، وقد هبت عاصفة ونحن لا نزال فى البحر قبل أن نصل إلى الأرض، وقد قامت الريح فضاغت من شدتها وجاءت موجة ارتفاعها ثمانية أذرع، وقد حملت من على سطح السفينة مع السارية؛ وبعد ذلك غرقت السفينة بمن كانوا فيها، ولم يبق غيرى وتأمل! فلانى هنا بجانبك وقد أحضرت إلى هذه الجزيرة بموجة البحر“.

وعندئذ قال لى: ”لا تخف، لا تخف، أيها الصغير، ولا تدع يحياك يصفر مادمت قد جئت إلى. انظر! لقد حفظك الله حيا ليحضرك إلى جزيرة الطعام (الوفير) التى ينمو فيها كل شئ، لأنها مفعمة بكل شئ حسن، وانظر! ستمضى الشهر

بعد الشهر في هذه الجزيرة إلى أن تم أربعة أشهر ، ثم أتت سفينة من مقر الملك تحمل بحارة تعرفهم ، وستذهب معهم إلى مقر الملك ، وتموت في نفس بلدك . ما أشد فرحة الذى يقص ما جرى له بعد أن تمز الكارثة ، وهكذا سأقص عليك شيئاً مما تلا هذا قد حدث في هذه الجزيرة ، وذلك أننى كنت فيها مع إخوتى وأطفالى في وسطهم ، وكان كل عددنا ٧٥ نعبانا — أولادى وإخوتى ، هذا غير بنت امرأة مسكينة قد أحضرت إلى ... ثم أنقض شهاب فذهب هؤلاء في النار بسببه (أى الشهاب) .

وقد حدث ذلك وأنا لست مع المحرقين (؟) ، ولم أكن بينهم ، وقد كدت أموت من أجلهم عند ما وجدتهم كومة من الجثث .

فإذا كنت شجاعاً فأكبح جماح قلبك . على أنك ستضم أطفالك ، وتقبل زوجتك وترى منزلك ، وهذا أحسن من كل شيء ، وستصل إلى مقر الملك ، وتسكن هناك في وسط أولادك ” .

وعند ذلك ألقيت بنفسى على بطنى ولثمت الأرض في حضرتة ، وقلت له : ” سأحدث لك عن قوتك وأعلمه بعظمتك ، وسأعمل على أن يحلب إليك «أبى» و «حكنو» ، و «أدنب» و «خساي» وكذلك بخور المعابد التى يسرها كل إله ، وسأقص ما حدث لى وما قد شاهدت ... وستشكرنى المدينة أمام ضباط الأرض كلها ، وسأذبح لك ثيراناً قرباناً مشوياً ، وأضخى لك الأوز ، وسأرسل لك سفناً محملة بكل بضائع مصر الثمينة ، كما يجب أن يفعل لإله يجب الناس فى أرض نائية لا يعرفها الناس ” . عند ذلك ضحك منى ومما قلت ، كأن ذلك الذى قتله سخافة وقال لى : ” ليس عندكم «عنيو» بكثرة . ولا تملكون إلا البخور ، ولكنى أمير « بنت » ، والمزمتاعى الخاص ، أما من حيث « حكنو » الذى تقول عنه إنك ستجلبه إلى فهو أهم حاصلات هذه الجزيرة . ولكن الواقع أنك لن ترى هذه الجزيرة قط بعد سفرك لأنها ستصير ماء ” .

وبعد ذلك أتت هذه السفينة كما تنبأ ، وذهبت وتسلفت شجرة طويلة ، ورأيت أولئك الذين كانوا فيها ، وذهبت لأخبره ، فعلمت أنه عرف ذلك من قبل . وقال لى : ” بسلام بسلام للوطن ، أيها الصغير ، وشاهد أطفالك ، واجعل لى اسما حسنا فى مدينتك . اسمع فإن هذا هو كل ما أبغى “ .

وعندئذ ألقيت بنفسى على بطنى ، وأثنت ذراعى فى حضرتة ، وأعطانى حمولة « مر » و « حكنو » و « ادنب » و « خسايت » و « تشبس » و « شاس » ، وكل ، وذبول زرافات ، وكية عظيمة من البخور ، وسن فيل ، وكلاب صيد ، وقرودة ، ونسانيس ، وكل الذخائر الجميلة ، وأزلتها فى هذه السفينة .

ولما ألقيت بنفسى على بطنى لأشكره قال لى : ” انظر ! ستصل إلى الحاضرة بعد شهرين ، وستضم أولادك فى حضنك ، وتصير شابا ثانية فى مقر الملك ثم تدفن “ .

وذهبت إلى الساحل حيث كانت هذه السفينة ، وحييت الفرقة التى كانت فى هذه السفينة ، وأثنت على رب هذه الجزيرة على الساحل ، وكل من كان فى السفينة فعل كذلك .

ثم سمحنا شمالا إلى حاضرة الملك ، ووصلنا إلى العاصمة فى شهرين كما قال . ومثلت أمام الملك ، وقدمت له هذه الذخائر التى أحضرتها من الجزيرة ، وقد شكرنى أمام كل ضباط الأرض قاطبة ، وعينت حاجبا وكافانى ببعض حشمه (٩)

انظر لى بعد أن وصلت إلى الأرض وبعد أن شاهدت ما لاقيته . اسمع لما أقول انظر إنه من الخير للناس أن يصفوا .

فقال لى : ” لاتلعبن دور الحكيم يا صديق ! فإن ذلك كالذى يعطى الطائر عند الفجر ماء وسيدبحه مبكرا فى الصباح ، أى أنى مقضى على بالموت عندما أقابل الفرعون وعلى ذلك فإن كلامك المطمئن لا فائدة منه لى “ .

بلاد النوبة ونشاطه فيها — وكان نشاط هذا الفرعون في بلاد النوبة لا يقل عن نشاطه في الجهات الأخرى فقد ترك لنا مساعد خزانته المسمى «ساحتحور» الذى أسلفنا ذكره نقشا (British Museum, No. 569; Breasted, "A. R.", Vol. I, Par. 599) يعطينا فكرة عن نشاط هذا الفرعون في جهات مختلفة وبخاصة في بلاد النوبة لاستخراج الذهب إذ يقول : "إن الملك «نب كاورع» «أمنمحات الثانى» قد أرسلنى مرات عدّة للقيام بكل أنواع البعوث الهامة التى أراد الفرعون أن تتم حسبما يصبو إليه قلبه . فأعطى الأوامر بأن أبعث إلى أهرامه المسمى «نرب» الواقع في دهشور لأشرف على عمل الستة عشر تمثالا لذاته من الحجر الصلب ، وقد نفذ هذا العمل في مدة شهرين إلا يوما ، على أنه لم ينجز مثل هذا العمل (بمثل هذه السرعة) على يد أى موظف ، وقد زرت مناجم «سينا» وأنا لا أزال شابا ، وقد أجبرت رؤساء (إقليم مناجم الذهب) أن يفسلوا الذهب لى ، واستحوذت على الفيروز من «سينا» ، وقد اخترقت بلاد السود وذهبت إليهم وهزمتهم برهبة الملك ، وقد وصلت إلى أرض «حج» (سمنه) ، وسرت حتى وسط جزرها وأحضرت معى من متجاتها " . ويلاحظ هنا أنه ليس من الميسر تحديد موقع مكان «حج» ولكن «ويحول» (History, Vol. II, p. 75) يقول : "إن الحملة إلى بلاد النوبة في عهد الفرعون السابق قد جعلت الشلال الثالث تحت سلطان المصريين ؛ ولذلك يظن الإنسان أن الإقليم الذى وصل إليه «ساحتحور» يحتمل أن يكون بالقرب من «أرجو» (Argo) وجزائرها ونحن نعلم من جهة أخرى أن الإله «حور» الذى كان يعبد في أرض «حج» في عهد الأسرة التاسعة عشرة كان يعبد في «أبو ممبل» ومن ثم يظن أن «حج» كانت قرية من هذا المكان . غير أن نقوش «ساحتحور» تشير صراحة إلى أن «حج» كانت في الجنوب الأقصى ، بل كانت تقع بعد النفوذ المصرى في السودان . ومن المحتمل جدا أن تكون هذه البعثة هى ما تشير إليها النقوش التى عثر عليها مدونة على صخرة

فى « دهيت » ببلاد النوبة السفلية، وقد ذكر فيها اسم « أمنمحات الثانى » وهى مؤرخة بالسنة الثالثة من حكمه، أوهى التى يشير إليها نقش آخر وجد فى « آمادا » ومؤرخ بالسنة الخامسة من عهد هذا الفرعون أيضا :

(Weigall, "Lower Nubia", Pl. XVIII)

ومما هو جدير بالذكر فى هذه المناسبة اللوحة التى عثر عليها فى « دابود » (على مسافة ١٨ كيلومترا جنوبى أسوان) وهى محفوظة الآن بمتحف برلين :

(L. D. Vol. II, Pl. 123 b.)

وتتخصر أهميتها فى تحديد العصر الذى أنشئت فيه هذه البلدة لحماية الحدود المصرية من غارات سكان الجنوب ، وتنسب إلى هذا العهد .

علاقة مصر ببلاد آسيا فى عهد هذا الفرعون — أما علاقة مصر ببلاد « فينيقية » (ببلوص = جبيل) و « سوريا » فى عهد ملوك الأسرة الثانية عشرة، فإن ظواهر الأمور تدل على أنها كانت على أحسن ما يكون من الوُد والصفاء، وبخاصة فى عهد هذا الفرعون، إذ عثر فعلا فى جبيل (ببلوص) على نقوش مصرية قديمة ذكر فيها اسم شخصية مصرية عظيمة تحمل لقب الأمير الوراثنى (حاتى ما)، كما أن اسمه ونسبه يدلان على أنه من أصل مصرى بحت ، وهذه الوثيقة يرجع عهدها بلا شك إلى الأسرة الثانية عشرة، ولا نزاع فى أن تاريخها يرجع إلى ما قبل عهد حكم الفرعون « منوسرت الثالث »، ونحن نجعل الآن مدى بقاء هذه السيادة المصرية على بلاد « فينيقية » . ولكن المؤكد أن النفوذ المصرى كان عظيما فيها فى خلال عهد الأسرة الثانية عشرة حتى ختامها — وقد كشف حديثا عن أشياء تدل على أن توطيد العلاقات بين مصر و « فينيقية » كانت على خير ما يكون .

كنز طود وأهميته — فقد كشف فى بلدة « طود » عام ١٩٣٦ عن كثر فى أساس معبد يرجع عهده إلى الأسرة الثانية عشرة من عهد الفرعون « أمنمحات الثانى » ويشتمل على أربعة صناديق من البرنز نقش عليها اسم الفرعون « أمنمحات

الثانى « وقد وجدت كلها مملوءة بأوان من الذهب والفضة يربى عددها على مائتى آنية، وكذلك وجد من بين محتوياتها سبائك من الذهب والفضة وكية عظيمة من الخرز والأسطوانات «البابلية» والتعاويذ المصنوعة من اللازورد وقطع من اللازورد الغفل . ولاشك فى أن هذه الأوانى من الصناعة « الإيجية » المحضة . أما الأشياء المصنوعة من اللازورد فهى صناعة « بابلية » .

(Depot Asiatique Trouvé à Tod. Bisson dé la Roque, "Tod". (1934-1936) Le Caire, 1937, pp. 113. ff.)

ولما كانت ظواهر الأحوال تدل على أن العلاقات بين مصر فى عهد « أممحات الثانى » والبلاد الأجنبية كانت علاقات صداقة وود ، وبخاصة بين هذا الفرعون « وآسيا » فإنه من المستبعد أن تكون هذه التحف قد أتت إلى مصر عن طريق الغزو، بل يحتمل جدا أنها كانت جزية فرضها الفرعون على أمير «بيلوس» (جيبيل) سواء أكان أميراً من أهل البلاد نفسها أم أميراً مصرياً قد وضعه الفرعون حاكماً عليها من قبله .

محافظته على مباني أسلافه — أما عن أعمال هذا الفرعون الإنشائية فى البناء، فيدل ما كشف من النقوش حتى الآن على أنه لم يقم بإنشاء مبان عظيمة، إذ لم نعثله إلى الآن على معابد باقية ، ولكن من جهة أخرى يظهر أنه كان شديد المحافظة على المباني العظيمة التى تركها أسلافه، وقد كان يسهر على إصلاح ما تخرب منها ، ولدينا وثائق تشير إلى ذلك مباشرة ، ونخص بالذكر الوثيقة الرسمية التى تركها لنا « ختمسميتى » .

(British Museum No. 574; Breasted, A. R., Vol. I, Par. 608.)

وهو خادم الفرعون المقرب لديه ، (سكرتير) ملائسه . فيقص علينا : "لقد وضعنى الفرعون عند قدميه وأنا صبي، وكان اسمى يُتحدث عنه قبل أقرانى، وكان جلالته يحبنى، ويظهر دهشته لعملى الطيب، وكنت أمدح كل يوم أكثر من اليوم السابق،

وكننت موضع ثقة الملك الحقيقية، وكان جلالة يقبل ترفقاتي، وعند ما كان موظفو (البلاط) يصطفون في أماكنهم (حسب درجاتهم) كانت مكانتي أمامهم ... وكننت كاهن تاج الجنبوب وتاج الشمال، وكننت خادماً الملابس الملكية، وملبسا «التاج الذى اسمه» «عظيم فى السحر»، وقابضاً على التاج فى القصر، ... ولما أصبحت فى المقدمة أمام جلالة كلفنى أن أقوم بالتفتيش على الكهنة، وأقضى على العمل الخبيث وأحسن حالة عملهم فى كل الأمور المقدسة، وذهبت حسب أوامر «الملك» إلى «الفتين»؛ وقدمت خضوعى أمام إله الشلال «خنوم»، وعدت بالطريق الذى ذهبت منه، ورسوت عند «العرابة» حيث أقمت هذه اللوحة التى تحمل اسمى عند المكان الذى يسكن فيه «أوزير» أول أهل الغرب ورب الأبدية، وحاكم الغرب، والذى يطير إليه كل كائن لما فيه من فائدة فى وسط أتباع سيد الحياة، لأجل أن آكل رغبته، وأخرج نهاراً (من قبره)، ولأجل أن يتمتع روحى باحتفالات القوم الذين يتشفعون بقلوبهم إلى قبرى وبأيديهم إلى لوحى، وذلك لأننى لم أفعل (شراً)، ولأجل أن يكون الإله عطوفاً على عند الحساب حينما أكون هناك فى (الآخرة)، وحتى يكون فى مقدورى أن أعمل بوصفى روحاً فى الجبانة المنحوتة فى الصحراء، وحاكماً للأبدية، وحتى يمكننى أن أحرك السكان وأنمكن من التزول فى القارب المقدس «نشمت» وأشم الأرض (الثمها) أمام الإله «وبوات» ختمسميتى «المرحوم سيد الاحترام».

المباني — لم نثر حتى الآن على مبان عظيمة فى المدن الهامة مثل «تانيس» «وتل بسطة» لهذا الفرعون، ولكن وجدنا له بقايا من مبان فى مواقع ليست ذات شأن عظيم، ويظهر أنه كان أول من زينها بالمباني، ففى «دهدمون» الواقعة بالقرب من «فاقوس» عثر على مذبح من الجرانيت باسمه، وجده عربى من سكان هذا المركز وبيع لمتحف الجزيرة، وهو من الجرانيت الأحمر المخطط، جميل الصنع دقيقه،

(A. Z, Voi. 22, p. 2.) وكذلك عثر في نفس الإقليم في « نبيشة » على بقايا مذبح آخر من الجرانيت الأسود لهذا الفرعون ؛ غير أنه قد أضيف عليه كتابة هامة أخرى لحامل خاتم من عصر متأخر (Petrie, Tanis, Vol. II, Pl. IX, 1.) ، وكذلك عثر على عتبة باب في « منف » باسمه (Petrie, "Memphis" II, p. 14, Pl. XXIII) مصنوعة من الجرانيت .

الإدارة — والظاهر أن هذا الفرعون كان حازما في إدارة شئون البلاد الداخلية ، وسيطرا على حكام الأقاليم الوراثنين ؛ فقد ذكر لنا « خنوم حتب » ابن « نحرى » أمير مقاطعة الغزال في نقوشه التي على قبره في « بنى حسن » أن الملك « نب كاورع » « أمنمحات الثانى » قد ولاه منصب والده في السنة التاسعة عشرة من حكمه في الجهة المسماة « منعات خوفو » ، ثم يصف لنا بعد ذلك في هذه النقوش المؤسسات الدينية التي أقامها لوالده للاحتفال بالأعياد المختلفة ، وكذلك ذكر لنا أن ابنه قد رقى حاكم مقاطعة « ابن آوى » المناخمة لمقاطعته ، وأن الفرعون قد عين الحدود بنفسه . وبهذه المناسبة نذكر أنه قد نقش على مقابر « بنى حسن » تاريخ أسرة أمراء مقاطعة الغزال ، ولا بد من أن نشير هنا إلى شجرة نسب هذه الأسرة العريقة بالنسبة لحكم هذا الفرعون ، حتى يعلم القارئ كيف تغلغل نفوذ الأمراء الوراثنين في المقاطعات ، وأن عمل الملوك على نزع السلطة من أيديهم كان أمرا عسيرا يحتاج إلى فضال شديد مع حكمة وحزم .

ومؤسس هذه الأسرة « خنوم حتب » الذى لعب دورا في تثبيت ملك « أمنمحات » الأول على عرش الملك ، (انظر سنوسرت الثانى) . وهاك سلسله النسب وستكلم عنها في حكم الملك « سنوسرت الثانى » .

خنوم حتب الأول أمير منعات خوفو ومقاطعة الغزال

البنث يَقت تزوجت نحرى أمير بلدة حات سحتب أب رع (مقاطعة الأرنب)	نحت ١٩٧٩ — ١٩٦٣ أمير منعات خوفو	أمينى (أمنعات) ١٩٦٣ — ١٩٣٨ أمير مقاطعة الغزال
<p>خنوم حتب الثانى أصبح حاكما « لمنعات خوفو » منذ سنة ١٩١٩ وتزوج من « ختى » بنت أمير مقاطعة « ابن آوى »</p>		
خنوم حتب الثالث أمير منعات خوفو	نحت أمير مقاطعة ابن آوى فى سنة ١٩٠٠	

وهذه النقوش فضلا عن أنها تمدنا بالحقائق السالفة فإنها قد دوت لنا الأعمال
الصالحات لبعض الأمراء، مبنية لنا كيف كانت تؤسس الأوقاف الخنازية المعتادة،
وكيف كانت توضع القربان أمام تماثيل الأجداد انقاء إقامة أعياد خاصة كما سبق
شرحه عند الكلام على « زفاى حبى » .

(Breasted, A. R., Vol. I, par. 619); Newberry, "Beni Hassan"
Vol. I, Pls, XXV, XXVI . والواقع أن حكام المقاطعات كانوا فعلا يعاملون

الأهلين معاملة حسنة كما سنرى ذلك حتى نالوا محبتهم ، وقد افتخر هؤلاء الأمراء بهذا إما بتدوينه كتابة أو بالمناظر التي كانوا يرسمونها على جدران مقابرهم ، فن ذلك المنظر الذى خلد ذكرى الأمير « تحوتى حتب » حاكم مقاطعة « الأرنب » فى الأشمونين . وقد عاش هذا الأمير فى عهد كل من « أمنمحات » الثانى و « سنوسرت الثانى » « وسنوسرت الثالث » وستحكم عنه فى عهد هذا الأخير .

اشترآك سنوسرت الثانى فى الحكم — وبعد اقضاء ثلاث وثلاثين سنة على الفرعون « أمنمحات الثانى » فى الحكم أخذ يشعر بثقل السنين ، ويئن تحت عبء الشيخوخة ، ولذلك أشرك معه ابنه « سنوسرت الثانى » فى حكومة البلاد ، وكان يتراوح عمره بين الأربعين والخمسين ، وبذلك أصبحت السنة الثالثة والثلاثون من حكم « أمنمحات الثانى » تقابل السنة الأولى من حكم « سنوسرت الثانى » ، ويؤكد لنا ذلك نقش وجد على الصخر عند الشلال الأول على مسافة ميل بعد الخزان الحالى وهو : " عمل فى السنة الثالثة من حكم « سنوسرت الثانى » تعادل السنة الخامسة والثلاثين من حكم « أمنمحات الثانى » عند ما حضر الموظف « حابو » ليفحص تحصينات بلاد النوبة السفلى (De Morgan, Cat. Mon. 25 No. 178; L. D. II, 123,) ، وقد بقى « سنوسرت » يناطروا والده الحكم سبعة أعوام قضى بعدها الفرعون المسن نحبه بعد أن حكم البلاد نحواً من ثمانية وثلاثين سنة ، ويعزى « مانيتون » موته إلى مؤامرة قامت ضده ، وأن الذى قتله هم خدام قصره المقربون إليه ، ولكن من الجائز بل من المعقول أن « مانيتون » قد خلط بين « أمنمحات الأول » و « أمنمحات الثانى » بعد أن برهنا على أن الأول قد مات غيلة على يد حراسه وأن الملك الذى نحن بصددده الآن قد مات حتف أنفه استسلاماً للشيخوخة وحدها .

هرم الملك أمنمحات الثانى — وقد دفن أمنمحات الثانى فى هرمه الذى أقامه فى قطعة منزلة فى الصحراء على مسافة خمسة أميال جنوبى « سقارة » فى « دهشور » ، وعلى مسافة عشرة أميال شمالى « اللشت » حيث يوجد هرم والده ، وكان صلب

الهرم مبنيًا من اللبن يغطيه كساء من الحجر الجيري وأحيط بردهة مسورة، وأطلق عليه اسم « نوب » وقد عرفنا ذلك عن لوحة لكاهن من كهنة الهرم نفسه (A. Z., Vol. XII, p. 112)

مقابر الأسرة الملكية ومحتوياتها — وقد وجد الهرم مغزبا تماما منذ الأزمان القديمة ، ولكن قد عوضنا عن ذلك بعض الشيء مقابر سيدات الأسرة المالكة التي أقيمت على مقربة من هذا الهرم ، وقد أخطأتها يد اللصوص الأقدمين ، غير أن اللصوص الأحداث قد تسربوا إليها ورغم ذلك فإن ما بقي منها يقدم للعالم المتحضر تحفة فنية قديمة تعد من أهم ما عثر عليه حتى الآن في تاريخ الفن القديم ، من حيث دقة الصنع وتناسب التركيب وحسن الذوق ففي هذه البقعة عثر على مقبرة زوج الملك المسماة « كى نب » (Keminub) . وكذلك على مدافن أربع أميرات هن « إتا » (Ita) و « إتاورت » (Ita-wert) و « خنمت » و « سات حتحور مريت » . والواقع أن يد النهب قد امتدت إلى كل مقبرة منها ولكن لم يتمكن اللصوص من نهبها تماما ، إذ قد أفلت من أيديهم مقدار عظيم من مجوهرات الأميرات . أما مقبرة الملكة « كى نب » فقد نُهبت كلها ولم يبق منها إلا قطع من التابوت . ووجدت للأميرة « آتاورت » تابوت من الجرانيت الأحمر غاية في دقة النحت ، وعثر في حجرة الدفن على بعض مواد حمراء أرجوانية اللون حول الجسم ، وكذلك وجد معها أساور من ذهب وخرز من حجر صلب وطوق من ذهب وخرز ، والصوبلجان العادى ومقمة (Mace) وقوس وزنخة وفأس ونماذج أخرى من الخشب المذهب ، ووجدت أواني الأحشاء في صندوقها ، ويكاد يشبه مدفن « سات حتحور مريت » هذا المدفن الأخير .

أما مقبرة « إتا »^(١) فكان مدفنها غنيا إذ وجد فيه زيادة عن نظائره التي وجدت في المقبرتين الأخيرتين خنجر ذهبي مقبضه من الذهب المرصع ، وكذلك أساور ذات

(1) De Morgan, "Dahchour", Vol. II, pp. 37, 75, 57. 68.

محابس من ذهب، وصقر من الكرنالين، وعلى الجسم وجدت زخرفة مؤلفة من قطع من الحجر وخرز ذهبي، هذا إلى نماذج آلات من النحاس واثنتان وثلاثون آنية من الفخار، ومجموعة من الأواني الخاصة بالزيوت المقدسة، ومجموعة الأواني الأربعة الخاصة بالأحشاء ذات رؤوس بشرية ثلاثة منها لها لحى والرابعة مرداء .

مجوهرات الملكة خنمت — أما مدفن « خنمت » فهو أغنى هذه المدافن جميعا، ويحتوى على أشياء مماثلة للأشياء التى وجدت فى مقبرة « إتا » إلى تاجين وجدا معا واحد منهما من الذهب الخالص المرصع بالأحجار نصف الكريمة،



شكل رقم ١٧ تاج الملكة « خنمت » من الذهب المرصع بالأحجار نصف الكريمة

والثانى مؤلف من أسلاك من الذهب محلى بزهورات مرصعة بحجر الكرنالين، وهذا التاج يكاد يكون أحسن قطعة فنية وصل فيها الصائغ المصرى إلى محاكاة الطبيعة قدمها لنا الفن القديم، ومن المدهش أنه كشف فى هذه المقبرة حلى رائع أجنبي



شكل ١٨ تاج الملكة «خننت» من الذهب محلى بزهرات

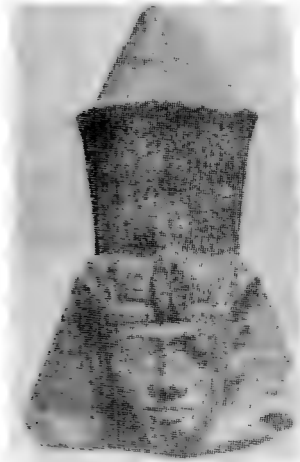
الصنع على شكل نجوم ودوائر صغيرة مقسمة، ومع هذا عثر كذلك على أقراص من الزجاج المنمق تمثل عجلا، ولا نعلم حتى الآن على وجه التأكيد من أى جهة أجنبية جاءت إلى مصر هذه الصناعة الدقيقة . هذا ويرجح بعض علماء الآثار أنها صناعة متأثرة بالفن «الكريتى» الذى كان قد بدأ يزدهر فى هذا العصر . وسنرى فى حكم خلف هذا الفرعون أنه عثر على كنز آخر من المجوهرات للأُميرة « سات حتحور » عثر عليه السير « فلنדרز بترى » عام ١٩١٤ فى « اللاهون » وتعتبر بعض قطعه أدق صنعا من التى كشف عنها فى عصر « أمنمحات الثانى » الذى نحن بصددده .

القيمة الفنية لمجوهرات الملكة خننت — وبلدى عندما نشاهد مثل هذه الدقة الفنية فى وضع المجوهرات أن نعتزف بأن المصرى الذى عاش فى عهد الدولة الوسطى أى منذ ٤٠٠٠ سنة خلت تقريبا قد صعد فى بعض نواحي حياته فى مدارج الرقى والمدنية حتى وصل إلى ملوصل إليه رجل القرن العشرين من حيث الإنتاج الفنى الذى ينم عن حسن الذوق . وفى الحق إذا كان متهى الذوق السليم يعبر عنه بالجمال والمهارة ، ويظهر فى المقدرة على التأليف الرائع بين الشكل واللون

محاكاة للطبيعة ، وإذا كان هذا هو المعيار والمحك للثقافة العالية التي بلغتها الأمة ، فإن كثيرا من ثقافتنا الحاضرة يتضاءل عند ما يقرن بثقافة المجتمع الذي كان ينتج صناعة مثل مجوهرات «دهشور» ، وهو ذاك المجتمع الذي كان يضم بين جنبه مفتنين وصناعا يخرجون للعالم مثل هذه التحف المنقطعة النظير، ولا نكون مغالين إذا قلنا إذا إن مجوهرات «دهشور» لشاهد عدل على وجود مجتمع لا يقل عن مجتمعنا الحالي إن لم يكن أرق منه في الذوق الفني ، يضاف إلى ذلك أن أحواله المعيشية كانت تجمع بين الثقافة والرخاء والرشاقة والتهديب إلى درجة لم تصل إلى مثلها مصر إلا نادرا في أى عصر آخر من عصور حضارتها .



سنوسرت « الثاني » ١٩٠٦ - ١٨٨٣ ق م



شكل رقم ١٩ (سنوسرت الثاني)

تولى الملك بعد « أمنمحات الثانى » ابنه « سنوسرت الثانى » الملقب باسم « خع خبررع » بعد أن اشترك معه فى الحكم حوالى سبعة أعوام، وقد ذكر « مانيتون » أنه من أطول الملوك الذين جلسوا على عرش الملك قامة، فكان طوله حسب قول « مانيتون »، نقلا عن « يوسبيوس » (Eusebius) أربعة أذرع وثلاثة أشبار وأصبعين أى نحو ستة أقدام . أما مدة حكمه للبلاد فكانت قصيرة، إذ لم يمكث على العرش أكثر من تسع عشرة سنة بما فيها سبعة الأعوام التى اشترك فيها مع والده .

اضطراب الأحوال فى بلاد النوبة — والظاهر أنه لم يكن ميالا للحروب، ومن المحتمل أن بلاد النوبة أخذت تفلت من يده بعض الشيء ، وقد كان الملوك الذين سبقوه توغلو بجيوشهم فيها إلى الشلال الثالث كما ذكرنا، وجعلوها إقليما مصرية . ولكن شواهد الأحوال تدل على أنه فى خلال حكم « أمنمحات الثانى » المشترك مع ابنه أخذ نفوذ المصريين يتناقص حتى أن القبائل النوبية هددت البلاد المصرية نفسها بالغزو، وقد عثرنا على بعض نقوش ربما كانت تشير إلى ذلك من بعيد . ففى (الكاب) وجدت لوحة مؤرخة بالسنة الرابعة والأربعين من حكم « أمنمحات الثالث » لحجده « سنوسرت الثانى » يقول فيها : «أمر جلالتى ببناء حصار داخل سور «سشموتاوى» المرحوم» . وهذا الاسم هو اللقب «الحورى» للفرعون «سنوسرت الثانى» ، وأنه من الصعب أن نعرف السبب الذى من أجله أقام «سنوسرت» سورا فى هذا المكان طوله نحو ٨٠ كيلومترا شمالى الشلال الأول فى زمن كانت البلاد فيه غاية فى الهدوء والسكينة والاتحاد، اللهم إلا إذا كان هناك خطريتهدها من الجنوب . يضاف إلى ذلك أنه كان يوجد فى بلاد النوبة العليا وفى الصعيد استحكامات وحصون يرجع تاريخها إلى هذا العهد وهى «خشتامنة» و «كوبان» و «عنية» ، ولدينا من الأدلة ما يثبت أن هذه الاستحكامات كانت موضع عناية فى عهد هذا الملك، وقد كان ظاهرا أنه يحتمل حدوث اضطرابات فى بلاد النوبة وأن القبائل السود كانت تهدد التخوم المصرية .

لوحة « حابو » وأهميتها — وكان المشرف على تفتيش الحصون في عهد « سنوسرت الثانى » وهو مشترك فى الحكم مع والده موظفا يدعى « حابو » ، وقد ترك لنا نقشا ذهب معظم معالمه على صخرة فى « أسوان » وعليه اسم « أمنمحات الثانى » محبوب الإلهة « سات » ربة « الفتين » ، واسم « سنوسرت الثانى » محبوب الإله « خنوم » رب منطقة الشلال ، وقد جاء فيه ما يأتى : «عمل فى السنة الثالثة من حكم جلالة « حور » « سشموتاوى » (سنوسرت الثانى) وذلك يقابل السنة الخامسة والثلاثين من حكم جلالة « حور حكن إم ماعت » (أمنمحات الثانى) حضر « حابو »... لأجل أن يفتش على حصون «واوات» (Weigall, "Guide", p. 411.) ورغم ضآلة هذه المعلومات فإنها تفسر لنا السبب الذى من أجله قام « سنوسرت » الثالث على أثر توليته الملك بحملة على بلاد النوبة ، ولا يمكن أنها قد قامت بغاة لمحاربهه، بل لا بد أن قبضة « سنوسرت الثانى » على تلك الجهات كانت قد أخذت تحتل شيئا فشيئا حتى قامت دفعة واحدة بالثورة والعصيان ضد خلفه .

نشاط « سنوسرت الثانى » — وتدل الآثار الباقية على أن نشاط هذا الفرعون الذى ورثه عن آبائه كان ظاهرا فى عدة جهات مثل «هيراكليوبوليس» ، فقد عثر على كل من معبد أقامه هذا الفرعون (Naville, "Ahnas", I.) ، وقد عثر على لوحة فى وادى « جاسوس » لمدير خزانة الإله المسمى « خنوم حنب » يذكر فيها أنه قام ببعثة إلى أرض الإله « بنت » (Birch, "Alnwick" 269 Pl. IV) . وعثر له فى «الكرك» على رأس من الجرانيت الأحمر (Legrain, "Statues" (No. 42010) ، وفى «هيراكنبوليس» وجد له تمثال، (Rec. Trav. Vol. X, p. 139) ، وقد عثر له كذلك على تمثال صغير فى «سراية الخادم» وهى مركز المناجم فى شبه جزيرة «سينا» (Gardiner and Peet, "Sinai" p. 79) ؛ أما فى «وادی الحمامات» وهو المكان الذى يستخرج منه حجر البرشيا ، فقد عثر على نقش ذكر فيه اسم هذا الفرعون (Cuyat et Montet "Hammamat", 104) وفى «القصر» على البحر الأحمر

وهى الميناء التى كانت تطلع منها السفن الذاهبة إلى بلاد « بنت » (A. Z. XX, 204) وفى بلدة « الرقة » عثر على قطعة حلى تحمل اسم هذا الفرعون (Riqqeh and Memphis, Pl. 1.) ، وتوجد عدة أسطوانات وجعارين باسم هذا الفرعون ، وقد كشف عن عشرة منها فى بلدة « اللاهون » وحدها ، وفى « أسوان » عثر على لوحة جميلة لشريف محلى يسمى « متوحنب » ، وقد أرخت بحكم « سنوسرت الثانى » (L. D., Vol. II, Pl. 123 d) ، وكذلك أرخ قبر « سرنبوت » وتمثاله المصنوع من الجرانيت الأسود بعهد هذا الفرعون (Budge, "Sculpture", p. 157) ؛ وكان والد هذا الأمير اسمه « أمنمحات » تيمنا باسم « أمنمحات الثانى » (Rec. Trav. Vol. X, p. 189) ؛ ويوجد الآن فى « برلين » تمثال مقدم من موظف اسمه « سر » ويعزى إلى حكم هذا الفرعون (Wiedemann, "Geschichte", p. 250)

الملكة « نفرت » زوجة « سنوسرت الثانى » — وتزوج « سنوسرت الثانى » من سيدة كانت شهرتها تفوق جمالها ، إذا كان تمثالها الذى عثر عليه فى « تانيس » صورة حقيقية لها ، والنقوش التى على عرش التمثال هى ! الأميرة الوراثة ، والحظية العظيمة ، والمدحوة كثيرا ، والزوجة الملكية ، وحاكمة النساء ، وبنت الملك من جوفه ، « نفرت » (ومعنى اسمها الجميلة وربما سميت بهذا الاسم رغبة فى أن ينفى اسمها على قبح منظرها) ، ومن ذلك نعلم أن الملكة نفسها كان لها حق ولاية الملك ، وذلك ما يفسره ذلك اللقب غير العادى « حاكمة النساء » الذى أعطيته ، وقد اتخذ هذا الفرعون عادة غريبة فى بابها فى نظرها ، وإن كانت طبيعية وعادية عند الأسرة المالكة :

تلك هى عادة تزوج الملك من أخيه ، ولا شك فى أن مثل هذا العمل كان يقوى مركزه على عرش البلاد ، ومن المدهش أن مثل هذه الرابطة لم تنتج العواقب الوخيمة التى تنجم من العلاقات الجنسية بين الأقارب من هذا النوع ، بل على العكس نجد أن فراعنة هذه الأسرة كانوا أشداء أقوياء الجسم .

وهذه الملكة نفسها على ما يظهر، وبتتها «حتشبسوت» قد ذكرت على لوحة جنازية لموظف اسمه «إى» وهو يخبرنا أن زوجته كانت الأميرة «حتشبسوت» بنت الملكة «نقرت» المرحومة (Lange and Schafer, "Grab und Denkstein", No. 20394)، وكذلك نجد ذكر الملكة «نقرت» وأختين أخريين إحداهما تسمى «نقرت» والثانية «إناكايت» على بردية من اللاهون .
(A. Z. Vol. XXXVIII, p. 91)

منظر العامو الوافدين إلى مصر بالجزية وما قبل عنهم - وقد تمتعت مصر في أيامه بالرخاء والثروة والسعادة مما جلب إليها المهاجرين الساميين من الصحراء، وكذلك أهل البلاد الأخرى التي تجاورها، ولا أدل على ذلك من المنظر الذي نشاهده على مقبرة «خنوم حتب الثاني» سالف الذكر، ويرجع تاريخه إلى السنة السادسة من حكم الفرعون «سنوسرت الثاني» فنشاهد «خنوم حتب» يستقبل جماعة من «العامو» سكان الصحراء الشرقية ويبلغ عددهم سبعة وثلاثين يحملين بالجزية من الكحل، وأشكال هؤلاء الأجانب وزيمهم على جانب عظيم من الأهمية، إذ تصوّر لنا نوع المدنية المنتشرة في المناطق التي بين مصر و«مسوبوتاميا» (ما بين النهرين)، فيشاهد في هذا المنظر أن الكاتب الملكي «نفرحتب» الذي يقم هذه الجماعة يحمل لوحة مكتوبا عليها السنة السادسة من عهد جلالة الملك «حور» مرشد الأرضين ملك الوجه القبلي والوجه البحري «خع خبرع»، وعدد «العامو» الذين أحضرهم ابن الأمير «خنوم حتب» لإحضار الكحل، سبعة وثلاثون رجلا .

ثم يأتي بعد ذلك «ختي» رئيس الصيادين وخلفه هؤلاء الأجانب يتقدمهم رئيسهم ومعه غزال أليف واسم هذا الرئيس «أباشا» ويحمل لقب «حقاخاست»^(٢)

(1) Newberry, "Beni Hassan", Vol. I, Pl. XXVIII; Breasted, A. R, Vol. I, Par. 619. ff.

(٢) ومعناها «حاكم البلاد الأجنبية» .

وهو الاسم الذى حرف فيما بعد الى لفظة « هكسوس » ، وهم القوم الذين غزوا البلاد بعد سقوط الدولة الوسطى . ويلاحظ أن هؤلاء القوم يرتدون ملابس ثمينة ملونة بالألوان الجميلة الزاهية ، مما يدل على أنهم لم يكونوا مجرد بدو مرتدين الجلود ، بل على العكس كانت ملابسهم المزركشة تذكركنا بالرسوم والزخارف التى نشاهدها على السجاد المعجمى ، ولا نكون مغالين إذا قلنا إنهم أتوا من بلاد أكثر خصبا من الصحراء القاحلة الممتدة على سواحل البحر الأحمر ، ولا مشاحة فى أن وجوه هؤلاء القوم تمثل الجنس السامى وبخاصة رئيسهم .

ومن الطريف أن هذه الصورة عندما كشفت ، ظن بعض العلماء أنها تمثل دخول « يعقوب » وأولاده مصر ، أو دخول سيدنا « إبراهيم » وأسرته ؛ لأنهم لم يعرفوا أى الرئيسين كان ممثلا على هذه اللوحة ، ولكن عدد من كان على اللوحة لا يتفق عدده مع أسرة سيدنا « يعقوب » ولا مع أسرة سيدنا « إبراهيم » . والواقع أن هذه الصورة ليس لها أى علاقة بحوادث التوراة مطلقا ، غير أنها تمثل لنا الحقيقة الواقعة ، وهى أن مثل هذه الزيارات التى كان يقوم بها الآسيويون قد حدثت فى العصر الذى نحن بصددده ، وأنه ليس هناك أى اعتراض على ما جاء فى قصة التوراة ، وأنه يحتمل جدًا مجئ سيدنا « يعقوب » وسيدنا « إبراهيم » الى مصر كما ذكرنا من قبل . وقد عثر على صورة تمثل هذه الصورة على جعران ، وتصور لنا حارسا لمائة وعشرة من العامو (البدو) (Petrie, "Scarabs", XV. A. C)

علاقة مصر بجزيرة « كريت » فى ذلك العصر — وهناك آثار أخرى تثبت أن مصر كانت متصلة فى مدينتها ببلاد أخرى فى ذلك العهد عن طريق التجارة وتبادل السلع ، إذ عثر على قطع من الفخار الملون بألوان مختلفة فى خرائب بلدة « اللاهون » (عند مدخل الفيوم) أى فى المنطقة التى كان يقيم فيها العمال الذين بنوا هرم « سنوسرت الثانى » كما سنرى بعد . وصناعة هذا الفخار ليست مصرية بل تنسب إلى العصر « المتوانى » الثانى بجزيرة « كريت » وهذا العصر يتفق فى تاريخه

تماما مع تاريخ الأسرة الثانية عشرة ، ونحن نعلم أنه كانت هناك علاقات بين مصر و « كريت » قبل العصر الذى نحن بصدده ، إذ أن الأشكال الخزفية التى انتشرت على الجدران المصرية فى عهد « سنوسرت » الأول ترجع فى أصلها إلى المدينة « الإيجية » ، وكذلك يحتمل أن صناعة طلاء الخزف قد نقلت من مصر إلى « كريت » فى عصر قبل ذلك بكثير . يضاف إلى ذلك أن أشكال الأواني الحجرية التى ترجع إلى العصر « الكريتى » الأول يظهر أنها غالبا مقلدة من أشكال الأواني التى كانت تصنع فى مصر فى عهد الأسرة السادسة وما قبلها .

نقوش « خنوم حتب الثانى » — على أن أهم نقوش عثر عليها فى عصر هذا الفرعون هى نقوش « خنوم حتب » الثانى ، وهو كما نعلم أحد أفراد الأسرة العظيمة التى حكمت مقاطعة الغزال عدة أجيال ، وكان لها شأن عظيم فى تاريخ الأسرة الثانية عشرة فقد كان مثلها كمثل أسرة « خيتى » حكام مقاطعة « سيوط » خلال الأسرة العاشرة الإهناسية التى سبق ذكرها — وقد بدأ نجم هذه الأسرة العظيمة فى الصعود فى « بنى حسن » فى بداية حكم « أمنمحات الأول » الذى نصب جد « خنوم حتب الثانى » وهو « خنوم حتب الأول » حاكما لجهة « منعات خوفو » ، وهو إقليم من مقاطعة الغزال ، ثم انتهى الأمر بأن جعله حاكما لمقاطعة كلها ، و « خنوم حتب الأول » هو الذى شاهدناه مرافقا للفرعون « أمنمحات الأول » فى بعثته المؤلفة من عشرين سفينة ، وقد استمر هذا العطف الفرعونى فى عهد « سنوسرت » الذى نصب ابنه « خنوم حتب الأول » وهما « نخت » و « أمنمحات » لإدارة إقليم « منعات خوفو » ومقاطعة الغزال بالحوالى . ثم تزوجت « بقت » بنت « خنوم حتب » موظفا كبيرا من رجال البلاط اسمه « نحرى » ، وكان وقتئذ حاكما لمقاطعة الأرنب وتقع جنوب مقاطعة الغزال مباشرة . وقد أنجبت « بقت » هذه « خنوم حتب الثانى » الذى سنتكلم عنه الآن ، وهو الذى تولى حكومة « منعات خوفو » بعد وفاة خاله « نخت » ، وكان ذلك فى السنة التاسعة عشرة من حكم « أمنمحات الثانى » ، ولما كان

« خنوم حنب الثانى » هذا طموحا ويريد أن يجمع بقدر ما يستطيع فى يده السلطة يزوج من السيدة « ختى » وارثة مقاطعة « ابن آوى » التى تقع فى شمال مقاطعة الغزال مباشرة وبذلك ضمن لبكر أولاده « نخت الثانى » وظيفة حاكم مقاطعة « ابن آوى » (سيوط) بحق الوراثة من جهة أمه ، على حين أن ابنه الثانى « خنوم حنب الثالث » ورث والده فى إقليم « منعات خوفو » . وتوارث هذه الأسرة لهذا الإقليم يظهر لنا ما كان عليه حكام الأقاليم من السلطة رغم قوة ملوك الأسرة الثانية عشرة ، إذ كان حكم الإقطاع متصلا فى هذه الجهة بخاصة دون جهات القطر الأخرى ، وربما يعزى ذلك لولاء هذه الأسرة لفرعنة البلاد مدة محتهم ولذلك تساهلوا معهم .

وقد كان « خنوم حنب » نفسه المثل الأعلى للوظف المهذب مادام قابضا على وظيفته ، وقد قص علينا قصة أسرته وكيف تدرجت فى جمع الوظائف المختلفة فى يدها ، وقد بدأ هذا بتعيين جدّه وسميه . وهو يخبرنا أن أجداده نالوا وظائفهم بفضل ما لهم من المزايا ، كما أنه حصل على مركزه بصفاته ومزاياه العظيمة ، وكذلك نال ابنه النجاح بما له من عظيم الصفات .

وما عليك إلا أن تصنى لما يقوله بطلاقة عن فضائل ابنه الأصغر « خنوم حنب الثالث » وما امتاز به من الخصال الحميدة : « أمير آخريين مستشارا ، وهو السمير الوحيد ، والعظيم بين السمار ، والذى يقدم هدايا كثيرة للقصر ، والسمير الوحيد ، وليس هناك من يفوقه فى فضائله ، وهو الذى يصنى إليه الموظفون ، والفم الفريد ، والذى يخرس الأفواه الأخرى ، والذى يجلب الفائدة لمالكها ، حارس على باب الأراضى المرتفعة » خنوم حنب « بن » خنوم حنب « نحرى » الذى أنجبته السيدة « ختى » .

ويعتبر « خنوم حنب » أن أفضل ما قام به هو الأعمال الصالحة التى قدمها لآبائه وبخاصة بناء مقابرهم ، إذ إليهم يرجع الفضل فى كل ما يتمتع به من راحة وثروة ، فيقول : « لقد أحييت أسماء آبائى التى وجدتتها قد انمخت على الأبواب ،

وجعلتها تقرأ شكلا مع الدقة في كتابتها، فلم أضع اسما بدل اسم آخر. وفي الحق إن الذي بعيد أسماء أجداده لولد ممتاز. ابن «نحوى» «خنوم حتب» المرحوم والمحترم. وقد كان أعظم شرف لى أن نحت لنفسى قبرا فى الصخر، لأنه من واجب الرجل أن يقلد ما يفعله والده». وبالاختصار تدل نقوشه على أن معظم همه كان منصرفا فى مقاطعته لتفخيم نفسه وأسرته وترك الشعب ظهريا، ولذلك لم نره يذكر أنه أطعم الجائع أو كسا العريان وغير ذلك مما نقرؤه من أعمال حكام العصر الآخرين، ولكن بدلا من ذلك نسمع منه "أعمال الحاكم «خنوم حتب» العظيمة. لقد أقمت أثرا فى وسط مدينتى فبنيت قاعة أعمدة وجدتها مخزبة، فأقت فيها أعمدة جديدة منحوتة عليها اسمى، وخلدت اسم والدى عليها، ودوّنت أعمالى على كل أثر... وكنت عظيما فى آثارى، وعلمت «فى المدارس» كل حرفة أهملت فى هذه المدينة لأجل أن يبقى اسمى ممتازا فى دقة صنعه على كل أثر شيدته".

ولا نزاع فى أن «خنوم حتب» كان حاكما طيبا إلى حدّ عظيم، وأنه سهر على مصالح قومه كما فعل الحكام الذين سبقوه، وملكوا الدنيا صياحا يجليل أعمالهم، ولكن من جهة أخرى كان أكثر منهم صراحة وأمانة عند ما ذكر لأخلافه ما يعتقده غيره ويخفونه فى قرارات نفوسهم، ولذلك كانت تنقصهم الشجاعة والصراحة لإفشائه — وهو أن باقى الجنس البشرى لم يوجد إلا لفخاره ونفاره أسرته، وتلك هى حال الملوك فى كل زمان ومكان.

بعونه إلى الصحراء النوبية الغربية — وقد أظهر «سنوسرت» نشاطه فى جلب الأنجار الصلبة من محاجر الديوريت الواقعة فى الصحراء النوبة الغربية، وهى التى كشف عنها حديثا كما أسلفنا، وقد عثر على لوحة من عصره تتحدثنا عن بعثة فى عهده قام بها موظف كبير يدعى «أمينى» ويحمل لقب مدير هيئة الموظفين ولقب كاهن «سم» وهو من أكبر ألقاب الكهنة، والظاهر أنها أرسلت فى عام ٨ + س من حكمه، وقد نقش عليها صلاة للالهة «حتحور» سيدة «نخت» (والظاهر

أن لفظة «نخت» تطلق على اسم الحجر أو اسم المكان الذى كان يقطع منه الأحجار) ومن بين الأسماء التى ذكرت مع هذه اللوحة موظف يدعى «حقاب» بن «سنوسرت» ويحمل لقب المشرف على فرقة قطع الأحجار الأثرية، وهذا اللقب نادر جدافى الآثار المصرية، وكذلك عثر على تمثال صغير منثور من الحجر الرملى نقش على صدره لقب «سنوسرت الثانى» (خع خبرع) (A. S., Vol. XXXIII, p. 72)



شكل رقم ٢٠ (هرم سنوسرت الثانى)

هرم «سنوسرت» الثانى ومدينته — وقد بنى «سنوسرت»، لنفسه هرما سماه «خع» سنوسرت، (المضىء) ومدينة مجاورة له تسمى «عنخ سنوسرت» (A. Z., Vol. 59, p.53) مما يعطينا فكرة تامة عن مدينة هذا الفرعون وعصره أكثر مما نعلمه عن غيره من ملوك الدولة الوسطى وسنشرح ذلك ببعض التفصيل فيما بعد .

وأقام «سنوسرت» هرمه فى اللاهون بالقرب من مدخل «الفيوم»، ذلك الإقليم الذى كان موضع عناية فراعنة هذا العصر ولذلك لم يحد «سنوسرت» عن

(1) Petrie, "Illahun", Pl. II. pp. 1-4.

فكرة آباءه، وأقام هرمه عند مدخلها أى فى بقعة يمكن منها رؤية بلدة « الفيوم » من قمة هذا الهرم . وبناء الهرم نفسه غريب فى تركيبه إذ أنه أقامه فوق صخرة كبيرة أصلح بعض جوانبها ثم أكمل البناء بالأحجار واللبن ، ثم كساه بالجمر الجيرى الأبيض مثل الأهرام الأخرى . والظاهر أن « سنوسرت الثانى » لاحظ أن أهرام من سبقه كانت فريسة للصوم ولذا نجده يجعل مدخل الهرم المؤدى إلى حجرة الدفن فى الجهة الجنوبية تاركا بذلك نظام وضعه فى الجهة البحرية كما كان متبعاً من قبل فى عهد الدولة القديمة ، ثم يعتمد بعد ذلك إلى إخفاء مكان الدخول إلى جوف الهرم بأن تحت كل الحجرات الجنائزية فى الصخر الصلد دون أن يترك فتحة يمكن الوصول إليها من بين الصخر والبناء .

وكان المدخل الرئيسى للهرم مغطى بأرضية مقبرة إحدى الأميرات ، وذلك احتراساً وتغدياً من اللصوص . أما المدخل الثانوى فإنه كان مخفياً تحت أرضية ردهة الهرم . ورغم كل عناية « أنبو » المهندس الملكى ، فإن حجرة الدفن قد نُهبت ، ولا يزال تابوته المصنوع من الجرانيت باقياً للآن آية فى دقة الصنع . والأخطاء التى يمكن المؤاخذة عليها إذا كانت تسمى أخطاء فى تسطيع وجه التابوت واعتداله لا تتعدى $\frac{1}{100}$ من البوصة . وقد أقيم ناووس لعبادة الفرعون مستنداً على الجدار الشرقى للهرم كما هى العادة ، وكان هذا الناووس منحوتاً وملوناً تلويناً فخماً ، غير أنه قد مزقه شر ممزق بناء والمخترّب العظيم « رعمسيس الثانى » الذى لم يتورع من ترك خرطوشه على الكتل التى تركتها يد التخريب والتكسير . (Naville, Ahnas el Medineh, I) وقد عثر على بعض أحجار هذا الهرم فى « إهناسية المدينة » مستعملة كركب أخرى وعليها اسم « رعمسيس الثانى » . وعلى مسافة ميل من شرق هذا الهرم يقع معبد العظيم المسمى معبد الوادى محاذياً لمتصف واجهته الشرقية ، وفى غربى الهرم يقع المعبد الجنائزى .

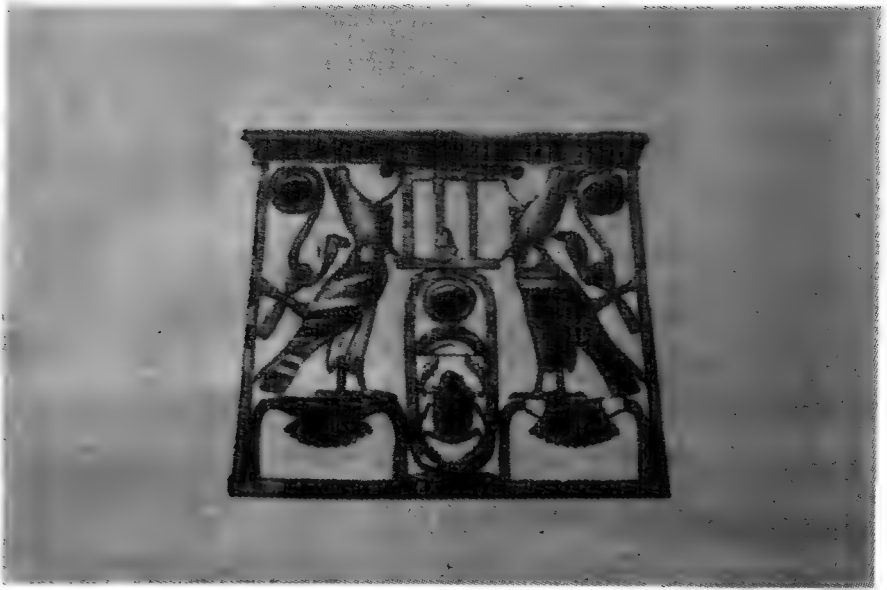
وصف مدينة سنوسرت الثانى — أما مدينة الهرم فإنها قد أقيمت بجوار معبد الوادى . وفى هذه البلدة عثر على الفخار « الكريتى سالف الذكر » ، وقد أطلق عليها الفرعون اسم « حتب سنوسرت » وهى الآن تسمى كاهون ، وقد حى جزء منها تماما غير أنها لا تزال تشغل نحو ثمانية عشر فدانا فيها أكثر من ألفى حجرة ، وقد نظفت كلها ونشر تخطيط شوارعها وبيوتها تماما (Petrie, "Illahun", Pl. XIV) ومن ذلك نعلم تفاصيل المنازل فى ذلك العصر سواء أكانت قصورا لعظماء الموظفين أم بيوتا للعمال . والأشياء التى وجدت فى بقايا هذه المنازل تلقى ضوءا كثيرا على مدينة البلاد .

وقد عثر فيها على مجموعات من أوراق البردى تعد من أهم ما عثر عليه فى تاريخ هذا العصر إذ أنها تبحث فى موضوعات شتى كالطب والقضاء الخ .

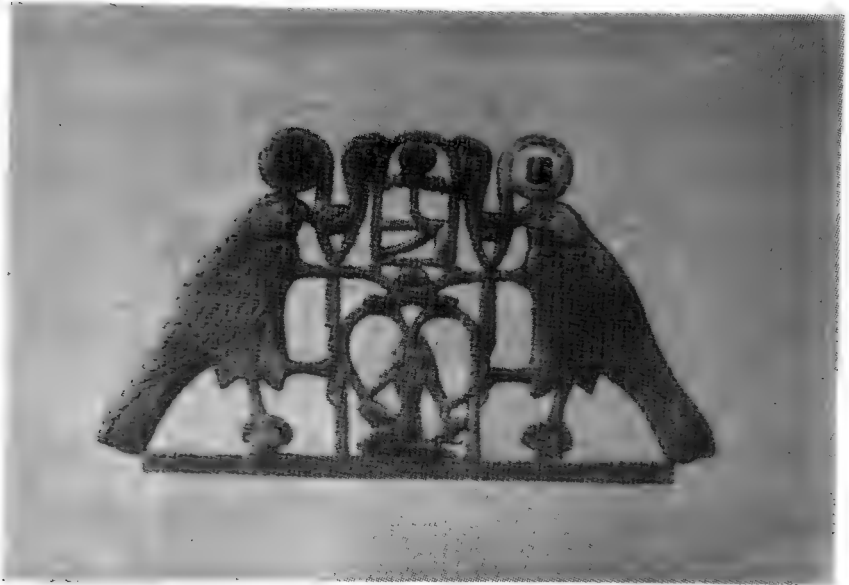
(A. Z. XXXII, 91, 96)

مقبرة الأميرة « سات حتحور أنت » ومحتوياتها

وفى الجهة الجنوبية من هرم « سنوسرت » عثر على أربع مقابر لأعضاء البيت المالك ، وقد خربت ونهبت جميعها إلا مقبرة الأميرة « سات حتحور أنت » (Brunton, "Lahun, The Treasure") فان إحدى حجراتها الصغيرة قد أخطأها اللصوص . وعند ما كشف مستر (برتن) عن هذه المقبرة فى عام ١٩١٤ عثر على محتويات هذه الحجرة ، وهى مصوغات ملكية أقل كمية من كتر دهنشور ، ولكن نوعها لا يقل عن سابقتها جودة وإتقاناً ، بل وجد فيها بعض قطع تفوق قطع كتر « دهنشور » فى جمالها ودقة صنعها . وأهم هذه المجوهرات تاج الملكة محلى بالرسوم والأشكال الرائعة يمد أحسن مثال معروف يبرهن على نبوغ المصرى ومهارته فى هذا النوع من العمل ، وكذلك وجدت صدرتان واحدة « لسنوسرت » الثانى (شكل ٢١) وهو والد هذه الأميرة والأخرى « لأمتمحات الثالث » (شكل ٢٢) الذى تزوجت منه .



شكل ٢١ (صدرية سنومرت الثاني)



شكل ٢٢ (صدرية أممعات الثالث)

ووجد من بينها أيضا أحزمة ، وأساور وخلاخيل ومراة من الفضة مرصعة بحجر الأيسدين والذهب ، وهذه الصديريات تظهر لنا بوضوح الانحطاط التدريجي في الذوق بين عصر « سنوسرت الثاني » وعصر أممحات الثالث . وكل منهما جميل ، غير أن صناعة الأولى تجذب النظر إليها أكثر من الثانية ، وإن كانت تعد غاية في الدقة إذا امتحنت على حدة ، ولكن إذا قيست بالصدريّة الثانية ظهرت خشنة في صناعتها بجانب الأولى التي يظهر فيها العناية والأناقة في الصنع .

وقد كان من حظ « فلندرز بترى » أن عثر أثناء الحفر في عام ١٩٢٠ — ١٩٢١ في هرم « سنوسرت الثاني » على قطعة من تاج الفرعون العظيم وهذه القطعة تعد فريدة في نوعها ، إذ كل ما عثر عليه للآن صور للتاج المزدوج وغيره . أما التاج نفسه فلم يعثر على مثال واحد منه للآن . وهذه القطعة هي الصل (الثعبان) الذى يحلى جبهة الفرعون ، وهذا الصل مرصع بالأحجار نصف الكريمة . ومن المدهش أنه لم يعثر إلى الآن على تاج كامل لأى فرعون حتى ولا فى آثار «توت عنخ آمون» نفسه ، وستبقى الآثار المصرية التى كشفت خالية من تاج فرعون حقيقى إلى أن يجود جوف أرض مصر بما يسد هذا الفراغ . راجع ، (Petrie, "Illahun", and "Ancient Egypt," (1920) pp. 65, 74)



سنوسرت الثالث

١٨٨٧ - ١٨٤٩ ق م

مكاته فى التاريخ المصرى — يعد «سنوسرت الثالث» عند المصريين من أكبر الغزاة الذين قاموا بحروب طاحنة دفاعا عن حدود مصر من جهة الجنوب ضد السودان ، ومن جهة الشمال ضد الآسيويين . غير أن الحروب التى

قام بها جنوبا كانت شغله الشاغل طوال مدّة حياته، من أجل ذلك عدّه المصريون من أكبر غزاتهم، حتى أنهم ألوهه فيما بعد، وبقي اسمه تتناقله الأجيال ويذكرونه في خرافاتهم باسم « سوزستريس » كما سنشير إلى ذلك فيما يأتي .



شكل ٢٣
الملك سنوسرت الثالث

الاستعداد لمحاربة النوبيين — وأول عمل قام به « سنوسرت » عند اعتلاء عرش الملك هو تأديب قبائل السود في بلاد النوبة، وهم الذين كانوا في حالة اضطراب وقلاقل في عهد الفرعون السابق بل كانوا مصدر خوف في داخل مصر نفسها، وكانت الشلالات أكبر عائق للقيام بالغزوات في السودان لما تسببه من قطع المواصلات أو تعويقها .

فكان لزاما على الفرعون أن يكون لديه أسطول عظيم لنقل الجنود ولمدّهم بالغذاء والمهمات باستمرار . ومنذ خمسمائة عام من هذا التاريخ تغلب فراعنة الأسرة السادسة على هذه العقبة بحفر سلسلة ترع حفرها « وني » لعوامل تجارية (راجع مصر القديمة الجزء الأول صفحة ٣٨٢)، ولكنها بعد هذا الزمن الطويل كانت قد

هدمت، ولم تعد صالحة لما يتطلبه الموقف وقتها، ولذلك رأى « سنوسرت » ضرورة حفر قناة عند الشلال الأول لعبورها الى أعلى الشلال . وقد لا يكون المقصود من ذلك حفر قناة بالمعنى الصحيح الذى نفهمه نحن الآن، بل قد يكون القصد تعميق الممر الموجود الآن شرق جزيرة سهل^(١)، ليساعد على جرسفن فيه بدون كبير عناء . وذلك بدلا من معارضة التيار القوى فى الممر الغربى . وعلى أية حال فإن هذه التربة قد تم تعميقها فى بداية حكم هذا الفرعون كما نخبرنا بذلك نقوش « سهل » . وفيها نشاهد « سنوسرت » واقفا أمام الإلهة « عنقت » إحدى إلهات الشلال وأسفل هذه الصورة نقرا : لقد صنعها أثرا للإلهة « عنقت » ربة النوبة، إذ شق لها ترعة تسمى « أبجل طرق خع كاورع » « سنوسرت الثالث » الحى الخالد، ولم نجد تاريخا لهذا النقش، ولكن لما كان من الضروري أن تطهر هذه التربة من الغرين فى السنة الثانية من حكم هذا الفرعون ليسير منها بجملة رجحنا أنها كانت موجودة منذ بضعة أعوام قبل ذلك العهد، ويمكننا أن نتصور بعد ذلك جيش الفرعون يمر فى هذه التربة الجديدة فى السنة الثانية من حكمه لغزو بلاد أعدائه .

حفر ترعة الشلال من جديد استعدادا للحملة الثانية — والظاهر أن الحملة الأولى لم تكن كافية لتصفية الموقف مع قبائل السود ، فأعاد الفرعون الكرة بعد ثمانية أعوام، ولكنه وجد أن التربة التى حفرها لم تعد صالحة لأن تعبرها السفن الحربية وسفن النقل فطهرها ثانية . وقد دُون هذا العمل على صخور « سهل » فترى الفرعون واقفا وعلى رأسه التاج المزدوج أمام الإلهة « سات » إلهة الشلال وتقدم له رمز « الحياة » وخلفه رئيس بيت المال ومدير الأشغال . ثم يلى ذلك النقوش كما يأتى :

السنة الثامنة من حكم جلالة ملك الوجهين القبلى والبحرى « خع كاورع »
« سنوسرت الثالث » عاش مغلدا . أمر جلالتة أن تحفر التربة من جديد واسمها

(1) Rec. Trav. Vol. XIII, p. 202; A. Z., XXXII, p. 63; Breasted, A. R., Vol. I, Par. 642-648).

أجل « طرق خع كاورع » عاش الى الأبد ، وذلك عند ما سار جيشه الى أعلى النهر ليهزم الكوش الخاسئين . وطول هذه التربة مائة وخمسون ذراعا وعرضها عشرون ذراعا وعمقها خمس عشرة ذراعا ، أى أن هذا المر كان كافيا لمسور أية سفينة لمثل هذه البعثة . وقد حفرت التربة هذه المرة حفرا جيدا إذ بقيت مستعملة حوالى ثلثمائة أو أربعمائة سنة تقريبا بعد حفرها ، وقد ظهرت فى عهد « تحتمس الأول » وكذلك فى عهد « تحتمس الثالث » عند ما قاما بالغزو فى هذه الجهات . وقد كان لزاما على صيادى السمك تطهيرها سنويا .

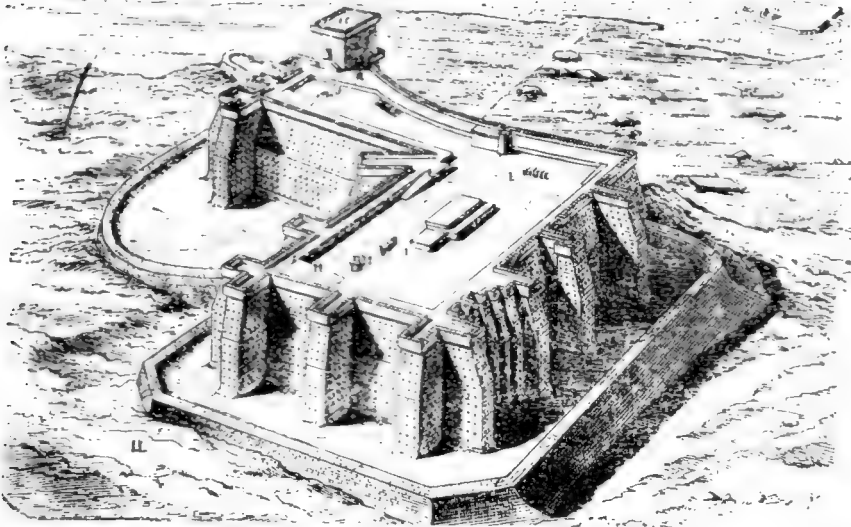
العناية بحصن « الفنتين » — وعند ما كان مارا نحو الجنوب وجه الفرعون عنايته إلى حصن الفنتين قاصدا بذلك تحسين مدخله ، وقد ترك لنا أحد الموظفين المحليين نقوشا تدل على إتمام هذا العمل الذى انتهى فى السنة التالية " السنة التاسعة ، الشهر الثالث من حكم جلالة ملك الوجهين القبلى والبحرى « خع كاورع » محبوب الإلهة « سات » سيدة « الفنتين » عاش مغلدا . أمر جلالتة الى حاكم الجنوب « أمينى » ليقوم بعمل باب الحصن « الفنتين » ويعمل ... لأملك الفرعون فى الجنوب ... عند ما سار سيدى « له الصحة والباقية والسعادة » لهزم أهل « كوش » الخاسئين . (Breasted, A. R., Vol. 1, Par. 650)

نتائج الحملة الثانية — وقد كان من نتائج هذه الحملة أن تقدم المصريون فى زحفهم نحو سبعة وثلاثين ميلا جنوب « وادى حلفا » . ولكنهم كانوا لا يزالون بعيدين عن « كرمه » التى اتخذها « زفاى حمبى » مقرا لحكم هذه الجهات فى عهد « سنوسرت الأول » بنحو مائتى ميل . وكان الفرعون « سنوسرت الثالث » مصمما على أن يحافظ على ما فتحه فأقام نصبا فى « سمنة » حيث أقام حصنا ليحافظ على حدود فتوحه الجديدة (L. D. II. Pl. 136 d-g) : الحد الجنوبى الذى عمل فى السنة الثامنة فى عهد جلالة ملك القطرين « خع كاورع » معطى الحياة أبد الآبدين لينعم أى أسود أو أى قطيع من السود أن يتخطاه سواء أكان ذلك بطريق

النهر أو البحر ، بسفينة أو غيرها ، اللهم إلا إذا أتى أسود للتجارة في « أيقن » (مكان مجهول) أو لأداء مهمة . وفي مثل هذه الحالة يعاملون معاملة حسنة (أى تعطى لهم كل التسهيلات) على شرط ألا يسمح لسفينة فيها سود أن تتخطى « حح » (سمنه) ذاهبة نحو الشمال أبدا .

الحملة الثالثة إلى بلاد النوبة — وبعد مضي أربعة أعوام على هذه الحملة في بلاد « النوبة » قامت ثالثة ، أى في السنة الثانية عشرة من حكم هذا الفرعون . غير أننا لم نعر على نقوش تحدثنا عما جرى في خلالها إلا جملة نقشت على صخور « أسوان » ولم يذكر فيها إلا تاريخها واسم الفرعون والكلمات الآتية سار جلالته لهزم بلاد « كوش » (Petrie, "Season", XIII, 340) .

الحملة الرابعة إلى بلاد النوبة وإقامة لوحة الحدود المشهورة — والواقع أن بلاد « كوش » هذه قد تطلبت من الفرعون غزوات عدة قبل أن تخضع وتذعن تماما للحكم المصرى ، إذ أنه بعد انقضاء أربعة أعوام على الحملة الأخيرة كان



شكل ٢٤ قلعة سمنة عند آخر حدود جنوبية في عهد سنوسرت الثالث

«سنوسرت» يزحف بجيشه كزة أخرى، وفي هذه المرة أقام لوحة ثانية في «سمنة» وأمر بإقامة صورة منها في جزيرة «ورونارتى» وتقع تحت بلدة «سمنة» مباشرة وتمتاز لوحة «ورونارتى» بأنها تعطينا بعض معلومات لم تدون على لوحة «سمنة» فبعد ذكر اسم الملك نقراً: لوحة أقيمت في السنة السادسة عشرة الشهر الثالث من الفصل الثانى عندما بنى الحصن المسمى «طررد النوبيين» (L. D. II. Pl. 136).

الحصون التى أقامها هذا الفرعون — وهذه اللوحة تؤرخ لنا حصن «ورونارتى»، ومن المحتمل أن الحصون الأخرى التى فى هذه الجهة قد بنيت فى نفس الوقت. وأهمها هو حصن «سمنة» كما كان يسميها المصريون (سمنة التابعة للملك خع كا ورع). وقد كانت قلعة عظيمة بنيت باللبن فى موقع حصين، وقد زيد فى حصانها الطبيعية بالتحصين الصناعى، وكانت تشرف على النهر الذى لا يزيد عرضه فى هذه الجهة عن أربع مائة متر. وفى الجهة الشرقية من النهر قبالة «سمنة» أقيمت قلعة أخرى صغيرة تعرف باسم «قمة» (L. D., I. 111-112; Maspero, «L'Archologie Egyptienne», p. p. 9, 29, 30) من الصعب مرور أى جيش فى النهر من هذه الجهة. وخرائب هاتين القلعتين لا تزال باقية للآن، غير أننا لا يمكننا أن نتصور بالضبط ما كانتا عليه فى عهد «سنوسرت الثالث».

آلهة بلاد «النوبة العليا» وتآليه «سنوسرت الثالث» — وكان فى كل من الحصنين معبد. وفى «سمنة» كان معبد الإله «ددون» وهو الإله المحلى لهذه الجهة وفى «قمة» معبد للإله «خنوم» معبود شلال «إسوان» «والفتين»، وفى هذين المعبدين احتفل بعيد عظيم ابتهاجاً بالانتصار على السود وكان يسمى «طررد السود»، وكان يحتفل بعده بعيد آخر يسمى «شد وثاق المتوحشين»، وفى خلاله كانت تقدم القرابين للملكة «مرسبجر» العظيمة زوجه الفرعون «سنوسرت الثالث» وهذه الأعياد قد بقيت ذكراها إلى أزمان بعيدة حتى أن «تحتمس الثالث» عندما أعاد

بناء معبد سلفه بعد مضي ثلثمائة وسبعين سنة تقريبا ، أحيا الاحتفال بها مع أعياد أخرى ؛ يضاف إلى ذلك أنه أله الملك « سنوسرت » وجعله ثالث آلهة الحدود التي أسسها ولا نستغرب أن يصدر هذا العمل الصالح من رجل عظيم مثل « تحتمس الثالث » الذي لم يحمل حقدا لأحد بخلاف « رععمسيس الثاني » الذي كان يفتصب كل شرف ليس له فيه أدنى نصيب ، ونجد في معبد « أمادا » ببلاد النوبة أن الفرعون « تحتمس الثالث » كان يتعبد للإله سنوسرت الثالث (Lower) Weigall, "Nubia", p. 104.) وفي معبد « إزريا » نراه كذلك يعبد ، ونرى « تحتمس الثالث » يتعبد إليه أيضا في « بوهن » (وادي حلفا) ، (MacIver and Wooley, "Buhen", p. p. 41, 42) ولم تكن عبادة « سنوسرت الثالث » فاصرة على الملوك بل تعدتهم إلى عامة الشعب إذ عثر على نقش في جهة « تشكه » شمالي « أبو سمبل » على إحدى الصخور المطلّة على النهر وهذا النقش يمثل منظر أسرة تتألف من رجل يدعى « سنبى » وزوجة وأولادهما وقد أحضروا قربانا لصورة « حورمام » الذي مثل جالسا ثم « سنوسرت الثالث » والإله « رشب » .

(Dunbar, "The Rock- pictures of Lower Nubia", p. p. 15, 16)

وتعدّ نقوش لوحة « سمحة » الثانية التي سجلت لنا حملة السنة السادسة عشرة من أهم النقوش التي وصلت إلينا من هذا العصر ، (L. D., II.136) ولا تنحصر أهميتها في أنها حدّدت لنا « التخوم المصرية في هذا العهد من جهة بلاد النوبة ، بل لأن جعلها المنمقة تذكرا بالخطب التي ذكرها « ديدور » ، والذي يقول عنها إنها كتبت على لوحة نقشها « سوزستريس » الخرافي تذكارا لفتوحه . وتعدّ هذه النقوش بحق من أهم ما تركه لنا قدماء المصريين في كل عصورهم ، إذ يتمثل لنا فيها قوة إرادة هذا الفرعون وشدة حرصه على مجد بلاده ، وإذ كاؤه نار الغيرة في نفوس أخلافه للحفاظ على فتوحاته ، والدفاع عن حدودها بالنفس والنفيس . وهالك ترجمتها حرفيا لتكون مثلا حيا لأبناء هذا الجيل من المصريين في وقت أحوج ما تكون فيه البلاد لمثل هذه العظات الخالدة .

نص لوحة الحدود الخالدة — في السنة السادسة عشرة في الشهر الثالث من الفصل الثاني ، عند ما مدّ جلالتة الحدود لغاية « حح » . (سمنة) . ” لقد جعلت تخوم بلادى أبعد مما وصل إليه أجدادى ، ولقد زدت في مساحة بلادى على ما ورثته ، وإني ملك يقول وينفذ ، وما يختلج في صدرى تفعله يدي ، وإني طموح إلى السيطرة ، وقوى لأحرز الفوز ، ولست بالرجل الذي يرضى له بالتقاعص عند ما يعتدى عليه ، أهاجم من يهاجمني حسب ما تقتضيه الأحوال ؛ وإن الرجل الذي يركن إلى الدعة بعد الهجوم عليه يقوى قلب العدو . والشجاعة هي مضاء العزيمة ، والجن هو التخاذل ، وإن من يرتدّ وهو على الحدود جبان حقاً ، ولما كان الأسود يحكم بكلمة تخرج من الفم ، فإن الجواب الحليم يردعه ، وعند ما يكون الإنسان ماضى العزيمة في وجهه (الأسود) فإنه يولى مدبراً ؛ أما إذا تخاذل أمامه فإنه يأخذ في مهاجمته ، على أن السود ليسوا بقوم أشداء ولكنهم فقراء كسبرو القلب ، ولقد رأهم جلاتي ، وإني لست بخاطي في تقديرى ، ولقد أسرت نساءهم ، وسقت رعاياهم ، واقتحمت آبارهم ، وذبحت ثيرانهم ، وحصدت زرعهم ؛ وأشعلت النار فيما تبقى منها ، وبحياتى وحياة والدى لم أنطق إلا صدقا ، دون أن تخرج من في فريه ، وكل ولد أنجبته ويحافظ على هذه الحدود التي وصل إليها جلاتي يكون ابني ، وولد جلاتي ، وأحفقه بنسبي ، وإن من يحافظ على تخوم الذي أنجبته ؛ يكون متقاً لأبيه حقاً ، أما من يتخلى عنها ، ولا يحارب دفاعاً عن سلامتها فليس ابني ولم يولد من ظهري ، والآن تأمل فإن جلاتي قد أمر بإقامة تمثال عند هذه الحدود التي وصل إليها جلاتي حتى تنبعث فيكم الشجاعة من أجلها ، وتحاربون للمحافظة عليها “ .

وهذا الروح الحربى نشاهده في الصور التي تنطق بها التماثيل العذة التي تركها لنا هذا البطل العظيم ، وبخاصة تلك التماثيل التي كشف عنها في ساحة معبد الملك « نب — حبت رع » بجوار الدير البحرى حيث أقامها لتكون تذكراً لسلفه العظيم وهذه التماثيل تصوّر لنا « سنوسرت الثالث » في أطوار حياته الثلاثة المختلفة

الشباب — الكهولة — الشيوخ وكلها موجودة الآن بالمتحف البريطاني .

Naville, 11 th. Dyn. Temple, Vol. I., Pl. XIX; Vol. II, Pl. II.

وتلمح في تمثال شيخوخته وجهها ينم عن القوة الساحقة والعظمة والكبرياء التي يمتاز بها عطاء الفاتحين .

ذكرى انتصارات « سنوسرت » في الأساطير وتسميته

« سوزستريس » — ولقد كان لانتصارات « سنوسرت الثالث » هذه في بلاد

النوبة أثر عظيم في تاريخها وعاش اسم « سنوسرت » محرفا باسم « سوزستريس »

ومن ذلك نشأت خرافة « هرودوت » عن « سوزستريس » إذ يقول لنا فيها .

« هذا الملك كان حينئذ هو الفرعون الوحيد الذي حكم « أثيوبيا » (بلاد النوبة) ،

وذلك طبيعا لا ينطبق على الواقع ، ولكن من جهة أخرى يظهر لنا مقدار تأثير

انتصارات « سنوسرت » في هذه البلاد . ولا نعلم إذا كان هذا الفرعون قد حرم

عبادة تمثاله الذي أقامه عند الحدود أم لا ، ولكننا نعرف أن هذا التحريم ، إذا

كان قد حدث فإنه نسخ بعد مدة قصيرة ، وأصبح « سنوسرت » يعد من بين

الآلهة الذين كانوا يعدون أربابا لبلاد النوبة ، وقد رأينا فيما سبق أن عبادته أصبحت

على قدم المساواة مع عبادة الإله « ددون » والإله « خنوم » في قلعة « سمنة »

في عهد « تحتمس الثالث » ، وما تولى « تاهرقا » الفرعون النوبي حكم البلاد بعد

انقضاء ألف ومائتي سنة من حكم « سنوسرت » ، أعاد معبد « سمنة » وعبادة

فاتح « النوبة » العظيم « سنوسرت الثالث » .

مارواه « هرودوت » عن فتوح « سنوسرت الثالث » — وكذلك يقص

علينا « هرودوت » في خرافة « سوزستريس » الخلابه ، كيف أن الكهنة أخبروه أن

« سوزستريس » كان أول ملك أقنع بسفنه الحربية من خليج العرب ، وقهر

الأمم التي تسكن على شاطئ البحر الأحمر ، ثم سار حتى وصل إلى بحر لا يمكن

السياحة فيه ، لأن ماءه كان ضحضا ، (Herodotus, Book II, par. 102) وما

عاد إلى مصر فيا بعد حسب ماترويه الكهنة ، جمع جيشا عظيما وسار به في القارة مخضعا كل أمة تعترضه في طريقه . وحينما كان يصادف قوما شجعانا متحمسين للدفاع عن حريتهم كان يقيم في بلادهم عمودا عليه نقوش تدل على اسمهم واسم بلادهم ، وكيف أنه تغلب عليهم بالقوة . وفي مكان آخر يقول إنه بعد أن ترك تذكارا أقل شأنا في البلاد التي كانت أقل شجاعة من السابقة ، عبر البحر إلى « أوربة » حيث قهر أهل « طراقية » وغيرها ، وهذا بلا نزاع حديث خرافة لأنه ليس هناك ملك مصري قد قام بأعمال عظيمة مثل التي تعزى في هذه الخرافة إلى « سوزستريس » ، ولكن الذي يلفت النظر هنا ، وربما كان فيه إشارة بعيدة إلى شيء من الصواب هو إقامة الأعمدة والنقوش التي عليها ، وهي التي تشير إلى شجاعة الأعداء الذين كان يحاربهم أو جنبهم ، فإن هذا القول ربما كان فيه تلميح بعيد يذكرنا بلوحة « سمنة » ، وما فيها من جمل الاحتقار والازدراء الموجهة إلى أعدائه السود .

آخر حملاته إلى « السودان » — ورغم هزائم « سنوسرت » المتتالية للسود فإنهم قاموا في وجهه كرة أخرى يظهر أنها كانت الأخيرة ، وكان قد مضى على إخضاعهم والخضد من شوكتهم ثلاث سنوات ، ولم تصلنا عن حملته الأخيرة معلومات شافية ، اللهم إلا نقشا لرئيس إدارة موظفيه الذي يدعى « سيسانت » وهي لوحة عثر عليها في « العرابة المدفونة » وهي الآن في متحف « جنيف » فيقول فيها : « حضرت إلى « العرابة » وبصحبتي كبير بيت المال « اخرونوفرت » لينحت (تمثالا) للإله « اوزير » رب « العرابة » عند ما كان ملك القطرين « خع كاورع » الحى المخلد سائرا اليهزم « الكوش » الخاسئين في السنة التاسعة عشرة » .

أثاره — ومن ذلك نرى أن بلاد « النوبة » قد نالت الكثير من اهتمامه ، وقد وجد اسمه منقوشا في « الفتين » « وسهل » « وأمادا » و « تشكة » وكل هذه الأماكن شمال الشلال الثاني . أما جنوبه فقد وجدنا اسمه كذلك على معبد أقيم تكريما له في « مارجرس » (J. E. A., (1916) p. 182. Mirgirsse) ويقع على الشاطئ الغربي من الشلال الثاني ،

ووجد اسمه على قطعة من لوحة في قلعة «جزيرة الملك» (J. E. A. (1916) p. 181.)
وتقع على مسافة أربعة أميال شمالي «سمنة» .

والآن نعود إلى ماجاء في خرافة «هردوت» عن «سوزستريس» .

حملة البحر الأحمر — قد يكون للإشارة إلى الحملة البحرية إلى البحر الأحمر، نصيب من الصحة بالنسبة للفرعون «سنوسرت الثالث» إذا اعتبرنا النقوش التي عثر عليها الأثرى «نافيل» في «تل بسطة» (ومن الأسف أنها مؤرخة وليس عليها اسم الملك الذي دونها) وفيها يصف حملة هزم فيها السود، ويشير فيها كذلك إلى بعض صعوبات بحرية عاقت السفن في السير نحو الجنوب لمشاهدة مرتفعات «حوا» ولكشف طرق الملاحة... غير أن المؤرخين قد اختلفوا في عصر هذه النقوش فيعزوها بعضهم إلى الأسرة الثانية عشرة ويعزوها البعض الآخر إلى الأسرة الثامنة عشرة . والفريق الآخر يظن أن ذلك يشير إلى حملة «أمنحوتب الثالث» في بلاد «النوبة» .

حملة في آسيا — أما إشارة «هردوت» لانتصارات «سوزستريس» في آسيا فليس لدينا إلا مرجع واحد وهي الحملة التي قام بها «سنوسرت الثالث» في فلسطين، وليس أمامنا عن هذه الحملة إلا وثيقة واحدة وهي لوحة «خوسبك»^(١) التي عثر عليها في العرابة المدفونة . وقد ذكر عليها أعماله العظيمة تحت قيادة سيده «سنوسرت الثالث» فيقول : «سار جلالته نحو الشمال ليهزم المنيو «الأسويين» وقد وصل جلالته عند مكان يدعى «سككم» ، وكان جلالته يسلك الطريق المثلث إلى القصر (له الحياة والسعادة والصحة) عندما سقطت «سككم» ومعها أهل «رتسو» الخاسئون ، وكنت وقتئذ أعمل حارساً ، وعندئذ اشتبك أتباع الجيش في حرب مع «الأسويين» ، فأسرت أسوياء وسلمت أسلحته إلى تابعين من أتباع

(1) Garstang, "El Arabah", Pl. V, p. p. 32, 33; Breasted, A. R. Vol. I, par. 676, f. f; Peet, "The Stele of Sebek-Khu," Manchester.

الجيش لأنى لم أول الأدبار فرارا من الحرب بل بقيت ووجهى إلى الأمام، ولم أول ظهري للأسويين، وإنى أقسم بحياة « سنوسرت » بأنى ماتكلمت إلا الصدق .
وعندئذ منحنى « سنوسرت » عصا من الذهب فى يدى ، وقوسا وخنجرا مذهبا هذا إلى أسلحة أسيرى .

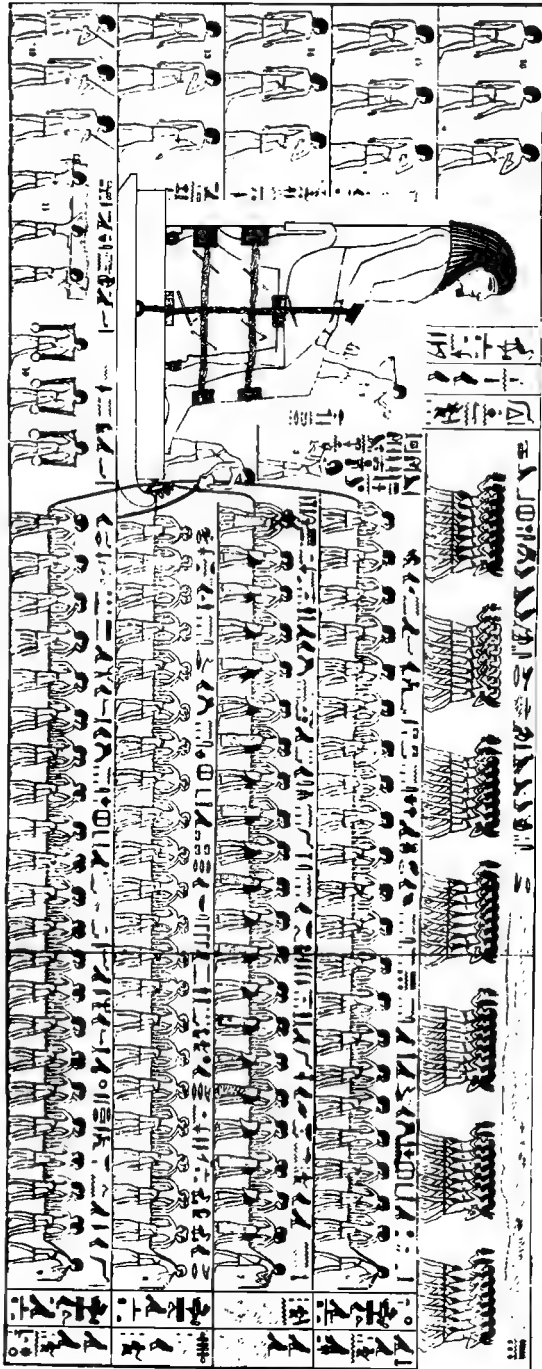
« خوسبك » يقص تاريخ حياته — وبعد أن قص علينا « خوسبك » أهم لحظة فى تاريخ حياته، أخذ يذكر لنا ألقابه وميلاده فى عهد « امنمحات الثانى » وعمله فى الجندية فيقول : ” ظهر جلالة ملك القطرين « خع كاورع » المرحوم لابسا التاج المزدوج على عرش « حور » ، وأمر جلالة أن أشتغل جنديا خلف جلالة وبالقرب منه ، ومعى ستة من رجال الحاشية ، من أجل ذلك كنت بجانبه على استعداد ، ثم أمر جلالة أن أعين حاجبا للفرعون ، ووردت ستين رجلا عند ماسار جلالة نحو الجنوب ليهزم رجال قبائل النوبة ، وهناك أسرت أسود فى ... بجوار المدينة التى كنت مرابطا فيها . وبعد ذلك اتجهت شمالا سائرا مع ستة من رجال الحاشية . ثم عىنى قائدا للأتباع وأعطانى مائة رجل مكافأة .

العلاقات بين مصر وآسيا — وهذه الحملة التى لم نعرف عنها تفاصيل شافية، هى فى الواقع المثل الوحيد الذى فيه تدخل المصرى فى الشؤون « السورية » خلال الأسرة الثانية عشرة . والظاهر أن العلاقة بين البلدين كانت علاقة مودة وصفاء كما توضح لنا ذلك الهدايا التى كانت تأتى إلى مصر من هذه الجهات فى عهد أسلاف « سنوسرت » وما نفهمه من روح قصة « سنوهيت » ، إذ نجد أن السوريين كانوا يحترمون المصريين احتراما عظيما ويمجبون بالحكم المصرى والعادات المصرية ، ويموز أنه كانت هناك رغم ذلك غزوات أخرى لم نثر على نصوص لها ، وربما تعدت حتى غزوات السلب والنهب كما سنشاهد بعد . ولم يكن عصر الحروب والفتوح العظيمة قد جاء بعد من جهة المصريين ، بل كان أول هجوم قصد به الاستعمار الواسع النطاق آتيا من جهة الأسويين الذين غزوا وادى النيل فى عهد الهكسوس .

ومن ذلك يتضح لنا أن الانتصارات العظيمة التي ينسبها « هر دوت » إلى « سوزستريس » لم تكن فتوحات واسعة النطاق ، وربما خلط المؤرخ اليوناني هذه الغزوة بالانتصارات العظيمة التي أحرزها « تحتمس الثالث » و « رع مسيس الثاني » فيما بعد ونسبوها كلها للـ « سوزستريس » « سنوسرت الثالث » .

ولا يفوتنا أن نذكر هنا حادثا من أهم الحوادث الدينية له علاقة بالحروب النوبية في عهد ذلك الفرعون . تلك هي اللوحة الخاصة بعبادة « أوزير » وما ذكر عليها من الشعائر الدينية التي كانت تقام له في هذه الفترة . وذلك أن « سنوسرت الثالث » استولى خلال حملته المؤرخة بالسنة التاسعة عشرة من حكمه على كميات عظيمة من الذهب من بلاد « النوبة » ، وقد اعترم أن يستعمل جزءا منه في ترميم مقبرة « أوزير » في « العرابة » ، وهذه المقبرة كما نعلم هي في الواقع مقبرة الملك « زر » أحد ملوك الأسرة الأولى ، وقد اختلط في ذلك العصر بباله الآخرة ، وقد عهد بهذا العمل إلى رئيس ماليته « أخنوفرت » ، وكان يساعده فيه رئيس إدارة الموظفين الذي تكلمنا عنه فيما سلف . Melanges Maspero, Vol. 11, p. p. 217, 219 . وقد ترك لنا كل منهما لوحة عنما قام به ، ولكن لوحة « أخنوفرت » تشمل على مادة لها أهمية عظيمة . وقد ذكر في لوحته الأمر الملكي ثم ذكر لنا بعد ذلك كيفية تنفيذه ؛ وسنشرح ذلك عند الكلام على الحالة الدينية في البلاد .

تمثال « تحوتى حتب » أمير مقاطعة « الأشمونين » — وأهم ما عثر عليه في نقوش هذا العصر خاصا بأحوال البلاد الداخلية هو المنظر المشهور في مقبرة « تحوتى حتب » ويمثل نقل تمثال ضخيم . والتمثال « لتحوتى حتب » نفسه الذي كان في ذلك الوقت حاكما لمقاطعة الأرنب وعاصمتها « نمنو » « الأشمونين » التي أطلق عليها اليونان « هرموبوليس » ، وتقع قبالة « البرشة » حيث يوجد قبور هذا الحاكم وأسرته . وهذا المنظر مألوف جدا غير أن ما ينتظمه من النقوش يدلنا على روح التعاون والألفة والحماسة التي تسود تنفيذ هذا العمل . وقد اهتم « تحوتى حتب » في نقوشه



== شکل رقم ۲۵ = نقل جمال الأمير و تحرق حطب »

بإظهار أن إقامة مثل هذا التمثال لم تكن بوحى منه هو ، بل كانت علامة عطف ملكى فيقول : ”إن قلوبهم فرحة عند ما يرون عطف الملك عليك“ ؛ لأن «سنوسرت الثالث» كان فرعوناً عظيم البطش إلى حد كبير لا يسمح لأى حاكم محلى بالحزبة التامة التى كان يتمتع بها حكام الأقاليم فى الدولة القديمة .

وإذا أغضينا النظر عن هذا التحفظ ، فإننا نلاحظ من المتن أن كل أهل المقاطعة كانوا على استعداد لتقديم يد المساعدة فى نقل التمثال العظيم فيقول لنا المتن : ”السير خلف تمثال طوله ثلاث عشرة ذراعاً من حجر حثنوب (المرمر) تأمل ! فإن الطريق التى سار عليها كانت وعرة أكثر مما يتصور . تأمل ! فإن جبال الأناث العظيمة كان صعباً على قلوب القوم . وذلك بسبب صعوبة أحجار الأرض ، لأنها أحجار صلبة ، وأمرت الشبان والأحداث من رجال الجيش ليشقوا طريقاً للتمثال ، ويساعدتهم فى ذلك جماعات من حفارى القبور ورجال المحاجر ، ومن المقدمين والمهرة “ . وقال الرجال الأشداء : ”أتينا لنحضره“ ، وكان قلبى فرحاً وقتئذ ، واجتمع أهل المدينة كلهم مظهرين الفرح . وكان النظر إلى هذا سائراً جداً أكثر من أى شئ . فكان الرجل المسن بينهم يرتكز على الطفل ومفتول الساعد ، والضعفاء زادت شجاعتهم ، وقويت أذرعهم حتى إن واحداً منهم كان فى ساعده قوة ألف رجل ... ما قاله الشباب الذين كان يسوقهم سيدهم الحاكم الوراى الذى ينعم برضاء الملك والسيد : ”دعنا نأت ، دعنا نفلح وأولاده من بعده ! إن قلوبنا فرحة بعطف الملك الذى يعيش مخلداً !“ ولا نزاع فى أن من نظر إلى هذا العمل فى ظاهره يظن أنه من أعمال السخرة ، وأنه كانت هناك مظالم ترتكب ، ولكن تدل الأحوال على أن روح العدالة كانت قد أخذت تظهر فى هذا العصر بصورة واضحة . ومن عاش فى مصر يرى أن مثل هذه الأعمال كانت ولا تزال تعمل بين الفرح والسرور والغناء رغم ما فيها من المتاعب .

اهتمام « سنوسرت الثالث » بمدينة « العراية » وإلهها « أوزير » — هذا ويدلنا على اهتمام « سنوسرت الثالث » الخاص بمدينة « العراية المدفونة » وإلهها

«أوزير» مانجده في النقش الذى خلفه لنا أحد رجال الدولة المسمى «سبكحتب» .
(British Museum, No. 256) وقد أُرِخ بالسنة السادسة من حكم هذا الفرعون
فاستمع لما يقول : ”لقد أمر جلالته بإرسال رسالته إلى أملاك التاج في «طينه»
لتنظيف المعابد، وأنه نفذ هذه الأوامر حتى أنها أصبحت مطهرة لقيام العيد
الشهرى ونظيفة لعيد نصف الشهر“ . وكذلك عثر على تمثال لهذا الفرعون في معبد
«العرابة المدفونة» (Petrie, Abydos, Vol. 11, Pl. XVII) ، ووجدت له صورة
في هذه الجهة أيضا . (Ibid, Vol. 111 Pl. XII. 4) .

مقبرة « سنوسرت الثالث » الثانية « بالعرابة المدفونة » ووصفها —
ولكن أهم حقيقة تابل على اهتمام «سنوسرت الثالث» «بالعرابة المدفونة» وإلهما،
هو إقامته مقبرة ثانية لنفسه في هذه البقعة في جهة الصحراء على مسافة بعيدة
جنوب الجبانة الملكية التى دفن فيها « أوزير ختى أمتى » كما كان الاعتقاد .
ففى هذه الجهة أقام لنفسه ضريحاً ، وربما كان الغرض منه أحد أمرين ، إما أنه
كان قبرا ليدفن فيه ، أو أنه كان مكاناً أعد لدفن « الكا » أو الروح ، حيث
كان يقدم له القربان . ونحن نعلم أن كثيراً من فراعنة مصر قد أقاموا لأنفسهم
مقبرتين غير أننا من جهة أخرى لا نعلم على وجه التحقيق الطريقة التى كانت
متبعة فى استعمالها ، وقد كشف كل من « بترى » و « ويمبول » عن مقبرة
« سنوسرت الثالث » فى العرابة ؛ (Petrie, Abydos, Vol. III, p. 11.) .
ولكنها وجدت منهوبة تماماً فى الأزمان القديمة . وهى عبارة عن نفق طويل
منحوت فى الصخر تحت سطح أرض الصحراء تنتهى بحجرة فيها تابوت من
الجرانيت الأحمر وصندوق لتوضع فيه أوانى الأحشاء ، وفوق ذلك على سطح
الأرض أقيمت ردهة مسورة تبلغ خمسمائة وعشرين قدماً طولاً فى مائتين وستة وتسعين
عرضاً ، وخارج هذا السور كانت توجد بعض مقابر الأشراف والأمراء ، وفى هذا
المكان قد أقيم بناء ضخيم عمل على شكل مقبرة . وقد ظهر أنه بناء كاذب أقيم ليخفى

باب النفق الحقيقي وليضلل اللصوص ، ويدخل في روعهم أن الباب الأصلي الذي يؤدي إلى حجرة الدفن حيث توجد الكنوز موجود هنا . وعلى بعد سبعة وخمسين ياردة من شرق مدخل هذه الردهة المسورة ، وحيث تلتقي الأراضي الزراعية بالصحراء أقام الفرعون معبدا جنازيا صغيرا لنفسه ، وقد عثر عليه الدكتور « مالك ايفر » ، والمفروض أنه أقيم لتقدم فيه القربان لروح الفرعون بعد موته .

(MacIver and Mace, "El Amrah and Abydos, Pl. XX)

هرم « سنوسرت الثالث » — وقد بنى هذا الفرعون لنفسه هرما من اللبن ، وكساه أحجارا ، ويقع في دهشور شمالي « اللشت » أى في « اللاهون » ، وسماه « حتب » (أى سلام) ، ويمتاز بتصميم حجرة الدفن فيه ، فقد وضع مدخلها بعيدا عن بناء الهرم في الجهة الغربية ، كما كان لها مدخل آخر في الجهة الشرقية يؤدي إلى قاعة تحترق مقبرة إحدى الملكات وثلاث أميرات حتى يصل الإنسان إلى هذه الحجرة ، وهذه طريقة مبتكرة فريدة في بابها في هذا العصر ، وقد كشف عن هذه الحجرة « دى مرجان » .

(De Morgan, "Fouilles à Dahchour", Vol. II. p. 87).

مقابر الملكة والأميرات — وقد وجد بالقرب من هذا الهرم مدافن الملكة « نفرت هنت » والأميرات « منت (Ment) » و « ستسنب (Sent-seneb) » و « مريت » و « سات حتتحور » ، ويحتمل أن الأخيرة هي أخت الفرعون . أما الثلاث الأخر فهن بناته .

وقد وجد اسم « ستسنب » على تابوتها المتحوت من الحجر الجيري الأبيض .
مجوهرات الأميرة « سات حتتحور » — وقد عثر على مجوهرات الأميرة « سات حتتحور » في مخبأ في رقعة حجرة الدفن ، وقد نقش على صدرتها اسم « سنوسرت الثاني » . على حين أنه وجد لها جعران عليه اسم « سنوسرت الثالث » ؛ ومن ثم يحتمل أنها كانت بنت الأول وأخت الثاني . وهذه المجوهرات كثر لا يضارعه في دقة الصنع إلا ما وجد في « اللاهون » .

وهذه الصدرية التي وجدت معها مصوغة من الذهب ومرصعة بشغل دقيق من حجر الكرنالين، وعجينة مطلية بالأزرق الفاتح والقاتم، وتصميم رسم هذه الصدرية يشبه تصميم صدرية « نفرت » زوجة والدها . هذا وقد زينت الصدرية بطفراء الفرعون « سنوسرت الثاني » ونقش عليها « حتب ترو » أى سلام الآلهة . وتستند هذه الطفراء من كلا جانبيها على صقروضع أسفله علامة «نب» (سيد) ، ومن خلفها قرص الشمس والصل . وقد وجد مع هذه الصدرية أساور وعقود من الذهب ، و (دلالات) في صور أسود، ومخالب أسود من الذهب ، وسلوك من الخرز المصنوع من الذهب والأمتست (الجمشت)، ورغم أن الملكة « نفرهنت » وجدت مدفونة في «دهشور» ، فإنها لم تكن بالملكة المتوجة؛ إذ تدل النقوش على أنه كانت توجد سيدة أخرى تدعى «مرسجر» تحمل لقب الملكة، وبخاصة في خلال الحروب التي قام بها هذا الفرعون ضد «النوبة» ؛ وذلك لأنه في معبد «سمنه» قد ترك لنا «تحتمس الثالث» نقشا يشير إلى عيد سنوى يسمى «عيد شذوثاق المتوحشين» . وهو العيد الذى أسسه « سنوسرت الثالث » تكريما للزوجة الملكية العظيمة « مرسجر » . وقد ذكر كذلك اسم زوجة أخرى غير أنها لم تحمل لقب عظيمة ، وقد وجد اسمها محوًا ويحتمل أنها « نفرهنت » . يضاف إلى ذلك أن اسم الملكة « مرسجر » قد ذكر كذلك على نقش موجود الآن بالمتحف البريطانى (No. 846)

مبانى « سنوسرت الثالث » وبعوثة لقطع الأحجار — وقد أقام هذا الفرعون عدة مبان فى جهات القطر، كما أرسل البعوث لقطع الأحجار فى « وادى الحمامات » وغيرها لمآثره .

فقد خلف لنا موظف اسمه « خنى » نقوشا فى محاجر « وادى الحمامات » فى الصحراء الشرقية مؤرخة بالسنة الرابعة عشرة من حكم هذا الفرعون فى اليوم السادس عشر من الشهر الرابع الفصل الأول؛ وهذه الوثيقة هى : "أمرنى جلالته

أن أذهب إلى « وادى الحمامات » لأحضر قطعاً جميلة من البازلت الأسود لعمل أثر أمر جلالته بإقامته للإله « حشف » سيد « إهناسيه المدينة »

وقد أرسلنى بوصفى مديراً للأشغال ، لأنى كنت رجلاً محبوباً ، وقائداً يوثق فيه ، إذ قد أخضعت له قبائل الصحراء الشرقية الأربعة باستمرار ، كما أحضرت له المحصولات الطبية التى تنتجها لوبيا (الصحراء الغربية) ، وذلك بفضل شهرة جلالته .
(Cuyat and Montet, "Hammamat", 47.)

وهذا النقش يدل على أن « سنوسرت الثالث » كان قد أرسل من قبل جنوده إلى واحات صحراء لوبيا — ومن ثم نرى أن هذا الفرعون النشط قد ساق جيوشه إلى كل حدود بلاده — إذ انقض على بلاد السودان وتخطى حدودها الشمالية الشرقية مخترباً الصحراء إلى حدود « سوريا » ، وسار بجنوده على ساحل البحر الأحمر حتى بلاد « الصومال » (أى بلاد « بنت ») .

ولدينا أدلة على أنه قد استخرج المعادن من شبه جزيرة « سيناء » ، إذ قد عثر على لوحة وتمثال صغير فى « سراية الخادم » باسم هذا الفرعون .

(Gardiner and Peet, "Sinai", p. p. 81, 82)

وقد كان يستعمل قطع الأحجار المستخرجة من « وادى الحمامات » لبناء معبد « إهناسيه المدينة » كما ذكر من قبل . وقد عثر « بترى » على قطع من معبد هذا الفرعون فى « إهناسيه المدينة » .

(Petrie, "Ehnasya", Pls. XI, XIII, XIV; A. S. Vol., XVIII, p. 35)

وكذلك أقام معابد كثيرة فى مدن أخرى ، أو أصلح ما كان قد تهدم من المعابد القديمة . ففى « ثوان » « تانيس » الواقعة فى شمالى الدلتا عثر على أجزاء من تماثيل
(Petrie, "Tanis" 1, II. 67)

ووجد فى « الخطاطبة » (A. Z., Vol. XXIII, p. 12) التى تقع فى هذه الجهة أيضاً جزء باب من الجرانيت الأحمر (A. Z., ibid) . وعثر فى « تل المقدم » الواقعة فى مركز « ميت غمر » على قاعدة تماثيل .

(Naville, "Ahnas", p. 29, Pls. IV, XII)

وفي « تل بسطة » عثر على قطع كبيرة تحمل اسمه من بينها قطع مؤرخة .
(Naville, "Bubastis", Pls. XXXIII, XXXIX)
وفي « طيبة » بالوجه القبلى خلف لنا هذا الفرعون كثيرا من الآثار التى تدل
على نشاطه ، ففي معبد « الكرنك » عثر على تماثيل ضخمين من الجرانيت الأحمر ، وكذلك
عثر على قطع أخرى . (Legrain, "Statues", Nos. 42011, 42012, 42013)
ويوجد فى المتحف المصرى مذبح عثر عليه فى « الأقصر » . وأقام هذا الفرعون كذلك
عدة تماثيل لنفسه فى معبد الأسرة الحادية عشرة « بالدير البحرى » . (Naville, "Temple",
Vol. I, Pl. XIX; Vol. II, Pl. II.) ومن هذه ثلاثة فى « المتحف البريطانى » الآن .
(British Museum, Nos. 158, 159, 160)

وعثر على قاعدة تمثال له فى خرائب معبد « الجبلين » على مسافة بضعة أميال من
« طيبة » وهى موجودة الآن « بالمتحف المصرى » .

على أنه توجد آثار أخرى كثيرة وجد اسم هذا الفرعون منقوشا عليها فى جهات
متفرقة ، فعثر فى « الرقة » على حلية من الذهب فى صورة صدفة . ويوجد له فى متحف
« نيويورك » تمثال (Engelbach, "Riqqeh and Memphis" Pl. 1; M. M. A. June 1920)
« بو الهول » منحوتا من حجر الديوريت .

وفي « متحف القاهرة » يوجد هاون عليه اسمه (Cat. 18735) وحى من « فقط »
بلوحة منقوش عليها اسمه ، (Lange and Schafer, "Grab und Denkstein", 20702)
ولكن يحتمل أنها من تاريخ متأخر . يضاف إلى ذلك عدة أحجار لمقابر أفراد نقش
عليها اسم هذا الفرعون فى أوائلها . (Birch, "Alnwick Catalogue" 270, Pl. V.)
وكذلك توجد عدة أسطوانات وجمارين كتب عليها اسمه . (Petrie, "Scarabs",
12, 5, 14—16; ibid, 12, 5, 1—13)

إشراك « سنوسرت الثالث » ابنه « أمنمحات الثالث » فى الحكم —
وفى آخر أيام حكمه الذى استمر ثمانية وثلاثين عاما أشرك « سنوسرت الثالث »
ابنه « أمنمحات الثالث » فى حكم البلاد متبعا فى ذلك العادة الحازمة التى سنها له

آبائهم من قبل ، ويظهر أن مدة اشتراك ابنه في الحكم كانت قصيرة ، لأننا نشك أن رجلا في قوة « سنوسرت » ومضاء عزيمته كان يميل إلى تقسيم سلطته . إذ في عهده لم نسمع كثيرا عن حكام الإقطاعات . والظاهر أنه قضى عليهم قضاء مبرما ومحا كل سلطان لهم ، حتى أصبح خلفه من بعده يتسلط على البلاد من أقصاها لأقصاها ، وصار المسيطر الإلهي عليها كما كان الحال في عهد « خوفو » و « خفرع » .

وفاة « سنوسرت الثالث » وقد استه في نفوس شعبه — ولما مات انتهى حكم ملك قوى البأس مهيب الجانب ، فإذا ما قيس عهده بما ناله من شرف مكانة وعظمة جاه في نفوس الناس مدة حياته وبعد مماته بأجيال عديدة ، فإنه بلا نزاع يعد من أنغر العصور وأمجدها في التاريخ المصري ، ذلك العصر الذي وضع فيه أساس بناء الإمبراطورية المصرية المستقبلية . ولا غرابة إذا في أن نرى الأثر العميق الذي تركه نشاط « سنوسرت » الذي لا يعرف الملل ، في نفوس شعبه . وقد تمثل هذا في القصيدة التي كتبت تخليدا لذكركه ؛ وقد عثر عليها بين أوراق « كاهون » « اللاهون » ، وهي تدل على ما كان لهذا الفرعون من المكانة المقدسة في نفوس شعبه فاستمع إليها :

الأنشودة الأولى

الثناء لك يا « خع كاورع » ! يا « حور » ، يا صقرنا المقدس الوجود .
الذي يحمي الأرض ويمد حدودها .
الذي يقهر البلاد الأجنبية بتاجه .
الذي يضم الأرضين (مصر) بين ذراعيه .
والذي (يمسك) الأراضي الأجنبية بقبضته .
والذي يذبح رماة السهم من غير ضربة عصا .
والذي يقوى سهمه دون أن يشد خيط القوس .

- والخوف منه قد أخضع « الأنو » في بلادهم .
- والرعب منه قد ذبح قبائل « البدو التسع » (أعداء مصر) .
- وسكنه قد أمات الألوف من رماة السهام .
- وذلك قبل أن تطأ أقدامهم حدوده .
- وهو الذى يفوق السهم كالإلهة « سخمت » .
- حينما يهزم الآلاف ممن لم يعرفوا بطشه .
- وإن لسان جلalte هو الذى يحكم « النوبة » .
- ونطقه هو الذى يجعل البدو يولون الأدبار .
- والواحد الفريد، ذو القوة الفتية، الذى يذود عن حدوده .
- ومن لا يجعل شعبه يدب فيه الوهن .
- بل يجعل الناس ينامون فى أمان إلى طلوع الفجر .
- وشباب جنوده ينامون لأن قلبه هو المدافع عنهم .
- وأوامره قد أقامت حدوده .

الأنشودة الثانية

- ما أعظم اغتباط الآلهة ! قد جعلت قرايبنهم ثابتة .
- وما أعظم اغتباط أراضيك ! وقد ثبت حدودها .
- وما أعظم اغتباط آبائك ! فقد زدت فى أنصبتهم .
- وما أعظم اغتباط مصر بقوتك ! فقد حمت النظام القديم .
- وما أعظم اغتباط الشعب بحكومتك ! فقد قمت السلب، وقوتك قد استولت ...
- وما أعظم اغتباط الأرضين بشدة بأسك ! فقد وسعت ممتلكاتها .
- وما أعظم اغتباط مجنديك ! فقد جعلتهم سعداء .
- وما أعظم اغتباط مسنيك ! فقد جددت شبابهم .

وما أعظم اغتباط الأرضين بقوّتك ! فقد حيت جدرانها .
[وبعد ذلك تأتي الديباجة] : ” إنه « حور » الذى يمدّ حدوده ،
لينك تعيد الأبدية “ .
ومما لاشك فيه أن ذلك كان حذاء .

الأنشودة الثالثة

ما أعظم سيد مدينته ! فهو يعدل ألف ألف ، وآلاف آخرين وليسوا هم جميعهم
إلا قليلا (بالنسبة إليه) .
ما أعظم سيد مدينته ! فهو سدّ حاجز للنهر يمنع الفيضان .
ما أعظم سيد مدينته ! فهو حجرة رطبة توحى النوم لكل الناس حتى مطلع الفجر .
ما أعظم سيد مدينته ! فهو مأوى لا ترتعد يده .
ما أعظم سيد مدينته ! فهو محراب ينجى الخائف من عدوّه .
ما أعظم سيد مدينته ! فهو ظل ظليل منعش فى الصيف .
ما أعظم سيد مدينته ! فهو ركن دافئ وجاف فى وقت الشتاء .
ما أعظم سيد مدينته ! فهو تل يحى من الزوبعة عند ما تكون السماء نائرة .
ما أعظم سيد مدينته ! فهو كالإلهة « سخمت » لأعدائه الذين تطأ أقدامهم
حدوده .

الأنشودة الرابعة

لقد جاء إلينا ليتولى أمر مصر العليا ، وقد وضع التاج المزدوج على رأسه .
لقد جاء إلينا ووحد الأرضين ، وضم البوصة إلى النحلة [رمز الوجهين
القبلى والبحرى] .
لقد جاء إلينا وجعل الأرض السوداء تحت سلطانه ، وضم إليه الأرض الحمراء
[الصحراء] .

لقد جاء إلينا وأخذ الأرضين تحت حمايته، ومنع الأرضين السلام .
لقد جاء إلينا وجعل أهل مصر يحيون، وعما آلامهم .
لقد جاء إلينا وجعل الشعب يعيش؛ وجعل حناجر الرعية تنفّس .
لقد جاء إلينا ووطئ بقدمه الممالك الأجنبية، فضرب على أيد « الأنو » الذين
لم يعرفوا الخوف منه .

لقد جاء إلينا وحى حدوده، وخلص من كان قد سرق .
لقد جاء إلينا ... واحترم المسن بما جلبته إلينا قوته .

[بيت مهتم]

لقد جاء إلينا وساعدنا على تربية أولادنا وعلى دفن المسنين منا .

الأنشودة الخامسة

[وهي خاصة بالآلهة ويمكن الإنسان أن يستخلص منها] :

أنت تحب « خع كاورع » الذى يعيش إلى أبد الآبدين ... فهو يوزع نصيبك
من الغذاء ... راعينا الذى يمكنه أن يمنع النفس ... وأنت تجزيه عليها
في حياة وسعادة مرات يخطئها العذ .

الأنشودة السادسة

ثناء « نخع كاورع » الذى يعيش أبد الآبدين ... حينما أسبح في السفينة ...
عجلة بالذهب ...



أمنمحات الثالث

١٨٤٩ - ١٨٠١ ق م .

تولى « أمنمحات الثالث » عرش الملك بعد وفاة « سنوسرت الثالث » الفاتح العظيم ، واتخذ لنفسه لقب « نيماعت رع » (أى صاحب عدل إله الشمس) .
ويحتمل أن تكون هذه التسمية قد حرفت وأخذ منها الاسم الذى أطلقه عليه مؤرخو « اليونان » وهو « لمارس » أو « لبارس » الخ كما سيأتى بعد .



شكل ٢٤

الملك « حور » بن « أمنمحات الثالث »

ويعتبر « أمنمحات الثالث » فى نظر التاريخ من أعظم فراعنة مصر وأقدرهم ، فقد كان حكمه الطويل الذى دام نحو ثمانية وأربعين عاما عصر هدوء وسكينة

ومشاريع عظيمة ، وأعمال جليلة حيوية اجتماعية بقدر ما كان عصر والده « سنوسرت الثالث » عصر حروب وغزوات وتوسيع في رقعة البلاد .

والظاهر أنه أشرك معه في الحكم أميرا يسمى « حور »^(١) ، إلا أنه مات قبله وبذلك يكون قد حكم البلاد منفردا أكثر من أى فرعون آخر قبله في هذه الأسرة بقوة وحزم واتساع أفق ، مما خلد أعماله العظيمة على تماقب الأجيال .

والباحث فيما قام به من أعمال يجد أنها كانت للإصلاحات الداخلية من حيث الزراعة والتعمير الدينى والدني . وسنتناول البحث أولا في بعوثة التي أرسلها لطلب المعادن والأحجار وما قام به من مبان وفتوح ، ثم نتكلم عن مشروعاته الزراعية وما أفاضت على البلاد من فائدة ، وأخيرا نتناول بالبحث مبانيه الدينية وهرمه الذى دفن فيه ، ثم نتكلم عن أخلاقه واتصالها بالفتى في عصره .

فتوحه — إن مالدينا من الوثائق يؤكد لنا أن هذا الفرعون قد قام في وقت ما بجولة عظيمة إلى بلاد السودان ، غير أنه لم تصلنا حقائق صريحة عنها ، وقد وجدت آثار لهذا الفرعون في « كرمه » عند الشلال الثالث ، وهى آخر الحدود التى كان يسيطر عليها حاكم السودان « زفاى حبي » في عهد « سنوسرت الأول » ، (Reisner, "Kerma", II, p. 512) ومن بين هذه النقوش لوحة مؤرخة بالسنة الثالثة والثلاثين اليوم الأول من الشهر الأول الفصل الثالث . وقد سجل في هذا النقش أنه قد تم بناء أقامه مدير اسمه « انتف » وقد استعمل في بنائه ٣٥ ٣٠٠ لينة .

بعوثة إلى شبه جزيرة « سيناء » — وقد كان أهم نشاط لهذا الفرعون في استخراج المعادن منجها إلى شبه جزيرة « سيناء » التى كان يعتبرها جزءا من مصر ، وقد عثر فيها

(١) هذا هو الرأى الذى أورده الأستاذ « ارمان » غير أن هناك رأيا آخر يقول إنه أحد ملوك

الأسرة الثالثة عشرة . راجع :

A. Z. Vol. 33 (1895) p. p. 142. 143; Weill, "La Fin du Moyen Empire Egyptien" , p. 477).

على نقوش تحمل اسمه، تدل على أنه كان يستغلها بدرجة عظيمة في كثير من سنى حكمه، فأرسل البعوث في السنة الثانية، والرابعة، والخامسة، والسادسة، والثامنة، والحادية عشرة، والثالثة عشرة، والخامسة عشرة، والثامنة عشرة، والعشرين، والثالثة والعشرين، والخامسة والعشرين، والسابعة والعشرين والتاسعة والعشرين، والثلاثين، والحادية والثلاثين، والثامنة والثلاثين، والأربعين، والحادية والأربعين، والثانية والأربعين، والثالثة والأربعين، والرابعة والأربعين، والخامسة والأربعين من سنى حكمه. (Gardiner and Peet, Sinai) فمن ذلك يتضح أنه أرسل إلى هذه الجهة نحو أربعة وعشرين بعثة للتعدين وقطع الأحجار .

وأقدم هذه النقوش هي التي دونها رئيس الخزانة المسمى « خنمسو » (Petrie, "Sinai", 94) الذي يقول : إنه أرسل في السنة الثانية من حكم «أممنحات الثالث» إلى «سينا» ليحضر حجر الدهنج أو الفيروز والنحاس، وكان عدد جنوده سبعة وأربعة وثلاثين، وترك لنا لوحة في «وادي مغارة» . هذا إلى أنه اشتغل كذلك في سراية الخادم حيث ترك لنا جنوده رسما يمثل الفرعون أمام الإلهة «حتحور» ربة بلاد الدهنج (أوالفيروز) (L. D. II, Pl. 137 a) .

وعثر على نقوش لأحد موظفي المالية ورئيس الصيادين اسمه «حورنخت» الذي كان لابد مع البعثة السالفة لأن نقوشه مؤرخة بنفس السنة، والظاهر أن البعثة كانت قد اتخذت طريق البحر إلى هذه المناجم بدلا من طريق الصحراء الطويل المتعب . وقد جاء في هذه النقوش: المنتخب أمام رعاياه والذي يسهر في سبيل المنعم عليه يقول: "لقد سرت بطريق البحر حاملا التحف بأمر «حور» رب القصر (الفرعون)" . ومن المحتمل أن «حورنخت» كان مكلفا بحمل هذه القوايين إلى معبد الإلهة «حتحور» مما حدا به إلى كتابة هذا النقش (Breasted, A. R. Vol. I, par. 717—718)

بعثة «سبك حرحب» لافتتاح منجم في «سراية الخادم» — وفي السنة الرابعة والأربعين من حكم هذا الفرعون أرسل «سبك حرحب» ليفتح منجما

جديدا في « سرابة الخادم » وكان يلقب رئيس المستخدمين (أى هيئة البعثة) ،
(Breasted, ibid, par. 725—727) .

وقد ترك لنا نقشا جاء فيه افتتاح مكان للتعدين بنجاح واسم المنجم ” يفلح جيشها
الذى يقدم ما فيه “ . في السنة الرابعة والأربعين من حكم ملك الوجهين القبلى
والبحرى « أمتحات الثالث »
محبوب « حتحور » سيدة الفيروز معطى الحياة مثل « رع » أبدا . أتم يامن
يعيشون على الأرض ، ويامن سيأتون إلى أرض المنجم هذه ؛ كما أن ملككم قد بتمكم ،
وكما أن آلهكم يحبونكم لأجل أن تصلوا إلى « وطنكم » في أمان فعليكم أن تقولوا :
” ألف رغيف ، وآنية من جعة ، وماشية وطير ، وبنجور وعطور ، وكل شئ يعيش
منه الإله لروح مدير هيئة المستخدمين للخرانة المسمى « سبك حرحب » عاش ثانية
سعيدا معيدا حياة هنيئة “ ، ووالدته هى السيدة « حنتوت » المرحومة ، وهو الذى
يقول : ” لقد حفرت حجرة للتعدين لسيدى ، وعاد شبابى ، (جنودى) جميعهم
دون خسارة ، ولم يمت منهم واحد “ . وقد عزز رئيس البعثة نجاحه إلى سيدة الفيروز
الإلهة « حتحور » التى كان يبتغى عطفها ورضاها ولذلك يقول :

” لقد أحضرت لها موائد قربان وكان — وقدمت لها قربانا إلهيا ، وقد قادتنى
بعطفها إلى داخل المنجم الذى حفرت لها ؛ وإنى أقسم أنى أقول الصدق “ .

نقوش طريفة لبعض الموظفين الذين ذهبوا إلى هذه المناجم —
ومن طريف النقوش التى عثر عليها لبعض الموظفين الذين أتوا إلى هذه المناجم
النائية ، التحذيرات التى تركوها لمن سيأتى فى المستقبل طالين منهم أن يترحموا على
أرواحهم . فمثلا جاء فى إحدى هذه النقوش : ” ليتته يكون محبوبا ويصل (إلى
بلاده) سالما ، من سيقول : ” صلاة من أجل روح حامل الختم « سبك حتب »
محبوب الإلهة « حتحور » سيدة بلاد الدهنج « أو الفيروز » ولحارس المخزن « ياتو »
ورئيس قصر الفرعون « سنب نفى » وللعشرين حجارا الذين معهم “ .

وفي نقوش أخرى نقرأ : "لبت الإله «بتاح» المنفى والإلهة «حتحور»
سيدة بلاد «الفيروز» يجبان من سيقول : "صلاة من أجل روح حامل الختم
«سنوسرت»".

بعثة سبك حرحب والتحامه مع البدو الأسويين — ولدينا نقش آخر
تركه لنا موظف مالى اسمه «سبك حرحب» السالف الذكر يقول فيه :

"أنتم يا أشراف الملك وعظماء القصر ، قدموا المديح للملك ، ونغموا شهرته ،
وامدحوا الملك ، وحافظوا على ما هو له ، لأن الجبال تقدم ما في جوفها له ، والتلال تقدم
ثروتها ، أنتم يا من يعيشون على الأرض ومن سيأتون الى مراكز التعدين هذه .

فكما أن الملك قد وطنكم والآلهة حفظتكم حتى تصلوا إلى وطنكم سالمين ،
فقولوا «دعاء» لأجل ألف قربان لروح رئيس المالبة «سبك حرحب» .

وقد ترك لنا حامل الختم الإلهي (أى الملكي) المسمى «بتاح ور»^(١) في السنة
الخامسة والأربعين من حكمه ، نقشا يقول فيه : "كنت امراً مرسلًا لإحضار
موارد عدة من بلاد ... وكنت ماهراً في عمل تقاريري لسيدي ، وأخضعت بلاد
الأسويين لمن في القصر (أى الفرعون) ، وجعلت «سينا» تركع تحت قدميه ،
واخترقت الوديان الوعرة ، ووصلت إلى التخوم المجهولة (من العالم) ، أنا رئيس
هيئة المستخدمين وحامل الخاتم" . المظفر الذى وضعته أمه «ياتا» .

ومن هذا النقش نعلم أن هذا الموظف قد التحم في أحد بعوثه مع قبائل البدو
والأسويين ؛ وكذلك أخضع ثورة كانت في شبه جزيرة «سينا» .

وهذه النقوش قد بلغ عددها ما يقرب من الستين ، منها لوحات قائمة بذاتها ،
ومنها نقوش مدونة على الصخور . وكذلك وجدت له موائد قرايين وأجزاء من نقوش

(1) Gardiner and Peet, "Sinai", Pls. 18, 33, 36; Breasted, A. R.
Vol. I, par. 728.

معايد . وقد وجدت هذه النقوش مبثرة في أنحاء شبه الجزيرة، فوجدت بعضها في «وادي مغارة»، وبعضها الآخر في «سراية الخادم» ومعبدها . والعدد الأكبر منها لوحات تذكارية للحمالات والرجال الذين قاموا بها .

أهم لوحة في «سينا» من عصر «أمنمحات الثالث» — على أن أهم نقش عثر عليه من هذا العصر في «سينا» لم يذكر عليه اسم الفرعون الذي نقش في عهده ولكن الآراء متفقة على أنه دؤن في عهد «أمنمحات الثالث» . وقد حفر هذا المتن على لوحة حفظت لنا حتى الآن وقد جاء فيها ما يأتي :

المصاعب التي لاقاها «حور وررع» في استخراج الفيروز في فصل القيظ — أرسل جلالة الملك حامل الختم الإلهي (أى الملكى)، ومدير هيئة جماعة المستخدمين (في الحملة)، ومدير الصنائع (؟) المسمى «حور وررع» إلى أرض المعادن هذه، وقد وصلت إلى هذه الأرض في الشهر الثالث من الفصل الثانى، وإن لم يكن الوقت مناسباً للذهاب إلى أرض هذه المناجم .
(Breasted, ibid, par. 733 f. f.)

وقد قال حامل الختم الإلهي هذا لموظفيه الذين كانوا سينجئون لأرض المعادن هذه في هذا الفصل (أى فصل القيظ) : «لاتجمعلوا وجوهكم بتئس بسبب ذلك، واعلموا أن «حتحور» ستجعل ذلك خيراً، ولقد نظرت لنفسى وردعتها، وعند ما حضرت من مصر تخاذلت، وكان الأمر صعباً على، لأن الصحراء شديدة القيظ، والصخور تكوى الجلود، وعند انقلاق الفجرياتع الإنسان (لشدة الحر)». ثم بعد ذلك يصف لنا كيف أنه أغرى رجاله على المضى معه بقوله لهم : إنهم ذوو حظوة لدى الملك فأرسلهم لذلك إلى «سينا» في هذا القيظ الشديد فيقول : «ما أعظم حظوة الرجل الذى يكون فى أرض المناجم هذه !» . وقد كان جواب العمال مفتحاً ينطوى على التهكم والسخرية إذ أجابوه قائلين :

«حقاً إن حجر الدهنج (والفيروز) لفى هذه التلال الخالدة، ولكن من الحق أن يبحث عنه فى هذا الفصل من السنة ؛ وإنه لمن الشطط أن يبحث عنه فى هذا

الفصل المحرق^(١). ولكن رغم هذا التقرير الذى كاله العمال «لحور وررع»، فانه كان واضعا نصب عينيه الأمر الملكى الذى بعث من أجله مما شجعه على المضى فى عمله ، وبعث فيه روحا قويا يشجعه على السعى للحصول على ما جاء من أجله فيقول : ”وعندما أرسلت لأرض المناجم هذه وضعت أرواح الملك هذه المهمة فى قلبى ، وبعد ذلك وصلت إلى تلك الأرض وأخذت فى العمل بنجاح ، وقد وصل جيشى كاملا ولم يسقط واحد منهم ، ولم يتخاذل وجهى أمام العمل“ . والواقع أن الحظ لا يواتى الرجل الذى يتخاذل أمام الصعاب ، ولذلك فإن بطلنا حامل الخاتم الإلهى مضى قدما فى عمله حتى عثر على ضالته المشوذة فى الوقت الذى ينخصص لمثل هذه البعثة فيقول : ”لقد أفلحت فى استخراج صنف جيد من الدهنج أو الفيروز ، وانتهيت فى الشهر الأول من الفصل الثالث ، وحملت معى أحجارا من الطراز الأول لتكون تحفا بكية لم يظفر بمثلها أحد قبلى ، هذا فضلا عن أنها أجود مما لو حضرت فى الفصل المعتاد (من السنة لاستخراجها) .

ومن الطبيعى أن ينسب «حور وررع» نجاحه إلى سيدة الفيروز «حتحور» ، فإنها الإلهة المحلية لهذه الجهة . وقد نصح غيره أن يتضرعوا إليها إذا أرادوا نجاحا ، ”قربوا قربانا حينئذ إلى ربة السماء ، واستعطفوا «حتحور» ، فإذا فعلتم ذلك كان فيه الخير لكم ، وإذا أحسستم معاملتها سارت الأمور سيرا حسنا معكم“ . وبعد ذلك يصف لنا نصيبه من الفخار فى نجاح البعثة ، ذا كراما له من الصفات الحسنة كما هى عادة كل مصرى فى هذا العصر وما قبله :

”لقد قدت جيشى بشفقة زائدة ، ولم أنهر عمالى ، وكنت مثال الرأفة مع جنودى كلهم ، وكان اعتقادهم فى عظيما“ . ولا شك فى أن موقف «حور وررع» يختم عليه أن يتصف بهذه الصفات ، لأن الرجل الذى يستطيع أن يستعمل مثل هؤلاء العمال والجنود فى مثل هذا الفصل اللاغ الحز من السنة لقمين أن يتصف

(١) راجع معنى هذا اللقب فى البحث الذى كتبه «بير» فى (Melanges Maspero, I, p. 180)

بهذه الأخلاق النبيلة . وأكبر دليل على أهمية هذه المحاجر في عهد « أمنمحات الثالث » ما قام به من الإصلاحات في معبد العمال « بمرابة الخادم » ، وقد عثر فيه على آثار تدل على أنه كان قائما في هذه الجهة منذ الفرعون « سنفر » ، وقد زاد « أمنمحات » في بنائه ومدّه بموائد القربان وأضاف فيه رواقا ، وحذا حذوه خلفه « أمنمحات الرابع » (Historical Studies, p. 11)

نشاط « أمنمحات الثالث » في « وادي الحمامات » — أما عن نشاط هذا الفرعون في « وادي الحمامات » فقد أشرنا إلى نقش الموظف « سنوسرت » وحملته التي قام بها لقطع أحجار تماثيل الملك العشرة ، وكذلك أشير إلى هذه الحملة في نقش آخر يمتاز بما يقدم لنا من المعلومات عن عدد العمال الذين كانوا يستعملون لقطع الأحجار اللازمة للتماثيل فيقول : عشرون من جنود الجبانة ، وثلاثون بحارا وثلاثون بحارا . هذا بالإضافة إلى جيش عديد مؤلف من ألفى جندي . ومن ذلك الإحصاء يمكننا أن نعرف نسبة مهرة العمال الذين كانوا يستخدمون لقطع الأحجار إلى غيرهم من المدربين الذين كان أهم عمل لهم جر الأثقال ونقلها بإشراف عمال المحاجر ، والثلاثين بحارا من رجال الأسطول .

(Breasted, A. R, Vol. I, par. 313, 314)

على أن « أمنمحات » لم يقتصر في استخراج الأحجار على « وادي الحمامات » ، بل استعمل المحاجر الهامة الأخرى في أنحاء القطر حسب حاجته إلى نوع الحجر اللازم له . بعوث « أمنمحات الثالث » إلى محاجر الديوريت في صحراء النوبة الغربية : فأرسل البعوث إلى محاجر الديوريت الصلبة وغيرها من الأحجار الواقعة في صحراء النوبة الغربية ، وعثر هناك على لوحات أقيمت تذكارا للبعوث ، وهي منحوتة من الحجر الرملي . منها لوحة أرتخت بالسنة الرابعة في الشهر الأول من فصل الحصاد « أخت » من حكم الفرعون « أمنمحات الثالث » وقد جاء في نقوش هذه اللوحة أن البعثة وصلت إلى هذه الجهات ، غير أن معظم نقوش هذه اللوحة لم تحل بعد .

ونجد في نهاية اللوحة نفسها تاريخاً آخر وهو الشهر الثالث من فصل الزرع « برت » السنة الرابعة ...

لوحة « سابست » لاستخراج الأحجار الثمينة — وفي السنة السادسة من عهد هذا الفرعون أقام « سابست » بن « رنبت نفرت » لوحة من الحجر الرملي الأحمر في هذه الجهة . وكان يحمل لقب « رئيس الخزانة الأمين » . وقد ذكر في نقوش اللوحة أن غرض هذه البعثة هو استخراج أحجار ثمينة « ماعو » ونجد في هذه اللوحة دعاء للإلهة « حتحور » سيدة « نخت »

ووجد لنفس الموظف مائدة قربان متآكلة نقوشها وقد ذكر عليها نسبه . وكذلك عثر على لوحة أخرى في هذه الجهة منحوتة من الحجر الرملي ، غير أنها مكتوبة بالخط الهيراطيقي وكتابتها غامضة ، وهالك ما وصل إليه الأستاذ « شيرنى » من حل رموزها .

السنة س + ٢ الشهر الرابع من فصل الفيضان ، اليوم العشرون في عهد ملك الوجه القبلي والوجه البحري « نيماعت رع » « أمنمحات الثالث » عاش مخلدا . أتى قاطع الأحجار « نختي » بن « ختخاتي » الذي وضعته « نت » ؟ ... وقاطع الأحجار « إني » بن « بتاح حتب » لأجل أن يحضر ... على حسب ... ما أمر به « سابست » ، والكاتب « منتوسر » . ومما يؤسف له أن نوع المادة التي ذهبت هذه البعثة لإحضارها لم تذكر . (A. S. Vol. XXXIII p. 73.)

وفي محاجر « طرة » المقابلة « لمنف » التي كان يستخرج منها أحسن نوع من الحجر الجيري الأبيض الجميل ، وجد نقش باسم هذا الفرعون يخبرنا أن الفرعون في السنة الثالثة والأربعين فتح محاجر للحصول على الحجر الجيري الأبيض من « عيان » لمبعد « الإله » لملايين السنين .

آثار « أمنمحات الثالث » في أنحاء القطر — وتوجد لهذا الفرعون آثار متفرقة عثر عليها في طول البلاد وعرضها ونخص بالذكر منها ما يأتي :

وجدت له لوحة في مدينة «الكاب» مؤرخة بالسنة الرابعة والأربعين من حكمه، وتحدثنا عن جدار بنى في هذا المكان خارج أسواره . وقد أقامه «سنوسرت الثانى» كما أسلفنا . وفى «تل اليهودية» وجد له قاعدة تمثال وخاتم أسطوانى ، ويقع «تل اليهودية» هذا على بعد عشرين كيلومترا من شمال شرق القاهرة على الطريق المستقيم الموصل لأرض «غوشن» ، و«وادی طليات» ، والحدود المصرية السورية .

(Petrie, Hyksos and Israelite Cities I.)

وفى «منف» زاد «أمنمحات» فى معبد الإله «بتاح» وقد عثر له هناك على عتبة باب ضخمة باسمه عند (البوابة) الشمالية . (Petrie, Tarkhan, Vol. I, Pl. LXVII) وكذلك عثر على تمثال جميل فى هذا المكان نفسه لهذا الفرعون ، وهو موجود الآن بمتحف «برلين» . (British Museum, No. 1121.) وفى «إهناسية المدينة» عثر على قطعة حجر من عصره أيضا نقش عليها اسمه الحورى .

(Petrie, "Ehnasya," Pl. XIV)

أما فى «الكرك» فقد عثر له على تمثال كبير وآخر صغير .

(Legrain, "Statues", Nos. 42014, 42019.)

والأول مصنوع من الجرانيت الأسود .

وفى بلدة «نخن» (الكوم الأحمر) الحالية المقابلة «للكاب» عاصمة الصقر القديمة وجد فى وسط خرائب المعبد تمثال له أيضا (Rec. Trav, X. 139)، وفى «بتروجراد» يوجد له تمثال ، (Rec. Trav. XV, 136-I-V) وفى مجموعة «مريمار» يوجد له تمثال فى صورة «بواهول» بدون رأس (Mirmar, Catalogue XXIX)، هذا وتوجد له آثار عدة فى أنحاء متاحف العالم تشمل على مجوهرات وجمايرين وأخنام أسطوانية الشكل ، ولوحات صغيرة وتمائيل (Petrie, "History" I, p. p. 192-194)

تعالم «سحتب اب رع» لأولاده ومكانتها التاريخية

ومن أهم الوثائق التى تكشف لنا عن مقدار ما وصل إليه الفراعنة فى أواخر الأسرة الثانية عشرة من الاحترام والتقديس ومقدار ما وصل إليه الأمراء الوراثيون

رغم ما يحملون من ألقاب ورتب من الخضوع للفرعون، « لوحة العرابية » المعروفة بالتعاليم، إذ تدلنا على أن روح الوحدة دب في جسم الدولة خلال حكمه بفضلته وفضل ما قام به أسلافه من القضاء على الأمراء الإقطاعيين، وبخاصة « سنوسرت الثالث »، وكذلك بفضل جيل الموظفين الحديد الذي عمل ملوك هذه الأسرة على إنشائه ليلتف حولهم، وليكون لهم نصيرا وظهيرا على تسيير أداة الحكم في البلاد، والقضاء على حكام المقاطعات الذين كانوا أكبر عقبة في سبيل توحيد نظام الحكومة والنهوض بها، فلا غرابة إذن أن نرى هؤلاء الموظفين حريصين على بث روح الطاعة والمحبة لملكهم العادل في نفوس أولادهم. وقد بلغ بهم حب الفرعون درجة جعلت تعاليم بعضهم لأبنائهم تدور حول حب الفرعون وخدمته والإخلاص له، لا أن ترشدتهم إلى الحياة الصالحة السعيدة، كما كان شأن التعاليم التي وصلت إلينا حتى الآن في المهود القديمة، بل إن الكاتب الذي فعل ذلك غالى، فلم يشأ أن يكتب تعاليمه على ورق بردى، بل نقشها على صفحة من الحجر، وجعلها شاهدا لقبره حتى يضمن خلودا ويراها أولاده في كل وقت يزورون فيه قبره؛ لأن القبور كما نعلم كانت محاطة بكل عناية في كل أزمان التاريخ المصرى، كما كان الابن الأكبر هو الذى ينصب كاهن والده الجنائزى؛ ولا غرابة إذن في أن تشيع هذه العادة في ذلك العهد، ولكن بكل أسف لم تصلنا إلا هذه اللوحة الحجرية التي ذكرناها. وقد يكون لكاتبها صلة خاصة وثيقة بالفرعون أكثر من غيره، فعلى في حبه لمولاه ونقش هذه التعاليم إظهارا لولائه له، وليسير أولاده على نهجه في حبهم وولائهم. والواقع أن كاتب هذه النصائح كان موظفا كبيرا في المالية. وسرى في المتن أن الملك كما يقول صاحب اللوحة قد مدحه أمام الملايين، وأنه كان صديقا حميما لسيده الذى كان يطلعه على أسرار الخفية، ونرى في الوقت نفسه أنه صاغ عقود المدح للفرعون وأظهر عظمته، وأن المؤلف ينصح أولاده أن يحاربوا إلى جانب الملك مما يتفق وروح العصر الذى كان عصر نضال وحروب بين حكام

المقاطعات والعرش لتوحيد البلاد تحت حكم ملك واحد المسيطر سيطرة تامة على كل المقاطعات من كل الوجوه. ولا نزاع في أن هذه الوثيقة كانت نوعا من الدعاية للملكية المطلقة في ذلك العهد، ولكنها دعاية فريدة حاذقة في بابها. ومن الجائز أنها كانت دعاية منتشرة في وقتها، غير أنه لم يصلنا نحن منها إلا هذه الوثيقة، وتنقسم قسمين : مناقب المؤلف وصفاته، ثم تعاليمه لأولاده، وهما ببعض الاختصار :

(A. S, XXXVIII, p. 269; XL, p. 209 ff.)

تحدث اللوحة عن مناقب صاحبها — الأمير الوراثي، حامل الخاتم الملكي، والمشرف على ماله قرن وماله حافر وماله ريش، (أى الحيوان الملكي)، والمشرف على مستنقى الملاهى (أى حيث صيد الأسماك وما كولات الصيد)، ويصف نفسه بأنه عند وصوله (إلى القصر) يصغى إليه كل البلاط، وإليه يتحدث الناس عن أمورهم، ومن يلاحظ رب الأرضين صفاته الحسنة، وهو الذى رقه، وهو يملك الفضة والذهب، ولديه الكثير من الأحجار الكريمة، وهو رجل صدق، مثل الإله «تخوت» (إله الحكمة) ورئيس الأشياء السرية فى المعابد، ورئيس الأشغال فى قصر الملك، وهو أكثر دقة من الموازين، ومثل ميزان، متفوق فى النصيحة، يتكلم الحسن ويعيد المرغوب فيه، حسن الإصغاء ممتاز فى الكلام، وهو أمير يحل معضلات المسائل، خلو من عمل الفش، مخفف المصائب، ويعمل الأشياء على مبدأ قويم... الخ، ثم يقول إنه قد ألف نصيحة شعرية لصالح أولاده فيقول :

نصيحة مؤلف التعاليم لأولاده — "إنى أتحدث إليكم فى أمر عظيم، وأجعلكم تصغون إليه، وإنى أنقل إليكم فكرة للأبدية (أى فكرة تفكرون فيها دائما)، وحكمة للحياة الصحيحة حتى تمضوا مدة الحياة فى نعيم. احترموا الملك «نيمات رع» بأجسامكم، وألفوا بين قلوبكم وجلالته. إنه هو «الفهم» (سيا) الذى فى القلوب، وعيناه تفحصان كل إنسان، وإنه «رع» الذى يرى

بأشعته ، وإنه يضيء الأرضين أكثر من قرص الشمس ، ويعمل الأرضين أكثر
نضارة من نيل عالٍ ، وإنه ملأ الأرضين قوةً وحياة .

والأنوف تصير باردة حينما يمنح إلى الرعب ، وعند ما يكون طلقاً يتنسم الناس
الهواء ، ويعطى من يخدمونه القوة الحيوية ، ويمد بالطعام من يسير على نهجه ،
والملك قوة حيوية ، وفه الرخاء بعينه .

وإنه هو الذى يطعم من سيكون ، وإنه الإله «خنوم» (المصور) لكل الأجسام ،
والمبدع الذى يخلق كل الناس ، وهو الإله «باست» (وهى الإلهة الشفيقة لها رأس
قطعة التى تحمى الأرضين) ومن يحترمه ينج بساعده ، ولكنه الإلهة «سخت» (وهى
الإلهة المريعة وإلهة الحرب لها رأس لبؤة) ، لمن يتعدى أمره ، ومن يكره فإنه
سيقع تحت نيره . حاربوا لاسمه ، ودافعوا عن حياته ، حتى تتجوا من الكريهة
(القدر) ، ومن كان صاحباً للملك فإنه سيكون محترماً ، ومن كان عدواً للملك فإنه
لا قبر له ، وجسمه يلقى فى الماء ، فافعلوا ذلك لتصح أجسامكم ، نعم ، إن ذلك
لمجد لكم إلى الأبد^(١) .

ولسنا فى حاجة إلى القول بأن هذه الكلمات تنم عن الاحترام العميق الذى
كانت تكنه الصدور وقتئذ لهذا الفرعون العظيم ، والظاهر أن نفوذه كان ممتداً
إلى الممالك المجاورة ، ولا أدل على ذلك مما وجد فى خرائب «جيبيل» ؛ إذ عثر على مقبرة
قد دُفن فيها حلى وأوان مصرية ومن بينها آئيتان للزينة من حجر الابسيديان نقش
اسم هذا الفرعون على غطاءهما بالذهب .

(Academie des Inscriptions; "Comptes Rendus" (Mai-Juin 1922).

ولا بد أنها كانت ملك أمير أسبوى لهذه المدينة ويحتمل أنها أرسلت له من قبل
الفرعون هدية .

(١) راجع كتاب الأدب المصرى القديم ج ١ ص ٢١٧ للزلف .

هذا مجمل ما وصلنا عن نشاط هذا الفرعون في بعوثه وآثاره وعلاقاته الأجنبية .
والآن ننتقل إلى أعماله الإنشائية في داخل البلاد ، وسنتناول الكلام أولاً عن أهم مشروع حيوى للبلاد قام به ، وأعنى بذلك بحيرة قارون أو بحيرة « مورييس » القديمة ، وإصلاح أرض الفيوم .

بحيرة قارون (بحيرة مورييس)

لا جدال في أن « أمنمحات الثالث » قد وجه عناية عظيمة لإقليم « الفيوم » ؛ وأعماله العظيمة قام بها هناك . ويعتبر هذا المنخفض أو الواحة التي تتكوّن منها « الفيوم » بالنسبة لمصر نبات سوسن ، تفرّع غصنه نحو الغرب جنوب المكان الذى تتفتح فيه الساق عن زهرة هى الدلتا اليانعة . ويحتمل أن هذا المنخفض قد نجم عن الانفصال في طبقات الأرض ، ونتج عنه مجرى النيل الطويل ، ولا يزال جزء من هذا المنخفض تشغله بحيرة « قارون » الحالية ، التي تعتبر جزءاً من بحيرة عظيمة كانت تغطى منذ عصور ما قبل التاريخ معظم « الفيوم » الحالية بمياه الفيضان ، وسطحها ينخفض نحو مائة وتسعة وعشرين قدماً عن سطح البحر الأبيض المتوسط . وهذه المساحة من المياه كان يطلق عليها المصريون لفظة « حنومرو » أى بحيرة « مرور » ، وهو الاسم الذى حرفة اليونان إلى « مورييس » وبذلك أصبحت تسمى بحيرة « مورييس » كما ذكر ذلك لنا « هرودوت » ؛ وقد كتب الأستاذ « جاردنر » مقالا عن اسم بحيرة مورييس (J. E. A., Vol. XXIV, pp. 37—46) ، وقد برهن في هذا المقال على أن لفظة « مرور » (مورييس) تدل على اسم المدينة « كوم غراب » التي تقع عند منحنى بحر يوسف ، أو هو الاسم الذى أطلق على مجرى المياه الذى صار يسمى القناة العظيمة الموصلة إلى المدينة المذكورة . والاسم المصرى لبحيرة « مورييس » كان « تاحنو — مرور » أى بحيرة « حنومرو » . وفي هذه الحالة تكون كلمة « حنو » — بحيرة ، أما كلمة « مرور » (مورييس) فتدل إما على البلد الآنف الذكر أو المجرى ، أو القناة التي تقع عند فمها هذه البلدة .

العمل على تخفيف جزء من مساحة البحيرة في عهد أمنمحات الأول — والظاهر أنه قد عملت محاولات منذ الأسرة الخامسة لتخفيف جزء من مساحتها ، وفي عهد « أمنمحات الأول » فكر في تخفيف جزء أكبر من هذه البحيرة ، كما يدل على ذلك بعض آثاره هناك . ولقد تضاربت الأقوال في وجود هذه البحيرة في تلك الجهة في عهد ما قبل التاريخ ، وبخاصة ما ذكر في كتاب « (Caton Thomson) » عن « الفيوم » ، وقد ردّ عليها العالم « ليل » وبعد ذلك أثبت « على بك شافعى » وجودها في رسالة له في هذا الصدد بعنوان « بحيرة قارون وعلاقتها ببحيرة مورييس وخران وادى الريان » ، وأردفه بمقال ثان « رى الفيوم كما وصفه النابلسى » ؛ غير أننا مع وجود هذه البحيرة لا يمكننا أن نقبل ما قاله « ديدور » نقلا عن « هيكاتا » (Hecataeus of Abdera) إن بحيرة « مورييس » كانت خصصت لتنظيم فيضانات النيل ، في حين أن كلا من « هرودوت » و« استرابون » يقول :

إن مياه النيل كانت تتوفر في البحيرة مدة ستة شهور ، وفي مدة ستة الأشهر الأخرى من السنة تخرج منها المياه بطريق القناة نفسها ، ولكن بواسطة عيون أخرى .
(Meyer, "Geschichte des Altertums" I, par. 322)
وعلى أية حال فإن ظواهر الأمور تدل على أن هذه الواحة الغناء (الفيوم) هي من عمل النيل ، وسنتكلم عنها فيما يأتى ببعض التفصيل ، وبخاصة ما قام به « أمنمحات » من العمل المجيد الذى سبق ما بقيت « الفيوم » .

ففى كل عام كانت رواسب الطمي من النيل تتخلف على هذا الحوض الطبعى المنبسط ، ومن ثم ارتفع منسوب الأرض تدريجيا حتى انكشبت البحيرة في أيامنا هذه إلى مساحة ضئيلة نسبيا عما كانت عليه في الأزمان السالفة ، وهى التى تعرف الآن ببحيرة « قارون » . أما باقى الجزء من هذا المنخفض العظيم فقد أصبح أرضا خصبة يانعة مملوءة بالحقول الخضراء والحدائق الغناء — ونعتقد أن الفيوم

في عهد « أمنمحات » الثالث قبل إصلاحها كانت رقعة شاسعة من الماء ليس فيها إلا جزء صغير من الأرض الزراعية انتزع من الماء الضحضاح في الجهة الشرقية، حيث كانت تقع بلدة « شدت » (الفيوم) التي كانت الجسور تحمها مما يكتشفها من المياه .

جهود « أمنمحات الثالث » في عمل خزان الفيوم — والظاهر أن الملك « أمنمحات الثالث » كان يحس الألم والمضايقة من القحط الذي كان يصيب البلاد من جراء انخفاضات مياه النيل المتكررة ، والتي كان من نتائجها الجوع وانتشار الأوبئة، والظاهر أنه قد رأى في منخفض الفيوم منقذا للبلاد من ويلات القحط ؛ إذ اتخذ خزاناً طبعياً يمكن أن يمد البلاد الشمالية جميعها بالمياه أثناء انخفاض النيل سنوياً في فصل التحاريق، وكانت مياه الفيضان كما قلنا تنساب في منخفض الفيوم في فصل الخريف ، وعند ابتداء انخفاض الفيضان كانت هذه المياه تخرج ثانية مختربة الحقول إلى النهر ثانية، إلى أن يمنع جريانها الأراضي التي تعترضها ، وهي الواقعة بينها وبين النهر ، وبذلك تبقى مساحة من المياه محجوزة في الفيوم لا فائدة منها . والظاهر أن هذا الفرعون أو مهندسيه قد فكروا في طريقة لتنظيم دخول هذا الماء وخروجه . وكانت النتيجة أن فكروا في استعمال الترعة التي يتبدئ فتحها من النيل شمال « سيوط » عند « ديروط » ، وهذه الترعة الطبيعية هي المعروفة الآن « ببحر يوسف » ؛ ومنها كانت تحمل مياه الفيضان مباشرة إلى خزان « الفيوم » . وهناك تحجز بواسطة حواجز لها عيون تصرف منها المياه ثانية تدريجاً إلى هذه الترعة . فعند ما تكون المياه منخفضة في النيل في شهر التحاريق ؛ يمكن أن يبقى منسوب المياه في النيل مرتفعاً الارتفاع النافع لرى الأراضي من « سيوط » حتى البحر الأبيض المتوسط . وقد حسب أنه بهذه الطريقة تخزن كمية هائلة جداً من مياه الفيضان تضاعف حجم المياه التي كانت تجري في النهر عند ما تنساب فيه تدريجاً خلال فصل التحاريق من أبريل إلى يونيه :

(Brown, "The Fayoum and Lake Moeris".)

وقد أقيم سدّ عظيم أو خزان لأجل تنفيذ هذا المشروع الهندسى العظيم عند المدخل الطبيعى لهذه البحيرة أى عند « اللاهون » ليحصر دخول المياه وخروجها إلى القناة . هذا وقد حصر المهندسون الذين قاموا بتنفيذ هذا الخزان المياه فى الجزء المنخفض من « الفيوم » ، وذلك بإقامة سدّ آخر اتخذ صورة نصف دائرة طولها أكثر من عشرين ميلا ، وبذلك استردّ من المياه نحو عشرين ألف فدان فى الجهة القريبة جدًا لوادى النيل ، وقد تحوّلت هذه المساحة إلى حقول غنية بإنتاجها ، ولولا ذلك لما تبقى من البحيرة إلا المستنقعات التى على حاقها ، والجزء الذى تقوم عليه بلدة « شدت » (المسترّدة) وهى « الفيوم » الحالية . وبهذه الكيفية أصبحت بلدة « شدت » مفصولة عن البحيرة بمساحة من الأرض منترعة من المياه تبلغ نحو خمسة أميال .

إعادة بناء المعبد الذى أقامه « أمنمحات الأول » فى « الفيوم » -
وفى هذه المدينة التى أصلحها « أمنمحات الثالث » أعاد بناء المعبد الذى أقامه جده « أمنمحات الأول » . (Petrie, "Hawara", p. 57 ; Rec. Trav. XI, p. 98) .
وقد عثر على بعض آثار لهذا المعبد (ibid, Pl. XXVII, 10, 11)، وكذلك عثر له على جزء من مائدة قربان فى هذه الجهة :

(Lange and Schafer, "Grab und Denkstein", No. 20699)

وكذلك أمر هذا الفرعون بإقامة نقش فى هذا المعبد كان الغرض منه أن يظهر للعالم جدارته بأن ينتخبه سلفه « سنوسرت الثالث » ليخلفه على عرش الملك ، ولم يبق منه إلا بعض قطع صغيرة محفوظة الان بمتحف « برلين » ، والظاهر أن كثيرا من العبارات اللغوية التى وردت فى هذا النص قد كررت فى نقش تنويح الملكة « حتشبسوت » .

ويخيل إلى أن ترعة « بحريوسف » التى كانت تملأ بها البحيرة ثم تفرغ كل سنة كانت تلف حول الجزء الجنوبى والغربى لمدينة « شدت » (الفيوم) ، ثم تسير

جهة الشمال نحو أربعة أميال إلى أن تخترق السدّ العظيم عند نقطة بالقرب من مدينة « بياهمو » الحالية (وهو اسم قديم لم يحقق أصله حتى الآن). ولا بدّ أنه كان يوجد في هذه الجهة خزان ذو عيون تفتح وتغلق، غير أنها اختفت كلية .

تمثالا «أممحات الثالث» في بلدة بياهمو

وكان على الجزء العلوى من جانبي السدّ قاعدتان هرميتا الشكل من الحجر، يبلغ ارتفاع كل منهما نحو من عشرين قدما، نصب عليهما تمثالان ضخمان يمثلان الفرعون جالسا على عرشه ، وكان كل واحد منهما قد نحت في قطعة واحدة من حجر الكوارتسيت الأبيض، ويبلغ ارتفاعه خمسا وثلاثين قدما، وقاعدته أربع أقدام، وبذلك كان رأس كل تمثال يرتفع نحو ستين قدما عن قمة الخزان التي كانت تعلو عن سطح الأرض عدّة أقدام. وقد كانا لا يزالان موجودين عند مازار «هردوت» البلاد المصرية، وقد وصفهما بأنهما تمثالان جالسان أقيما على هرمين يشرفان فوق الماء ، ولكنهما قد اختفيا الآن ، ولم يبق منهما إلا بعض قطع محفوظة الآن بمتحف « اشموليان » « باكسفورد » .

(Petrie, "Hawara", Pls. XXV, XXVII)

ولا بدّ أن «هردوت» قد رأى التمثالين أيام الفيضان .

ومما لا ريب فيه أن هذا العمل الهندسى العظيم قد أفاد كل البلاد الواقعة شمالي «سيوط» ونجاها من القحط الذى ينجم عن نيل منخفض . أما الأراضي الواقعة جنوب «سيوط» فمن المحتمل أن هذا الفرعون قد أقام في سنى حكمه الأولى سدا عند الشلال الثانى قبل قلعتي «سمنه» و «قمة» ، وبذلك يحجز مياه الفيضان في فصل الخريف لتصرف في فصل التحريق .

«أممحات الثالث» وتدوين مناسيب النيل — وتعزى فكرة إقامة خزان أو سدّ في هذا المكان إلى وجود نقوش في صفوف «سمنه» و «قمة» في مناسيب مختلفة يستدل منها على ارتفاع النيل في السنين الآتية من حكم هذا الفرعون ، وهى السنة

الرابعة، والخامسة، والسادسة، والسابعة، والتاسعة، والرابعة عشر، والخامسة عشرة،
والثانية والعشرون، والثالثة والعشرون، والرابعة والعشرون، والثلاثون، والثانية
والثلاثون، والسابعة والثلاثون، والأربعون، والحادية والأربعون .

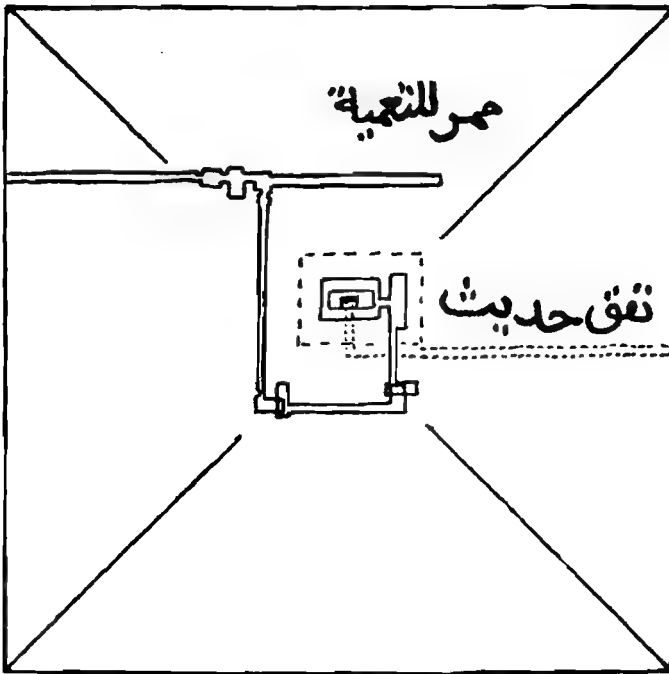
(L. D. II. Pl. 39)

وقد كان هذا الفرعون أول من قام بتدوين مقاييس للنيل، ومن ثم اتخذت
سنة، غير أن هذه المناسيب كانت أعلى من المناسيب الحالية للفيضان العالى بما يقدر
ما بين ست وعشرين، وثلاثين قدماً؛ على أنه لم يوجد أى أثر لثل هذا الخزان
الذى يقال إنه أقامه . وسبب ارتفاع منسوب مياه النيل فى تلك الأزمان هو إما أن
يكون مجرى النهر فى بلاد « النوبة العليا » قد انخفض بفعل التعرية والتآكل، أو أن
مياه الفيضان كانت منذ أربعة آلاف سنة أكثر مما هى عليه الآن . والسبب الأول
أقرب إلى الذهن ، لأننا نشاهد فى عصرنا فعل التعرية والتآكل فى مجرى النهر وفى
الصخور القائمة فى الشلالات . هذا وقد فسر الأستاذ « فلندرز بترى » وجود
مقاييس النيل عند « سمنة » و « قة » بطريقة لا بأس بها فيقول : ” ولكن عند
« سمنة » و « قة » قد وجدت سلسلة نقوش غاية فى الأهمية رغم قصرها وهى
تسجل ارتفاعات النيل . والأعمال المائية العظيمة التى قام بها « أمنمحات الثالث »
لتنظيم مياه النيل عند دخولها ونحروجها فى منخفض « الفيوم » كانت تحتاج إلى تنبيه
مبكر عن ارتفاع النيل وانخفاضه ، وقد كان يحفظ بذلك سجل على الصخور،
فى حين أنه كان من الممكن إرسال المناسيب بواسطة إشارات من تل إلى تل إلى
أن تصل إلى « الفيوم » فى الوقت المناسب ” .

هذا ما كان من أمر الأعمال الحيوية الدنياوية التى قام بها خير مصر
فى عالم الدنيا ، أما ما قام به لآخرته وآلهته، فكان على جانب عظيم من الإتيان
لما لم يضارعه فيه ملك آخر، وبخاصة هرمه ومعبد الجنازى، وهو ما سنتكلم عنه
الآن .

هرم أمنمحات الثالث

لم يشذ «أمنمحات الثالث» عن أسلافه في إعداد هرمين لنفسه ، واحد منهما ليتوارى فيه جثمانه الحقيقي ، والآخر لتأوى إليه الروح (كا) ويقدم القربان إليها فيه . وقد كانت هذه العادة متبعة عند الملوك والأفراد منذ الدولة القديمة . وقد أقام الهرم الأول عند مدخل «الفيوم» ، والثاني في «دهشور» ، وسن فصل الكلام عنهما فيما يأتي ، لأنهما يعتبران من أهم الآثار التي خلفها هذا الفرعون ، بل ومن عجائب الآثار التي تركها لنا الفراعنة في عصور تاريخهم كلها .



(شكل ٢٦)

هرم أمنمحات الثالث (هجرة الدفن)

أقام «أمنمحات الثالث» الهرم الذي دفن فيه على حافة الصحراء عند مدخل الفيوم ، ويعد هذا الهرم نحو أربعة أميال من شرق مدينة «شدت» (الفيوم) ، وعلى مسافة سبعة أميال من الجنوب الشرق لعيون الخزان عند «بياهو» ، وعلى بعد

نخسة أميال غربى هرم «سنوسرت الثالث» فى «اللاهون» ، وأطلق عليه اسم «نفر أممحات» ، فكأنه أراد بذلك أن يشرف على الخزان العظيم الذى أنفق جزءا عظيما من حياته ومجهوده لإنجازه .

وقد أقام هذا الهرم من اللبن ، ثم كساه الحجر الجيرى كما فعل أسلافه فى هذه الأسرة . ويبلغ طول كل ضلع من قاعدته ثلثمائة وخمسين قدما . أما ممراته الداخلى فقد اقتن فى تحتها وبنائها لتضليل اللصوص الذين قد يأتون يوما ما لنهب الذهب والمجوهرات التى دفنت مع الجثة ، وقد بنيت هذه الممرات من الحجر الصلب .

التفنن فى إخفاء حجرة الدفن — وكان أول عمل خالف به من سبقه من ملوك الدولة القديمة أن جعل المدخل فى الجهة الجنوبية من الهرم بدلا من وضعه فى الجهة الشمالية كالمعتاد ، حتى لا يهتدى اللصوص بسهولة إلى غرضهم فيصرفون وقتا طويلا فى البحث عنه فى هذه الجهة المعتاد وضعه فيها ، ومن ثم صنع سلما طويلا ينحدر إلى حجرة تظهر للصوص أنها مؤدية لحجرة الدفن ، ولكن الواقع أن سقف هذه الحجرة كان قد بنى بانحدار جانبى وفيه فتحة لها ممران : أحدهما يمتد مستقيما ، والثانى يتحول نحو اليمين . وهذا الممر الأخير كان يظهر للصوص أنه ممر مضلل وحسب ، لأنه قد بقى مفتوحا ، وينتهى بحجرة خالية . أما الممر الثانى فكان مغريا ، لأنه كان قد سد بإحكام بأحجار مرصوفة ، كأنه يؤدى إلى الحجرة التى خبئ فيها الكثر الذى يصاحب الجثة ، ولكن هذا الممر رغم ذلك قد انتهى عند فحص اللصوص له بالخفية ، إذ قد وضعت هذه السدادات لتضليل اللصوص ، ولتضييع ما لديهم من قوة وجهد للوصول إلى حجرة الدفن الحقيقية هباء . والواقع أن الممر الذى كان مفتوحا جهة اليمين كان هو الممر المؤدى إلى حجرة الدفن ، وقد قلنا إن هذا الممر أيضا قد انتهى بحجرة خالية ، ولكن كان يوجد هنا أيضا سقف منحدر يؤدى إلى ممر علوى يسير نحو الشمال وينتهى ثانية بالصخر الأصم . ولكن عثر على شرك مخفى فى السقف يؤدى إلى ممر ينتهى ببر عميقة كان يأمل اللص أن يزل فيها وهو مملوء بالأمل ، ولكن هذه

البئر أيضا تنتهى بلا شئ . وبعد ذلك لوحظ أن الجدار الذى على يمين هذه الحجرة وهو الذى يقوم بين البئرين ، كان مبنايا بقطع من الأحجار يخيل أن الدفن تحصن وراءها ، ولكن كشف أن هذه كانت خدعة ، وأن الباب الحقيقى إلى حجرة الدفن تؤدى إليه فتحة أرضية ، وهو موقع قد أحكم انتخابه بطريقة تجعل كل حيل اللصوص تنفذ أو تعوقهم بقدر المستطاع ، لأن كل الشراك الأخرى التى نصبت لهم كانت فى السقف . وهذه الفتحة التى عثر عليها فى الأرض تؤدى إلى حجرة الدفن بواسطة ممر قصير ، ولكن اللصوص وجدوا أن المدخل كان مسدودا بحجر ضخم يبلغ زنته خمسة وأربعين طنا أعد لإزالته فى مكانه بعد الدفن مباشرة . وقد نحتت حجرة الدفن فى الصخر الأصم الذى كان يرتفع هنا بمساواة الأرض التى أقيم عليها الهرم ، وقد وضع فى تجويف هذه الحجرة المستطيلة الشكل كتلة واحدة من حجر الكوارتسيت المصقول . وهذه الكتلة نفسها كانت قد أفرغت بدقة فائقة حتى أصبحت تكون بنفسها حجرة ذات جدران أربعة ورقعة ، فكان مثلها كمثل حوض طوله اثنتين وعشرين قدما وعرضه ثمان أقدام ، وسمكه قدما ، وكان يزن بعد الفراغ من نحته نحو مائة وعشرة أطنان ، وفى وسط هذه الحجرة الجميلة المؤلفة من حجر واحد وضع التابوت المصنوع كذلك من حجر الكوارتسيت المصقول . أما غطاء هذه الحجرة فكان مربعا من ثلاث كتل من الحجر نفسه ، واحدة منها كانت تسد المدخل ، وذلك بإزالتها من أعلى ، بعد أن وضع الجسم فى مخدعه فى تابوت مسطح الجوانب ومجلى بالخراف وله غطاء مقبب ، وفوق هذه الحجرة أقيم بناء الهرم الذى كان يخترقه عدة ممزات إلى حجر معقدة ملتوية وهى التى وصفناها فيما سلف . (انظر شكل ٢٦) .

دفن الأميرة « بتاح نفرو » فى مقبرة والدها « أمنمحات الثالث » — وبعد الانتهاء من بناء هذا القبر المدهش بمدة قصيرة فقد هذا الفرعون ابنته الأميرة « بتاح نفرو » التى كانت على ما يظهر أعز بناته .

ويظهر أنه رأى أكبر عزاء له في أن يجعل مضجعها الأخير في الضريح الذي بناه لنفسه . فكان هذا عملا فريدا في العادات الجنازية المصرية . وكان غرضه أن يجتمع روحها مع روحه في حجرة واحدة ، من أجل ذلك أمر بصنع تابوت لها يتألف من ثلاثة أحجار من «الكوارتسيت» ، وُضع في الفراغ الذي تخلف بين قاعدة تابوته وجدران الحجرة ودفنت فيه . ولما مات الفرعون دفن بجوارها بطبيعة الحال . ولكن بعد مضي زمن انقضى اللصوص الذين كان يُخشى بأسهم على الهرم، فضلوا السبيل بما أقامه لهم الفرعون من الأحابيل والحيل المضللة مدة من الزمن، ولكنهم في نهاية الأمر اهتموا إلى حجرة الدفن، وسرقوا كل ما كان مع الجثتين من ذهب ومجوهرات ثم ألقوها، وما تبقى أشعلوا فيه النار، ولم يتركوا إلا قطعا صغيرة عثر عليها « بترى » في أيامنا . وهذه القطع تشمل بعض قطع من أواني المرمر والأطباق نقش عليها اسم الفرعون، هذا إلى صندوقين من حجر الكوارتسيت توضع فيهما أواني الأحشاء، ومائدة قربان من المرمر نقش عليها اسم الأميرة .

(Petrie, "Kahun" p. 12; "History", Vol. I, p. 197)

مائدة قربان الأميرة «بتاح نفرو» — ويلاحظ في نقوش هذه المائدة ما يكشف لنا عن اعتقاد خرافي غريب منذ الدولة القديمة كما أشرنا من قبل، وذلك أن المصرى كان يعتقد أن كل صورة منقوشة أو ملونة لها كيان روحي، أى أنها تعيش بمثابة كائن حي في عالم الأرواح حيث تسكن روح المتوفى، وكان المثال نحاتا أو رساما أو نقاشا يسمى في اللغة القديمة «سعنخ» (المحيي) أى الذى يجعل الشيء يحيا . ولما كانت معظم الإشارات المصرية القديمة تأخذ شكل حيوانات وطيور وهوام ، فإن الكهنة أخذوا يثبون في عقول القوم أن هذه الصور التى كان بعضها مضرا يمكن أن تصبح حيوانات أو هوام حقيقية وتلحق بالمتوفى الأذى ، أو تأكل ما يقدم له من القربان، من أجل ذلك نجد على مائدة القربان التى عثر عليها في حجرة دفن الأميرة أن الحيوانات والهوماء التى تتركب منها الألفاظ المنقوشة عليها قد رسمت مقطوعة أو مبتورة حتى لا يلحق بالمتوفى أى أذى . وهذه العادة نجدها شائعة

منذ عهد الدولة القديمة كما ذكرنا، وبخاصة في متون الأهرام المنقوشة على جدران حجر دفن الملوك في عهد الأسرتين الخامسة والسادسة .

هرم «أممحات الثالث» في «دهشور» — أما الهرم الثاني الذى أقامه، فقد انتخب له «أممحات» موقعا في الصحراء عند «دهشور» القرية من جنوبي «منف»، وكذلك بالقرب من هرم والده «سنوسرت الثالث» . (De Morgan, "Dahchour", Vol. II, Pls. 1, XVI, XVII) وهو بناء ضخم له روعته، أقيم من اللبن وكسى بالجر الجيري الذى لم يبق الآن منه شيء، وكان مدخله من الجهة الشرقية خلافا للعتاد أيضا، وقد كان له ممرات داخلية معقدة تؤدى إلى حجرة الدفن حيث يوجد تابوت فانر . وقد وجدت قمة هذا القبر الهرمية الشكل والمصنوعة من قطعة واحدة من الجرانيت الأسود ملقاة بجواره، وقد نقش على جوانبها اسم الملك وصورة الشمس المجنحة، وهى موجودة الآن بالمتحف المصرى .

(Breasted, "The Dawn of Conscience", Fig. 6 facing p. 58).

ولم يوجد بطبيعة الحال أى أثر لحسم الفرعون، لأن هذا الهرم كان قد أقيم لروحه (كا) كما سبق ذكره .

مقبرتا الأميرتين ومحتوياتهما — ويجوار هذا الهرم عثر «دى مرجان» على مقبرتى أميرتين، وهما ابنتا هذا الفرعون، واسم الأولى «حتحورحتب»، واسم الثانية «نب حتب خرد»، وقد عثر فى قبريهما على كمية من المجوهرات الفاخرة المحفوظة الآن بالمتحف المصرى، غير أن صياغة هذه الجواهر التى عثر عليها فى «دهشور» و «اللاهون» تقل فى جودتها وإتقانها عن التى عثر عليها فى العهود السالفة من هذه الأسرة، إذ يلاحظ أن الصدرىات فيها مزدحمة بالرسوم، أو هى تقليد فيح لسابقاتها، فيلاحظ أن ترصيع الأسوار قد استعمل فيه عجينة زرقاء بدلا من اللازورد، وكذلك استعمل الفخار المطلى فى ترصيع الصدرىات بدلا من اللازورد وججر «الأمزون» .

(De Morgan "Dahchour", Vol. I, p. 128; Vol. II, p. 107).

معبد الهرم « اللبرنت » — أما المعبد الجنائزى الخاص بالهرم الذى دُفن فيه الفرعون فهو ذلك البناء الهائل الذى بناه الفرعون على الجانب الأيسر منه، وكان يغطى مساحة من الأرض، يبلغ طولها نحو ألف قدم وعرضها نحو ثمانمائة قدم . وهو فى الواقع عبارة عن مجموعة من المحاريب والأبنية والردهات ، وصفها كتاب الإغريق الأقدمون عند زيارتهم لمصر وفتوها بلفظة « لبرنت » ، وهذا هو الاسم الذى أطلقه اليونان على مجموعة من المباني فى « كنوسوس » فى جزيرة « كريت » .

ويرجع عهد هذا لزمان حكم « المنوان » ، وهذا البناء المصرى يعدّه اليونان أعظم أعجوبة فى مصر — وقبل أن نذكر ما كتبه اليونان عن هذا المبنى نريد أن نورد ما كتبه عنه الأستاذ « ينكر » فى تاريخه : (Junker, "Agypten" p. 96)، وقد واقفه فى هذا رأى الأستاذ « هول » (Hall, "Ancient History of the East", Fig. 154)

و « بترى » أيضا قال : إن البناء المسمى « بالبرنت » ، هو فى الحقيقة المعبد الجنائزى الذى أقامه « أمنحوتب الثالث » لهرمه الواقع عند مدخل الفيوم ، وتبلغ مساحته ٣٠٠ × ٢٥٠ مترا ويشمل خلافا لأحجار المعبد المعتادة أما كن منفصلة للقواطع التى كانت تتألف منها البلاد . وهذه المقاطعات كانت ترغب فى أن تمثل فى إقامة الشعائر الدينية بجوار الفرعون المتوفى، وقد وجدنا لهذا نظائر بصورة مصغرة فى ردهة معبد الفرعون « زوسر » وفى معبد « منكاورع » (معبد الوادى) . أما « بترى » فيقول (Petrie History, Vol. I, p. 198) : إن جزءا من هذا البناء على الأقل كان معبدا للفرعون . والآن نعود إلى مقالته « هردوت » فى وصف هذا المعبد فاستمع لما يقول .

البرنت معبد « أمنحوتب الثالث » كما وصفه هردوت —

تقع « البرنت » بعد بحيرة « موديس » بقليل بالقرب من المكان المسمى « كروكودبوليس » وهو الاسم اليونانى لمدينة شدت (أى الفيوم الحالية)؛ وقد زرت هذا المكان ووجدته يفوق كل وصف، وذلك لأنه لو جمعت كل الجدران والأعمال الأخرى العظيمة فى مكان واحد، فإنها لا تضاهى هذه « البرنت »

لا في ضخامة العمل ولا في مقدار النفقات، ومع ذلك فإن معبد « إفسوس » بناء يستحق الذكر، وكذلك معبد « ساموس »؛ هذا إلى أن الأهرام كذلك تفوق الوصف، وتضارع عددا كثيرا من أعظم مباني الإغريق، ولكن « اللبرنت » تفوق الأهرام، فهي تشتمل على اثني عشر بهواكلها مسقوفة ولها (بوابات) تقابل الواحدة الأخرى تماما، ست منها تتجه شمالا، وست تتجه جنوبا، ويحيط بالبناء كله جدار واحد، ويوجد في المبنى نوعان من الحجرات، نصفها تحت الأرض، والنصف الآخر على سطح الأرض، والأخيرة مبنية فوق الأولى. والعدد الكلى لهذه الحجرات ثلاث آلاف وخمسمائة من كل من النوعين. ولقد مررت بنفسى في الحجرات العلوية ورأيتها بعينى رأسى؛ وما أقوله عنها هو نتيجة ملاحظتى الشخصية. أما الحجرات السفلية فإنى أتكلم عنها حسبما سمعت، وذلك لأنى لم أفلح فى إغراء الحراس ليجعلونى أشاهدها، لأنها تحتوى على ضريح^(١) الملك الذى بنى « اللبرنت » كما يقصون، وكذلك تحتوى على أضربة التماسيح المقدسة، وهكذا يمكنى أن أتكلم فقط بطريق السماع عن الحجرات السفلية. أما الحجرات العلوية فقد رأيتها بعينى رأسى ووجدت أنها تفوق أى شىء آخر أتتجه الإنسان، وذلك لأن الميزات داخل البيوت، والمنحنيات المتنوعة المؤدية للطرق الضيقة التى تخترق الردهات، بعثت فى نفسى إعجابا لا حد له. وبخاصة عند ما كنت أنتقل من الردهات إلى الحجرات، ومن الحجرات إلى قاعات العمدة، ومن قاعات العمدة إلى بيوت جديدة، ومن هذه ثمانية إلى ردهات لم ترم من قبل، وكان السقف مثل الجدران كلها منحوتة بأشكال، وكانت كل ردهة محاطة بعمدة مبنية من الحجر الجيري الأبيض المرصوص بعضه فوق بعض بإحكام ودقة. وفى نهاية طرف « اللبرنت » أقيم هرم يبلغ ارتفاعه نحو ٢٤٠ قدما وقد نقش عليه أشكال كثيرة، ويدخل فيه الإنسان بعمز تحت الأرض. (Herodotus, Book II, par. 148-149).

(١) لقد كان « أسنحات الثالث » موحدًا مع الإله « سبك » الذى يمثل صورة تمساح فى المهد

الإغريق الرومان كما سيجى بعد .

اللبنت كما وصفه « استرابون » — أما « استرابون » فيقول عن هذا المبنى ما يأتي : « ولدنا هنا كانت « اللبنت » وهو عمل يضارع الأهرام ، ويتصل به قبر الملك الذى بنى « اللبنت » ، وبعد استئناف السير بعد المدخل الأول للقناة (بحر يوسف) على مسافة ٣٠ أو ٤٠ متاديا يصادف الإنسان رقعة من الأرض على هيئة مائدة فيها بلدة وقصر عظيم مؤلف من عدة قصور عددها يوازى عدد المقاطعات التى كانت موجودة فى القطر المصرى سابقا ، وكذلك يوجد عدد مساوٍ لذلك من القاعات ، محاطة بعدد يلاصق بعضها بعضها ، وكلها فى صف واحد وتؤلف مبنى واحدا كأنه جدار طويل فيه القاعات مقابلة للجدار ، وأمام المداخل طرق عدة طويلة منطاة لها ممزات متعرجة يوصل بعضها للبعض الآخر ، حتى أنه لا يمكن لأجنبى أن يحدد طريقه إلى القاعات أو يخرج منها بدون دليل . والأمر المدهش هو أن سقف كل من هذه المساكن يتألف من حجر واحد ، وأن الطرق المسقوفة فى كل امتدادها كانت مسقوفة بهذه الكيفية أى بحجر واحد عظيم الحجم جدا يشذ عن حدّ المألوف دون أن يتخلل ذلك خشب أو أى مادة أخرى . وعند ما كان يصعد الإنسان إلى السقف الذى لم يكن مرتفعا ارتفاعا عظيما ، لأنه كان يتألف من طابق واحد ، كان يرى الإنسان ميدان حجر مؤلف من هذه الكتل ، وعند ما ينزل الإنسان من السطح ثانية وينظر إلى القاعات فإنه يراها فى صف واحد مرتكزة على ٢٧ عمودا كل منها مؤلف من حجر واحد ، وكذلك الجدران كانت مبنية من أحجار لا يقل حجمها عن ذلك .

وفى نهاية هذا المبنى الذى يبلغ طوله أكثر من ستديوم يوجد القبر ، ويتألف من هرم مربع كل ضلع من أضلاعه أربع بلترا (٤٠٠ قدم) فى الطول ، وطول الهرم مماثل لذلك ، والمتوفى المدفون يسمى « إماندس » « أيمينس » ، وقد أكد أنه بنى مثل هذا العدد من القصور ؛ لأن تلك كانت العادة لكل المقاطعات التى

كان يمثلها عظمائها، وكان يجتمع كهنتها ومعهم ضحاياهم، لأجل أن يقدموا القرابين للآلهة، وكذلك ليتشاوروا في أهم مصالحهم، وكانت على ذلك تحتل كل مقاطعة القاعة المخصصة بها . (Baedeker; "Egypt", (1929) p. 206)

اللبنت كما وصفه « بليثي » — وكتب « بليثي » ما يأتي : « لقد بنى هذا البناء الهائل بتانة لم يقوكر العصور كلية على تخريبه ، وقد ساعد على تخريبه أهل « أهناسيه المدينة » الذين قاموا بتدمير بناء كانوا ينظرون إليه دائماً بعين المقت ، وإذا أردنا أن نفصل موقع هذا البناء وأجزائه المختلفة استحال علينا ذلك لأنه مقسم إلى مناطق ومديريات تسمى كل منها مقاطعة وعددها ثلاثون ، لكل منها قصر هائل مخصص بها ، ويحتوى بالإضافة إلى ذلك على معابد لكل آلهة مصر ، وأربعين تمثالا « لتيسيس » ، ويحتوى كذلك على عدد مائل من المحاريب . هذا فضلا عن هرم يبلغ ارتفاعه أربعين ذراعا ويشغل مساحة قدرها ستة « ارورا » ، وإذا ما أعيا الزائر الذهاب والإياب وصل إلى معابد معقدة في الرواقات . وبعد ذلك يوجد كذلك قاعات ولائم قائمة في قمة المصاعد المنحدرة ؛ هذا إلى (بوابات) يتزل منها الإنسان بوساطة سلم يبلغ عدد درجاته تسعين درجة ، وعمد في الداخل مصنوعة من الصخر البروفيري ، وصور آلهة وتمائيل ملوك ، وصور وحوش قبيحة . ويلاحظ أن بعض القصور قد أقيم بصورة خاصة ، حتى إذا حانت لحظة فتح الأبواب يتردد صوت مخيف مثل صوت الرعد في الداخل . هذا ولا بد من اختراق الجزء الأعظم من هذه المباني في ظلام حالك » .

ولانزاع في أن سلسلة المباني هذه التي تعد أعظم بناء أقيم في مصر في كل عصور تاريخها كانت تمثل المعبد العظيم الذي كان يقيمه الفرعون لعبادته بعد وفاته ، وحوله المعابد الصغيرة التي كانت تمثل كل مقاطعة وملحقاتها كما قلنا من قبل ، فكأنه كان يريد أن يمثل حكومته وما يتبعها في مماته كما كانت تمثل مدة حياته . وقد شاهدنا ذلك في عهد « زوسر » وعهد « منكاورع » ولكن بصورة مصغرة (راجع مصر القديمة ج ١ ص ٣١٢) . أما ما يظنه بعض علماء الآثار من أنها كانت مقر حكومة البلاد

في هذا العهد فظن لا يرتكز على مبررات سديدة، إذ قال «ويجول»: "كانت بناء ضخماً، ولا بد أن يكون مركزاً لحكومة البلاد". (Weigall, "History" Vol. II, p. 124). والواقع أن مقر الحكم في عهد «أمنمحات الثالث» كان في مكان يدعى «عنخ أمنمحات» بالقرب من «اللاهون» (A. Z., Vol. 59, p. 53). أما ما يقال من أن أهالي «إهناسية المدينة» قد خربوا هذا المعبد، فقد يعزى إلى ما كان بين سكانها الذين كانوا يعبدون الإله «حشف»، وهو إله في صورة كبش، وبين عباد الإله «سبك» الذي كان يعبد في «الفيوم» من عدا، وقد أهدى الأخير معبد «البرنت» . ولا غرابة في ذلك فإن «سبك» كان أكبر معبودات الفيوم التي غنى بها «أمنمحات الثالث» عناية خاصة، وهذا لا يحتم أن الجهات الأخرى كانت قد اتخذته إلهاً، بل على العكس كان يعتبر في بعض الجهات حيواناً ضاراً .

بقايا «البرنت» — على أن ما أبقته يد التخريب على يد سكان «إهناسية المدينة» قد استعمله أهل القرون الوسطى في بناء مساكنهم . وهكذا قد بقيت «البرنت» تستعمل بمثابة محجر حتى قضى على البقية الباقية في بناء خط حديد «الفيوم» في خلال القرن التاسع عشر، فحينما كشف «برى» عن موقع هذا المبنى في عام ١٨٨٩ لم يجد إلا أكواماً من شظايا الأحجار، وبعض أجزاء من رقايع بعض المجرات، هذا إلى أجزاء من صور بعض الآلهة، وقطع من الأحجار المنقوشة، وقطع من الأعمدة، وبعض بقايا المحاريب وتماثيل الملك .

(Petrie, "The Labyrinth and Gerzeh", Pls. XXIII-XXXII; "Hawara", Pl. XXVII; L. D. Vol. II. Pl. 140)

ولا زريد هنا أن نقفد ما جاء في أقوال الكتاب الأقدمين من خيالات وأقاصيص أخذوها عن أدلاء عصرهم، لأن التفسير الذي عبر عنه أكبر علماء الآثار بأنه المعبد الجنائزى للفرعون «أمنمحات الثالث» كفيل بأن يقوض كل الخرافات والمبالغات والمتناقضات التاريخية التي وردت في كتاباتهم، ومع ذلك لا ننكر أنهم قد أدلوا ببعض ملاحظات هامة تطابق الواقع، وبخاصة ما ذكره «هردوت» وغيره

من أن عدد الحجر قد أقيم بقصد معين ، وذلك ليكون لكل مقاطعة من مقاطعات القطر حجرة أو قاعة خاصة بها لإقامة الشعائر الدينية، وهذا في الواقع التفسير الوحيد الذى وصل إلينا من الكتاب الأقدمين عن ماهية هذا البناء .

رأى فى تفسير كلمة « اللبرنت » — ويقول « ويحول » : والظاهر أن « اللبرنت » كانت تسمى فى العهد الفرعونى « أمنمحات عنخ » أى (حياة أمنمحات) ، وقد يستدل على ذلك بالنقش الذى عثر عليه فى محاجر « وادى الحمامات » المؤرخ باليوم الخامس عشر من الشهر الأول الفصل الثانى من السنة التاسعة عشرة من حكم هذا الفرعون ، ذا كرا أن الحملة قد أرسلت لإحضار آثار من الحجر الأسود الجميل من « وادى الحمامات » « لأمنمحات عنخ » ، لأجل معبد الإله « سبك » ، وهذه الآثار هى عشرة تماثيل ، طول كل واحد منها خمس أذرع ، كل واحد منها على عرش ، وكلها قد قطعت فى هذا العام (L. D. Vol. II, Pl. 138) . ويعتقد الدكتور « هول » أن هذا الاسم هو تحريف لاسم الفرعون « نيماعت رع » الذى حرف فى اليونانية الى « لمارس » (Labris) أو « لبارس » (Journal of Hellenic Studies" XXV; (Lamaris.) Hall, "Ancient History" p. 153 note 3) . غير أن المؤرخ « ويحل » تقدم فى خطوة أخرى فقال : "إن لفظة « لبرنت » تقابل لفظة « أمنمحات عنخ » مع إحلال « نيماعت » وهو الاسم الأول من أسماء التتويج لهذا الفرعون بدلا من أمنمحات " . وبذلك أصبح اسم هذا المعبد « نيماعت عنخ » ، ومن ثم أخذ اسم « اللبرنت » . (Weigall, "History", Vol. II, p. 124)

غير أن هذا التفسير بعيد عن الفهم بعض الشيء ، وإن كان من الممكن قبوله شكلا إذا أطلقناه على مقر حكم هذا الفرعون كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

وقد ظنّ البعض استنادا على أقاصيص « هردوت » أن ملوك الأسرة السادسة والعشرين قد أقاموا هنا أبنية فى هذا المكان ، إما بصفة إصلاحات للمعبد القديم ، أو إضافات له ، غير أن البحوث والكشوف التى قامت فى هذه الجهة لم تسفر عن

أى عمل يبرر هذا الزعم، بل كل ما نعرفه أن «أممنحات» قد ظل يذكر بالفخار والاحترام في «هواره» إلى عصور البطالمة، فقد سميت باسمه (Petrie, "Hawara", Pl. V, 4-11) في ذلك العهد، ولا يزال كذلك جزء من هذا الإصلاح الذى قام به كل من «بطليموس» و«كليوباترا» موجودا في مكانه الأصيل. ولا بد أن تاريخه يرجع على أقل تقدير إلى عام ١٩٣ ق م. هذه هى أهم أعمال هذا الفرعون العظيم من الإصلاحات الهامة لبلاده.

احتفال «أممنحات الثالث» بعيد «سد» — وقد احتفل هذا الفرعون العظيم بعيد (سد) وقد أقام هذا الاحتفال في العام الواحد والثلاثين من حكمه. وهذا ظاهر مما جاء في لوحة محفوظة الآن بمتحف «بوستون» بالولايات المتحدة واللوحة لمحارب اسمه «سعنخ» (Weigall, "History" Vol 11. p. 132) وهى تنوه بهذا العيد. ويستدل مما جاء في ورقة «تورين» بعد إصلاحها أن هذا الفرعون العظيم حكم البلاد نحو تسع وأربعين سنة، ومات في خلال الخمسين من توليته العرش، غير أن أحدث تاريخ له وجد على الآثار هو السنة السادسة والأربعون، وقد جاء ذكر ذلك في ورقة «كاهون» (Griffith, "Kahun Papyri," XIV. 9.) والظاهر أنه أشرك ابنه «أممنحات الرابع» في حكم البلاد في أواخر أيامه، فقد وجد اسمهما جنبا لجنب في نقش، وقد ظهر اسمه واسم «أممنحات الرابع» مرات عدة على جدران معبد «كوم ماضى» الذى ينسب لهما معا كإسجىء بعد.

(Prisse, "Monuments Egyptiens" p. 9.)

مباني «أممنحات الثالث» في معبد جدّه أممنحات الأول في الفيوم — وتدل الكشوف الحديثة على أن «أممنحات الثالث» قد أقام حجرة واسعة في المعبد الذى يشمل أن «أممنحات الأول» قد أقامه في مدينة «شدت» (الفيوم)، إذ عثر الأستاذ «ليب حبشى» كبير مفتشى الوجه البحرى الآن على بقايا أعمدة في «كيان فارس» اتضح أنها كانت لقاعة أقامها هذا الفرعون. وقد وجد عليها نقوشا قال عنها:

« إن أهمية هذا المتن لنحصر في أنه يظهر أماننا النشاط الذى أظهره » « أممحات الثالث » لترين هذه المدينة (الفيوم) التى شيدها جدّه « أممحات الأول ». فنعلم أن « أممحات الثالث » قد أمر بإقامة قاعة واسعة أعمدتها ورقعتها من الجرانيت الوردى، وأبوابها من الذهب النضار. وهذه القاعة كانت قد أضيفت إلى معبد يحتمل جدا أن بانيه هو « أممحات الأول » (A. S. Vol. XXXVII, pp. 85—95).

أخلاقه من فن عصره — وإذا كان الإنسان يمكنه أن يقرأ أخلاق الرجال من صورهم، فإن لدينا سلسلة صور لهذا الفرعون العظيم تحدّثنا بوضوح تام عما وراء تلك الوجوه من صفات وسجايا . والواقع أنها سلسلة قل أن يوجد مثلها فى الفن المصرى لما تشف عنه من صادق التعبير الذى تتمثل فيه الطبيعة وتتجلى بكل معانيها . ولا غرابة فى ذلك فإن الفن المصرى قد بلغ فى عصره لمدة قصيرة درجة من محاكاة الطبيعة الصافية . لم يتسنّ له أن يصلها ثانية إلا فى عهد « إخناتون »، وقد بلغ من القوة مرتبة لم تأت له بعد، وقد بدأ التقدّم الفنى فى هذا العصر على يد حفارى الفرعون « نب حبت رع متوحّش الثانى »، واستمرّ فى طريقه نحو الكمال فى عهد ملوك الأسرة الثانية عشرة، التى يمكن أن يقال عنها إنه فى عهدها وصل الفن المصرى إلى أوجهه . فقد كان ذوق المفتنين فى الأسرة الثانية عشرة يدعو إلى الإعجاب؛ فهم سواسية مع زملائهم « اليابانيين » فى حاسة التنسيق والرفقة، كما أنهم يحاكون « اليونان » فى حاسة التوازن والشبه . ولا نزاع فى أن أحسن ما وصلت إليه يد المفتن فى الأسرة الثامنة عشرة يعدّ سوقيا، إذا ما قرن بما أخرجته يد مفتن الأسرة الثانية عشرة . فقابر « بنى حسن » تعدّ وحيا جديدا للذين قد اقتبسوا معلوماتهم من المباني الضخمة المنكرة القائمة فى « الكرنك » أو « أبو سمبل »، إذ ليس شئ يعادل ردهة مقبرة « أمينى » المتناسبة الأجزاء الرائعة التركيب بما فيها من أعمدة جميلة فى كل ما كشف عنه منحوتات فى الصخور المصرية فى الأزمنة التى توالى، هذا إلى دقة محاكاة الطبيعة فى اللحم النغير من جماعات المصارعين الذين رسموا على الجدران

حول المدخل المؤدى إلى الحجرة الداخلية، وهى لا يضارعها فى جمالها إلا رسوم الأوانى الإغريقية فى أزهر عهدها .

على أن مقابر هذا العصر الأخرى لا تقل عنها فى روعتها وجمالها . وكذلك حرفه الصغيرة يظهر فيها التفوق فى الدقة التى لا تجارى ، فالقطع الفنية الصغيرة من العاج والجعارين والصابغة لا مثيل لها ، وبخاصة الصدريات الذهبية والمجوهرات الأخرى المطعمة بالأحجار الجميلة التى كشف عنها فى عهد «سنوسرت الثالث» وسلفه من ملوك هذه الأسرة ، وهى التى كشف عنها فى «دهشور» كما أسلفنا ، ولم نجد ما يضارعها فى الأزمان التالية من عهود الفراعنة .

أما صور الملوك المنقوشة على الجدران وتمثيلهم المنحوتة فى الأحجار الصلبة فإنه رغم تصوير أجسامهم بهيئة رسمية ، وتمثيلها حسب قواعد مرعية ثابتة منذ عهد بناء الأهرام ، فإن وجوههم تدل على قوة التمثيل بدرجة لم تضارع حتى فى عهد الأسرة الرابعة . ولا يمكن للمرء أن يناقش صدق تصوير هذه الوجوه بغيرها ، فالمثال الذى



شكل ٢٧ ب «أمّنحات الثالث» فى كهوك

شكل ٢٧ أ «أمّنحات الثالث» فى مقبرل عمره

صور الملك «متوحتب» في الدير البحرى قد وضع المثل الأول، ثم هذا حذوه أولئك المثلون الذين أبرزوا لنا وجوه «سنوسرت الأول» في «قفط» و«سنوسرت الثالث» في سلسلة من تماثيله التي وجدت في «الدير البحرى» (Naville, Deir el Bahari, XI Dyn. Vol 11, Pl. XIX, Ch. 111) ثم فاقوا المثل الذى احتذوه . ومجموعة صور للفرعون « سنوسرت الثالث » العظيم التى عثر عليها فى الدير البحرى تمثله فى أدوار مختلفة من حياته منذ شبابه إلى شيخوخته، ولدينا رأسان لهذا الفرعون من الجرانيت الأحمر من «العرابة» و «الكرك» (Petrie 'Abydos' Pl. LV, pp. 6, 7,) يمثلانه فى شيخوخته بوجه يسترعى النظر فى كل هذه الصور، لما فيه من تقاطيع تدل على الحياة، وما ينطوى عليه من تمثيل تاريخى لا يحتاج إلى إيضاح . ولكنه مع ذلك لا يصل إلى مرتبة مثل مجيا « أمنمحات الثالث » الذى كان يمتاز بتقاسيم خاصة، إذ يمكن الإنسان كما أسلفنا أن يقرأ أخلاقه من سلسلة صورته التى وصلتنا (Weigall, "Ancient Egyptian Works of Art" pp. 95 — 103)



شكل ٢٧

« أمنمحات الثالث » فى صورة بواهل



شكل ٢٧ ح « رأس لأمنمحات الثالث » من حجر النعبان

(فى برلين) يمثل الشيخوخة المبكرة

فنجده أولًا تماثلاً جَمِيلاً في « متحف القاهرة » يمثلُه وهو شاب في مقتبل العمر (انظر شكل ٢٧ أ) ؛ وفي مجموعة « أسكار رفاثيل » « بلندن » يوجد رأس صغير من حجر الألبسيدات يمثلُه في كهولته حينما بدت ملامح فيه وذقنه يظهران بعض الحزم والصلابة (انظر شكل ٢٧ ب) وكذلك حينما يلوح في عينيه التفكير . أما الدور الثاني من حياته فيمثلُه رأس صغير نحت في حجر الثعبان وهو موجود الآن في « متحف برلين » ، فيشاهد فيه أن جفن العين قد أصبح أثقل من ذي قبل ، ويرى في تقسيم وجهه نظرة الرجل الذي أنهكتَه المَهموم (انظر شكل ٢٧ ج) ، وكذلك التمثال الصغير الموجود الآن بمتحف « الهرمناج » في « بتروغراد » فإنه يمثلُه في نفس هذا الدور من حياته ، ومن المحتمل أن تماثل « بو الهول » الفانر الذي عثر عليه في « تانيس » والمحفوظ الآن بمتحف « القاهرة » ينسب إلى هذا الطور من حياته أيضاً . (انظر شكل ٢٧ د) ؛ ثم لدينا تماثل كامل في متحف « برلين » يمثلُه لنا في صورة رجل رُبعة ينم عن وجه عبوس ، كما أن تماثل « الكرنك » المحفوظ الآن بمتحف « القاهرة » يظهره في قصره المعهود



شكل ٢٧ هـ

تماثل « أمتحات الثالث » من حجر الألبسيدات
يمثلُه في شيخوخته المتقدمة



شكل ٢٧ س

« أمتحات الثالث » في صورة « بو الهول »

فى حين أن وجهه هنا أخذت ترتسم عليه ملامح الكابة ، ويشاهد فيه هذه النظرة التى تنم عن الحزن السافر ؛ وفى تمثاله الجميل المنحوت فى حجر الأيسيديان فى مجموعة « ماك . جريجور » يلاحظ فيه أن الجفنين قد ثقلا وأن تجاعيد غائرة قد خطت تحت عينيه الحزينتين ، هذا إلى فم جامد ووجه قد طغى عليه الشحوب وغمرته الهموم (انظر شكل ٢٧هـ) . وأخيرا يوجد له تمثال من الجرانيت لم يبق منه إلا الرأس ، عثر عليه « بترى » فى « العراية المدفونة » ، وهو يضع أمامنا آخر مرحلة من مراحل حياة هذا الفرعون ، حيث نشاهده رجلا مسنا ذا عينين غائرتين فى محجريهما ، وملا محهما ، ارتسم عليها حزن عميق يعبر عن دنو الأجل ونهاية المطاف فى هذا العالم الذى ملأه مجدا ونفارا (انظر شكل ٢٧ و) . ومن هذه التماثيل يظهر أمامنا حقيقتان : أولاهما هى أن هذا الفرعون على ما يظهر كان غير متمسك بالتقاليد ، فلم يمانع فى أن يصوره مثالوه كما هو على حقيقته لا كما كان يحتمه العرف ، وهو أن يظهر الفرعون صورة



شكل ٢٧ و « تمثال أمنحات الثالث » من العراية فى شيخوخته القانية

ناطقة ترسم على فيه ابتسامة هادئة وجسما جامدا لا حركة فيه ولا حياة. والواقع أنه فعل ما لم يفعله غيره من أجداده على قدر ما وصلت إليه معلوماتنا، إذ قد سمح لرعاياه أن يروه على حقيقته، شاحب المحيا مظلمه، دون أن يرسم على وجهه تلك الابتسامة الهادئة المتغطرة التي كان يظن أنها رمز الملكية وعنوانها .

والحقيقة الثانية يظهر أنه استخدم مثالين أحذق من أولئك الذين عرفوا من قبل . ولا نزاع في أن رأس مجموعة « مالك جريبور » وأحسن تماثيل « بواحول » التي وجدت في « نانيس » تعدّ قطعاً فنية من الطراز الأول في الجودة ، وتضارع في عظمتها أى صورة فنية فى أى عصر، وفى أى بلد .

وبالبحث فى صور ملوك الأسرة الثانية عشرة وما انطوت عليه من حزن وآلام ويأس وقنوط وجرأة ورزانة ، يستدل على أنها كانت فى الواقع تمثل حالة العصر الذى وجدت فيه ، إذ كان كله عصرا مملوءا بالريبة والشكوك إلى حد أن ذلك الشعور قد انعكست ظلاله على أعظم أنواع الفن فى ذلك العصر ، وأعنى به فن النحت والتماثيل ، وبخاصة فى ملوكهم وعلى رأسهم « أمنمحات الثالث » الذى سار بالبلاد إلى القمة فى كل ناحية من نواحي الحياة الاجتماعية، والزراعية، والدينية، والفنية .

تأليه الفرعون « أمنمحات الثالث » — لقد كان « أمنمحات الثالث » من الملوك المصريين الذين بقى اسمهم معروفا عند الكتاب الإغريق ، فقد كان يذكر فى البردى الإغريق باسم « لا مارس » الخ (Mares, Labares, Lamares) .

وهذه التسمية تحريف للقبه « نيمات رع » كما ذكرنا آفا . وتدل شواهد الأحوال على أن « أمنمحات » أصبح ضمن الفراعنة الذين كانوا موضع تقديس بعد موتهم ، بل انتهى الأمر بوضعهم فى مصاف الآلهة، واستمرت هذه العبادة إلى العصور المتأخرة من تاريخ مصر كما سنرى ، وقد كان « فلكن^(١) » أول

(1) Gott. Gel. Anz. (1895) pp: 157, 158; A.Z. Vol. XLIII (1906) p. 84.

(2) A. S. Vol. XL, p. 553.

من وجد اسم « بورامارس » تحريف « نيمات رع » باسم « أمنحات » ، وقد خالجه الشك في هذا ، ولكن ناصره في رأيه كثير من العلماء ، وبقيت الحال كذلك إلى أن ظهرت نتائج الحفائر التي قام بها « فوليا نو » في مدينة « كوم ماضى » من أعمال « الفيوم » ، فجاءت بالبرهان القاطع لرأى « فلكن » وذلك بما كشف عنه في جزء المعبد الذى أقيم في العهد الإغريقى الرومانى .

(Vogliano, "Primo Rapporto degli Scavi . . nella Zona di Madinet Madi (Milano, 1936); Secondo Rapporto (Milano, 1937).

ولم تدل نتائج هذه الحفائر على أن « بورامارس » (Porramarès) كان موحدًا مع « أمنحات الثالث » وحسب ، بل على أن « إزیدور » كان يعلم تمام العلم بتوحيد الآسمين . وقد عثر على لوحة لا نعلم مصدرها ، وهى تدل بوضوح على بقاء عبادة هذا الفرعون في اليهود المتأخرة وهى تحمل اسمه « نيمات رع » ويلاحظ أن « أمنحات » كان يوحد على هذه اللوحة مع الإله « سبك » وهو إله الفيوم . وإذا فلا غرابة في هذا التوحيد إذ قد وجد فعلا أن « أمنحات » متحد فعلا مع « سبك » في هذه اللوحة . وكذلك في النقوش ، هذا فضلا عن أن الإله « سبك » كان في عهد « أمنحات الثالث » يحتل مكانة عظيمة ، وبخاصة في نقوش معبد مدينة « كوم ماضى » ، إذ نجد في الواقع اسمه أبرز من اسم الإلهة « رننوت » التى أقيم من أجلها هذا المعبد . وهما نحن أولاء في نهاية المطاف نرى أن « أمنحات » الرجل العظيم يفرض على الشعب احترامه وتعظيمه لا بالقوة والعنف ، بل بما خلفه من عظيم الآثار الباقية التى أفادت البلاد ، وخطت بها إلى الأمام لدرجة أنهم قد وحدوه مع أعظم الآلهة في عصرهم ، بل تخطوا ذلك فحذفوا اسم الإله الأسمى ، ونقشوا مكانه اسم الملك الذى خلق لهم الإقليم الذى فيه يعبد خلقا جديدا ، ولا غرابة في ذلك فإن « أمنحات الثالث » يعد بحق محي إقليم الفيوم ومغدق نعمة مياه الفيضان على أرض الكنانة .



أمنمحات الرابع

١٨٠١ - ١٧٨٨ ق.م

حالة البلاد عند توليته الملك — بعد وفاة « أمنمحات الثالث » العظيم يظهر أن « أمنمحات الرابع » ابنه قد انفرد بالملك ، وقد كان لقب تنويجه « في ماع ، خروع » .

وتدل الكشف الحديثة على أنه كان مشتركاً حقيقة مع والده في الملك ، غير أن مدة هذا الاشتراك لم تتحدد بعد ؛ ويقول لبعض إنه لم ينفرد بالملك وحده .

ولا نزاع في أن « أمنمحات الثالث » قد ترك لابنه مملكة عظيمة المنزل ، ثابتة النظام ، بفضل جمع السلطة كلها في قبضة الفرعون ، وتلاشى أمراء المقاطعات الوراثيين جملة من البلاد ، واستبداله بهم موظفين تابعين للحكومة الرئيسية . غير أن هذا النوع من الحكم المطلق له عيبه ؛ فإن السلطة المطلقة إذا جمعت في يد فرد واحد قوى ، ثم جاء خلفه ضعيف الشكيلة خائر القوة كان ذلك نذيراً بانتقاص ذلك البناء الضخم الذي شيده من سبقه من الأقوياء ، وتلك حال أثبتتها التاريخ في كل عصوره ، وبخاصة بعد أن تصعد البلاد المحكومة حكماً فردياً إلى أبعد شأولها في المدنية والتحضّر والفتوح . ولقد أصبحت هذه حال البلاد المصرية بعد وفاة عاقلها العظيم « أمنمحات الثالث » ، إذ تدل شواهد الأمور كلها على أن « أمنمحات الرابع » لم يكن بالشخصية البارزة المناضلة مثل والده وأجداده الذين كانوا يسيرون بالبلاد دائماً إلى الأمام . نقول هذا رغم ما تركه لنا من مخلفات وآثار في طول البلاد وعرضها ، تدل على نشاطه وجده اللذين كانا يتفقان مع ما أوتى من عزيمة وهمة محدودتين .



شكل ٢٧

معبد مدينة « كوم ماضى » من عهد الدولة الوسطى

والظاهر أن هذا الفرعون لم يشن أية حرب خارج الحدود المصرية ، إذ لم تصلنا حتى الآن نقوش تدل على ذلك ، وليس هذا بغريب ، فقد ترك له والده البلاد هادئة مطمئنة فى كل تخومها ، ولذلك نرى أن « أمنحتات » قد نشط بعض الشيء بالنسبة لأسلافه فى إرسال البعوث السلمية لاستحضار الأحجار والمعادن لإقامة المباني الدينية التى وصل إلينا بعض المعلومات عنها ، وبخاصة المعبد الذى أقامه بالاشتراك مع والده وهو الذى كشف عنه حديثا فى مدينة « كوم ماضى » فى عام ١٩٣٦ . وقبل أن نتكلم عن بعوثه وآثاره الأخرى فى البلاد ، آثرنا أن نفصل القول بعض الشيء عن هذا المعبد ، وتاريخ المكان الذى أقيم فيه ، وأهمية البناء نفسه من الوجهة الدينية والفنية والتاريخية ، وذلك لعدم صدور بيان شافٍ حتى الآن عن هذا المعبد والمكان الذى أقيم فيه .

مدينة «كوم ماضى» ومعبدها — فى عام ١٩٣٣ كشفت بعثة جامعة «ميلانو» معبدا صغيرا يرجع تاريخه للأسرة الثانية عشرة أثناء أعمال الحفر التى قام بها الأستاذ «فوليانو» فى مدينة «كوم ماضى» الواقعة جنوب غربى «الفيوم». ويرجع تاريخ إقامة هذا المعبد إلى أيام الحكم المشترك للفرعونين «أمنمحات الثالث والرابع». وتدل الآثار الباقية على أن دهليز هذا المعبد قد اختفى، ويتألف المعبد من صرحين على الجانبين، تتوسطهما قاعة عمد تتصل بباب عظيم ومز ضيق إلى ثلاث مقاصير أو هياكل صغيرة لا يزال سقفها محفوظا حتى الآن. وكانت مخصصة لعبادة ثالوث هذه الجهة، ويتألف من الآلهة «رنتوت» وهى على صورة ثعبان تقول عنه النقوش إنه كان «حيا»، ثم الإله «سبك» الذى كان يعبد كثيرا فى تلك الجهة فى صورة تمساح، والإله «حور» أو «شدد حور» أى «حور الفيوم».

ولا يدل ما بقى من النقوش والرسوم البادية فى جدران هذا المعبد على ما كان عليه المتفنن المصرى من الدقة والمهارة فى هذا العصر الذهبى. وتحتوى هذه النقوش فى جملتها على مراسيم التطهر، ووضع الأساس، وتقديم القربان، غير أن عدم الدقة لا يقلل من أهمية هذا المعبد الذى يعد من المباني الدينية النادرة فى هذا العصر.

وتقع مدينة «كوم باضى» الآن فى قلب الصحراء على بعد عدة كيلومترات من الأراضى الزراعية رغم أنها كانت فى الدولة الوسطى إحدى المدن التى نشأت على شاطئ البحيرة القديمة؛ وكانت تصلها المياه العذبة ليستقى بها أهلها، ويروون بها حقولها من ترعة أشارت إليها نصوص الدولة الوسطى، وكانت تتبدى عند «اللاهون» وتسير غربا، ثم شمالا فتروى جميع البلاد الواقعة جنوب وغرب مديرية «الفيوم». وظلت هذه المدينة عامرة حتى أيام العرب، فلما زاد الأهالى فى تطهير الترع بعد أيام الفاطميين وإصلاح الجسور، لم تعد المياه تصل إلى البلاد النائية، بجفت حقولها وهجرها أهلها، وتحولت بعد وقت قليل إلى صحراء بعد أن غطتها الرمال.

وكانت هذه المنطقة عامرة في أيام الدولة الوسطى والحديثة، ولكن تضاعف شأنها بعد ذلك إلى أن ازدهرت مرة أخرى في أيام البطالمة، واستمر هذا الازدهار حتى أوائل عصر الرومان .

وصف معبد الدولة الوسطى وأهميته — والمعبد القديم مبنى فوق ربوة تشرف على البحيرة القديمة ، وجدرانه كلها مغطاة بالنقوش . وقد أصلح في عهد الأسرة التاسعة عشرة، ولكن هذه الإصلاحات لم تمتد إلى إصلاح المعبد الأصلي . والظاهر أنه في عهد البطالمة والرومان قد زيد في البناء القديم بإنشاء عدة ردهات أمامه ، كما أنشئوا طريقا طويلا وضعت على جانبيه تماثيل « بو الهول » كما بنوا أيضا في العصر اليوناني الروماني معبدا كبيرا خلف معبد الدولة الوسطى .

وهذه المعابد تتوسط مدينة كبيرة لم ينلها كثير من التخريب والتدمير في العصور الحديثة، وبخاصة على يد المسمدين بعدها عن الزراعة؛ من أجل هذا عثرت فيها البعثة في الفترات المتقطعة التي قامت فيها بأعمال الحفر على آثار قيمة من أوراق البردى والاستراكا والتماثيل، ولكن لم يتناول عمل البعثة إلا جزءا يسيرا من المدينة القديمة التي تنتظر معول الحفار . ومعبد الدولة الوسطى هو بلا شك أهم آثار مدينة « كوم ماضى » إن لم يكن من أهم الآثار في مصر كلها ، إذ أنه رغم صغره كما قلنا في حالة جيدة ، ويضيف إلى معلوماتنا عن ديانة قدماء المصريين وهندسة بنيانهم في الأسرة الثانية عشرة شيئا لا يستهان به .

ومن النقوش التي تلفت النظر في هذا المعبد كذلك النقوش التي تنبئ بأن «أممحات الثالث» احتفل بعيده الثاني من أعياد «سد» (أى عيد الثلاثين)، ولعل هذا البناء كان قد أقيم لأجل هذه المناسبة في حكمه المشترك فيه مع ابنه «أممحات الرابع» .

هرم أممحات الرابع — وقد عزا المستر «ماكي»، إلى هذا الفرعون بناء هرم « مزغونة » الجنوبي وقال إنه دفن فيه (Petrie, "Labyrinth" p. 49) ، وكذلك عزا الهرم الأخير الموجود في هذه الجهة إلى أحد أخلاف «أممحات الثالث»

المباشرين . وهذان الهرمان يقعان على بعد عدة كيلومترات جنوباً من جسر «دهشور» ، غير أن الأستاذ «جيكه» بعد فحص هذين المبنيين أحققهما من حيث فن العمارة إلى مباني عصر الأسرة الثالثة عشرة ، وبخاصة بعد أن وُجد تشابها عظيماً بينهما وبين هرم «ختر» ، وما وجد فيه من الآثار المشابهة لما وجد فيهما .

(Jequier, "Deux Pyramides du Moyen Empire", p. 67.)

وكذلك ظنّ «فلنדרز بترى» أن الهرم المبني من الحجر في «دهشور» هو لهذا الملك ، ارتكنا منه على نقوش مشكوك فيها وجدت في المحاجر . وهذا الظن بطبيعة الحال يثير أمامنا مسألة المكان الذي دفن فيه هذا الفرعون ويعمل ذلك موضع بحث من جديد . (Petrie, "Season" p. 17) .

آثار «أمنمحات الرابع» في أنحاء القطر — هذا وقد عثر لهذا الفرعون على آثار عدة في جهات متفرقة في أنحاء القطر وخارجه ، منها هياكل أو تماثيل ، ومنها نقوش على لوحات أقامها رجال البحوث الذين أرسلهم في حملات لقطع الأحجار ، أو استحضر الأحجار نصف الكريمة . وستناول كلا من هذه المخلفات على حدة .
فن التماثيل التي وجدت له أو كتب عليها اسمه ما يأتي :

(١) تمثال من الجرانيت الأسود للإلهة «حتحور» وقد عثر عليه في «طيبة» .

راجع (L. D. Vol. II, Pls. 120. f. g. 140. m.; Berlin. No. 1117)

(٢) ويوجد له بمتحف «الإسكندرية» الآن تمثال مزدوج من حجر «الكوارتسيت» المستخرج من «الجليل الأحمر» . وقد وجد رأس التمثال مهشماً وعثر عليه في «أبي قير» ، ويلاحظ أن اسم الفرعون الذي كان على صدر التمثال قد حوّل محو ، ولكن لحسن الحظ كانت قد كُتبت كتابته بين مخلاي التمثال فعرف تماماً .

(Daninos, "Rec. Trav.", Vol. XII, p. 213; A. S. Vol. V, p. 116)

(٣) وكذلك عثر على الجزء الأمامى لتمثال له فى صورة « بو الهول » من حجر الكوارتسيت لا يعلم مصدره الأصل ، وقد كتب صدره بحروف غائرة «ملك الوجه القبلى والبحرى» رب الأرضين « ماع خرورع » ومعطى الحياة ،

(Borchardt, "Statuen und Statuetten von Königen und Privatleuten im Museum Kairo", No. 338, Cairo Register No. 25778).

(٤) وعثر على قاعدة من الجرانيت الأحمر باسم هذا الفرعون واسم والده «أمنحات الثالث» ، وقد استخرجت من رصيف الأحجار الواقع جنوب (البوابة) الثالثة للفرعون «أمنحتب الثالث» بالكرك، ويبلغ ارتفاعها نحو ثمانمائة وأربعة وثلاثين سنتيمترا . أما سطحها الأعلى فيبلغ طوله ١,٥٥ مترا وعرضه ٨٩٧,٠ من المتر . وتدل النقوش الغائرة فى هذه القاعدة على أن «أمنحات الثالث» قد شغل النصف الأيمن للناظر من هذه اللوحة، وشغل «أمنحات الرابع» الجزء الأيسر منها بنقوش نمائلة تقريبا، وهى عبارة عن تقديم هذا الأثر للإله «آمون» رب عروش الأرضين . ولا نزاع فى أن هذا النقش هو برهان آخر على ما ذكرناه وذكره بعض المؤرخين من أن هذين الفرعونين كانا قد اشتركا مدة فى الحكم .

(Gauthier, "Livres des Rois", Vol. I, p. 338, Note 2; Breasted, "A History of Egypt" (2nd ed) p. 208)

والظاهر من النقوش التى وجدت على سطح هذه القاعدة أن هذا الأثر كان قد صنع ليوضع عليه « ناووس » أو سفينة مقدسة للإله «آمون» . وهذه النقوش لم يظهر فيها أى نحو من جانب « أمنحات الرابع » بل على العكس نجد أن الجهة اليسرى من هذه اللوحة أكبر من الجهة اليمنى بنحو أربعة سنتيمترات، مما يدل على أنه لم يكن هناك اغتصاب من جانب «أمنحات الرابع» . ونجد على الجزء الأمامى من النقوش أن كلا من الملكين يقدم هذا الأثر للإله «آمون» كما ذكرنا .

ونرى على الجزء العلوى من القاعدة نقشين مختلفين : أحدهما للفرعون «أمنحات الثالث» ، والثانى «لأمنحات الرابع» . فالنقش التالى للفرعون «أمنحات

الثالث» هو : حور الحى عظيم البأس ، سيد التاجين ، الذى يستولى على إرث القطرين ، حور الذهبى ، صاحب الحياة الدائمة ، ملك الجنوب والشمال « نيمات رع » ، ابن الشمس الذى أنجبه من جوفه^(١) . لقد عمل هذا أثرا مهدى لوالده « آمون رع » سيد عروش الأرضين ، وسيد « الكرنك » ، لقد عمل له قاعدة من الجرانيت الأحمر يمكن الإله أن يجلس عليها لينال ملك الجنوب والشمال « نيمات رع » « حظ آمون » من الحياة ، والثبات ، والسعادة ، والصحة ، ولينال كذلك حظ التمتع مع روحه على عرش « حور » الأحياء مثل « رع » مخلدا .

أما النقش الخاص بالفرعون « أمنمحات الرابع » فهو : « حور » الحى ، كائن الكائنات ، سيد التاجين ، الذى يجعل الأرض في عيد ، حور الذهبى ، رئيس الآلهة ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ، « ماع خرورع » بن الشمس ، من جوفه « أمنمحات » . لقد عمل هذا أثرا لوالده « آمون رع » رب عروش الأرضين ، وسيد « الكرنك » . لقد عمل قاعدة كرسى من الجرانيت الأحمر يمكن الإله أن يجلس عليها ، لينال ملك الوجهين القبلى والبحرى « ماع خرورع » من آمون الحياة والثبات والصحة والسعادة ، وكذلك لينال (حظ) التمتع مع روحه على عرش « حور » ملك الأحياء مثل « رع » مخلدا .

فهذا النقش فضلا عن أنه يظهر لنا « أمنمحات الثالث والرابع » مشتركين معا فى الحكم ، فإنه من جهة أخرى يضع أمامنا اللقب « نبى » (الصل والعقاب) للملك « حور » الذهبى للفرعون . « أمنمحات الرابع » لأول مرة فى النقوش التى عثر عليها حتى الآن راجع (A. S. Vol. XXIV, pp. 65-68) .

(٥) ويوجد بين آثار المتحف المصرى قاعدة « لناووس » كان يحتوى على تمثال للملك أو تمثالين كما يقول المستر « برنتون » ، لأجل أن يقدم له القربان (A. S. Vol.

(١) هذا تعبير مصرى أصيل ويراد به الذى أنجبه من ظهره .

XXXIX, p. 178) في احتفال «فتح الفم»، كما تدل على ذلك النقوش الباقية على هذه القاعدة، وقد وجد منقوشا عليها اسم الفرعون على تسع صور للملك، غير أنه وجد في الوقت نفسه أن هناك اسما آخر كان يذكر بعد اسم الفرعون قد محى. وهذا المحو لا يمكن أن يعزى إلى «إخناتون» الذي كان يقصر همه على محو اسم الإله «آمون رع»، بل الواقع أنه كان يدل على خلاف أسرى في أواخر الأسرة الثانية عشرة، وهذا على ما يظهر بعيد الحصول لأن «أمنمحات الرابع» والملكة «سبك نفرو» كما يقول (برنتون) كانا أخا وأختا، ومن الجائز إذا أن يكون «أمنمحات الرابع» قد محى اسم والده بعد انفراذه هو بالحكم، ولكننا من جهة أخرى نجد اسميهما على كثير من الآثار دون أى محو. ولعل الكشف التالية تظهر لنا ما يفسر ذلك.

وهذه القطعة وجدت في «مصر القديمة»، ولا يمكن أن نفسر وجودها في هذه الجهة إلا أن عبادة الملوك الأقدمين كانت مرعية في أمهات المدن الدينية مثل «عين شمس»، وأن هذا الأثر كان قد أقيم له أولا في هذه الجهة، وأنه نقل إلى هذه الجهة واستعمل ثانية في بناء أثر آخر لأحد الملوك الذين أتوا بعدهما.

وقد ذكر اسم «أمنمحات الرابع» على لوحات بعض الأفراد في عصره، منها لوحة لشخص يدعى «خوى» ويحمل لقب الساقى، ويلاحظ أن هذا الموظف يتقرب في أدعيته الدينية للإله «بتاح سكر» وإلى «أوزير» رب «عنخ تاوى» وهى جزء من منف. (Aegyptischen Grabstein und Denkstein aus Suddeutschen Sammlungen, Vol. I, p. 8, Pl. VII)

وكذلك توجد لوحة جنازية من الجبرالجبرى لشخص يدعى «إيونف» وهو موظف يلقب مدير البيت عاش في الحكم المشترك لكل من «أمنمحات الثالث» وابنه «أمنمحات الرابع».

هذا وقد وجدت له نقوش قيمة في «قنة»، وهى لوحة في الصخر كتب عليها مقاييس مناسب النيل في السنة الخامسة من حكمه، وتلك سنة وضعها والده

«أمنمحات الثالث» من قبله. (L. D., Vol. II, Pl. 152. f.)

البعوث إلى سينا — تدل النقوش التي خلفها رجال البعوث الذين أوفدوا إلى « سينا » في عهد أمنمحات الرابع على أن نشاطه كان عظيما في استخراج المعادن من أنحاء شبه الجزيرة .

وقد عثر رجال بعوثه على نقوش عدة بعضها على لوحات قائمة بذاتها أو على الصخور نفسها . وقد وجدت تواريخ بعوث مؤرخة بحكم هذا الفرعون في السنة الرابعة والسادسة والثامنة والتاسعة . ويلاحظ أن معظم هذه اللوحات لم تذكر لنا بالتحديد الأغراض التي كانت ترسل من أجلها البعوث ، بل كان معظمها تذكاريا أو تقريبا لآلهة هذه الجهة . ومن أهم من ترك لنا نقوشا في عهد هذا الفرعون موظف كبير على ما يظهر اسمه « ساسبدو » ، وآخر اسمه « كماونخت » ، ففي السنة الرابعة أقام الأول لوحة في « سرابة الخادم » جاء فيها « السنة الرابعة في عهد حكم جلالة ملك الوجه القبيل والبحرى » « ماع خروع » (أمنمحات الرابع) عاش إلى الأبد . قربان ملكي للآلهة « حتحور » سيدة الدهنح أو الفيروز لروح الشريف « ساسبدو » المبرأ ، وصاحب الشرف والذي يحبه سيده حقا وخليله ، ثابت القدم ، وثيد الخطأ ، ومن يمدحه سيده ، ومن يخرق البلاد الأجنبية بعد الأرضين ، حامل الخاتم لخادم مجلس القصر المسمى « كماونخت » المبرأ ، ورب الاحترام . ثم يأتي بعد ذلك نداء للأحياء بأن يقدموا قربانا إلى « كماونخت » هذا .

ثم يلي هذا رسم تسعة أشخاص يظهر أنهم أهم رجال هذه البعثة يتقدمهم رئيسهم ، ويلي ذلك عدة نقوش لموظف يدعى « زاف » . ففي السنة السادسة ترك لنا لوحة مستطيلة الشكل تعلوها حلية في صورة جريد النخل ، ومزينة من أسفل بواجهة قصر ، وقد أرتخت في السنة السادسة من حكم هذا الفرعون ، ويحمل صاحبها لقب وكيل حامل الختم الإلهي (الفرعون) ، ومدير مستخدم البيت الأبيض (الخزانة) . وتشمل النقوش التي حول اللوحة ألقاب « أمنمحات الرابع » الذي يقال عنه إنه محبوب أرض الإله « عتي » ، والمرسوم في اللوحة بصورة غريبة ، وهذا

الإله كان معروفا بأنه إله بحرى للعبور (راجع كتاب الأدب المصرى ص ١٤٩)
(Gardiner and Peet, Sinai, Pl. XLII, No. 119.)

ولدينا نقوش أخرى مؤرخة بالسنة السادسة من حكم هذا الفرعون فى «وادی مغارة» نقش فى الصخور على صورة لوحات أهمها اثنتان : الأولى يذكر لنا فيها صاحبها إلهى الجهة وهما : «سبدو» رب الشرق، والإلهة «حتحور» ربة الدهنج أو الفيروز، ثم يذكر صفاته ويطلب إلى كل من أتى إلى هذه الجبال أن يقدم لحامل الختم قربانا مليكا إلى (ibid, Pl. XI)

أما اللوحة الثانية التى نقش فى هذا التاريخ نفسه فهى لحارس مخزن القصر «خعاى» ، وقد جاء فيها : «السنة السادسة من حكم جلالة ملك الوجهين القبلى والبحرى» «ماع خروع» عاش مخلدا محبوب «سبدو» [رب الشرق] ومحبوب «حتحور» ربة الدهنج أو الفيروز ، ثم يذكر لنا أنه تتبع خطوات سيده، وأن جنوده كانت فى طاعته لتنفيذ أغراضه (؟) .

(ibid, Pl. XII, No. 33; Breasted, A. R. Vol. I, Par. 750)

ويوجد نقش ثالث بهذا التاريخ نفسه مهشم ذكر اسم الفرعون، واسم صاحبه «سنبو» ، وأمه، والصيغة الدينية المعروفة لطلب القربان .

(Gardiner and Peet, Pl. XII, No. 33)

نقوش الموظف «زاف» الأخرى — وفى «سراية الخدام» أقام «زاف» السالف الذكر لوحة عظيمة (Ibid, Pl. XLII) مؤرخة بالسنة السادسة أيضا. وهذه اللوحة على ما يظهر كانت آية فى دقة الصنع، غير أنها وجدت مهشمة ولم يبق منها إلا القليل . فنجد فى أعلاها السنة السادسة ولم يذكر لنا اسم الملك، غير أننا عرفناه من صاحب اللوحة . وقد ذكر عليها اسم الإلهة «حتحور» سيدة الدهنج أو الفيروز ثم الإله «بتاح» ولقب «زاف» . وفى أسفل اللوحة نجد منظرا لشخص جالس وأمامه مائدة قربان محملة بالمأكولات والشراب ، ثم

نجد لقب كاهن الإلهة « حتحور » حارس حجرة البيت الأبيض (الخزانة) غير أننا
لا نعرف اسمه . (Ibid, Pl. XLIII, No. 120)

ونجد لهذا الموظف بعينه لوحة أخرى ، غير أنها مؤرخة بالسنة الثامنة من حكم
هذا الفرعون ، ومعه آخرون ، واللوحه جنازية محضه في نقوشها ، وقد جاء فيها ذكر
الإلهة « حتحور » ، وكذلك الإلهة « نيت » ، (Ibid, Pl. XLIII, No. 121) والإله
« سبدو » رب الأراضي الأجنبية (الصحراء) ، ولهذا الموظف كذلك لوحة أزخت
بالسنة التاسعة من حكم هذا الفرعون . (Ibid. Pl. XLV, No. 122.)

ومع اللوحة مائة قربان جاء فيها : ” السنة التاسعة ، الشهر الثالث من فصل
الزراع ، اليوم السادس والعشرون (أى أن الرحلة كانت في فصل الصيف) “ . ويرى
في هذه اللوحة منظر يقدم الملك فيه آتية للإله « خنتى خاتى » (في صورة صقر) ، ثم
للإله « سبدو » رب [الصحراء] (؟) . وفي الجزء الأسفل من اللوحة وهو الذى
لم يصبه التهشم نجد الصيغة الدينية وقد ذكر فيها الإله « جب » إله الأرض ، ثم
الإله « بتاح سكر » إله الموتى فى « منف » ، ثم الإله « أوزير » رب « عنخ تاوى »
(جزء من منف) ، ثم الإله « خنتى خاتى » رب الإقليم (؟) (وهو الإله المحلى « لأثريب »
(بها الحالية) . ثم « حتحور » سيدة « الدهنج » أو « الفيروز » لأجل أن يعطوا
« زاف » صاحب اللوحة قربانا . ومما يؤسف له أن هذه اللوحة مهشمة لدرجة
كبيرة ، فلم يمكن استخلاص شئ منها كثير . وتتحصر أهميتها فى أنها عملت
فى السنة التاسعة من حكم هذا الفرعون ، وكذلك فى ذكر الآلهة الذين كان يتعبد لهم
فى هذه الجهات .

ويوجد فضلا عما ذكرنا ستة نقوش فى « سرابة الخادم » عليها اسم هذا
الفرعون ، غير أنها مهشمة وغير مؤرخة ، وأطولها نقش على جدار فى معبد « سرابة
الخادم » كتبه « زاف » المعروف لنا ، وفيه يشير إلى الأحجار الصلبة والقربان التى

كانت تقدم للإلهة المحلية في هذه الجهة (Ibid. Pl. XLVI, No. 123)، ثم لوحة كبيرة لمدير المستخدمين «سنبي»، ونجد عليها الملك يعبد كلا من الإله «بتاح»؛ والالهة «حتحور» سيدة «الدهنج» أو «الفيروز»، والظاهر مما بقى على اللوحة أن هذا الموظف كان يتحدث عن مكانته عند الفرعون، وما كان يقوم له به، كما نجده في اللوحات السالفة. وفي أسفل اللوحة يرى أخو «سنبي» يقدم له الطعام على مائدة (ibid, Pl. XLI, No. 126)، أما النقوش الباقية فليس فيها شيء يستحق الذكر (راجع Ibid, Pl. XLVIII, No. 127; XLIV, Nos. 128, 129; XL; No. 130)

بعوث «أمنمحات الرابع» إلى «وادي الهودي» — أما في الصحراء الشرقية الواقعة على بعد أربعين كيلومترا جنوب شرق «أسوان» فقد عثر له على لوحة في «وادي الهودي» السالف الذكر، وذلك نتيجة لبعثة أرسلها بطبيعة الحال لإحضار «حجر الجمشث» (أمتست)، وهو الذي يدعى بالمصرية «حسمن» وكان يترجم بكلمة نحاس إلى عهد قريب كما سلف ذكر ذلك.

وهذه اللوحة هي إحدى اللوحات الثلاث التي أهداها البباشي «زكي عبد الحميد»، وتوجد ضمن مجموعة اللوحات التي عثر عليها الأستاذ «أحمد نفري» المختص ببحوث الصحراء الأثرية والأمين بالمتحف المصري.

وقد جاء فيها: «السنة الثانية من حكم جلالة ملك الوجهين القبلي والبحري «ماع خوروع» عاش أبد الآبدين قريب الملك الحقيقي الذي يحبه وخليه، والذي يفعل كل ما يمدحه كل يوم وكل نهار، الثابت القدم، والوئيد الخطأ، والذي يعبد طريق من يعظمه، رئيس الخزانة، ووكيل مدير حامل الختم، وهو الذي يخرج إلى الطريق الجبلى الخاص بالجمشث عند ما يأمره جلالته، وهو الذي يخرج إلى صحراء «رشوت» (في الصحراء شبه العربية) [ولابد أنه يقصد هنا جزيرة «سينا»] ثابت القدم تركت باقي اللوحة دون كتابة وذلك يدل على أن صاحبها لم يتم كتابتها لسبب ما».

آثاره الأخرى المتفرقة — وخلافا لما ذكرنا يوجد لهذا الفرعون بعض تحف صغيرة منها لوحة صغيرة، من الأردواز عليها طلاء أخضر، ومنقوش عليها اسم هذا الفرعون، وهي الآن في «المتحف البريطاني» (Rec. Trav. Vol. XII, p, 213) وكذلك يوجد صندوق صغير من الأبنوس والعاج مكتوب عليه اسم الفرعون واسم صاحبه «كن» الذي كان يشغل وظيفة حارس إدارة المطبخ .

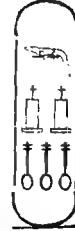
(Carnavon and Carter, Explorations, XLIX)

وفي «اللاهون» عثر على أوراق بردية ترجع إلى عهد هذا الفرعون، بل تدل الأحوال على أنها كتبت في عهده، ولدينا ورقة منها مؤرخة بالسنة السادسة من حكمه على وجه التأكيد، وهناك أوراق أخرى يجوز أنها ترجع إلى السنة العاشرة من حكمه أو من حكم غيره من الملوك الذين خلفوه . وقد بقى لنا من هذه الأوراق التي وجد عليها اسمه خطابات أحدها من خادم الوقف إلى سيده يطلب إليه أن يرسل له عشرة أوزات (Kahun Papyri, Vol. I, p. 67)، والثاني من خادم الوقف المسمى «نعم» إلى سيده مدير المستخدمين يسأله فيه عن صحته وأحواله، ويخبره عن موضوع صيد سمك وما يريد أن يرسله منه لسيده الخ . وقد أرخ هذا الخطاب في السنة السادسة، الشهر الأول من فصل الشتاء (طوبة) اليوم الثاني من حكم «ماع نرورع» «أمنمحات الرابع» (Kahun Papyri", Vol. I, p. 77) . هذا وقد وجدت «لأمنمحات الرابع» عدة جعارين وأسطوانات في مجاميع مختلفة منها إسطوانة في مجموعة جعارين «نيو برى» (Newberry, "Scarabs", Pl. VI. 18) وفي مجموعة «مالك جريجور» (Mac Gregor Sale Catalogue, Lots 517, 520) ثم جعارين أخرى، (راجع

Newberry, "Scarabs", Pl. IX. 38; Petrie, "Hist. Scarabs", 273-274; Petrie, Scarabs, Pl. XIV; Dubois, "Choix de Pierres Gravées", Pl. IV, 9)

هذا معظم ما نعرفه عن هذا الفرعون وعصره على وجه التقريب، وقد ذكرت لنا

ورقة (تورين) أنه حكم تسع سنين وثلاثة أشهر وسبعة وعشرين يوما . وهذا التاريخ يتفق مع ما عثرنا عليه منقوشا على الآثار كما سلف ذكره .
أما آثاره التي عثر عليها في خارج القطر فسيأتي ذكرها في الكلام على المدينة في حينه .



الملكة سبك نفرو

١٧٩٢ . ١٧٨٧ ق م

تدل الأحوال على أن « أمنمحات الرابع » قد توفى دون أن يترك له خلفا من الذكور ، والظاهر أن الأميرة « سبك نفرو » أخته كانت الوارثة الوحيدة للملك فتوجها أشراف البلاد ملكة عليهم ، وقد ذكر لنا « مانيتون » أنها أخت « أمنمحات الرابع » وعلى ذلك تكون بنت « أمنمحات الثالث » .

ومعنى « سبك نفرو » حسن الإله « سبك » وهو الإله الذي يمثل في صورة تمساح والإله الحارس « للفيوم » .

آثارها الباقية — والآثار التي خلفتها هذه الملكة قليلة جدا . وأهما أسطوانة موجودة الآن « بالمتحف البريطاني » 2630; (Hall, "Catalogue of Scarabs" Vol. I, p. 208. Fig. 119) وهي مصنوعة من الإردواز الأبيض المطلى باللون الأزرق وجمها أكبر من المعتاد . وتتمحصر أهميتها في أنها القطعة الوحيدة التي عثرنا عليها حتى الآن ، المنقوش عليها كل ألقاب التتويج لهذه الملكة . فاسمها الحورى هو « مريت رع » أى محبوبة إله الشمس « رع » (٢)

واسم نيتى (أى الصل والعقاب) هو «أخت خرب نب تاوى» ومعناه حسن القيادة رب الأرضين (٣) واسم «حورنب» أى حور الذهبى هو «زدخع» ومعناه ثابت فى ظهوره (٤) والاسم نسوت نيتى = «ملك الوجهين القبلى والبحرى» هو «سبك شدى نفرو عنخ تى» = المطالبة بجمال «سبك» العائشة. وقد ذكر اسمها «مانيتون» محترفاً بلفظة «سكيو فريس» (Skemeophris)، ولذلك يعتقد أنها استعملت اسمها الأصلي «سبك نفوروع» وهو تحريف الاسم اليونانى .

وقد عثر على تمثال «بو الهول» فى «الخطاعة» بالقرب من «تايس» (صان) فى الدلتا وقد وجد عليه خرطوش نقش بين غلاييه، ويحتمل أن يكون خرطوشها، (Naville, "Goshen and the Shrine of Saft el Henna", 19. c.)

وذلك لاختلافه بعض الشيء عن اسمها الأصلي .

وكذلك وجدت بعض عقود بناء من الجرانيت فى معبد «إهناسية المدينة» نقش عليها اسمها، وهذه النقوش قد حفظت لنا لاستعمال الأحجار التى وجدت عليها فى أبنية من العهد الرومانى ثانية. (A. S. Vol. XVII, p. 34) ولم نعر إلا على جدران واحد عليه اسم هذه الملكة (Petrie Collection, University College) غير أن اسمها قد وجد منقوشاً على بعض قطع الأحجار التى عثر عليها فى «البرنت» «بهواره»، والمفروض فى هذه الحالة أنها قد أقامت هناك هيكلًا أو أصلحت محراباً أو معبداً كان مصيره كصير المبانى التى أقيمت هناك (L. D. Vol. II, Pl. 130; Petrie, هناك "Hawara", Pl. XXVI. 12; Petrie, "Kahun" Papyri, XI. I.)

والغريب أن اسمها قد وجد فى هذا المعبد مع اسم والدها «أمنمحات الثالث» ولم يعثر على اسم «أمنمحات الرابع» غير أن هذا يمكن أن يعزى لقلة ما بقى من المعبد وأن بقاء اسم هذه الملكة كان محض صدفة . !!؟

وتخبرنا ورقة «تورين» أن «سبك نفرو» قد حكمت البلاد مدة ثلاث سنوات وأربعة أشهر وأربعة وعشرين يوماً، ولم يكن لها خلف من الذكور فإن حكمها بعد خاتمة هذه الأسرة . (Gauthier, "Livres des Rois", Vol. I, p. 341)

وقد ظنّ البعض أن الملكة «سبك نفرو» قد اشتركت في حكم البلاد مع أخيها «أمنمحات الرابع» وقد أضحى هذا الرأي الأستاذ «اجرتون» :

(J. N. E. S. (1942) pp. 307-314)

غير أن الأستاذ «نيوبرى» يعتقد أن الملكة «سبك نفرو» قد اشتركت مع والدها «أمنمحات الثالث» في حكم البلاد مبرهنا ذلك بما جاء في نقش عثر عليه في «هواره» (Petrie, "Kahun", Pl. II. 1). ويقول إن في هذا النص يلاحظ أن طغراء الملكة قد سبق بالعبرة : «سات رع» أى بنت الشمس، ويحيطها من كلا الجانبين لقب «أمنمحات الثالث». ويستمر الأستاذ «نيوبرى» فيقول : "أما فيما يختص باسم «سبك نفرو رع» وهو الذى حرفه «مانيتون» إلى «سكيوفريس» واستعمله الأستاذان «برستد» و«مير» وغيرهما من المؤرخين، فيجب أن يلفت نظرنا أنه ليس بين ما وجد من الآثار في عهدها ما يثبت وجود كلمة «رع» في نهاية الاسم، وأن الاسم قد كتب «سبك نفرو» أو «سبك شدى نفرو»، هذا ويلاحظ أن كتابة الاسم كما جاءت على تمثال «بو الهول» الذى عثر عليه «نافيل» في «تل البركة» (Goshen Pl. IX, cf, p. 21) لا يمكن أن يتخذ دليلا على قراءة الاسم، لأن قارئه قد اعترف أن قراءته ليست محققة. هذا وقد عثر على قطع من الحجر في «هواره» نقش عليها طغراء الملكة هكذا : «سبك نفرو سات رع»، (L. D. II, 140) ويلاحظ أن عبارة «سات رع» (بنت الشمس) هنا قد وجدت داخل الطغراء وهذا ما حدا إلى الظن بوجود خطأ إملائي في كتابة طغراء الملكة في قائمتي الكرنك «وتورين». هذا والواقع أن لقب الملكة كان «سبك كارع» كما يبرهن على ذلك نقش عثر عليه في «كوم العقارب». (A. S. Vol. XVII, p. 34) حيث نجد كلمة رع قد هشم بعضها ولكن يمكن تحقيق وجودها من أسطوانة معاصرة قد رأيتها ونقلت ما عليها منذ بضع سنين مضت في حانوت تاجر في القاهرة. وكذلك نلاحظ أن قائمة ملوك سقارة قد وضعت لقب الملكة هذا في مكانه الصحيح في نهاية أسماء ملوك الأسرة الثانية عشرة

وهى القائمة التى نقلها نحات الرعامسة بصورة معكوسة . أما قائمة « العرابية » فقد حذفت اسم « سبك نفرو » بحلة ، ويقول لنا الأستاذ « نيوبرى » فى نهاية مقاله هذا ما يأتى :

إن حكم « أمنمحات » كان حكما طويلا ، وأكبر تاريخ له على الآثار عثر عليه حتى الآن هو السنة السادسة والأربعون . ومن المحتمل أنه فى مدة هذا الحكم المديد قد كان له شريك فى الملك ، أحدهما قد توفى أو خلع من الملك قبل أن يتولى الآخر . ولذلك أعتقد على ضوء ما ذكرنا آتقا احتمال عدم انفراد « أمنمحات الرابع » بالحكم وحده قط بل كان مشتركا مع والده « أمنمحات الثالث » .

(J. E. A., Vol. XXIX, pp. 74, 75)

والواقع أن ما قاله الأستاذ « نيوبرى » قد يكون له نصيب كبير من الصحة إذ وجدنا فى بعض الأحيان محوا فى بعض الآثار التى عليها اسم كل من هذين الفرعونين وبذلك تكون « سبك نفرو » قد اشتركت مع والدها فى الحكم بعد خلع أخيها « أمنمحات الرابع » وبقيت تحكم بعد وفاة والدها . ومع كل هذا فإن الموضوع لا يزال معلقا ولا يمكن الجزم فيه بصورة قاطعة .

المدينة في عهد الدولة الوسطى

مقدمة

استقبلت البلاد المصرية بتولى ملوك الأسرة الثانية عشرة عصرا ذهبيا جديدا، فقد نهضت البلاد بعد الهوة السحيقة التي دفعت فيها، وعادت ثانية إلى رفعتها القديمة، غير أن الدولة في عهدها الحديد لم تظهر بنفس المظهر الذي كانت عليه في عهد الدولة القديمة، فإن الفرعون وإن كان يحكم البلاد من أقصاها إلى أقصاها دون منازع، وأصبحت تمثل فيه وحدة البلاد وقوتها، إلا أن علاقته بها لم تكن مع ذلك هي نفس علاقة الفرعون بالبلاد في عهد الدولة القديمة . فلم يعد التاج يملك أراضى يخططها العذ والحصر . ولم تكن حكومات المقاطعات في قبضة موظفين تابعين لسلطان الفرعون مباشرة ، ومن ثم يمكنه أن يعزلم بحجرة قلم متى اقتضت إرادته ذلك ، بل أصبح سلطانه في الواقع أكثر انكاشا لتقيده بأمرء الإقطاعات الوراثيين ، وحتى عند ما تغيرت هذه العلاقات في النصف الثانى من حكم هذه الأسرة لم تعد مكانته إلى ما كانت عليه في عهد الدولة القديمة ، فإن الفرعون كان قد سقط نهائيا من عليائه الإلهية المخوفة برهة لا يمكن الدنو منها ، وأصبحت له هبة الحاكم فقط . ولم يقض على نفوذه وهيبته جملة بسبب ما حاق بالبلاد من تدهور عميق طويل المدى ، وذلك لأن الضمان الداخلى الذى كان من مميزات الدولة القديمة ، لم يكن ميسورا لملوك الأسرة الثانية عشرة ، فكان لابد لهم من أن يجاربوا في سبيل الوصول إلى ذلك حتى يستقيم لهم الأمر ، ويقبضوا على ناصية الحكم . من أجل ذلك كان لزاما عليهم أن يكونوا جيشا فى باكورة حكمهم ليشد عضد الفرعون ، إذ كانت البلاد ملتهبة بقيام الفتن والمؤامرات خلال الجزء الأول من عصر أسرتهن ؛ ولذلك يجب على الناقد القطن عند ما يسمع الشعراء يتغنون بقوة الفرعون، أو تمثيله فى صورة إله فى الأناشيد التى تفيض حماسة، أو فى التحذيرات

والتعاليم التي تحت على الوفاء له ، والخوف من غضبه وبطشه ، ألا يظن أن مثل الملكية العليا قد تحققت بعد ، بل على العكس يجب أن يرجع هذه الظاهرة إلى الانحطاط والضعف ؛ فإن مصر التي درجت في عصر ما قبل التاريخ إلى مراقى المجد على مهل حتى وصلت إلى رفعتها الشامخة في عهد الدولة القديمة ، كانت تختلف عن مصر التي قد بدأت تنهض من الحضيض الذي عاشت فيه أجيالا لتكون دولة جديدة لها بهائوها القديم وعظمتها النالدة ، وقد كان لزاما على ملوكها أولا أن يصلوا إلى المكانة التي كان الماضي قد أوصل بلادهم إليها ، فيرجعوها إلى قوتها الغضة ، ويرزوها في ثوب من الحياة قشيب ، ويتمتعوا بما وصلوا إليه من معرفة غابرة ؛ هذا ولا يفوتنا أن نذكر أن الثقافة التي أتت عن طريق التطور السياسي قد تخضت عن أسس عريضة بين الأهلين ؛ فلم تعد العاصمة بعد مركزهم الرئيسي ، كما أصبح بلاط أمراء الإقطاع مكانا للعناية بالعلوم والفنون في طول البلاد وعرضها ، وكذلك أصبحت الطبقة المتوسطة الحرة تقوى في البلاد ، وتأخذ مكاتها في الصف الأول من الحياة الاجتماعية ؛ يضاف إلى ذلك أن التطور في العلاقات السياسية في عهد ملوك الأسرة الحادية عشرة الأواخر ، قد وصل إلى درجة أدت إلى إبراز شخصية الدولة الوسطى لأول مرة في عهد الأسرة الثانية عشرة بعد أن ضاعت باختفائها شخصية الملك وهيبته . ومؤسس هذه الأسرة هو « أمنمحات الأول » كما ذكرنا من قبل .

نظام الحكم والعهد الإقطاعي الأول — لقد رأينا فيما سبق مقدار ما أظهره « أمنمحات » من النشاط العظيم للتدخل في أحوال حكام المقاطعات ليحد من قوتهم ، ولا داعي لأن نفكر لحظة في قدرته على أن يقضى على هذه الأرستقراطية الرفيعة الشأن ، الثابتة القدم دفعة واحدة ، ويعيد البلاد إلى ما كانت عليه من نظام موحد في عهد الدولة القديمة ؛ إذ كانت طبيعة الأمور توحى بأن النظام الطبقي اللائق للحكومة والمجتمع معا يتطلب بل يحتم على العكس وجود

طبقة أرستقراطية وما يتبعها من الأشراف المميزين . ولأجل أن نفهم هذا الوضع يجب أن نستعرض أمام القارئ في لمحة خاطفة حالة العصر الذهبي لحكومة الإقطاع ورسوخ قدمه في البلاد، و يعتبر العهد الإهناسي في الواقع العصر الذهبي للحكومات الإقطاعية التي قامت على حساب الدولة . فقد كانت كل مقاطعة مقسمة إداريا وعسكريا تقسيما محكما كأنها مملكة صغيرة ؛ فكان لها قائد يسوق جيشها إلى ساحة القتال، ولها مدير مخازنها، ومدير ماليتها، وموظفوها وكتّابها . وكان كل أمير مقاطعة يرث مقاطعته عن أبيه، وكان أبناء أمراء الإقطاعات يشتركون مع آبائهم في توجيه دفعة أملاك المقاطعة، وفي إدارة شئونها؛ فكان الابن يكتسب من ذلك تجارب تؤهله لحكم مقاطعة والده ، وكان أمير المقاطعة يتبع في سياسته مع موظفيه من النصيح ما كان يسير على نهجه حكام الدولة القديمة ، فاستمع إلى الكلمات التي كان يتغنى بها أمير «سيوط» في العهد الإهناسي : ”لا يوجد أمرؤ فصلته عن عمله ، ولا إنسان اغتصبت أملاكه مادام متبعا حدود وظيفته ؛ ولقد نشرت السعادة على الأرض، واقتفيت إثر اللص، وكنت أمقت انتهاك حرمة الملكية“ .

(Griffith, "Suit", Tomb No. III, line 9)

وقد كانت توجد بجانب طائفة الموظفين الذين حرموا وظائفهم في أنحاء المقاطعات بسبب الفقر الذي عم البلاد عند ما أخذت موجة التدهور الأولى تطنى على مصر في نهاية الأسرة السادسة، أسرقوية جدا يدعون انتسابهم إلى أصل إلهي، تُسل من إله مقاطعتهم المحلى مثل الفرعون نفسه ، وأن لهم حق الوراثة في عرش مصر منذ أقدم المهود ، لأنهم كانوا ينظرون إلى إلههم نظر الفرعون إلى إلهه . وقد توصل بهذه الوسيلة (وإن شئت فقل بهذا الادعاء) أمراء ” طيبة “ إلى أن يضرّبوا ضربتهم המתأزة الحاذقة، بعد أن مهدوا لها مجروب طاحنة جاءوا فيها على الأخضر واليابس . وقد مكثت سنين طويلة استطاعوا في نهايتها أن يتولوا عرش الملك، ويوحّدوا البلاد بعد طول الانقسام والشقاق، وأنشؤوا صرح الأسرة الحادية عشرة . وقد كان من الطبعي أن ينسبوا انتصارهم السياسي والحربي على أمراء

« سيوط » وملوك « إهناسية المدينة » المعادين إلى إله مقاطعتهم « آمون » ، وقد كان في نظرهم يمثل أقدم الآلهة ، ومن ثم اعتبروه رئيس الآلهة وملك الأرضين ، وإن كان هذا الزعم لا يرتكز على أساس تاريخي صريح . وفي هذا الوقت ظهرت كذلك أوصاف عن مظاهر الظلم وعدم استتباب الأمن في صور مقالات أدبية كتبها جماعة من حملة الأقلام مطالبين بالعدالة الاجتماعية ، وتأسيس سلطة جديدة تخلص البلاد مما حاق بها من ظلم وجور ؛ غير أن النظام الإقطاعي كان متغلغلا في نفوس الأمراء حتى أن اتزاعه من البلاد كان من أصعب الأمور وأعنفها . وقد عبر عن هذا الروح أحسن تعبير في قطعة من ترجمة حياة أحد أمراء مقاطعة « سيوط » تعدّ مثالية في هذا الموضع فاستمع إليه وهو يقول : ” إنى قد ثويت هنا (في القبر) ، وقد احتل ابني مكنتي ، ومجلس الحكم مطيعون له منذ أن كان حاكما ، ولم يكن طوله قد تجاوز بعد ذراعا (أى منذ أن ولد) “ . وكان عندما يخرج مثل هذا الأمير الرفيع الشأن من بيته يحاط بأتباعه ويحمل على المحفة وتسير وراءه كلاب الصيد ، ومعه رجال الصيد الذين كانوا في العادة يمشون في ركابه ، وكذلك القزم الذي يقوم على خدمته الخاصة به .

ومنذ العهد الإهناسي كان يسير في ركاب أمير المقاطعة فرقة حربية وكانت تظهر مع « أتباع الأمير » وكان جنودها مسلحين بالدروع والحراب و (البلط) ، والأقواس ، والنشاب ، والسهام ، وخلف هؤلاء كان يسير رجال آخرون يحملون النعال وأواني الفسيل وحقائب الملابس ، كل ذلك تشبها بما كان يجري في عهد الدولة القديمة . وكان كذلك من الضروري لكل أمير مقاطعة رئيس أطباء ، ومدير ملابس ، وساق ليقوم على خدمته أثناء بسط المائدة أمامه . ولقد بقيت هذه الصورة التي رسمناها هنا عن حياة الأمير الإقطاعي في الظاهر حتى منتصف الأسرة الثانية عشرة ؛ ولا أدل على ذلك من إدارة الموظفين الذين كانوا في كنف أمير « قوص » .

(راجع (Blackman, "Meir" I — III; Newberry, B. H., I, 45 ff.)

وكذلك كان « الكّاب » يسودون في بلاط أمير المقاطعة بطبيعة الحال ، فشلا نرى في بلاط أمير مقاطعة « الأشمونين » المسمى « تحوتى حتب » أنه كان في خدمته مدير حقول ، ورئيس خزانة ، ومدير (حريم) المدينة ، ومزارعون لأراضى المقاطعة ، ومدير ثيران ، ومدير البهائم الصغيرة ، وهكذا بالتدريج نزولاً حتى نصل إلى مدير السمك . أما الإدارة المالية فكان يديرها موظفان كبيران وهما رئيس الخزانة ، (وهو على ما يظهر لم يكن يشغل مركزاً عالياً) ومدير الخزانة . (Newberry, "Bersheh" I, Pl. XXVII; Amenemhat II-Senwesert III) وكذلك كان لأرض المعبد ولأرض الأوقاف الجنازية التابعة للمقاطعة مدير خاص (Blackman, "Meir" II p. 6; III, p. 5; ibid, I, p. 19; II, p. 6.) وكان يقف بجانب الأمير مدير مكتب وحاجب ، وكذلك كان له مدير قاعة الإدارة ، وهو الذى كان مكلفاً بتنظيم الأعمال أمام المحكمة للسلطة العليا . (Newberry, B. H. I, Pl. XIII, p. 16) فلم يكن من الغريب إذا أن يحاط هؤلاء الأمراء بأعظم مراسم الاحترام ومظاهر العظمة في احتفالات البلاط مما كان يندر وقوعه في عهد الدولة القديمة حتى لوزير . ولذلك نجد في هذا العهد أن أمير مقاطعة « أرمت » يقول عن نفسه : "إننى عند دخولى على سيدى يكون الكبراء خلفى ، وحارس الباب يقف مطأطئ الرأس حتى أصل إلى المكان الذى فيه جلالاته " . (Griffith, P. S. B. A, 18, pp. 195 ff.) ، ومن جهة أخرى كانت قد ألفت في هذا العهد فكرة سياسية لمقاومة هؤلاء الأمراء ، وذلك عندما أخذ الوزير يجمع لشخصه كل ألقاب الشرف التى كان يتحلى بها أمراء الإقطاع مما لم نجد له نظيراً ، وبخاصة في نهاية حكم الأسرة الحادية عشرة . ولا أدل على ذلك من الألقاب التى كان يحملها الوزير « أمنمحات » في أواخر الأسرة الحادية عشرة ، وكذلك التى كان يحملها « متوحتب » في عهد « سنوسرت الأول » . (Die Veziere des Pharaonen Reiches. von. Arthur Weil) وقد كان للوزير من الهيبة والعظمة ما جعل القوم يدعون له كما كانوا يدعون

للفرعون بالحياة والصحة والعافية. وأول ما حدث ذلك في عهد «سنوسرت الأول» ؛ على أنه لم يدع لأمر مقاطعة يمثل هذا الدعاء إلا أمير مقاطعة « الأشمونين » .

على أن قوة أمراء الإقطاع التي وصفناها كان يوجد فوقها منذ الأسرة الثانية عشرة قوة أعظم من قوتها . وهى التى كانت تتمثل فى الفرعون ، فلم يعد الفرعون الذى يجلس على عرشه فى « أث ناوى » (اللشت) مجرد صورة أو خيال يستغله رعاياه الأقوياء ، أو يتخذ العوبة فى أيدي أمراء الإقطاع الذين كانوا لا يعترفون للملك بأى حق عليهم إلا اسما ، فقد أصبح الآن سيد البلاد كلها . فلا يتحرك إصبع أو يرتفع صوت إلا بأمره ، وكذلك أصبح من الأمور المستحيلة أن يتصور الإنسان ملكا « كأمنحات » أو « سنوسرت » فى ركاب أحد أمراء المقاطعات كما كان يفعل « خيتى » أمير مقاطعة « سيوط » فى وقت الحروب التى كانت قائمة بينه وبين أمراء « طيبة » كما سبق ذكره . ولا جدال فى أن أقل ملك من ملوك الأسرة الثانية عشرة كان فى مقدوره أن يستخدم أمراء « سيوط » فيما يريد مع وضعهم فى أمكنتهم اللاتفة بهم إذا دعا الأمر لذلك . على أنه كان فى استطاعة أصغر الأمراء فى عهد الفوضى فى البلاد أن يقاوم الفرعون وينتصر عليه بحدّ السيف . فمن ذلك أن أميرين من الأمراء الذين حكموا مقاطعة الأرنب « البرشة » وعاصمتها « الأشمونين » العظيمة كانا يفتخران بانتصارهما على الفرعون فيقول أحدهما : « لقد خلصت مدينتى فى أيام الشدة من طغيان البيت المالك » . وهذا أكبر دليل على منتهى الفوضى فى البلاد وضعف فرعونها فى تلك الفترة ؛ فلما جاء ملوك الأسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة تمكنوا من وضع حدّ لهذه الفوضى بإدخال تغييرين عظيمين كان من جرائهما أن ضعفت سلطة أمراء الإقطاع ، وأصبحوا غير قادرين على إحداث ضرر ما ؛ وفى الوقت عينه لم يمس هذا التغيير ما كان لهم من سلطان مادى ، وبخاصة بالنسبة لملكاتهم التى ورثوها عن آبائهم . وأول تغيير هو تحريم الحروب الداخلية التى كان يشيها هؤلاء الأمراء

الأقوياء بينهم ، كما كان يحدث في أوروبا في العصر الإقطاعي . أما التغيير الثاني فهو نحو انتقال ملكية المقاطعة بالوراثة بلا قيد ولا شرط بين أولاد أمراء المقاطعات . وكان المبدأ الذي أصبح متبعاً هو أن يمنح الفرعون تقليد حكم المقاطعات إلى الأمراء الوراثيين المباشرين أى إلى الابن أو ابن البنت عندما يكون نسل الذكور قد انقطع . ولكن إذا كان هذا التقليد خاصاً بأسرة نائرة على العرش ، أو كانت تأتي بما يغضب الفرعون ، فإنه كان يحرمهم هذا الحق ، ويمنحه غيرهم من خدامه الذين يظهرون له إخلاصهم وولاءهم . وقد كان هؤلاء الأمراء كذلك يفتخرون بما شيده من قبور ضخمة وبشرف محتهم ، وشرف محند زوجاتهم اللاتي كنّ لا تقل شهرتهن عنهم ، غير أنه لم يعد احتفاظ هؤلاء الأمراء بسلطانهم راجعاً إلى أصلهم وحقوقهم الوراثية ، بل كان يتوقف تقليدهم السلطة على ولائهم للفرعون الذي بيده السلطة ، فهو الذي كان يوليهم بعد موت آبائهم ، ويعين لهم حدود مقاطعاتهم الفاصلة ، وما يخصهم من النهر العظيم حسب خط تقسيم المياه . ومن ثم بدأ أمراء المقاطعات ينقشون أسماء الملوك على جدران مقابرهم ؛ غير أن سلطة أمراء الإقطاع الوراثيين استمرت عظيمة حتى منتصف حكم الأسرة الثانية عشرة . بقدر ما كانت عليه في عهود أمراء الإقطاع في عصر الأسرة السادسة ؛ فقد كان « أميني » أمير مقاطعة الغزال في عهد « سنوسرت الأول » يفخر بأعماله العظيمة وصفاته الممتازة التي تدل على روح العدالة الإنسانية كما سبق ذكره . ومن أقواله نعلم أن كل السكان المزارعين في المقاطعة كانوا عيالاً عليه بما أظهره من حسن الإدارة في حكم المقاطعة ؛ ولم يقتصر ذلك على مواليه في ضياعه الخاصة ، بل كان يدخل ضمن هؤلاء الفلاحون الأحرار والمأجورون ، وكان شباب الفلاحين ينظمون فرقاً ويحشدون ، ويصبح من واجبهم أن يقدموا لأمير المقاطعة خدمة إجبارية (عمل يسخرون فيه) ، وكذلك كان يتألف منهم الجنود الاحتياطيون للمقاطعة ، وهؤلاء كان يقودهم الأمير لمحاربة أعداء الفرعون عند قيام أية حرب ضده .

وعندما تكون المقاطعة ممتدة على شاطئ النيل كان لكل شاطئ فرقة تميز باسمها ، فكانت فرقة الشرق وفرقة الغرب ، مجارة لما كان يحدث في الأزمان القديمة . وقد عرف بعض أمراء المقاطعات كيف يكسب قلوب أهل مقاطعته بحسن المعاملة . فن ذلك ما نشاهده في مناظر قبور بعضهم مما يثبت ذلك كالمُنظر لذي يخلد ذكرى « تحوتى حتب » أمير مقاطعة الأرنب (الأشمونين) فقد أمر بنحت تمثال له ضخيم من المرمر المستخرج من محاجر « حتنوب » ، وقد اشترك في جره لنقله إلى مقبرة الأمير كل شباب المقاطعة يساعدهم في ذلك الكهنة غير المحترفين بقوة ساعدهم ، وكان مما زاد في قوتهم حسن إرادتهم ورغبتهم في ذلك . وقد حدث ذلك على مرأى من الشعب الذى كان يهتف لهم ، هذا وكانت الجزية المستحقة للفرعون تصل إليهم عن طريق المقاطعة إذ كان هو الذى يجيئها ، وقد افتخر « أمينى » أمير مقاطعة « بنى حسن » بأنه يدفع إلى بيت مال الفرعون كل سنة جزية من المواشى يبلغ عددها ٣٠٠٠ ثور من مقاطعته دون أن يكون عليه أى دين .

ولا نزاع في أن التغييرين اللذين أدخلهما الفرعون للحد من قوة الأمراء الإقطاعيين كانا على جانب عظيم من الأهمية ، فالأول وهو إبطال الحروب الداخلية كان نعمة على الأهليين ، وذلك بتأليف جيش قائم تحت قيادته مباشرة . أما الثانى وهو الاستغناء عن الحكام الوراثيين تدريجاً ، وإحلال غيرهم من الموالين للفرعون محلهم ، فكان له محاسنه كما كان له بعض المساوئ المؤقتة ، إذ كان ينقص الحاكم الجديد عند توليته في بادئ الأمر الحب المتبادل في دائرة إقليمه ، وبخاصة عند ما يكون الحاكم أجنبياً عن أهل المقاطعة ، وهذا لا يقدم لنا المثل الأعلى في نظام الحكم ؛ على أن من حسناته في الوقت نفسه أنه كان يحفظ حاكم المقاطعة من التحيز ، وإن كانت هذه العاطفة ليس بالهين التغلب عليها ، إذ الواقع أن الحاكم المحلى ، وإن كان له خبرة بأحوال القوم وشعورهم في إدارة المقاطعة ، إلا أنه في الوقت نفسه يحمل في صدره أحقاداً محلية وميولاً شخصية لا تجعل توزيع العدل بين أفراد

شعبه خاليا من الظلم والإجحاف والانحياز إلى فريق من الناس دون الفريق الآخر، على حين أن الموظف الذى كانت تنصبه الحكومة الرئيسية ، رغم أنه كان جاهلا بأحوال القوم الذين سيحكمهم ، فإنه فى نفس الوقت يكون خلوا من الأغراض الشخصية التى طالما كانت أكبر باعث على سوء الحكم فى كل زمان ومكان .

سلطة أمراء المقاطعات لم تمتح جملة — ورغم هذا التغير فإن أمراء البلاد لم يحوا من البلاد جملة ، بل كل ما حدث هو أن الفرعون قد خضد من شوكتهم ، إذ لم تكن السلطة الرئيسية فى يده قد بلغت الحد الذى يمكنه فيه أن يقضى على الأشراف فى البلاد جملة ؛ وكان الأشراف لم يبلغوا من الضعف بعد المرتبة التى تجعلهم فى البلاد زينة أو أشباحا ، بل الواقع أن الأمير المحلى كان لا يزال قوة عظيمة فى مقاطعته وإن كان يهاب مع هذا سلطان الفرعون ، وكان لا يقوم بعمل هام فى مقاطعته إلا بعد الحصول على رضا الفرعون . فمن ذلك أن « تحوتى حتب » صاحب مقاطعة الأرنب كان محترما فى عمله عند ما أخبرنا أنه قد تال موافقة الفرعون عند شروعه فى نحت تمثاله الضخم فيقول : « إن قلوبهم فى عيد عند ما رأوا سيدهم وابن سيدهم يقوم بنحت أثره . وهذا علامة على رضا الملك » . وبالاختصار يظهر أن فراعنة الأسرة « الثانية عشرة » الأول كانوا فى مركز وطيد يمكنهم من الحصول من أشراف الأقاليم على أقصى ما يمكن من الأعمال المفيدة دون أن يتعرضوا للأخطار التى يسببها وجود مثل هؤلاء الأمراء غالبا كما حدث فى الأيام الأخيرة من عهد الدولة القديمة وأدت إلى سقوطها ، وهذا القول ينطبق بوجه خاص على النصف الأول من قيام هذه الأسرة .

السلطات التى اكتسبها الفرعون

وخلاصة القول نجد أن الأسباب التى نقلت السلطة جملة إلى يد الفرعون فى كل البلاد من أقصاها إلى أقصاها تنحصر فى أمرين عزيزهما ثالث وهى تأليف جيش قائم ، تقييد وراثته الملك فى المقاطعات ، وقد سبق الإشارة إليهما ، ثم وضع

نظام حكم ممتاز يلائم حالة البلاد وهو ما دعا إليه طائفة الكتاب الذين كانوا يطالبون بالإصلاح الاجتماعى . ويلحظ فى أول هذه الإصلاحات أن الفرعون لم يعد يرتكز فى تنفيذ إرادته أو المحافظة على سلطانه على جنود حكام المقاطعات ، بل اعتمد فى ذلك على جيشه الذى ألفه هو ليكون عضده فى تنفيذ سياسته داخل البلاد وخارجها (راجع مصر القديمة ج ٢ ص ٤٨٨ إلى ٤٩٩) .

قانون وراثة حكم المقاطعة — أما الإصلاح الثانى : وهو موضوع تولى الأمراء الوراثيين حكم المقاطعات فقد وضع الفرعون فى سبيلهم العقوبات ليكبح من جماهم ويكسر من شوكتهم . وحقيقة الأمر أن الأمراء العظام فى البلاد كانوا لا يتولون وراثة المقاطعات عن آبائهم بدون قيد ولا شرط ، بل كان كل أمير ، منهم يسيطر على نوعين من الضياع : واحدة منها ورثها عن والده ، وهذه كانت تتوارثها الأمرة جيلا عن جيل ، ولا يمكن فصلها منهم ؛ ومن هذه الناحية كان الأمير مستقلا عن ملك البلاد تماما . وقد كان من واجبات الفرعون أن يراعى قوانين الوراثة معه ، كما تراعى لأى فرد آخر ، فلم يكن لديه الوسيلة ليتعدى عليه من هذه الناحية ، ولكن من جهة أخرى كان أمير كل مقاطعة يستولى على نوع آخر من الأراضى التى كانت فى الواقع إقطاعات ملكية ؛ وكان لا بدّ عند توريثها لأى أمير آخر من الحصول على موافقة الفرعون ، وإلا فلا يمكن أن يستولى عليها بأية حال ، وفى العادة كان رضا الفرعون وموافقة أمرا طبعا ، ولكن كان لا بدّ منها حتى مع أسرة « خنوم حتب » أمراء مقاطعة الفزال الذين اشتهروا بولائهم وخدماتهم للبيت المالك ، وقد ذكر لنا « خنوم حتب الثانى » أن الفرعون عين خاله « نخت » بخطوة خاصة أميرا على « منعات خوفو » ... فعين ... « نخت » المنتصر المبجل ليحل بحكم وراثته فى « منعات خوفو » بمثابة خطوة عظيمة من الملك ، وذلك حسب الأمر الذى صدر من فم جلالة الملك « سنوسرت الأول » له الحياة والصحة والسعادة مثل « رع » أبديا . وقد عومل « خنوم حتب الثانى » هذه المعاملة

نفسها قبل أن يتولى حكم الإقطاع الملكى فيقول : " الملك « أمنحات الثانى » ... أحضرنى لأنى كنت ابن حاكم لأرث حكومة أملاك أم والدى ، وذلك لأنه كان يحب العدل كثيرا ... ونصبنى حاكما فى السنة التاسعة عشرة على « منعات خوفو » .

ومن ذلك نرى أنه رغم استمرار الأسرة فى تولى حكم الإقطاع الملكى وإدارة ضياع الأسرة الخاصة ، فإن القاعدة المتبعة كانت أن يؤيد ذلك بمرسوم ملكى طوال قيام هذا النظام فى عهد الأسرة الثانية عشرة . والظاهر أن سكان المدن كانوا يتمتعون فى هذا العهد بحرية عظيمة تفوق التى كان ينعم بها أهل الريف ، فقد كانوا تحت إدارة حاكم المقاطعة ومراقبة الشرطة ، ولذلك نرى أنه عند ما أسس « أمنحات الأول » مدينة جديدة فى مصر الوسطى وضعها تحت مراقبة أمير المدينة وحاكمها ، وهذه المدينة اسمها « مبحث إب رع » تيمنا باسم التاج الذى يحمله الفرعون « أمنحات » ، وكانت تحت حكم الأمير « نحوى » (Newberry B. H., I pp. 62 ff.) ، وكان يحمل لقب حاكم المدينة الجديدة (٩) ، وهو لقب كان شائعا فى عهد الأسرة السادسة . على أنه لم يكن تحت حكم الفرعون مباشرة ، أو بعبارة أخرى تحت حكم وزرائه الذين كانوا يعتبرون حكام المدينة إلا مقر الملك و« منف » العاصمة الحقيقية للبلاد ، ويحتمل كذلك « طيبة » . أما مدن المقاطعات فلم يكن هناك مراقبة متصلة يقوم بها « مديرون » و « كتاب » ، ولم يحدد منها أفراد لأعمال المسخرة ، وكان من حق كل إنسان أن يباشر مهنته حرا ، ويظن أنه كان فى استطاعته أن يهاجر إلى مدينة أخرى ويتخذها له موطنًا . وقد كان لدى موظفى الفرعون الوسائل التى تخول لهم التدخل فى شئون المقاطعة ، ورغم ما كان لحاكم المقاطعة من القوة العظيمة فإنه مما يشك فيه أنه هو الذى كان يعين قضاة المحاكم فى المدن : وقد نمت فى المدن حياة قوية كلها جد ونشاط ، ولذلك نجد أن جما غفيرا من الأفراد الذين لم يكونوا متخربين فى سلك الوظائف الحكومية ، يشتغلون صناعات ونحاسين ونحاتين وتجارا ، وقد وصلوا إلى درجة عظيمة من الثراء يشهد بذلك ما يفهم من اللوحات

الكثيرة التي أقاموها على قبورهم ، على حين أننا نجد أقل منهم بمراحل في المدنية من دهماء القوم ، فمنهم الفلاحون الذين يزرعون الأرض ، ويقومون بأعمال السخرة ، وكذلك نجد الصانع الصغير الذي يعيش تابعا لغيره ، وهؤلاء هم ثمرة المخالطة غير الشرعية ، فليس لهم والد وهم كما يقال عبيد العصا ، يضربون أمام القوم .

تعاليم خيتي — ولدينا كتاب أدبي من هذا العصر يحتوي على نصائح والد لابنه ، وقد نقلته مدارس الكتبة ، وهو كتاب النصائح التي وجهها « خيتي بن دواوف » لابنه « بيلي » وقد ظلت هذه التعاليم أو النصائح تعرف بتعاليم « دواوف » إلى عهد قريب . والواقع أن صاحبها هو « خيتي بن دواوف » (راجع كتاب الأدب المصري ص ٢٠٧ ج ١) . وهذه التعاليم تصف لنا بصورة قاتمة عنيفة البؤس والشقاء الدائم الذي كان يعانيه كل فرد لا يحترف الكتابة (أى غير موظف) ، إذ كان الموظف يعتبر مسيطرا على الناس ، وكان يغبطه على عمله كل أصحاب الحرف الأخرى . وإذا كانت الأوصاف التي جاءت في هذه التعاليم صحيحة في تفاصيلها ، فإنها تضع أمامنا صورة تدل على روح يغمره التعصب ، ويحيط به ضيق التفكير الشديد ، وكذلك تدل على أن كبرياء الموظفين لم ينح أمامه قط الطبقات العاملة ، ولا الصناع الذين كانوا يظهرون في كتاباتهم الجنازية كبرياء يعادل كبرياء الكُتّاب ، ولكنه على حق . وسنورد هذه التعاليم هنا ونعلق عليها لما لها من أهمية خاصة في كشف النقاب عن الحياة الاجتماعية في هذا العصر :

تعاليم ألهاها مسافر اسمه « خيتي بن دواوف » لابنه « بيلي » في سفينة حينما سافر مصعبدا في النهر إلى عاصمة الملك ليلحق ابنه بالمدرسة بين أولاد الحكام . وهذا العنوان وحده يكشف لنا عن حقائق خطيرة من الوجهة التعليمية والتاريخية . فنه نعلم أنه كان يوجد مدرسة جامعة يتعلم فيها أولاد طلبة القوم في عاصمة الملك ، وأن العاصمة كانت وقتئذ في الوجه القبلي ، لأنه كان على « خيتي » أن يقلع بسفينة مصعبدا في النهر . ومن الجائز أنها كانت وقتئذ « إهناسية المدينة » أو « طيبة » ،

هذا إلى أن هذه المدرسة كان يعلم فيها أولاد حكام المقاطعات ومن في طبقتهم .
وسنرى أن « خيتي » يقول لابنه وستكون رئيسا لمجلس « قنت » وهو ذلك
المجمع الذي كان يدير حكومة البلاد في العهد الإقطاعي (راجع كتاب الأدب
المصري القديم ص ١٣٠) وكان معظمه في ذلك الوقت من حكام المقاطعات .

ونجد أن أول ما يُلقَى « خيتي » على ابنه من النصائح هو أن يرسم له صورة
قبيحة للجاهل ، ثم يفريه بأن يجب العلم أكثر من حبه لأمه ، ويقول له إنه عاجز
عن تصوير جماله ثم يشير إليه بأن صناعة الكتابة تفوق كل الحرف ، وأنه لو تعلمها
هنا القوم على ذلك فيقول :

” لقد رأيت من ضُرب ، فعليك أن توجه قلبك لقراءة الكتب ، ولقد
شاهدت من أعتق من الأشغال الشاقة تأمل ! لا شيء يفوق الكتب .

اقرأ في نهاية « كنت » (لعله اسم كتاب قديم) تجد فيه هذه : إن الكاتب
عمله في كل مكان في حاضرة الملك ولن يكون فقيراً^(١) . والرجل الذي يعمل على
حسب عقل غيره لا ينجح . ليتنى أجعلك تحب الكتب أكثر من والدتك ، ولت
في مقدورى أن أظهر جمالها أمام وجهك . وإنها أعظم من أى حرفة ... ، وإذا
أخذ التلميذ في سبيل النجاح ، وهو لم يزل طفلاً ، فإن الناس تهنته ، ويكلف
تنفيذ الأوامر ، ولا يعود إلى البيت ليرتدى ثوب العمل (مثل أرباب الحرف
الأخرى) “ .

بعد ذلك يصف الأب لابنه الفرق بين مهنة الكاتب وما ينال صاحبها من
الشرف وبين المهن الأخرى التي يكون من جرائها تعب الجسم واضمحلاله ، وتعرض
مخترها للأخطار فيقول :

(١) قد يحتمل أن كل وظيفة يشغلها لها صلة بالبلاط ، وعلى ذلك فلكاتب نصيب قبل غيره
في الأرزاق التي توزع هناك .

”على أننى لم أرفط قاطع أحجار كلف برسالة، ولا صانعا أرسل فى مهمة“ .
تم يتناول بالشرح كل مهنة وما فيها من متاعب وحقارة بالنسبة لمهنة الكتابة ،
ويقدم لأبنة درسا فى الحياة الاجتماعية ، ويستعرض أمامه نواحى مصر الصناعية ،
ونصيب كل صانع من متاعبها ، يذكر ذلك فى شىء من المبالغة ، ولكنه يكشف
لنا فى الوقت نفسه عن نوع الحرف التى كان يتخذها أبناء العصر المظلم الذى
يتحدث عنه .

وإذا كان القارئ الأجنبى لا يحفل بهذا العرض كثيرا فإن القارئ المصرى
يستويه أن يراه ، لأن فيه صفحة مضى عليها أربعة آلاف سنة ، يستطيع أن يقرنها
بصفحة مصر الحاضرة . فىرى أن الأخرى تكاد تطابق الأولى مع طول العهد
بينهما ، وأن هذه المطابقة تستند وتقوى فى الدساكر والقرى حيث يضعف تأثير
المدنية الحديثة .

فيتكلم أولا عن صانع المعادن فيقول :

”ولكنى رأيت النحاس يقوم بعمله عند فوهة الأتون ، وأصابه بكلد التماسح
(أى أنها مجمدة وخشنة بكلد التماسح) ، ورائحته أكثر كراهية من البيض والسمك“ .

ثم ينتقل إلى الخراط والسماك فيقول :

”وكل صانع يقبض بمهارة على المخرطة^(١) يناله الإعياء أكثر مما يفلح الأرض ،
وميدانه الخشب ، وفأسه المخرطة (حرفيا المعدن) ؛ وفى الليل حينما يطلق سراحه
يعمل فوق طاقة ساعديه ؛ وفى الليل يشعل النور“ (أى يستمر فى عمله فلا راحة له) .

ثم ينتقل إلى الكلام على البناء وما يناله من التعب الجثمانى فيقول :

(١) لا شك أن حكيمنا يبالغ فى هذه الصورة التى يصفها أمام ابنه ، لأنه مما لا شك فيه أن بعض
أصحاب هذه الحرف كان يجب مهته لذاتها ، وإلا لما وصلت إلينا تلك القطع الفنية النادرة فى إتقانها
من أيدي هؤلاء الصانع .

”والبناء يبحث عن عمل له (؟) في كل أنواع الأبحار الصلبة وعند ما ينتهى منه تكون ذراعاه قد تكسرتا، ويصبح مضنى ، وعند ما يجلس امرؤ كهذا عند الغبش ، فإن نخذه وظهره تكون قد حطمت “ . بعد ذلك يتناول حرفة الحلاق فيظهر لابنه أنها مضنية ، وصاحبها لا بد أن يجول في الشوارع ليجث عن عمل يستد رمله بما يكسبه . فنراه يقول :

”والحلاق يخلق متأخرا إلى الغروب ... ويجول من شارع إلى شارع ليجث عمن يخلق له وينهك ذراعيه لأجل ملء بطنه كالنحلة التي تأكل وهي تكد^(١) “ . وكذلك يظهر له المتاعب التي يلاقها التاجر الجوال ليحصل على ثمن سلته فيقول :

”والتاجر (؟) يسبح إلى الدلتا ليحصل على ثمن سلته، ويكد فوق طاقة ساعديه ، والبعض يقتله (لما يحمله من الجرائم) ... “ . ويتناول بعد ذلك أحقر الحرف وهي صناعة اللبن فيقول :

”وصانع اللبن (ضرب الطوب) الصغير الذى يصنعه من غرين النيل يقضى حياته بين الماشية (؟) ، وهو على أية حال مختص بالكروم والخنازير (فى المصرية تورية بين كلمة كروم وخنازير ، وربما كان ذلك هو السبب فى ذكرها هنا) ، وملابسه تكون خشنة ... وهو يشتغل بقدميه ويدق ... “ .

والظاهر أن حرفة البناء كانت شاقة عند المصريين حتى أن حكيمنا هنا قد رصد لها فقرتين ، غير ما ذكر ، ولكن الفقرة الثانية فيها بعض الغموض فيقول :

”دعنى أحدثك فضلا عن ذلك عن البناء الذى يكون غالبا مريضاً (؟) ، وملابسه قدرة ، وما يأكله هو خبز أصابعه ، وينسل نفسه مرة واحدة ... وهو أتعس ما يمكن أن يتحدث عنه الإنسان بحق (؟) ، فهو كقطعة حجر (؟)

(١) أى أنه يأكل أثناء عمله وهذا ما نشاهده الآن فى القرى المصرية .

في حجرة طولها عشر أذرع في ست ... والخبز يقدمه إلى بيته ، وأطفاله يضربون ضرباً ... ” (وهذه القطعة غامضة في الأصل) .

ثم يصف الحكيم لابنه حالة البستاني ، ويظهر أنه يقصد به زارع الخضر والفاكهة على السواء فيقول :

” أما البستاني فيحضر أثقالاً ، وذراعه ورقبته ثألمان من تحتها ، وفي الصباح يروى الكتوات ، وفي المساء الكروم (لأن ذلك أحسن وقت لريها عند ما تكون محملة بالفاكهة ... فحرفته أسوأ من أية حرفة “ .

ثم ينتقل إلى وصف حالة الفلاح وهو الذي ينطبق على حالة فلاح مصرنا ؛ الذي تفتك به الأمراض ، وصاحب الأملاك يستنفد كل محصوله ، فهو كالحيوان الضعيف الذي يعيش بين الأسود ، فهو لا بد ما كول فيقول الحكيم :

” أما الفلاح فحسابه مستمر (أى أن صاحب الأرض يطالبه دائماً بتأدية ما عليه من الديون) إلى الأبد ، وصوته أعلى من صوت الطائر « آيو » ... (دائماً يشكو) ، وهو كذلك أكثر تعباً مما يمكن التحدّث به ، وحالته كحالة الذي يعيش بين الأسود ، وهو في غالب الأوقات مريض (؟) وعند ما يعود إلى بيته في الغروب ، فإن المشى يكون قد مزقه إرباً إرباً “ (أى أن طول الطريق يجهده إجهاداً كبيراً فوق ما لاقى من التعب خلال اليوم) .

يتناول بعد ذلك « خيتي » حكيماً النابج الذي يعمل وهو جالس طول اليوم ، فيشبهه بقميدة البيت ، فهو لا يتمتع بالهواء الطلق ، وهو مراقب دائماً ، فإذا تباطأ عن العمل يوماً ضرب بالسوط ، وفي رواية أخرى انتزع من مكان راحته كما تنتزع زهرة السوسن من البركة ، وإذا أراد أن يخرج من مصنعه ليستنشق الهواء ، فلا يصل إلى ذلك إلا بالرشوة فيقول :

” وحال النابج داخل مصنعه أنعس من حال المرأة ، فركبتاه تكونان في بطنه ، وهو لا يمكنه أن يستنشق الهواء ، وإذا أمضى يوماً دون عمل انتزع (من مكان

راخته) ، كما تنتزع زهرة السوسن (وفي رواية أخرى فإنه يضرب بسوط ذى ٥٠ شعبة) أو (فإنه يضرب كسائمة الضحية (٥ سوطا) . وهو يقدم لحارس الباب خبزا ليسمع له في ضوء النهار بالخروج .“

بعد ذلك يصف الحكيم المحنك لابنه « حرفة » من الحرف التى كانت شائعة فى ذلك العصر ، ولكنها قد اختفت فى عهدنا تدريجيا بانتشار المدنية ، وأعنى بذلك صناعة (السهام) التى لم يفتأ يستعملها المصرى لأنها كانت من أهم أسلحة الحرب ، فيصف كيف يتم على صاحبها أن يذهب إلى الصحارى والجبال ، حيث الظران الذى تصنع منه السهام ، وما فى ذلك من بعد المسافة ، وما يعانى به وحماره ، وما يستلزمه من المال لمن يرشده إلى الطريق فى وسط تلك الغياق والتفار ، وما يتطلبه كل ذلك من وقت ونصب فيقول :

” وصانع السهام يكون تعباً عند ما يرحل إلى الصحراء ، وإن ما يعطيه حماره لكثير ، هذا فضلا عن أنه عمل يستغرق وقتا طويلا . ويعطى كذلك الذين فى الحقول ، والذين يرشدونه إلى الطريق كثيرا أيضا ، ويصل إلى بيته فى المساء بعد أن يكون السير قد أنهكه “ .

ثم يتناول بعد ذلك حرفة أخرى من التى أخذت لتلاشى فى مصر ، وإن كانت لم تزل باقية فى بعض الجهات المتطرفة التى لم تصلها المدنية الحديثة ، وأعنى بها نقل البريد برجال خصوا بذلك ، فيصف لنا كيف أن عامل البريد عند ذهابه إلى بلد أجنبي يترك وصيته خوفا من عدم عودته ، لما فى رحلته من المخاطر ، وحتى إذا عاد إلى مصر ثانية فإنه لا يعود مرتاح النفس ، لأن التعب يكون قد أضناه فيقول :

” وحامل البريد عند ما يسافر إلى بلد أجنبي يوضى بأملاكه لأولاده خوفا من الأسود والأسويين ، وهو يعلم ذلك وهو فى مصر . وعند ما يعود إلى بيته يكون تعباً لأن المشى قد كسره . ومواء أكان بيته من النسيج أو اللبن (؟) فإنه لا يعود

منشرح القلب^(١) (وفى رواية أخرى : وعند ما يصل إلى بيته مساء فإن قلبه يكون فرحاً) .

ويعقب ذلك كلام على حرفة لم نصل إلى كنه معناها ، والغرض من ذكرها هنا هو أن يظهر له . بشاعة رائحة محترفها ولذلك سنورد الكلمة هنا بأصلها المصرى .
أما الـ (سنناوى) فإن رائحة إصبعه تكون نتنه ، والرائحة التى تتصاعد منها هى رائحة جثة ، وعيناه تكونان مثل ... (؟) ... بسبب المسوح ... وهو لا يقصى عنه (سنناوى) وهو يقضى وقته فى تقطيع الخرق (؟) وما يمقته هو الملابس .

ثم يشفع ذلك بالتحدث عن حرفة يظهر أنها تشبه السابقة فى قدارتها ، وأعنى بها حرفة الإسكاف . فيصف الحكيم لابنه كيف أن هذا التعس يحمل أوانيه التى فيها آلاته وجلده ، وكيف أن صحته تسوء وجسمه يهزل ، وقد يجبر على قطع الجلد بأسنانه فيقول :

” والإسكاف يحمل أوانيه إلى الأبد (وفى نسخة أخرى يحمل آلاته إلى الأبد) وصحته تكون كصحة الجيفة ؛ وما يعرض عليه هو الجلد “ .

ثم يأتى بعد ذلك الكلام على حرفة الغسال ، ومجازفة صاحبها بنفسه أمام خطر التمساح ، مما يدل على كثرة هذا الحيوان فى ذلك العصر فى النيل ، وما يلاقيه بسببها من تعب جثمانى ، وما يشعر به من تعس عند ما يضع مئزر سيده ليؤدى فيه عمله . فيقول :

” والغسال يغسل على الموردة ، وإذا ذاك يكون جاراً قريباً للتمساح (فى صورة إله) ، وعند ما يخرج الوالد (الغسال) متجهاً نحو الماء المضطرب ، يكون ابنه وابنته فى عمل هادئ منزلة عن كل عمل آخر ، وعندئذ يقول ابنه وابنته : إن هذا ليس بعمل يحد فيه الإنسان راحة . وهو منفصل عن أى عمل آخر . وغذاؤه يكون مختلطاً بمكان حساباته ، وليس فيه عضو سليم ، وإذا

(١) لأن أولاده يكونون قد قسموا ملكة ظناً منهم أنه قد مات فى طريقه .

ارتدى مئزر المرأة فإنه وقتئذ يكون تعسا ، وهو يبكى حينما يمضى وقته حاملا
ال « مكانن » ... ويقال له — « الفسيل » أسرع إلى ... » .

و يعقب هذا بحرفة أخرى ليست من نوع الحرف السابقة بل هى حرفة لهو ،
ولذلك يقول عنها إنها تجعل صاحبها يهمل أعماله ، وأغنى بها حرفة صيد العصفير،
فيقول :

” وصائد العصفير تراه فى منتهى التمس عندما يشاهد ما فى السماء ويهمل
أعماله ، (وفى رواية أخرى) ، وعندما تطير الطيور المنتقلة^(١) فى السماء يقول : ليت
عندى شباك هنا . ولكن الله لا يهبى له نجاحا (؟) ” .

بعد ذلك ينتقل إلى حرفة صيد السمك ، ويصف الحكيم لابنه ما فيها من
أخطار التماسح ، فيقول :

” إني مخبرك كيف أن حرفة صياد السمك أكثر تعسا من أية حرفة أخرى ،
فإنه يشكو منها . أليس عمله على النهر حيث يختلط بالتماسيح (؟) ، وإذا لم يقل له
الإنسان يوجد تماسيح فإن خوفه يعميه ” .

وهنا ينتقل الكاتب الحكيم إلى إطرء حرفة الكتابة . فيقول :

” إن صاحبها هو الذى يصدر الأوامر ” .

ثم يصفها بأنها أحسن من كل الحرف التى استعرضها أمامه ، فيقول :

” تأمل ! ! فإنه لا توجد حرفة من غير رئيس لها إلا صناعة الكاتب ، فهو
رئيس نفسه . فإذا عرف الإنسان الكتب فإنه يقال عنه بحق : إنها مفيدة لك...
وما أقوم به فى سياحتى إلى الحاضرة . تأمل ! إني أقوم به حبا فبك ، ويوم
فى المدرسة مفيد لك ، وما تعمله فيه يبقى مثل الجبال ” .

(١) تؤلف الطيور المنتقلة عنصرا هاما فى طعام المصريين .

(٢) هذه الفكرة هى الغرض الذى يرمى إليه الكاتب من أقواله .

ويعقب هذه الكلمات الحكيمة بعض فقرات غير مفهومة وتدل مقدمتها
هذه :

”دعنى ألق عليك فضلا عما سبق كلمات لأعلمك“ أنها تبحث فى موضوع
جديد ؛ ومن المحتمل أنها إضافات قد أدخلت على المتن الأصلى فيما بعد، فنها
فقرة تعلم الإنسان حسن السلوك فى حضرة العظيم . فيقول حكيمنا :

” وإذا دخلت ورب البيت مشغول بأمر قبلك ، فعليك أن تجلس ويدك
فى فمك ، ولا تسألن عن أى شىء ، وفضلا عن ذلك لا تتكلمن بكلمات غامضة ،
ولا تنطقى بلفظة وقة ... ثم إذا حضرت من المدرسة وقد أعلن وقت الظهر لك
وأنت سائر تصيح فرحا فى الطرقات ، حينئذ ... وإذا أرسلك رجل عظيم
برسالة فأذهما كما ألقىت عليك ولا تنقص منها ولا ترد ... “ .

وبلى ذلك نصيحة غالية فى القناعة فى المأكل والمشرب من أحسن ما قيل
فى هذا الباب . إذ يقول : ”كن قنوعا بطعامك ، إذا كان يكفيك ثلاثة رغفان ،
وشرب قدحين من الجعة ، فإذا لم يكن بطنك قد اكتفى بعد فخاربه (؟) “ .
ثم إن الحكيم يحض ابنه على أن يستمع لكلمات الرجل العظيم ويتخذ لنفسه
صديقا من سنه . فيقول :

” انظر . إنه لحسن أن تفض الجمهور وتستمع منفردا إلى كلمات العظيم ...
اتخذ لنفسك رجلا صديقا من جيلك “ .

وفى النهاية نرى « خيتى » يقول لابنه : إنه قد وضعه على الطريق الإلهية
وإن ربه « حصاد الكتاب » على كتفه منذ ولادته ، أى أنه لن يقاسى آلام
الحاجة ، وأنه بفنه يصل إلى أعلى وظيفة فى البلاط ، بأن يصبح عضوا فى المجلس
الأعلى للحكام « قنبت » ، بل قد يكون الرئيس فيه بما أوتيته من علم وحكمة ، ثم
يخبره أن هذه الطريق ممهدة أمامه وأمام أولاد أولاده . فيقول :

” انظر . إني قد وضعتك على طريق الإله ، وإن « رنشوت » الكاتب (أى ربة الحصاد للكاتب) قد أصبحت على كتفه منذ ولادته . وهو يصل إلى باب مجلس « القنبت » عندما يصل إلى سن الرجولة . تأمل ! إنه لا يوجد كاتب قد حرم القوت الذى هو متاع بيت الملك (عاش فى صحة وفلاح) . و « مسخت » (إلهة الكتابة) هى سعادة الكاتب ، وهى التى تضعه على رأس المجلس الأعلى « قنبت » . ويجب على الإنسان أن يشكر والده والدة والذين وضعاه على طريق الأحياء . والآن تأمل ! فإن هذا (أى ما نصحتك به) ما أضعه أمام وجهك ووجه أولادك ، وقد انتهى هذا بسلام . ويستنتج مما ذكر أن الكتاب كانوا كثيرين ، وأن الكاتب كان صاحب القدر المثل ، والرأى المتبع .

“Chronique d’Egypte,” No. 43, p. 50 ff.

نظام الحكومة فى عهد الأسرة الثانية عشرة

نظام الحكم — أما نظام الحكم الذى وضع فى عهد الدولة الوسطى فيعتبر بالنسبة لتاريخ مصر عهد رخاء ، إذ به وطدت وحدة البلاد ، وامتدت حدودها . وهو فى الواقع يعدّ عصرًا ذهبيًا ، ويرجع الفضل فى ذلك إلى قوة شكيمة مؤسسها العظيم وأخلافه من بعده فى تنفيذ المنهاج الذى وضع لهذا النظام بكل دقة وعناية يشد أزرها نشاط وحزم . وإذا لم يصلنا من المعلومات عن النظم الإدارية إلا الشيء القليل نسبيا ، فإن ما لدينا يمكننا من القول بأن ما بلغته مصر فى ذلك العهد من التقدم لا يقل بكثير عما وصلت إليه حكومات عصرنا الحديث من النظام والعدالة الاجتماعية .

وإذا كانت مصر فى عهد الملوك الأول من الأسرة الثانية عشرة لا تزال تمثل فى ظاهرها أحوال الحكومة الإقطاعية ، فإن حقيقة الأمر تنبئ بأن العصر الذهبى للإقطاع قد أصبح فى خبر كان . حقا قد ظهر بلاط الأمراء بأهبة ونفاعة أكثر مما كان فى عهد الاستقال الذى كان عصر فقر وبؤس ، ولكن ذلك فى الواقع برق

خلب ، لا يمكن أن يعطينا صورة حقيقية عن قوتهم وعظم جاههم ، إذ كان هؤلاء الأمراء في ذلك الوقت لا يستمتعون بمواردهم من قوتهم الشخصية ، بل من النشاط الحديد الذي ينبعث من حكومة قوية الأركان ، ومن الرخاء الذي تفيض به البلاد . فنذ عهد « أمنمحات الأول » لم تعد المقاطعات تعتبر أنها حكومات داخل حكومة ، ويتضح ذلك من مجزؤ كون ملوكها يقيمون من جديد المعابد للآلهة المحليين في كل المقاطعات ، وهذا برهان محس على سيادتهم ، وبخاصة إذا علمنا أنهم أقاموا هذه المعابد على يد مهندسيهم وموظفيهم ، لا على يد أمراء المقاطعات وهم كهنتها العظام . حقا إن أملاك التاج الخاصة لم يعد لها وجود في المقاطعات منذ زمن بعيد ، ولكن في مقابل ذلك كانت تنجي الإتاوات من المواد الطبيعية في كل المقاطعات للبيت المالك ، وقد كان أمير المقاطعة مكلفا توريدها . وكانت تحضر بطاقات في مكتب الوزير ليحصى فيها كل سكان البلاد في سنين معينة .

(Griffith, "Kahun Papyri", 1892. Fiches de renseignements des Maisons. Griffith, L. C., p. 19. Cf. Borchardt, "Vortrag des Hamburger Orientalistischen Congresses", p. 29.

وقد كان لزاما على كل رب أسرة أن يقيد في هذه البطاقة عدد أفراد أسرته ومواليه ، ثم يقسم يمينا أنه صادق ومخلص في كل ما دونه في هذه البطاقة ، وقد وصل إلينا عدد عظيم من هذه البطاقات التي عثر عليها في مدينة « كاهون » التي أسسها « سنوسرت الثاني » بالقرب من هرمه الواقع عند مدخل « الفيوم » . على أن هذه البطاقات لم تقتصر فائدتها على المساعدة في جمع الضرائب بل كانت تساعد الإدارة على معرفة حالة سكان كل البلاد المدنية بمجزؤ نظرة خاطفة ، وكذلك الواجبات الملقاة على عاتق كل فرد من أفراد الرعية . وإذا كنا نلاحظ أن أمير المقاطعة هو الذي كان يقود جنود الرديف المجندين من مقاطعته ، فإن الملك هو الذي كان يقوم بعملية الاقتراع من بين الشباب الصالحين للخدمة العسكرية ، ففي مقاطعة « طينة » مثلا كان يحنس واحد من كل مائة رجل ، وكانت القضايا

يفصل فيها بحاكم مؤلفة من موظفين حكوميين ، وكذلك بوساطة محكمة الثلاثين التي كانت تحت إدارة الوزير، وكانت تتألف من ستة البيوت العظيمة (محاكم) . وكان مجلس الثلاثين يسمى كذلك مجلس الثلاثين العظام ، وكان يضم في بادئ الأمر الحكام الذين كانوا يديرون دفة البلاد في عهد الحكم الإقطاعي ، ومنهم كان يؤلف مجلس البلاط ، وقد خلف مجلس الثلاثين هذا مجلس العشرة العظام للوجه القبلي اللذين كانوا يتولون إدارة أمور البلاد في عهد الدولة القديمة ، وكان في ازدياد أعضاء هذا المجلس الذي أنشئ لمساعدة الملك ، ولتخذ من سلطان حكام المقاطعات تقوية لهم ، وعون على تعزيز الأداة الحكومية ، وداعية إلى القبض على ناصية الحال في طول البلاد وعرضها ، لأن معظم الأعضاء كانوا يشتغلون في الوقت نفسه حكاما للأقاليم ، وسادت هذه الحال في العهد الإهناسي وعهد الأسرة «الحادية عشرة» . وقد كان أعضاء هذا المجلس يمثلون سلطة الملك في مختلف المقاطعات ، غير أنه استبدل بهم حكاما انتخبهم بنفسه لم يكن لهم حق الوراثة . فأصبحوا في النهاية قوة عظيمة في جانبه ، وقد لاحظنا أن لهذا المجلس سلطانا قاهرا في أوائل عهد الدولة الوسطى ، وكان أعضاؤه يقومون بأهم الأعمال في كل مرفق من مرافق الدولة ، وهذا المجلس بعينه كان يسمى «قنبت» (أى المجمع) وقد عرفنا تكوينه من نقش وجد في « حنوب » القرية من « ملوى » جاء فيه عن أمير مقاطعة الأرنب (المقاطعة الخامسة عشرة) المسمى « نحرى الأول » ما يأتى : ” وقد اجتمع للتشاور مع المجمع « قنبت » ، دون أن يعرف ذلك أحد . وقد كان البلاط منشرا للآراء التي أدلى بها ، وقد كان من الرجال المخلصين ، وقد كان يأتى إليه (المجلس) الحكام (حكام المقاطعات) من الوجه القبلي “ . والظاهر أن اجتماع المجلس هذا كان سرايا كما يدل على ذلك سياق الكلام ، وكذلك كان اجتماعه لمحاربة أهل الجنوب المعادين .

(راجع Meyer, "Gesch." Par. 286; Pirenne, "Histoire des Institutions et du Droit Privé de l'Ancienne Egypte," Vol. III, 73-75, 93-94).

وكذلك كانت كل الأمور الخاصة بقانون الأحوال الشخصية مثل الوصايا تحزر أمام

شهود وبحضور الموظفين (الكتاب) الذين كانوا يشرفون على هذه الإدارة لا أمام إدارات المقاطعة .

تقسيم مصر الإدارى — وقد كانت مصر فى عهد الدولة الوسطى مقسمة قسمين رئيسيين : وهما الوجه القبلى والوجه البحرى كما يدل على ذلك قائمة المقاطعات التى كشف عنها حديثا فى معبد « سنوسرت الأول » الذى وجدت أحجاره مستعملة فى مبانى (البوابة) الثالثة التى أقامها « أمنحوتب الثالث » فى معبد « الكرنك » ، وقد أعيد بناء معبد « سنوسرت » هذا ثانية فى ناحية من معبد « الكرنك » . ويلاحظ أن كلامنا هذين القسمين قد رسم فوقه سماء واحدة منفصلة عن الأخرى ، ولذلك نجد فى هذه الوثيقة أن مقاطعات الوجه القبلى قد غطيت بسماء تبتدئ بالمقاطعة الأولى ، وتنتهى عند المقاطعة الثانية والعشرين ، وكذلك الحال مع مقاطعات الوجه البحرى ، نجده تحت سماء منفصلة أيضا مما يدل على أن كلا من القطرين كان عالما منفردا بنفسه قبل توحيد القطرين .

تقسيم الوجه القبلى قسمين إداريين — ومن جهة أخرى نعرف أن الوجه القبلى قد انقسم قسمين رئيسيين داخلين يبتدئ بالمقاطعة الأولى جنوبا وهى مقاطعة « أبو » أى « الفنتين » إلى أن تصل إلى المقاطعة العاشرة ، وهى التى تسمى مقاطعة « وازيت » وعاصمتها مكان بلدة « أبو تيج » الحالية ، ثم نلاحظ أن المقاطعة الثانية والعشرين التى تسمى مقاطعة « السكين » فى قوائم البطالمة قد ذكرت فى قائمة « سنوسرت » باسم المقاطعة الفاصلة « حنت » ، أى التى تفصل بين القطرين الرئيسيين . الوجه القبلى والوجه البحرى ، والواقع أن تقسيم الوجه القبلى قسمين كان معروفا فى المتون المصرية قبل عهد « سنوسرت الأول » ، وقد فهم بعض علماء الآثار هذا التقسيم ضمن المتون المصرية . فثلا نجد فى نقش من نقوش الأسرة الحادية عشرة أن مصر العليا كانت تشمل المقاطعات من أول « الفنتين » (أسوان) إلى مقاطعة « وازيت » وعاصمتها « أبو تيج » الحالية « وكوم اشقاو » ،

وقد سميت في المتن نفسه بأنها « باب الشمال » أى باب مصر الوسطى . وكذلك نجد أن « سيوط » كانت تسمى « تب شمع » (رأس الجنوب) أو نهايته . راجع هذا الموضوع في كتاب أقسام مصر الجغرافية للؤلّف وكذلك راجع :

(Erman, A. Z., Vol. 29. p. 119 ; Griffith, "The Petrie Hieratic Papyrus," p. 21 ; Steindorff, "Die Aegyptische Gaue," Abh. d'Sachs, Ges. Phil. cl. 27, 1909, 896 ; Meyer, "Gesch", Par: 284).

والظاهر أن تقدّم الفرعون في جمع كل السلطة في يده كان مستمرا؛ فترى أن كل مقابر حكام المقاطعات التي يمكن أن يحدّد تاريخها يرجع عهدها إلى النصف الأول من هذه الأسرة ، فالمقابر الضخمة التي نحتت في الصخور في عهد كل من « سنوسرت الثاني » حوالى عام ١٨٨٠ قم ، وبخاصة مقابر أمير « منعات خوفو » المسمى « خنوم حنب الثانى » في « بنى حسن » ، ومقبرة أمير مقاطعة الأرنب المسمى « تحوتى حنب » في « البرشة » ، ومقبرة أمير « التوبة » المسمى « سرنبوت الثانى » في « الفنتين » كل هذه تعدّ أنعم المقابر ، غير أنها في الوقت نفسه كانت آخر ما أقيم لأمرءاء في جبانات هذه المقاطعات ، هذا ولا نجد قط في أى بقعة من بقاع القطر مقبرة لحاكم مقاطعة ، أو لوحة تذكارية لأمر مقاطعة إلا يرجع تاريخها إلى ما قبل عهد هذين الفرعونين ، وهذه الحقيقة تحتم علينا أن نفرض حدوث انقلاب بعيد المدى في عهد « سنوسرت الثالث » ، أو على الأقل ينبغى أن نعترف أن مثل هذه المقابر قد انقضى عهدها ، أى أن حكم المقاطعات قد قضى عليه نهائيا . وقد استمر بقاء الأملاك العقارية بطبيعة الحال ، وحفظ لبعض الأمر مركزها الأميرى ، وعندما تصادفنا أسرة قوية من هذا النوع (في عهد الأسرة الثالثة عشرة أو حتى في عهد أوائل الدولة الحديثة في المقاطعة الثالثة من الوجه القبلى « الكاب ») ونشاهد في قبورها إحياء هذا التقليد ثانية وهو ، الذى كان خاصا بأمرائها القدامى ، فإننا نرى مع ذلك رؤساء هذه الأسرة لا يحملون لقب حكام المقاطعات القديم (حرى زازات) ، بل يحملون ألقاب موظفين قد وضعت حديثا . وعلى ذلك يظهر

لنا في عهد كل من « سنوسرت الثالث » و « أمنمحات الثالث » أن قوة الأشراف واستقلالهم قد قضى عليه قضاء مبرما ، ومن المحتمل أن الأنظمة التي تكلمنا عنها فيما سبق لم تكن قد وضعت إلا في هذه الفترة .

الإدارة الرئيسية — وكانت إدارة البلاد تدير على نمط إدارة الدولة القديمة ، فكانت تدير بعدد عظيم من المصالح (بيوت) والمخازن ، وبيوت للمالية يقوم بإدارتها جم غفير من الموظفين على رأسهم حاملو أختام الملك ، وأمناء الخزانة ، ومديرون أيضا ، وقد حافظ النظام الحديد على معظم الألقاب القديمة ، غير أن ترتيب وظائف المصالح لا يزال معقدا ، فقد كانت تحتوى على آلاف من العمال والتحامين وعمال المناجم ، والحمالين والمجذفين الخ . وكل هؤلاء كانوا يعملون لخدمة الفرعون . وقد استمر دفع الأجور من الموارد الطبيعية ، كما كان الحال في عهد الدولة القديمة ، وذلك بمنحهم عطايا من المائدة الملكية ، وكان يعطاها كل على حسب درجته ، هذا بالإضافة إلى هدايا كان يقدمها الفرعون من حقوله وعبيد أجنبية أو موال مصريين ، وحيوانات وأشياء ثمينة من كل نوع .

أعمال المالية العامة — أما أعمال المالية العامة فكانت يشرف عليها رئيسان للخزانة ، وكان عملهما ينحصر في مراقبة الدخل والخراج ، وجزية البلاد الخاضعة لمصر ، وكذلك محصول المحاجر والمناجم ، هذا إلى مباني الأشغال العامة ، وكان الرئيس الأعلى للإدارة وممثل الفرعون في داخل البلاد وخارجها هو الوزير الذى يضع الخارجين عن الطاعة تحت النير ، ويلاحظ الموظفين ، ويدير شئون ترقيةهم ، ويفصل في منازعات الجلود ، ”ويجعل الأخ وأخوته يعودون إلى بيوتهم متصالحين بقرارهم“ . وقد كان في الوقت نفسه هو رئيس الشرطة في العاصمة . وقد كان منذ أقدم العهود هو الذى يشرف على محكمة سة البيوت . وهذه المحكمة كما قلنا تتألف من الثلاثين العظيم للوجه القبلى ، فاللقب القديم يظهر ثانية ولكنه يفقد معناه الأول . والواقع أنه لم يعد يعنى مدير المقاطعات ، بل يعنى ممثلى السلطة

المركزية التي كانت تقسم فيها أعظم أمور الإدارة أهمية . فمثلا كان على أحد هؤلاء الأعضاء أن يجمع بيانات عن أحوال البيوت ، وأخر كان مكلفا من قبل الفرعون أن يقوم برحلات تفتيشية أو بإقامة مبان ، وفي كثير من الأحوال كانوا يرأسون مثل الوزير حملات حربية .

بطانة الفرعون — بعد أن عين الفرعون رجالا ممن يثق بهم ويعتمد على إخلاصهم حكاما للقطاعات ، وبعد أن منحهم حقوقا إدارية مماثلة لتلك التي يتمتع بها الأمراء الوراثةيون ، (Kees, "Kulturgeschichte" p. 205) فكر في تقوية الملكية عن طريق آخر ، فأخذ يعمل بجهد في انتخاب أناس يثق بهم ليكونوا بطانة له يعتمد عليهم في مهام الأمور وقت الشدة ، وقد رأى ألا فائدة من انتخابهم من أشرف بيوتات الدولة القديمة الذين كانوا عمادها ، بل اتخذ أتباعه الذين وضع فيهم الثقة بمثابة حرس شخصي له ، وقسمهم على كل الموظفين القدامى ، ومنحهم مدافن في داخل محيط هرمه في الجبانة الفرعونية الواقعة في «الشت» أو في «دهشور» . ثم أمر مدير مبانى الجبانة الفرعونية أن يقيم لهم مدافن ، وحبس عليها كل الأوقاف اللازمة لإقامة شعائرتهم الدينية ، وعين لهم الكهنة الجنائزين ، كل ذلك على حساب الفرعون الخاص ، ومن أملاكه الخاصة ؛ وكذلك كانوا يمتلكون مئة حياتهم عقارا وموالى ، وذلك لارتباطهم بالبيت المالك كما كان يحدث في عهد الدولة القديمة . وقد قص علينا «خوسبك» في لوحته (Stèle Manchester) أنه بوصفه تابعا للفرعون ، وبوصفه وكيل مدير أتباع الملك ، يملك ٦٠ رأسا من الموالى ، وكذلك كوفى بمائة رأس من الأسرى منحها إياه الفرعون على ما قام به في الحروب التي شنها الفرعون ضد أعدائه . (Sethe, "Lesestuke", p. 83) وقد كان «سنوهيت» الذي مر ذكره تابعا من هذا الطراز في بداية الأسرة الثانية عشرة ، ويدل تاريخه على أنه يمثل الرجل المخلص الذي يبقى بجانب سيده وقت الشدة ، وقد وصف لنا «أمنمحات الأول» في الحكم المنسوبة إليه أخلاق التابع عند

ما خانه كل من حوله عند اغتياله بقوله : « وفي يوم المصيبة ليس للره خادم أو تابع » وهذا وصف حق ينطبق تماما على الإنسان في كل زمان ومكان .

والظاهر أن هؤلاء الخوأس هم الجنود الذين كان يعتمد عليهم ملوك الأسرة الثانية عشرة في حراستهم ، إذ كان الجيش قبل تأليفهم يتكوّن من فرق من المقاطعات ، ومن جنود الشرطة « مازوى » النوبيين ، وكان الفرعون يضم أحيانا إلى هؤلاء رديفا دائما له ، وكانوا يخدمون إما بالاقتراع أو كانوا جنودا محترفين ، ثم كوّنت فرقة الحرس هذه ، وكان يطلق عليها (رجال حاشية الملك) ، وأخيرا نجد أن الفرعون قد أخذ يسترد مكانته الدنيوية والروحية في نفوس الشعب ، وصار ينظر إليه القوم بأنه ابن « رع » الذى أنجبه من ظهره ، وأنه أصبح المختار من قبله ليحكم مصر وغيرها ، وكذلك أصبح في يده السلطة المطلقة في البلاد ، كما كانت الحال في عهد عظماء ملوك الدولة القديمة ، وقد بدأ فعلا روح الوحدة يدب في جسم الدولة بصورة ظاهرة خلال حكم أواخر ملوكها ، وبخاصة في عهد « أمنمحات الثالث » وسلفه من قبله . ويرجع الفضل في ذلك لجيش الموظفين الجديدين الذى عمل ملوك هذه الأسرة على إنشائه ليلتف حولهم ، وليكون لهم نصيرا وظهريا على تسيير أداة الحكم في البلاد ، والقضاء على حكام المقاطعات كما أسلفنا ، ولا غرابة إذا في أن نرى هؤلاء الموظفين حريصين على بث روح الطاعة والمحبة للملكهم في نفوس أولادهم ، وقد بلغ بهم حب الفرعون درجة جعلت تعاليم بعضهم لأبنائه تدور حول حب الفرعون وخدمته والإخلاص له ، لا أن ترشداهم إلى الحياة الصالحة السعيدة كما كانت التعاليم التى وصلت إلينا حتى الآن ، كما أسلفنا عند الكلام على « أمنمحات الثالث » .

ومع كل ذلك فإن مركز الفرعون كان مختلفا تمام الاختلاف عما كان عليه الملوك القدامى مثل « سنفر » أو « خوفو » ، إذ قد اختفت الفكرة الساذجة التى كانت توحى بأن البلاد لم تخلق إلا لخدمة الفرعون وإقامة المباني الضخمة له ،

ولغيره من العظماء ، بل على العكس قد أصبح على قوة العرش يرتكز رخاء البلاد وسعادة الأهلىن ، وكذلك لم يكن لكثرة عدد رجال البلاط الفرعونى أهمية عظمى ، لأن ألقاب البلاط التى كانت تفوق كل الألقاب الأخرى فى عهد الدولة القديمة عددا وضخامة أصبحت الآن فى المؤخرة ، وحتى بالنسبة للوزير ، وحامل الختم الملكى ، ولم يعد يتحلى بهذه الألقاب الاسمية إلا حكام الأقاليم ، ومن ثم أصبحت الفوائد الحيوية للبلاد هى التى تحتل المكانة الأولى . ويرجع الفضل فى ذلك إلى تركيز السلطة وإلى الاختصاص المحلى للذين كان يشد أحدهما أزر الآخر فى تسيير الأعمال ، مما جعل قوة الفرعون تسير على نهج حدود معينة ، ومن هنا نشاهد هذا الازدهار الفنى وتلك النهضة الداخلية اللذين يتميز بهما هذا العصر . ومن المحتمل أن هذا الجهد العظيم الذى بذل لإقامة هذا النظام الدقيق الذى يميز عهد الدولة الوسطى كان بمثابة رد فعل لا بد منه ضد سوء النظام والفوضى اللذين ميزا عهد الإقطاع الأول . فرى أن الوظائف قد وزعت توزيعا دقيقا . وكذلك ظهرت وظائف جديدة وبخاصة بين أفراد الطبقة الوسطى التى أمكننا أن نكون عنها فكرة طيبة من اللوحات التذكارية العدة التى أقامها أفرادها فى مدينة « العرابة المدفونة » المقدسة ، مثال ذلك وظيفة « النائب للسلطة العليا » . أما رؤساء المصالح والادارات فتخصص بالذكر منهم وظائف كل رؤساء المكاتب المختلفة ، وهم اللذين كان عملهم لا يقتصر على كونهم رؤساء تشريفات وحسب ، بل كانوا كذلك يقفون بجانب رئيس الخزانة ، ومن هؤلاء نذكر اثنين ظهرا فى بلاط الأسرة « الثالثة عشرة » وكان كل منهما يحمل لقب « مدير هيئة الموظفين » ، وإليهما يرجع الفضل فى وضع كتاب إحصاء قيم يبحث فى تدبير شئون البلاط والإدارة . (راجع :

(Ein Rechnungsbuch des Koniglichen Hofes aus der 13 dynastie, A. Z. Vol. 75, p. 51 ff.; Mariette, Le Papyrus Boulaq, 1874.

وهذا الكتاب هو المعروف بورقة بولاك نمرة ١٨ ، وعلى حسب ما ذكر فى هذه الوثيقة نجد أنه قد جاء بعد الوزير فى ترتيب الوظائف التى كان أصحابها يشرفون

بالمشول بين يدى المليك ، القائد ، ثم مدير الحقول ، ثم كاتب الوثائق الملكية ، وأحيانا رئيس الموظفين ، وكل منهم كان يحمل لقب حامل الختم للوجه البحرى ، وهذه الوظيفة كان يحملها كذلك مديرة قاعة الإدارة العامة ، وهى المركز الرئيسى الذى كان يدير منه الوزير شئون الدولة . ومن بين الوظائف التى كانت متصلة بإدارة البلاط اتصالا وثيقا وظيفية « فم نخن » أو « قاضى نخن » « هيرا كنبوليس » وهى « الكاب » الحالية . وإن صاحبها قد رقى فيما بعد إلى وظيفة حامل الختم للوجه البحرى .

وقد كان يوجد بجانب هذه الوظائف أنواع جديدة من المشرفين مثل المشرف على مائدة الحاكم ، وهو بوجه خاص تابع لإدارة بيت المال أو الخزانة ، وغير ذلك من المشرفين بالترتيب حتى المشرف على حراس الكلاب ، وكذلك تذكر لنا هذه الوثيقة ألقابا قديمة خاصة بالبلاط والإدارة ، فمن ذلك نجد كثيرا ممن يحملون لقب « عظيم عشرة الوجه القبلى » وأسن رجال القاعة ، وكذلك ألقاب محضة مثل « قريب الفرعون » .

وقد حفظ لنا كذلك كتاب الإحصاء هذا بعض معلومات سمحت لنا بأن نأخذ فكرة عامة عن إدارة الموارد الطبيعية الاقتصادية ، وهى تعدّ من أصعب الأمور وأعوصها فى هذا العصر ، إذ وجدنا مقيدا فيها مجمل الحقائق العامة عن المواد الغذائية التى كانت تقدّم لرجال البلاط وغيرهم فى مقر الحكم « بطيبة » ، ويشمل ذلك كل من كان يأكل من مائدة الفرعون من الموظفين ، وهؤلاء كان يزداد عددهم بطبيعة الحال ازديادا عظيما فى المواسم والأعياد . ولما كانت هذه الورقة من الأهمية بمكان فإننا سنورد هنا ملخصا لما ليرى القارئ ما كانت عليه البلاد من الوجهة الاقتصادية والاجتماعية والدينية .

كتاب الإحصاء لبلاط الفرعون من عهد الأسرة الثالثة عشرة —
عثر على هذه الورقة « مريت » عام ١٨٧٢ م ، وقد أطلق عليها العلماء الباحثون

ورقة بولاق رقم ١٨ ؛ وقد فحص محتوياتها الأستاذ « جرفث » ومن بعده « بورخارت » وأخيرا علق عليها الأستاذ « شارف » A. Z. Vol. 57, pp. 51 ff. وقد أزعج « بورخارت » هذا المتن بحق عن الأصل باسم الملك « سبك حتب » ، وكذلك بوجود اسم الوزير « عنخو » وهما ينسبان للأسرة الثالثة عشرة ، هذا فضلا عن طراز كتابة الورقة ولغتها فإنها خاصة بهذا العصر .

وهذه الورقة تحتوى على متنين كتبنا بخطين مختلفين . وستنقصر بحثنا على المتن الطويل ، وهذا يشمل اللوحات من (١٤ — ٤٦) منها اللوحات من ١٤ — ٣٠ على ظاهر الورقة ، ومن ٣١ — ٤٦ على باطن الورقة . هذا إلى بعض قطع ممزقة نجدها في اللوحات الباقية حتى لوحة ٥٥ ، ويلاحظ أن بداية الورقة قد ضاع وكذلك جزء كبير من وسطها ، ويمكن القول بأن طول الورقة كان ٧ ١/٢ من الأمتار ، ويتبع ما جاء في ظاهر الورقة ثلاثة نقوش على ظهرها (لوحة ٤٢ ج ٢ سطر ١ — ٣ ولوحة رقم ٤٢ جزء ٣ من سطر ١ — ٣) ، وهى ملاحظات قصيرة قد نسيها الكاتب فكتبها بسرعة عند لف الورقة .

الكاتب ومسك دفتره — يدعى الكاتب الذى وجدت معه البردية في القبر حسب كتابات أخرى وجدت مع الورقة « نفر حتب » ويحمل لقب « كاتب البيت العظيم للحريم » . والمدحش أنه لم يأت اسمه بين الموظفين الذين ذكروا في هذه الورقة ، وقد كانت إدارته في « طيبة » ، وكان مختصا بمسك الدفاتر الخاصة بإطعام البلاط والأسرة المالكة ، وكذلك موظفى البلاط . وكانت الميزانية اليومية تشمل الدخل والخرج . وقد كان كل منهما يدون في سجل على انفراد ثم يصفى حسابهما وما تبقى يرسل لحساب اليوم التالى ، ومما تبقى من هذه الورقة يمكننا مراقبة حسابات المؤن المنصرفة في البلاط من المدة التى تقع بين ٣٦ من الشهر الثانى لفصل الفيضان حتى اليوم الرابع من الشهر الثالث من نفس هذا الفصل . وقد دوت هذه المدة على وجه الورقة ، ثم من اليوم السادس عشر إلى اليوم الثامن عشر

من نفس الشهر من السنة الثالثة من حكم الملك «سبك حتب»، وهذا الجزء الأخير مدون على ظهر الورقة ، وقد دون الكاتب فضلا عن ذلك القوائم الخاصة بتلك المصاريف العظيمة لأولئك الأشخاص العديدين ، ومنها ترى الآن الجمل الغفير من الموظفين الذين كانت معهم أسرهم أحيانا يعيشون من فيض البلاط الملكي .

المصروفات التي كانت تعطى بأمر شفوى — كان الرئيس المباشر للكتابة هو مدير هيئة الموظفين لمحجرة الأرزاق المسمى « رنف ام اب » ، وهذا الموظف الكبير ، كان يصدر الأمر للكاتب ، وكان هو بدوره يتلقى معلوماته من مكتب الفرعون مباشرة . ولذلك كانت القاعدة المتبعة في بداية الأمر الذى يصدره أن يكتب ” ... : :

ولهذا أتى مدير هيئة المستخدمين لمحجرة الأرزاق بالأمر الذى صدر له من مكتب الفرعون . ولما كانت هذه الأوامر تصدر الواحد تلو الآخر ، فإن الصيغة كانت تختصر . فيكتب فقط : ” أمر آخر قد جاء من أجله هذا الموظف الكبير “ . وفي حالة شاذة قد أعطى كذلك إدارة « خنت » أمرا ، ولما كان « رنف ام اب » هو الذى يتسلم أوامر المؤن ، فإنه لم يسمح لكاتب الإدارة « خنت » بالدخول فى مكتب الفرعون ، بل كان يتسلم هذا الأمر على يد خادم . ولذلك كان يعبر عن ذلك فى بادئ الأمر الصادر بهذه الطريقة كما يأتى : الأمر الذى خرج به خادم الحاكم (الملك) . وكانت محتوياته يعبر عنها فى كل الأوامر بصورة واحدة تقريبا : اسمحوا لفلان أن يتسلم شيئا من الطيبات ؛ وعلى ذلك كان الكاتب يؤشر على الأمر : ” يعمل حسب الأمر “ . وبهذه الطريقة كانت تصدر الأوامر بصورة مدهشة فى الدقة لدرجة أننا وجدنا فى حالة واحدة ، صدر الأمر بصرف أشياء طيبة ، ولم تذكر قط تأشيرة مثل هذه فى أمر آخر .

والآن يتساءل المرء هل كان للكاتب قاعدة معينة يسير على مقتضاها ؟ . والواقع أنه لا بد أن نسلم بأنه كانت هناك طريقة للتوزيع حسب نظام معلوم لتنفيذ

هذه الأوامر الخاصة بالمؤن . ففى ما يختص بالخبز ، والجمعة كانت نسبة التوزيع فيها هى عشرة إلى واحد . وقد استنتجنا ذلك من الموازنة بين الأوامر والتأشير على تنفيذها . وهى التى ستمت علينا مفصلة هنا فى توزيع الطعام ففى حالة نجد أن الفرد حينما يأخذ عشرة أرغفة يأخذ إبريقا واحدا من الجمعة ، وفى حالة أخرى نجد أن فردا أخذ من الخبز ثلاثين رغيفا ، ومن الجمعة ثلاثة أباريق . وكان يطلق على مفردات الطعام باعتبارها وحدة مشتركة لفظة « فكا » أى (هبة) ؛ وهذه الكلمة تدل فى هذه البردية على الزيادة التى تعطى فوق المرتب المعتاد ؛ وبخاصة هبة العيد من الطعام وما شابه ذلك ، ومثلها كلمة « شابو » = هبة = ، ونكاد لا نعلم قط الأساس الذى كان يسير عليه الموظف فى صرف أشياء خاصة . ففى بعض الأوامر القليلة نجد أن الكاتب كان يقتصد فى تعداد المؤونة المنصرفة ، ثم يؤشربا يدل على صرفها بالعبارة المألوفة ، غير أنه يأتى بعد ذلك ببعض ألفاظ غير مفهومة . ثم جزء مهمم يحوز أنه يحتوى على لقين .

المصروف بأوامر مكتوبة — كان الكاتب يعمله مع الأوامر الشفوية أوامر أخرى مدونة كان ينقلها هو ، وهى ما يطلق عليها فى عرفنا أوامر عادية — وقد كانت هذه الأوامر لا تخرج عن تلك التى تصدر من مصلحة رئيسية ، وكانت فى العادة إلى إدارات المخازن وهى : إدارة مخزن رأس الجنوب ، وإدارة ما يقدمه القوم ، ثم إدارة الخزانة . وقد أطلق على الجهات الثلاث لفظ « ثلاث الإدارات » . وقد كان الكاتب من باب الحيلة يدون اسم الرسول الذى يحمل الأمر ، وعلى هذا النحو كان الأمر يسير فى طريقه الطبى بكل وضوح . فكان على الكاتب أن يعمل عملية توزيع المؤونة . أما عملية الصرف الرئيسية فكانت تقوم بها الإدارة المختصة ، فثلا كان بعث « المازوى » يتسلم مؤنا من الإدارات الثلاث للمخازن ، وقد كتب لرجال البعث مع الأمر مقدار ما يصرف من المؤن من كل إدارة ، وكذلك كان الحال بالنسبة للعطايا التى كانت تصرف من هذه الإدارات الثلاث

للبلاط، حيث كانت إدارة رأس الجنوب تقوم بصرف النصيب الوافر من هذه المؤن، فتصرف من الخبز مثلاً ٨٥٠ رغيفا في مقابل ٤٦٠، ٣٦٠ رغيفا تصرفها الإدارتان الأخريان على التوالي، وبهذه الطريقة كانت كل إدارة تعرف ما يصدر لها من الأوامر وما يجب عليها أن تنفذه. أما الأعمال الكتابية المتبادلة فكان على الكاتب الخاص بمسك الدفاتر بكل إدارة أن يعده للتنفيذ وبذلك يسهل العمل.

المصرفون من غير أوامر — وفضلا عن تنفيذ الطلبات والأوامر المكتوبة، وهى التى كانت على وجه خاص تحتوى على صرف الخبز والجمعة والهم، فإنه كان من واجب الكاتب صرف أشياء خاصة (مثل الكحل والنبذ والشهد وما أشبه ذلك). والواقع أن عمله لم يكن هنا قاصرا على تسجيل هذه الأشياء بل صرفها أيضا، والتسجيل الخاص بهذه المصروفات كان فى العادة يبتدئ هكذا: "ماخوذ من المكان المختوم". ومما يلاحظ هنا أن الكاتب ليس لديه قط أى أمر كتابى. ويجوز أن الذى صرف بهذه الكيفية كان يرتكز على قاعدة لم يعد لها وجود بعد. وقد وضع مرة فى هذا النوع من المصروف بخور غفل أخذ لتحضير بخور... فكان يؤخذ $\frac{3}{8}$ حقات ($\frac{3}{8}$ جالون) من البخور الغفل لأجل تحضير ثلاث قطع من البخور على شكل الرغيف الأبيض المثلث الشكل، طول الواحدة منها ذراع وخمسة أشبار، وثلاث أخرى طول الواحدة منها ذراع. وقد كان حجم قطع البخور التى ذكرت فى هذه الورقة يتراوح بين ذراعين وخمسة أشبار، وكذلك كان يوجد فى هذه الطلبات كندر مطحون، وغيره من أصناف البخور. والنوع الآخر من البخور الذى جاء ذكره فى هذه الورقة يتراوح بين ذراعين وخمسة أشبار. وكذلك كان يوجد فى هذه الطلبات كندر مطحون وغيره من أصناف البخور. والنوع الآخر من البخور الذى جاء ذكره فى هذه الورقة هو بخور (سات) وكان يكال بالميكال «حقات» أى جالون أوال «هن» وهو ميكال $\frac{1}{11}$ من الجالون، ومن الأشياء الأخرى التى كان يأخذها الكاتب

من الحجرة المختومة الكحل ، وكان يوزن « بالدين » (= ٩١ جراما) ، والنيذ ، وكان يكال بالإبريق « هبنت » ، ثم أصناف خاصة من النيذ (نيذ الواحة البحرية ونيذ الواحة الخارجية) وفاكهة ... وشهد « أوان » . وغالبا ما يدون الكاتب اسم المتسلم من باب الاحتياط فيكتب :

” عهد به لموظف مخزن فلان ، أو سلم إلى عامل البيت ، أو الخادم فلان .“
على أنه في نفس المتن نجد موظفا آخر اسمه « بيت اللحم » يتسلم شهدا وبخورا .
ومما هو جدير بالملاحظة في كل هذه الأشياء التي أخذت من الحجرة المختومة (أو المغلفة) أنها لم تسجل في الحساب الختامى اليومى .

الدخل — وكان يوجد بجانب مجموع أوجه الصرف الثلاثة التي ذكرناها قوائم عدّة خاصة بالدخل ، وكان يعبر عن الدخل اليومى المعتاد بلفظة مشتقة فى المصرية من فعل دخل كما فى العربية ؛ وفى أحوال أخرى خاصة كان يعبر عن الدخل بكلمة « إتاوة » أى ما يؤتى به . والفرق بينهما يصبح واضحا عند ما يتتبع الإنسان قيد الخبز فى الحساب الختامى اليومى ، إذ نجد هناك خبز الدخل وخبز كل منهم على حدة . والواقع أن ذلك كان صحيحا لدرجة أن الدخل أو الخرج العادى كان دائما يعتبر من الدخل « عقو » . أما الدخل الخاص ، أو الهبات الخاصة فكانت تعتبر من الإتاوة « إنو » . ولكن عند عدم وجود خبز من الإتاوة فى الإيراد يكون خبز الدخل كافيا . وإذا اتفق أنه فى يوم ما لا يوجد توزيع هبات فإن العنوان « خبز الإتاوة » لا يوجد كذلك فى النقوش . ولدينا لأجل مسك دفاتر الدخل اليومى قائمة تعتبر كقاعدة أساسية تزيد نقصها ، وقد نقلت هنا برمتها لما لها من الأهمية لفحص هذا الموضوع ، وقد وضعت فى بداية الجزء الذى بقى لنا من هذه البردية : ورد فعلا بمثابة دخل السيد (الملك) له الحياة والصحة والسعادة .

المجموع	إدارة المالية	إدارة مخزن ما يقدمه القوم	ورد لإدارة مخزن رأس الجنوب
١٦٣٠ =)	٢٠ [٣]	٤٦٠	خبز مختلف الأنواع ٨٥٠
١٣٠ =)	٤ [٢]	٣٦	جعة في إبريق دس ٧٠
١ =)	—	—	حلوى ١
٥٢ =)	—	—	حنو ٥٢
٢ =)	—	—	خبز حرت ٢
٢٠٠ =)	[٥٠]	٥٠	خضر في حزم ١٠٠

فما سبق نجد أن هذا الدخل كان في الواقع يوزع إلى ثلاث إدارات
للمأكولات . وسنجد الأرقام التي وضعناها بين قوسين مكررة بصورة واحدة ،
وكذلك العناوين الستة التي وضعت لأنواع المأكولات في الميزانيات الأخرى التي
وردت في هذه الورقة .

فهذه القائمة تضع أمام الكاتب الدخل الذي يصرف منه العطايا الضرورية ،
وهذا الدخل كان قد وضع لمدة ٢٧ يوما ، يصرف منه كل يوم أكثر من ٥٠ رغيفا
من الخبز و ٥ أباريق من الجعة ، كما تدل على ذلك كل عمليات الطرح الختامية .
وقد كان الأمر الكتابي التابع لهذه القائمة موجهها إلى مكتب الوزير (إدارته) .
وقد نقله الكاتب على عجل ، وإذا كانت هناك زيادة فإنها كانت تدون ويؤشر
عليها بملاحظة قصيرة ، ويعبر عنها كما يأتي : وردت بمثابة زيادة للسيد (الفرعون)
له الحياة والصحة والسعادة ، ثم تذكر الزيادة بعدد الأرغفة والجعة . أما الدخل
الذي كان خارجا عن ذلك (الإتاوة) ، فكان الكاتب دائما يقيدده لضرورة طارئة ،
مثل مصاريف الأعياد . وكان حساب كل منهما يظهر منفصلا عن الآخر من أول
الأمر ، ولكلا لا نعلم كيف كان جبي هذا . فهل كان عن طريق الضريبة أو الجزية

أو محصول الأملاك الفرعونية ؟ كل هذا لا نعلم عنه شيئا قط . وقد كان هذا بالنسبة للكاتب على حد سواء لأنه كان يدون ما كانت تمليه إدارة المخزن بوصفه دخلا . وهذا الدخل كان ينقسم ثلاثة أقسام : (١) ما يجب أن يدخل ، (٢) ما دخل فعلا ، (٣) ما بقى ولم يستد بعد . أما موضوع ما دخل فعلا فنجد البرهان عليه في الميزانيات التي في القوائم .

ولدينا قوائم للدخل من إدارة « رأس الجنوب » ، ومن « إدارة » ما يقدمه الشعب ، ففي الإدارة الأولى كان الموظف الأعلى المسئول عنها هو الوزير ، غير أننا نجد في قائمة أخرى مماثلة أن المورد للأطعمة هو مدير هيئة المستخدمين ليت الأرزاق . وقد كانت الأشياء التي تصرف في عيد « متو » للثؤونة يعبر عنها : هبات لعيد « متو » ، دون أن يذكر اسم الموظف الذي يصرفها ، وإننا إذ نجد في أول مكان ذكرت فيه قائمة الأتاوة « إنو » نرى في الواقع النموذج للتعبير عنها في القيد في كل القوائم الأخرى الخاصة بهذا النوع من الدخل .

فثلاثة أنواع الخبز « بعث » و « بايت » و « برسن نزم » وهي التي تسمى إجمالا في الميزانية دائما باسم خبز مختلف الأنواع « تا - شين » ، تذكر بعد أنواع مختلفة من الفطائر ، وكذلك كان عدد الفطائر الذي كان يكتب أحيانا بالمداد الأحمر ، وأحيانا بالمداد الأسود ، يدل على مختلف أنواع الفطائر أو نوع الفسلة التي صنع منها . ثم تتبع ذلك الجعة مع ذكر نوعها وحلاوتها ؛ ففي القائمة الأولى قسمت هذه إلى « نزم ختو (?) » و « شويت » و « حنباس تاحز » ، ولكن كان يطلق عليه في الميزانية الخاصة بدخل العيد أنواعا أخرى مختلفة من الجعة مثل جعة « قفط » وجعة « جاشو نشودس » (ميكال) أو إناء خاص وغير ذلك . وعند هذا الحد تنتهي القائمة بكومة القربان المجهزة بكل شيء . وتبتدئ محتويات هذه الكومة بالجعة في إبريق « قبي » ، وأنواع أخرى من الجعة ، ثم يأتي بعد ذلك فطائر مشطرة ، وخبز « بيت حثا » ، وخبز « برس وزع » ، وخبز أبيض ، وخضر ، و « نبات

الأرض » ، وطير « عشا » . ومما يبرهن على أن أكوام القربان هذه لم تكن لغرض القربان فقط ، أنها كانت تضم مع مجموعة جعة ، حساب الميزانية . وقد كانت كومة القربان تمتد كذلك بأنواع فطائر أخرى ، مع إضافة فطائر حلوة و « كعك خلو » . ونجد أن الكاتب قد جمع ثلاث قوائم قصيرة للإناوة في واحدة (مجموع دخل هذه الأيام) ، وذلك اختصارا في تسجيل الميزانية . ونجد غير دخل إدارتي « رأس الجنوب » وإدارة « ما يقدمه الشعب » دخلا خاصا قد أضيف إليهما ، وقد كتب عليه ما أخذ بواسطة الخادم لهذا اليوم ، ويحتوى ذلك على جعة ، وفطائر ، وخبز ، وكذلك نجد في قائمة دخل عنوانها : (مجموع دخل هذا اليوم) ، وفي هذه القائمة نجد مذكورا الموظفين المختلفين ، هذا إلى ذكر إحدى أخوات الملك بوصفها موردة للطيور أو العطور . فذكرت الطيور « زن زن » والبط « ست » والأوز « سر » والحمام . ثم جاء ذكر الكندر (بخور) . كل هذه الأشياء كانت تقدم هدية لعبد « متو » السابق الذكر . وقد قدم كل واحد من الموظفين ما يمكنه أن يقدمه ، فالوزير الذى كان على رأس القائمة قدم قطعة من البخور طولها ذراع . أما رئيس الكتبة « رنف ام اب » فقد قدم خمس حمامات ، فى حين أن مدير الأملاك الأعظم قد ضرب الرقم القياسى ، إذ قدم أحد عشر من الطيور المختلفة ، ولا ندرى إذا كان ذلك مجرد مصادفة أم لا .

المتأخر — ولا بد أن نقول كلمة مختصرة هنا عن التأخر الذى نجد ذكره من وقت لآخر فى أنحاء البردية . فمثلا نجد فى ٢٩ يوما أن ٩٠ رغيفا من المتأخر قد سددت . وكذلك لدينا قائمة أخرى ، غير أنه مما يؤسف له ممزقة ، وقد كتب فيها : « خصم من المتأخر » ، وكان لا يزال هناك متأخر ، جديد آخر ، وعلى أية حال فإنه لم يكن هناك مراقبة شديدة فى موضوع التأخر ، ولذلك يفهم الإنسان ضمنا أن المتأخر كان يتراكم بعضه على بعض .

الميزانية — ونجد من أنواع السجلات التي فحصناها حتى الآن أن الكاتب كان يضع ميزانيته يوميا وسنشرحها هنا ببعض التفصيل ، كما جاء في لوحة ٢٧/٢ من رقم ١٥-٣.

٣	الدخل المتوقع للسيد (الفرعون) له الحياة والصحة والسعادة السنة الثالثة الشهر الثالث من فصل الفيضان	خيز متوقع		جمعة إبريق دس	خيز حوت	حلولى		خضر حداث حزم	خوشو حزم
		دخل	أناوة			إناوة (بجيا)	إناوة (حنو)		
٤	قائمة بدخل السيد له الحياة والصحة والسعادة في السنة الثالثة الشهر الثالث من فصل الفيضان	١٦٨٠	—	١٣٥	٢	١	٥٢	—	٢٠٠
٥	نقل ما تبقى من السنة الثالثة الشهر الثاني من فصل الفيضان يوم آخر الشهر	٢٠٠	—	٢	—	—	—	—	—
٦	نقل ما أخذ بأمر ملكي من معبد آمون	١٠٠	—	١٠	—	—	—	—	—
٧	نقل ما نقص في هذا اليوم من دخل الإناوة	—	٩٣٨	٩٠	٧	—	—	٧	—
٨	المجموع — وما يخص من هذه القائمة	١٩٨٠	٩٣٨	٢٣٧	٩	١	٥٢	٧	٢٠٠
٩	ما يعطاه بيت الفرعون من دخل مقدما	٦٢٥	—	٤٥(+)	٢	١	٥٢	—	١٠٠
١٠	عطايا جاريات المخزن التي يعطاها الناس وبيت المرضعات	٦٣٠	—	٦١	—	—	—	—	٥٠
١١	عطايا المخزن التي يأخذها الخدم الكثيرون والمخلصون	٥٢٥	—	٣٨	—	—	—	—	٥٠
١٢	هدايا تعطى للظلاء وأصحاب بيت المرضعات	—	٣١٠	٣٥	٥	—	—	٧	—
١٣	هدايا تعطى لكثير المقاطعة والتابع والمواطنين	—	٢٩٠	٢٢	—	—	—	—	—
١٤	مجموع ما صرف	١٧٨٠	٦٠٠	٢١٦	٧	١	٥٢	٧	٢٠٠
١٥	المتبقى	٢٠٠	٣٣٨	٢١	٢	٢	٢	٢	٢

ونرى من هذه القائمة أنه من السطر الثالث إلى الثامن كان يحتوى مجموعها على الإيرادات التى منها أخذ المنصرف الذى تشتمل عليه الأسطر من ٩ — ١٤ ، ويلاحظ أن الجملة التى فى السطر الثامن وهى التى ترجمناها : ما يخصم من هذا (أى الوارد) ، وهى فى الواقع تساوى فى حسابنا اليوم علامة ناقص . أما السطر الثالث فيتألف منه العنوان الكلى للقائمة . والسطر الرابع يقدم لنا الدخل اليومى على أساس القوائم السالفة الذكر التى أضيف لها زيادات مرتبة حسب مصدرها ، وكل قائمة يقابلها العنوان الذى كتب فوقها . ولا نجد شاذاً فى هذه الأعمدة التى تحتوى على الأعداد إلا عمود الخضر ، فإنه قسم إلى « حادت » وهو (ميكال للخضر) و « خرش » (حزمة خضر) . أما السطر الخامس ، فى معنى نقل ما تبقى من ميزانية اليوم السابق ، والسطر السادس يدل على ملحق يومى من معبد آمون . ومما هو جدير بالملاحظة هنا أن معبد « آمون » هذا كان فى نهاية الدولة الوسطى يعيش على الضرائب التى تجبى له فى حين أن معبد « متو » فى مدينة « المدمود » وتمثاله كانا يعيشان على أعطية العيد وطعام العيد .

وأخيراً نجد فى السطر السابع كذلك إضافة ما نقص فى اليوم ، أى أنه أضيف ما وجد ناقصاً بعد عمل حساب الدخل السابق فى هذه القائمة (راجع لوحة ٢٧ ، ١٨ ، ٢٥) . أما المنصرف فقد وضع فى ثلاثة أسطر ويحتوى على العطايا التى تورده يومياً . ففى السطرين العاشر والحادى عشر نجد أن لفظتى (بت — شنع) قد عبر عنهما بجرايات المخزن .

أما السطر التاسع فقد جاء فيه ما يعطى للبيت المالك . والسطر العاشر ما يعطى لموظفى البلاط ، وأما السطر الحادى عشر فيحتوى على ما يعطى للخدم ، أما السطران ١٢ ، ١٣ ، فيحتويان على مصاريف خاصة .

والسطر الخامس عشر يحتوى على الباقي المنصرف وهو ما ينقل إلى ميزانية اليوم التالى ، ويلاحظ أن الصنف الذى جاء فيه المنصرف قدر الدخل كان يعبر

عنه عند المصرى بكلمة طيب (أى مضبوط) . وعلى أية حال يلاحظ هنا أنه فى أحوال كثيرة كان ما يصرفه الكاتب من بعض المواد لا يظهر فى القائمة، وبخاصة اللحوم، ولذلك يجب أن يبحث عن ذلك فى قوائم أخرى غير هذه .

الأشخاص الذين يطعمون فى مناسبات متوعة طعاما خاصا — بعد أن وجهنا نظرة خاطفة إلى مسك دفاتر الكاتب نريد الآن أن نوجه نظرنا فيما يأتى إلى موضوعات أخرى تتعلق بمصاريف ومؤن خاصة ، وكذلك الأشخاص الخاصة بها، وستتناول أهم ما جاء فى هذه البردية .

(أولا) الملكة المسماة « إى » التى كانت لا بد أن تمتنع بنصيب وافر من العناية، فقد كانت نظيراتها من الملكات الأحرار المعروفات تملك بيتا خاصا ، وكذلك كان لها أملاكها الخاصة، وكانت لها إناوة خاصة تورد إليها فى صورة نوع من الخبز لم نجد نظيره فى هذه البردية مثل الخبز « شنس » والخبز « خاز »، وفى موضع آخر نجد أن الكمل ... إلى « بيت الأرزاق » « قب » يورد إلى دخل الملكة ، ومن ثم نعلم أن كلمة « قب » قد حدد معناها بأنها مكان للثونة أو ما يشبه ذلك . (ثانيا) وقد كانت تحفظ أشياء مشابهة للأشياء السابقة كذلك فى بيت مدير هيئة المستخدمين لبيت الأرزاق، واسمه « رف أم اب » وهو نفس رئيس الكتبة الذى جاء ذكره كثيرا فى هذه الورقة .

(ثالثا) وقد ذكر اسم السيدات هنا خلافا لما جاء ذكره ... فى الطعام والقوائم الخاصة بالعيد فى موضعين فقط . فى واحد منهما كان خاصا بتوزيع البخور والتبذ لإقامة الشعائر الدينية . فن بين الذين تسلموا ذلك أخت أمير « أرمنت » . هذا إلى ذكر امرأتين إحداهما تسمى « خوتى » والثانية « ست نت بر ... » فى أحد الطلبات العادية المحفوظة فى هذه الورقة .

(رابعا) ولدينا سجل يختلف عن النموذج المتبع تماما ، إذ قد ابتدئ بدون أمر سابق : إنها زيادة للوظفين ، وأخوات الفرعون ، وأصحاب بيت المروضات

في هذا اليوم حسب الأمر... .. لكل واحد منهم من تلك الزيادة التي في مخزن بيت الصباح (٩) وفي بيت « خنت » ، غير أنه مما يؤسف له أننا لا نعلم شيئا البتة عن تلك المصاريف .

(خامسا) قد جاء ذكر أصحاب الحرف كثيرا في السجلات ، فمثلا نجد أنهم كانوا يتسلمون عطاياهم التي كانوا يتناقشون في أمرها مع الرئيسين : وهما عظيم عشرات الجنوب ، والمشرف على الكتبة (XXII, 13-20) ويجب أن يكون أصحاب الحرف أولئك تابعين لمصنع للأعمال اليدوية . ونجد حسب ما جاء في طلب آخر وهو الوحيد الذي قد أشير فيه إلى وحدات الطعام بالضبط أن عمال صناعة السفن قد نالوا زيادة خاصة (XXII, 13-22) .

(سادسا) وقد ورد في هذه الورقة ذكر هبة لمواطنين مختلفين من عامة الشعب مرة واحدة ، وكانت هذه الهبة تحتوي على طعام ، وقد عبر عنها بصرح العبارة أنها وزعت في قاعة الاستقبال الملكية ، وقد اشترك فيها كبار المدينة ، وتابع الفرعون ، والمواطنون وكان عددهم يبلغ نحو العشرين .

(سابعا) بعث « المازوى » وهذا البعث يعتبر من الأشياء القليلة التي نعلم عنها بعض التفاصيل في هذه الورقة . فنعرف أولا أن هذا البعث من « المازوى » الذين جاءوا من بلاد النوبة ، قد شغل موضوع إطعامهم حيزا كثيرا من الورقة . فسمع أولا في اليوم الثاني من الشهر الثالث من فصل الفيضان ، عن توريد من إدارة « خنت » لأجل « المازوى » الذين أتوا مطاطئين الرؤوس ، وفي اليوم التالي ذكر لنا اجتماع رجال هذا البعث ، ومن ثم نفهم أنهم لم يأتوا إلى العاصمة بوصفهم رجال شرطة . يدل على ذلك أيضا وصف استقبالهم : « لقد استقبلوا شخصيا واحضروا بوساطة كاتب الوزير فلان » . وبعد ذلك تأتي القائمة التي ذكرها فيها وهي : اثنان من كبار « المازوى » وتابع ، و « مازوى » « هو » و « مازوى » صغير وثلاث سيدات من سيدات الإدارة (٩) . وقد وزع رجال بعث

« المازوى » على إدارتين من إدارات المخازن الثلاثة لصرف المؤن منهما ، وقد صدر أمر عادى للإدارة بإطعامهم ، غير أنه قد وقع ما يحدث فى كل زمان ومكان من الأمور المتناقضة لإنجاز شئ ، واحد يصدر به أوامر مختلفة متضاربة فى أمر صرف العطايا لإطعام بعث المازوى ، فقد أصدر رئيس الكتبة المسمى « رنف ام اب » طلبا شفويا بإطعامهم ، وهو يحتوى على عدد مخالف بالمرّة للعدد الذى يحتويه الأمر الكتابى ، ولا نعلم أى الأمرين قد نفذ ، لأن المتن عند هذه النقطة وجد مهشما فى الميزانية . وما ذكركم من رجال « المازوى » حتى الآن ، وهم الذين اتخذت الإجراءات لإطعامهم ، يتألف منهم عماد البعث ، فى حين أن قائدهم الذى كان يحمل اسما أجنبيا « آو شبكوى » قد وصل بعدهم ببضعة أيام ، أى فى اليوم الثامن عشر من الشهر ، وقد أرسل الوزير فى الوقت نفسه كتابا ليستقبله ، وكتب له أمرا لإدارة « رأس الجنوب » لصرف الجراية له

(ثامنا) مقتطف من يوميات الفرعون — كثيرا ما يحدث أن نجد فى المكان الذى تكسر عنده البردية موضعا له أهميته ، وهذا نفس ما حدث فى البردية التى بين أيدينا على ما يظهر ، إذ نجد أنه قد تبقى فى أيدينا قطعة من يوميات الفرعون ، وهى تحدثنا عن مشروع يقصه علينا الملك نفسه ، فالجزء الموجود يقول :

”السنة الثالثة، الشهر الثالث من فصل الفيضان، اليوم الرابع سار ... من باب طريق الفرعون فى القصر ... وسار إلى هذا المكان ... وأقلع نحو الشمال أمام ... وقد نزل فى هذا المكان فى وقت ... ووقعت هناك مذبحة معه بوساطة (؟) الخشب (؟) ... ونزل الرقيق وعذب فى الجزيرة (؟) وبقى مستيقظا فى أماكن الحياة والصحة والعافية ... “ .

ومن بقايا هذه الأسطر التى ضاع نصفها الأخير يمكننا أن نقدر أن الفرعون قد قام بسياحة نهرية فى مكان ما ، ونزل فيه وأمضى الليلة ، أما الغرض الذى كانت

ترمى إليه هذه الرحلة فيمكن استنتاجه من كلمة مذبحة التي جاءت في سياق الكلام، وكذلك كلمة «تبخت» التي تعنى نوعا من التعذيب (الخازوق)، فلا بد أنه كان هناك نوع من التأديب بالذبح، أما عن التفسير الحقيقي لهذه الرحلة فنحن بعيدون جدًا عنه لقلّة ما بقي من المتن، ولكن المهم أنه قد بقي لدينا محتويات الأمر الذي صدر بإعداد المعدات لهذا المشروع قبل يوم سفرها بيوم أى في اليوم الثالث من نفس الشهر، فقد صدر الأمر بتجهيز سرير، ثم استحضار التين المجفف، والبلح، والشعير الشوفان، وكانت كلها تكال بمكيال «حقات» = (جالون) وقد كان التوريد منظمًا بالنسبة لإدارات التوريد، حتى إدارة «رأس الجنوب»، وهي أغنى الإدارات كانت تورد ضعف إدارتي المخزين الآخرين. وقد ختمت قائمة المأكولات بنوعين من الخبز وهما خبز «أحا» وخبز «الحقل». ومن هذا يرى القارئ كيف كان يستعد الفرعون أو الجيش للقيام بحملة أو رحلة.

(تاسعا) زيارة تمثال الإله صاحب «المدمود» — أشرنا فيما سبق إلى أن معبد الإله «متو» في «المدمود» وتمثاله كانا يلعبان دورا هاما في العهد الذي كتبت فيه هذه الورقة أكثر من الدور الذي كان يلعبه الإله «آمون» نفسه في «طيبة»، والواقع أن لدينا تسجيلا من بين كثير من الكتابات الأخرى يوضح لنا بشيء من التفصيل ما كان يحدث في ثلاثه أيام من عيد الإله «متو»، وهي من اليوم السادس والعشرين إلى اليوم الثامن والعشرين من الشهر الثاني من فصل الفيضان، وذلك عن زيارة تمثال هذا الإله للبلاط الفرعوني، وما يتبع ذلك من الأعياد التي كانت تقام تكريما لهذه الزيارة، والتي تفتتح بقربان كان يقدمه البلاط في «المدمود». وتحتوى على ثور وخمسة طيور وبخور، وفي اليوم نفسه قد أُسند إلى مدير هيئة المستخدمين لمحجرة الأثرزاق المسمى «ككي» (وقد ذكر مرارا بالنسبة لزملائه رؤساء الكتاب في هذه الورقة) شرف الذهاب إلى «المدمود» لإحضار تمثال الإله، وقد أعطى له هبة من الطعام خاصة، وكان

قد أعلن في اليوم الثاني بأنه يوم عيد خاص . وقد حملت صورة الإله « متو » في « المدمود » ، وكذلك صورة الإله « حور نرتف » (حور المتقم لوالده) إلى القصر الفرعوني . ويلاحظ أن صورة « حور نرتف » المذكورة هنا لم يأت لها ذكر في هذه الورقة في غير هذا المكان ، وقد وضع كل من التمثالين في قاعة الاستقبال بالقصر الملكي ، وقد كان يسير في ركاب تمثال الإله « متو » نساء (حريم) الإله ، وكذلك كان الفلاحون يقدمون له البقر قربانا ، وقد قدم لكل من التمثالين هبة حرة ، وأخرى بأمر ملكي . وخلافا لذلك كانت توزع الأعطيات الخاصة في يوم العيد هذا على كل رجال البلاط . وفي اليوم التالي كان يتسلم نفس هذا الموظف المسمى « ككى » . الذى أحضر تمثال الإله طعاما خاصا قد أشير إليه كما يأتى : تأمل ! إنه خاص بالعودة الى المدمود أى خاص برحلة إعادة تمثال الإله الى مقره الأصلي في « المدمود » . وأخيرا نسمع كذلك عن قربان أخير لعودة تمثال الإله في هذا اليوم ، وهذا القربان كان في الواقع يتألف من بخور يطلق نصفه عند خروج التمثال من حجرة الاستقبال الملكية ، ونصفه الآخر عند وصول التمثال إلى « المدمود » مقر الإله الأصلي . ونعرف عن حادث آخر هام له علاقة بعيد الإله « متو » تفاصيل هامة : ففي اليومين السابع عشر والثامن عشر من الشهر الثالث من فصل الفيضان كان يحتفل بعيد الإله ، وكانت توزع الأطعمة العظيمة إكراما لذلك . وقبل أن نفحص القوائم الطويلة الخاصة بالأشخاص وهم الذين قد رتبوا حسب مكاتهم يجب أن نتكلم باختصار عن القوائم الباقية المحفوظة لنا في هذه الورقة .

عاشرا : لدينا أربعة أنواع من قوائم الأشخاص يجب أن نفرق بينها :

- (أ) قائمة بأسماء الأشخاص العادية لكل يوم .
- (ب) قائمة يتبعها تصميم لتوزيع الطعام على دائرة مجتمع البلاط الضيقة .
- (ج) قائمتان بتوزيع العطايا في زيارة تمثال الإله خارج « المدمود » .
- (د) القوائم الخاصة بالطعام في عيد « متو » .

(١)

هذه القائمة مضافا إليها السجل السابق الذكر الذى يشتمل على الدخل اليومى يؤلفان معا بقية بداية البردية . هذا خلافا للملاحظات اليومية التى تحتوى على المعلومات التى تستعمل فى كل يوم، فضلا عن ذلك فإن مثل هذه السجلات التى يجب أن تبقى كانت قبل كل شئ أساسا ترتكز عليه الميزانية المتكررة يوميا . ففى القائمة نجد أنه كان يوزع على كل شخص إبريق جمعة، فقائمة الأشخاص إذا قد استخدمت أساسا لتوزيع الجمعة فى أحد الأعمدة الثلاثة الخاصة بالمنصرف من الحساب الختامى، وتحتوى مع ذلك على أشخاص من البلاط يتمتعون بطعام يومى . وقد حفظ لنا من أسماء هؤلاء الأشخاص أربع أخوات للفرعون وخمسة بيوت لأخوات أخريات للفرعون . والمقصود من كلمة البيت هنا أن بعض زوجات الفرعون الثانويات كان لهن عقار . وقد كان لبعضهن بجانب عقارهن نصيب خاص فى هبات العيد، وهذه الهبة لم ترد فى الورقة أنها أعطيت لأحد غيرهن ، ولذلك يجب أن يفرض الإنسان أنهم كثر قد توفين، وأن أملاكهن كانت لاتزال باقية فى يد أولادهن الذين كانوا لا يزالون يتسلمون نصيبهم من البلاط . وفى القائمة التى نجث فيها يأتى بعد أولئك الزوجات المملكات موظفون آخرون وهم « فم نخس » وعظيم عشرات الجنوب، وأسن رجال المحكمة، وقريب الفرعون؛ ثم مدير هيئة المستخدمين لبحر الأرزاق، وهما اللذان سبق ذكرهما . وهؤلاء الموظفون يكادون يعتبرون هيئة موظفى بلاط الفرعون الضيقة، وقد كررت أسماءهم فى مثل هذه القوائم أوفى مجموعات مماثلة، أو فى قوائم أخرى .

(ب)

والواقع أن أفراد هذه القائمة هم نفس الأشخاص الذين جاء ذكرهم فى القائمة (١)، غير أنه هنا يبذل لهم هبة خاصة لاتستند على أمر من المكتب الفرعونى . فعلى رأس هذه القائمة فى هذه المرة نجد الملكة، ثم يأتى بعدها الأمير « رع نف »

وثلاثة أميرات ، وقد حشرين أخوات الملك وبيوته امرأتان إحداهما زوجة لقاضى «نخن» والثانية زوجة «أسن رجال المحكة» ، ولذلك يلاحظ أنهما كانا يحتلان مكانة عليا ، وبخاصة أنهما وضعا فى الترتيب قبل زوجيهما . وعلى ذلك لابد أنهما كانا يعدان من الأسرة المالكة . أما الموظفون الذين تجرى عليهم الهبات فى هذه القائمة فإنهم تقريبا هم الموظفون الذين ينحصر عددهم فى دائرة أشخاص البلاط الضيقة جدا ، وأما الأشياء التى كانت تجرى عليهم فهى الخبز ، والجمعة ، والبطائر ، وقد كانت الملكة وحدها هى التى تأخذ من هذه الأشياء نصيبا وافرا بنسبة ثلاث أو خمس مرات أكثر من الآخرين ، هذا فضلا عن أنها كانت تمتاز بهبة من الخضر . أما نسبة توزيع هذه المواد فكان المتوسط بنسبة ١٠ أرغفة إلى إبريق واحد من الجمعة وفطيرة واحدة .

« ج »

تؤلف جماعة هؤلاء الأشخاص أنفسهم أى الأسرة المالكة وبعض رجال الحاشية الجزء المتوسط من هذه القوائم الطويلة ، وهى التى ذكر فيها توزيع الهبات فى مناسبات زيارة تمال إله « المدمود » إلى القصر الملكى . ومن هذه القائمة نشاهد سلسلة من الموظفين الذين يحتل معظمهم مكانة عالية ، والظاهر أنهم ليسوا من الذين يعيشون يوميا على الجرايات الفرعونية ، بل كانوا يدعون فقط فى مناسبات خاصة لتناول الطعام على المائدة الفرعونية ، وتبتدى القائمة التى تنتظم هؤلاء الموظفين ، وهى التى صدرت بأمر ملكى عادى ، كما يأتى : قائمة بأسماء الموظفين الذين أحضر طعامهم فى هذا اليوم حسب الأمر الملكى . والموظفون هم : الوزير « عنخو » ، ثلاثة من حملة الخاتم الملكى للوجه البحرى ، وهم : قائد الجيش ، ومدير الحقول ، و كاتب الملك فى حضرته ، وأربعة من الرجال الذين كانوا يجلسون على المائدة الملكية ، وثلاثة ممن يحملون لقب عظيم عشرات الجنوب ، ثم وكيل الخزانة ، وقائد المحاريرين (؟) وحاجب الملك (المبلغ) ، وغير ذلك من الألقاب التى قد هُشمت . وخلافا

للو وظائف الرفيعة التي ذكرت أولا في هذه القائمة، فإننا لانجد قط ترتيبا ثابتا بالنسبة للوظائف في أى مكان آخر في هذه الورقة، وبخاصة وظيفة «عظيم عشرات الجنوب» التي جاء ذكرها في هذه الورقة ثمانى عشرة مرة، وكذلك وظيفة «أسن رجال المحكمة» فقد وضعوا في أما كن مختلفة حسب توزيع الأطقمة . فمثلا هنا نجد أن أحد الثلاثة الذين يحملون لقب «عظيم عشرات الجنوب» أخذ ضعف ما يأخذه كل من زميله، أما الأشياء التي كانت توزع فهي : الجمعة، والحلوى ، واللحوم ، وخضر، وقد كان كل موظف حتى الذى يحمل لقب «مدير المحاريين» يتسلم نصيبا من هذه الأطقمة الأربعة . وما عداهم كان يعطى فقط الجمعة واللحم . أما الخبز الذى لا يوجد في القائمة هنا فإننا نجده مذكورا في العمود الثانى . وهو كما قلنا من قبل كان يجرى على أفراد الأسرة المالكة . أما الملكة فكانت تمتاز دائما بكثرة ما يجرى عليها إذ كانت هي الوحيدة التي تمتاز بهبة من الحلوى، أما الباقون فكانوا يأخذون من ١٠ — ٢٠ رغيفا، وإبريقا أو إبريقين من الجمعة ، ونحس قطع من اللحم . ونجد في العمود الثالث من هذه القائمة كشفا تكميلا عن توزيع الأطقمة . ففي أوله نجد أربعة ألقاب لنساء : مغنية، ومرضعة، ولقيين آخرين ربما كان واحد منهما لغزالة والثانية كاتبة ...؛ وفي نهاية العمود نجد مغنيين، غير أنه على ما يظهر لم يكن الطعام كافيا لإطعام كل هؤلاء ولذلك نجد توزيعا ثانيا قد حدث في اليوم التالى. وفي هذه الدفعة يلاحظ أنه قد شمل كل النساء والأطفال ، ولذلك ذكرت صيغة مقدمة الأمر العادى مشتملة على ما يأتى : وهو ما كان ينبغى أن يقدم أمس . وقد عددت أسماء نساء مختلفات هنا وزعت عليهن الأطقمة، كما عددت في القائمة الرئيسية ، وقد عُرِف بعضهن بوصفهن أمهات وأخوات أو أطفال الموظفين، وكذلك أضيف هنا أسماء موظفين . وقد ذكر في الجزء الثانى امرأة بوصفها «أخت الحاكم» (الملك)؛ وفي قائمة نساء أخرى قد ذكرت بلقب «الأخت الملكية» ، ولا ندرى إذا كانت هي أخت الفرعون الحقيقية بموازتها بالحظيات أم لا . وكذلك نجد أن

عددا من أولئك النسوة كانت كل منهن تأخذ إبريق جعة في عيد « متو » في قائمة منفصلة (XLIV, 1-18) .

نتقل بعد ذلك إلى القوائم الخاصة بطعام العيد وهي التي تؤلف الجزء الرئيسى من هذه البردية .

عيد الإله « متو » — كان يبلغ عدد الأشخاص الذين كانوا يجلسون إلى مائدة البلاط في كل مرة من عيدى الإله « متو » نحو السبعين ، وقد كانت كل من القائمتين معنونة بالعنوان التالى : « قائمة بالأشخاص الذين يأتون إلى قاعة الاستقبال الملكية في هذا اليوم لتناول الطعام » . وحجرة الاستقبال هى الحجرة التى كان يقام فيها الأعياد فى القصر . ومما يلفت النظر أن الأسرة المالكة ليس لها وجود فى هذه القائمة ، وقد كانت دائما تذكرم مع موظفى البلاط فى القوائم الأخرى . ولا نجد فى كتابة هذه القائمة أى نظام فى ترتيب الموظفين ، اللهم إلا أن الموكب يفتح باسم الوزير ، ويأتى بعده حامل الختم وقد زيد فيه « مدير البيت العظيم » ، « وفم نحن » (أى قاضى نحن) ، وقد رقى الأخير فى عيد « متو » إلى رتبة حامل ختم الوجه البحرى ، وقد ذكر خلفه بدون ذكر لقب الشرف هذا فى القائمة الثانية ؛ وبترقيته إلى وظيفة حامل الختم للوجه البحرى ينتظر أن يكون عمله قد تغير تمثبا مع هذا التغير أيضا . وخلافا لهؤلاء الموظفين الذين كانوا يحملون هذه الألقاب الذين ذكر اسمهم فى القوائم الأخرى ، فإنه قد جاء فى قائمة العيد عدد عظيم آخر من الموظفين الذين لم يكونوا من حاملى الألقاب العظيمة ؛ مثال ذلك « مدير حراس الكلاب » ، « ووكيل حظائر الطيور » . هذا فضلا عن أننا نجد حارس البوابة ، ثم وظائف حربية متنوعة أخرى مثل المشرف على الحرس ، والراعى ، والتابع والفراس (٩) ؛ وأخيرا نجد أربعة ممن يحملون لقب رئيس المواطنين ، ثم مواطننا . وقد كانت الموسيقى كذلك تمثل هنا تمثيلا عظيما ، إذ فى ختام القائمة نجد ثلاثة مغنين ، وهؤلاء ملحنون يوقعون الأنغام بإشارات الأيدى ، وضارين على العود ، (وقد سقط عددهم) .

وبين هؤلاء الملحنين، والضاربين على العود نجد مضحكا، مما يدل على أنه كان لا بد من وجود من يسلي جميع المدعّوين على مائدة العيد بأنواع التسلية . وإنه لمن الأشياء التي تلفت النظر عند ما نشاهد في قائمة الطعام أن كل عظيم يتسلم عشرة أرغفة، والصغير لا يأخذ إلا خمسة فقط؛ هذا فضلا عن فطيرة لكل من الصنفين . ويلاحظ هنا أن الشراب كان لا وجود له قطعا، وكان الوزير وقائد الجيش هما اللذان يتميزان بأخذ جزء من الحلوى . وفي اليوم الثاني للإطعام من يومى هذا العيد كان يدعى جماعة معظمهم غير الذين دعوا في اليوم الأول، وليس من بينهم من يحمل ألقابا جديدة، ولما كانت المثونة قد قلت وأصبحت لا تكفى، فإنه لم يقدم لكل واحد من هؤلاء إلا رغيفان وفطيرة . ولما كان الاعتماد العادى لتقديم وجبتين لعدد كثير مثل هذا العدد لا يكفى، فإن القائمين بالأمر قد اهتموا بالموضوع لتدبير الطعام، ولذلك نجد الكاتب يقيد ذلك زيادة لأجل عيد «متو»؛ وكذلك نجد فى هذا الجزء الخاص بالكتابات الخاصة بالعيد قائمة مهشمة جدا، غير أننا نلاحظ فيما تبقى منها أن الطبقة الدنيا كان يوزع عليها جزء ضئيل من هبات العيد، ثم نجد ملاحظة خاصة بإطعام أطفال، غير أن الورقة مهشمة هنا فلا يمكن أن نحدّد شيئا بالضبط . وقد ذكر أصحاب الحرف فى قائمة هبات العيد : العمال الذين كانوا تحت مراقبة فلان . وكذلك نجد أن «المازوى» (حرس الفرعون)، والحراس قد نالهم نصيب من هبات هذا العيد . ومما تجدر ملاحظته هنا أن سبعة أنواع مختلفة من الأطعمة قد ذكرت أثناء التوزيعات المختلفة للأرزاق فى المصاريف . ومما يلفت النظر هنا قلة العدد، مثال ذلك أن أصحاب الحرف يأخذون خمسة أباريق جمعة، وفطيرة، ورغيفين من الخبز الأبيض .

وكذلك لا بد أن العمال الذين كانوا يشتغلون فى البلاط، وغيرهم من جماعات الناس، لا يمكن أن يكون عددهم عظيما . ومما يؤسف له أنه ليس لدينا صورة واضحة فى هذه الورقة تمكننا من معرفة الإطعام اليومى فى البلاط الفرعونى، كما

شاهدنا في الصورة التي وجدناها في طعام العيد؛ وذلك لأن الميزانية اليومية تتحدث عن مجموع حسابي، ولم تتحدث لنا قط عن كيفية توزيع هذا المجموع . فالجماعات الثلاث التي كان يجب إطعامها هم الأسرة المالكة والموظفون، والخدم، كانوا يتسلمون يوميا على وجه التقريب العطايا التالية بالتوالى ، فالأسرة المالكة كانت تأخذ ٦٢٥ رغيفا ، ٤٥ أبريقا من الجمعة ، ١٠٠ حزمة من الخضر مضافا إلى ذلك الحلوى وفطائر «حرت» . أما الفئة الثانية وهم الموظفون فكان يصرف لهم ٦٣٠ رغيفا ، ٦١ إبريقا من الجمعة ، ٥٠ حزمة خضر . وطائفة الخدم كان يصرف لهم ٥٢٥ رغيفا ، ٣٨ إبريقا من الجمعة ، ٥٠ حزمة خضر .

والواقع أننا إذا أمعنا في النظر إلى التفاصيل الدقيقة التي وجدناها فيما بقي لنا من «ورقة بولاق» هذه ، وبخاصة في تفاصيل الأطعمة الطبيعية التي كانت تقدم في بلاط الفرعون في وقت أفول مجد الدولة الوسطى ، فإننا نعلم منها حقائق متفرقة مما يجعلها وثيقة من أهم الوثائق التي وصلت إلينا عن تاريخ الإدارة المصرية وسيرها في العهد الفرعوني .

وبنض النظر عن الخزانة التي كانت تدير كل أمور الخراج المختلفة الأنواع ، فقد كان لا يزال في الإدارة فروع خاصة بوزارة الزراعة ، وأهمها بيت محاصيل القمح ، وبيت تعداد الثيران ، فقد جاء في لوحة بالمتحف البريطاني (Erman, "Agypten" p. 107) ما يأتي : الأمير الوراثي والحاكم ، وحامل الخاتم الملكي للوجه البحرى ، والسмир الوحيد ، ومدير بيت محاصيل غلال الوجه البحرى .

وكذلك يلاحظ أن وظيفة مدير الوجه القبلى بوصفها وظيفة مستقلة ، قد ألغيت بعد العهد الإهناسى ولكنها بقيت بوصفها لقب شرف ، وكان من مستلزمات نقل العاصمة إلى الجنوب في « طيبة » أن عين مدير للوجه البحرى ، وأقدم نقش لمن حمل هذا اللقب في الدولة الوسطى عثر عليه في شط الرجال وكان

يجمله «إتو» الذى عاصر «متوحتب الثانى» (Bissing and Kees, "Munich Ak. S. B. 1913; Petrie, "Season", No. 448)

نموذج الموظف المثالى فى هذا العهد — أما عما ينتظره الإنسان من الموظف المستقيم فقد رسمت لنا صورة مثالية فى الأدب التعليمى لهذا العصر، وأحسن مثال لذلك ما وجدناه فى شكاوى الفلاح الفصيح ، عندما وصف لنا فى صورة رائعة للموظف المتعسف بغير حق ، وما يجب أن يكون عليه الموظف المستقيم العادل وهكذا صوّر لنا مدير مكتب من عصر « سنوسرت الأول » حياته المثالية التى كان يسير على نهجها فى معاملته للناس ، مما يدل على بعث جديد فى الأخلاق يتجه نحو العدالة الإنسانية (B. M. Stelae, II, Pl. 23, No 581; Sethe, "Lesestucke," p. 80) فاستمع لما يقول : " لقد كنت إنسانا يلزم الصمت أمام المتهوّر ، صبوراً فى حضرة الجاهل ، مبتعداً عن التآثر ، وكنت حليماً خلواً من الاندفاع ، وعالماً من قبل بمعنى ما يصدر عنى وما أستوعبه ، وكنت إنساناً يتكلم عن الأحق ، عالماً بالمازق التى يخرج منها الإنسان إلى الفلاح ؛ وكنت عطوفاً عند ما كنت أسمع اسمى بالنسبة لمن كان يفضى إلى بما يكنه صدره ، وكنت سيداً يرنو بعطف ، ويسكن دمة الباكى بكلمات طيبة . وكنت إنساناً مصادقاً مع رعاياه ، واضعاً مصالح الناس على قدم المساواة ، وكنت إنساناً يعتمد عليه فى بيت سيده ، وكنت أعرف كيف أديره كما يجب أن يكون ، وكنت مسالماً سخياً ، وكنت رب الطعام (سخياً) بعيداً عن الشح ، صديق المعوز ، رحيماً بالفقراء ، وكنت امراً يأوى المسكين الجائع ، كريماً مع الفقراء ، وكنت مثقفاً لمن لا علم له ، ومعلماً لأى إنسان ما يفيده ، وكنت مخلصاً لبيت الملك ، عالماً بكل ما يجرى فى كل مصلحة ، وكنت مستمعاً عند ما يكون ما أستمع إليه هو الصدق ، وكنت بخاصة إذ ذاك أزنه فى صدرى ؛ وكنت وديعاً مع بيت سيدى ، وإنساناً يذكره الناس بنجاحه العظيم ، وكنت طيباً فى قاعة الحكم ، متواضعاً بعيداً عن الكبرياء ، وكنت حليماً بعيداً عن الاندفاع ، وكنت امراً

لا يستولى عليه أى إنسان بكلمة ، مستقيما كالميزان ، عادلا يعتمد عليه مثل الإله «نحوت» ، وكنت مستقيما من أصل يوثق به ، يخدم بصدق من يطلب إليه خدمته ، وكنت فردا يعلم ما يعرف ، ويستشير النّاس فيما يحبون أن يستشيروه فيه ، ولذلك كان لا يستشار غيره قط ، وكنت امرا يتكلم فى قاعة العدل بفم فصيح غير هباب ” . لقد عرفنا أفرادا فصحاء اللسان على جانب من الزهو مثل هذا كما سمعنا موظفين يؤكدون لنا أنهم عند دخولهم فى قاعة المجلس يخفى لهم العظاء عند السلام احتراماً ، أو كما يقول لنا أحد قواد الفرعون «سنوسرت الأول» : ” كان العظاء يخنون ، أما الصغار فيأتون لى ساجدين ” :

(Louvre C. I.; Sethe, “Lesestucke”, p. 82, 1.2-3)

الحروب والعلاقات الخارجية

كانت الثقافة والأنظمة الحكومية فى عهد الدولة الوسطى مصرية بحتة ، لا يعزى شىء منها إلى بلد أجنبى ، لذلك كان تقدّمها عليا ، ولكن هذه الحال قد أخذت تتبدل بعض الشىء على يد ملوكها العظام . والواقع أن مصر كانت تجدد كفايتها فى تربة بلادها . وكانت لا تخرج عن نطاق حدودها ، إلا عندما كانت إحدى الممالك المجاورة تهدّد حدودها ، أو عندما كانت تغير على تخومها طلبا للغنائم ، ولم تشذ مصر عن هذه الخطة على ما يظهر إلا عند قيامها بالتوسع فى رقعتها من جهة الجنوب فى أوائل الدولة الوسطى ، حيث قد امتدّت الحدود المصرية فى عهد الدولة القديمة إلى الشلال الثانى . وقد بنى السبب الذى دعا إلى هذا الفتح غامضا حتى كشفت عنه الحفائر الأثرية التى قامت فى بلاد النوبة كما ذكرنا آنفا .

ولما تولى ملوك الأسرة الثانية عشرة عرش الملك ، رأوا من واجهم أن يعيدوا سيطرة الفراعنة القدما على فتوحاتهم فى بلاد النوبة ويدافعوا عن حدودها

الأخرى بعد أن ضاعت في عهد الفوضى الذي تلا الأسرة السادسة . ففى أوائل عهد « أمنمحات الأول » نجد مذكورا في النقوش أن من بين أعدائه السود والأسويين ، ولكن يحتمل أن هؤلاء كانوا جنودا مرتزقة ، يحاربون في جانب أعدائه من المصريين ، وعلى أية حال فقد افتخر قائده « نسومتو » بأنه قد هزم « المتنيو » (الأسويين) و « والحروشح » أى سكان الرمال من الأسويين ، وخرب قراهم ، والظاهر أنه تقدم في زحفه حتى « فلسطين » .

ويرجح أن « أمنمحات الأول » كان أول من استعمر الواحات ، وتدل النقوش التي عثر عليها حتى الآن أن الواحات كانت معروفة للمصريين منذ الدولة القديمة ، إذ عثر على نقش من عهد الأسرة السادسة لموظف يدعى « خوفوحر » ، وقد جاء فيه أنه ذهب إلى « الفتين » على طريق الواحة (Sethe, Urkunden I, 125) . ومن ذلك نعلم أن طريق القافلة التي كانت تربط الواحات المختلفة في الصحراء الغربية من جهة الشمال حتى « دارفور » كان معلوما في ذلك الوقت . والظاهر أن الواحات كانت آهلة بالسكان ، غير أنها لم تكن على ما يظهر تابعة لمصر ، ولكن عند ما نظم « أمنمحات الأول » مصر ثانية فإنه بدأ بسياسة حماية تخومه الغربية ، ولذلك أقام قلعة في « وادى النطرون » لهذا الغرض ، ومن المحتمل كذلك أنه أقام أخرى في « الواحة الخارجة » .

(Ahmed Fakhry, A. S., Vol. XL, pp. 815-847; "The Egyptian Deserts, Siwa Oasis", p. 24.)

وقد كان يرسل الحملات لتأديب اللوبيين ؛ وقد أرسل ابنه « سنوسرت الأول » بحملة من هذا النوع ، وعند ما سمع بموت والده رجع في الحال (راجع ص ١٨٨) . ولما تولى « سنوسرت » الملك اتبع سياسة والده ولذلك يقول أحد عماله المسمى « دديكو » (A. Z. 42, p. 124) : "لقد غادرت « طيبة » بوصنى شريفا يعمل كل ما يمدح

على رأس جيش من الشباب لأعيد الحكم في أرض أهل الواحات بوصفى موظفاً ممتازاً؛ ثم يقص علينا في نفس النقش أنه امرؤ يراقب ويمحي تخوم الفرعون .

وفي لوحة « كاي » (A. Z. LXI, p. 108) التي سبق ذكرها، وكان صاحبها يحمل لقب رئيس صيادى الصحراء ومدير الصحراء الغربية ورئيس بعث ، وجاء فيها على لسانه : " لقد وصلت إلى الواحة الغربية، ولخصت كل طرفها وأحضرت الهاريين الذين وجدتهم هناك " (Fakhry, "Bahria Oasis," pp. 12-13).

ومنذ ذلك العهد اتجهت أنظار « أمنمحات الأول » وخلفه إلى إخضاع اللوبيين « تحو » ، وهذا مايفسر لنا صور اللوبيين من رجال ، ونساء ، وأطفال . وهم الذين رسمهم « خنوم حنب الأول » على جدران مقبرته « بنى حسن » ليمثلوا الغنائم التي استولى عليها في حروبه في جانب الفرعون (Newberry, B. H. I, Pls. 45. ff.) ولما مات هذا الفرعون وجد « سنوسرت الأول » نفسه في حروب ضد اللوبيين . وفي السنة التي سبقت ذلك تحدثنا الآثار عن حملة قامت ضد إقليم « واوات » . وقد أصبحت منذ ذلك العهد خاضعة « مثل المازوى » للحكم المصرى ، وتحميها قلاع . ومن ثم كان مفروضاً على رؤساء السود أن يقوموا بفصل التبر واستخراج الذهب بمثابة ؛ (A. Z. 20, 30, 12, 112, 13, 50; Petrie, "Season", p. 540; Maspero, "Melange d'Arch.," pp. 217 ff.) جزية يدفعونها .

وعلى أية حال فإن أشد أعداء مصر وأصلبهم عوداً هم « الكوش » سكان بلاد « النوبة الوسطى » ، وقد ظهر اسمهم هنا لأول مرة في المتون المصرية ، وقد هزمهم كذلك « سنوسرت الأول » . ولما تقدم « خنوم حنب » في السن في تلك الفترة أخذ ابنه « أميني » قيادة جيش مقاطعة النزال بدلا من أبيه ليحارب بجانب الفرعون ، وقد ساق الفرعون جيوشه حتى آخر الدنيا . وقد أمر بإقامة تذكار في « وادى حلفا » ، بالقرب من الشلال الثانى رمزاً لانتصاره ، فوجد هناك الإله « متو » إله الحرب في « طيبة » يقود الأسرى وهم القبائل المغلوبة . ويلاحظ أن معظم أسمائهم لا نعرفها إلا من هذه الوثيقة ؛ (Breasted, A. R, I, par. 540).

وكان من نتائج هذه الحملات على بلاد «النوبة» أن وضعت في يد المصريين مناجم الذهب التي كانوا يستغلونها وتشمل أودية سهل صحراء وادى «علاقى» ، وفى عهد «سنوسرت الثانى» رجع «أمينى» وهو «أممحات الثانى» الى مصر يصحبة حراس أقوياء ، ومعه ما حصل عليه من الذهب المستخرج من هذه الجهة ، وقد أقيمت قلعة لحماية الطريق الى هذه المناجم فى المكان المسمى الآن «كوبان» حيث تفصل الطريق من وادى النيل . أما إخضاع هذا الإقليم فقد تم على يد الفرعون «سنوسرت الثالث» ، وقد قام بعدة حملات فى العام الثامن والثانى عشر والسادس عشر والتاسع عشر من حكمه ، ضد الكوش الخاسئين . ومنذ حملته الأولى الى هذه الجهات قام بحفر قناة صالحة للملاحة فى مخور الشلال الأول لنقل جنوده فيها . على أن هذه الحروب لم تعدم مجالا للقيام بأعمال بطولة عظيمة ، اللهم إلا أن الفرعون وضباطه قد وجدوا فيها مادة للفخار . فقد حرقوا القرى ، ونهبوا الحقول ، وأتلفوا الآبار ، وساقوا السكان الى ذل الاستعباد .

ومع ذلك فإنه كان من الصعوبة بمكان ضمان الأمن واستتباب السكينة فى هذا الشريط الضيق المتزرع بين قبائله الذين كان فى مقدورهم أن ينسابوا فى وديان الصحراء ، وقد مد «سنوسرت الثالث» الحدود المصرية حتى منحدرات مياه «سمنه» و «قمه» فيما وراء الشلال الثانى وحماها بإقامة ثمانى قلاع على مرتفعات^(١) ، وفى الجزيرة التى وسط النهر هناك ؛ وكانت آخر هذه القلاع من جهة الجنوب قلعة «أورنارتى» (Ouronarti) واسمها يعبر عنها ، أى التى تقصى السودانين «إينتيو» (Iountiou) ، هذا الى أن بلاد «النوبة السفلى» كان يحبها أربع قلاع أخرى . وقد أقيم هناك لوحتان فى السنة الثامنة والسنة السادسة عشر فى عهد «سنوسرت الثالث» ذكر فيهما ما يحرم على السود المستقلين أن يتخطوا الحدود الى الشمال

(1) Steindorff, "Ber. Sachs Ges. Phil. cl. (1900), p. 230 ; Meyer, Gesch. 1, p. 287.

فى النهر ، اللهم إلا إذا كان يقصد التجارة مع إقليم الحدود المسمى « إاقن » على شرط أن يستعملوا فى هذه التجارة سفنا مصرية ، والواقع أنه منذ هذه اللحظة بدأت فعلا بلاد « النوبة السفلى » تكون جزءا حقيقيا من الامبراطورية المصرية ، ومن ثم أخذ المصريين يستعمرونها ، وكذلك أصبح « سنوسرت الثالث » يعد فى عين أخلافه الفاتح الحقيقى لبلاد النوبة ، وقد رفعه « تحتمس الثالث » الى مرتبة إله هذه البلاد وشيد له معبدا فى « سمنة » ، وقد استمرت علاقات مصر بأملاكها فى بلاد النوبة فى عهد هذا الفرعون كما كانت فى عهد خلفه « أمنمحات الثالث » على أحسن ما يكون ، وقد عثر فى « الرمسيوم » ضمن البردى الذى عثر عليه « كوبيل » سنة ١٨٩٦ على برديتين إحداهما تحتوى على معلومات جغرافية ولغوية تلى بعض الضوء على القلاع التى أقامها « سنوسرت الثالث » لتحصين بلاده ، أما الثانية فتحتوى على صور رسائل يرجع تاريخها الى عهد الفرعون « أمنمحات الثالث » ، وستكلم عن كل منهما . وهذه الرسائل على جانب عظيم من الأهمية من الوجهة الاقتصادية والعلاقات التى كانت قائمة بين مصر وبلاد النوبة ، وهى صورة عدد من الرسائل أرسلت من قلعة « سمنة » التى كانت تسمى « خع كاورع » « سنوسرت الثالث » ، ومن مكان آخر .

وهذه الرسائل قد كتبت على ظاهر الورقة أما خلفها فكتب عليه متن سحرى .
ولسوء الحظ لم نجد رسالة من هذه الرسائل كاملة ، ويظهر أن صاحبها كان من كبار رجال الدولة .

والرسائل تحدثنا عن ذهاب بعض « النوبيين » الى « سمنة » لتصرف متاجرهم ، وكذلك عن قوم من « المازوى » . وقد ذكر فى هذه از رسائل أكثر من مرة الخطوات التى اتخذت لاقتفاء أثر حركات أهل الجنبوب فى الصحراء ، والشئ الذى يسترعى النظر فى أمر هذه الرسائل وما جاء فيها أن الحكومة كانت تهتم فى هذا العصر باتخاذ التدابير لإرسال تقارير رسمية عن مثل هذه المعاملات

البسيطة في ذاتها لترسلها الى الجهات العليا ، وإلى الحصون الأخرى غير قلعة « سمنه » . وتحفظ منها صورة في سجلاتها .

التحصينات التي أقامها « سنوسرت الثالث » في بلاد النوبة

كان من بين الأوراق التي كشف عنها « كوبيل » في معبد « الرمسوم » والتي يرجع عهدها لعصر الدولة الوسطى بردية مهشمة ، وقد ظهر بعد فحصها أنها تحتوي على قائمة مفردات مرتبة في مجاميع فنية . والظاهر أنها كانت تستعمل في وقتها بمثابة كتاب هجاء ، أو قاموس ، أو دائرة معارف إذا قسناها بنظائرها في عصرنا . ومما يؤسف له جد الأسف أن لم يبق لنا من محتويات هذه البردية أكثر من ٣٢٣ كلمة مختلفة ، يضاف إلى ذلك حاشية غريبة تشمل أسماء نحو عشرين نوعا من الحيوانات المختلفة كتبت أسماءها باختصار . ومن بين هذه الأسماء التي ورد ذكرها في هذه البردية أسماء زيوت وطيور ، ونباتات وحيوانات من ذوات الثدي ، وأسماء فطائر ، وأنواع حبوب ، وبعض أسماء أجزاء من جسم الإنسان ، وفي وسط هذه المجاميع وجد كذلك قائمة بأسماء حصون في بلاد « النوبة » ، غير أن هذه القائمة لم تقتصر على ذكر هذه الحصون النوبية ، بل استمرت تذكر لنا سلسلة من أسماء مدن الوجه القبلي . ونختصر أهمية هذا القسم الجغرافي من هذه البردية في ذكر هذه القلاع والمدن مرتبة حسب الموقع الجغرافي ترتيبا متتابعا من الجنوب إلى الشمال . والمهم في هذا أنه لم تصلنا وثيقة أخرى من عصر مبكر كهذه وموضوعه على هذا النحو من الترتيب . وتدل شواهد الأمور أن هذه الورقة يرجع تاريخها إلى أواخر الدولة الوسطى .

ويبلغ عدد هذه الحصون سبعة عشر حصنا وسند ذكرها هنا حسب ما جاء في البردية من الجنوب إلى الشمال ثم نتكلم عن أهميتها بالنسبة للفرعون « سنوسرت الثالث » الذي يعتبر أكبر ملك فاتح في عهد الدولة الوسطى :

(١) (١)

(٢) قلعة « خع مع نحر » ومعناها « سنوسرت الثالث » مظفر وموقعها قلعة « سمنة الغرب » الحالية .

(٣) قلعة « انتوبدوت » (صدّ الأفواس) وهي قلعة « قة » الحالية وتسمى كذلك « سمنة الشرق » .

(٤) قلعة « خسف أونو » (صدّ الونو) وهي « أورو نارتى » الحالية ويطلق عليها كذلك اسم « جزيرة الملك » . وقد عثر في هذا المكان على اللوحة التذكارية التي أقامها « سنوسرت الثالث » في السنة السادسة عشرة من حكمه ، وقد جاء في بدايتها ما يأتي : « لوحة أقيمت في السنة السادسة عشرة الشهر الثالث من فصل الشتاء في الوقت الذي أقيمت فيه القلعة المسماة « صدّ الونو » » (L. D. 11, 631 h)

(٥) قلعة « وعف خاسوت » (كبح الممالك) ، ومن الجائز توحيدها ببلدة « شالفك » الواقعة على الشاطئ الغربى للنيل على مسافة قريبة من سكة حديد محطة « سرم » . وقد قام الأستاذ « ستيندورف » بحفائر في داخل هذه القلعة ، فوجد فيها مباني عظيمة ذات جدران سميككة ، ومن الجائز أنها كانت مخازن للأسلحة أو الحبوب الخ .

(٦) قلعتا « در - وتيو » (إخضاع سكان الواحة) ، و « إقن » وهاتان القلعتان تقعان بين القلعة الخامسة و « بوهن » = (وادى حلفا) ، ومن الطبيعى والمحتمل أن توحدتا بقلعتى « مرجيس » و « دينارتى » على التوالى ، غير أننا لا يمكننا الآن أن نفرق بينهما على وجه التأكيد ، ولكنا من جهة أخرى نعرف بعض التفاصيل عن « إقن » من لوحة الحدود الصغيرة التى عثر عليها فى سمنة (L. D. 11, 136 i) وهى التى أقامها « سنوسرت الثالث » كما سلف ذكره .

وذكر لنا الكاتبين « ليونز » أن القلعة الأولى اسمها « مرجيس » ولكن المستر « سومرز كلارك » ذكرها فى مقاله باسم « متوكا » . (J.E. A., Vol. 111, p. 165) وقد أقيمت هاتان القلعتان لصدّ أهالى السودان المغيرين .

(٧) قلعة « بوهن » وهى (وادى حلقة) الحالية .

(٨) قلعة « إبقى تاوى » = « ضام الأرضين » .

(٩) قلعة « خسف مزاو » = « صدّ المازوى » . وهاتان القلعتان الأخيرتان لا يبدّ أنهما تقعان قبل « وادى حلقة » و « عنيبة » ، ويظن الأستاذ « جاردنر » أن موقع الأولى هو المكان المعروف الآن « بسرة الغرب » على مسافة ١٥ ميلا من شمال حلقة ، أما الثانية فلا يمكن تحديد موقعها على وجه التحقيق .

(١٠) قلعة « معام » وهى « عنيبة » الحالية ، وتقع على الشاطئ الغربى ، ولا تزال بقاياها إلى الآن .

(١١) قلعة « باقى » وهى « قبان » أو « كوبات » الحالية وتقع على الشاطئ الشرقى للنيل ، وعلى مسافة بضعة أميال شمالى « كوبان » توجد قلعة « كشتامته » = « إككور » أو « كورى » ، ويرجع تاريخ أقدم جزء فيها إلى الدولة القديمة ، غير أن هذين المكانين لم يذكرأ فى البردية ولكن المستر « فرث » (Firth) يظن أنهما يكوّنان مع « كوبان » وحدة .

(١٢) قلعة « سمنت » (Smt) وهى « بجة » الحالية .

(١٣) قلعة « آبو » (الفنتين أو أسوان الحالية) ؛ وقد جاء ذكرها فى مقبرة « رخ مارع » وزير « تحتمس الثالث » .

(١٤ ، ١٥) وجد اسمها هاتين القلعتين مهشما فى البردية .

(١٦) « خنى » (بلدة السلسلة) .

هذه هى أسماء القلاع كما وجدت على هذه البردية ، وإذا ألقينا نظرة عامة على هذه القائمة نجد أن ثمانية من هذه الحصون السبعة عشر قد أقيمت فى إقليم الشلال الثانى ، أى من « سمنة » إلى « وادى حلقة » ، وكذلك نلاحظ أن ثلاثة منها على أقل تقدير كان لها علاقة بالفرعون « سنوسرت الثالث » ، بل ومن المحتمل أن

سبعة الحصون التي في جنوب «وادي حلفا» تنتسب إلى هذا الفاتح العظيم أيضا . وإذا كان هذا الفرض صحيحا فإنه يفسر لنا سبب عبادة هذا الفرعون في كل أنحاء بلاد النوبة السفلية . على أننا من جهة أخرى نعلم أن هناك قلاعا ضخمة كانت قد أقيمت في جنوبي هذه القلاع في تاريخ مبكر عن الذي نحن بصددده ، وقد أماط لنا اللثام عن هذه الحقيقة الدكتور « ريزر » بالحفائر التي قام بها في بلدة « كرمة » . غير أن ذلك لا يقلل من أهمية الخطوة التي خطاها « سنوسرت الثالث » ، والتي كان غرضه المعين منها أن يضم مصر و بلاد النوبة السفلية تحت لواء واحد ، وذلك بإقامة حاجز منيع عند « بطن الحجر » (الشلال الأول) ، ولكن لسوء الحظ سجد فيما بعد أن سياسته كان مصيرها الخيبة لما حل بالبلاد من تقلبات أسرية هدمت كل ما قام به من فتوح في هذه الجهات (J. E. A. Vol. III, p. 184) . وهذه الوثائق المدهشة تضع أمامنا بوضوح جلي أن بعض القلاع النوبية كان لها وظيفتان ؛ إذ كانت من جهة قد أقيمت لتكون بمثابة سد منيع أمام أى اعتداء حربى متظر ، وكذلك كانت حاجزا ضد الضغط المستمر الذى كان يهتد مصر وأملاكها من جهة الشمال ، وهو ما كان يقوم به أهل السودان من الفارات ، ومن جهة أخرى كانت تستعمل بمثابة محاط تجارية . وقد كانت « سمنة » في عهد الدولة الوسطى آخر الحدود كما نعلم ذلك من لوحى بطل مصر « سنوسرت الثالث » كما سلف ذكره .

وتحدثنا هذه الرسائل عن أهل الجنوب الذين نزحوا إلى الحدود المصرية لبيعوا سلعهم ، إذ كانوا يصرفون متاجرهم ثم يقفلون راجعين إلى أوطانهم ، وكذلك نجد أن بعض أهل « المازوى » ، وهم الذين كانوا يعلنون أنهم أتوا لخدمة الحكومة المصرية ، قد سرحوا إلى الصحراء ، ومن ثم يظهر أن هؤلاء القوم لم يكن مصرحا لهم أن يتخطوا الحدود . وهذا يتفق مع الأمر الملكى الذى نقش على لوحة « سمنة » الصغرى ، حيث يذكر فيها أن النوبى الذى أتى لينجر مع « إفن » الواقعة شمالي

الحدود، أو الذى جاء لأمر رسمى يمكنه أن يترشألى «ح» وهى التى تعرف الآن عادة بأنها واقعة فى إقليم سمنة، وكذلك لا يسمح لقوارب النوبيين أو قطعانهم بأية حالة من الأحوال أن تتخطى الحدود . فالنوبيون الذين كان يسمح بمرور بضائعهم كانوا تجارا قاصدين «إقن» ، حيث كانت تصرف بعض أنواع من منتجات بلادهم ، وكانوا يقطعون باقى رحلتهم بالقوارب فقط ، وكانت هذه القوارب دائما مصرية .
ومما يلفت النظر كذلك فى هذه الرسائل ، فضلا عن الصيغ العادية التى نجدها فى أسلوب الكثير منها فى عهد الدولة الوسطى ، أنها كانت تحتوى على شئ جديد ، وهو التأكيد غير العادى بسلامة الضياع الملكية ، والظاهر أن أملاك الفرعون هنا كانت تحتوى على أراضى التاج ، ثم تشمل دخل التاج الذى كان يجبى من الضرائب ، ومن مصادر أخرى ، كالاختكار وغير ذلك ، ومن هذا يتضح أن التجارة حسب ما جاء فى هذه الرسائل كانت عند الحدود يقوم بها موظفون حكوميون لحساب الضياع الملكية « برنسو » ، وكذلك كان هؤلاء الموظفون هم المسئولون عن البضائع التى كانت ترسل من مصر للبادلة ، وكذلك كان موكولا لهم أمر إرسال البضائع التى حصلوا عليها من النوبيين بوصفها ملكا للتاج . (J. E. A., Vol. XXXI, p. 5)

نشاط مصر خارج حدودها من جهة أسيا

وقد استمر ملوك الأسرة الثانية عشرة يستغلون محاجر « وادى الحمامات » ، وكانت الحملات قد بدأت ترسل إلى « بنت » منذ عهد الأسرة الحادية عشرة كما سبق ذكر ذلك ، وقد كانت تبتدى رحلتها من ميناء « ساو » (وادى جاسوس) .
أما المحاصيل التى كانت تأتى من « بنت » فقد ذكرت بالاسم مرات عدة فى النقوش . وليس من المحتمل أنه كانت توجد علاقات تجارية حرة بين تجار مصر ، وتجار بلاد العطور ، وذلك لأن السفن كانت ملك الفرعون ، أما رؤساء الحملات البحرية فكانوا يلقبون بحاملى أختام الفرعون (وكلاء) يرافقهم جنود الفرعون ،

وقد وصلت إلينا قصة خرافية من هذا العصر ، وهى تصور لنا إلى أى حد كانت هذه الحملات تؤثر فى مخيلة الشعب .

على أن الممالك الأخرى المجاورة لمصر عند ما رأوا غزو مصر لبلاد النوبة تراجعوا عن تنفيذ مشروعاتهم ضد مصر تماما ، وذلك لأنه منذ عهد الانحطاط الذى جاء بين عهدى الدولتين القديمة والوسطى أخذ الأقوام الذين على حدود مصر يستغلون ضعف البلاد ويغيرون عليها ، ولكن عند ما رأوا أن مصر قد أصبحت ثانية فى يد فراعنة أقوىاء كان همهم تنظيم ملكهم وعلاقتهم بالأصقاع المناخمة ، فأخذوا ينكشون فى بلادهم ، وقد قامت على وجه التحقيق حروب بين مصر و « لوبيا » رغم أن المعلوت تعوزنا فى هذا الصدد ، ولكن من المؤكد أن (A. Z. Vol. 35, pp. 112 ff.; Lange und Schafer, "Grab und Denks-tein," No. 20539 b, 16. ff.) قد أدبهم . هذا ونعلم أن « الواحة الخارجة » كانت تابعة لأمير « طيبة » ، وذلك لأن طريق القوافل كان يتبدى من « العرابة المدفونة » إليها . أما فى شبه جزيرة « سيناء » فقد أخذ المصريون يستغلون المناجم ، وفى عهد « أمنمحات الثانى » فتح منجم جديد وأعيد استعمال آخر فى « سرابة الخادم » شمالى « وادى مغارة » (Weill, Rec. pp. 159 ff.; Petrie, « Sinai ») أما عن المناوشات التى قامت بين المصريين والبدو فقد انتهت ، وكذلك عادت العلاقات بين مصر وجارتها فى الشمال الشرقى فى « سوريا » و « فلسطين » على أحسن ما يكون من ود وصفاء بسرعة مدهشة ، وقد كان هؤلاء الأعداء من طراز خاص إذ كان فى مقدورهم أن يهددوا الأمن على الحدود ، ولكنهم فى الوقت نفسه لم يكونوا قادرين على المقاومة ، وقد وصفوا وصفا دقيقا لا مثيل له فى الدقة فى تحذيرات « مرى كارع » فاستمع لما يقول : « والعامو (الأسويون) التعاء بلادهم التى يعيشون فيها لا تسكن ، إذ لا ماء فيها ولا شجر يكثر ، وطرقها وعرة ، لما يتخللها من الجبال ، فهم لا يسكنون فى مكان معين ، بل دائما ينحى الواحد منهم لساقية العنان ، وهم دائما فى حرب منذ زمن « حور » ، فهم لا يهزمون

ولأَيُهمون ، وهم لا يعلنون يوم هجومهم ، فتلهم في هذا كثل من يقوم بمؤامرة .
ولذلك كان أكبر ضمان ضدّ جار كهذا ، أن يقيم الإنسان المعامل والحاميات على الحدود ، وقد فطن لذلك المصريون منذ عهد ما قبل التاريخ ، فأقاموا الجدران والحصون ، ولذلك لما جاءت الأسرة الثانية عشرة وجدنا مراقبة شديدة عند الحدود الشرقية المصرية حيث يحمي الطريق المسمى « طريق حور » بقلعة « سارو » ، حيث الطريق الذى يؤدّى إلى الصحراء بوساطة « وادى طليات » قد سدّ « بجدار الأمير » ، ولكن سلطان الفرعون كان يمتدّ الى أبعد من ذلك بكثير في داخل بلاد « سوريا » ، وقد كانت توجد بعوث تروح وتجيء بين البلاط المصرى وهذه البلاد ، وقد كانت المحاصيل الأسبوية تردّ إلى مصر ، وكان « أمنمحات الأول » يملك على النيل مثل سلفه « سنفرى » أسطولاً من السفن المصنوعة من خشب الأرز المصدر بلاشك من « جيل » (ببلوص) ، وقد كان البدو « سوتيو » ، وهم الرماة على ما يظهر يأتون غالبا إلى مصر يحملون متاجرهم ، وحتى عند ما يكونون في ضيق في وطنهم ، فإنهم يسمعون في الإقامة في مراعى وادى النيل ، وبهذه الطريقة كان قد وفد في السنة السادسة من حكم « سنوسرت الثانى » رئيس الأجانب « إيشا » ومعه عشيرته التى كانت تتألف من ٣٧ عامو (كنعانيين) الصحراء « شسو » من رجال ونساء وأطفال ، (L. D. II, Pl. 133; Newberry, "B. H." 1, 28, 30, 31, 38) وظهرت فيهم الملاح السامية بوضوح ، وقد مثل أمام « خنوم حتب الثانى » صاحب « منعات خوفو » سيد إقليم الصحراء حاملا له هدية من الكمل ، ومما لا شك فيه أنه كان يرجو من وراء ذلك أن يحصل على تصريح بالإقامة في إقليمه . على أننا نعرف كيف كانت تسير الأمور من قصة « سنوهيت » التى سبق الكلام عنها .

وبلاد « رتنو العليا » التى وصفها لنا « سنوهيت » في صورة حبة هى إقليم « فلسطين » الجبلى الذى كان على اتصال بمصر كثيرا . ولدينا لوحة مهشمة جدا

عثر عليها في مناجم « سينا » ويرجع تاريخها إلى السنوات الأخيرة من عهد الأسرة الثانية عشرة وهي تعدد لنا أسماء الذين أرسلوا في بعوث إلى ملك بلاد « رتنو » .

(Weill, "Rec. Insch, Sinai", p. 186)

وقد كانت « آسيا » كذلك ميدانا للحروب ، غير أنه مما لاشك فيه أن سيطرة كل من « أمنمحات الأول » و « سنوسرت الأول » لم تمتد قط كما نعلم من قصة « منوهيت » أكثر من إخضاع شبه جزيرة « سينا » ، وكذلك عندما يتحدثنا « متوحتب » وزير « سنوسرت الأول » أنه أخضع الأسويين ، وجعل سكان الرمال يلزمون السكينة والسود يمنحون إلى السلم ، فإن ذلك لا يكفي لأن يجعلنا نفكر في أنه كانت تقوم هناك حرب حقيقية :

(Lange & Schafer Gräb No. 20539)

وكذلك تحدثنا الآثار كثيرا عن إماء أتين من آسيا ، ولكن هؤلاء أيضا يمكن أن يكن قد اشترين أو اغتصبين من العدو في المهجات التي كانت تقوم بين الفريقين . (Muller, "Asien und Europa," p. 391 ; Griffith, "Kahun Papyri, 35.)

ومن جهة أخرى نعلم يقينا من نقش للضباط « سبك خو » ، في عهد « سنوسرت الثالث » أنه قام بحملة إلى فلسطين :

(Garstang, "El-Arabah," p. 4 ; Breasted, A. R. I, Par. 676)

وقد سار بجيشه نحو الشمال ليخضع الأسويين « موتو سات » وعسكر في إقليم يسمى « سكهم » ، أو « زكم » ؟ وهذا الاسم لا بد أنه اسم جمع كنعاني ومعناه سكان « زخم » وتقع وسط « فلسطين » .

وعندئذ هزم « زكم » كما هزمت في الوقت نفسه الخماسي « رتنو » . على أن « سبك خو » لم نجبرنا بشيء أكثر من هذا اللهم إلا شيئا عن شجاعته وذلك أنه في طريق رجعته هاجمه « العامو » على غرة . أما عن حوادث الحرب نفسها فلا نعلم عنها شيئا قط . على أنه قد يكون من الصعب جدًا أن يعتقد الإنسان أن هذه الحملة كانت الوحيدة التي قام بها المصريون ضد إقليم سوريا ، وهم في هذه النقطة لم يفعلوا

شيئا أكثر من أنهم اقتفوا أثر الدولة القديمة ، ولذلك فإن ظهورهم بمظهر أسياد على كل الأجانب لم يكن ليرتكز على غير أساس . إذ نرى « سنوسرت الثالث » ممثلا على صدرية من الذهب مرصعة بالأحجار الثمينة ، وجدت في مقبرة ابنته بدهشور ، فيظهر عليها حسب الطراز القديم في صورة أسد برأس صغير تحميه إلهة العقاب ، وهو يطرح أرضا أسيوين وزنوجا ، وكذلك نشاهد على حلى من نفس النوع ، الفرعون « أمنمحات الثالث » قابضا على ناصية بدوى من الأسيوين ورافعا سيفه المقوس ليقطع رأسه . (أنظر شكل ٣٢)

(De Morgan, "Dahchour," Vol. I, Pls. 15, 19, 20, pp. 63 ff.)

ولما كان كل ما ذكرنا يوحى بوجود سيادة مصرية في بلاد آسيا كالتى كانت لها في بلاد النوبة أثرنا أن نقرء بابا خاصا عن المعلومات التى وصلت إلينا حتى الآن في هذا الصدد فنقول :

الامبراطورية المصرية فى آسيا فى عهد الدولة الوسطى

لا يزال حتى الآن موقف مصر بالنسبة إلى البلاد المتاخمة لها من جهة الشمال يحوطه بعض الغموض والإبهام ، ولكن الكشف الحديث فى مصر وفى تلك الأصقاع الشمالية المجاورة تزيح الستار عن ذلك شيئا فشيئا ، ومن ثم يمدنا ما توافر لدينا من المصادر ببعض الشيء لبحث هذا الموضوع على ضوءها واستخلاص نتيجة منها بقدر ما تسمح المعلومات التى فى متناولنا .

والواقع أن العلاقات بين الأمم تتركز فى القوى الكامنة فى كل منها ، وما تقوم به الواحدة من معاملات مع جارتها ، وردة الفعل الذى ينتج عن تلك المعاملات ، فقد يكون السيطرة وقد يكون المساواة ، وهذا يتوقف على قوة البلاد الحيوية . ففى عصر ما قبل الأسرات المتأخر تدل البحوث على أن آسيا كان لها تأثير عظيم على سكان وادى النيل ، ولكن سرعان ما نرى أن مصر قد استثمرت بدورها شبه جزيرة « سينا » ومن المحتمل « فلسطين » من الوجهة الاقتصادية ، وذلك فى عهد

الدولة القديمة ، ولكن نجد ثانية في العهد الإقطاعي الأول أن الأسيويين قد غزوا الوجه البحرى ، وبعد ذلك عادت مصر وزحفت ثانية الى الأقاليم الأسيوية في عهد الدولة الوسطى ونشرت بعض سلطاتها . أما العصر الذى تلا سقوط الدولة الوسطى فيشهد أن الهكسوس قد اجتاحوا البلاد المصرية واستوطنوها لمدة طويلة . ثم لم نلبث أن رأينا نجم الغزاة قد أفل . وقامت الدولة الحديثة ، وأسست امبراطورية شاسعة فى آسيا ، ثم مال الميزان كره أخرى وأخذت كفة مصر تهوى ، عند ما أراد أعداؤها فى القرن الثالث عشر والثانى عشر قبل الميلاد أن يغزوها .

ومما سبق نعلم أن الأدوار التاريخية التى مرت على البلاد كانت واضحة لا يمتورها أى غموض غير أننا فى عهد الدولة القديمة والعهد الإقطاعي وعهد الدولة الوسطى لا نعلم إلا القليل عن مقدار نفوذ مصر ، وامتداد حدودها فى البلاد المتاخمة لها وبخاصة من جهة الشمال .

والسؤال الذى نريد أن نضعه الآن هو : ما نوع السيطرة الامبراطورية المصرية فى عهد الدولة الوسطى ؟

وفى الحق أن الدولة الوسطى لم يجلس ملوكها على عرش الملك آمين ، إذ نعلم أن ملوك الأسرة الحادية عشرة ، وملوك الأسرة الثانية عشرة ، قد بذلوا زمنا طويلا وجهدا عظيما فى توطيد سلطانهم داخل البلاد ، وبعد أن تم لهم ذلك أصبحوا فى مأمن للسير الى أقطار خارج حدودهم . فنعلم أن « سنوسرت الثالث » قد مد سلطان بلاده حتى الشلال الثانى — ووصلت المحاط التجارية فى عهده حتى « كرمه » بجوار الشلال الثالث — فهل كان سلطان مصر مشابها لذلك فى « سوريا » و « فلسطين » ؟

ولأجل أن نجيب على السؤال الأخير إجابة شافية يجب أن نفحص كل ما وصل إلينا من الآثار المصرية التى عثر عليها فى الأقطار الأسيوية ، وكذلك الآثار التى

عثر عليها في مصر نفسها خاصة بهذه الأفطار ، أو تشير إليها من بعيد أو قريب ، ثم نستخلص منها نتيجة علمية .

(١) كان أهم أثر يلفت النظر عثر عليه أخيرا هو الجزء الأسفل من تمثال جالس لشخص يدعى « تحوتى حتب » وقد عثرت عليه بعثة « المعهد الشرق الأمريكى » في بلدة « مجدو » بفلسطين وهى (تل المتسلم الحالية) وكذلك عثر مع هذه القطعة على ثلاث قطع أخرى عارية من النقوش ، وقد حدّد رئيس الحفائر عمر هذه القطعة حسب الطبقة التى وجدت فيها من المعبد ، وأكد أنها ترجع إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد . أما مادة هذا التمثال فهى الجرانيت الأسود الصلب ، أو حجر البازلت . ويستدل من القطعة الباقية من التمثال على أنه كان جالسا على كرسى وراحته اليسرى على ركبته ، ويده اليمنى قابضة على منديل وموضوعة على فخذه ، ويرتدى قميصا مجدولا ذا طيات فى جزئه الأمامى ، وتدل عضلات الساق الأيسر التى لا تزال محفوظة على أن صانع التمثال كان ماهرا .

وقد نقش على الجانب الأيسر من قاعدة التمثال هذه أربعة سطور بالهيروغليفية ، وأربعة أخرى على الجانب الأيسر ، ويحتمل أن العمود الذى يحى ظهر التمثال كان يمتد حتى الرأس ، وقد نقش عليه سطر واحد . وصاحب التمثال هو فرد يدعى « تحوتى حتب » . أما النقوش التى على القاعدة فهى كما يأتى :

(١) على الجانب الأيسر : قربان يقدمه الملك إلى « خنوم » رب الأرض الأجنبية وللإله ليقدّم قربانا من خبز وجمعة [وما شيه] وطيور الخ ... إلى روح المحترم الشريف (حاكم) ومراقب التاجين أو (العرشين) ، والمشرف على الكهنة ، ورئيس الخمسة ، والصدّيق الملكى ، والمطلع على أسرار [بيت الملك ؟] والحاكم العظيم [لمقاطعة الأرنب] ... والمحبوب الملكى ... على رأس ال ... « تحوتى حتب » الذى وضعته « ست خبركا » .

(٢) على الجانب الأيمن : نقش ما يأتى :

قربان يقدمه الملك إلى « تحوتى حنب » رب الكلمات المقدسة ... المحترم فى حضرة الإله العظيم ، الحاكم (الشريف) ومراقب التاجين (أو العرشين) والمشرف على الكهنة والقاضى وحاكم « بوتو » وفم نخن (هيرا كنبوليس) وهى (الكاب الحالية) وكاهن ... عشرون ... فى القصر وكاهن « تحوت الأعظم » والكاهن سم (وهو لقب كهنوتى عظيم جدا) الذى قرأ له المتن ... ابن كاي « تحوتى حنب » أى « تحوتى حنب » بن « كاي » .

(٣) على العمود خلف القاعدة : ... فى بيت « تحوت » عظيم الكشف وحاكم [الجليلين] . ويحتمل أن اللقبين الأخيرين هما لقبان دينيان لبعض كهنة فى معبد « خنوم » إله الشلال . وهذه النقوش التى أوردناها هنا رغم ما أصابها من التهشيم فإنها تدل بالموازنة على أنها للوظف المصرى والبكاهن « تحوتى حنب » ابن « كاي » واسم أمه « ست خبركا » . ويستخلص من الأسماء والألقاب التى وردت فى النقش أن « تحوتى حنب » هذا هو بلا نزاع نفس « تحوتى حنب » حاكم مقاطعة الأرنب . وهى المقاطعة الخامسة عشرة من مقاطعات الوجه القبلى . وعاصمتها « هرمو بوليس » (الأشمونين) الواقعة على الجهة المقابلة للنيل قبالة « البرشه » الحالية (Sethe, "Historische Biographische Urkunden des Mittleren Reiches," Vol. I, par. 688 ff.)

ونجد فى نقوش قبر هذا الأمير أنه كان يدعى « الطفل الملكى » فى عهد « أمنمحات الثانى » ، وفى عهد « سنوسرت الثالث » كان لا يزال موظفا نشيطا يقوم بمهام مقاطعته ، وقد قلده والده « كاي » حُكم مقاطعة الأرنب . وأمّه تسمى « ست خبركا » . ولا نزاع فى أن هذه القطعة الصغيرة من تمثال هذا الأمير كانت من تمثال خاص ببلدة « مجدو » فى وقت ما خلال حياة « تحوتى حنب » كاهن الإله « تحوت » الأعظم فى « الأشمونين » ، وحاكم مقاطعة الغزال فى مصر الوسطى .

والآن يتساءل المرء ما الذى دعا إلى وجود مثل هذا التمثال فى بلدة « مجدو » ؟ وأقرب الظن أن صاحبه كان مقيما فى هذه البلدة يؤدى عملا ما . ولكن ما هذا العمل هل كان عضوا فى مستعمرة تجارية هناك ؟ والجواب على ذلك لا بد أن يكون بالنفى ، لأن ألقابه وما يوحى به مجال حياته فى عهد ثلاثة ملوك بالتابع من ملوك الأسرة الثانية عشرة لا يدل على أنه كان تاجرا ، ولا أنه كان قد نفى من الأرض مثل « سنوهيت » ، ولكن من المحتمل أنه كان يقوم بأعمال سفير مصرى فى هذه الجهة ، رغم أننا لا نعرف شيئا كثيرا عن المبعوثين المصريين فى ذاك الوقت لتأكد من أن رجلا فى منزلة « تحوتى حتب » ومسئوليته يمكن أن يرسل سفيرا إلى بلدة مثل « مجدو » . وعلى ذلك لا بد أن نلخص فيما يلى ما جاء على بعض الآثار التى وصلتنا من عهد الدولة الوسطى من أرض آسيا وأهلها علاقة بها ، لنصل إلى نتيجة تزيج الستار عن وجود هذا التمثال فى مثل هذا المكان ، إذ الواقع أنه قد عثر على بعض القطع الأثرية فى « آسيا » ، وتحمل أسماء مصرية ، غير أن هذه يمكن أن تنسب إلى أعمال تجارية قام بها صاحبها ، ولكن تمثال « تحوتى حتب » الذى نحن بصدده وتمثالا آخر لشخص يدعى « سنوسرت عنخ » كشف عنه فى « رأس شمرا » ، كان كل من صاحبيهما له مركز مسئول فى خارج البلاد المصرية . وإذا كانت هذه النظرية صحيحة فلا بد من تغيير الفكرة السائدة عن علاقات مصر بآسيا — وهى التى كانت تعد علاقات تجارية وثقافية وحسب ، ولم تكن علاقات حربية ، أو إدارية . وتدل شواهد الأحوال على أن ملوك الدولة الوسطى قد مدّوا نفوذهم فى « آسيا » كما كانت الحال فى بلاد النوبة ، وبخاصة من الوجهة الإدارية مما جعلها تقبض بالقوة على شرايين التجارة الرئيسية مع بلادها عبر الحدود المصرية فى الشمال والجنوب . وسنورد هنا قائمة بالآثار الهامة التى وجدت خاصة بمسألة العلاقات بين مصر وسوريا وفلسطين ، وهى فى مجموعها على ما يظهر توحى بوجود أمباطورية من نوع خاص فى هذه الأقاليم الآسيوية المتاخمة .

والواقع أن تاريخ حياة « تحوتى حتب » كما نقرؤه في مقبرته ، أو على قاعدة التمثال التى عثر عليها فى « مجدو » لم يقدم لنا مادة هامة تساعد بصفة فاطمة على تأييد هذه الفكرة . هذا إلى أن قبره لم يمدنا بأى دليل على أنه كان يسكن خارج مصر ، ولكن لدينا لقب واحد من بين ألقابه يوحى بشئ من هذا وهو لقب « باب كل بلد أجنبي » . (Newberry, "Bersheh", I, p. 16) والواقع أن هذا اللقب لم يعثر عليه بين الألقاب المصرية فى عهد الدولة الوسطى ، ولذلك نتساءل هل هذا اللقب يعنى أنه كان مشرفا على الحدود أو العوائد أو المسئولية القنصلية ؟ يضاف إلى ذلك أنه قد لفت نظر الأستاذ « بلاكان » فى اللوحة رقم ١٨ من كتاب « البرشة » للأستاذ « نيوبرى » (J. E. A., Vol. II, pp. 13 ff.) نص فى هذا المنظر يفسر منظر حيوانات ، فقد خوطبت هذه الحيوانات أو ماشية « رتنو » (سوريا وفلسطين) بالكلمات التالية : " لقد كنت ذات مرة تسيرين على الرمال (ولكنك الآن) تسيرين على الكلا " ؛ ومعنى هذه العبارة أن هذه الماشية قد نقلت من آسيا إلى مصر ، ويعقب الأستاذ « بلاكان » على هذه العبارة بأنها إشارة غير مباشرة إلى حملة حربية إلى بلاد « سوريا » و « فلسطين » ؛ وعلى ذلك فإن هذا النص يجعل الانسان ينظر إلى تمثال « تحوتى حتب » بنظره تقربه مما تشير إليه الجملة الخاصة بهذه الحيوانات الأسبوية ، وقد يعضد هذه الفكرة أو هذا رأى أيضا ما جاء فى منظر من مناظر أحد مقابر « مير » التى تنسب إلى الدولة الوسطى ، وهو يمثل مواشى نقش فوقها العنوان التالى . « ماشية الأسبويين » « عامو » قد أحضرت من (أو أحضرت بمثابة) « » . ولكن من الجائز أن هذه الحيوانات (Meir, II, p. 18 n) فى كل حالة من الحالات السالفة قد تكون أحضرت إلى مصر عن طريق التجارة لا عن طريق الفتح . وتوجد لوحة محفوظة الآن فى متحف « منشستر » ذكر فيها فتح « سنوسرت الثالث » لقطر أسبوى يدعى « سكم » ، وقد تكلمنا عنها فيما سبق ، غير أن هذا الفتح أو الغارة يمكن أن تكون

عزوة تأديبية ضد العصاة الذين كانوا على الحدود المصرية يهددونهم . والواقع اننا لم نجد إشارة مباشرة أو نصا صريحا عن حملة حربية مصرية في عهد الدولة الوسطى إلى بلاد «آسيا» إلى الآن ، ولكن لا بد أن نلاحظ هنا قطع الأحجار التي عثر عليها في «الكرك» وتعزى إلى الدولة الوسطى . فقد وجد منقوشا عليها أسماء حاملي الجزية من «فلسطين» (K. M. Engberg, "The Hyksos Reconsidered", p. 33 No. 38)

هذا ولا يدل وجود «العامو» (الأسويون) في مصر، تجارا أو عبيدا، على أن بلادهم كانت تحت النير المصرى بل قد تكون بين البلدين علاقات سلمية كالتجارة ، وأكبر دليل لدينا على ذلك المنظر المشهور في «بنى حسن» ، الذى يمثل دخول ٣٧ أسويا إلى مصر جالين معهم الكمل ("Beni Hassan", Vol. I. Pls. XXX-XXXI)

ولدينا إشارات عابرة عن إحضار أسويين إلى مصر بمثابة عبيد اشترى بالمال كما جاء في ورقة «كاهون» ، (Kahun Papyri, 12, 10-11; 13, 15-17; 30, 35.) وكذلك لدينا في نفس هذه الورقة إشارات لراقصات أسويات كن يرقصن في الأعياد المصرية (Ibid, 24, 4—6, 13—14) .

ولا يدل ما احتوى عليه كثر «طود» من التحف الأسوية المحضنة في عهد «أمنمحات الثانى» على أن هذه البلاد كانت تحت حكم مصر، بل كانت تعتبر إما مواد تجارية محضنة أو هدايا ملكية دون أن تعتبر جزية فرضت على هذه الأصقاع ("Fouilles de l'Institut Française," Vol. XVII, Pls. XV—XVII, pp. 113 ff.)

على أنه لدينا أدلة متنوعة كثيرة على نوع العلاقات بين مصر وسوريا . وهذه تقع في حيز عهد طويل ، من ذلك غارة الأسويين على الدلتا المصرية في العهد الإقطاعى الأول ، وكذلك موضوع بناء «سور الأمير» على الحدود الشرقية ، وهو ما سبق الإشارة إليه . ويحتمل أن تكون سلسلة قلاع أقامها «أمنمحات الأول»

ليصت بها السنيو (الأسويين) ويحطم سكان الرمال ؛ وكذلك لدينا متون اللعنة فإنها مهما كان تاريخها الحقيقي يدل على تهديد التاج المصرى ونشاط علاقات المدن الأسوية ؛ هذا بالإضافة الى معلومات مفصلة بعض الشيء عن موظفى هذه البلاد الأسوية . (Sethe, "Die Achtung Feindlicher Fursten Volker und Dinge. etc)

وقد عثر على وثائق أخرى من نوع متون اللعنة هذه . وقد فحصت كتابة هذه الوثائق على ضوء جديد ، ووجد أنها لا تتعدى عهد « منوسرت الثالث » (Albright, Bulletin of the American School of Oriental Research, No. 18. (1941) pp. 16 ff.)

ولا يدل استثمار المناجم فى عهد الدولة الوسطى فى « سينا » وبخاصة فى عهد الأسرة الثانية عشرة على أن العلاقات بينها وبين مصر كانت علاقات تدل على السيطرة المصرية المطلقة . فثلا فى عهد « أمنمحات الثالث » أعظم ملوك هذه الأسرة أرسلت حملة مؤلفة من ٧٣٤ جنديا إلى مناجم « سينا » (Breasted, A. R. I, par. 713) . وهذه القوة لم تكن قد أرسلت لتحمى المناجم من البدو ، بل كان الجند يعملون هناك لاستخراج المعادن ، وذلك ينطبق على ما فعله « متوحتب الرابع » فى عهد الأسرة الحادية عشرة من قبل ، وما فعله « رععمسيس الرابع » فيما بعد عندما أرسل ٥٠٠ جندي إلى « وادى الحمامات » لقطع الأحجار ، (Breasted, A. R., IV, par. 466)

وبعبارة أخرى فإن هذه القوة لا يمكن أن تحمى الحدود المصرية فى « اسيا » فى عهد « أمنمحات الثالث » . وعلى أية حال فإنه لا يمكن للباحث أن يفهم هذا العصر

(١) ومن الجائز أن الحملة التى قام بها « أمنمحات » وزير « متوحتب الرابع » وكانت مؤلفة من عشرة آلاف جندي لمحاربة أهل « سينا » وحماية الذين كانوا يقطعون الأحجار للبابى القرعونى ، وليس هذا بنفرب ، فان سلطان الدولة الوسطى لم يكن ثابت الأركان فى هذا العهد ، وبخاصة فى عهد « متوحتب الرابع » الذى تولى الملك اغتصابا وكان عصره عهد اضطرابات .

بوجه عام دون أن يدرس الخطوات التي أدت إلى إقامة «الهكسوس» في مصر .
وتدل البحوث الحديثة على أنهم كانوا قد بدءوا يترحون إلى البلاد المصرية قبل
عهد الأسرة الثانية عشرة ، ثم بلغوا منتهى مجدهم بعد أن مزقوا شمل قوة الدولة الوسطى
(Engberg and Albright's Studies, "Journal of the Palestine Oriental
Society," Vol. VIII, p. 223 ; Vol. XV, p. 94)

نتنقل بعد ذلك إلى الكلام عن الجعارين والأختام التي وجدت في «فلسطين»
و«سوريا» وبخاصة مجموعة «رو» (Rowe, "Catalogue of Egyptian
Scarabs in the Palestine Archaeological Museum.")

ويمكن تقسيم هذه الوثائق قسمين ، واحد منهما خاص بالجعارين التي تشمل
الألقاب والأسماء المصرية الخاصة بالمصريين النزل في «آسيا» ، والآخر خاص
بالجعارين التي تحتوى على ألقاب وأسماء أمراء أسويين . فمثلا نجد على جعران :
كاتب الوزير «سنف» وقد عثر عليه في «جريكو» (Rowe, S. 5) ، وآخر نقش عليه
«حارس ١١٠ أسوي» المسمى «سرخبش» ، ولا يعرف مصدره في «فلسطين»
(Rowe, No. 15 (?) أما في «سوريا» فنجد أنه قد نقش على جعران : «ربة البيت
«ست وسر»» ("Syria," VIII, pp. 85. ff.) ثم الأمير الوريثي الحاكم «إمبي»
(ibid) . وكل هؤلاء الأشخاص كان لهم وظائف مؤقتة في «آسيا»^(١) . على أنه من
جهة أخرى لدينا جعارين خاصة بأشراف «بلوص» (جيبيل) ، وهؤلاء
الأشراف يحملون أسماء أسوية مثل «عتنتن» «وعيشمو» «وأبشمويب»
("Syria," X, pp. 12 ff. ; "Kemi," Vol. I, pp. 90. ff.; J.E.A., Vol. XIV,
p. 109, Vol. XIX, p. 54)

وهؤلاء الأسويون قد حكموا «جيبيل» بوصفهم أمراء مواطنين ، غير أن بعضهم
كان يحمل اللقب المصري «حاتي عا» الذي يترجم على حسب التقليد بكلمة «شريف»
أو «حاكم مقاطعة» . وهذا له أهميته ، إذ في مصر كان هذا اللقب يمنحه الفرعون

(1) J. E. A., Vol. XIV, p. 109.

لمن يريد من الأفراد المقرّين له . ولذلك نشاهد أن « زفاى حمى » ، بوصفه شريفاً (حاكم مقاطعة) لم يكن في مقدوره أن ينقل ملكية ضيعته بوصفه حاملاً لهذا اللقب . (Breasted, A. R., Vol. I, par. 358) ، وحتى إذا كان هذا النظام لا يطبق على خارج مصر، فإن حمل أمراء « ببلوص » لهذا اللقب يضع أمانتنا الدليل على أن الأحكام الآسيويين في « ببلوص » كانوا معضدين في حكمهم بملك مصر ، وفي هذا ما يدل على مقدار الرقابة والسيطرة المصرية .

وفضلاً عن ذلك يوجد في نهاية قائمة الجعارين التي دونها الأستاذ « رو » ملخص نسبي للآثار المصرية التي عثر عليها في فلسطين لمختلف الدول التي قامت في مصر ، ففي الدولة الوسطى نجد النسبة ٣ إلى ٧ في عهد الهكسوس ، إلى ١٠ في الدولة الحديثة ، ٣ في العصر الذي تلا الدولة الحديثة . وهذه النسبة لا تشير حقاً بوجود دولة مصرية في آسيا في عهد الدولة الوسطى . ولكن على الرغم من ذلك فإنها نسبة تشير بداية تلفت النظر إلى مدّ النفوذ المصري في « آسيا » .

والآن ننقل إلى فحص القطع الأثرية المصرية التي تحتوى على تراجم نقشت على الحجر وعثر عليها في التربة الآسيوية ، فمن ذلك قهوش الساقى « حقا ب » والمواطن « ددى آمون » وكلاهما وجد في « جيزر » (راجع :

R. A. S. Mac Alister, "The Excavation of Gezer", Vol. II, pp. 311 ff.

وكذلك كشف عن تماثيل « لأممحات الرابع » في صورة « بواهل » في « بيروت » (راجع (Breasted, "Museum Quarterly", Vol. II, pp. 78 ff. Syria, Vol. IX, p. 300.) هذا إلى تماثيل للأميرة « أنا » (Ita) بنت « أممحات الثاني » في جهة

المشرفة (قطنا) ، (راجع "Syria", Vol. IX, p. 300.) ، ووجد كذلك في « رأس

شم » تماثيل للفرعون « أممحات الثالث » في صورة « بول الهول » ، (راجع

(Syria, Vol. XVI, Pl. XV, p. 120) ثم قاعدة تماثيل لزوج الفرعون « سنوسرت

الثالث » المسماة « خمنت نفرحز » (راجع Syria, Vol. XIII, Pl. XVI, p. 20) .

وكشف أيضاً عن تماثيل صغير للوزير « سنوسرت عنخ » (Ibid, Vol. XV, ٠

(Pl. XIV, pp. 116, 131 ff.) والتثال الأخير يعتبر أهم وثيقة للوضوح الذى نجته الآن ، إذ عندما أراد الأستاذ «برستد» أن يعلق على العبارة التى وردت فى نقوشه وهى : (الذى أعطى ذهب الشرف) قال : ” إن هذا الذهب كان قد منح لهذا الوزير مكافأة لعمل عظيم قام به فى الخارج. فلا بد أن هذا الوزير المصرى كان يقيم فى بلد أجنبى هام ويشغل مركزا ساميا فيها ، ويحتمل أنه كان سفيرا فوق العادة أو حاكما . وقد يكون المركز الذى كان يشغله يشبه فى أهميته ما نشاهده يجرى فى الدول العظيمة . فن الجائز أن « سنوسرت عنخ » كان مبعوثا مصريا عاليا ، أرسل من قبل الحكومة المصرية ليراقب بعين يه إقليبا سوريا، ربما كان مستقلا اسما، ولكنه فى حقيقة الأمر كان تحت الحماية المصرية “ .

ولسنا فى حاجة إلى أن نقف هنا لنعدد الآثار التى عثر عليها فى قبور أمراء « ببلوص » (جيبيل الحالية) ونحمل اسم « أمنمحات الثالث » أو ابنه « أمنمحات الرابع » إذ فيها ذكرنا ما يكفى (راجع Montet “Byblos et l’Egypte”, p. 155) والواقع أن هذه الأشياء كانت هدايا ملكية لأمراء موالين ، أو كانت دليلا على الحب والمصافاة ، وهذا ما ينطبق على تماثيل « بواهلول » التى سبق ذكرها .

أما التمثالان الصغيران اللذان كشف عنهما فى بلاد « الأناضول » فلهما شأن آخر . فواحد منهما للرضعة « ست نفر » وقد عثر عليه فى « أطنة » (M. M. A. Vol. XVI, pp. 208 ff.)

أما التمثال الآخر فلشخص يدعى « كرى » والنقوش التى عليه تدل على أنه عار عن كل لقب ، وقد كشف عنه فى شرق « أنقرة » (A. J. S. L. XLIII, p. p. 294 ff) والواقع أن الإنسان لا يذهب تفكيره إلى حد أن مصر قد امتدت فتوحاتها حتى وصلت إلى هذا البعد الشاسع ، وكثوت امبراطورية وصلت إلى بلاد الأناضول فى هذه الفترة من تاريخها ، ولكن المعقول أنه من الجائز أن السيدة « ست نفر »

كانت مربية مصرية تعمل في بلاط أحد أمراء بلاد «الأناضول» . أما « كرى » فيحتمل جدًا أنه كان تاجرا مصرياً . ولكن المهم أن وجود هذين التمثالين في قطر فاء كهذا عن وادى النيل يمكن أن يتخذ مقياساً على مدى انتشار نفوذ الثقافة المصرية في عهد الدولة الوسطى . هذا إذا طرحنا جانباً كل اعتبار آخر لوجودهما هناك . يضاف إلى ذلك إنه قد وجدت قطعة من قضيب سمري في خرائب بلدة « مجدو » . وقد بقي من نقوشها السحرية ما يدل على أن ربة البيت « بعاتومو » كانت تلتمس الحماية السحرية في وقت الغروب لمدة الليل وأثناء النهار (راجع :

(The Illustrated London News, November, 1939, p. 25)

وهذه القطعة قد وجدت في طبقة من طبقات الحفريات قرب تاريخها من الدولة الحديثة . ولكن سياق الكلام يرجع بها إلى عهد أقدم ، وبخاصة أن القضب السحرية كانت شائعة جدًا في عهد الدولة الوسطى . وأخيراً نوجه النظر إلى قصة « سنوहित » وهو هارب سياسى قد فر من منطقة المراقبة المصرية عند موت « أمنمحات الأول » . ولا نزاع في أن جغرافية البلاد التي مرّ بها والتي آوى إليها في « آسيا » ليست واضحة تماماً . غير أنه ذهب في جولاته حتى « بيلوص » على ساحل « فينقيا » ، والظاهر أنه بعد ذلك اخترق تلك الجهة إلى الجهة الشرقية حيث استقبله أحد أمراء « رتنو العليا » في إقليم فيه الفاكهة والكروم والحبوب والماشية . ورغم أنه كان يعيش على مقربة من طريق يرى منه الذهاب إلى مصر والراجع منها ، فإنه لم يكن في متناول الشرطة المصريين ، أو تحت سلطانهم القضائى . ولا يبعد أنه كان يسكن في إقليم « بقعا » الذى يحتوى على طريق عظيم يمتد شمالاً وجنوباً بين « لبنان » والإقليم المقابل لها .

وإذا كان هذا الزعم مقبولاً أمكن القول بأن المراقبة الفعلية المصرية في هذه الجهات كانت في « فلسطين » و « فينقية » أكثر منها في داخل بلاد « سوريا » ؛ وأو قد يجوز أن مصر كان لها مكانة ضئيلة في أوائل الأسرة الثانية عشرة في آسيا ، وذلك

قبل أن يتمكن الفراعنة الذين حكموا في نهاية هذه الأسرة من أن يجعلوا لمصر نفوذا عظيما في القارة الآسيوية . ويظهر أن الرأي الأخير هو المرجح . وعلى الرغم من كل ما أوردناه هنا من الأدلة والبراهين ، فإننا لم نصل إلى نتيجة فاصلة ، ولكن انتداب الوزير « سنوسرت عنخ » ليقم في « أوجاريت » (Ugarit) (رأس شمر الحالية) ، وكذلك إقامة الكاهن الأعظم لمدينة الأشمونين في مدينة « مجدو » له أهميته ، إذ الواقع أن هذه الإقامة كانت تعتبر أكثر من سلطان تجارى أو ثقافى ، فإرسال شخصيات مثل أولئك لهم مقامهم في بلادهم إلى « آسيا » ، يدل على أنهم كانوا يبعثون إلى مراكز ذات قيمة عظيمة في خارج بلادهم ، وهذا ما يحتم وجود نفوذ إدارى ، وحرى يوحى بنفوذ امبراطورى . وعلى ضوء البراهين التى لدينا حتى الآن يمكن قبول النظرية التالية وهى أن مصر فى القرن التاسع عشر قبل الميلاد كانت تؤيد حكم الأمراء المحليين وفى الوقت نفسه كانت تجعلهم تحت مراقبتها بإرسال مندوب سام مقيم ، ويحتمل أن حامية كانت تشد أزره . ولذلك لا نكون بعيدين عن الصواب إذا قلنا إن مصر فى القرن التاسع عشر بعد الميلاد كانت مثلها كمثل الإمبراطورية المصرية فى آسيا فى القرن التاسع عشر قبل الميلاد .

علاقة مصر بجزر البحر الأبيض المتوسط

أما علاقات الوجه البحرى بالبلاد الواقعة وراء البحار فلم ينقطع أسبابها أيضا ، فنجد الأسرة السادسة نجد فى مصر أختاما كل منها على صورة زر ، وغالبا ما يكون له مقبض مستدير الشكل . وقد رسم عليها أشكال بعضها يحتوى على خطوط متنوعة وبعضها يحتوى على صور حيوانات مختلطة الشكل خيالية ، وهى تشبه تلك الحيوانات الهائلة المرسومة على لوحات طحن الكحل التى وجدت فى العهود العتيقة جدًا . وهذه الصور كانت تعتبر علامة خاصة يعرف بها صاحبها . والواقع أن هذه الأختام قد عثر على أمثالها فى « كريت » ، ومنذ بداية الأسرة الثانية عشرة بدت

تصنع الأختام في صورة « جعل » أو (جمران) ، وهذا الجمران أصبح في نهاية الأمر يحل محل الأسطوانات والأزرار القديمة جملة :

(Evans J. H. S. Vol. XIX, pp. 335 ff.; Garstang, "Bet Khallaf", p. 33, Pl. XXXIX; Newberry, "Scarabs", pp. 56 ff.; Meyer, Gesch. Par. 200.

أما الإشارات المنقوشة على هذه الأختام (وهي في غالب الأحيان اسم صاحبها) فإنها تحاط بخطوط حلزونية ملفت بعضها ببعض بصورة متكررة ، وليس هناك من شك في أن ظهور الشكل الحلزوني في مصر له بعض العلاقات بانتشاره العظيم في وقت واحد في « كريت » ، و « جزر بحر إيجه » . ولا نزاع كذلك في أن فراعنة الأسرة الثانية عشرة كان لهم أسطول يبحر عباب البحر الأبيض المتوسط كما كان لأسلافهم فراعنة الدولة القديمة ، ومن الجائز جدًا أنهم كانوا أحيانًا يتدخلون في أمور جزر هذا البحر . حقا إن النقوش لا تتحدث قط عن هذه الجزر ، غير أن حامل الختم « حنو » في عهد الفرعون « متوحتب الثالث » كان يفخر بأنه قضى على قوم « الهنبو » (شعوب البحر أو الشمال) (Lange und Schafer, "Grab und Denkstein", 20425) و يقص علينا موظف آخر يحمّل أنه من عهد « سنوسرت الأول » بلغة هذا العصر المتكلفة أن " قلمه يأخذ ويشمل الهنبو " ؛ ويعنى بذلك أنه ضمن الإدارة التي تشرف على العلاقات التي مع شعوب البحر ، وعلى حسب الوجهة المصرية كانت هذه الإدارة هي التي تصدر لهم الأوامر . وقد وصل إلينا آثار من آثار شعوب البحر هذه على غرار التي وصلتنا من العهد الطيني ، وتشتمل على قطع من الخزف الأجنبي ، ونجده ثانية في مصر في أماكن خاصة . فقد أقام « سنوسرت الثاني » عند مدخل « الفيوم » بالقرب من هرمه عند « كاهون » بالقرب من « اللاهون » مقر حكمه ، وقد هجرت منذ بداية الأسرة الثالثة عشرة . وعلى ذلك لم نعلم أكثر من قرن (من حوالي ١٩٠٦ — ١٧٨٠ ق م) ، وقد عثر فيها ، غير عدد عظيم من قطع الخزف المصري ، على قطع أخرى من طراز يدعى « كامارس » ، وهو طراز كان

شائعا وقتئذ في « كريت » وفي جزر « سيكليد » . وقد أمدتنا مصر بتاريخه .
ومن ثم نعرف أن أهالي « كريت » كان لهم في هذه الجهة مؤسسات يرجع أسبابها
لأمر من الأمور التالية ، فلما أن يكونوا قد أقاموا في هذه الجهة بوصفهم أسرى
(ويحتمل أنهم في هذه الحالة كانوا قرصان بحر) ، وإما أنهم كانوا تجارا ومن
أصحاب المخاطر الذين يقومون بجولات إلى البلاد النائية، وقد أتوا إلى مصر
باحثين وراء الثروة كما فعل أهالي « سردنيا » الذين أتوا بعدهم زمن طويل .
وقد حفظ لنا في قبر « بالعراية المدفونة » آنية فاخرة من طراز « كامارس » ، وعثر
بجانها على أسطوانات باسم « سنوسرت الثاني » و « أمنمحات الثالث » . وكذلك
عثر في « كاهون » وفي خرائب مدينة « الخطاعنة » بالقرب من « فاقوس » على قطع
من الفخار الأسود مرسوم عليه خطوط غائرة باللون الأبيض ويظهر أنه أتى به من
« قبرص » (Chataana; Hall, "The Oldest Civilization of Greece", p. 68.)
وعلى العكس وجد في « كنوسوس » عاصمة « كريت » في أقدم الطبقات الأثرية
للقصير تمثال صغير مصري (Evans, "Annual of the British School of Athens"
Vol. VI, p. 27. Griffith, "Archaeological Report", (1889-1900) p. 65.)
وهذا التمثال الجنائزى يرجع تاريخه إلى حوالى الأسرة الثالثة عشرة . على أنه لو جادت
تربة الدلتا بعدد عظيم من الوثائق لأصبح في مقدورنا أن نفهم الكثير عن هذه
العلاقات . على أن مجزء عثورنا في بئر جنازى قديم في بلدة « تركوينى » (الأترسكية)
(بإيطاليا) على دمية صغيرة ، وهى تمثال الإلهة « باست » المصرية ، وعلى جعران
للك « متوحتب الثالث » لدليل على بعد الأماكن التى نقلت إليها المحصولات
المصرية (راجع Targruni Ghirardini not degli Scavi 1882, 183, Pl. 13)
bis 10 Helbig Homer Epos, 2, 24. هذا وقد عثرنا على بعض الأواني التى
تعزى إلى « كريت » فى حفائر البحيرة ، غير أنها لم توجد فى مقابر بل وجدت فى الرمال
والأثرية المتراكمة حول المقابر المدفونة تحت هذه الرمال .

المباني

تدل شواهد الأحوال على أن خلف «أممحات الأول» ورثوا عنه النشاط، ومضاء العزيمة في تسير أحوال البلاد . على أن أخلاق كل من هؤلاء الفراعنة ليست من الأخلاق التي يمكن لمسها لا في ألقابهم الرسمية ولا من نقوش رعاياهم ولا من بعض تماثيلهم التي كانوا يقيمونها في معابد الآلهة ، إذ الواقع أنهم كانوا يريدون أن يظهروا لنا دائما آلهة أحياء يتوقف عليهم فلاح بلادهم ورخاؤها ، فكان لا يمكن الاقتراب منهم دون أن ترتعد من هيبتهم الفرائص حتى ولو كانت مقاصدهم حسنة ، وأنهم يريدون إغداق الهبات ومنح الرتب . والظاهر أن المواهب الحربية لهذه الأسرة قد تجمعت بوجه خاص في « سنوسرت الثالث » ، وهو البطل الذي نسبت إليه الخرافات كل أعمال الفروسية والفتوح التي قام بها فراعنة آخرون ، ولكن في مقابل ذلك نجد في عهد خلفه « أممحات الثالث » أن هذه الملكية القوية الجانب الحسنة النظام قد فاضت بضوئها المتلألئ الوهاج على البلاد بما قامت به من الأعمال الخالدة . ويتاز كل ملوك هذه الأسرة بغيرتهم وتمحسهم لإقامة المباني ، وبخاصة المعابد التي شيدوها للآلهة . ولذلك نجد أسماءهم في كل مكان في بقايا آثارهم التي وجدت تحت أساس مباني الدولة الحديثة ، وهي مباني قد أقيمت بصورة متواضعة ، إذا قيست بمباني أخلافهم في الدولة الحديثة ، فنجد أن « أممحات الأول » قد أقام خلافا للمباني التي أضافها لمعبد الإله « بتاح » في « منف » معبدا للإله « آمون » في « الكرنك » « بطيبة » ومعبدا للإلهة « حتحور » في « دندرة » ، وكذلك يظهر أنه أقام معبدا للإله « سبك » في مدينة « الفيوم » كما أسلفنا ذكره . وشيد « سنوسرت الأول » معبدا في « هليوبوليس » للإله « آتوم » كما أسلفنا . ولا تزال المسئلة التي أقامها فيه تذكارا لميد « سد » باقية في مكانها الأصلي ، وكذلك أقام معبدا « بالكرنك » . وستكلم عنه فيما يأتي :

معبد سنوسرت الأول بالكرنك



معبد «سنوسرت الأول» بالكرنك (شكل رقم ٣٠)

لقد ظل طراز المعابد المصرية في عهد الدولة الوسطى مجهولا إلى أن قام المهندس «شفربيه» بالعمل في إصلاح أساس (البوابة) الثالثة التي أقامها الفرعون «أمنحوتب الثالث» في معبد «الكرنك»، فقد لاحظ أثناء العمل أن معظم الحجارة التي بنيت منها هذه (البوابة) كانت حجارة منقوشة، وأنها كانت تنترع من مبان أخرى ترجع إلى عهد أقدم من عهد هذه (البوابة) الآتفة الذكر. وقد بدأ العمل في استخراج هذه الأحجار وترتيبها منذ سنة ١٩٢٤، واستمر العمل إلى سنة ١٩٣٦ فاستخرج منها زهاء ٩٥١ كتلة من الأحجار المختلفة، وقد اتضح في نهاية الأمر أنها مأخوذة من أحد عشر مبنى أثريا قديما. ولحسن الحظ وجد المسيو «لاكو» من بينها حجارة تؤلف معبدين كاملين تقريبا: أحدهما يرجع تاريخه للأسرة الثانية عشرة، والثاني يرجع إلى عهد الأسرة الثامنة عشر. والذي يعيننا من هذين

المعبدين الآن هو معبد الأسرة الثانية عشرة ، وهو الذى اعاد « شفرييه » بناءه ، ومادته من الحجر الجيري الأبيض الذى كان يستخرج من محاجر « طرة » ، وهو نوع الحجر الذى كان شائع الاستعمال فى عهد الدولة الوسطى . ويفسر لنا استعمال هذا النوع من الحجر وقتئذ السر فى إختفاء آثار هذا العهد ، وذلك لأن القوم كانوا يحصلون عليه بمثابة جبر يحرق ليستعمل فى مبانيهم . وقد ظل هذا النوع من التخریب المشين منتشرا إلى أن أسست مصلحة للمحافظة على الآثار . وقد ظل طراز هذا المعبد مجهولا لعلماء الآثار حتى أعيد اقامة هذا المبنى « بالكركك » سنة ١٩٣٦ ، وهو يتألف من قاعدة مرتفعة مربعة الشكل تقريبا يصل إليه الزائر بدرج ذى ميل خفيف من جهتين متقابلتين ولكل منهما « درابزين » بسيط له قمة مستديرة ومنخفضة جدا . ويقع بين مجموعتى الدرج مطلع خفيف الانحدار . والظاهر أنه كان يستعمل ليجز عليه حرارة تحمل محراب الإله أوتمثاله (الإله آمون) . والمعبد المقام على هذه القاعدة المرتفعة يحتوى على ستة عشر عمودا موزعة على أربعة صفوف كل منها يحتوى على أربعة عمد ، أقيم فوقها عقود وسقف مستو . ويلاحظ أن العمود المقامة فى واجهة المدخل وعند مخرجه ، وهى التى تقابل السلام ، رباعية الشكل ليرتكز عليها عقود الواجهة المقامة طولا ، والعقود الموضوعة عرضا .

أما الأعمدة الثمانية الباقية فتكاد تكون مربعة (٦٤ × ٦٢) متتيمتر . ويشاهد أن الأعمدة الخارجية متصلة بقواعدها بوساطة « درابزين » غير مفترغ ومستدير إلا التى فى وجه درج السلم فليست كذلك ، وذلك لارتفاع دعائمتها . وعقود المعبد موزعة فى أربعة صفوف موازية لمحور المعبد ومكاملة لواجهتى المدخل والمخرج بصفين عموديين للعقود الأولى ، ويرتكز على هذه العقود أو السقف . وقد قصد أن تكون هذه الأحجار بارزة بعض الشيء لتكون بمثابة طنف للمعبد (كرينش) أما زخرف الجدران فقد صنع بكل دقة وعناية ، فنشاهد أولا على القاعدة

المرتفعة منظرا يحتوى على أرقام خاصة بحاجيات المعبد على ما يظهر، غير أنها لم تحل بعد حلا مؤكدا . ويشاهد ثانية على قاعدة العمد الخارجية وعلى الجزء المستوى من خارج « الدرازين » منظرا نقش عليه أسماء مقاطعات الوجه القبلى ، والوجه البحرى ، كما سبق الإشارة لذلك . وهذا المنظر فضلا عن أهميته التاريخية والجغرافية قد سهل علينا معرفة الجهات الأصلية لاتجاه المعبد ، ونعرف أن مقاطعات الوجه البحرى كانت فى الجهة الشمالية ، ومقاطعات الوجه القبلى على الواجهة الجنوبية ، فى حين أن واجهتى المدخل والمخرج كانتا فى الشرق والغرب على التوالى ، وكان مرسوما على كل واجهة عدد من صور إله النيل تحمل القرايين .

وثالثا نجد على كل العمد فى الجزء الأعلى الواقع فوق المساحة التى تشغلها هذه القائمة الجغرافية أو على سطح عاير من النقوش ، أولا سطرين أفقيين من الكتابة نتحدثنا بأن هذا المعبد كان قد أقيم احتفالا بالعيد الثلاثينى الأول (حب سد) للفرعون « سنوسرت الأول » وأسفل ذلك صف آخر يحتوى على منظر قربان يقدمها الفرعون للإله « آمون رع » . ويلاحظ أن هذا الإله قد مثل فى معظم مناظر المعبد فى صورة الإله « مين » ، وكذلك يشاهد على أوجه العمد العريضة ، وهى العمد المستطيلة الشكل ، أن عدد الأشخاص الذين رسموا عليها لا يزيد عن ثلاثة ، ونجد على بعضها الإله « متو » إله طيبة القديم يقدم الفرعون للإله « آمون » ، وهذا المنظر له أهمية عظيمة الشأن من الوجهة الدينية ، إذ يؤكد لنا التاريخ الذى تحلى فيه الإله « متو » إله « طيبة » المعبود الرسمى ليليلاد فى عهد الأسرة الحادية عشرة عن مكانته هذه للإله « آمون » بوصفه أولا معبود مدينة « طيبة » ثم الإله المقدس الرسمى لمصر كلها . هذا ويشاهد فوق الصفوف المنقوشة التى تحتوى هذه المناظر متن ديني كتب فى أسطر عمودية توجت بصورة النسر أو الصقر حسب شكل الأعمدة ، إذ كان بعضها مربعا فكان يرسم عليه النسر والصقر معا ، وبعضها مستطيلا فكان يرسم عليه الصقر وحده ، وأخيرا نجد على العقود منقوشا صيغة

إهداء المعبد جاء فيها أن هذا الأثر قد أقامه « سنوسرت الأول » ليكون فخارا لوالده « آمون رع » من الحجر الجيري الأبيض المستخرج من محاجر طره .

ويلاحظ أن الزخارف والإشارات الهيروغليفية والمناظر قد حفرت بإتقان بالغ، وقد نقشت كلها بالحفر البارز، ولا يستثنى من ذلك إلا إطارات الأبواب التي نقش عليها ألقاب الملك وأسماء المقاطعات، وأسماء إله النيل، ومنظر الأرقام، فإنها قد نقشت نقشا غائرا، والأخيرة خاصة بالمقاطعات . وكانت الإشارات التي تزين بها إطارات الأبواب قد لونت باللون الأزرق، أما الطنف (الكرنيش) التي كانت تمثل في هيئة خوص جريد النخل فقد كان عسفها ملونا بالأزرق فالأبيض فالأحمر على التوالي ، وخلافا لهذه الألوان ، فإننا لم نجد أثرا لأى لون آخر في أى جزء من أجزاء المعبد الباقية . ومما يلفت النظر وجود خروق صغيرة في مباني المعبد مما يوحي إلينا بأن جدرانها كانت مغطاة بورقة من الذهب قد ثبتت بدسر من الخشب في هذه الخروق : (A. S. Vol. XXXVIII, p. p. 567 f. f.)

أما « سنوسرت الثالث » فإنه شيد معبدا للإله « حرسف » في « إهناسية المدينة » ، ومما هو جدير بالملاحظة في هذا الصدد أننا نجد أسماء هؤلاء الملوك وتماثيلهم في كل المدن التي أمكن أن نجد فيها آثارا لم تقررها مباني الدولة الحديثة، أو لم يحكمها الزمن مثل « تانيس » ، وفي بقعة بالقرب من « نيشه » (آمث) ، وفي تل المقدام (مدينة الأسد) ، وفي وسط الدلتا . وهذا يبرهن لنا عن مقدار الدور الهام الذى لعبته الدلتا في ذلك الوقت وفي الامبراطورية المصرية . والواقع أن هذا الشطر من البلاد المصرية لا نكاد نعرف عن آثاره وقتئذ شيئا يذكر . (راجع Mariette, "Karnak" II; "Petrie" Abydos, I, II, MacIver and Mace, "El Amrah".)

اتخاذ مقر الملك بجوار الجبانة — ويلاحظ أن ملوك الأسرة الثانية عشرة قد اتخذوا مقراً ملكهم ثانية في الشمال وجعلوا جباناتهم على حافة الصحراء الغربية كما كانت الحال في عهد الدولة القديمة . واتخذوا الشكل الهرمى المحض مقابر لهم تدفن

فيها أجسامهم، وكذلك اتخذ رجال البلاط لمقابرهم شكل المصطبة، غير أن معظم هذه المقابر قد شيدت من اللبن وكسيت غطاء من الحجر. فنجد أن «أممحات الأول» أقام هرمه في «الشت»، واقتنى أثره في ذلك ابنه «سنوسرت الأول»، ثم جاء «أممحات الثاني» فنقل مقر الملك إلى نقطة أعلى في الشمال عند «دهشور» بالقرب من هرم «سنفرو» ومقره. أما «سنوسرت الثاني» فإنه على العكس أقام مدينته وهرمه بالقرب من «اللاهون»، ولكن ابنه «سنوسرت الثالث» عاد إلى



شكل رقم ٣١ (مقبرة أميني)

«دهشور»، وهناك بنى هرما له يسمى «حسب سنوسرت»، ومقرًا أطلق عليه اسم «عنخ سنوسرت» ولكن ابنه «أممحات الثالث» عاد إلى «هواره» وبنى هرما له هناك ومقرًا يدعى «عنخ أممحات»، كما أمر ببناء هرم ثان له في «دهشور»^(١)

(١) وقد عثر أخيرا على قطعة من الحجر في «حوض البلم» بالمطرية كتب عليها اسم هرم الملك يدعى «أممحات» لم يكتب معه لقبه المميز له، ويفضن موريس أفندي روفائيل كاتب المقال عن هذه القطعة أنه اسم هرم «أممحات الثالث» (A. S., Vol. XXXVII, p. 79)

كما فعل سلفه « ستفرو » ، وأقام معبدا لهرمه في « هواره » ، وهو البناء الذائع الصيت عند « الإغريق » إذ كانوا يعتبرونه أكبر عجائب مصر . وهو الذى كان يطلق عليه اسم « اللبرت » وقد فصلنا القول فيه فيما سبق .

وفي النصف الأول من الأسرة الثانية عشرة ظهرت مقابر نخمة أقامها حكام المقاطعات في عواصم مقاطعاتهم مثل مقابر « بنى حسن » و « البرشة » و « مير » و « قاو » ، وكل هذه المقابر نحتت في واجهة الصخور الواقعة في واجهة الجبال في الجهة الغربية إلا مقابر « بنى حسن » فإنها تقع في الجهة الشرقية ، وكلها نحتت على طراز واحد . وغالبا نجد أنه كان يصعد إليها بطريق مدزج من الوادى ، ثم ينتهى برصيف يؤدى إلى مزار المقبرة المنحوتة في الصخر . وهذا المزار نفسه يؤدى في الغالب إلى قاعات أمامية خلفها ردهة نحت فيها كوة في الجدار الخلقى كان يوجد فيها تمثال المتوفى . ولا نزاع في أنه توجد نقطة اتصال ظاهرة بين هذا الطراز من المقابر المنحوتة في الصخر وبين مقابر الدولة القديمة . ولكن مع ذلك نرى أنه توجد خطوة ظاهرة إلى الأمام تدل على تقدم في الطراز الأصلى القديم ، وبخاصة من حيث التأثير الذى أحدثه انتخاب المكان . وأهم هذه المقابر تلك التى أقامها أمراء المقاطعات في « بنى حسن » ، ففيها نشاهد قاعات ذات أعمدة ، وردحات ذات أسقف مقببة ترتكز على عمد ذات أضلاع تكون غالبا رباعية أو ثمانية الأضلاع . وقد تكون ذات ستة عشر ضلعا ، وأضلاعها على هيئة قنوات جميلة المنظر . (انظر شكل ٣١) .

وقد انتشر هذا النوع من التقيب الذى نشاهده في هذه المقابر حتى أنه أصبح شائع الاستعمال من أطراف الدلتا حتى أعماق بلاد النوبة ، إذ قد عثر في هذه الجهات على قبور مصنوعة من اللبن ذات قباب . وفي المقابر العظيمة نشاهد خارجة عظيمة المساحة يزينها عقد محكم الشكل مثل الذى كان يستعمل في عصور ما قبل التاريخ غير أنه في عصرنا قد بلغ حد الكمال .

فن نحت التماثيل (تماثيل الملوك) — يمتاز فن نحت التماثيل في هذا العصر بما يظهره المثال من دقة التعبير في الحجرات عن العواطف والمشاعر والوجدانات ، غير أن هذا الفن لا يتبع قاعدة معينة ثابتة ، ولذلك لا نجد له وحدة ولا حدودا معينة يسير بمقتضاها . وكذلك يظهر أمامنا بوضوح في هذا العصر أولا التناقض في فن نحت تماثيل الأفراد ، وتماثيل الفراعنة . وحتى في نحت تماثيل الملوك أنفسهم فيما بينهم ، فنجد اختلافا كبيرا في الفكرة والإخراج . فلاحظ منها مثلا مجموعة مرتبطة في كيفية نحتها ارتباطا واضحا بتقاليد النحت في الدولة القديمة ، وبخاصة في بداية هذه الأسرة ، ونجد أن تماثيل الفراعنة كانت تحاكي طراز تماثيل الأسرة السادسة المهيمنة ، وهي التي تنم عن رقة وليونة تعبران عن ذلك المجد الذي أصبح في عالم الفناء . فمثلا يلتفت النظر تمثال «سنوسرت الأول» المنحوت في الحجر الجيري الأبيض بما يعبر عنه تقاسيمه من طراوة وإبهام وقلة الشخصية . غير أن مجياه في الوقت نفسه يعبر عن طراز الحاكم الوقور اللين العريكة بما ترتسم على وجهه من ابتسامة يرى من خلفها «الإله الطيب» ؛ وكذلك تمثال الملك « حور » (انظر ص ٣٠٢) المشوق القوام اللطيف القد ، فإنه مع ما فيه من جمال لا يجذب إليه النظر لما ينقص تقاسيم مجياه من قوة التعبير التي تدل على الشخصية ؛ وكذلك يعوزه ذلك الروح الذي تنبعث من وحى الفن الرفيع ، ولذلك يلاحظ الإنسان أن هذه التماثيل تنسب إلى تقليد فني خاص لم يعد ينطق بما تعبر عنه هذه الحياة الدنيا . ولذلك يظن البعض أن هذه التماثيل قد نحتت لتوضع مع المتوفى في عالم الآخرة . ولا غرابة إذا وجدناها موضوعة في المعبد الجنائزى . وهذا ما جعل صناعة نحتها تقليدية . والواقع أنها نحتت لتكون بمثابة عدّة للتوفى في عالم الآخرة ،

(١) أما تماشله الضخم الذى عثر عليه في « تانيس » فتدل ملامحه على العنف والصلابة في الأخلاق ولذلك يعتقد أنه قد كانت توجد مدرسة خاصة للنحت في « تانيس » بعيدة في فنها عن المدرسة القديمة .

ومن ثم يمكننا أن نحكم أن طراز نحتها قد انحدر إلينا من عهد الدولة القديمة عن طريق التقليد المحض ، ولذلك كان من الصعب أولاً أن نفسر وجودها جنباً إلى جنب مع تماثيل عصر الدولة الوسطى التي أخرجت للناس في صور جديدة ممثلة لروح العصر والحياة اللتين وجدت فيهما ؛ إذ من جهة أخرى نجد أنه تنبعث من تماثيل الملك « متوحتب الثاني » روح آخر يمثل شخصية الرجل الذي أعاد لمصر وحدتها ، فزى في تماثله الجالس ملاح تدل على صلابه في الخلق ، وسيطرة قاهرة ، وعزم نافذ ؛ مما جعله يعتبر من أحسن القطع الفنية التي أنتجتها يد النحات في الفن المصري المبكر لهذه الدولة . وتمثل الفرعون في الحجر بما يفوق الوصف البشري في عهد الدولة الوسطى كان نسيج وحده في فن نحت التماثيل ، وذلك لأن الطراز الخاص في نحت تماثيل الملوك في هذا العصر كان شيئاً آخر بالمره ، فلأول مرة تبرز لنا شخصية الفرعون بعد تحفظه المتناهي الذي ظل متبعاً عدة قرون ، فنشاهد في صورته الجديدة أنه عارٍ عن كل تصنع ، وأنه أصبح من أهل هذه الأرض ، وصار لزاماً عليه أن يحارب ، وكذلك أصبح في مقدوره أن يحبس ويشعر في داخلية نفسه ، كما أنه صار يتألم ، وكل هذه الوجدانات كان قد أهملها تماماً المثال المصري عند تصويره تقاسيم عيا الفرعون حتى هذا العصر الذي نحن بصددده .

حقاً إن تماثيل ملوك الدولة القديمة نتم ملاحظتها عن شخصيات قوية ، غير أنها في الوقت نفسه لا تدعنا ننظر إليها بعق ، حتى أننا لا نشاهد منها إلا ما توحى به من هبة في الوقت الذي نتطلع فيه في شغف إلى معرفة تجاربهم ، وما تتطوى عليه حياتهم من مشاعر . أما الآن فإن المثال قد جعل الحاكم يقف أمامنا كأنه واحد منا لدرجة أن أحد أدباء هذا العصر وهو « خيتي » بن « دواوق » قد جعل « امنحات الأول » لا ينجل من أن يلقي تحذيراته وتجارب له لابنه « سنوسرت الأول » عن تلك المؤامرة الفظيعة التي أدت إلى اغتيال حياته . فهذا الفرعون عند ما قص علينا بغيته لم يكن في نظره هذا القول مخزياً ولا مزرياً ، عند ما نزل من

عليائه الإلهية التي كان لا يمكن الدنو منها ، وأخذ بقسطه الوافر مع بني البشر من الهموم ، والمصائب التي يعانونها (راجع ص ١٩٠ الخ) .

وفي الحق إنه لمن الصعب أن يوازن الإنسان موازنة صادقة بين تماثيل ملوك الدولة الوسطى وتماثيل ملوك الدولة القديمة ، ثم يستخلص من هذه الموازنة نتيجة ذات قيمة ، وذلك لأن قطع النحت الفنية في عهد الدولة القديمة قد أخرجتها يد الفنان على أساس فكرة خاصة معينة تختلف عن الفكرة التي كانت شائعة في عهد الدولة الوسطى فإن الفن في عهد الدولة الوسطى كان له مثل أعلى آخر في تصوير الملوك ، وإذا كان ملوك هذه الأسرة لم يصلوا إلى القوة العلية التي وصل إليها ملوك الأسرتين الثالثة والرابعة — إذ كانت سلطتهم قد انكشفت — فإنه مع ذلك تتم تماثيل الدولة الوسطى عن تقاسيم أقوى تمتاز بأنها تعبر عن قوة بشرية وتنبعث منها إرادة قدت من حديد .

على أنه مما يسترعى النظر في هذا العصر شيوع استعمال التماثيل التي تفوق الحجم البشري الطبيعي . وهذا الطراز من التماثيل لم يكن معروفا من بداية الدولة القديمة ، إذا لم نعتز منها في هذا العهد حتى الآن إلا على تمثال للفرعون « وسركاف » . ولا نزاع في أن الفراعنة قد استعملوا هذا الطراز من التماثيل ليساعد على قوة التأثير . وكثيرا ما تكون التماثيل التي من هذا النوع ضمن القطع الفنية . ولا يمكننا أن نجزم بأن تماثيل الملوك في الدولة القديمة كانت وفقا على المعابد الجنازية حيث كانت محجوبة عن أعين الناس ، وأنها نحتت لتجعل روح الملك المتوفى تبقى حية ، ولكنا نعرف على وجه التحقيق أن التماثيل الضخمة كانت قبل كل شيء مقام كذلك في عهد الدولة الوسطى في المعابد وغيرها . ولا بد أن زائر هذه المعابد كان يرى قوة الفرعون وعظمته متقمصة في تماثيله هناك ، إذ كان هو الذي وضع في يديه مصير البلاد ، وهذا ينطبق على « سنوسرت الثالث » وتمثاله الذي نصبه عن الحدود الجنوبية لدولته عند « سمنه » ليكون رمزا لقوته ومهددا للعدو حتى لا يجسر على تخطف الحدود أو انتهاك حرمتها . أما تمثيل الفرعون في صورة أسد فقد اتخذت شكلا

جديدا ، ويشاهد ذلك في تماثيل « بوالهول » الذائعة الصيت التي عثر عليها في « تانيس » ، وتمثل كل منها وجه الفرعون « أمنمحات الثالث » ، والواقع أن هذه التماثيل قد نحتت لتصور أمامنا بكل شدة بأس الحيوان الملكي المقترس وبطشه . فهذا الوجه المقترس الذي تحيط به معرفة هائلة وملاح غاية في الشجاعة وعضلات مقتوله لا يمثل لنا الفرعون بجسم أسد ، بل يمثل الأسد بوجه لإنسان ، فالفرعون إذا عدو مخيف رهيب ، يقبض على عدوه ويمزقه إربا إربا . (شكل ٢٧٢ ،)

تماثيل الأفراد — أما تماثيل الأفراد فإن السائد في جودة فنها لا يتعدى الحد المتوسط في الإتقان . ويلاحظ في صناعة هذا النوع من التماثيل أنها متصلة بصناعة تماثيل الدولة القديمة ، ومنتسبة إليها أيضا . وهي تلك التماثيل التي كانت قد نحتت بخاصة لتوضع مع المتوفى في مقبرته ، ومع ذلك فقد عثرنا على بعض التماثيل في عهد الأسرة الحادية عشرة تكاد تشبه في خشوتها فن تماثيل « متوحتب » ، بل وغلظته أيضا ، غير أن هذا النوع من النحت قد انحى فيما بعد تماما . وكذلك نجد بجانب كثير من التماثيل التي نحتت في الحجر نحتا مختصرا لا تظهر فيه التفاصيل ، تماثيل أخرى قد أخرجت لإخراجا فنيا مختارا ، وتعد فريدة في نوعها تماما ، غير أنها لا تناس في تعبيرها عن تقاسيم الوجه بتماثيل الملوك ، لأنها بدل من أن تنحت بالحجم الطبيعي ، وتجعل مرتبطة بالحياة الحقيقية ، قد اجتهد المثال في أن يجعلها تتخطى الحقيقة ، وتسير بعيدا عن تقلبات حياتها الدنيوية ، ونرى ذلك التناقض قد انتهج حتى في تمثيل صور الملكات ، فالنحات قد نحت للملكة جسما ممشوقا لقوام فتى الطلعة وفي الوقت نفسه قد حل رأسها بشعر الإلهة « حتحور » الغزير ، على أن ملاح وجهها تم عن شخصيتها المحضة ، وإن كان لا يظهر فيها التقاسيم الدقيقة الجميلة كإظهار عظام الوجه مما يبرز تفاصيله ، ومع ذلك فإن ما مثل أمامنا ملكات ولسن نساء عابرات . وعلى النقيض من ذلك ، قد ظهر بعض تماثيل ساحرة ل كبار الموظفين في هذا العصر ،

إذ ينسدر في الفن المصرى أن يرى الإنسان موظفا مصربا عظيما يشعشع بشخصيته ورفعة مركزه واحترام مكانته منحوتا في الحجر مثل تمثال « خرتى حتب »^(١) الجالس ، وهو المحفوظ الآن في متحف « برلين » ، أو مثل تمثال « سبك أمساف »^(٢) الواقف ، وهو من طرائف متحف « فينا » ، على أن بحثنا وراء التماذج الروحية في التماثيل لا ينعكس في تقاسيم هذه التماثيل ، بما توحى به من وجاهة واحترام ، كما نشاهد في تماثيل عظماء الدولة القديمة ، بل بما يرسم على محياها من الوداعة ونبذ الكبرياء ظهريا . وليس من الصعب أن نحلل نفسيا الفرق بين فكرة نحت تماثيل الملوك ، ونحت تماثيل عظماء الدولة الوسطى . ويتلخص ذلك في أن الفرعون كان يعلم أنه لا يزال يحتفظ بالكثير من هيئته وجلالته الموروثة ، على الرغم من أنه أخذ يظهر بمظهر البشر ، في حين أن الموظف الكبير كان لا يزال في حاجة إلى الظهور بمظهر محاط بالاحترام والوقار ، ولذلك كان لا بد من إبراز صورته بما يشعر بمركزه الاجتماعى بين مرءوسيه ، وفي أعين عامة الشعب .

ومما تجدر ملاحظته في هذا الصدد أنه يوجد بين تماثيل الدولة الوسطى أحيانا طراز ابتدع في هذا العهد لأول مرة ، وذلك مثل التماثيل الجالسة مرتدية ثوبا فضفاضا يلف كل الجسم ، وبجانب هذه تشاهد كذلك تماثيل واقفة مرتدية قميصا بارزا ، وأخرى جالسة على الأرض أو راحة وأطرافها مغطاة بثوب طويل .

تماثيل العمال — أما التماثيل المصنوعة من الخشب ، وهى التى كانت توضع في المقابر لتقوم مقام الخبز والطحان والعجان والجندي والراعى ، فقد عثر منها على جيش بأكمله ، ولكن لا بد من تمييزها عن التماثيل الفنية ، لأن الأولى كانت على وجه عام تصنع بكيات وفيرة وتورد حسب ما يطلب منها .

(1) Steindorff, "Kunst der Agypter", p, 295.

(2) Ibid.

النقوش الغائرة والبارزة — ومنذ إعادة توحيد البلاد نشاهد أن فن النقش سواء أكان غائرا أم بارزا قد وصل إلى القمة ثانية من حيث الإتقان . ويلاحظ هنا كذلك أن التقاليد القديمة قد لعبت دورها في إحياؤها ، فكان لا ينقصها إلا وجود فرصة مواتية لتسترد بهاها وبجمالها ، وقد سنحت الفرصة فعلا في نقوش الفرعون « متوحب الثانى » التى عثر عليها فى « الجبلين » ، فترى أن الصانع المقتن الذى نقش رسوم الفرعون قد أحكم نقشها بما لا مزيد عليه فى أسلوب قوى كان جديرا بتخليد انتصارات هذا الفرعون على أعدائه من جهة ، وانتصاره فى عالم فن النقش فى عصره من جهة أخرى . والواقع أنه انحدر إلينا من عهد « سنوسرت الأول » عمود حفظت عليه نقوش بارزة رسمت أولا حروفه بدقة ، ثم نقشت بمهارة وحسن تنسيق يثيران الدهشة والإعجاب ، هذا فضلا عن المعبد الذى أقامه نفس الفرعون للإله « آمون » فى صورة « مين » ، وقد كشفت كل أحجاره حديثا فى معبد الكرنك أيضا ويكاد يكون منقطع القرين من حيث الإتقان والإبداع بالنسبة لعصره . وقد عثر على أحجار هذا المعبد ضمن الأحجار التى شيد بها « أمنحوتب الثالث » (بوابته) الثالثة كما ذكرنا آنفا .

وكذلك عثر على نقش لهذا الفرعون أيضا يمثل جزءا من عيد « سد » وهو منظر يمثل احتفال « جرى » الفرعون ، ويلاحظ أنه نقش نقشا بارزا تمثلت فيه القوة والليونة فى وقت واحد . وهذه النقوش تنبعث منها حيوية أكثر من التى نشاهدها على العمود السالف الذكر ، وبخاصة من حيث تأثيرها فى النفس ، إذ تجذب النظر لها اجتذابا ، وعلى وجه عام فإن كل النقوش التى وصلتنا من هذا النوع فى الدولة الوسطى سواء أكانت غائرة أم بارزة كانت قوية لحد يفوق المعتاد ، فهى إذا كانت على النقيض التام لنقوش الدولة القديمة التى كان يظهر فيها الرخاوة والضعف ، ومن جهة أخرى يلاحظ أن الأشكال الجامدة الخافتة التى كانت شائعة الاستعمال فى العهد الإقطاعى ، أخذت تسترد صورها المتناسبة الطبيعية بجرى فيها الدم وانبعثت منها الحياة .

ونجد في مقابر أمراء الإقطاع مادة غزيرة منقوشة على الجدران . والواقع ان هذه النقوش لها علاقة وثيقة تربطها بنقوش مصاطب الدولة القديمة . وما جد فيها هو على ما يظهر استمرار في نمو هذه النقوش وارتقائها ، وقد كان ملحوظا منذ الأسرة الخامسة حتى بداية الأسرة السادسة . على أن هذا النمو لا ينطبق فقط على المختار من المناظر ؛ بل كان يشاهد كذلك في الطراز الذي كان متبعاً وقتئذ ، ولذلك نشعر أحيانا بتقدم ملموس معبر عن حرية لم تكن مقيدة بقواعد الماضي . مثال ذلك ما ابتدعه المثال في مقبرة من مقابر « مير »^(١) ، فرى أنه بدلا من فصل أجزاء المنظر الواحد في صيد الصحراء بخطوط أفقية مما كان يشوّه وحدتها ، استعاض بدلا من هذه الخطوط التي كانت تقطع حبل الاتصال في المنظر بخط ملتو من أعلى يدل على استمرار المنظر ، وكذلك نجد نفس المتفنن قد ابتدع بدلا من الصور الهزلية الجميلة التي كانت تبالغ في تصوير الحقيقة صورة بدوى هزله الجوع حتى أصبح هيكلًا عظيما يسوق قطع^(٢) الماشية إلى قبر سيده ، ثم رسم تقيضا لهذه الصورة النحيلة صورة رجل مسنّ بدين بارز الكرش له رأس أصلع ولحية كثة مشعثة .

الرسم بالألوان — أما فن الرسم بالألوان فقد ظهر في عهد الدولة الوسطى بقوة تفوق التي كان عليها في عصر الدولة القديمة ، وقد كان يستعمل على وجه خاص في المقابر المنحوتة في الصخر ، غير أنه لا توجد أسباب داخلية يمكن أن يعزى إليها كثرة انتشاره في هذه الفترة ، والواقع أنه كان يستعمل من قديم الزمان عند ما كان استعمال النقوش غير ممكن أو بادي الصعوبة ، كما هو الحال في المباني المقامة من اللبن مثل البيوت والمقابر . هذا الى أنه كان سهل المنال في الاستعمال عند ما تكون عملية نحت الأحجار ونقشها

(1) Blackman "Meir", Vol. 1, Pls. II, III.

(2) Ibid, II, Pl. III

تعرضها المصاعب ، أو غير ممكنة ، وهذا هو نفس ما نشاهده في مقبرة « كاي أم عنخ » بالجيزة ويرجع عهدا للأسرة السادسة ، فرى جميع المناظر اللهم إلا حجرة المزار العلوية التي نقشت بصور منحوتة قد رسمت على طبقة من الملاط ، وهذا هو نفس ما اتبع في ترزين جدران الحجر المنحوتة تحت الأرض في مقابر الدولة القديمة ، وبخاصة في « سقارة » و « مير » و « الجيزة » أيضا ، غير أن مقابر الدولة الوسطى كانت في غالب الأحيان منحوتة في الصخور ، وكانت أحجارها تتطلب كذلك من المثال جهدا كبيرا لإخراج نقوش جميلة ، ولذلك كانت طريقة وضع طبقة من الملاط ثم رسم المناظر عليها في الحقيقة أبسط وأقل تكاليف من النقوش المنحوتة . نعم كانت هذه الرسوم أقل تماسكا ، فضلا عن أنه كان من نتائج استعمالها نبذ التظليل الجميل الذي كانت تتماز به النقوش المصرية الفائرة والبارزة على السواء ، وهى التى تحتل مركزا وسطا بين فن نحت التماثيل والرسم بالألوان .

وكان من نتائج كثرة استعمال الرسم بالألوان أن أدى ذلك بطبيعة الحال الى نهضته وازدهاره بدرجة عظيمة ، وذلك أن التفاصيل فى التلوين لم يكن يسبق لها مثيل ، وحسبنا ما نشاهده فى رسم الحيوانات ، بل قد ظهر فيه كذلك تقدم بخطوات واسعة المدى فى التخلص من القيود القديمة ، ولذلك نرى فى رسم حركات الحيوان حرية ملموسة ، هذا الى أن رسم الأشياء المنظورة كانت تمثل كما هى .

الصناعات اليدوية — أما الصناعات اليدوية فقد مرت بعصر ازدهار جديد ، غير أنه لم تبق لنا يد التخريب من تراث هذه الصناعات العظيمة الإنتاج إلا الشيء القليل ، وهو مع ذلك يدل على ما كانت عليه من الفخامة والرونق والبهاء ، ولا أدل على ذلك مما تبقى لدينا من صناعة الخزف الملون الفاحر ، مثال ذلك الدمي التى تمثل أفراس البحر ، ويحتوى المتحف المصرى على نماذج منها . وكذلك توجد منها قطع فى متاحف « لندن » و « فينا » ، وهى بسيطة فى صناعتها ، ولكنها

فى الوقت نفسه فريدة فى حسن تصويرها ، يضاف الى ذلك قطع مختارة من الخزف الملون وأوانٍ مختارة تدل على سلامة ذوق صانعيها .

الصياغة فى هذا العصر — أما ما وصل إليه الصانع من الدقة الفنية وعلو الكعب فى فنه فتدل عليه المجوهرات التى عثر عليها فى «دهشور» وقد فصلنا القول عنها فيما سبق .

والواقع أن كثر دهشور^(١) قد أهدى إلى العالم مجوهرات لأميرات من الدولة الوسطى فريدة فى حسن ذوقها ، من بينها تاجان لا نظير لها فى حلاوة السبك ورقة الذوق .

وقد أصبح طرازهما كلاسيكيا ، هذا إلى صدريات من ذهب مرصع بأحجار ثمينة ، وأساور ، وتعاويذ ، وعقود صيغت من أثنى المواد ، غير أن صياغة الصدريات قد أخذت تحتط بعض الشيء فى أواخر الأسرة الثانية عشرة كما يشاهد ذلك فى الصدرية المنسوبة للملك «أمنمحات الثالث» .

وقد ساد فى صياغة العقود استعمال أحجار «الجمشت» (الأمست) والكزاليين — وكانت تصاغ فى هيئة حبات مستديرة مع حبات الذهب .

أول ظهور الجعارين — وقد ظهر كذلك لأول مرة فى التاريخ المصرى الجعارين كما ذكرنا آنفا ، وقد استعملت فى صور تعاويذ ثم أصبحت يتخذ منها أخنام . وكانت فى بادئ الأمر تستعمل غالبا للزينة .

وقد صنعت من الأحجار نصف الكريمة عارية عن أى نقش ، ثم صنعت بعد ذلك من الخزف المطلق وحليت بأشكال حلزونية على باطنها الذى كان يصنع مسطحا لهذا الغرض . ويمكن الحكم على مقدار ذوق القوم السليم فى اختيار المادة التى

(١) ويجد القارئ قائمة بمجموعة القطع التى كانت ضمن مجموعة «ماك جريجور» من هذه الكنوز ، وقد اشتراها من المصرو «أرل كرتافرون» وباعها ورثته بدرهم إلى متحف «متروبوليتان» بأمريكا (راجع

كانت تصنع منها هذه الجعارين وفي الشكل واللون وعظم انتشارها بما نشاهده في القطع المنتخبة التي عثر عليها حتى في الجبانة الصغيرة جدًا .



شكل رقم ٣٢ (صدرية أمينات الثالث)

الأواني الحجرية — أما الأواني الحجرية فكان استعمالها في الدولة الوسطى يحتل مكانة عالية تلفت النظر — والواقع أن استعمالها وقتئذ كان إحياء للقديم .
حقا لم يلعب استعمالها الدور الذي كانت تلعبه في الأزمان الأولى ، غير أن انتشار صنعها من الأحجار الصلبة كان لا يزال كما كان عليه من قبل ، ولذلك تم لنا الأدوات والزجاجات والأطباق التي عثر عليها مصنوعة من الأحجار عن الذوق المصري الحقيقي . وكان أشرف القوم وعليتهم يستعملون هذه الأدوات في صورة مكبرة ومصنوعة في صور خالية عن كل الرسوم الرخيصة المتبدلة .

صناعة الخزف — أما الخزف فقد اندمجت صناعته في شخصية فن الدولة الوسطى ، ولهذا هجر استعمال الطراز الذي كان شائعا في الدولة القديمة . وقد كان

الاتجاه في هذا العصر يميل نحو الأشكال البسيطة الرشيقة ، هذا إلى أن حب تمييقها وتزيينها قد انتشر ثانية بصورة واضحة . (راجع Junker, "Agypter," pp. 97 ff.)

الأدب في عهد الدولة الوسطى

لا نزاع في أن ما بقى لنا من تراث أدب الدولة الوسطى يعدّ بمثابة مرآة ينعكس عليها انعكاسا صادقا روح العصر الذى تمثله . وفى الحق أن المظهر الروحى لهذا العصر يبرز فى الطليعة بوضوح يتين ، وإن كان غالبا لا يجد من التعابير الخلاصة المتكلفة فى نظرنا ما يعبر به ، كما نجد فى أدب العصر الذى سبقه ، وهو عصر الكارثة التى حلت بالبلاد فى باكورة العصر الإقطاعى ، كما أوضحنا ذلك فى الجزء الثانى من هذا الكتاب (راجع ص ٤٢٦) ؛ ومع ذلك فإن الحركة العنيفة التى قاستها مصر واكتوت بويلاتها كانت لا تزال تهز البلاد فى أوائل العهد الذى نحن بصددده ، ولا أدل على ذلك من تعاليم « أمنمحات » التى تعتبر أهم قطعة أدبية فى هذا العصر فهى وصية جاءت على لسان « أمنمحات » لابنه ووريثه « سنوسرت الأول » ، استعرض فيها الكاتب « خيتى » كل مأساة حياة « أمنمحات » . فهذا الملك العظيم المخلص لبلاده ، وصاحب الانتصارات فى عدة مواقع ، يقف وحيدا وقت الشدة ، ولا أحد يعترف له بجميل ممن كانوا حوله ، إذ قامت ضده مؤامرة فى عقرداره صمد أمامها ولاقى فيها حتفه . ولكنه نصح لابنه من وراء صحائف قبره أن يحتمل أعباء الملك مثله بقلب شجاع . (راجع ص ١٩٠ الخ) .

وفى هذا الوقت نفسه كتبت « نبوءات نفرروهو » وهى تعبد « أمنمحات » فى صورة تنبؤات قيلت فى الأزمان الغابرة (أنظر ص ١٧١ الخ) . وكذلك ألقت مخاطرات « سنوهيت » فى باكورة عهد الأسرة الثانية عشرة وهى عبارة عن حوادث تاريخية حيكت فى ثوب أدبى قصصى ، ويجد القارئ فى هذه القصة مع حوادثها الظاهرة أنها قد اندمج فى نسجها الفنى تنسيق روحى (راجع ص ١٨٧ ، ٢٠٤ ، ٢٣٣ الخ) .

وأخيرا نجد في هذه المجموعة الأدبية «قصة الغريق» وهي لا تقل في الحوادث الخرافية التي تروى عن البحار السندباد المصرى، بل إن مغزاها في تجارب الحياة هو أن يحافظ المرء على شجاعته وثقته بنفسه والهدوء ورباطة الجأش (راجع ص ٢٥٠ الخ) . يضاف إلى كل ما تقدم تعاليم «ختي بن دواوف» لابنه «بيي» وقد فصلنا فيها القول فيما سبق .

هذا من جهة الأدب القصصى والتعليمى ، أما في فنون الشعر فقد وصلتنا من هذا العهد بعض قصائد مديح وأخرى دينية محضة . وكذلك لدينا بعض الأغاني الدنيوية الطريفة . وأخيرا وصلت إلينا مسرحية لتويج الفرعون من عهد «سنوسرت الأول» (راجع كتاب الأدب المصرى جزء ٢ ص ١٩ الخ) .

العدالة الاجتماعية وتعميم المسؤولية الخلقية في عهد الدولة الوسطى

لم ينشأ هذا النظام الحكومى الدقيق ، ولم تظهر تلك الصفات والأخلاق الكريمة التى كان يتخذها حكام الدولة الوسطى نبراسا يسرون على ضوءه من تلقاء نفسها، بل ترجع إلى عوامل إصلاح اجتماعية كانت قد بدأت ترسم خطتها منذ أن قلبت الأوضاع الاجتماعية على أثر سقوط الدولة القديمة ، وانهيار الملكية الضعيفة البغيضة ، وقيام حكم أمراء الإقطاع واستئثارهم بالسلطة . وقد قام بحملة الإصلاح هذه كتاب اجتماعيون قد فصلنا الكلام فيما قام به كل منهم ، فبعضهم كان متشائما ، وآخر كان متفائلا بعض الشيء . وقد رأينا بعض أولئك المتفائلين فى المستقبل ، وإن الملك العادل الذى يتوقع مجيئه قد يكون عاجزا عن أداء رسالته دون أن يساعده طائفة من الموظفين المدول . ولا بد أن القارئ قد أدرك فى قصة الفلاح الفصيح أن الغرض منها هو المساعدة على إنشاء طائفة من الموظفين المنصفين بالكفاية والأمانة حتى يقوم على أكتافهم بناء طبقات العهد الجديد

الذى تسود فيه العدالة الاجتماعية . والآن لا يسعنا إلا أن نتساءل عما إذا كانت تلك المقالات الاجتماعية التى وضعها أعلام الفكر فى هذا العصر قد أصبحت هى الحقيقة المعبرة عن القوى الاجتماعية التى كانت تخبش فى صدور الشعب فى ذلك العهد ؟ والواقع أن هذه المقالات الاجتماعية كان لها أثر عظيم فى نفوس الشعب المصرى فى ذلك العهد ، وفى المهود التى تلت لدرجة أنها كانت تُتخذ بمثابة نموذج أدبى يحتذى حذوه فى عهد الدولة الحديثة ، إذ قد عثر على بعض شظيات فى عهد الدولة الحديثة كتب عليها أجزاء من « قصة الفلاح الفصيح » . غير أنه لدينا أسئلة أخرى ، وهى هل الوثائق التى عثرنا عليها حتى الآن ، وهى الخاصة بكشف النقاب عن حالة قدماء المصريين الاجتماعى والحكومية فى العهد الإقطاعى ، تدل على أن تلك الحملة الكتابية المقدسة التى قامت فى سبيل إرجاع العدالة الاجتماعية قد أدت إلى النتيجة التى كان ينشدها الكاتب ؟ أو هل الآمال فى ظهور المخلص وقيام المثل العليا للحياة الاجتماعية التى تكلم عنها المنتبئون الاجتماعيون أمثال «ابور» و « خع خبر رع سنبل » فى ذلك العصر صراحة قد بقيت مجزأة أحلام ؟ وهل استمرت تلك الصور الكثيرة المحزنة التى قرأناها فى مقالات رجال الفكر المتشائمين أمثال «الرجل الذى سُم الحياة» و « خع خبر رع سنبل » ونصائح « خيتى بن دواوف » التى قبلت على لسان « أمتحات الأول » ، تدل على الحقيقة الواقعة ؟ وهل تلك النهضة التى قامت فى العهد الإقطاعى مترسمة ما يمكن أن يكون الخلق الحقيقى للمجتمع البشرى ورغبته فى التخلص من تلك الأوهام المزججة التى نتجت عن ذلك قد بقيت موجودة دون أن تصل لأية نتيجة إنسانية ذات ثمار ؟ ولقد شاهدنا فى شكوى « خع خبر رع سنبل » (راجع الأدب المصرى القديم ص ٢٩٠) أن آمال الذين ينتظرون ظهور البطل الذى سيخلص البلاد من ويلاتها كانت مؤسسة على ظهور ملك عادل ، فى حين أنه كان من جهة أخرى يوجد مصلحون اجتماعيون لهم آراء عملية أكثر من غيرهم . وهؤلاء كانوا يبحثون فى قلب نظام المجتمع ، متوسلين فى الوصول إلى ذلك بإيجاد جيل جديد من الموظفين العدول . ورغم ما كان

عليه « أمتنحات » من تشاؤم ، فقد ظهرت لنا أدلة قاطعة تبرهن على أنه هو نفسه قد قام بمجهودات ومشروعات دبرت بعناية لتضمن له عهد حكم عادل، وقد تكلمنا عنها فيما سبق . وقد كان الوزير الأعظم في تلك الفترة هولسان حال الفرعون، ويعتبر أهم عضو في الحكومة بعده، كما ذكرنا آنفا . وقد حفظت لنا نسخ من الخطاب الذي كان يوجهه الملك شفويا في ذلك العهد « لوزيره الأعظم » ، غير أن النسخ التي في أيدينا يرجع تاريخها إلى الدولة الحديثة فقط ، أى بعد العهد الإقطاعي ببضعة قرون . وقد كان الملك يُلقي ذلك الخطاب كلما سنحت له الفرصة، عند إسناد مسؤولية الحكم للوزير الجديد . وهذا الخطاب العظيم يقدم لنا الدليل على أن أحلام المتنبئين أمثال « ابور » و « نفروهو » اللذين كان يتنبآن بظهور مخلص للبلاد من شقائهما قد حققت أمانهم فيما له علاقة بالأخلاق الملكية ، إذ أن روح العدالة الاجتماعية الذي كانوا يشعرون به قد وصل إلى الفرعون نفسه ، ثم انتشر حتى في نفس كان الحكومة كما يدل على ذلك نص^(١) هذا الخطاب فاستمع إلى ما جاء فيه :

وكان أعضاء المجلس يجتمعون في قاعة استشارة الفرعون (له الحياة والفلاح والعافية) ؛ وكان الملك يأمر بإحضار الوزير الذي نصب حديثا ويقول له جلالتك: "تبصر في وظيفة الوزير، وكن يقظا للقيام بكل مهامها. انظر ! إنها الركن الركين لكل البلاد . واعلم أن الوزارة ليست حلوة المذاق بل إنها مرة فالوزير هو النحاس الذي يسور حول ذهب بيت سيده، واعلم أن الوزارة لا تعني إظهار احترام الناس للأمرءاء والمستشارين ، وليس الغرض منها أن ينتخب الوزير لنفسه عبيدا من الشعب . واعلم أنه عند ما يأتي إليك سائل منظم من الوجه القبلى ، أو من الوجه البحرى ، أو من أى بقعة من الدولة ، فعليك أن تطمئنه إلى أن المعاملة التي عومل بها كانت وفق القانون ، وأن كل شيء قد تم حسب العرف . فتعطى كل

(1) Breasted, "Dawn of Conscience", p.208-212, 216-217, 342-343.

ذى حق حقه . واعلم أن الأمير يحتل مكانة بارزة ، وأن الماء والهواء يخبران بكل ما يفعله . واعلم أن كل ما يأتية لا يبقى مجهولا أبدا

وبعد ذلك يضع الفرعون لوزير التفصيل التي يجب أن يسير على نهجها في القضايا التي تقدم إليه ، ثم يستشهد له في ذلك بقضية حكم فيها ظلما أو خطأ وزير يسمى « ختي » ، وهو وزير قديم ذائع الصيت من عهد الدولة القديمة إذ يقول : ” انظر إن ما ألقته عليك مدون في تعيين الوزير في « منف » عند ما كان ينطق به الملك ليحث الوزير على الاعتدال احذر ما قيل عن الوزير « ختي » فإنه حكى عنه أنه جار في حكمه على بعض عشيرته الأقربين مماثل أجنبيا خوفا من أن يتهم بخيانة أقاربه خيانة منه ، وأنه عند ما استأنف أحدهم هذا الحكم الذى أصدره ضدهم أصر على حكمه المجحف . واعلم أن ذلك يعدّ تخطيا للعدالة ، فلا تنس أن تحكم بالعدل ، لأن التحيز يعدّ طغيانا على الإله . وهذا هو التعليم (الذى أعلمك إياه) ، فاعمل وفقا له .

وعامل ما تعرفه معاملة من لا تعرفه ، والمقرب من الملك كالمبعد عنه ، واعلم أن الأمير الذى يعمل بذلك سيستمرّ هنا في هذا المكان (أى كرسي الوزارة ولا تقضبن على رجل أخطأ ، بل اغضبن على من يجب الغضب عليه . اجعل نفسك مهيب الجانب ، ودع الناس يهابونك ، والأمير لا يكون أميرا إلا إذا هابه الناس ، واعلم أن الخوف من الأمير يأتى من إقامته للعدل .

واعلم أن الرجل إذا جعل الناس يخافونه أكثر مما يجب دل ذلك على ناحية نقص فيه في نظر القوم . ولذلك لن يقال عنه إنه رجل بمعنى الكلمة . واعلم أن رهبة الأمير تبعث الخوف في نفس الكاذب ، عند ما يعامله الأمير حسب خوفه منه . واعلم أنك ستصل إلى ذلك إذا جعلت العدل رائدك في عملك . تأمل ! دع الرجل الذى يؤدّى وظيفته يعمل حسبما يؤمر به ، واعلم أن نجاح الرجل هو أن يعمل حسبما يقال له ، ولا تتوان قط في إقامة العدل والقانون الذى تعرفه .

واعلم أنه جدير بالملك أن لا يميل إلى المستكبر أكثر من المستضعف . انظر في القانون الملقى على عاتقك (تنفيذه) ” . ولاحظ في هذه الوثيقة الحكومية أن أهم تشديد فيها منصب على العدالة الاجتماعية ، فلم يكن الغرض من الوزارة إظهار مالاً للأمرء والمستشارين من فضل على غيرهم أو استعبادهم أى فرد من أفراد الشعب ، بل إن كل عدالة تجرى بتطبيق القانون في كل قضية ، ويجب على الوزير ألا ينسى أن وظيفته بارزة جداً ، ولذلك كانت كل تصرفاته معروفة شائعة بين الناس حتى أن المياه والرياح كانت تذيع أخباره بين الأنعام . على أن العدالة لا تعنى أن يقع أى ظلم على من كانوا من أصحاب المكانة السامية كما حدث في القضية المشهورة التي حكم فيها « خيتي » ضد أقاربه ، مع أن الحق كان في جانبهم ، وهذا لا يتفق مع العدالة المنشودة . هذا وتعنى العدالة من جهة أخرى الحياد المطلق والمساواة بين الناس دون تمييز فرد على فرد ، فيكون سواء لديك من تعرفه ، ومن لا تعرفه ، ومن قرب من الملك ومن لا علاقة له بأحد من بيت الملك .

وإدارة الأمور على هذا النحو تضمن للوزير الاستمرار الطويل في وظيفته . ومن الواجب المحتم على الوزير أن يظهر منتهى الحزم عند الغضب ، إذ من واجبه أن يكبح غرر جراح غضبه ليكسب بذلك احترام الشعب له ، ورهبتهم منه ، ويجب أن يكون عماد هذه الرهبة الوحيد إقامة العدل من غير تمييز ، لأن الرهبة الحقيقية من الأمير هي إقامة العدل ، ومن ثم لا يكون في حاجة إلى بعث خوفه في نفوس الناس بالشتة والغطرسة ، إذ أن ذلك يولد تأثيراً كاذباً عنه بينهم ، لإقامة العدل كافية وحدها لأن تكون لهم رادعاً . والناس يتطلعون إلى العدالة في ديوان الوزير ، لأن العدالة كانت قانونه المعتاد منذ أن قام بالحكم إله الشمس فوق الأرض . ولقد كان قدماء المصريين في العهد الإقطاعي ينظرون إلى ذلك بتأقب النظر إلى الوراء خلال ألف السنة التي مكثها اتحاد مصر الثاني إلى عهد الاتحاد الأول الذي كان قائماً في « عين شمس » . ومنذ ذلك العهد كان الوزير هو

الشخص الذى يذكر فى أمثالهم بأنه سيقم العدل بين الناس كلهم ، فنجاح الرجل كان يتوقف على قدرته فى تنفيذ تلك التعليقات واتباعها « وعلى ذلك لا تتوان فى تصريف الأمور بالعدل » ولا تنس أن الملك يحب الضعيف ومن لا ناصر له أكثر من المستكبر .

أما فيما يختص بالأراضى التى يحتمل أنها تكون ثروة الملك وكذلك فيما يختص بالموظفين المكلفين برعايتها فإن الملك قد حتم ذلك القانون الذى يسمى بحق دستور إعلان الحقوق للفقراء بالكلمات التالية : « راع القانون الذى ألقى على عاتقك » . ويجوز أن رؤية الملك المثالى الذى ذكره « أبور » أمام البلاط ، أو الرؤية المظلمة لصورة الفساد التى صورها « الرجل النعس » ، أو رؤية ذلك المنظر الرائع الذى دل على الاضطهاد الرسمى ، وهو الذى كشفته قصة الفلاح الفصيح ، هى التى أحاطت العرش الملكى بنور فياض من العدالة الاجتماعية ، حتى أن تنصيب رئيس الوزراء رئيسا لقضاة البلاد جميعا ، قد جعل الملك يلقي خطبة العرش هذه فتكون بمثابة تصريح رسمى من رئيس البلاد الأعلى إلى موظف منفذ للعدل ، ويشمل كل المبادئ الأساسية التى تقوم عليها العدالة الاجتماعية .

ويمكننا إذا أن نقول بحق بناء على ما ذكرنا أن تلك الوثيقة الرسمية المملوءة بروح العدالة الاجتماعية إلى حد بعيد كانت النتيجة المباشرة لتلك المقالات الاجتماعية التى دونها فى هذا الكتاب وفى الجزء الثانى من هذه المجموعة .

وتوجد أدلة كثيرة على صحة هذا الاستنتاج ، إذ أن نفس الاحترام الذى أظهره الفرعون فى هذه التعليقات بتفضيله الضعيف على المستكبر أو العنيف القلب يوجد مثله فى تحذيرات « أبور » ، وعلى وجه عام فإن قانون تنصيب الوزير يتفق تمام الاتفاق مع تعاليم تلك المقالات المصرية الاجتماعية السالفة الذكر .

وسواء أكان المقصود من سياسة الملك الاجتماعية المذكورة فى مقاله ذلك هو إجابته الخاصة عن تلك المقالات أم أوحى به إليه ، فليس لذلك أهمية ذات شأن ،

إذ كان من الظاهر جدا أن موضوع « الوعى » فى ذلك العصر الإقطاعى قد صار يعد شيئا أكثر من مجرد تأثير خاص بسلوك الفرد، فقد صار الضمير فى الواقع قوة اجتماعية ذات تأثير عظيم على الحياة الاجتماعية لأول مرة فى التاريخ البشرى .

ومن الواضح أن الفرعون قد صار متقادا لنفوذ رجال الفكر الأدبى فى ذلك ، وبهذا صارت سياسة العدالة الاجتماعية تكون جزءا من هيكل النظام الحكومى . وقد انتهى عهد تلك الأيام الخالية التى كان يعتبر فيها سلوك الإنسان الخلقى مرضيا برضاء الأب ، والأخوة ، والأخوات فقط . وجاء العهد الذى يصح أن نسميه عصر الوعى الاجتماعى ، وهو الذى يحلوه بزغ عصر الأخلاق والمسئولية الخلقية العامة . وقد رأى أنصار ظهور البطل المخلص الاجتماعى أن حلمهم قد تحقق بظهور الملك العادل عند ما اعتلى « أمتنحات الأول » عرش الملك ، ولكننا من جهة أخرى نسأل عما صار إليه المصلحون الذين كانوا أقل سموا فى مطامعهم ، وأعنى بهم الذين كان أساس آمالهم إنشاء جيل جديد من الموظفين العدول كما جاء فى قصة الفلاح الفصيح .

وحقيقة الأمر أنه لا يمكننا أن نفصل المنهاجين أحدهما عن الآخر، لأن حكم الملك العادل لا يكون له تأثير بمفرده قط ، إذا لم يعتمد على طائفة من الموظفين العدول ليقوموا بتنفيذ السياسة الملكية العادلة . وقد كان الملك « أمتنحات » يؤمن بتلك الحقيقة ويرقبها ، ولكن لما كان هذا الفرعون غير واثق بالناس ، فإن آماله فيهم كانت ضعيفة ، مما جعله يرى أن استقامته بمفرده لا تأتى بالنفع المنشود . على أن مؤلف قصة الفلاح الفصيح الذى نجهل اسمه للآن كان يتطلع إلى ظهور نتائج ما كتبه ، وأن لدينا بعض الأدلة التى تثبت أنه لم يخفق فيما كانت تصبو إليه نفسه ، بل تحققت أمانيه . وقد أبقت لدينا يد الدهر عددا قليلا من الوثائق التى كشفت لنا عن كيفية سير نظام الحكومة المصرية فى ذلك العهد . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فإن النقوش الجنائزية التى دؤنت على مقابر حكام المقاطعات

والموظفين في ذلك العهد الإقطاعي قد كشفت لنا عن العقائد الاجتماعية لذلك العصر، ولا أدل على ذلك من النقوش التي وجدت على جدران مقبرة « أميني » ، فهي في الواقع تعدّ أثرا جليل القدر في التاريخ الاجتماعي لذلك العهد ، إذ يسهل لنا على الأقل أن ندرك بعض التأثير على جيل الموظفين الجديده . وكذلك النقش الذي تركه لنا مدير مكتب الوزير في عهد « سنوسرت الأول » ، فقد ذكرناه فيما سلف . ويخيل لنا عند ما نقرأ هذين النصين أننا نسمع في هذين السجلين صدى الأوامر التي صدرت للوزير عند تنصيبه . وبخاصة في العبارة التي يقول فيها « أميني » ” إني لم أرفع الرجل العظيم فوق الرجل الخفير في شيء أعطيته إياه “ . وإنه لمن السهل علينا أن نعتقد أن أميراً كذلك الأمير كان حاضراً بالبلاط الملكي وسمع الفرعون وهو يلقى تلك الأوامر على رئيس وزرائه عند تنصيبه . وإذا كانت إدارة « أميني » لمقاطعته قد وصلت إلى أي حدّ مما يدعيه فيما كتبه ، فإنه يجب علينا أن نستخلص هنا من ذلك أن تلك الأوامر الاجتماعية التي فاه بها الحكماء الاجتماعيون أمام البلاط الملكي كانت معروفة بدرجة عظيمة ومنتشرة في طول البلاد وعرضها . وإذا وصل بنا الاستنتاج إلى المثل الأعلى للرق الخلقى الذي ذكرناه هنا ، فإنه لا يغرب عن الذهن أنه أراد أن يحدث مثل هذا التأثير كما نقرؤه في تاريخ حياته . وهذه الحالة تنطبق كذلك على سجلات حكام المقاطعات الأخرى في نفس ذلك العصر . وهذه السجلات نقشت على صخور محاجر المرمر في « حتنوب » ، وتحتوى على عدّة تأكيدات من صنف الوثيقتين السابقتين إذ تقص علينا أن الأمير كان رجلاً خلص الأرملة وواسى المتألم ، ودفن المسنّ ، وأطعم الطفل ، وحمل عبء مدينته كلها في زمن الجذب . وهو الذي أطعمها في وقت القحط ، وهو الذي زوّدها بسخاء حتى أن عظماءها صاروا مثل أصاغرها .

وكذلك افتخر في عهد « سنوسرت الأول » شريفان في ترجمة حياتهما بأنهما كانا قاضيين يقومان بتأدية وظيفتهما بالعدالة وبدون محاباة ، وأنهما كانا لا يفكران

في مكافأة (رشوة) يأخذانها ، وقد قصا علينا افتخارهما كذلك بنفس لغة النصائح الموجهة إلى « مريكارع » . فهما بذلك يظهران أن المثل العليا الاجتماعية التي فاه بها ذلك الملك الحكيم في العهد الإهناسي كانت لا تزال ذات نفوذ بعد قرون مضت على النفوذ بها في ذلك العصر الإقطاعي . فمن البدهي إذا أن المثل العليا للعدالة الاجتماعية التي كانت تحتل مكانة بارزة جدًا في أدب ذلك العصر لم يقتصر تأثيرها على الملك وحده ، بل كان كذلك لما أثرها العميق بين طبقة الحكام في كل مكان .

وحينئذ يمكننا أن ندرك منها حدوث انقلاب عظيم . فالتشاؤم الذي كان ينظر بمنظاره رجال العصر الإقطاعي الأول للحياة الآخرة ، ويتأملون به مصير الجبانات المخزبة التي يرجع تاريخها إلى عصر الأهرام ، أو اليأس الذي كان يغمر بعضهم في الحياة الدنيا ، كل ذلك قد قوبل بتيار مضاد بكلمات تنشد الحق والعدالة الاجتماعية . وهذه الكلمات قد أخرجت للناس في صورة نصائح وقصص ملؤها الأمل على لسان أولئك المفكرين الاجتماعيين ، وهم رجال رأوا الأمل في القيام بالمجهودات الإيجابية التي توصل إلى الغرض المنشود .

وعلى ذلك يجب علينا أن نعتبر تحذيرات « ابور » وتنبؤات « نفرروهو » وقصة الفلاح الفصيح من الأمثلة التي تستدعي الاهتمام بالقيام بمثل تلك المجهودات كما يجب أن نتعرف في كتاباتهم أنها تعبر عن الأسلحة التي استعملها أقدم طائفة قامت بحروب مقدسة في سبيل توطيد الأخلاق والمجتمع البشري .

والواقع أن منتهى ما كان يرغب في الوصول إليه رجل مثل « ابور » هو خطاب العرش الذي كان ألقاه الملك عند تنصيب رئيس الوزارة .

والحقيقة أن الملك الذي كان في إمكانه أن يلقي خطابا مثل هذا ليقرب في سموه من ذلك الملك الأمل الذي كان يحمل « ابور » بظهوره ، ومثل الملك الذي اعتقد « نفرروهو » أنه قد عثر عليه . على أن لدينا ما يحملنا من جهة أخرى على الاعتقاد بأن « أميني » أمير مقاطعة الغزال لا يبعد أن يمثل بحق جيل الموظفين

الجدد العدول ، وهم الذين كان يؤمل مؤلف قصة « الفلاح الفصيح » أن يراهم قائمين بأعباء الحكومة في مصر .

ويلاحظ أن استحسان الأسرة لسلوك الفرد لم يعد كافيا في ذاته ، فقد نما عصر تفكير في المثل العليا للسلوك الشخصي تشمل طبقات بأسرها من المجتمع ، وهو السلوك الذى يكون عرضة لحكم المجتمع عليه . وهذا الحلم الاجتماعى قد وضع الآن في فم إله الشمس ، فقد قال ذلك الفلاح الفصيح لمدير البيت العظيم : ” أقم العدل لرب العدل “ ، وكذلك كان يشير في كلامه إلى هذه الكلمة الطيبة التى خرجت من فم « رع » نفسه ” تكلم الصدق وافعل الصدق “ وفيها يذكر أن « الصدق » معناه كذلك الحق والعدالة « ماعت » . وقد رأينا في أوامر الملك للوزير أن ذلك المنهاج الخاص بالشفقة الاجتماعية والعدالة ، وهو الذى يفضل فيه الملك الرجل الضعيف ، ومن لا ناصر له على الرجل القوى المستكبر قد يرمى بوضوح إلى غرض دينى ينسب إلى الإله فيقول الملك في ذلك : ” إنها لعنة من الله أن يظهر الإنسان تمييزا أو محابة “ ، ولذلك ترى أن إدراك العدالة الاجتماعية عندما وجدت منفذا عمليا لظهورها أولا في الملكية المثل ، ثم بعد ذلك في أخلاق الفرد المكلف بإقامتها انعكست صورتها على أخلاق إله الشمس ونشاطه ، وهو الملك الأمثل ، وبذلك صار وجوب المحافظة على العدالة الاجتماعية التى أخذ الناس يشعرون بها في قرارة أنفسهم أمرا إلهيا ، واعتقدوا في الحال أن مقت أنفسهم للظلم هو مقت الإله للظلم ، وبذلك صارت مثلهم العليا في الأخلاق هى كذلك مثل الإله . فاكتمسب بهذا المظهر الجديد قوة مسيطرة جديدة . وحينئذ كان من السهل علينا أن نعتقد زيادة على ما ذكرنا أن العدالة هى القانون التقليدى لوظيفة الوزير منذ الزمن الذى كان يحكم فيه إله الشمس مصر . وكذلك كان حكم الفرعون الذى صار وراثيا مدة ألفى سنة منذ تأسيس اتحاد مصر الأول ، وكان المفروض فيه أنه استمرار لسريان دم « رع » وسلالته ، فكان كذلك مستمرا في إقامة نظام العدل القديم

الذى أقامه إله الشمس على الأرض . وقد ألقى الملك أمره بكل وضوح على الوزير ، غير أنه لم يتردد في الوقت نفسه في الالتجاء إلى المحكمة العليا ، فكان على الوزير أن يقيم العدل ، لأن الإله الأعظم الذى يشرف على الحكومة يمتك الظلم ، وليس ذلك اتباعا لأمر الملك وحسب .

ويرجع تأثير مثل تلك المثل العالية للعدالة الاجتماعية التى وجدت سبيلها إلى الحكومة بدرجة عظيمة إلى الحالة التى انتشرت بين كل طبقات الشعب — والواقع أن مثل هذه العقائد . لو كانت أعلنت بين أفراد الشعب المصرى فى شكل مبادئ معنوية ، لما لفتت إليها الأفكار ، ولما أحدثت إلا أثرا ضئيلا ، بل قد لا يكون لها أثر بالمرة . يضاف إلى ذلك أن المصرى كان يفكر دائما فى الصور المحسنة ، فهو مثلا لا يفكر فى معنى الحب ، بل فى الحب ، ولا يفكر فى الفقر ، بل فى الرجل الفقير ، وهلم جرا . ولذلك لم يبصر الفساد الاجتماعى ، بل شاهد المجتمع الفاسد ولهذا كان الوزير « بتاح حتب » رجلا قائما بأعباء الوظيفة بإيمان سليم فى قيمة السلوك الحق والإدارة الحقة لخلق بذلك السعادة ، وسلم إرث تلك التجربة إلى ابنه (راجع الجزء الثانى ص ٤١٧ الخ) ، ولذلك فإن « الرجل التمس » كان قد حلّ به الظلم الاجتماعى ، فمبع عنه فى صورة الروح البائس الذى يعبر عن يأسه وأسبابه (أنظر الجزء الثانى ص ٣٢٩ الخ) . ولذلك كان « أبور » أيضا رجلا تسكن فى نفسه الرؤية التى أدركت كلا من الفساد الفتاك بالمجتمع ، والحلم الذهبى بظهور الملك الأمثل الذى يصلح كل شئ . ، وكذلك كان الفلاح الفصيح أيضا رجلا يتألم من اضطهاد الموظفين له ، ويصرخ بأعلى صوته مستغنيا من ذلك الظلم ، ولذلك كانت الأوامر التى جاءت على لسان الملك « أمننحات الأول » أيضا تظهر فى أنه يتألم من الخيانة المخزية التى حدثت له وجعلته يحذر ابنه أن يضع كل ثقة بالناس ، وذلك بإلقاء تجاربه تلك بين يدي ابنه « سنوسرت الأول » .

ولذلك كان من اللازم أن تكون هذه العقائد أو التعاليم التي تعزى إلى أولئك المفكرين الاجتماعيين في شكل تمثيلي ، أو كان يعبر عنها في صورة محاورات نشأت عن تجارب وحوادث مثلت كأنها حقائق واقعية .

ولا نزاع في أن تلك الأبحاث الأخلاقية والفلسفية التي تلقى في صورة محاورات بعد التمهيد لها بمقدمة تجعل كل البحث في هيئة قصة ، كان لها أثرها في ظهور الشكل الحوارى في « آسيا وأوربا » .

وقد لاحظنا من قبل أن المثل العليا الاجتماعية قد نالت في العهد الإقطاعى سلطة مقدسة ، كما أنها عزيت إلى أصل إلهى .

وإنه لمن المهم أن نفحص هنا الدليل على قيام الحقيقة ، وثبتت بصفة قاطعة شخصية هذا الإله الذى كان يلتجئ إلى سلطانه رجال المثل العليا الاجتماعيون ، وهذا المثل الأعلى في الاجتماع ، وهو أقدم شئ من نوعه ، كان بلا جدال مرتبطا بحكم إله الشمس على الأرض ، وهو الذى نعرف أنه كان فى بادئ الأمر إلهاً للشئون البشرية أيضا فى عالم الأحياء ، فى حين أن « أوزير » كان إلهاً للوتى . ولا نزاع فى أن « رع » إله الشمس كان هو الملك الأمثل ، وهو الذى كان يحدد بهاء حكمه الخلقى فى الفرعون الذى كان خليفته على الأرض ، ولذا كان يسمى دائماً ابن الشمس .

ولقد التجأ الملك فى أوامره إلى رئيس وزرائه بأن يجعل ما يضعه من قواعد الحكم منطبقا على حكم إله الشمس : وجريا على تقاليد المتبعة وهو الإله « رع » الذى كان صاحب السيادة على أفكار أولئك الفلاسفة الاجتماعيين فى العهد الإقطاعى ، لأننا نجد مثلاً فى أغنية الأعمى الضارب على العود (انظر جزء ٢ ص ٤٢٤) أنه حتى مومية المتوفى قد وضعت أمام إله الشمس ، وكذلك كان يتطلع إليه « الرجل التعس » ليبرئه فى الآخرة . وقد كان « خع خبر رع سنب » كاهنا لإله الشمس بمدينة « هليوبوليس » وكانت رؤية « إبور » للملك الأمثل الذى سيأتى فى المستقبل

ليخلص البلاد قد برزت إليه من ذكريات النعيم المقيم لحكم « رع » عند ما كان يقطن على الأرض بين الناس ، في حين أن ملخص كل شكاوى الفلاح الفصيح كانت تنحصر في هذه الكلمة الطيبة التي خرجت من فم « رع » نفسه وهى : ” تكلم الصدق ، وافعل الصدق (الحق) لأنه عظيم وإنه قوى ودائم “ .

فالواجبات الخلقية التي تظهر في اللاهوت الشمسى ليست إذا إلا صورة لأقدم نظام اجتماعى جديد وجد لم يعرف له نظير في تاريخ العالم .

وقد كان من أهم نتائج الملكية المثل لحكم إله الشمس ، الأمل في تكرار هذا الحكم الذى كان مفعلا بالخير ، وقد كان هذا الأمل هو الذى جلب معه انتظار مملكة تخلص مصر من ويلاتها ستأتى فيما بعد .

ومن الواضح هنا أن علاقة « أوزير » بالمثل العالية للحق والعدالة في ذلك الوقت كان أمرا ثانويا ، لأن « أوزير » كان قد حوكم ثم اتضحت براءته في قاعة « هليوبوليس » العظمى ، أى أنه حوكم أمام محكمة الشمس التي كان معترفا بها أنها المحكمة التي لا بد أن يفوز الإنسان أمامها ببراءته . وقد حدث ذلك في الوقت الذى كانت فيه أسطورة « أوزير » لا تزال في دور التكوين والتأليف .

أما رفع « أوزير » إلى منصب قاض فيما بعد ، فليس إلا صبغا لوظائفه بالصيغة الشمسية على أساس المحاكمة الشمسية التي كانت سائدة في متون الأهرام ، إذ نجد في تلك المتون أن « أوزير » قد صعد بالفعل فوق عرش « رع » السماوى ، ثم نراه الآن يستوى على كرسي القضاء الخاص بالإله « رع » ، وبهذه الكيفية صار إله الشمس المنصرف الخلق العظيم الذى يحاكم أمامه جميع البشر بمقتضى العدالة ، حتى أنه لم يستثن من هؤلاء البشر أحدا حتى « أوزير » هذا . ولا ضرورة للقول هنا بوجود بعض المبادئ الخلقية في العقيدة الأوزيرية المبكرة ، وهى التي نجد بعض الأدلة على صحتها في المذاهب المحلية ، لعمدة آلهة مصرية من عصر الأهرام . ولكن يجب علينا هنا ألا ننسى أن متون الأهرام قد حفظت لنا

بعض المتون التي اعتبر فيها « أوزير » بعيدا جدًا عن أن يكون ملكا أمثل ، أو صديقًا للإنسان ، لأنها تبيط اللثام عن عداوته للوقى وخصومته لجميع الناس (راجع (Sethe, "Pyramiden Textès" 1. 145 b, 146 a) . ولم يظهر « أوزير » حاميا للعدالة بشكل صريح إلا في العهد الإقطاعي . وسنرى الآن أن « أوزير » و « رع » قد وضعا جنبًا لجنب في التفكير الخلقى لذلك العصر . والواقع أنه كان لابد في ذلك الوقت لكل عظيم وكل قوى أن ينتظر المحاكمة أمام محكمة العدل ، على أن يكون كل من الفقير ، ومن لا ناصر له على قدم المساواة معهما في المعاملة وفي الأحكام . وتلك المعاملة لم تذكر فقط في الاعتقادات الدينية أو المبادئ الاجتماعية ، بل ذكرت كذلك رسميا في السياسة الملكية . ولا يكاد يكون هناك أى شك في أن مثل تلك العقائد الخاصة بالعدالة الاجتماعية كما وجدناها في هذا العصر قد ساعدت مساعدة عظيمة على نمو الاقتناع بأن الإنسان الذي يصير مقبولا أمام محكمة عدالة الإله العظيم هو الرجل الذي لا يكون صاحب سلطان وثروة ، وإنما يكون رجل الحق والعدالة . والكهنة الذين كانوا مشغولين باللاهوت في ذلك العصر قد تأثروا تأثرا عظيما بذلك الميل الذي يرمى إلى نشر الديمقراطية (أى تعميم المساواة بين الناس) ، ويكشف لنا عن مقدار ذلك التأثير خطاب أساسى هام لإله الشمس عثر عليه في متون التوابيت الخشبية التي يرجع تاريخها إلى ذلك العصر الإقطاعي فاستمع لما يقول :

” لقد خلقت الريح الأربعة ليتنفس منها الإنسان مثل أخيه الإنسان مدة حياته ، ولقد خلقت المياه العظيمة ليستعملها الفقير مثل السيد ، ولقد خلقت كل رجل مثل أخيه ، وحرمت عليهما إتيان سوء ، ولكن قلوبهم هى التي نكشت بما قلته . ولقد جعلت قلوبهم لا تفعل عن الغرب (الموت) ليقرّبوا قربانا للالهة المحلية “ . وإنه لأمر هام جدًا أن نجد في هذا المتن المساواة التامة بين بنى الإنسان في قوله : ” لقد خلقت كل إنسان مثل أخيه “ . وكذلك أظهر لنا حقيقته الخلقية

في قوله : " ولقد حرمت عليهم السوء ولكن قلوبهم هي التي نكثت بما قلته " مع أن ظهور مثل هذه النظرة إلى الإنسانية ، وهي نظرة قضت على كل الفوارق الاجتماعية في نظر الخالق العظيم عند خلقه للناس ، وجعلهم متساوين أمام المسئولية الخلقية بعد أمرا غربيا ويزيد في غرابته ظهوره قبل المسيح عليه السلام ^(١) بالفى سنة ، فإننا نلاحظ أن ظهور ذلك الرأي كان معاصرا على وجه التقريب لمهد الملك « حمورابى » الذى سن قانونا للعقوبات ليعامل به أهل عصره وقد جاء فيه : إن كل الجرائم والأحكام القضائية ترتب حسب المركز الاجتماعى للجرمين ، أو مكانة المتخاصمين الاجتماعية . وهذه الحقيقة تفسر لنا على الفور السبب الذى من أجله اعتبرنا أضافته المدنية « البابلية » إلى إراثنا الخلقى فى غربى آسيا فى حكم العدم .

ومن ثم نجد أن الحقوق الخاصة التى كان يدعيها العظماء والأقوياء لأنفسهم من الإجلال والسعادة فى عالم الآخرة . أخذت تختفى وتزول فى هذا الوقت . ومن هنا أيضا بدأت المساواة تنتقل إلى التمتع بنعيم الآخرة لجميع البشر على السواء ، ومعنى هذا أن عالم الحياة الآخرة قد صار كذلك ديمقراطيا لكل البشر ، وذلك تبعا للآراء الخاصة بالعدالة الاجتماعية التى ظهرت فى المهد الإقطاعى .

الحياة الدينية فى عهد الدولة الوسطى

لقد كان من نتائج تدهور السلطة فى البلاد بعد سقوط الدولة القديمة أن أصبحت الحالة الاجتماعية فى تأخر ملموس فى كل نواحيها . فقد كان الممار وزخرفة المقابر يظهر فيها الانحطاط من جيل إلى جيل ، وقد كان القوم يحاولون أن يقلدوا المناظر القديمة ، غير أن قلة المال والاستعداد العقلى قد قاما حائلا دون بلوغ ذلك . ولذلك نشاهد ممابقى لنا أن عتاد المقابر أخذ يتضاءل أكثر فأكثر

(١) ولقد ورد فى القرآن « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكروا نثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

حتى أصبح شيئا حقيرا تافها، لأن أهل هذا العصر لم يكن لديهم الموارد التي كانت في يد رجال الدولة القديمة ، وكذلك نشاهد في هذا العصر أن رجال الفن قد اختفوا، ولم يبق إلا أصحاب الحرف والصناعات ، ومع ذلك فإن عصر الانحطاط هذا كان له أهمية عظمى في تاريخ مصر ، لأنه كان من نتائج عو سلطة الأشراف أن قام في البلاد طائفة الطبقة الوسطى لتناهنها ، فاكنتبت من الحقوق ما كان له شأن عظيم في توطيد العدالة الاجتماعية . وإذا كنا نلاحظ أن مقابر هذه الطبقة كانت أبسط بكثير من مقابر هؤلاء الأشراف ، فإننا من جهة أخرى نلاحظ أن المبادئ الأصلية في عبادة الأموات ومعتقداتهم، وهي التي كانت وقفا على علي القوم، قد أصبحت ملكا مشاعا لكل الشعب المصري . ويرجع السبب في ذلك أيضا الى ما قام به رجال الفكر في هذا العصر من حملة شتاء على النظم القديمة العتيقة، والمطالبة بحقوق الإنسان في هذه الحياة وفي الحياة الآخرة، ناشدين الوصول الى مساواة الناس جميعا في الدنيا والآخرة . وقد تكلمنا في الفصل السابق عن العدالة الاجتماعية في هذه الدنيا ، وسنتناول الآن الكلام عن العدالة في حقوق الإنسان في الآخرة ، ومعتقدات القوم عامة في هذه الفترة .

لقد كان من نتائج التخريب والتدمير والفوضى التي حدثت في البلاد في العهد الإقطاعي الأول أن تحولت النفوس الى سوء الظن والشك في فائدة الاستعداد للحياة الآخرة الذي كان مظهره بناء قبر ضخم مجهز بالأثاث الجنائزى ، وبخاصة أن كتاب هذا العصر أخذوا ينادون بعدم فائدة العتاد المادى للتوفى، غير أن المعتنقين لهذا المذهب كانوا فئة ضئيلة جدًا ، وذلك بالرغم من مبالغة الكتاب في هذا الاتجاه ، كما أشرنا الى ذلك فيما سبق . والواقع أن مثل تلك الاتجاهات كانت من جهة من مستلزمات عقيدة التشاؤم واليأس المطلقين، كما كانت من جهة أخرى من مستلزمات الاعتقاد بضرورة التحلى بالقيم الخلقية للحياة الآخرة بدلا من الالتجاء الى الوسائل المادية التي كانت تنحصر في بناء المقابر الضخمة وتزويدها بالأوقاف

والكهنة . وهذا الاعتقاد الخلقى أخذ ينمو ويزداد نفوذه ، غير أن هذه الآراء التى كانت تعتبر ثورية ورجعية على العادات القديمة لم ينحدر فى تيارها اللحم الغفير من الشعب المصرى القديم ، ولذلك لما صارت سعادة الآخرة حقا مشاعا لجميع المتوفين ، كما سنرى ، فإن عامة الشعب الذين كانوا متمسكين بامتيازاتهم هذه الجديدة التى تجعل لهم حق التمتع بذلك المصير السماوى الفخم ، والذي كان منذ زمن بعيد حقا موقوفا على الفرعون فقط ، قد اتخذوا تلك الشعائر الجنائزية ، واستمروا قائمين بالمحافظة على مزاولتها . وقد استمرت العناية بإقامة تلك الشعائر ترداد وتنشردون أى التفتات الى ذلك الصمت البين ، والخراب البادى للذين كافا يحيمان فوق هضبة الأهرام ، وفوق جبانات الأجداد القدامى ، ولذلك نجد أنه بالرغم من أن والد « مريكارع » كان يشعر وهو يلقي تعاليمه لابنه شعورا عظيما بتلك الأهمية الخطيرة التى تنتج من التحلى بالأخلاق القيمة ، فإنه مع ذلك لم يربدا من الإفصاح لابنه بضرورة العناية بإقامة القبور إذ يقول له : ” زين مثواك (أى قبرك) الذى فى الغرب ، وجمل مقعدك فى الجبانة “ ، ثم اضطر أن يضيف الى ذلك قوله : ” كانسان أقام العدالة ، لأن ذلك هو ما يرتكن عليه القلب “ .

ويتضح من ذلك القول أن هذا الملك لم يكن يعتبر القبر الوطيد البنيان وحده كافيا لضمان السعادة فى الحياة الآخرة ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى نجد أن « ابور » قال فى تحذيراته للملك فضلا عن ذلك : ” فإنه من الخير أن تقيم أيدى الناس الأهرام وتحفر البحيرات وتغرس نهائل الجيز للإله “ . والواقع أن فقدان القبر كان يعد فى نظر الموظف الثرى أفظع دليل ممكن على عدم ولائه للفرعون . ولذلك قال حكيم لأولاده : ” لا قبر لإنسان خارج على جلالة الفرعون ، بل إن جثته سيلقى بها فى الماء^(١) “ . ومن أجل ذلك كان كثير من الأشراف فى ذلك العصر يقومون ببناء المقابر وتجهيزها بمعدات جريا على ما كانت عليه الحال قديما .

(١) راجع تعاليم « سنجب ابرع » ص ٣١٣

وحقيقة الأمر أنه لم يعد فى قبضة يد الفرعون ذلك السلطان المطلق على رجال الحكومة حتى يمكنه أن يتخذ منها مجزء العامل السامى المنظم لإقامة المقبرة الملكية الهائلة ، ومع ذلك فإن الموظفين القائمين بإقامة مثل تلك المقابر لم يترددوا طرفة عين فى موازنة تلك المقابر بجبانة الجيزة ، وقد كان ذلك من باب المبالغة . فقد أظهر مثلا « مرسى » أحد مهندسى الملك « سنوسرت الأول » ارتياحه العظيم عند ما كلف من قبل الملك بإقامة مثوى له أبدى تفوق شهرته « روستاو » (أى جبانة الجيزة) ، وهى المنطقة الممتازة الخاصة بالآلهة . فكانت تُحمد ذلك المثوى تخترق السماء ، والبحيرة التى حفرت هناك قد وصلت إلى النهر ، وأبوابه العظيمة المناطحة للسماء فى طولها قد أقيمت من أحجار « طرة » البيضاء .

وقد فرح الإله « أوزير » رئيس أهل الغرب بكل آثار سيدى (الملك) ، ولقد سررت أنا نفسى وكان قلبى مبتهجا بما قد قمت بإنجازه ، و « المثوى الأبدى » هذا هو قبر الملك ، ويشتمل كذلك على المزار أو المعبد الجنائزى الذى كان قد أقيم قبالة كما يدل على ذلك الوصف المذكور . ومع أن مقابر الإقطاعات لم تعد تبني حول هرم الملك ، كما كانت يفعل الأشراف ورجال البلاط فى عهد بناء الأهرام ، إذ صارت الآن قبور الأشراف مبنية فى الإقطاعات فى طول البلاد وعرضها ، فانهم مع ذلك قد استمروا يتمتعون الى حد ما بالهبات الجنائزية التى تصرف من الخزانة الملكية . وكانت الصيغة الدينية الجنائزية المألوفة فى ذلك الوقت هى «قربان يهديه الملك» . وهى نفس الصيغة التى كانت شائعة الاستعمال فى المقابر التى حول الأهرام . وقد صارت تنقش بكثرة فى ذلك الوقت على جدران مقابر الأمراء والأشراف ، وعلى أية حال فإن هذه الصيغة لم تصبح بعد مقصورة على مقابر عليّة القوم . إذ باتساع انتشار المذهب الدينى الذى كان خاصا بالأشراف بين عامة الشعب صار من العادات المعروفة المتفق عليها عند القوم أن يتضرع كل إنسان إلى الملك حتى يعطيه نصيبا من تلك الهبات الجنائزية الملكية ، ولذلك نجد كل

طبقات المجتمع حتى أحقر العمال من المدفونين في « العراية المدفونة » وغيرها كانوا يتضرعون لنيل « قربان يهبه إليهم الملك » ، بالرغم من أنه كان يستحيل أن يتمتع عامة الشعب بامتياز كهذا .

على أننا لم نحصل على فكرة ما عن تلك العادات البهيجة الخاصة بتكوين المتوفى في الحياة الآخرة إلا في العهد الإقطاعي ، وهي تلك العادات التي صارت الآن متأصلة في حياة الشعب المصري القديم .

وقد حفظت لنا المقابر التي لا تزال باقية إلى الآن في مقابر مقاطعات الوجه القبلي بعض بقايا تلك الشعائر اليومية العادية ، وكذلك ما كان خاصا منها بالاحتفالات والأعياد التي كان الشعب يظن أنه بها يدخل السرور على الذين رحلوا عن دار الدنيا إلى دار الآخرة ، حتى تصير حياتهم أكثر مرحا وأعظم حيورا . وهذه الاحتياطات نفسها كانت متبعة في عصر الأهرام عند الأشراف أيضا ، إذ نجد أن الشريف « زفای حمبی » الأسبوطي المنبت ، وأمير مقاطعة « سيوط » الذي كان يعيش في عهد « سنوسرت الأول » قد أقام لنفسه تمثالا في كل من المعبدین الرئيسیین فی المدينة ، أى أنه أقام تمثالا في معبد الإله « و بوات » ، وهو الإله المحلى القديم لذلك المكان ، وكان يمثل في صورة ذئب ، ومن ذلك الاسم باليونانية اشتقت المدينة اسمها « ليكو بوليس » (بلد الذئب) . أما التمثال الآخر فقد أقامه في معبد « أنوبيس » وهو إله معروف في صورة كلب أو صورة ابن آوى ، وقد كان ذلك الإله يوما ما أحد الآلهة المناهضين للإله « أوزير » ، وقد ترك الأوقاف الخاصة لإقامة الشعائر والاحتفالات للآلهة ، ولتقديم الطعام اليومي لروحه (كا) في مقبرته . وقد قمش على جدران مقبرته شروطا عشرة لإقامة هذه الاحتفالات وتقديم الطعام ، وهي توضح لنا الحياة الدينية في هذا العهد . وقبل أن نتكلم عن هذه الاحتفالات سنضع أمام القارئ ترجمة حرفية لهذه الشروط العشرة وهي :

شروط الوقف العشرة^(١)

المنقوشة على جدران معبد الأمير « زفاى حجي »

الشرط الأول — (٢٧٣ — ٢٩٦) الشرط الذى تعاقد عليه الأمير

الإقطاعى ، ورئيس الكهنة المسمى « زفاى حجي » صادق القول مع كهنة الساعة^(٢) لمعبد الإله « وبوات » سيد « سيوط » :

(١) أن يقدم رغيف من الخبز الأبيض من كل كاهن مطهر لتمثاله الذى فى معبد « أنوبس » سيد « رقررت » فى أول يوم من أيام النسيء ، وذلك عند ما يسير الإله « وبوات » سيد « سيوط » إلى معبده .

(٢) ما يقدم لهم فى مقابل ذلك نصيبه فى الثور الذى يقرب إلى « وبوات » سيد « سيوط » فى معبده عند ما يذهب إلى هناك ، وهو نصيبه من اللحم المقرب ، وهو ما يستحقه أمير المقاطعة .

(٣) وقد تكلم لهم قائلا : ” انظروا لقد أعطيتكم هذا القربان من اللحم الذى استحقه من المعبد ، وذلك فى مقابل أن تقدموا إلى هذا الخبز الأبيض “ . وعلى ذلك قدموا له نصيبا من الثور لتمثاله المعهود به إلى كاهن لروحه « كا » ، ومن أجل ذلك أعطاهم قربان اللحم هذا .

(٤) وقد سروا بذلك .

الشرط الثانى — (٢٧٧ — ٢٨٢) الشرط الذى تعاقد عليه الأمير

الإقطاعى رئيس الكهنة « زفاى حجي » صادق القول مع كهنة الساعة لمعبد الإله « وبوات » سيد « سيوط » .

Griffith, “The Inscriptions of Suit and Deir el Rifeh”, Pl. VI, (١)

1, 273 ff.

(٢) كهنة الساعة هم الكهنة غير الرسميين الذين كانوا يتأربون العمل كل شهر .

(١) أن يقدم رغيف من الخبز الأبيض من كل منهم لتتاله الذى فى حراسة كاهن روجه ، فى اليوم الأول من الشهر الأول من الفصل الأول وهو يوم السنة الجديدة، وذلك عندما يعطى البيت سيده ، بعد إنارة المصباح (الشعلة) فى المعبد ، وأن يخرجوا خلف كاهن روجه عند الاحتفال بتنعيمه (أى جعله روحا منما) إلى أن يصلوا إلى الركن الشمالى من المعبد ، كما يفعلون عندما ينعمون موتاهم أنفسهم المحترمين فى اليوم الذى يضاء فيه المصباح (الشعلة ؟) .

(٢) وما يقدمه لهم فى مقابل ذلك هو ميكال « حقات » (جالون) من شعير الشمال من كل حقل من حقول الوقف ، من باكورة محصول ضيقة حاكم المقاطعة طبقا لما يقدمه كل رجل سيوطى معناد من باكورة حصاده ، وذلك لأنه أول إنسان يجعل كل فلاح من فلاحيه يقدمها (الباكورة) لهذا المعبد من باكورة حقله .

(٣) وقال : ” انظروا ! إنكم تعلمون أن التخل عن أى رجل عظيم ، أو رجل يقدم شيئا للمعبد من باكورة حصاده ، ليس بالحسن له ، وليس هناك أمير مقاطعة ينقص فى زمانه من شرط أمير آخر عمل مع الكهنة المطهرين فى زمانهم ، يضاف إلى ذلك أن هذا الشعير يجب أن يكون ملكا لكهنة الساعة للمعبد كل على حدته ، أى لكل كاهن مطهر سيقدم لى هذا الرغيف من الخبز الأبيض ، ويجب أن لا يقسموه (أى الشعير) بين أولئك التابعين لشهر بعينه ، وذلك لأنه يجب عليهم أن يعطوا هذا الخبز الأبيض كلا على انفراد “ .

(٤) وقد سروا بذلك .

الشرط الثالث — الشرط الذى تعاقد عليه أمير المقاطعة ورئيس الكهنة « زفاى حمبي » صادق القول مع هيئة موظفى معبد الإله « وبوات » ، لأجل أن يقدم له خبز وجعة ، فى اليوم الثامن عشر من الفصل الأول وهو يوم عيد « واج » :

(١) قائمة « بما يقدمونه له » :

رغفان خبز أبيض	رغفان خبز قمر	آنية قبي من الجمعة	قائمة بأسماء هيئة الموظفين
١٠	٤٠٠	٤	الكاهن الأعظم
٥	٢٠٠	٢	الحاجب
٥	٢٠٠	٢	كاتب السر
٥	٢٠٠	٢	حافظ الملابس
٥	٢٠٠	٢	رئيس الحجرة الواسعة
٥	٢٠٠	٢	المشرف على المعبد
٥	٢٠٠	٢	كاتب المعبد
٥	٢٠٠	٢	كاتب مائدة القربان
٥	٢٠٠	٢	المرتل

(٢) أما ما قدمه مقابل ذلك فهو ٢٣ يوما من أيام المعبد من متاعه الذى من بيت والده (إرثه من والده) ، وليس من ضيعة حاكم المقاطعة ، منها أربعة أيام لرئيس الكهنة ويومان لكل واحد من الآخرين .

(٣) وقال لهم : " انظروا ! إن يوم المعبد هو $\frac{1}{365}$ من السنة ويجب أن تقسموا كل العطايا اليومية التى تدخل هذا المعبد ، وهى التى تحتوى على خبز وجعة ولحم ، وذلك لأن يوم المعبد ، يحسب $\frac{1}{365}$ من الخبز والجمعة ، وكل شئ يدخل المعبد لكل يوم من أيام المعبد هذه التى قدمتها لكم . واعلموا أنها متاعى الخاص من ضياع والدى ، وليست من ضياع حاكم المقاطعة ، لأنى مثلكم ابن كاهن مطهر ، ولاحظوا أن هذه الأيام (دخل المعبد) ، يجب أن تنتقل إلى هيئة الموظفين

المستقبلين الذين يعملون في المعبد ، لأنهم هم الذين يقتربون لى هذا الخبز والجمعة التى يجب أن أعطاها ” .

(٤) وقد سروا بذلك .

الشرط الرابع — (٢٩٠ — ٢٩٥) الشرط الذى تعاهد عليه حاكم المقاطعة ورئيس الكهنة « زفاى حجبى » صادق القول مع كهنة الساعة لمعبد « وبوات » سيد « سيوط » :

(١) على أن يقدم له رغيف خبز أبيض من كل واحد منهم لتمثاله الذى فى المعبد ، وذلك فى اليوم الثامن عشر من الشهر الأول من الفصل الأول ، وهو يوم عيد « واج » ، وأن يخرجوا خلف كاهن روحه عند تنعيمه (أى جعله روحا منما) عندما ينار المصباح (الشعلة) له ، وذلك على غرار ما يفعلون عند تنعيم أمواتهم المحترمين فى يوم إنارة المصباح (الشعلة) فى المعبد .

يضاف إلى ذلك أن هذا الخبز الأبيض يجب أن يكون فى ذمة كاهن روحه ، أما ما يقدمه فى مقابل ذلك فكان حقيقة من الفصح لكل ثور ، وسلّة من الفصح لكل معزى ، وهى التى كانوا قد اعتادوا أن يقدموها لمخزن حاكم المقاطعة عندما كان يقترب ثورا أو معزى للمعبد ، وذلك فى مقابل ما يجب عليهم دفعه لمخزن حاكم المقاطعة . وهو يقدمها لهم دون أن يجبرهم على أخذها منهم عنوة .

(٢) وكذلك كان يقدم لهم ٢٢ إناء من الجمعة و ٢٢٠٠ رغيف خبز ، وهذه كانت هيئة موظفى المعبد يقدمونها له فى اليوم الثامن عشر من الشهر الأول من الفصل الأول ، وذلك فى مقابل ما يقدمونه ، وهو رغيف خبز أبيض لكل فرد مما هو مستحق لهم فى المعبد ، وكذلك فى « مقابل » تنعيمه (أى جعله روحا منما وهو احتفال خاص يقام على روح المتوفى) .

(٣) ثم تكلم إليهم قائلا : ” إذا أخذ منكم هذا الفصح عنوة على يد أى حاكم مقاطعة فى المستقبل ، فاعلموا أن هذا الخبز وهذه الجمعة يجب ألا ينقص منها ،

وهى التى توزدها لى هيئة موظفى المعبد ، وهى التى قد أسلمتها لكم ؛ تأملوا إني قد تعاقدت معهم عليها ” .

(٤) وقد سروا بذلك .

الشرط الخامس — (٢٩٦ — ٣٠١) الشرط الذى تعاقد عليه حاكم المقاطعة ورئيس الكهنة « زفاى حعبى » صادق القول مع حافظ ملابس معبد الإله « وبوات » :

(١) لأجل ثلاث فتائل ينار بها المصباح (الشعلة) للإله .

(٢) أما ما قدمه « زفاى حعبى » له (حافظ الملابس) فى مقابل ذلك فكان ثلاثة أيام من أيام المعبد ، وثلاثة الأيام من أيام المعبد هذه ستكون مستحقة لكل حافظ ملابس فى المستقبل ، لأن هذه الفتائل الثلاث تكون مستحقة له « زفاى حعبى » .

(٣) ثم تكلم قائلاً : ” إن واحدة من هذه « الفتائل » تقدم إلى كاهن روى بعد أن يكون قد عمل بها ما يجب أن يعمل فى المعبد . ويجب أن يعطى أخرى فى يوم أول السنة الجديدة فى الفجر المبكر ، وذلك عندما يقدم البيت إلى سيده بعد أن يكون كهنة الساعة للمعبد قد قدموا إلى هذا الخبز الأبيض ، وهو الذى يجب أن يقدمه كل واحد منهم منفرداً فى يوم أول السنة الجديدة ، وسيقدم بواسطة كاهن روى عند تنعيمى (أى تعطى له وتستعمل به) ” .

وسيعطى آخر .

فى اليوم الثامن عشر من الشهر الأول الفصل الأول وهو يوم عيد « واج » فى الوقت نفسه مثل الخبز الأبيض الذى يقدمه كل واحد من الكهنة المطهرين ، وهذه الفتيلة ستخرج بواسطة كاهن روى عند تنعيمى (الذى يحضره كهنة الساعة التابعون للمعبد) ، ثم قال « زفاى حعبى » له : ” انظر ! إن يوم المعبد هو ١٢٢٢

السنة ، ويجب أن تقسم العطايا اليومية التي تدخل المعبد (وتحتوى على) خبز وجمعة وكل شيء يدخل المعبد لكل يوم من أيام المعبد هذه التي قدمتها لك . انظر ! إنها متاعى الخاص من ضيعة والدى ومن ضيعة حاكم المقاطعة .

والآن يجب أن تشول أيام المعبد الثلاثة هذه لكل حافظ الملابس فى المستقبل (؟) ؛ لأن هذه الفتائل واجبة له (« زفاى حعبى ») ، وهى التى قد حملتها لى بسبب أيام المعبد الثلاثة هذه التى حملتها لك وقدمتها لك “ .
(٤) وقد كان مسرورا بذلك .

الشرط السادس — (٣٠٢ — ٣٠٤) الشرط الذى تعاقد عليه حاكم المقاطعة ورئيس الكهنة « زفاى حعبى » صادق القول مع رئيس كهنة « وبوات » (أى مع نفسه) :

(١) لأجل شواء ، وهو الذى يوضع على مائدة القربان ويوضع على حجر القربان لكل ثور يذبح فى المعبد وإناء جعة « ستا » من كل ١/١ إناء دس .
فى كل يوم « ظهور » (فى المعبد) .
وهى حق لكل رئيس كهنة فى زمنه .

(٢) أما ما أعطاه « زفاى حعبى » له (أى رئيس الكهنة اسما) فى مقابل ذلك فهو يومان من أيام المعبد من ضيعة والده ، ومن ضيعة حاكم المقاطعة .

(٣) وعندئذ تكلم « زفاى حعبى » قائلا : هذا الشواء وإناء الجعة « ستا » سيقدم فى كل يوم (ظهور التثال فى المعبد) .
وهى مستحقة لتمثالى الذى فى رعاية كاهن روحى .

(٤) وإنه (« زفاى حعبى ») بوصفه يحمل لقب رئيس الكهنة ، كان مسرورا بذلك فى حضرة هيئة موظفى المعبد هؤلاء .

الشرط السابع — (٣٠٥ — ٣٠٦) الشرط الذى تعاقد عليه حاكم المقاطعة ورئيس الكهنة «زفاى حعبى» الصادق القول مع الكاهن المطهر الأعظم للاله «أنوبيس» :

(١) من أجل ثلاث فتائل يستحقها لإنارة المصباح (الشعلة) فى معبد «أنوبيس»، واحدة فى اليوم الخامس من أيام النسيء فى مساء يوم السنة الجديدة، وأخرى فى يوم السنة الجديدة .

والثالثة فى اليوم السابع عشر من الشهر الأول من الفصل الأول فى مساء عيد «واج» .

(٢) أما ما قدمه فى مقابل ذلك فكان ٢٢ «أرورا» (مقياس) من الأرض المتزرعة فى «سمارسى» من أرض والده، وذلك فى مقابل ثلاث الفتائل التى سيعطيها كاهن روحى لأجل أن يضىء لى المصباح (الشعلة) بها .

(٤) وقد كان مسرورا بذلك .

الشرط الثامن — (٣٠٧ — ٣١١) الشرط الذى تعاقد عليه حاكم المقاطعة ورئيس الكهنة «زفاى حعبى» الصادق القول مع كهنة الساعة لمعبد «أنوبيس» :

(١) من أجل أن يقدم له رغيف خبز أبيض من كل واحد منهم لتمثاله فى اليوم السابع عشر من الشهر الأول من الفصل الأول فى مساء عيد «واج» ، ومن أجل أن يذهبوا بعد كاهن الروح عند ما يثار المصباح (الشعلة) له عند تنعيمه إلى أن يصلوا إلى السلم السفلى (مزار الوادى) لقبره كما ينعمون موتاهم المحترمين فى يوم إضاءة المصباح (الشعلة) ، ومن أجل التقدمة الشهرية التى يقدمها الكاهن المطهر، المؤلفة من طبق من الخبز وإناء من الجعة لتمثاله الذى فى السلم السفلى (مزار الوادى ؟) لقبره عندما يخرج لتأدية الاحتفالات فى المعبد كل يوم .

(٢) أما ما قدمه لهم فى مقابل ذلك فكان شعير الشمال من باكورة محصول كل حقل من ضيعة حاكم المقاطعة، كما يفعل كل رجل أسيوطى عادى يقدم من

باكورة محصول حصاده، وعلى أية حال فإنه كان أول من جعل كل واحد يقدمها من باكورة حقله لمعبد « أنوبيس » .

(٣) ثم قال حاكم المقاطعة « زفاى حبي » : ” انظروا فإنكم تعلمون أن أى رجل عظيم ، أو أى رجل عادى يقدم باكورة حصاده للمعبد ، ويمتنع عن أدائها ليس بالشئ الحسن له ، على أنه لم يجد حاكم مقاطعة فى عصره انتقص من الشرط الذى تعاقد عليه حاكم مقاطعة آخر مع الكهنة المطهرين فى أزمانهم ؛ وشعير الشمال هذا سيكون ملك كهنة الساعة التابعين للمعبد ، كل على حدته ، من الذين يقدمون لى هذا الخبز الأبيض ، وإنه لن يقسم مع الكهنة فى شهرهم لأنه لزام عليهم أن يقدموا هذا الخبز الأبيض كل على انفراد“ .

(٤) وقد كانوا مسرورين بذلك .

الشرط التاسع — (٢١٢ — ٢١٨) الشرط الذى تعاقد عليه حاكم المقاطعة ورئيس الكهنة « زفاى حبي » الصادق القول مع مدير أعمال الجبانة وحراس الصحراء :

(١) من أجل أن يجعلهم يذهبون لمعبد « أنوبيس » فى اليوم الخامس من أيام النسيء مساء السنة الجديدة .
وفى يوم السنة الجديدة .

بشأن تسليم فتيلتين قدمهما الكاهن الأعظم للاله « أنوبيس » المطهر إلى حاكم المقاطعة « زفاى حبي » ، وبشأن ذهابهم لتنعيه إلى أن يصلوا إلى قبره ، وبشأن تقديمهم الفتيلة (أى الخاصة بمساء السنة الجديدة) لكاهن روحه بعد أن نعموه كما ينعمون موتاهم المحترمين .

(٢) أما ما قدمه لهم فى مقابل ذلك فكان ٢٢٠٠ (مقياسا) من الأراضى الزراعية فى « واعبت » ، وهى من أملاكه الشخصية من ضيعة والده وليست من ضيعة حاكم المقاطعة .

قائمة

أرض	
٤٠٠	مدير عمال الجبانة
٢٠٠	قائد الصحراء
١٦٠٠	ثمانية حراس للصحراء؟

وقد كان قدم لهم الجزء الأسفل من الجزء الخلفى من كل ثور ذبح فى الصحراء « الجبانة » فى كل مزاراتها .

(٣) أما ما قدموه له فهو :

رئيس عمال الجبانة : إناءين دس من الجعة ، ١٠٠ رغيف من خبز قفن ، ١٠ أرغفة من الخبز الأبيض .

قائد الصحراء : إناء جعة ، ٥٠ رغيفا قفن ، ٥ نحسة أرغفة من الخبز الأبيض .

الثمانية (حراس الصحراء) : ثمانية آنية دس من الجعة ، ٤٠٠ رغيف من خبز قفن ، ٤٠ رغيفا من الخبز الأبيض من أجل تمثاله الموكل به كاهن روحه ، وذلك فى اليوم الأول من الشهر الأول من الفصل الأول يوم أول السنة الجديدة . عند ما ينعمونه .

(٤) ثم قال لهم : ” انظروا ! إن هذه الأرض التى سلمتها لكم ستكون ملكا لكل مدير عمال جبانة مستقبلا ، ولكل قائد صحراء ، ولكل حارس جبانة ؟ مستقبلا وذلك لأنهم هم الأفراد الذين سيقدمون لى الخبز والجعة ” .

(٥) وستكونون خلف تمثال الذى فى حديقتي وترافقونه [عندما يسير الى معبد وبوات أو «أنوبيس» ؟] فى كل عيد أول فصل يقام فى هذا المعبد .

(٦) وكانوا مسرورين بذلك .

الشرط العاشر — (٣١٩ — ٣٢٤) :

(١) من أجل أن يقدم له إناء هبت من الجعة وفطيرة واحدة كبيرة (؟) ، ٥٠٠ رغيف خبز قفن ، ١٠٠ رغيف من الخبز الأبيض لتمثاله المنوط به كاهن روجه ، فى اليوم السابع عشر من الشهر الأول من الفصل الأول مساء عيد « واج » .

(٢) أما ما قدمه « زفاى حعبى » فى مقابل ذلك فهو ٢,٢ أرورا من الأراضى الزراعية فى «وعبت» من أملاكه الخاصة من ضبعة والده ، وليست من ضبعة حاكم المقاطعة ، والربع الأمامى من كل نور يذبح فى الصحراء « الجبانة » فى كل مزارات قبورها .

(٣) ثم قال لمدير الصحراء : «انظر ! إن هذه الأرض ستنتقل لكل مدير صحراء مستقبلا ، وذلك لأنه هو الذى سيقدم لى هذا الخبز والجعة» .

(٤) وقد كان مسرورا بذلك .

المرحوم حاكم المقاطعة ورئيس الكهنة « زفاى حعبى » صاحب الاحترام .

تصوير الاحتفالات الدينية التى كانت تقام للامير « زفاى حعبى »

وسنضع أمام القارئ صورة من هذه الاحتفالات تخيلناها مأخوذة من نص العقود العشرة التى على جدران المقبرة ، وقد أردنا بذلك أن نكسو عظام الحقائق التاريخية الجافة التى ذكرناها فى هذه الشروط لحما ودما ، ثم نبعث فيها روحا يحركها فتصبح حية يراها القارئ ويمثلها .

وقبل أن نورد هذه الصورة نقول : إن « زفاى حعبى » أقام لنفسه قبل وفاته تمثالا فى كل من المعبد الرئيسيين فى المدينة أى أنه أقام تمثالا فى معبد الإله

« وبوات » ، وهو إله محلي قديم في صورة ذئب ، ومن ذلك الاسم اشتقت المدينة اسمها اليوناني « ليكوبوليس » (أى بلد الذئب) . أما التمثال الآخر فقد كان في معبد « أنوبيس » وهو إله معروف في صورة كلب أو صورة ابن آوى ، وقد كان ذلك الإله يوم ما من الآلهة المناهضين للإله « أوزير » . وكان معبد « وبوات » يقع في وسط المدينة في حين أن معبد الإله « أنوبيس » كان يقع بعيدا عنه على ظاهر حدود الجبانة في سفح الجبل الذى نحتت في واجهته مقبرة « زفاى حى » على مسافة من ارتفاعه ، وقد نصب في ذلك القبر الفخم كذلك تمثال لنفسه يقوم برعايته كاهنه الجنازى ، ولم يكن له إلا كاهن واحد يعنى بقبره ويقوم بالاحتفالات التى كان يرغب فيها في الحياة الدنيا قبل وفاته .

وأهم هذه الاحتفالات تلك التى كانت تقام في مناسبات الاحتفال بالسنة الجديدة ، وكانت تقام قبل حلولها ، وعند بدايتها ، فكانت تقام قبل نهاية السنة القديمة بخمسة أيام في أول يوم من أيام النسيء الخمسة التى تنتهى بها السنة ، فكان يرى في ذلك اليوم كهنة الإله « وبوات » سائرين في موكب محترقين شوارع « سيوط » وأسواقها ، وكانوا في نهاية المطاف يخرجون من المدينة حاملين إلههم « وبوات » إلى معبد الإله « أنوبيس » الذى كان يقع في سفح جبانة الجبل . وكان يذبح في ذلك المعبد ثور للإله الزائر ، أى الإله « وبوات » . وكان كل كاهن إذا ذاك يحمل بيده رغيفا كبيرا أبيض مخروطى الشكل ، وعند دخولهم ساحة معبد « أنوبيس » كانوا يضعون أرغفتهم عند قاعدة تمثال « زفاى حى » .

ثم بعد مضي خمسة أيام من ذلك التاريخ كان يتزل « مدير الجبانة » وبصحبه تسعة أفراد من موظفيه من فوق الجبل في وقت المساء مازين بأبواب القبور المفتحة ، والتى كانت حراستها موكولة لهؤلاء الموظفين ، ثم يدخلون في ظلال المدينة التى كانت في سفح ذلك الجبل . وكانت هذه المدينة في تلك الآونة من ذلك اليوم ينجم عليها الظلام ، إذ كانت تقع في ظلال هذا الجبل المطل عليها .

وكان هذا المنظر يحدث في مساء اليوم الأول من السنة الجديدة ، وكانت الأنوار المبعثرة هنا وهناك ، وهي التي أشعلت ابتهاجا بالعيد قد بدأت تنبعث عند الشفق من داخل البيوت ، ومن الشرفات . وأثناء انطلاق تلك الفتة في سيرها في الشوارع الضيقة الواقعة في أطراف المدينة كان يعترضهم بفاة في طريقهم الجدار العالى لسور معبد الإله « أنوبيس » . وعند ما كانوا يدخلون من أبوابه العظيمة العالية يسألون عن الكاهن الأعظم الذى كان يقدم لهم على الفور حزمة من المشاعل فيأخذونها . ويعودون أدراجهم صاعدين في الجبل بتودة ، فيشرفون على المدينة رويدا رويدا كلما تسلقوا الجبل مصعدين ثانية ، وحينما كانوا يشرفون بأنظارهم من فوق الجبل على أسقف المدينة الملتفة في الظلام الدامس كانوا يكشفون في وسطها مجموعتين مشتعلتين من الأنوار المتألثة ، تقع إحداهما بالضبط تحت أنظارهم في حضيض الجبل ، والأخرى تقع على مسافة بعيدة في قلب المدينة ، فكانتا تشبهان جزيرتين متالئتين بالنور في بحر من الظلمة يمتد إلى مسافة من تحت أرجلهم . وهاتان المجموعتان من النور هما ساحتا المعبدين اللذين كانت الأنوار تنتشر في أرجائهما ، وبالرغم من أن سيدهم القديم « زفاى حىي » كان مدفونا في بلاد النوبة النائية ، فإنه كان حاضرا معهم بتمثاله المقام في وسط تلك الأفراح والأعياد التي كانت حفلتها تملأ ذينك المعبدين . فقد كان تمثاله المنصوب في المعبد يتكلم بعينه اللتين يشرف بهما على الجموع التي كانت تزخر بهم هاتان الساحتان المختالتان بجمال أعمدهما الزاهية ، وكان التمثال يتمتع مثل أصدقائه الأحياء الموجودين أسفل منه بروح ذلك الفيض العميم الذى كان مبسوطا أمامه ، حينما كان يشاهد رغبان القربان موضوعة عند قدميه ، وهي التي ذكرنا فيها سلف أن الكهنة كانوا يضعونها هناك . وكانت أذناه (أى التمثال) تملآن بضجيج آلاف الأصوات التي كانت تتعالى مع أصوات الأفراح المنبعثة من جماهير المدينة المجتمعين بمعبدى الإلهين يترقبون انقضاء ذلك العام الراحل ، ويستقبلون أول العام الجديد ، وكأن أصواتهم

اصطفاق بحر يزخر بأواجه ينبعث من بعيد فوق الأسقف المظلمة إلى أن يصل جرسه المتضائل إلى آذان طائفة حراس الجبابة المرتفعة القائمة بين ظلمات الجبال ، وهم يشرفون على المدينة في صمت رهيب ، وكانت تطل من فوق رؤوسهم بالضبط واجهة تلك المقبرة التي كانت قد أعدت لتضم جثمان سيدهم الراحل «زفاى حمبى» . وقد كان المتقدمون فى السن من بين أولئك الحراس يذكرونه جيدا أو يذكرون الكرم الذى طالما لاقوه على يده . أما المحدثون الذين كان فى نظرهم اسم «زفاى حمبى» مجرد اسم لا يحمل معنى ، فكانوا لا ينجبون إلا متباطئين ، وعلى كره منهم ، عند ما كان شيوخهم يحثونهم على إضاءة أنوار القبر ، وعند ما كانت يتعجلهم صوت كاهن «زفاى حمبى» من أعلى الجبل قائلا : ” لا تأنحروا أكثر من ذلك فى إضاءة النور “ . وعندئذ يخرج الشرر من قذح الزناد ، وعلى أثر ذلك تضاء أول شعلة ومنها تضاء المشاعل الأخرى بسرعة . وكان الموكب الذى يشمل أولئك الحراس حول مرتفع من الجبل فسيح الأرجاء ، ثم يعود الموكب ثانية إلى باب القبر العالى حيث يكون فى انتظارهم كاهن «زفاى حمبى» فيدخلون توا إلى مزار القبر العظيم .

وكان يشاهد انعكاس أنوار تلك المشاعل المتلاثلة فى غير نظام فوق جدار ذلك المزار الذى ترى فوق جدرانه صوراً ضخمة مرسومة للسيد الراحل ترتفع عالية حتى تختفى رأسه وسط الظلمة التى لم تصل إليها أنوار تلك المشاعل المتضائلة ، ويبدو على صورته كأنها تحثم على تأدية واجباتهم نحوه بالدقة والعناية ، كما هو مدون بالعقود العشرة المنقوشة فوق جدار المزار نفسه وهى التى سبق ذكرها . وكان «زفاى حمبى» يبدو فى الصورة مرتديا لباسا بهيجا ومتوكئا فى رفق على عصاه التى بيده . وطالما كان المسنون من تلك الطائفة يرونه قائما فى هذا الوضع وهو يفصل فى القضايا التى كانت تعرض عليه ، بينما كان يساق المحرمون إلى داخل باب ديوانه بين صفين من ضباطه المترلفين . ويشاهد فى حالة أخرى كأنه يراقب سير تقدم العمل فى إحدى ترع الرى الهامة حتى يفتتح بها زراعة جديدة ، فكان هؤلاء

الحزاس يسجدون خضوعاً أمام صورته هذه المهمة ، يسوقهم إلى ذلك الدافع الطبعي الذي ليس لهم فيه اختيار كما كان يسجد أمامه أيضاً الكتاب ، وأصحاب الحرف ، والفلاحون الذين نشاهد صورهم تملأ الجدران التي أمامه ، وقد لونت بألوان جميلة محفورة فوق الجدران . وهذا المنظر يمثل الصناعات والملاهي التي كانت تضمها تلك الضياع العظيمة التي كان يملكها « زفاى حمي » وقتئذ ، وهي تؤلف دنيا مصغرة يرى فيها ذلك الشريف الراحل عند ما كان يدخل مزار قبره ، فكان يشعر أنه لا يزال يغدو ويروح بين مناظر حياة الرفاهية والملاذ في الحياة الدنيا ، وكان يمثل هو فيها الشخصية البارزة العظيمة ، إذ كان يخيل إليه أن جدران مقبرته قد رحبت واتسعت حتى صارت تشمل حقول زراعة عماله ، وأسواقهم ، ومصانع السفن ، وأحواضها ، ومستنقعات الصيد ، والطيور ، والأسماك ، وردهات لإقامة الحفلات . وقد عمر النحات والرسام الجدران بتلك المناظر حتى صارت في الواقع كأن الحياة تدب فيها ، وكانت المشاعر الموقدة تنبث حول القربان الخاص بمائدة القرب العظيمة المصنوعة من الحجر في المزار ، وكان يقوم خلف ذلك تمثال « زفاى حمي » في كوة منحوتة في أصل الجدار .

وبعد ذلك تنسحب جماعة الحزاس الصغيرة على مهل ، ملقين عدّة نظرات خاطفة على الباب الوهمي المقام في جدران المزار الخلفي ، وكانوا يعرفون أن « زفاى حمي » يمكنه أن يخرج منه من عالم الظلام المستتر خلف هذا الباب الوهمي ليدخل إلى عالم الأحياء ويحتفل مع الأحياء من أصدقائه بعيد رأس السنة المذكور .

وأما اليوم التالي وهو اليوم الأول من السنة الجديدة فيعدّ أعظم أيام الأعياد في التقويم السنوي ، وكانت تبادل فيه الهدايا بفرح كما تتوافد أهل الضياع أيضاً يحملون الهدايا إلى سيد ضيعتهم ، وإذا اتفق أن سلاله « زفاى حمي » قد انهمكت في ملاذها وجرّت فيها إلى آخر شروطها ، فإن شروطه التي دوّنت بانتباه ويقظة في سجلات المدينة تضمن له الاهتمام بأمره ، وعدم إهمال قربانه . وفي الوقت

الذى كان فيه الفلاحون ومستأجرو الإقطاعات يشاهدون مزدحمين عند الباب العظيم لبית ذلك الشريف حاملين هداياهم لسيدهم الحى غير مفكرين فى سيدهم الراحل كان حراس الجبانة العشرة بقيادة رئيسهم يجتازون أطراف المدينة سائرين نحو أحد المخازن بالضبعة التى من حقهم أن يترقدوا منها ، ثم لا يلبثون أن يعودوا أدراجهم حاملين ٥٥٠ فطيرة مستديرة و٥٥ رغيفا من الخبز الأبيض ، و١١ إناء مملوءا بالجمعة ، ثم يعودون من حيث أنوا يقتحمون طريقهم على مهل وسط مرح الزحام ، حتى يصلوا إلى مدخل الجبانة عند سفح الجبل ، فيجدون هناك زحاما عظيما أيضا ، وكل واحد من أولئك المزدحمين يحمل بمثل ما حملوا به . وإذا كان الطيبون من أهل « سيوط » يحملون عطاياهم من الأطعمة والشراب فى وسط جلبة عظيمة من الأفراح القائمة وسط تلك المناظر الخلابة التى لا عداد لها من صور تلك الحياة الشرقية ، فإن مثل ذلك يشاهد إلى اليوم فى الجبانة الإسلامية فى مصر فى أيام عيد الفطرو باقى المواسم والأعياد الإسلامية ، ويقصدون إلى الجبل ويدخلون بما يحملون إلى أبواب المزارات العديدة التى كانت منتشرة فى وجه الجبل على مثال خلية النحل فى كثرتها ، حتى تتمكن موتاهم من مشاطرتهم تلك الأعياد المرحية .

والواقع أن ذلك العيد يعد أقدم « عيد لكل الأرواح » ، وكان حراس الجبانة يسرعون إلى قبر « زفاى جمبى » بما لديهم من المؤن التى يسلمونها على الفور إلى كاهنه الجنازى ، ثم يعودون أدراجهم حتى يحافظوا على النظام بين جمهور الشعب المرح الذى كان أفرادہ يتسلقون الجبل من كل مكان . وكلما بليت جمة النهار قامت المعدات اللازمة للاحتفالات المسائية على ساق وقدم من إشعال الأنوار وتنعيم المرحومين (أى جعل المتوفى روحا منما) الذين ماتوا .

(١) عيد يوم كل الأرواح هو عيد مسيحي يعقد فى اليوم الثانى من شهر نوفمبر وفيه يعقد احتفال مهيب بالكنيسة الكاثوليكية الرومانية لبضعرعوا الى الله لأرواح الأموات المخلصين .

وكان حراس الجبانة مع كثرة نصيبهم من تأدية واجباتهم الشاقة طول اليوم بالجبانة المزدحمة ينحدرون للمرة الثانية من فوق الجبل إلى معبد الإله « وبوات » بالمدينة حيث يكون جميع كهنة المعبد عن بكرة أبيهم في انتظارهم، وكان الكاهن الأعظم رئيسهم يقوم بتقديم عشرة المشاعل اللازمة لإضاءة مقبرة « زفاى حمبي » فكانت تضاء في الحال المشاعل التي كانت تحملها الكهنة، ثم يتحرك بعد ذلك الموكب المؤلف من الحراس والكهنة معا فيسير على مهل مجتازا ساحة المعبد، ثم يخترق السور المقدس سائرا نحو الركن الشمالى للمعبد كما يصف لنا ذلك العقد الذى أجراه « زفاى حمبي » مع الكهنة وهم يرتلون تنعيم^(١) « زفاى حمبي » (أى جملة روحا منعما)، وكان كل كاهن يحمل معه رغيفا كبيرا مخروطى الشكل من الخبز الأبيض كالذى سبق أن وضعوا مثله أمام تمثال « زفاى حمبي » في معبد « أنوبيس » منذ خمسة أيام مضت، وكان الكهنة عند ما يصلون إلى الركن الشمالى من المعبد يعودون ثانية إلى القيام بواجباتهم في وسط المحراب المزدحم بدهماء للشعب، وكانوا بطبيعة الحال يسلمون رغفانهم إلى حراس الجبانة، لأن هذه الرغفان كانت كما نص العقد خاصة بتمثال « زفاى حمبي » الذى في قبره، أما موكب الحراس الصغير المؤلف من عشرة أشخاص فكان يطوف في شوارع المدينة المتألقة بالأنوار والحراس يقتحمون طريقهم بمشقة عظيمة وسط زحام الشعب، وفي النهاية يخترقون الباب العظيم لمعبد « أنوبيس » حيث تكون الأنوار قد بلغت غايتها من البهجة والرواء ولم ينس في ذلك تمثال « زفاى حمبي »، وحينما كان الموكب يظهر خارج المدينة ثانية كانوا كذلك لا يزالون يشقون طريقهم بصعوبة بسبب دهماء الناس الذين كانوا يسرون في نفس طريقهم وكانت واجهة الجبل المظلمة التي تشرف عليهم يتخللها هنا وهناك أقباس من النور تسير وثيدة مصعدة فوق الجبل، وكانت تلك الأنوار صادرة من مشاعل أهل

(١) إن طبيعة هذا الاحتفال الذى كان يحتفل به الأحياء في عيد رأس السنة وغيره لأجل الأموات

ليس واضحا في تفاصيله غير أنه لا بد كان يعبر عما يدل عليه اسمه .

المدينة الذين صعدوا مبكرين ، ووصلوا إلى الجبانة لوضع تلك الأنوار هناك أمام تماثيل أمواتهم ومقابرهم ، وأما الحراس فإنهم صعدوا إلى مقبرة « زفاى حعبى » كما فعلوا الليلة المنصرمة ، وسلموا المشاعل ، والخبز الأبيض لكاهن « زفاى حعبى » الذى كان فى انتظارهم . وهكذا يشترك ذلك الشريف المتوفى وأولاده ورعاياه الأحياء فى الاحتفال بأعياد رأس السنة ، وخلافا لتلك الأعياد وغيرها من الأعياد العظيمة التى كان يتمتع بها المتوفى بتلك الكيفية فإنه لم ينس فى أى عيد من الأعياد الرسمية الصغيرة التى كان يحتفل بها فى أول كل يوم من الشهور فى منتصف الشهر ، أوفى أى يوم من الأيام المحتفل بها . وأما حاجاته اليومية فكان يقوم بها طائفة خارجة عن هيئة الكهنة تخدمه بالتناوب بمعبد « أنوبيس » ، لأن ذلك المعبد كان على مقربة من الجبانة ، فكان أولئك الخدم يذهبون فى كل يوم بعد الفراغ من تأدية أعمالهم فى المعبد حاملين نصيبا من الخبز ، وإناء مملوءا بالجمعة ويضعونها أمام تماثيل « زفاى حعبى » الذى يكون منصوبا فوق السلم السفلى لقبره . وعلى ذلك كان لا يمضى يوم واحد من أيام السنة لا يتسلم فيه « زفاى حعبى » ما يلزمه من الطعام والشراب . هذه صفحة من الحياة المصرية من الناحية الدينية والاجتماعية تركها لنا « زفاى حعبى » فى قبره فى مصر . وإن مثل تلك المعتقدات والعادات لتدل على شدة استقرار تعلق قدماء المصريين بتلك الأعمال المادية الخاصة بالحياة فى عالم الآخرة التى هى الضمان الوثيق لاستمرار بقاء جثمان المتوفى بعد الموت ، بالرغم مما ظهر من الأفكار التى ألفت ضوءا جديدا على ضرورة التحلى بالأخلاق العظيمة استعدادا لاستقبال الحياة الآخرة فيما بعد الموت .

على أن استمرار إمداد ذلكم الشريف المتوفى بمثل هذا العتاد المادى الذى قدمنا وصفه إلى الأبد ، كان من غير شك متخيلا ، ولذلك قال « خنوم حتب » أحد الأمراء الإقطاعيين فى مقاطعة الغزال فيما يختص بأوقافه الجنائزية : أما فيما يختص بالكاهن أو بأى شخص آخر يعبث بها فإنه لن يستمر بعد ، وكذلك ابنه لن

يستمر بعده في هذا المكان (أى لن يبق مشرفا على حراسة مقبرته) فيظهر من خوف ذلك الشريف المذكور من عدم دوام تقديم القرابين له بعد الموت، ومثل هذه المخاوف كانت منتشرة بكثير ذكرها في الوثائق التي من هذا النوع، هذا وقد شاهدنا أن « زفاى حمبي » أمير «سيوط» كان يبدي مخاوفه من إجماع الخلف عن تقديم القربان اللازم للحياة الآخرة، وليس هذا بغريب. فنحن أبناء هذا العصر الحديث لا يكاد يدفعنا البر نحو الاهتمام بأى قبر من قبور أجدادنا الذين رحلوا عنا إلى الحياة الآخرة منذ زمن بعيد نسبيا، بل في بعض الأحيان لانكاد نعرف أين دفنوا بالضبط، فضلا عن مواقع مقابرهم. وقد كان كهنة «أنوبيس» و«وبوات» وحراس الجبانة في «سيوط» يؤتون واجباتهم مادام كاهن «زفاى حمبي» الجنازى يتسلم مرتبته، ومادام مخلصا في القيام بالتراماته، بأن يذكروهم بالقيام بما عليهم من الواجبات وأن يلاحظ تنفيذها . ونحن نعلم تمام العلم أن مثل هذه الأوقاف كانت تستمر نافذة المفعول إلى ما بعد تغير الأسرة نفسها . وكانت تمكث على أقل تقدير حوالى ثلاثين أو أربعين سنة في منتصف القرن الثامن والثلاثين قبل الميلاد .

احترام مقابر الأجداد في هذا العصر

وفي القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد نجد أنه كان هناك احترام كبير في مصر العليا لأجداد الدولة القديمة إذ ذاك ، فقد قام حكام مقاطعة «البرشة» . أى المقاطعة الخامسة عشرة من مقاطعات الوجه القبلى في القرن التاسع عشر والعشرين ق م بإصلاح مقابر أجدادهم التي يرجع عهدها إلى عصر الأهرام وكذلك المعبد أو المزار الذى كشف عنه في «أسوان» وهو الذى أصلحه «سرنبوت» ويرجع عهده إلى الدولة القديمة وهو «لحقاب» .

وكذلك نجد أنه في عهد ملوك الدولة الوسطى كان الملوك قد حافظوا على إقامة الشعائر في معابد بعض ملوك الدولة القديمة ، فقد عثرنا فعلا على تمثال جالس من الحجر الرملى الصلب بالقرب من «بو الهول» وقد نقش على حجره الدعاء التالى :

قربان يقربه الملك و «بتاح سكر» و «أوزير» سيد «شتيت» و «أونوبيس» الذى يقطن فى جبله والذى فى لفائفه رب الأرض المقدسة (ليعطوا) ألفا من الخبز والجمعة والخنمر والبقر والأوز والملابس إلى روح الكاهن «سخت حتب» الذى وضعته «سان امينى» .

فى معبد ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «نفر أركارع» الصادق القول . وهذا دليل قاطع على أن معبد هذا الإله كان موجودا فى هذا العصر فى جهة «بوصير» . وهذه المقابر والمزارات كان قد مضى عليها حينئذ أكثر من ٦٠٠ سنة، وكانت متداعية مشرفة على العفاء والخراب . وقد اعتاد الحاكم البار لكل مقاطعة أن يسجل ما يقوم به من الإصلاحات بالكلمات التالية : «إنه (يعنى حاكم المقاطعة)، قد عملها بصفته أثرا للأجداد الذين فى الجبانة، وهم أرباب هذا المرتفع، فأصلح ما قد وجده مخزبا، وجدد ما قد وجده مهتما، ولم يقم الأجداد الذين كانوا من قبله بذلك». ثم نجد أن أشرف هذه المقاطعة قد استعملوا تلك الصيغة فى مقابر أجدادهم خمس مرات كما نجد أن «أتنف» أمير «أرمنت» قد اتبع نفس هذه الطريقة حيث يقول : «لقد وجدت مزار الأمير «نخت بوكر»، آل إلى الدمار، بفقدانه قديمة وتماثيله محطمة، ولم يعثر به أى لإنسان؛ فبنيت من جديد، وزدت فى بنائه، وجددت تماثيله، وأفت أبوابه بالمحجر حتى يصبح مكانه ممتازا عن أماكن الأمراء العظام الآخرين» .

وكان القيام بمثل هذا البر للأجداد الراحلين نادرا جدا، ومع ذلك فإن القيام بمثل هذه الأعمال التى ذكرناها لم تكن لها فائدة، إلا أن تؤخر مثونة وقوع اليوم المشئوم الذى تزول فيه تلك الآثار الجميلة . والمدحش فى ذلك أنهم كانوا مع وجود مقابر أجدادهم مخزبة أمامهم وأحيانا يخزبونها بأيديهم، لا يزالون يقيمون لأنفسهم الأضرحة التى كان لابد أن تلقى محتوياتها نفس المصير من النهب والسلب والنسيان المطلق، ولا أدل على ذلك مما نشاهده فى قبر «خنوم حتب» الذى يعد أكبر

القبور التي تركها لنا أمراء مقاطعة الغزال « بنى حسن » ، إذ نجد بين الرسوم الملونة الجميلة التي على جدرانها كتابات قد حشرت حشرا بين الكتابات القديمة الأصلية يرجع تاريخها إلى ١٢٠ جيلا من الناس ؛ وقد خطها كاتبوها على عجل باللغة المصرية القديمة ، وكذلك باللغة القبطية والعربية والفرنسية ، والإيطالية والانجليزية .

وأقدم هذه الكتابات كانت لكتاب مصرى قديم دخل هذا المزار المذكور منذ ٣٠٠٠ سنة مضت ، وقد كتبها باليراع بمداد أحمر فوق الجدار وهذا نصها :

”لقد حضر الكاتب « أمين سى » ليرى معبد « خوفو » وقد وجده كالسما يسطع فيها النجوم“. وهذه العبارة كانت قد كتبت هنا بعد أن مضى على بناء المقبرة نحو ٧٠٠ سنة من زيارته . فرى من ذلك أنه على الرغم من أن صاحبه الأمير « خنوم حتب » كان من أعظم أمراء عصره فإن ذلك الزائر على ما يظهر قد نسي كل شيء من أمره ، ولذلك فإنه لما وجد اسم « خوفو » ، قد كتب عرضا فوق الجدار في سياق نقش جغرافى ، ظن خطأ أن ذلك المزار هو مزار الملك « خوفو » باني الهرم الأكبر في جبانة « الجيزة » ، وهذا الحادث يدل دلالة واضحة على أن كل معرفة بهذا الأمير العظيم قد اختفت ، وبالطبع كانت أوقافه الجنائزية التي كانت تمتد في عالم الآخرة قد أصبحت في زوايا النسيان التام ، وذلك بالرغم من تلك الاحتياطات التي قام بتسجيلها فوق جدران قبره . ولذلك فإن اللعنات التي كانت تكتب على جدران المقابر لتضرب من يعيث بها كانت نافعة ولا فائدة منها ، وقليلة الجدوى . وقد حاول المصري القديم أن يجد علاجاً يضمن به المتوفى سعادة خالدة ، فقام بنقش صلوات وأدعية فوق واجهة قبره كان يعتقد أنها ذات تأثير في إمدادها للتوفى في الآخرة بكل ما يحتاج إليه فيها ، فيضمن لنفسه بذلك الحصول على السعادة في الآخرة ، فكان لذلك يستحلف كل من يمر على قبره أن يقدم الاحترام له بأن يتلو على قبره تلك الأدعية المنقوشة ”أنتم يا من تمرّون بهذا القبر بقدر ما تحبون الحياة وتكرهون الموت وترغبون في أن يحبكم آلهة مدنكم ، ويكافئوكم ويقدر ما ترغبون

في أن يرث أولادكم مكانكم : قولوا قربانا ملكنا من الأطعمة والملابس والزينة
 الخ إلى فلان" . وتلك الأدعية توضع لنا الاعتقاد في مقدار ما كان لتلك الكلمات
 من التأثير الفعال ، حينما كانت تقرأ من أجل المتوفى ، وقد انتشرت أمثال تلك
 الصيغ الدينية انتشارا عظيما منذ عصر الأهرام ، فكان ذلك تدرجا يسير مع تعميم
 هذه العادات الجنائزية التي كانت وقتئذ خاصة بالطبقة العليا من الشعب فصارت
 إذ ذاك حقا للطبقة المتوسطة وبطائفة الموظفين على السواء ، وكان مثل تلك الصيغ
 الدينية في عهد الأهرام ينحصر استعماله في عهود الأهرام المتأخرة فقط ، وكانت
 هذه الصيغ خاصة بمصير الفرعون في عالم الآخرة ، ولكن صارت الطبقة الوسطى
 مع طائفة الموظفين يستعملونها بكثرة .

ظهور متون التواييت — ونجد كذلك في الوقت نفسه أنه ظهر
 في عالم الوجود طائفة أخرى من « الأدب الجنائزى » وهو ما يسميه علماء الآثار
 « متون التواييت » وهى صيغ مشابهة لسابقتها وتُحَدِّد معها كل الاتحاد في القيام
 بوظيفتها ، غير أنها كانت أكثر ملاءمة لحاجات الإنسان العادى من أى شخص آخر
 من الطبقات العالية ، ولذلك كان كل دهماء الشعب يستعملونها في ذلك الوقت
 أى في العهد الإقطاعى . وقد كان ما يسمى « كتاب الموتى » الذى جاء فيما بعد
 مؤلفا من منتخبات أخذت من « متون التواييت » وهذه كانت في الواقع تتألف
 من مقتبسات كثيرة أخذت من « متون الأهرام » ، وكانت تكتب في هذا
 العصر على أوجه التواييت الداخلية المصنوعة من خشب الأرز . ولا يزال عدد
 تلك المتون الجنائزية أخذا في الازدياد ، إذ تكشف الآن تواييت جديدة من ذلك
 العصر تضاف متونها إلى المجموعة التي وجدت من قبل ، وكان كهنة كل بلدة
 يمدون كل صانع محلى لهذه التواييت بنسخ من تلك المتون أو التعاويذ ، وكان
 الكتاب المختصون بملاحظة صانع التابوت قبل تركيب قطعه يملئون أوجهه بالكتابة
 بالقلم والمداد ، وذلك بتدوين نسخ من هذه المتون ، وكانت كلها تدون بدون
 اعتناء وعدم دقة ، إذ كان مجهود الكتاب إذ ذاك منصرفا إلى ملء تلك الألواح

المؤلفة لأوجه التابوت بالكتابة بأسرع ما يمكن ، حتى أنهم كانوا في بعض الأحيان يكررون كتابة الفصل الواحد مرتين أو ثلاث مرات فوق نفس التابوت الواحد ، وقد وجدنا الفصل الواحد قد كتب ما لا يقل عن خمس مرات فوق تابوت بعينه^(١) (انظر شكل ٣٣ ص ٥٠٢) وقد لا يكون ذلك إهمالا من الكاتب أو مجرد ملء الفراغ الذى أمامه بالكتابة بل يكون ذلك التكرار مقصودا ، وذلك لأجل أن يضمن بقاء صيغة من هذه الصيغ إذا ضاعت أو هشت الأخرى .

أما فيما يختص بالجزء الذى اتحدت فيه « متون التوابيت » هذه مع « متون الأهرام » ، فإننا قد ألفنا وظيفتها ومحتوياتها ، وذلك لأن عالم الآخرة الذى كان يتطلع إليه أهل هذا العهد الإقطاعى كان لا يزال إلى درجة عظيمة عالما سماويا وشمسيا كما كان فى عصر الأهرام ، أى أن عبادة الإله « رع » كانت العبادة السائدة فى ذلك الوقت . ولهذا فإن « متون التوابيت » تكشف لنا عن السيادة المدهشة التى كانت لتلك الآخرة السماوية ، إذ نجد نفس توحيد المتوفى مع إله الشمس كالذى وجدناه فى متون الأهرام .

فتثلا يوجد فصل عنوانه « صيرورة المتوفى رع آتوم » (Lacau, ibid, p. 100) ثم عدّة فصول أخرى عنوانها « صيرورة المتوفى صقرا » (Lacau, ibid, p. 37.) وهو الطائر المقدس الممثل لإله الشمس .

(١) إن متون التوابيت هذه يتألف منها أعظم وأكبر مجموعة من المصادر الدينية المصرية التى بدى فى نشرها الآن وقد ظهر جزءان فضلا . ويوجد من هذه التوابيت مائة بالمتحف المصرى . وهذا خلافا لما يوجد فى المتاحف الأوروبية والأمريكية ، وبمجموعها كلها ١٣٨ تابوتا . وفى عام ١٩٢١ أخذ معهد جامعة « شيكاغو » الشرق على عاتقه لإتقاذ هذه المجموعة الضخمة من الأدب الدينى المصرى من الضياع فهو الآن يقوم بنشرها تباعا . وقد قام الدكتور « دى بك » بنقل هذه المتون فاستغرق عشر سنين وقد تم نقلها الآن وهذه النسخ تحتوى على ٣٠٠٠٠ سطرو ٦٨٢٥ صفحة من المخطوطات .

De Buck, "The Egyptian Coffin Texts," Vols. I and II.

وعلى أية حال فإن اللاهوت الأوزيرى الذى كان قد أخذ فى الانتشار بصفة واضحة منذ الأسرة الخامسة قد تدخل فى « متون التوايبت » بل فى الواقع استولى عليها كما تدخل كذلك فى « متون الأهرام » بالضبط . وأحسن مثال لذلك هو المتن الذى صار فيما بعد جزءا من « كتاب الموتى » باسم الفصل السابع عشر^(١)، وقد أصبح فى العهد الإقطاعى الذى نحن بصده من الفصول المحبوبة إذ نجده يتقدم على كل المتون الأخرى المكتوبة على عدّة من التوايبت ، وهو فى جملته يعبر عن توحيد المتوفى مع إله الشمس ولو كان يظهر معه بعض الآلهة الآخرين أيضا .

إذ يقول الرجل المتوفى :

” إبنى « آتوم » وأنا الذى كنت وحيدا .

” وإبنى « رع » عند أول ظهوره .

” وإبنى الإله العظيم خالق نفسه .

” والذى سوى أسمائه ورب الآلهة .

” والذى لا يدانيه أى إله بين الآلهة .

” وأمس ملكى وإبنى أعرف الغد “ .

وقد عثر على شرح لهذا المتن القديم يرجع تاريخه إلى العهد الإقطاعى، وهذا الشرح كتب بصفة تعليق على السطر الذى جاءت به عبارة « أمس ملكى » « وإبنى أعرف الغد » ففسر هذا السطر بقول الشارح : ” ذلك هو « أوزير » “، مع أنه من الواضح تماما أن هذا النص كان خاصا بإله الشمس فقط كما يفهم من سياق الكلام . ولقد كان من جراء صيغ تلك المتن بالصيغة الأوزيرية، أن أدخل العالم السفلى الذى كان خاصا بأوزير فى المتن الشمسية والساوية . وبهذه الكيفية لم يكن لدينا فى متون التوايبت مجموعة المعتقدات الشمسية والأوزيرية وحسب، وهى التى امتزج بعضها ببعض الآخر بحالة أتم وأكثر مما كانت عليه من قبل —

(1) Grapow, “Religiose Urkunden,” Spruch 17.

بل كانت النتيجة أن « رع » إله الشمس قد حشر الآن في عالم الآخرة السفلى الخاص « بأوزير » . وعلى ذلك يمكن عرض الحوادث في ذلك الصدد بصورة تشعر بشيء من المبالغة إذا قلنا إن « أوزير » في « متون الأهرام » قد رفع إلى السماء في حين أننا نجد أنه في « متون التوايت » و « كتاب الموتى » قد أُنزل « رع » من مقره السماوى إلى الأرض . ولكن الارتباك « اللاهوتى » الذى نتج عن ذلك كان أدهى وأمر مما جاء فى متون الأهرام ؛ فقد تم الامتزاج بين المصير السماوى المتألق الفاعر ، وبين عالم آخر مظلم واقع فى ظلمات العالم السفلى ، وبجانب ذلك مثنوى سماوى .

وإنه لمن الأمور الصعبة أن يكون الإنسان أية فكرة متصلة الحلقات عن الحياة فى عالم الآخرة التى كان يأمل أهل ذلك العصر الوصول إليها ، إذ نجد الصورة الشمسية الأوزيرية المركبة وهى التى ذكرت فى متون الأهرام ، وفيها قد أُرِنى أولئك الكهنة الذين ترجع إليهم كل الارتباكات التى نجدها فى « متون التوايت » نحيالهم العنان يقول كيف يشاء .

فالموتوفى المصرى القديم الذى كان يشاطره « أوزير » مصيره — وكان كذلك يسمى « أوزير » ابنه « حور » (ابن أوزير) — يسمع نفسه كلمات الخضوع والوعد بالسعادة ، الموجهة إليه من ابنه المقدس « حور » . على أن مثل تلك الصور كانت تنتقل بجلاء فتغير امتيازات شمسية كما يأتى هكذا :

”إنك تطوف حول الأفطار مع « رع » فهو يجعلك ترى الأماكن المتعة ، وتجعد الأودية مفعمة بالمياه لنفسك ، وإنعاشك ، فإذا أنت تقطف أزهار البطاح ونوار « هنى » وزهور السوسن ، والزئبق ، وتأتى إليك طيور البرك آلافا جائمة فى طريقك ، وعندما ترمى مقمحك لصيدها يسقط منها ألف برنين صوته وتشمل الأوز ، والعصفور الأخضر والسمان ، وطيور « كونس » . وقد أمرت بأن يؤتى إليك بالغزلان الصغيرة والعجول البيض ، وأمرت بأن يحضر إليك

الجداء والكباش المسمنة بالحبوب وقد ربطت لك سلم السماء ، والإلهة « نوت »
تفتح لك ذراعها ، وإذا أنت تسبح بسفينتك في بحيرة الزئبق . ففي هذا المتن نشاهد
المتوفى يصطاد في الأودية والبطاح وهي التسلية المحببة إلى الفرعون وأشرافه ، ولكنا
نلاحظ أن المؤلف ينتقل بقاءة إلى بحيرة علوية في عالم السماء .

ومع أن ذلك المصير الذي نجمده خاصا بالملوك في كل الصيغ التي جاءت بها
متون الأهرام قد صار الآن على هذا النحو من نصيب كل إنسان من الشعب ،
فإن الحياة التي كانت أبسط من تلك التي وصفناها ، وهي التي كان الفرد المتواضع
يعيش فيها ويصبو إلى دوام استمرارها معه في عالم الآخرة فيما بعد الموت كان
يلحظ وجودها كذلك أيضا في متون التوابت . فكان المتوفى حينما يكون وضعه
في التابوت يمكنه أن يقرأ تعويذة خاصة ، ببناء بيت لرجل^(١) في العالم السفلي ، وحفر
بركة لحديقة ، وغرس أشجار فاكهة ، وعندما كان المتوفى يصير صاحب بيت تحيط
به الحديقة والبركة حولها الأشجار الوارفة ، فإنه كان يحب أن يضمن استيطانه
فيه ، ومن ثم كان لابد له من فصل يتضمن وجود الرجل في بيته . غير أن سكناه
هذا البيت منفردا من غير مرافقة أسرته وأصحابه كانت فكرة لا يمكن احتمال
وجودها ؛ ومن ثم كان يوجد كذلك فصل آخر لذلك عنوانه « ختم مرسوم^(٢)
خاص بالأسرة وإعطاء الرجل أهل بيته في العالم السفلي » . ونجد في المتن الخاص
بهذا الفصل أن تفاصيل المرسوم قد عينت خمس مرات مختلفة في أشكال مختلفة ،
فنجد « أن الإله « جب » إله الأرض قد قرر بأن أهل بيتي يعطون إلى وهم أولادى
وإخوتى ووالدى ووالدى وعبيدى وكل عقارى » ، وخشية أن يتزعجها منه أى
شيطان رجيم نجد الفقرة الثانية من هذا الفصل تؤكد « أن « جب » قد قال إنه
سيطلق لى في الحال سراح أهل بيتى أى أطفالى وإخوتى وأخواتى ووالدى ووالدى

(1) Lacau, "T. R." LVII, p. 114.

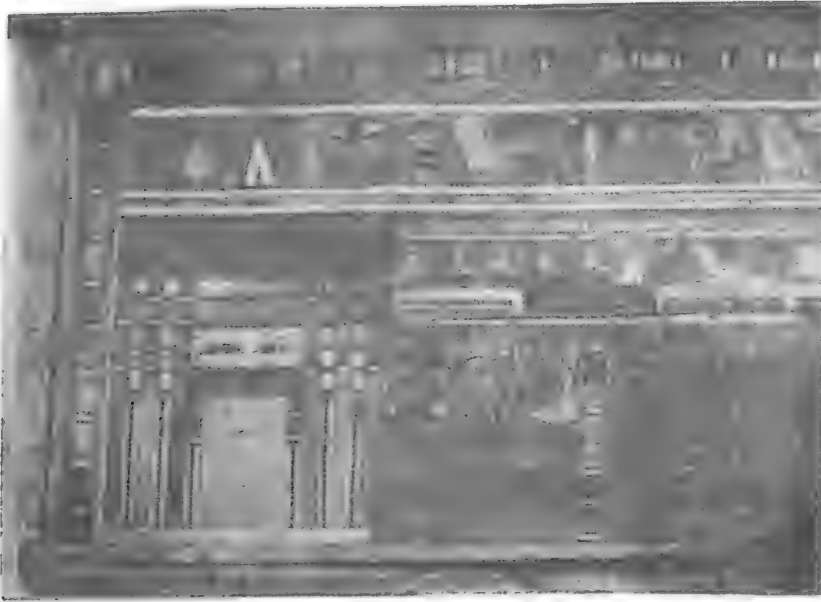
(2) Ibid, XXXIV; p. 84.

(3) Ibid, LXXII, p. 116.

وكل عبيدى وعقارى ناجين من كل إله ومن كل إلهة ومن كل متوفى « غيره »
أو أى إنسان ميت غيره» . ولضمان تنفيذ ما جاء بهذا المرسوم كان يوجد فصل
آخر أيضا عنوانه « ضم أهل بيت الرجل فى العالم السفلى » . وبهذا الفصل كان يتم
اجتماع شمل أهل البيت من الأب والأم والأطفال والأصدقاء والأقارب والأزواج
والحظيات والعبيد والخدم وكل ما يملكه الرجل ليكون معه فى العالم السفلى ، مع
أن فكرة إعادة بيت الرجل وأهل بيته إليه فى عالم الآخرة كانت تتضمن الاعتقاد
القديم بضرورة تقديم الطعام باستمرار إلى المتوفى ، ومن ثم كان يوجد فصل آخر
لذلك عنوانه « فصل فى أكل الخبز فى العالم السفلى » ، أو أكل الخبز على مائدة
« رع » وبغل الرخاء فى « هليوبوليس » . ويظهر لنا فى الفصل الذى يلى هذا
الفصل مباشرة فى متون التوابيت كيف «أن القاعد يقعد ليا كل الخبز عندما يقعد
« رع » ليا كل الخبز أيضا . أعطى خبزا عندما أكون جائعا ، وأعطى جعة عندما
أكون عطشان» . وقد ظهر لنا فى متون التوابيت هذه الاتجاه ظاهر جدا منراه بعد ،
وقد انتشر انتشارا تاما بحسب الغرض الذى قصد منه . وهذا الاتجاه ينحصر كذلك
فى أن عالم الآخرة هو مكان الأخطار والمشاق التى لا عدد لها ، وأن معظم تلك
الأخطار مادية ، وإن كانت فى بعض الأحيان خاصة بتأهيل المتوفى وإعداده
إعدادا عقليا . وكان السلاح الذى يستعمل للنجاة من تلك الأخطار والمشاق يعد
أضمن الوسائل التى يمكن الحصول عليها لحماية المتوفى ؛ وذلك بتمكن المتوفى من
بعض القوى السحرية التى كانت فى العادة رقية خاصة تتلى عند اللحظة الحرجة -
وقد تحول هذا الاتجاه الفكرى بعد ذلك فصار «متون التوابيت» ثم صار فى النهاية
« كتاب الموتى » الذى جعل من هذه المتون مجموعة من التعاويذ تزداد على مر
الأيام . وكانت تعتبر فى نظر القوم لا محالة ذات أثر فعال فى حماية المتوفى ، أو

(1) Lacau, "T. R." II, p. 9.

(2) Ibid, III, p. 15.



شكل رقم ٣٣ « تابوت من الخشب من عهد الدولة الوسطى »

تضمن له فى الحياة الأخرى الحصول على أى نعيم كان يحبه فى الحياة الدنيا .
(Lacau, "T. R." LXXVIII, p. 126).

وعلى ذلك كانت توجد تعويذة يصبح بها المتوفى ساحرا وهى موجهة إلى الأفراد المنعمين الذين فى حضرة « آتوم » إله الشمس . وهذه التعويذة فى ذاتها رقية تحتم بالكلمات التالية : " إنى ساحر " . وخوفا من فقدان المتوفى قوته السحرية كان هناك احتفال يحتوى على وضع رقية سحرية مع المتوفى حتى لا تنزع منه قواه السحرية حينما يكون فى العالم السفلى ، مع أن أبسط هذه الأخطار التى من أجلها ألفت هذه الرقى كان منشؤه من غير شك التخليلات الصبائية الساذجة التى كان دهماء الشعب يتخللونها . وكانت تكون فى غالب الأحيان سخرية إلى أقصى حد ، إذ نجد تعويذة عن منع أخذ رأس الرجل منه ، مع أنه يوجد فى متون الأهرام الرقية القديمة التى تمنع إجبار المتوفى على أكل براز نفسه ،

(Lacau, "T. R." XXIII, p. 66) ، أو شرب بوله . وكان لا بدّ لجسم الإنسان من التحلل ، ومن ثم كان يوجد لمنع هذا التحلل رقيتان حتى لا يتحلل جسمه في العالم السفلي (Lacau, "T. R.", XXV, p. 73) . وقد كان من جراء ثقة الإنسان العمياء بمثل هذه التعاويذ أن صار في يد الكهنة فرصة لا حد لها بما تدرّه عليهم من الكسب الوفير . وقد كان في مخيلاتهم باضطراد إنتاج التعاويذ الحديدية باستمرار ، وقد كانت تباع هذه التعاويذ مثل صكوك الفجران في القرون الوسطى في أوروبا بطبيعة الحال إلى المشتريين السذج الذين كان عددهم يزداد على الدوام . وقد ساعدت هذه الوسيلة كثيرا على ازدياد مخاوف الشعب من أخطار ومشاق الحياة الآخرة ، كما ساعدت على نشر الاعتقاد في كفاية مثل هذه الطرق لدرئها . ويجب علينا أن نتعرّف عمل أولئك الكهنة ، وكان يمثل في صورة كاتب سرى اسمه « جيجا » (Lacau, "T. R.", IX, p. 26) ، وهو يعدّ عدواً للوحي . من أجل ذلك ألقت رقية خاصة لمساعدة المتوفى على تكسير القلم ، وتهشيم أدوات الكتابة ، وتمزيق الملفات الخاصة « بجيجا » الشرير .

وكذلك نجد أن الخطر المهدّد الذي كان يتقشّر في متون الأهرام هو مهاجمة الثعابين السامة للمتوفين ، وكان أهل العهد الإقطاعي كذلك يحبون أن يدعروا هذا الخطر نفسه عنهم ، ولذلك كان يوضع مع المتوفى لفافة فيها رقى لأجل دفع الثعبان ودفع التماسيح عنه . (Lacau, "T.R." LXXIII, p. 119) وفضلا عن ذلك كانت الطريق الخاصة بالمتوفى معرّقة بالنيران . وكان لا بد له من الهلاك المحتم ، إذا لم تكن لديه رقية ليخرج بها من النار أو يتّكّن بها من الخروج من النار خلف الإله العظيم ^(١) .

(١) لقد أصبح من الثابت تقريبا أن سيدنا « إبراهيم » كان يعيش في هذا العصر أي عصر الدولة الوسطى الذي ظهرت فيه متون التواييت ودجا كان من معجزات هذا العصر الدخول في النار والخروج منها بالسر (قلنا يا نار فدي إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام) . قرآن كريم (Lacau "T. R." XLVIII, p. 95)

وعند ما كان المتوفى يضطر بالفعل إلى الدخول في النار كال في قدرته أن يدخلها في أمان منها بواسطة «تعويذة لدخول النار والخروج من النار خلف السماء» والواقع أن الكهنة قد رسموا للمتوفى مصورا للسياحة التي ينتظر أن يقوم بها ليكون مرشدا له عند باب النار العظيم في المدخل ليريه الطريقين اللتين يمكنه أن يستأنف منهما سيره ، وقد كانت إحدى تينك الطريقين برية والأخرى مائية ، وكان بينهما بحيرة من نار وكان هذا المصور ملونا بالألوان المختلفة على مسطح قعر التابوت من الداخل حيث يكون جثان المتوفى فوقها ، إذ أن ذلك المكان هو الملازم لرسم مصور العالم السفلي فيه ، وكان مع هذا المصور دليل سحري أيضا يسمى «كتاب الطريقين»^(١) وكان كذلك مكتوبا فوق رقعة التابوت . على أنه كان يحتمل أن يحدث بالرغم من كل هذه الإرشادات أن المتوفى لسوء حظه قد يجول في مكان إعدام الآلهة ، ولكنه كان ينجو من ذلك بتعويذة تسمى «عدم الدخول في مكان إعدام الآلهة» .

و خوفا من أن يحكم على المتوفى بالمشي منكسا على رأسه فإنه كان يجهز بتعويذة تتمعه المشي على رأسه منكسا (Lacau, "Textes Religieux Egyptiens, XLIV, p. 91)، وكان أولئك الموتى التعساء الذين حكم عليهم بالمشي المنكس أشد أعداء الإنسان في عالم الآخرة ؛ ولذلك كانت الحيلة منهم أمرا ضروريا جدا ، إذ يقال للمتوفى : "إن الحياة تأتي إليك ولكن الموت لا يسعى إليك ... وهى (الجوزاء والشعري ونجم الصباح) تتجيك من حلق الموتى الذين يمضون ورءوسهم إلى أسفل وأنت لست منهم ... استيقظ للحياة فإنك لن تموت . قم للحياة فإنك لن تموت" . وبهذه الحالة كان الاعتقاد في قوة تأثير السحر آخذا في الانتشار ، وكان بمثابة سلاح لا يخطئ في يد المتوفى ، وسنرى في النهاية أن السحر يسود كل المعتقدات

(١) كتاب الطريقين متون سحرية لم تظهر أولا إلا في عهد الدولة الوسطى على توابيت من مقاطعة الأشمونين وسننكلم هنا في فصل خاص لأهميتها (راجع Lacau, "Sacrophages Anterieurs au Nouvel Empire", Vol. I, pp. 189-198, 207-221 ; Vol. II, pp. 26 ff. Pls. LV, LVII)

الجنازية الأخرى ، كما سيكشف لنا ذلك « كتاب الطريقين » الذى دُون فى هذا العصر ثم « كتاب الموتى » الذى جاء بعد مضى عدة قرون على ذلك العهد الذى نحن بصددده ؛ إذ ليس من شك فى أن المذهب الأوزيرى كان له أثر عظيم فى انتشار استعمال هذه الطرق السحرية الجنازية . ولا شك فى أن أسطورة « أوزير » التى كانت منتشرة فى هذا الزمن انتشارا عاما قد جعلت كل طبقات الشعب يعرفون نفس هذه الطرق التى اتخذتها « اريس » لإحياء زوجها « أوزير » من الموت ، وهى تلك الطرق التى كان يعتقد كل مصرى قديم أنها ذات تأثير عظيم فى عالم الآخرة ، كما كانت ناجعة التأثير بالنسبة إلى « أوزير » من قبل . وبقدر ما كان مذهب « أوزير » قويا فى عصر الأهرام فإن انتشاره العام الآن فى العهد الإقطاعى كذلك قد فاق كل انتشار معروف سبق من قبل . إذ نجد فيه ظفرديانة الشعب التى كانت مناهضة وقتئذ لعبادة « رع » الحكومية ، وهى التى كانت تشبه أية كنيسة معترف بها الآن . وقد كانت سيادة « رع » تعتبر ظفرا سياسيا . أما ظفرديانة « أوزير » التى كان يشد أزرها بلا ريب طائفة من مهرة الكهنة وربما كانوا يقومون لها بدعاية مستمرة وقتئذ ، فإنه لم يكن فى طاقة أى طائفة ، ولا طاقة الحكومة ، ولا الأشراف مناهضتها ، وذلك لأن النعم التى كان يقوم بإغداقها المصير الأوزيرى فى الحياة الآخرة على كل الناس يجعلها ذات جاذبية قوية شاملة لا تناهضها أية جاذبية أخرى منافسة لها . وإذا كانت تلك النعم المذكورة فى زمن ما قاصرة على الفرعون وحده كما كان المصير الشمسى فى متون الأهرام قاصرا عليه ، فإننا قد شاهدنا أنه حتى الآخرة الشمسية الملكية قد صارت الآن من حق الجميع يستوى فيها الفرعون مع بقية أفراد الشعب .

الحج إلى بيت أوزير — ومن بين القبور المحترمة التى يرجع تاريخها إلى عهد الأسرات الأولى فى « العرابة المدفونة » قبر كان يعتبره القوم فى ذلك الوقت قبر « أوزير » وقد صار بسرعة المقام المقدس فى القطر المصرى فكانت تحج إليه كل طبقات

الشعب ، وكانت أعظم البركات التي ينالها الإنسان هي أن يدفن بجوار ذلك القبر المقدس ، ولذلك كان كثير من الموظفين عند قيامهم بأمورية رسمية ، أو رسالة في هذه الجهة يتنهنز الفرصة لإقامة قبر له هناك . وإذا تعذر عليه بناء قبر حقيقى كان يقيم الإنسان لنفسه مقبرة وهمية على الأقل ويكتب عليها اسمه وأسماء باقى أفراد أسرته وأقاربه ، وإذا تعذر ذلك أيضا أقام لنفسه لوحة تذكارية ينقش عليها أدعية للإله « أوزير » العظيم خاصة بالزائر وأسرته ، وقد فعل مثل ذلك كثير من الحجاج والزوار من الموظفين لهذه البقعة المقدسة ، ولذلك يقول موظف من عهد الفرعون « سنوسرت الأول » : ” لقد أقمت هذا القبر عند طريق سلم الإله العظيم لأكون من أتباعه ، والجنود الذين يأتون فى ركاب جلالتهم يقدمون إلى روى (كا) من خبزه ومثونته ، كما يفعل ذلك كل رسول ملكى يأتى للتفتيش على حدود جلالتهم “ .

وكان داخل سور معبد الإله « أوزير » وما يحاوره مزدحما بتلك اللوحات التذكارية وهى كما نجبدها اليوم تؤلف جزءا هاما من المصادر التى يصح الاعتماد عليها فى تدوين تاريخ ذلك العصر من الوجهات السياسية والاجتماعية والدينية .

زيارة جثمان المتوفى « العرابة المدفونة » — وقد كان فى قدرة كل واحد من حكام المقاطعات القوية أن يحمل جثمانه إلى العرابة المدفونة بعد وفاته لتقام له شعائر خاصة هناك ثم يجلب معه بعض التذكارات المقدسة لتوضع معه فى قبره المقام له فى مقاطعته ، كما يحمل المسلمون معهم الآن الماء من « بئر زمزم » إلى أوطانهم وكما كانت تحمل السيدات الرومانيات المياه المقدسة من معبد « إزيس » « بالفيلة » إلى حيث يتبركون بها فى الجهات البعيدة عنها . وقد رسم « خنوم حتب »^(١) فوق جدران مزارقبره « بنى حسن » هذه السياحة فى النيل ، وفى ذلك المنظر نرى جسمه المحنط محمولا فى قارب جنازى صاعدا فى سيره نحو الجنوب ، وخلفه الكهنة والمرتلون

(1) Newberry, B. H., Vol. I, Pl. XXIX.

وتسمى هذه النقوش "السياحة صعودا في النهر لمعرفة أشياء العرابة". ويوجد مع هذا المنظر منظر آخر يظهر فيه سياحة المتوفى منحدرا مع التيار في النهر . وقد فسر بالكلمات الآتية: العودة محملين بأشياء «العرابة». ولا ندرى كنه هذه الأشياء المقدسة بالضبط ، ولا سبيل لدينا للآن لمعرفةا ، غير أنه من الواضح أن الغرض من تلك الزيارة الخاصة بالإله العظيم في العرابة المدفونة هو أن يقدم المتوفى نفسه شخصيا للإله العظيم ، وبذلك الكيفية يضمن لنفسه عطف الإله في الحياة الأخرى ^(١) .

وهكذا كان الزوار الذين يأتون إلى «العرابة المدفونة» قبل الوفاة وبعده يحملون معهم القرايين التذكارية ، وهى التى يعثر عليها خلال أعمال الحفر الآن مدفونة على بعد عميق تحت كومة عظيمة من الفخار المهشم ومعها كثير غيرها من الهدايا الأخرى التى تركها هناك الحجاج الذين وفدوا على هذا المكان المقدس مدة آلاف السنين . وبلا بد أنه كان يجتمع هناك اللحم الفقير من أولئك الحجاج الزائرين لذلك المقام المقدس بالقطر المصرى فى كل العصور ، وبخاصة فى ذلك الموسم الذى كانت تمثل فيه حوادث أسطورة الإله فى شكل مسرحى يمكننا أن نسميها بحق مسرحية الآلام أو المأساة .

مسرحية آلام أوزير — وبالرغم من أن تلك المسرحية قد فقدت تماما فإن لدينا لوحة « انخروفوت » التذكارية المحفوظة الآن بمتحف « برلين » تمدنا

(١) والواقع أن هذين المنظرين قد ربما ليوضحا لنا السياحة للعرابة المدفونة . وواضح من النقوش « السياحة صعودا في النهر والعودة » ومن المناظر المرسومة نفسها أن السياحة إلى «العرابة» والعودة منها هى التى مثلت . فالسفينة العائدة إلى أعلى النيل ، أى ضد التيار شاهد شراعها منتشرا بهيمة توحى بذلك ، على حين أن السفينة الأخرى التى للعودة يشاهد أن ساريها قد أزيلت من مكانها كما جرت العادة عند السير مع التيار فى أيامنا هذه . فضلا عن ذلك فإن كلتا السفينتين تشاهدان فضلا فى الرسم الذى على جدران القبر المذكور ، واحدة منها ذاهبة إلى «العرابة» والأخرى عائدة منها . على أن هذا الرسم للعودة والذهاب لا يقتصر على هذا المنظر فقط بل نجد ما يماثله فى سفن الملكة « حنشبوت » المرسومة على جدران معبد الدير البحرى ذاهبة إلى بلاد « بنت » وآتية منها .

بالمخلص الذى يمكننا به أن نستخلص ، ولو على أقل تقدير عناوين أهم فصول المسرحية المذكورة ، ولا نزاع فى أن هذه المسرحية قد مثلت أهم الحوادث الواردة فى أسطورة « أوزير » وقد كان « اخنوفرت » ضابطا من ضباط الملك « منوسرت الثالث » ، وكان قد أرسله ليقوم ببعض الإصلاحات فى معبد « أوزير » « بالعرابة المدفونة » . وقد ذكر فى لوحته الأمر الملكى ثم ذكر لنا بعد ذلك كيفية تنفيذه .

وهاك ما جاء فى هذه اللوحة العظيمة بعد ذكر مقدمة لاداعى لنقلها هنا : (Breasted, A. R., Vol. 1, Par. 661) ”أمر ملكى للأمير الوراثى ، والحاكم ، وحامل الخاتم الملكى ، والسمير الوحيد ، وسيد بيتى الذهب وسيد بيتى الفضة ، ووزير المالية ، « اخنوفرت » المعظم . أمر جلاتى أن تذهب الى « العرابة المدفونة » لتقيم آثارا لوالدى « أوزير أول أهل الغرب » ، وذلك لترتين مكانه السرى بالذهب ، الذى أمر جلاتى أن أحضره من « النوبة » العليا فائزا متصرا . انظرا إنك ستعمل ذلك قربانا لإرضاء والدى « أوزير » . ومنذ أن أرسلتك جلاتى فإن قلبى متأكد بأنك ستقوم بعمل كل شئ حسب رغبة جلاتى ، ولقد كنت ممن دربتهم جلاتى ، وتعليمك منحصر فى القصر ، وعينتك جلاتى عند ما كنت لا تزال حدث السن فى السادسة والعشرين من عمرك ، وقد عمل جلاتى هذا لأنى رأيت أنك رجل ممتاز فى أخلاقه ، سلط اللسان منذ نشأتك ، ولم بالكلام . وقد أرسلتك جلاتى لتقوم بهذا ، لأن جلاتى قد عرف أنه ليس هناك فرد آخر يعملها ويحرز صفاتك الحسنة . فأسرع فى الذهاب ، وافعل حسب كل ما أمر به جلاتى “ .

ثم يتلو ذلك ما قاله وزير المالية إطاعة للأمر .

”لقد نفذت التعليمات حسب كل ما أمر جلاتى ، فزيت كل ما أمر به سيدى ، من أجل والده « أوزير أول أهل الغرب » ورب « العرابة » العظيم ،

المهيمن ، الواحد القاطن في « طينة » ولقد أنبت عنه بوصفى « ابنا يحبه » (أى بدل الملك) لأجل « أوزير » أول أهل الغرب ، وزينت (القبر) العظيم إلى أبد الآبدن ، وصنعت له محفة (سميتها) « حاملة جمال أول أهل الغرب » من الذهب والفضة واللازورد ، والخشب والعطر وخشب الخرنوب ، وخشب المرو ، وكذلك صنعت آلهة تاسوعه المقدس ، وعملت لها مقاصير جديدة ، وجعلت كل كاهن غير محترف يقوم بواجباته ، وجعلتهم يعرفون شعائر كل يوم ، وأعياد أوائل الفصول ، وأشرفت على صنع القارب المقدس ، وصنعت مقصورته ، ورصعت جسم رب « العرابة » باللازورد والفيروز ، والذهب وكل الأحجار الثمينة وذلك بين الحلى التى كانت من قبل على أعضاء الإله (تمثاله) ، وألبست الإله ثوبه بحكم وظيفتى رئيسا للأشياء السرية وقيامًا بواجبى بصفتى كاهنا ، وكنت طاهر اليد نظيفها عند تزيين الإله ، وكاهنا نظيف الأصابع .

ولا نزاع فى أن كل ما ذكر مفيد جدًا لأنه يكشف لنا عن بعض الشعائر الخاصة بعبادة الإله « أوزير » وبعد ذلك يقص علينا طورا فريدا من أطوار حياة الإله « أوزير » خاصا بإحياء ذكرى موته وبعثه فى « العرابة » فيقول :

احتفلت بطلعة الإله « وبوات » ، عند ما طلع ليحارب والده ، وأقصيت العدو من القارب المقدس وهزمت أعداء « أوزير » واحتفلت بالطلعة العظيمة مقتنيا الإله عند ذهابه ، وجعلت القارب المقدس للإله « تحوت » يجرى على (البحيرة المقدسة) ، وجهزت القارب مضيئا حقا لرب « العرابة » بمقصورة . وألبسته حلتة عند ما خرج ذاهبا إلى القرية (الجبانة الملكية) ، وقدت طريق الإله إلى قبره أمام « بقر » ونازلت « نفر » أى (أوزير) فى يوم الشجار العظيم ، وذبحت كل الأعداء على شاطئ ماء « نديت » وحملته إلى القارب المسمى العظيم عند ما كان يحمل جماله ، وأدخلت السرور على قلب المرتفعات الشرقية . وأوجدت الانسراح فى المرتفعات الغربية ، ولما رأوا جمال القارب المقدس عند مارسا فى « العرابة المدفونة » . أحضروا

« أوزير أول أهل الغرب » ، ورب « العرابة المدفونة » إلى قصره ، ومشوا خلف الإله حتى بيته ليحتفلوا بشعائره عند ما يعود إلى مسكنه ، وحلت عقدة (المقصودة) في وسط أتباعه وبين حاشيته .

وقد تبين لنا من هذه العناوين المدونة بتلك اللوحة التذكارية عن المسرحية المذكورة أنه كان لا بد من أن يستمر تمثيلها عدة أيام ، وأنه كان من الجائز أن يستمر تمثيل كل فصل من فصولها الهامة على أقل تقدير يوما كاملا ، وأن الجمهور كان يشترك في كثير مما كان يحدث فيها . وإننا ندرك من ذلك المختصر المدون على لوحة « إخنوفرت » أن تلك الرواية كانت ذات فصول ثمانية .

فالفصل الأول يكشف لنا عن ذلك الإله الجنائزى القديم « وبوات » خارجا في موكب ليشتت أعداء « أوزير » ويفتح له الطريق (ومن ثم اشتق هذا الاسم) .

وفي الفصل الثاني يظهر « أوزير » نفسه في قاربه المقدس الذى يتزل فيه بعض الحجاج ومنهم « إخنوفرت » كما يقص ذلك علينا في نقوش لوحته التذكارية بزهو وافتخار ، وكان « إخنوفرت » هذا يساعد « أوزير » في صدّ الأعداء الذين يعرفلون سير القارب ، ولاشك في أنه كانت تحدث بين الجمهور إذ ذاك معركة عامة كالتى شاهدها « هردوت » فى بابر ممبس ، بعد ذلك الحادث بألف وخمسمائة سنة — فكان بعضهم يقوم بحماية الإله فى القارب ، بينما يمثل الآخرون دور أعدائه المزدحمين فى خارج القارب بروسهم المهشمة فى زهو من أجل ذلك الاحتفال .

ويلحظ هنا أن « إخنوفرت » هذا قد مر على موضوع قتل الإله مر الكرام دون أن يذكر شيئا من ذلك ، كأن ذلك فى نظره موضوع مقدس لا يصح وصفه .

وقد ذكر لنا — فقط — أنه قام بتنظيم « الموكب العظيم » للإله ، وهو احتفال مظفر نوعا ما عند ما لاقى الإله حتفه ، وهذا كان موضوع الفصل الثالث .

وفي الفصل الرابع : يخرج « تمحوت » رب الحكمة . ولاشك أنه مجذ الحثة ، وإن كان ذلك لم يرد ذكره . ويتألف الفصل الخامس : من الاحتفالات المقدسة التي يجهز الإله بوساطتها للتحنيط ، في حين أن الفصل السادس : يشاهد الجمهور يسير في زحام عظيم إلى المقام المقدس بالصحراء التي خلف « العرابة المدفونة » حيث يضعون جثمان ذلك الإله الراحل في قبره .

وأما في الفصل السابع فلا بد أنه كان مشهدا رائعا فعلى شاطئ (أو ماء) « نديت » القريبة من « العرابة المدفونة » تهزم أعداء « أوزير » بما فيهم الإله « ست » وأتباعه بطبيعة الحال — في موقعة عظيمة على يد « حور » بن « أوزير » ؛ ولم يذكر لنا « إخنوفوت » شيئا عن بعث الإله وقيامه ثانية من بين الأموات .

ولكن في الفصل الثامن نشاهد « أوزير » وقد عاد إلى الحياة يدخل إلى معبد « العرابة المدفونة » في موكب مظفر .

فكان من الواضح إذا من كل ما ذكر أن « المسرحية » المذكورة قد مثلت أهم الحوادث الواردة في أسطورة « أوزير » .^(١)

وقد كان لمثل ذلك العيد الشعبي الكبير مكانة عظيمة في نفوس القوم إذ نشاهد مرارا وتكرارا قيام الججاج بالصلاة للإله العظيم لينالوا بعد الموت حظوة الاشتراك في هذا الاحتفال العظيم ، وهذا يماثل بالضبط ما رتبته « زفاى حمبي » لنفسه فيما بعد الموت لبشاطر بنصيبه في الاحتفالات بالأعياد في « سيوط » . وهكذا كان لصياغة حوادث أسطورة « أوزير » في شكل مسرحي أثر قوى في نفوس عامة الشعب .

على أن مسرحية مأساة « أوزير » هذه في أى شكل من أشكالها قد استولت على خيال المجتمعات المصرية ، فهي بالضبط كما قد وجدها « هرودوت » فيما بعد

(1) Breasted, "Dawn", pp. 245, 246; M. Kamal, A. S. XXXVIII, p. 272.

في « باريمس » ، وكانت إذ ذاك تنتشر من بلدة إلى أخرى لتحوز المكانة الأولى في تقويم الأعياد السنوية ، وبهذه الكيفية نال « أوزير » مكانة سامية في حياة عامة الشعب وآمالهم لم ينلها إله آخر ، وقد كان مصير « أوزير » الملكى الذى صور بهذه الصورة المسرحية الناطقة سببا في انتشار الاعتقاد بين الشعب ، بأن هذا المصير الذى كان في وقت ما (عصر الاهرام) وفقا على الفرعون فقط قد صار من نصيب كل الناس ؛ ولم يكن يلزم لأى شخص كان يريد مثل هذا المصير إلا أن يحصل كما ذكرنا من قبل على نفس العوامل السحرية التى استعملتها « إزيس » لإرجاع الحياة ثانية إلى زوجها الميت وهو « أوزير » المقتول ظلما بيد أخيه « ست » ، وهذه العوامل تجلب لكل إنسان هذا المصير المبارك الذى ناله هذا الإله العظيم الراحل .

وقد كان محتما حدوث مثل ذلك التدرج في تلك العقيدة الجنازية « الشعبية » كما شاهدناه من قبل حتى صارت ثقة الناس بها تزداد باضطراد دالة على كفاية السحر وقوة تأثيره ونفعه في الحياة الآخرة .

أثر السحر في نفوس الشعب في هذا العهد بخاصة — وإياه لمن الصعب أن يفهم العقل الحديث الذى لم يندمج في أفكار هؤلاء القوم الدينية وتاريخهم ، كيف أن مرافق الحياة جميعها قد تسرب إليها الاعتقاد في السحر بحالة صيرته صاحب السيطرة على السعادة الشعبية ، وكان ذلك ظاهرا على الدوام حتى في أبسط الأحوال المنزلية العادية ، إذ صار من الأشياء التى يزاوها الإنسان بطبيعة حياته كالنوم أو تجهيز الطعام ، فقد صار السحر يتألف من نفس الجحوى الذى كان يعيش فيه أهل الشرق قديما .

وقد كانت الحياة المنزلية في الشرق قديما غير ممكنة إلا بالالتجاء إلى نفوذ تلك العوامل السحرية الناجعة التى كانت تستعمل على الدوام ، والتى لولا نفوذها لأبادت القوى المهلكة الخفية كل البشر كما كانوا يعتقدون ، وبخاصة عند العامة .

ولما كان من الضروري استعمال هذه الطرق ضد الأمراض بخاصة فلان الوسائل العادية المتعلقة بالحياة المزرية والاقتصادية كانت توضع دائماً تحت حماية السحر فكانت الأم لا يمكنها أن تهدئ من روع طفلها المتألم المريض وتجعله يضطجع طلباً للراحة إلا بعد الاستنجاد بالقوى الخفية لتقوم بتخليص هذا الطفل من المرض ، ومن الحسد ، ومن سلطان أشباح الشر السوداء التي كانت تزوى في أحد أركان البيت المظلمة^(٢) ، أو التي كانت تتسلل من الأبواب المفتحة عندما يسدل الظلام خيامه فوق البيت حتى تدخل جسم هذا الطفل الصغير فتنتشر فيه . وكان من أشباح الشر الشيطان الذي يمكنه أن يتشكل في صورة محبوبه ثم يتقرب من المريض الصغير مظهره أنه في قدرته أن يشفيه من أوجاعه أو تخفيف آلامه . ويمكننا أن نستمع — حتى في أيامنا هذه — إلى صوت الأم وهي منحنية على طفلها ترنو إليه بنظراتها السريعة من هذا الباب المفتوح في تلك الظلمة المسكونة بقوى الشر هذه وتقول : ”أسرع إلى الخارج أنت يا من يأتي في الظلمة ، ويا من يدخل إلينا خلصة ، وأنفه إلى خلفه ، ووجهه ملتفت إلى الوراء ويا من تفقد من قد جئت من أجله

- هل تأتي لتقتل هذا الطفل ؟ إني لن أسمع لك بقتله .
 هل تأتي لتخفف آلامه ؟ إني لن أسمع لك بتخفيف آلامه .
 هل تأتي لتضره ؟ إني لن أسمع لك أن تضره .
 هل تأتي لتأخذه ؟ إني لن أسمع لك بأن تأخذه مني .

لقد أعددت ما يحبه منك من نبات « اف » إنه يسبب الآلام ، ومن البصل الذي يلحق بك الضرر ، ومن الشهد الحلو المذاق (للأحياء) من الرجال ومر المذاق

Erman, "Zaubersprüche für Mutter und Kind, aus dem Papyrus 3027 des Berliner Museums."

(٢) هذه العادات لا تزال مستعملة حتى الآن في ريف مصر وصعيد مصر بين الطبقات الدنيا وحتى بين طلبة القوم الذين تسحوذ على أفكارهم الخرافات الموروثة .

لمن هنالك (يعنى الموت) ، ومن الأجزاء المؤذية من سمك (ابدو) ومن فك « مررت » ، ومن العمود الفقري للسمك ... » .

ولم تكن الأم الوجلة على ابنها تستعمل هذه التعويذة المذكورة بمثابة رقية وحسب ، وإنما كانت تتبعها بمزيج شهي تعطيه الطفل المريض فيبتلعه . وهو مزيج مصنوع من الأعشاب والشهد والسمك وكان خاصا بطرد الشياطين المرجومة التي كانت تعذب المرضى من الأطفال ذكورا وإناثا مهددة بانتزاع حياتهم ، كما نجد في وصف الشهد بأنه حلو المذاق (للناس الأحياء) ، ومر المزاق لمن هم هنالك (الموتى) .

فكان الواضح إذن أن من الشياطين من يخاف الإنسان بأسه ، لأن بعضهم يكونون هم نفس الأموات الذين تجردوا من أجسامهم ، ولذلك كانت حياة أهل الدنيا في تصادم مع الأموات طوال مدة حياتهم في هذه النقطة . فكان من اللازم حينئذ العمل على كبح جماح أولئك الأموات الأشرار ، وقفهم عند حدودهم . ومن هنا كانت التعاويذ والحيل السحرية التي دلت على تأثير فعلهم ضدهم في الحياة الدنيا لها قيمتها في الحياة الآخرة أيضا ، فإن هذه الرقية السالفة التي منعت أخذ الطفل بعيدا عن أمه يمكن استعمالها كذلك ضد من يسعى لسلب قلب أى رجل في العالم السفلى . فلاجل أن يتمكن الرجل المتوفى من الدفاع عن نفسه يقول ” هل حضرت لتأخذ قلبي هذا الحى : إن قلبي هذا الحى لن تعطاه “ .

وعلى ذلك فإن الشيطان الذى يريد أخذ قلبه ليضربه به كان يتسلل بعيدا عنه لا محالة ، وبذلك الطريقة كان السحر الذى يستعمل في الحياة الدنيا يستعمل بحالة مضطردة في الحياة الآخرة ، وكان الأموات يعرفونه إذ كانت تعاويذه توضع تحت تصرفهم .

تعميم المحاكمة العامة أمام الإله — ونعرف أن الاعتقاد الدينى لم يكن يحتم في عهد الأهرام وجود محاكمة عامة تجرى على كل الناس في الحياة الآخرة ، لأن الأمر وقتئذ كان يتطلب حضور المذنب للحاسبة في عالم الآخرة عن ذنب

خاص اقترفه فكان إله الشمس يعقد هناك محكمة للفصل في أمثال تلك القضايا ، ولكن في العهد الإقطاعي كان إله الشمس يعلن أن كل إنسان مسئول عن خطيئته كما يستدل على ذلك من «متون التوابيت» : «لقد جعلت كل رجل مثل أخيه ، وقد حرمت عليهم إتيان الشر ولكن قلوبهم هي التي تعصى ما قلت» . وقد ذكرنا في النصائح الموجهة ، د «مر يكارع» ما يأتي : «إن ذنوب الرجل كانت تكوم بجانبه كالجبال في حضرة القضاة المهابين في عالم الآخرة» . ولذلك فإن حياة الإنسان مهما كانت نقية فإنه كان من مستلزمات معتقدات هذا العصر الإقطاعي أن ينتظر الإنسان ريثما يجتاز المحاكمة الخلقية للحصول على السعادة المنشودة في الحياة الآخرة . وقد صار ذلك الشعور بالمسئولية الخلقية فيما بعد الموت من العوامل القوية في حياة الشعب المصرى القديم ، غير أنه كان هناك عاملان قويان يعملان على هدم تلك المسئولية وهما :

(أولا) استمرار اعتقاد عامة الشعب في كفاية العوامل المادية مثل إقامة القبور مع إعداد معداتها ضمن سعادة المتوفى في الحياة الآخرة . (وثانيا) الاعتماد الزائد على نفع قوة السحر في عالم الآخرة وهو الاعتقاد الذى نال تشجيع الكهنة الذين تطرفوا في ابتداع تعاويذه ، واشتطوا فيها الى حد أنهم حاولوا إنتاج تعاويذ سحرية تنفع المتوفى في ضمان قبوله خلقيا عند محاكمته في عالم الآخرة .

ورغم انتشار العقائد الشمسية والأوزيرية في عهد الدولة الوسطى فإن ملوكها كانوا متمسكين بعبادة آلهتهم المحلية . ففي الأسرة الحادية عشرة كانت عبادة «متو» هي السائدة حتى جاءت الأسرة الثانية عشرة فأصبح ملوكها يعتنقون عبادة إلههم المحلى «آمون» . ولما كانت عبادة هذا الإله في «طيبة» وكيفية ظهوره في أواخر عهد الأسرة الحادية عشرة . ثم انتشار عبادته في عهد الأسرة الثانية عشرة وما بعدها آثرنا أن تتبع خطوات ظهوره في عهد الدولة الوسطى .

ظهور الإله آمون وعبادته في الدولة الوسطى — تدل الآثار المكشوفة حتى الآن على أن عبادة الإله «آمون» رغم أنه الإله المحلى لمدينة «طيبة» منذ الأزل

كما تقول النقوش الدينية لم يذكر اسمه إلا في عهد الأسرة الحادية عشرة، وحتى هذا التاريخ لم يذكر إلا أربع أو خمس مرات : (أولا) يحتمل أن الأمير « واح عنخ انتف عا » يشير في لوحته الرئيسية التي وجدت في قبره الى تجهيز معبد « آمون » وإعداد سفنه المقدسة .

(Lange und Schafer, "Grab und Denkstein", 20512. II and 6);

(Sethe, "Amun und die Acht Urgotter", Par. 9, 54)

(ثانيا) أمنحات (آمون في مقدمة الآلهة) ، وهو الذى أصبح فيما بعد أحد رجال بلاط « حورنخت نب تب نفر - انتف » لا بد أنه كان قد ولد في عهد « واح عنخ » هذا نفسه ، ولوحته في متحف « متروبوليتان » (6, 2, 14) . (ثالثا) يحتمل وجود إشارة أخرى الى معبد آمون على لوحة مهمشة في الجبانة التي دفن فيها « واح عنخ » ; (Pterie, "Qurneh", p. 17, Pl. X; Sethe, "Amun", Par. II) . (رابعا) جاء ذكر اسم السيدة «أمونت» وقد سميت باسم الإلهة التي كانت تعتبر زوج الإله « آمون » ، وهذه السيدة لا بد قد وُلدت وسميت بهذا الاسم في باكورة حكم الفرعون « نب حبت - رع » ؛ فقد وجد على أكفانها السنة الخامسة والثلاثون من حكم هذا الملك ، وكذلك في السنة الثامنة والثلاثين ، ويحتمل الثانية والأربعين من حكمه أيضا . وقد قال الدكتور « درى » الذى فحص جسمها فحصا علميا إنها كانت امرأة في مقتبل العمر .

(A. J. S. L., Vol. 58, p. 158, note 60)

وقد ولد « أمنحات » الأول الذى أصبح فرعوننا فيما بعد في نفس حكم هذا الفرعون ، ولكن في نهايته . وقد عاش بعد الأسرة الحادية عشرة ليحكم البلاد لمدة ٣٠ عاما . وخلافا للقليل الذى ذكرناه عن « آمون » فإننا لانعرف شيئا عنه قط قبل الأسرة الثانية عشرة .

أما الأستاذ « زيته » فيريد أن يقول إن الإله آمون رغم ذكره في متون الاهرام فإن عبادته قد أدخلت في « طيبة » على يد أميرها « حورواح عنخ -

انتفعا»، وذلك نتيجة لانتصاره على أهل «أهناسية المدينة». وقد فرض الأستاذ «زيت» عند ما لم يجد شواهد معاصرة تدعم قوله أن الفتوح الطبية قد امتدت شمالا حتى «الأشمنونين» التي كان يعبد فيها الإله «آمون» وهو أحد ثمانية آلهة كانت تعبد هناك وتعتبر الآلهة المحلية لهذا الإقليم (مقاطعة الأرنب) (J. E. A., Vol, XVII, p. 151) ومهما يكن من زعم الأستاذ «زيت» في دخول الإله «آمون» في «طيبة» سواء أكان ذلك من جراء الانتصار في الحرب على الدلتا أم لا، فإننا قد وجدنا عبادة «آمون» كانت موجودة في أوائل الأسرة الحادية عشرة، غير أنه من المحقق أنها لم تكن عبادته هي الديانة الرسمية للملك هذه الأسرة. وقد كان أول من جعلها ديانة الحكومة هو «أمنمحات» الأول فاتحة ملوك الأسرة الثانية عشرة. ويحتمل أن السبب في ذلك يرجع إلى أسباب أسرية، ومن ثم أخذت شهرته تنمو وتنتشر بخطا واسعة، ولم يمض طويل زمن حتى وحده مع إله الشمس «رع» إله الدولة القديمة وأصبح يسمى «آمون رع» وقد ذكر «زيت» أمثلة لاسم الإله «آمون رع» ترجع إلى عهد «سنوسرت الأول»، (Sethe, "Achung", p. 236) ولقد كان من الطبيعي أن يعمل الحاكم الجديد كل ما في وسعه لتقوية مركزه بازدياد نفوذ الإله معبوده هذا الذي يحبه.

وتدل الشواهد على أنه كان في الشعائر الدينية الأولى الخاصة بعبادة «آمون» ما يشير إلى سياحة بالسفينة المقدسة، ويحتمل أن أقدم سياحة سنوية له كانت إلى «أبت الجنوبية» (الأقصر)، وقد نشر «فوكار» قطعة من نقش وجد في «الدير البحري»، ويعتقد أنه يظهر عليها مقدمة سفينة «آمون» في عهد الملك «نب حبت رع» (Foucart "B. I. F. A. O.", Vol. XXIV, Pl. IX; Naville, "XI Dyn. Temple", Vol. I, Pl. XIII)

وربما كان ذلك مما سهل جدا لسميه العظيم «أمنمحات» أن يؤسس عبدا جديدا أطلق عليه السياحة إلى «وادي نب حبت رع»، وهو ذلك الفرعون الطبي

الذى وحد الأرضين . والواقع أن « وادى نب حبت رع » كان الاسم الشائع « للدير البحرى » فى عهد الأسرة الثانية عشرة فقد كتب هكذا على لوحة « سنوسرت الثالث » التى وجدت فى المعبد (Naville, ibid, p. 59, Pl. XXIV) .

وقد أصبح « عيد الوادى » الذى ذكر هنا لأول مرة فيما بعد من أيام العطلة الدينية الهامة جدًا فى « طيبة » كما نعلم من عهد الأسرة الثامنة عشرة حتى العهد الإغريق الرومان^(١) وفى هذا اليوم كان يؤتى بتمثال هذا الإله من معبد الكرنك فى سفينه المقدسة ويعبر به فى سفينة عظيمة إلى الشاطئ الآخر من النيل ، ومن ثم يحمل على أكتاف الكهنة من الجهة الغربية للنيل ويسير فى موك حافل حتى الملك « نب حبت رع » ، وهناك يمضى الليل .

لقد بقى اسم « عيد الوادى » يطلق على هذا العيد حتى بعد أن جاءت الأسر الأخرى وبنت معابد جديدة فى « طيبة » الغربية وكان القوم يحجون إليها ، رغم أنها كانت مقامة فى السهل لافى الوادى .

على أنه لم يخطر ببال الملك « نب حبت رع » أن القوم سيحجون إليه هذا الحج العظيم ، وكذلك لم يفكر المهندسون الذين وضعوا تصميم معبده بهذه الكيفية أن هذا الحج سيحدث ، لأن بناء المعبد لا يصلح لأى احتفالات يحمل فيها قارب الإله ، ويسير بين طرفاته الضيقة الملتوية كما أشرنا إلى ذلك من قبل . وفى الحق

(١) وقد كان هذا القارب أو السفينة كما نعلم فيما بعد يرسو أولاً عند معبد وادى « الدير البحرى » ثم فى مقصورة فى منتصف الطريق للمعبد وأخيراً فى معبد حتشبسوت . وفى كل حالة من هذه الحالات كان يوجد فى القارب تماثيل أوزيرية الشكل لللكة فى أركان المقصورة .

“Annales du Musée Guimet” Vol. XXX (1902); Winlock M.M.A. (March 1932) Part II, pp. 14 ff.; Breasted, A. R. Vol. II, Par. 885, Vol. III, pp. 212, 215, 218, 515, 517, 522; Vol. IV, Par. 17; Foucart, B. I. F. A. O., Vol. XXIV: Kees, “Orientliche Literaturzeitung”, Vol. XXX, p. 242; Sethe, “Achtung”, Par. 8, Note 1; Steindorff and Wolf, “Thebanische Graberwelt”, p. 27.

أن سياحة القارب المقدس لم يسمع بها قط في كل ما وصل إلينا من النقوش حتى الآن في عهد الأسرة الحادية عشرة .

أما في الأسرة الثانية عشرة فنعلم أنها كانت تقام سنويا ويتطلع إليها الأهليون في تلهف وشغف . وقد حدد لنا أحد الكهنة المسمى « نفرابد » تاريخ سياحة « آمون » إلى الوادى : « الكاهن المطهر » نفرابد » يقدم المديح إلى الإله « آمون » ويقبل الأرض أمام رب الآلهة في عيده في اليوم الأول من فصل « شمو » (الصيف) عند ما يعبر في يوم السياحة إلى وادى الملك « نب حبت رع » « كتبه » كاهن « آمون » المطهر » نفرابد » . فلا بد أن هذا العيد كان يقام في أيام « أمتنحات الأول » في اليوم الأول من أغسطس (Winlock, "Proceedings of the American Archaeological Society", Vol. LXXXIII, (1946), p. 447)

وهذا الفصل من السنة لم يكن له أهمية من الوجهة الزراعية إذ فيه فصل الركود الزراعى ، لأن الأراضى تكون مغمورة بمياه الفيضان حينئذ ، وسرى الدور الفريد الذى لعبه هذا الإله الذى كان مغمور الذكر في عهد الأسرة الحادية عشرة عند ما امتدت الفتوح المصرية في كل بقاع العالم في عهد الأسرة الثامنة عشرة .

كتاب الطريقين إلى عالم آخرة « أوزير »

مقدمة — كان من نتائج الثورة الاجتماعية التى قام بها عامة الشعب من جراء الظلم الذى حاق بهم من طبقات الإشراف فى البلاد أن انقلبت الأوضاع الاجتماعية المألوفة رأسا على عقب ، فأصبح السيد مسودا ، وصار الفقير غنيا ، فسادت الفوضى مدة من الزمان مما دعا إلى قيام جماعة من حملة الأقلام المصلحين يطالبون بالعدالة الاجتماعية وينتدون بالملك الذى كان متزويا فى عقر داره يلهو ويلعب ، ولا علم له بشئ مما آلت إليه البلاد من سوء الحال وفساد النظام . وقد ظل هؤلاء الكتاب يعالجون الموقف بحكمتهم ويصورونه بصور شتى محسة إلى أن قُبِضَ لهم النجاح

في مهمتهم الشاقة، وظهر المصلح العظيم المنتظر في شخص الفرعون «أممحات الأول» كما أسلفنا، فأعاد للبلاد بعض مجدها القديم وبث فيها روح العدالة، وأخذ يفسح المجال للحرية الشخصية من الناحية الاجتماعية والقضائية . غير أن هذه الحركة الفكرية العظيمة التي أوجدها أولئك الكتاب لم تقف عند هذا الحد من الإصلاح الاجتماعي» بل اتسعت دائرتها وتشعبت نواحيها فكان مما تناولته الناحية الدينية، ولا سيما ما يختص منها بحقوق الإنسان في عالم الآخرة والجنة السماوية التي كانت حتى هذا العهد وقفا على الفراعنة وأسراهم . من أجل ذلك أخذ القوم يفكرون في أمر آخرتهم وما فيها من نعيم وبدءوا يطالبون بمساواتهم أمام الإله دون فرق بين فقير وغنى . وعلى أثر ذلك نجد بعض الأفكار الدينية الشعبية الجديدة أخذت تظهر في المتون الدينية الخاصة بهذا العهد، أى العهد الإقطاعي الأول، بعد أن تختر القوم من سطوة العقائد الدينية الملكية التي كانت قد طغت على ديانتهم جملة وجعلتها كأن لم تكن . وأول ما ظهرت هذه العقائد الشعبية في « متون التوابيت » التي كانت تتعارض في كثير من الأمور مع متون العقيدة الشمسية الأصلية وهي التي كانت العماد الأول الذي تقوم عليه ديانة الملوك، والتي نراها منتشرة في «متون الأهرام» ، كما فصلنا القول في ذلك . على أن مثل هذه المتون الدينية الجديدة لم تكن شائعة في بادئ الأمر بل كانت محلية، وإن أصبحت فيما بعد ذائعة منتشرة وكثرت وحدة عظيمة في عهد الدولة الحديثة، إذ ظهرت في صورة كتب يتداولها أفراد الشعب على السواء ، ونخص بالذكر منها كتاب « أمى دوات » أى (ما يوجد في العالم السفلى) ثم « كتاب البوابات »، وهى الأبواب التي كان لزاما على المتوفى أن يمر بها في طريقه إلى عالم الآخرة الذى هو جنة المأوى، وأخيرا «كتاب الموتى» الذى كان يحتوى على عدة فصول توضع بجوار المتوفى في تابوته ليكون دليلا له وحافظا من كل الأخطار التي تعترضه في سبيله إلى جنة الخلد .

وأول كتاب ظهر من هذا النوع في مقابر الشعب يرجع تاريخه إلى عهد الدولة الوسطى على التوابيت المصنوعة من الخشب، وهو الكتاب الذى اصطلح على تسميته

حديثاً كتاب «الطريقين»^(١) . ومن غريب الصدف أن كل التوابيب التي دُون عليها فصول هذا الكتاب قد وجدت في بقعة واحدة بعينها، وأعني بذلك جبانة «البرشة» الواقعة في المقاطعة الخامسة عشرة من مقاطعات الوجه القبلي، وهي التي كان يطلق عليها قديماً مقاطعة «الأرنب» وعاصمتها «الأشمنونين» . الحالية وتعدّ هذه المقاطعة كذلك المركز الرئيسي لعبادة الإله «تحت» إله العلم والكتابة والحساب والموافيت، الذي كان يمثل المصريين في صورة قرد طوراً وفي صورة القمر تارة أخرى . وجبانة البرشة تقع قبالة بلدة «الأشمنونين» على النيل . ولا نمتجب إذا، إذا وجدنا ميلاً ظاهراً في متون هذا الكتاب لعبادة الإله «تحت» . والواقع أن هذا الإله كان يقوم بأهم دور في هذه المتون، ولا غرابة في ذلك إذ أنه يعتبر من أعظم الآلهة المصرية، فضلاً عن أنه يعدّ في بعض المذاهب المثل للإله «رع» أعظم الآلهة المصرية في كل العصور التاريخية للبلاد .

وحقيقة الأمر أن قيمة «كتاب الطريقين» قد أصبحت عظيمة بالنسبة لنا، لأنه يعدّ بوجه خاص الحلقة التي تربط بين «متون الأهرام»، وهي الخاصة بالملوك وبين الكتب التي ظهرت في عهد الدولة الحديثة مثل «المرشد» الذي يسمى «مايوجد في عالم الآخرة السفلى» ومثل «كتاب البوابات» وهذان الكتابان كان يستعملهما

(١) وهو يصف لنا العقبات والمصاعب التي كان لابد أن يجدها المتوفى أثناء انتقاله من هذا العالم الدنيوي إلى العالم السفلي الذي يقطن فيه الإله «أوزير» إله الموتى، كما تصورها أجيال الشعب، وقد كان لزوماً على المتوفى أن يتخذ لسيّره إلى هذا العالم السفلي إحدى طريقين، إما طريق الماء أو طريق اليابسة، وكان يفصل هذين الطريقين بحيرة من نار يسقط فيها المتوفى إذا حاد عن الطريق الذي اختاره لنفسه من الطريقين المذكورين، وهذا ولم يكن مصرحاً للمتوفى أثناء سيره على الطريق الذي يسير عليه أن يلتفت يمينا أو شمالاً؛ لأنه لو فعل ذلك كان مصيره الهلاك . وقد كان كل من هذين الطريقين يحتوي على عدّة محطات وبنا يسكنها حراس من الجن ومخلوقات بشعة مريضة تجرس أبواب تلك المباني والمنحنيات، ولا تسمح للمتوفى بالمرور إلا إذا كان مسلحاً بمعوذة سحرية تفسح له الطريق عند تلاوتها أمام أولئك الحراس الذين يعترضون طريقه إلى أن يصل إلى «روستاو» وهو المكان الذي يأوي إليه «أوزير» ، وهنا يشوى الجسم ثم يستمر روح المتوفى بعد ذلك في سياحته في العالم السفلي مع إله الشمس في سفينة إلى أن تعود ثانية إلى الشرق وتظهر معه، وهكذا يقوم روح المتوفى بهذه الرحلة مع إله الشمس في سفينة يومياً مجدداً نفسه مثل الإله «رع» نفسه .

الملوك والشعب على السواء كما سبق . على أن الباحث المحقق يجد أن الفكرتين اللتين احتواهما « كتاب الطريقين » لا يخرجان عن تلخيص لكل من المذهب الشمسى (ديانة الملوك) والمذهب الأوزيرى (ديانة الشعب) . وهاتان الفكرتان قد وضحتا توضيحا شافيا فى كتابى « ما يوجد فى العالم السفلى » و « كتاب البوابات » : فالأول يفسر لنا العقيدة الشمسية ، والثانى يوضح لنا المذهب الأوزيرى ، ولكن لا يفوتنا أن ننبه هنا على أن هذين الكتابين لم يشق أصلهما من « كتاب الطريقين » بل أخذ عن « كتاب الموتى » الذى ترجع أصوله إلى « متون التوابيت » و « متون الأهرام » معا . وكتاب « الطريقين » كان يعد فى « متون التوابيت » فصلا ضمن فصولها . والواقع أن « كتاب الطريقين » له اتصال بـ « كتاب البوابات » ، لأنه يعد مرشدا يستعينه المتوفى بما يحتويه من إرشادات فى صور تعاويذ سحرية على شق طريقه وعرة المحفوفة بالمخاطر فى عالم الآخرة ليصل سالما إلى جنة الخلد (روستاو) التى كان يلقى فيها النعيم المقيم مثل الإله « أوزير » . وبدل المنطق وما لدينا من معلومات حتى الآن على أن المتون المصرية منذ أقدم العهود أخذ بعضها من بعض ، أى أن كلا منها قد استقى من سابقه ولذلك لا نكون قد حدنا عن جادة الصواب إذا تصورناها على الصورة التالية :

العهد العتيق : مصدره : الرواية .

الدولة القديمة : مصدرها : « متون الأهرام » التى يوجد فيها كثير مما يرجع إلى العهد العتيق .

الدولة الوسطى : مصدرها : « كتاب الطريقين » و « متون التوابيت » وقد أخذ كثيرا عن « متون الأهرام » .

الدولة الحديثة : مصدرها : « كتاب الموتى » وهو مأخوذ من كتب العصر السالف وعنه أخذ كتاب « ما يوجد فى العالم السفلى » و « كتاب البوابات » .

العصر المتأخر : مصدره : النصوص السالفة جميعا .

ويمكننا القول إن «متون الأهرام» التي كانت لا تخرج في معظم الأحيان عن مجموعة من الفصول الدينية والتعاويذ السحرية غير المتصلة الحلقات قد جمعت من المعتقدات العتيقة ما يوافق هوى الملك الحاكم وذوقه ، وقد كانت المصدر الأصلي الذي أخذ عنه المؤلفون في الأدب الجنائزى فيما بعد ، وبخاصة « متون التوابيت » و « كتاب الموتى » . ومثل هذه المؤلفات كان يستعين بها المتوفى لضمان حياة في عالم الآخرة ملؤها السعادة والنعم .

أما الصنف الثانى من المؤلفات التى ظهرت فى نفس الوقت الذى ظهر فيه « كتاب الموتى » فكان الغرض منه أن يقص عليه قصة متصلة الحلقات كما يقصها علينا « كتاب الطريقين » وأعنى بذلك كتاب « ما يوجد فى العالم السفلى » و« كتاب البوابات » ، ولكن الغريب فى هذين المؤلفين أننا لم نجد نسختين من أى كتاب منهما متحدتين فى ألفاظهما تماما . وقد يعزى ذلك إلى اختلاف العقيدة ، وإلى الآلهة المحليين الذين كانوا يلعبون دورا عظيما فى معتقدات القوم . من أجل ذلك كله لم تصلنا رواية متفق عليها يسير الكل على نهجها فى طول البلاد وعرضها ، ولكن نرى بوجه عام أن مجموع الشعب متمسكون بلب ما فى هذه النسخ المختلفة ، فكانوا يرسمون فى النسخ التى توضع معهم فى قبورهم الشخصيات الهامة بين الآلهة والمناظر التى تدور حولها المتون ، وإن كان الحوار فيها يختلف بعض الشيء ، وهذا الاختلاف كما قلت راجع إلى المعتقدات المحلية .

وإذا كان القارئ أو الباحث المدقق سيجد بعض الإبهام فى « كتاب الطريقين » ، فإن جريرة ذلك لا تقع على جامع هذا الكتاب ، بل يجب أن نعزو ذلك إلى جهلنا التام بديانة الشعب فى هذا العهد بعينه بل والعهد الذى سبقه . فقد ظهر هذا المؤلف فى عصر كانت البلاد غارقة فيه فى بحر من ظلمات الفوضى والارتباك الاجتماعى والسياسى ، فكان فيه التدهور الخلقى والدينى بطبيعة الحال على أشد ما يكون من العنف ، وإذا وجدنا أن التشويش والتشويه والغموض تسود فصول

هذا المؤلف فإن ذلك راجع إلى أننا بعيدون كل البعد عن فهم الأفق العقلي والدينى لمؤلفيه . فمن الجائز أن ما يظهر أمامنا مشوشا غامضا كان في نظر أهل هذا العهد منطقيا مفهوما ، وهذه الحقيقة يدركها تماما أولئك الذين يدرسون التاريخ القديم وتطوراته ، ولا يبعد من جهة أخرى أن هذه الكتب كانت مبهمة كذلك على غير المتعلمين في هذا العصر ، وهم الذين يقبلون في كل زمان ومكان ما يلقى عليهم رجال الدين دون معارضة أو سعى لتفهمه وبخاصة اذا كان يتفق وعقليتهم الساذجة .

مصادر كتاب الطريقين

وصل إلينا حتى الآن من الكشوف الأثرية عشر نسخ من كتاب الطريقين ،

تسع منها محفوظة على رقع توابيت موجودة «بالمتحف المصرى» .

(Lacau, "Sarcophages Anterieur au Nouvel Empire", Vol. I, pp. 189-198, 209-222 ; Vol. II, pp. 29 ff. Pls. LVI, LVII, (Vol. I.)

ونسخة أخرى على رقعة تابوت «بمتحف برلين» (Berlin Museum, No. 14385)

وقد نشرت متون هذه التوابيت بطريقة مختصرة ، وبخاصة متون توابيت «متحف

القاهرة» ، هذا فضلا عن أنه لم يحاول أحد من العلماء ترجمتها أو درسها درسا شافيا .

ومما يؤسف له أنه حتى التوابيت التى أبقتها يد التخريب لم نجد بينها إلا أربعة

دون عليها هذا الكتاب بحالة لا بأس بها : ثلاثة منها بمتحف القاهرة ، وتحمل الأرقام

التالية ٢٨٠٨٣ ، ٢٨٠٨٥ ، ٢٨٠٨٩ فى السجل الرسمى ، وهى التى سنعتمد عليها .

أما النسخة الرابعة ففى متحف «برلين» وقد دون التابوت الذى كتبت عليه تحت

رقم ١٤٣٨٥ فى سجل المتحف .

ومما يجب التنويه عنه هنا أن نسخة «برلين» قد امتازت بطابع خاص ، إذ تحتوى

على بعض متون لا نظير لها فى نسخ «متحف القاهرة» كما سنرى بعد ، على أنها وإن

كانت من جهة أخرى ينقصها ثلثا المتون التى كتبت على نسخ «متحف القاهرة» ؛

هذا بالإضافة إلى أن جزءا كبيرا من المصوّر الجغرافى الذى وجدناه على توابيت

« متحف القاهرة » وبخاصة الصور الإيضاحية قد خلا منها مصور متحف « برلين » .

ما نعرفه عن ديانة الشعب في عهد الدولة القديمة — وقبل أن نتناول محتويات هذا الكتاب بالبحث والدرس يجب أن نفهم أولاً أنه لا يمتاز بوجود معتقدات جديدة مبتكرة ، بل إنه هو في الواقع يضع أمامنا صورة تعبر عن ديانة الشعب ومعتقداته وهي تلك الصورة التي حتمت الأحوال أن تبقى مغمورة متروية بمعزل عن المتداول من المعتقدات الملكية الشمسية التي كان لها السيطرة التامة دون سواها ، ولذلك لم ترك مجالا ما لظهور معتقدات الشعب ومذاهبهم الدينية . وعلى الرغم من أننا نجد الآثار التي كشف عنها حتى الآن قد صمتت صموتا تاما عن ذكر أى شئ يتعلق بديانة عامة الشعب ومذاهبهم ، فإننا كنا نسمع من حين لآخر أصداء تلك المعتقدات على نقوش الأبواب الوهمية واللوحات الجنازية في عهد الدولة القديمة . وقد ألف الأستاذ « جارنو » حديثا كتابا يلقي بعض الضوء على معتقدات الطبقة الوسطى وعظماء القوم من الوجهة الخلقية ، وسلوك الفرد في الحياة الدنيا ، وتأثيره عليه في حياته الآخرة ، وما يتطلبه من قربان من زائر قبره ؛ فقد جمع المؤلف في كتابه النداءات التي كان يناشد بها المتوفى الأحياء الذين يمرن بقبره طالبا إليهم تلاوتها ؛ ومع ذلك فقد بدت مبهمة لا تبحث في صميم موضوع ديانة الشعب (Garnot, "L'Appel aux Vivants")

والواقع الذي لامراء فيه أن كل فرد كان له دين يسير على منهاجه ، وأنه من أجل ذلك كان يقيم لنفسه مقبرة يعدّها بكل ما في استطاعته من عتاد مادی . وكذلك نعرف أن القوم كانوا مدّة حياتهم يتعبدون إلى آلهة مختلفة ويتضرعون إليها كلما أصابهم خطب أو حلت بهم مصيبة ، كما كانوا يستعطفونهم ليمدوهم بالقربان الملكي بعد مماتهم . على أنه في الوقت الذي نعرف فيه كل ذلك لم تصلنا من جهة أخرى أية معلومات عن جنة الشعب التي كانوا يتطلعون إليها ويتغنون النعم فيها . وجل ما نعرفه أنهم كانوا ينتظرون يوم حساب أمام الإله العظيم إذا دعا الأمر إلى ذلك .

جنة الفرعون السماوية المحترمة على الشعب — أما فيما يتعلق بادعاء الملوك وأسرهم ورجال حاشياتهم بأن الجنة السماوية كانت وقفا عليهم ، وأنها كانت محترمة على عامة الشعب فلدينا من المتون من عهد الأهرام ما يبرهن على ذلك بكل جلاء . وقبل أن نبحث هذه المتون يجب أن نوضح هنا أن هذه الجنة السماوية كانت أولا وقبل كل شيء للفرعون ، أما أسرته و كبار موظفيه وحاشيته فكانوا يتمتعون بها تبعاً له بوصفهم أسرته وخدامه ، كما كانوا في الحياة الدنيا ، ولولا ذلك ما نالوا هذا الامتياز الأخرى الذى حرمه عامة الشعب الذين كانوا يعدون كالأنعام بل هم أضل سبيلا . ولا أدل على ذلك مما جاء فى متون الأهرام (Pyr. 669) عند ما خطب الملك الراحل بالجملة التالية : ” إن ماءك ماواه السماء ، أما الآلاف فإواهم الأرض “ . ويقصد بكلمة « ماء » ما يخرج من بين الصلب والترائب أى النطفة التى يخرج منها نسله وهم ذريته . وهؤلاء كان مصيرهم جنة السماء ، أما الآلاف وهم أفراد الرعية الذين يحكمهم الفرعون فكان مصيرهم الأرض ، وستكلم عن جنتهم الأرضية فيما بعد . وكذلك نقرأ نفس الفكرة السابقة فى متن آخر من متون الأهرام (Py. 408) فاستمع إليها : ” إن « ناس » (الملك) إله أسن من أى مسن ، تخدمه آلاف ، ويقدم له القربان مئات “ . والمقصود هنا بالآلاف والمئات هم عامة الشعب . ونقرأ كذلك فى المتون نفسها (Py. 488) ما يأتى : ” إن ماء الملك « تيتى » فى السماء وشعب « تيتى » على الأرض فما أوجع تحسر القلب (؟) “ . وفى موضع آخر من نفس المتون (Pyr. 655 b) نقرأ خاصا بالملك : ” إنك تدخل أبواب السماء التى حرمت على المواطنين “ ، ونحن نعلم أن المقصود من المواطنين هنا الطبقة الوسطى من الشعب ، وقد حرم عليهم دخول أبواب السماء التى فيها الجنة . وهذه الفكرة بعينها نجدها موضحة بصورة أظهر فى مكان آخر من نفس المتون (Pyr. 876) فاستمع إليها : ” لقد فتح لك مصراعا باب السماء وانفرجت لك أبواب السماء ، وهى التى تصد الناس بعيدا عنها “ . وفى مناسبة أخرى نقرأ : ” إنك تفتح للملك « مرزوع » المزلاج إلى بابى السماء المحرمة على الناس “ .

جنة الشعب مركزها الأرض — ذكرنا فيما سلف نقلا عن «متون الأهرام» أن الملك وذريته كانوا يرجون إلى السماء فينعمون هناك بجنة الخلد ، أما الألوف وهم عامة الشعب فكان مأواهم الأرض . والواقع أنه لدينا بعض الإشارات في المتون الجنازية توحى إلينا بأن جنة عامة الشعب كانت على الأرض ، فقد كان يظن حتى نهاية الأسرة الخامسة تقريبا أن مركز هذه الجنة هي حقل القربان الذى يظن أن موقعه كان في بلدة « هليوبوليس » (عين شمس) وهذه البقعة المباركة كانت تعتبر المركز الرئيسى لعبادة الإله « رع » الذى كان يزعم القوم أنه أول من حكم الدنيا ناشرا العدل والمساواة بين الجميع ، ولكنه تخلى عن حكم العالم الدنيوى ورفع نفسه إلى عالم السموات ، وكان من جراء ذلك أن رفع معه حقل قربانه إلى العالم العلوى ، وأصبح مأواه الأبدى السماء مثل والده «رع» ، وهناك ينعم بعيشة راضية فى حقول قربان والده . أما عامة الشعب فقد ترك لهم حقول القربان التى على الأرض فى « هليوبوليس » ليتمتعوا بها وقد جرت العادة أن تقام مقابر القوم فى تلك الجهة كلها وجد إلى ذلك سبيل . ويمكن التدليل على وجود حقول قربان فى السماء وأخرى على الأرض بما وصل إلينا من النقوش الجنازية التى تركها الملوك والقوم فى مقابرهم ، فقد جاء فى «متون الأهرام» ما يثبت صراحة وجود حقول قربان للولوك فى عالم السماء أما عن وجود هذه الحقول على الأرض ليتمتع بها أفراد الطبقة الوسطى وعظماء القوم فلدينا صيغة جنازية نقرأها كثيرا ولكنا نتر بها من الكرام دون التدقيق فيما تحويه من معنى عميق ، وهذه الصيغة هى جزء من دعاء للمتوفى شائع الاستعمال يطلب فيه أن يقرب له قربان ملكى ، وأن يعيش عمرا طويلا ، وكذلك يدعى له بأن « يتمكن من السير على الطرق الطيبة التى سلكها المقربون من قبل » . وليس ثمة شك فى أن هذه الصيغة تشير إلى حادث معين خاص بشعيرة بعينها كان يحتفل بها القوم ، وكانت تؤدى عند دفن المتوفى . وتفصيل ذلك أن المتوفى كان لزاما عليه أن يزور قبل الدفن المعابد القديمة التى

كانت مقامة من قديم الزمان في «بوتو» («ابطو» الحالية القريبة من «دسوق») و «سايس» (صا الحجر) «هليوبوليس» وغيرها . وهذه المعابد كانت أهم المراكز الرئيسية في طول البلاد وعرضها من أقدم العهود . وتدل شواهد الأحوال على أن هذه الشعيرة كان يقوم الشعب بأدائها قبل ظهور ديانة «أوزير» وقبل أن تحتل «العرابة المدفونة» المكانة الأولى في عبادة هذا الإله ، وقبل أن تطغى عبادته على الشعائر التي كانت تقام في المدن الدينية العظيمة السالفة الذكر .

وحقيقة الأمر أن الزيارة التي كان يقوم بأدائها جثمان المتوفى قبل الدفن إلى هذه المدن المقدسة كانت تعمل في قناة من القنوات المتفرعة من النيل تكون مؤدية إلى الجبانة المقصودة في ذلك العهد . وكان القارب الذي يحمل المتوفى يقف حتما عند كل المحاط المعهودة وهي «سايس» و «بوتو» وغيرهما ، ثم ينتهي به المطاف إلى حقل القربان أى في «هليوبوليس» (Metterlung Kairo, IX, p. 39) ويمكن استنباط رغبة المتوفى «في السير على الطريق» الطيبة من شعيرة دينية نقشت على إحدى جدران المقابر (L. D., II, p. 101 a) وهي : «... لأجل أن يتمكن المتوفى من الوصول إلى الحقل الجميل الذي على الطريق الطيبة» . ولا نزاع في أن هذا الحقل الجميل لا يمكن أن يكون شيئا آخر خلافاً لحقل القربان ، وهو الهدف النهائي للسياحة في القارب ، هذا فضلاً عن أنه قد جاءت إشارات إلى هذه السياحة في العبارات التالية : «التجديف إلى حقول القربان الجميلة جداً» (Junker, Giza, II, Fig. 22) . وقد جاء في نقش على جدران مصطبة «أخت حتب» الموجودة الآن بمتحف «اللوثر» العبارة التالية : السياحة إلى حقول القربان الخاصة بالإله العظيم «Boreaux, "La Nautique Egyptienne", Pl. I) غير أن إياب القارب ثانية بجثمان المتوفى إلى الجبانة كان لا يعنى بداهة أن الطريق الجميلة قد انتهت ، وبذلك انتهى ما كان يعمل للمتوفى ، بل على العكس كان من حقه أن ينال إلى الأبد حقه في التمتع بما تنتجه حقول القربان الخاصة بالإله العظيم في «هليوبوليس» . وقد كان ذلك صحيحاً فيما يخص بالملك وسراة القوم على السواء . ففي ما يخص الملك لدينا متون صريحة في نقوش

«متون الأهرام تثبت ذلك فاستمع مثلاً ما يقال عن الملك «ببى»: "إنه صعد إلى السماء بين النجوم الثابتة، وإنه تأخى مع نجم الشعرى اليمانية ونجم الصباح يرشده، وكلتاها تأخذان بذراعه إلى حقل القربان" (راجع (Sethe Pyr. 1123)؛ وكذلك يقال للملك: إنك تحترق السماء وتتخذ مسكنك في حقل القربان بين الآلهة (الملوك الذين توفوا) الذين ذهبوا إلى أرواحهم» .

أما تمتع رجال الدولة بحقل القربان على الأرض فنستخلص هذه الفكرة من المسلة التى نراها فى كثير من الأحيان منصوبة أمام قبور العظماء فى عهد الدولة القديمة . وهذه المسلة تنسب إلى «هليوبوليس» التى تعتبر المأوى الأصل لآله الشمس «رع» عند ما كان يحكم فى عالم الدنيا. ففى «متون التوابيت» نقرأ مثلاً ما يأتى: "لانى أحفل بعيد الربيع الأول من الشهر فى «عين شمس» (Lacau, "Rec. Trav.", XXXI, p. 32) وكذلك نقرأ فى نفس المتون (Ibid, XXIV, 181) : ليت الطعام يقدم لك مثل «رع» على يد هؤلاء الذين فى أماكنهم فى «عين شمس» . وما سبق نعلم أن حقول القربان كان مركزها بادئ الأمر فى «عين شمس» ، وكان كبار رجال الدولة يتمتعون بها على السواء ولكن عند ما رفع «رع» نفسه إلى السماء رفعت حقول قربانه كذلك إلى السماء بداهة ، فى حين أن حقول قربان الشعب بقيت على الأرض فى «هليوبوليس» مكانها الأصلى ؛ وهذا هو السبب الذى من أجله يقوم الفرد العادى برحلة إلى هذا المكان المقدس ، وكذلك كان هذا هو السبب الذى من أجله كانت تقام المسلة التى تعدّ رمزاً لآله الشمس أمام مقبرة المتوفى لتكون عنواناً مصغراً للبلدة «هليوبوليس» . ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن الجزء الذى يرمز به إلى الهرم فى المسلة هو الجزء الهرمى منها كما شرحنا ذلك فى الجزء الأول من هذا الكتاب . ومن جهة أخرى تنبئنا «متون الأهرام» أن حقول القربان التى فى السماء قد أصبحت وفقاً على الملك المتوفى لأنه كان يعتبر ابن «رع» ، ولكننا وجدنا أن هذا الامتياز الخاص بالملك أخذ يشتركه فيه فى نهاية الدولة القديمة الأسرة المالكة ورجال البلاط بوصفهم أهله وحاشيته ، ثم لم

يمض طويل وقت حتى نهض عامة الشعب عن بكرة أبيهم وقاموا بثورة اجتماعية دينية، وطالبوا بالتمتع بالآخرة السماوية، فأصبحت حقاً مشاعاً لكل الشعب على السواء كما أسلفنا، وبعبارة أخرى أخذت المبادئ الديمقراطية الدينية تنتشر بين الأهليين وبخاصة حرية التمتع بالجنة السماوية . غير أن هذا الانقلاب الديني على ما يظهر لم يأت فجأة بل أتى تدريجاً ، إذ نلاحظ في بعض نقوش كبار الموظفين في عهد الأسرة السادسة أن المتوفى الشريف كان يسمح له أن يقوم بالسياحة السماوية التي كان يقوم بها الفرعون في سفينة الشمس مع الإله «رع»، ومن ثم يفهم أنهم لم يجرموا حق التمتع بالجنة السماوية . والواقع أن هذا التمتع الذي أصابوه كان تمتعاً محدوداً ، وذلك لأنهم كانوا يذهبون فعلاً إلى جنة السماء ولكن بوصفهم أتباعاً للفرعون يقومون له بمثل الخدمات التي كانوا يؤدونها له في عالم الدنيا . راجع (Teti-ankh, Tomb No. 15 Davies, "Shaikh Said", 33); (Petrie, "Deshasheh", p. 46, Pl. XXVIII etc.) ، فهؤلاء كانوا بهذا الوضع لا يزالون في منزلة الخدم للفرعون، ولهذا صحبهم الفرعون معه ، أما باقي طبقات الشعب فلا نعلم شيئاً عنهم قط ، والظاهر أنهم كانوا محرومين التمتع بالجنة العلوية في خلال الدولة القديمة .

وصف جنة الفرعون — وقد ساعد الحظ بوجود بعض تلميحات في «متون الأهرام» تساعد على معرفة صورة عن متاع جنة الملوك السماوية تلك الجنة التي كانوا يغارون عليها، وحرموها على أفراد شعبهم في عهد الدولة القديمة ، وهي التي حارب الشعب للحصول عليها إلى أن ظفر بها من بين برائن أولئك الملوك فاستمع لما يقال للملك : (Sethe, Pyr. 815) "هل تريد أن تحيا؟ يا «حور» يا من يسيطر على حربة الصدق؟ (وهي الحربة التي لا تدع أى شخص يمر بباب الجنة غير الصادقين المبرين أمام الله) . إذا كان الأمر كذلك فينبغي عليك ألا تغلق مصراعى باب السماء، ويجب عليك ألا تحمي عقبه (أى عقب الباب) ، وخذ روح «بيلي» إلى هذه السماء بين المنعمين حول الإله ، والذين يحميمهم الإله ، وهم الذين يتكثرون على صولحاناتهم ،

وهم الذين يحرسون صعيد مصر ، والذين قد ارتدوا أحسن الملابس الكأنية الأرجوانية ، والذين يأكلون التين ويشربون الخمر ويتضمخون بأحسن العطور ، وعند ذلك سيتكلم الروح عن «ببي» أمام الإله العظيم ، ويسمع «لبيي» أن يصعد إلى الإله العظيم»

وفي هذه الأسطر القليلة قد صور لنا باب الجنة الذى يقف أمامه إله «حور» مسلحا بجربة سحرية في يده استعدادا لمنع أى فرد الدخول فيها غير المبرئين . والظاهر أن هذه أقدم إشارة عن وجود حارس لباب الجنة الذى نجده مذكورا في كتب الديانات السماوية (راجع Genesis 24) . غير أن « حور » قد حذر بطريقة خفية ألا يمنع روح «ببي» ولوج باب الجنة . ولا شك في أن هذا الخطاب الموجه إلى «حور» هو طراز من الخطابات العادية التى نجدها كثيرا في الصيغ السحرية التى كانت عديدة شائعة في «متون الأهرام» ، فهى تختلف بطبيعة الحال عن الصلوات الدينية التى يتضرع بها الفرد لربه . والواقع أن الجنة التى وصفها لنا «متون الأهرام» هى صورة من حياة الفرعون الدنيوية نقلت إلى عالم السماء لتمثل لنا حياة «رع» في السماء ، وهى الحياة التى كان يعيشها على الأرض قبل أن يرفع نفسه إلى السماء ، فنجد فيها الإله الأعظم محاطا برجال بلاطه الذين يحملون ألقابا مثل الألقاب التى كانوا يحملونها في الحياة الدنيا ، ويعيشون في نعيم فيلبسون الأرجوانى (ولباسهم فيها حرير) وطعامهم فيها التين وشرابهم الخمر وشذاهم العطور . ولا نزاع في أن هذه الصورة لها نظائرها في الكتب المنزلّة (القرآن) .

أما روح الملك الذى كان قد سبقه فكان يمهده له السبيل للثول أمام والده الإله العظيم « رع » ، فإذا ما فرغ من الشعائر الجنائزية الخاصة بدفن الملك أمكنه أن يصعد مباشرة إلى السماء ويعيش في جنة عالية . هذا ونجد في «متون الأهرام» فصلا يبين حياته في عالم النعيم السماوى فاستمع إلى ما جاء فيه :

(١) جاء في القرآن الكريم : وأنا لمنها السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا (سورة الجن) .

”إن « بيبي » هو أحد أولاد « جب » (إله الأرض) الأربعة الذين يحولون جنوباً وشمالاً ويقفون متكئين على صولجاناتهم ، وعطوهرهم متمتزة ، ولباسهم الأرجواني ، وطعامهم التين ، وشرابهم الخمر ، و « بيبي » هذا يعطر مما يعطرون به ، و « بيبي » هذا يرتدى ما يرتدونه و « بيبي » هذا يأكل مما يأكلونه ويشرب مما يشربونه ، و « بيبي » هذا على وئام معكم فهو يعيش مما تعيشون منه ، فعليكم أن تقدموا له وجبته مما يعطيه إياكم والدكم « جب » (إله الأرض) ، وبذلك لن يجموع واحد منكم ولن يبلى ، وعليكم أن تقبضوا بشدة على يد « بيبي » هذا للحياة أمام الشذى العطر . إن عظام « بيبي » هذا تجمع ، وأعضاؤه قد ركبت ليجلس على عرشه (أى بعد أن فككها الموت) . ومما سبق يمكننا أن نستخلص أن اللجنة السبائية كما صورها ملوك مصر في عهد الدولة القديمة كانت جنة لذة ومتاع . وفي الواقع إن هي إلا صورة لحياة الفراعنة على الأرض ، ولكن دعنا الآن نفهم ماذا حدث لهذه اللجنة التي وعد بها الملوك في عالم السماء في « كتاب الطريقين » الذي ظهر في العهد الإقطاعي الأول عند ما بدأنا نعرف شيئاً عن عقيدة الشعب في أمر آخرته واللجنة التي كانت تصبو إليها نفسه .

الفرق بين روح الملك وروح الفرد العادي — ولأجل أن نقف على فكرة صحيحة عما كان يتطره الفرد من عامة الشعب من الحياة الآخرة يجب علينا أن نوجه عناية خاصة إلى المتون المتعلقة بآخرة الإله « أوزير » ومثواه المسمى « روستاو » ، فمن الحقائق الغريبة في بابها والتي يجب معرفتها عن معتقدات الشعب في عهد الدولة القديمة أنه لم يرد في المتون الجنائزية عامة إشارة إلى روح الفرد العادي « با » وقرينته « كا » مدة حياته ، كما أنه لا توجد صورة لأيهما في النقوش والرسوم حتى بعد الموت ، وهذا خلافاً لما نعرفه عن الملوك إذ نجد أن روح الفرعون « با » أو قرينته « كا » مرسومة على الآثار في حياته وبعد مماته . وقد كان الاعتقاد عندهم أن روح الفرد تعيش بجانبه مدة حياته ، غير أنها لا ترى ، وقد كان الملك مثله في ذلك مثل الإله له عدة (قرينات) « كاو » وعدة أرواح « باو » فقد كان له

وكذلك نعلم من «متون الأهرام» أن روح الفرعون كان يسبقه إلى عالم السماء، ولكن في عالم الدولة الوسطى أو بعارة أدق منذ العهد الإقطاعى الأول نجد أنه عندما وحد الفرد العادى مع الإله «أوزير» أصبح على قدم المساواة مع الملك فى كل مناع الآخرة ومن ثم نجد المتون تتكلم عن روحه مدّة حياته . Erman, "The Literature of Ancient Egyptians," p. 86)

ومن وقتئذ أصبحت الامتيازات التى كانت وقفا على الملك وحده ، ملكا مشاعا لعامة الشعب ، هذا فضلا عن أنهم أخذوا يتمتعون بنسيم الحرية والعدالة الاجتماعية والدينية فأخذوا يعبرون عن آرائهم ومعتقداتهم الدينية التى ظلت زمنا طويلا تضيق عليها كل المنافذ فكانت تغلّ فى صدورهم كالحجم الذى يتقد فى جوف بركان تحت ستار المذهب الملكى الذى كان قد طغى على كل ما سواه ، ولكن عندما حدث الصدع العظيم بتداعى القوة الملكية عند نهاية الدولة القديمة ، وجدنا المذهب الأوزيرى الذى كان بلا شك مذهب عامة الشعب ، أخذ ينمو وينتشر ويزداد قوة على قوة ونفوذًا على نفوذ ، مما وسع هذا الصدع وسمح لأفكار الشعب الدينية ومعتقداتهم أن تندفع إلى الخارج وتأخذ فى الظهور فى صورة حمم ملتهب . على أن الشعب لم يكتف فى أى مكان فى البلاد بجزية التعبير عن معتقداته وصلواته الخاصة به ، بل طالب بحق التمتع بالجنة السماوية التى وعد بها الملوك ، فأجيب مطلبه بعد حرب شعواء ، قلبت خلالها كل الأنظمة الاجتماعية رأسا على عقب ، ومن ثم نجد أن كثيرا من «متون الأهرام» الخاصة بالملوك قد اندججت فى المتون الدينية الخاصة بعامة الشعب فى هذا العصر . ولما استحوذ أفراد الشعب على حق التمتع بالآخرة السماوية وهى التى كانوا يتطلعون إليها أصبح منذ ذلك الحين باب السماء مفتوحا أمامهم على مصراعيه ولم يتزلوا منذ ذلك الوقت عن هذا الحق المكتسب بالنضال ، وبقي فى أيديهم طوال العهود التالية من العصور التاريخية المصرية . ولكن يلاحظ أن خيال أفراد الشعب الذى كان محشوا بالخرافات قد

شوه هذه الجنة التي اكتسبوها بنضالهم العنيف لدرجة أنه يصعب علينا أحيانا أن نتعزف عليها بوصفها الجنة السماوية التي كان يتمتع بها الملوك أمثال « وناس » و « بلبي » و « تبي » وغيرهم ، ويسيرون فيهماع أولاد « حور » مرتدين الأرجواني ، ينبعث من أجسامهم شذى العطور وأكلهم فيها الثين وشرابهم نمرالجنة (وأنهار من نمرلذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات : (سورة محمد الآية ٤٧) .

شرح كتاب الطريقين إلى عالم الآخرة

والآن نبدأ بشرح كتاب الطريقين كما جاء على مصور التابوت رقم ٢٨٠٨٣ وهو المحفوظ الآن بالمتحف المصرى ، وذلك لأنه يحتوى على إيضاحات كثيرة مصورة أكثر من أية نسخة وجدت حتى الآن ، رغم ما أصاب هذه النسخة من العطب فى بعض أجزائها وسنستعين فى تكملة الأجزاء المهشمة بالنسخة التى على التابوت رقم ٢٨٠٨٥ وهذا التابوت لامرأة تدعى « سات خرتب » . ومما يستحق الملاحظة هنا أن الصيغ التى استعملت فى تابوت « سات خرتب » وهى امرأة من الطبقة الوسطى هى نفس الصيغ التى استعملها « سبي » قائد الجيش صاحب التابوت الأول ، وهذا يبرهن لنا على أن هذه الصيغ الطنانة الرنانة الألفاظ وما جاء فيها من تهديد ووعد ووعد - وهى الألفاظ التى كان مفروضا أن يتلوها المتوفى - كانت تعاويز سحرية محضة ؛ هذا إلى جانب أنها تدل على المساواة الدينية المطلقة بين أفراد الشعب على مختلف طبقاتهم دون فرق بين قائد جيش وامرأة متوسطة الحال .

وقد وضع التصميم الرئيسى لهذا الكتاب بالرسم الملون على رقعة التابوت سواء فى ذلك التابوت الخارجى أو الداخلى ، وذلك زيادة فى المحافظة على بقاء هذا المصور مع المتوفى فى قبره ، فاذا أصاب أحد التوابيت عطب بقى الآخر . (انظر شكل ٣٤)

وقبل البدء في وصف هذا المصوّر يجدر بنا معرفة أن تابوت « برلين » يختلف مصوره عن مصورات توابيت القاهرة؛ هذا فضلا عن أنه خال من كل صور إيضاحية .

وصف مصوّر تابوت « سبى » رقم ٢٨٠٨٣ مع موازنته بتابوت « برلين »

أول ما يلاحظ في مصوّر هذا التابوت أن كل التصميم قد أحيط بإطار ذى لون أزرق، وربما كان هذا اللون رمزا للمحيط الأزلى الذى كان يعتقد المصرى أنه يحيط بالعالم السفلى؛ راجع (Shackenberg, "Zweiwegbuch p. 6) كما يلاحظ وجود شريط أزرق يخترق كل الرسم أفقيا مقسما إياه قسمين متساويين، ويشاهد في بداية المصوّر من الجهة اليمنى في القسم العلوى بناء مستطيل الشكل ملونه جدرانه بالأحمر ليمثل النار، وفي الركن الشمالى العلوى لهذا المستطيل يوجد باب أحمر اللون كذلك يدور على عقب ملون باللون الأسود، وهذا الباب يؤدى الى بناء مستطيل آخر ينقسم أفقيا من فوق منتصفه بقليل . ويوجد في الجزء العلوى باب لونه أحمر يؤدى مباشرة الى بداية طريق «روستاو» . (و «روستاو» هو عالم الآخرة السفلى الخاص بالإله «أوزير») ، فالطريق العلوى هو عبارة عن مجرى ماء ملئ ، أما الطريق السفلى فلون بالأسود وهو طريق البر .

والجزء السفلى من المستطيل العمودى الشكل السالف الذكر هو حجرة يؤدى بابها الى الطريقين، وقد قسم ثانية قسمين أحدهما أكبر من الآخر بقليل . فالجزء الأسفل لونه أحمر مما يشعر بأنه قد ملئ بالنار، أما في الجزء العلوى فيشاهد حارس في صورة شيطان جاثم يحى هذا المكان، وتركيبه غريب، إذ له رأس كبش أسود وجسم تمساح أحمر اللون . وهذا المخلوق المخيف يقبض بيده على سكين كبير مهذبا بها . ويوجد تحت هذا الشيطان صورة نصف دائرة عظيمة ذات لون أسود، ويرتكز جزؤها المسطح على الجدار الأيسر لجدار الحجرة الثانية . وليس في المتن تفسير

لهذه الظاهرة، ولكن نجد في كتاب «ما يوجد في العالم السفلى»، الذى وضع بعد كتابنا بزمن، أن نصف الدائرة هذه قد وضع في مكان ظاهر في «روستاو» بعنوان : «الليل» أو «الظلمة» .

(Budge, "The Egyptian Heaven and Hell" Vol. I, p. 103)

هذا ويختلف مصور تابوت «برلين» بعض الشيء عن مصورات القاهرة وقد ضربنا عنها صفحا تفاديا من الإطالة .

المتون الخاصة بهذا الجزء — هذا هو الوصف الاجمالى لبداية هذا المصور لعالم الآخرة حسب العقيدة الشعبية الجديدة. وسنتناول الآن شرح متون هذا الجزء وصوره مفصلين القول عن الخطوات التى كان يجب على المتوفى اتباعها في سياحته بإحدى هاتين الطريقين وما يجب عليه أن يفعله ليتقلب على العقبات والصعاب التى كانت تعترضه في تلك السياحة الخطرة .

كان أول عمل يقوم به المتوفى أن يتلو المتن الذى قد كتب في المستطيل الملون باللون الأحمر وحوله وهو الذى يمثل (بوابة) هذا القسم وقد وصفناه فيما سلف. وهذه المتن تعتبر بمثابة مقدمة، ومنها تألف فيما بعد في عهد الدولة الحديثة الفصول ١٣٣، ١٣٦، و ١٣٦ ب من «كتاب الموتى». وهذه الفصول تشير إلى بزوغ الشمس بعد غيابها في عالم الآخرة السفلى أثناء الليل، ولا أدل على ذلك من أن عنوانها في كتاب الموتى : "فصل في الإسراع بطلوع «رع» (الشمس) في أفقه ومعه تاسوعه الذين في ركابه، وشروق الإله من الأماكن الخفية (أى بعد أن اخترق طريقه في العالم السفلى)" . وسنرى فيما بعد أن هذا الرسم وهذه المتن ستساعد على تفسير رحلة المتوفى في السماء نهارا ثم مروره في «روستاو» وهى المكان الذى يعبر عن الفكرة الشعبية الجديدة، ثم رحلته في العالم السفلى، وهو الذى قد مثل في المصور الذى نحن بصددده في الصف الثانى منه . وحقيقة الأمر أنه لدينا في هذه المتن ومصورها ثلاثة آراء أو مذاهب دينية، وهى السياحة الشمسية شرق

السماء أى سياحة الإله «رع» من الشرق إلى الغرب ، والرحلة إلى «روستاو» ، وهى المقتر الآخر للإله أو «زير» ، ثم السياحة فى العالم السفلى المسمى عند المصريين «دوات» . ومعنى ذلك سياحة المتوفى مع الإله «رع» فى العالم السفلى من مغيب الشمس إلى مطلعها فى المشرق . والواقع أن رؤوس الموضوعات الثلاثة التى ذكرناها هنا ليست موجودة فى «كتاب الطريقين» بل استخلصناها من دراسته . والمتن الذى قبل المستطيل التارى السابق الذكر هو أنشودة تعدّ بمثابة مقدمة يتلوها المتوفى تهيئة للسير فى إحدى الطريقين . فاستمع لما جاء فيه (رقم ١) : ”لقد أخذت النجوم المتلاثلة التى فى الأفق الشرق تأفل عند سماع صوت «نوت» (إلهة السماء) عندما كانت تفسح طريق «رع» ، أمام الواحد القديم حتى يسير فى دورته (اليومية) . فلترق إلى الملايا «رع» الذى فى محرابه (الذى فى سفينة النهار) واستنشق النسيم ، وشم ريح الصبا ، وابتلع ... شبكك فى اليوم الذى تتقدم فيه الخضوع لآلهة العدالة ، (ماعت) ، وتقسم فيه أتباعك عند ما تتقدم السفينة نحو «نوت» (إلهة السماء) ، والآلهة القدماى يتقدمون عند سماع صوتك“ . وعند هذه النقطة من المتن تنهى أنشودة إله الشمس ، ومن ثم يخاطب المتوفى . فيقال له : ”احسب عظامك ، ورتب أعضائك ، وول وجهك شطر الغرب الجليل الذى تذهب إليه مجددا كل يوم ، لأنك هذه الصورة الذهبية عندما توحد مع قرص السماء مع النجوم اللاألاء التى تعمل دورتك معها ، وعندما تجدد يوميا مثل «رع» يعم الجبور فى الأفق والترحاب من أمراسك (أى حبل سفينة الشمس الذى أصبح يمثل فى صورة شخص)“ . وفى نهاية هذا المتن فى تابوت القاهرة يوجد متن بمثابة شرح وهو :^(١)

فصل السياحة فى سفينة «رع» العظيمة — ”نأملوا أنتم أيها النجوم التى تطلع فى «خرعحا» (مصر العتيقة) ، إن الإله صاحب الأجزاء الألف ؟ (يعنى السفينة) قد ولد ، وأمراسه قد شدت وسكانه قد هيئ (؟) ؛ وإنى أقطع خشب الآلهة

(1) Lacau, ibid, p. 189.

التي أبنى بها السفينة من أولها لآخرها، وهي التي أصعد بها إلى السماء، وبها أحمل إلى «نوت». وإني أحمل عليها مع «رع»، وإني أحمل عليها مع القرد (القمر)، وإني أسير قدما بانشرأح على ماء «وعرت» الخاص بالآلهة «نوت» عند باب الإله «سيح» (هو المريخ ويسمى كذلك ابن آتوم إله الشمس عند الغروب) . وبعد ذلك ينتهى متن تابوت المتحف المصرى بشرح يكاد يكون نسخة طبق الأصل من الفصل الأول : فصل السياحة في السفينة العظيمة لشمس الإله «رع» يومياً^(١) ؟^(٢) .

يأبها للهبب الوهاج الذى خلف «رع»، والذى يعقد تاجه . إن سفينة «رع» تهاب العاصفة ! وإنك لاعم، وإنك رفيع، وإنك تأتى اليوم مع «تحت» (أومع سفينة الليل) في دورته الفاحرة (أى دورة القمر أثناء الليل) . وبذلك أرى مجيء «ماعت» (إلهة العدالة رفيقة «تحت» في سفينة الشمس)، والآلهة الذين في صورة أسود (تماثيل بوالهول وهى تمثل إله الشمس عند الغروب)، وهم القائمون على حراسة المحاريب العدة المصنوعة من اليراع حتى أراهم هناك وتفرح، ويكون عظمائهم في حبور وصغارهم في سعادة . وإني قد مهدت طريقى إلى مقدمة سفينة [رع] وهى التى ترفعى إلى عليين مثل قرص الشمس، فأضىء مثل بهاء «رع» الذى أمدّه بثرائه، وقد ضمنى ربا «للعادلة» . وعندئذ قال تاشوع الآلهة : «إن الذى هناك هو «رع»، وأنت ياروح «أوزير» النائمة اجعلى والده الذى فيها (أى سفينة الشمس) يحكم فى صالحه، وإني أجعل الميزان له مستقيماً، وإني أتيت بالآلهة «تفنوت» ليعيش .

تعالى اسرعى لأن الأب ينطق بقرار «ماعت» (العدالة). إنه الإله «آتوم» أسرع . هكذا صاح الذى فى أصيله فى حينه . « تأمل ! لقد أتيت لأحضره فكى » « روستاو » ، والنور الذى هو عين الشمس . (هذه إشارة صريحة إلى الطريقين

(1) Lacau, ibid, p. 189. (2)

(٢) يلاحظ هنا أن الأرقام العربية الموجودة بين قوسين تشير إلى الأرقام الموجودة على المصور رقم ٣٤ وهى التى تدل على مكان المتن فيه .

الذين يسلكهما المتوفى، أى طريق الماء وطريق الأرض، وقد مثل كل منهما بفك الإله «جب» إله الأرض، (وفى نسخة أخرى قد مثلنا بطريق «روستاو»). ولأجل أن أضرم إليه جموعه (يقصد هنا أعضاءه المختلفة التى تفككت وانتشرت بعد الموت)، وأبعد عنه الثعبان «أبوفيس» المؤذى، ولأجل أن أشفى له جراحه (بالنفل عليها). وقد مهدت طريقى ومررت عليها بينكم، وإنى أنا الذى يسكن بين الآلهة. تعال ودعنى أمر قدما فى سفينة رب «سيا» (إله الفهم). أنت يا صورة «حوروز» (ويا صورة تمحوت) الذى يشعل النار ويطفئها. ولقد مهدت طريقى ليها الوالد المقدس، ويأياها القرد المقدس (أى تمحوت). لقد دخلت الأفق، فانتقل بجانب الأمراء المقدسين. سأكون شهيدا على من فى السفينة المقدسة، وسأمر قدما على حاشية اللهب اللامع التى خلف رب صاحب الذئابة (أو أصحاب الذئابات). ثم يختم متن تابوت متحف القاهرة بالعنوان التالى : اقتحام الباب الذى يسمى («حور» سيدها) : إنك تدير السفينة التى هى عينك (أى عين إله الشمس) يأياها الأب (أى رع). ثم يتلو ذلك : ”تمويذة المرور على ردهات النار الخاصة بباب سفينة «رع» كل يوم“.

ومما هو جدير بالملاحظة فى هذه المتون السالفة أن العقيدة الشمسية هى الفكرة الهامة فيها مما يدل على أن هذه العقيدة كانت هى السائدة فى هذا الوقت رغم ظهور العقيدة الأوزيرية وشيوعها. فنجد الجزء الأول يحتوى على أنشودة مدح لإله الشمس الذى كان يتطلع إليه المتوفى بوصفه ابنه ليعد له مكانا فى سفينة التى كان يسبح فيها كل يوم من الشرق إلى الغرب، أى أن المتوفى كان يرغب فى أن يوحد بإله الشمس «رع». أما الجزء الثانى فقد كتب على ما يظهر فى صورة تمويذة سحرية الغرض منها إعداد سفينة للتوفى يمكنه العبور بها إلى عالم الآخرة. ويدل المتن على أن المتوفى قد وصل فعلا الى باب «روستاو» بعد اقتحام الحواجز النارية التى كانت مقامة فى سبيله، وبخاصة ردهة النار التى تظهر على المصور فى شكل

مستطيل ويسمى بابها : « حور سيدها » وهو الباب الناري المرسوم على الجهة اليسرى من هذه الردهة (رقم ٧) .

على أنه يوجد في متن التابوت رقم ٢٨٠٨٥ المحفوظ « بمتحف القاهرة » إيضاحات كتبت بالمداد الأحمر في نهاية هذا الفصل ، وهي تمدنا بفكرة سديدة عن المقصود من هذا الكتاب ، وهي : « إن من لا يعرف بداية هذا الكتاب ونهايته ، يغمر الخوف اسمه الذي في جوفه . وإن فلانا يعرفه ولا يحمله . وإنه الروح المسلح الذي على رأس الأبواب . وكل إنسان يعرف هذا الفصل يكون مثل « رع » في شرق السماء ، ومثل أوزير في أعماق العالم السفلي ، وسينزل إلى رجال البلاط الأربعة أصحاب النار ، ولن يحرق بها أبدا وأنه وصلها بسلام آمنا » .

ولا نزاع في أن هذا الإيضاح يدل بجلاء على أنه تعويذة سحرية ، كما أنه يضع أمام القارئ الفكرتين الهامتين الخاصتين بعالم الآخرة . وهما العقيدة الشمسية والعقيدة الأوزيرية . ويلاحظ هنا ما جاء في المتن أن المتوفى سيكون مثل « رع » في شرق السماء ومثل « أوزير » في أعماق العالم السفلي . والعقيدة الأخيرة مضادة للأولى تماما ، وذلك لأن إله الشمس في شرق السماء يدل على الحياة ، أما الإله « أوزير » الذي يعيش في العالم السفلي المظلم فيدل على الموت ، ومع ذلك فإن العقيدتين قد امتزجتا وصارتا تكونان فكرة واحدة لأن « أوزير » توحد مع الإله « رع » كما سبقت الإشارة الى ذلك .

أما ما جاء عن ردهة النار التي ذكرت فيما سبق فقد وضحت على المرشد الجغرافي . وهي في الواقع مسكونة بطائفة من الجن لم يرسم صورهم ، وكل ما نعرفه عنهم هو أنهم ذكروا في أحد النقوش أربع مرات على الجدران النارية باسم : « ندماء الهميب » ولا بد أنهم الكائنات الذين أشير إليهم في المتن باسم « ندماء النار الأربعة » . ومن ثم نعرف أنهم مخلوقات ضارة لا يمكن المتوفى أن يقترب منهم إلا إذا كان مسلحا بتعويذة سحرية . (أنظر رقم ٦) (٢) Lacau, ibid, p. 207

ولذلك يستمر المتن الافتاحى مؤكداً لك ذلك فيقول : «دعنى أمر، إني أنا الواحد القوى سيد (الآلهة) الأقوياء، وأحد أشراف «رع»، ورب العدالة «ماعت» وخالق «وازيت» (إلهة الوجه البحري) . تأمل ! إني أحد أتباع «رع» . تأمل ! إني امرؤ يتزه في حقول قربان «رع» . تأمل ! إني أنا الإله العظيم، ومعترف بي أمام التاسوع الإلهي ليقدم لي القربان » .

ولا نزاع في أن هذا متن سحري به يتمكن المتوفى من التغلب على كل الصعاب التي تعترضه في عالم الآخرة بقوة الكلمة التي فيه ، ومن أجل ذلك نجد أن المتوفى قد اتحل فيه لنفسه ألقاب الإله الأعظم ومناقبه . ويلاحظ أن المتوفى قد اتخذ لنفسه هذه الصفات في بداية العهد الذي سمح فيه لعامة الشعب أن يعتنقوا المذهب الشمسي أى مذهب الإله «رع» ويتمتعوا بمميزاته . ثم يستمر بعد ذلك المتن فاستمع لما جاء فيه على لسان المتوفى :

” لقد اجتريت طريق «روستاو» برا وبحرا، وهما طريقا «أوزير» اللتان توصلان إلى السماء . وكل امرئ يمكنه السير عليهما يكون صاحب سلطان على أتباع «تحوت» أى (القمر)، ويكون في وسعه أن يخترق كل سماء يريد أن يعرج فيها . أما من لا يعرف كيف يسير على هاتين الطريقين فإنه سيقضى عليه ويصبح قربانا للموتى، أو يصير طعاما للمعدمين ، ولن يقام له العدل أبدا . وإني من أتباع سماء «أوزير» والوارث بعد الرئيس (أى «أوزير») وإني «سبي» (اسم المتوفى صاحب التابوت) محي «أوزير»، وإني أنا الذى أضرب لك الحراس «حات حزو» الذين هم ملك إله الشمس (وقد مثل هنا في صورة أسد) . وفي نهاية المتن نجد الشرح التالى : «تمويذة المرور عليها أى (الطريق)» .

ومما هو جدير بالملاحظة أن المتوفى يخبر حراس الباب المؤدى إلى «روستاو» في هذه التمويذة أنه ليس بزائر جديد ، بل إنه على علم بالسياحة بطريقى الماء

واليابسة في عالم الآخرة، وأنه هو الذى يمث الحياة من جديد في نفس «أوزير» صاحب هذه الآخرة، بل إنه أكثر من ذلك ادعى أنه حامى الإله «رع» وبعبارة أخرى يدعى أنه هو المسيطر على الإلهين الرئيسيين اللذين يشرفان على السياحة السماوية والسياحة السفلية . وهذه التعبيرات الخارقة لحّد المألوف من القوة والتهديد لا نجد لها قط إلا في التعاويذ السحرية . وهذا المتن هو نهاية ما جاء على تابوت القاهرة رقم ٢٨٠٨٣

قرأنا في التعويذة السالفة أن طريق «روستاو» بالماء وباليابسة هما «لأوزير» وأنهما يوصلان إلى السماء . وقد كان لزاما على المتوفى بعد أن ينتخب إحدى هاتين الطريقتين أن يقتفيها دون أن يحيد عنها قيد شعرة إلى أن يصل إلى هدفه المنشود وهو «روستاو» ، وإلا كان مصيره جهنم وبئس القرار . وبعد ذلك كان على المتوفى أن يقوم برحلة أخرى ليصل إلى سماء العالم السفلى حيث يستمر في رحلته في عالم الآخرة الأدنى إلى أن يصل ثانية إلى شرق السماء ليحيا مع الإله «رع» ثانية وهكذا كل يوم . والواقع أن طريق الماء السالفة الذكر ليست طريق السماء بل من المحتمل جدا أنها كانت بالنيل لأن المتوفى كان دائما عند قدماء المصريين يحمل إلى مقبره الأخير على ظهر النيل ، أو على الأرض حسب الأحوال، أى أنه كان صاحب الخيار في ذلك، ونعني بالنيل هنا النيل عالم الآخرة .

تاريخ روستاو ومعناها — أما عن «روستاو» فلا بد أن نذكر أن هذا الاسم كان في بادئ الأمر يطلق على جبانة «منف» منذ الدولة القديمة . وقد جاء ذكرها في «متون الأهرام» . والواقع أن هذا الاسم كان يطلق بنوع خاص على جبانة البحيزة الغربية من منطقة الأهرام ، ومن المحتمل أن هذا الاسم قد اشتق من معناه اللغوى وهو : «باب المموات» أى باب المقابر في الجبانة ، ومن ثم استعمل هذا الاسم في عالم الخرافات الخاصة بالمذهب الأوزيرى ، ولذلك نجد هذا الاسم يذكر منذ ظهور «كتاب الطريقتين» في مملكة «أوزير» التي تقع في العالم السفلى في عهد الدولة الوسطى ، وبخاصة في المتن الذى أصبح يطلق عليه فيما بعد الفصل السابع

عشر من كتاب الموتى . وهالك الفقرة التي جاء فيها ذكر «روسيانو» في هذا الفصل ، وهي تظهر بوضوح كيف أن ديانة «أوزير» أخذت تغطي على المذهب الشمسي (مذهب رع) ، أى أن ديانة الشعب أصبح لها مكانة عظيمة فاستمع لما يقوله المتوفى أيا كانت منزلته الاجتماعية ، وقد وضع ذلك في صورة سؤال وجواب : إني أسير على الطريق المعروفة أمام جزيرة «العدل» . ما معنى هذه العبارة ؟

الجواب : أنها الطريق التي يمشي عليها والدى «آتوم» عند ما يسافر إلى حقول البراع (وآتوم هنا يمثل إله الشمس الغربية) . وفي رواية أخرى ترجع إلى عهد الدولة الحديثة نجد الجواب أو التفسير كالآتي : إنه «روستاو» الذي بابه الجنوبي «نارف»^(١) (جبانة أهناسية المدينة) . وبابه الشمالى مكان «أوزير» ، ولكن جزيرة المبرئين هي «العراة المدفونة» .

ومن ذلك يمكن الإنسان أن يرى تغير العقيدة بإحلال المذهب الأوزيرى مكان المذهب الشمسى ، وبعبارة أخرى إحلال «أوزير» مكان «آتوم» إله الشمس عند الغروب ، وكلا الآلهين يدل على عالم الآخرة . وكذلك يلاحظ هنا أن موقع حقل البراع في الرواية القديمة في السماء وهو ما يقابل «روستاو» الذى موضعه الآخرة السفلى . والواقع أن «روستاو» كانت عالما سفليا آخر يحاكم فيه المتوفى ، كما يدل على ذلك متن من «كتاب الموتى» (Grapow, "Religiose Urkunden", p. 107) أمام المجلس العظيم في «روستاو» في الليلة التى برئ فيها «حور» أمام أعدائه . وقد كتب فى داخل الباب النارى مباشرة ما يأتى : "انظر إلى إنى شخص قد بعث مثل «أوزير» وعظامه لم يلق بها بعيدا" .

أما على تابوت «برلين» فنجد أن المتن الافتاحى يختلف اختلافا بينا عن متن توابيت القاهرة ، وينتهى بعبارة تشعر بضرورة هذا الكتاب لأى شخص يريد أن يقوم بسياسة موفقة في عالم الآخرة ، كما ذكرنا من قبل في متن القاهرة . ومما

(١) كان يعتبر الإله «أوزير» إله «أهناسية» المدينة في العهد الإقطاعى (راجع كتاب الأدب

يؤسف له أن المتن مهمش تهشياً مريباً، ويتبدى هكذا : ”الابتهاال لوجهك ياها
الوالد“ وينتهى هكذا : ”وكل إنسان يعرف هذه التعويذة يمكنه أن
يمز هناك ويجلس بجوار الإله في كل مكان يوجد فيه . والإنسان يخافه لأنه روح
مسلح تماما . وكل فرد يعرفها (أى التعويذة) لا يهلك أبدا . وقد صممت (الأرواح
الخبيثة) أمامه مثل صموتها أمام أى إله من الآلهة“ .

ونجد سطين عموديين أمام البناء الأحمر المستطيل الشكل (انظر رقم ٧)
جاء فيهما : ”إن باب السماء قد فتحه «أوزير» أمامى..... انظر إنه «رع» الذى معى
معلنا الطريق الخاصة بجيقتى «شو» (إله الحق) ؛ وإنى فلان الذى أحيا «أوزير»“ .
ثم يشاهد بعد الحجرة التى تكلمنا عنها فى الصف الأعلى من المصور مبنى قسم
قسمين أفقيين يفصلهما شريط أحمر ويلاحظ أن القسم الأعلى أضيق من الأسفل
وفيها شق الطريقان ، فأعلاهما يمثل نهرا متعرجا أزرق اللون ، أما الطريق
السفلى فتعرجة كذلك ذات لون أسود .

وعند ما كان يصل المتوفى إلى هذه النقطة فى رحلته كان لزاما عليه أن يسلك
الطريق التى اعترم انتهاجها ، لأنه كان حتما عليه أن يستمر فى السير فيها مهما كان
الأمر؛ إذ كان محظورا عليه أن يجيد عنها ، أو يلتفت يمينا ، أو يسارا أو يرجع خطوة
واحدة إلى الوراء ، إذ كان فى ذلك هلاكه ، لأنه كان يوجد بين هاتين الطريقين
بحيرة مستقيمة طويلة من النار كان مصيره السقوط فيها إذا حاد عن الطريق ،
وقد مثلت على المصور بالخط الأحمر الذى يفصل بين شق الصف الأعلى الذى
نحن بصددده الآن .

وسنفرض الآن أن المتوفى قد اختار لنفسه السير فى طريق المساء ليصل إلى عالم
الآخرة الذى فيه «أوزير» . فكان أول واجب عليه أن يتبدى رحلته عند النهاية
العليا للصف الأعلى من المصور حيث يتبدى النهر ذو اللون الأزرق ، ومن ثم ينحدر

(1) Schackenberg, ibid, Ch. I, L. 1-11.

هذا النهر بشدة وينطلق محاذيا بحيرة النار مسافة قصيرة ، وبعد ذلك يتعرج كثيرا .
ويشاهد في أول هذه الطريق شيطان جاثم بمثابة حارس ، وقد مثل في صورة تمساح
أحمر الجسم يقبض بيده على سكين ضخم مهتذا به كل من يحاول الاقتراب منه ،
(انظر رقم ٩) وقد كن أمام بناء مستطيل الشكل أصفر اللون ، والظاهر أن هذا
البنى مسكون بطائفة من الأرواح ؛ وبعد أن يجتاز المتوفى هذا البنى يجد النهر
يسير مصعدا في منحى شديد ، وقد أقيم على الجانب الأسفل منه بناء آخر مستطيل
الشكل كالساقى ، وبظهر أنه مسكون بأرواح أيضا (انظر رقم ١٤) ، ثم يصادف
المتوفى تمساحا أصفر اللون مسلحا بسكين عظيم ، غير أن رأسه هنا يشبه رأس الحمار ،
وله قرنا غزال ، وقد كن جاثما على بناء مستطيل آخر مقبب أصفر اللون . وهذا
البناء مسكون كذلك بأرواح (انظر رقم ١٨) ، وبعد أن يجتازه الراحل بأمان يعترضه
حارسان آخران خيثان في طريقه ، أحدهما في صورة شيطان رجيم له رأس حمار
وجسد ثعبان يخرج من رقبته ثعبان آخر رافعا وجهه أمام هذا الشيطان ؛ ولا بد أن
المقصود من خروج الثعبان الثانى من رقبة هذا الشيطان ، هو جعله مؤذيا ؛ لأن
جسم الشيطان وحده في صورة جسم ثعبان لا يجعله مؤذيا ، وذلك لأن رأس الحمار
لا يمكنه أن ينفث سم الثعبان القاتل . هذا بالإضافة إلى أنه لم يكن له محالب ليقبض
بها على سكين . وهو يحرس أحد البنائين المستطيلين اللذين يظهران مخفيين جزئيا
في منحنيات النهر . وكان لزاما على الراحل أن يمز بهما (انظر رقم ١٩ و ٢٠) .

أما البناء الثانى فيظهر أن حارسه إوزة تقبض بيدها على سكين . ويحتمل
جدا أنها تمثل الإله « ست » إله الشر فى إحدى مظاهره المؤذية . ويساعد هذين
الحارسين ثعبان متدل من نهاية منحى النهر الواقع بين البنائين المستطيلين السالئى
الذكر . وهذا الثعبان يرمز للتضليل عن الطريق المستقيم ، أو بعبارة أخرى يمثل طريقا
مضللة من يتبعها يحرق فى لهيب بحيرة النار . ولدينا متن على تابوت « برلين » يشير
إلى هذا . وهذه الطريق المتفرعة الخطرة قد ظهرت على تابوت « متحف القاهرة »

رقم ٢٨٠٨٥ ، (Lacau, ibid, Pl., LVI) وهي متفرعة من النهر الأساسى الذى يسبح فيه المتوفى ، غير أنها لم تذكر فى المتن ، ولكن من جهة أخرى نجد أنه قد عبر عنه فى تابوت رقم ٢٨٠٨٩ (Lacau, ibid, Pl. LVII) دون أن يرسم ، بالألفاظ التالية : "الطريق الخاصة التى يجب ألا يسير فيها الإنسان" .

و يلحظ أن الطريق بعد اجتياز هذه العقبة قد أصبح خاليا من الشياطين . وأهم ما يصادفه الراحل بناء مستطيل لونه أصفر ويرى مقاما على انحناء سفلى فى النهر ، ثم يرتفع فى علوه حتى الإطار الأزرق الخارجى (أنظر رقم ٢٢) . وتجربنا النقوش المفسرة له أنه حقل « القربان المشهور » الذى سبق الكلام عنه . بعد ذلك يشاهد أن النهر يصعد من هذا المنحنى حتى الإطار الأزرق الذى يحيط بكل عالم الآخرة ، ثم ينثنى كرة أخرى وينتهى عند شاطئ بحيرة النار أمام جدار سميك ، وبذلك ينتهى الجزء الأول من طريق الماء .

وجدير بالملاحظة هنا أن الرسام قد قلب وضع المتون المفسرة للرسم ، فجعل متن طريق الماء مكان متن الطريق البرية ، وكذلك يلاحظ أنه ليس هناك فرق عظيم بين متن تابوت « برلين » ومتون « توابيت القاهرة » فى هذا الجزء من المصور ولذلك سنكتفى بترجمة متن تابوت كامل من توابيت القاهرة مع إضافة الزيادات الهامة التى تكون فى متن « برلين » .

ترجمة المتون الخاصة بالجزء السابق :

(أولا) نجد مكتوبا على بحيرة النار ما يأتى : (٢٧) "بحيرة النار العظيمة المحاطة باللهب ، وكل إنسان لا يعرف أن يدخل فى النار فإنه سيعذب فيها . وأن الراحل وريث الإله « أوزير » الذى سيمر هناك بباب بحيرة العدل " .

وعند بداية الطريق المائية كتبت تعويذة كان لزاما على الراحل أن يتلوها (١٠) قبل أن يتدئ رحلته المخوفة بالمخاطر ، غير أنها كما سبق الإشارة إلى ذلك خاصة بمتن الطريق البرية وهى تعويذة أوزيرية الصبغة فاستمع إليها :

”إني أنا الذى ولد فى « روستاو » ووارث « أوزير » (أى ابنه حور) ، وأن اسمى أصبح منعا بوساطة الذين أصبحوا منعمين (وهم الملوك الذين توفوا) هناك فى « بوتو » وفى معبد « أوزير » ، وهم الذين تتقبلهم آلهة الأرض (الثعابين) فى « روستاو » ، عند ما يقودون « أوزير » فى المكانين المقدسين له ، وإنى أحد قوادهم إلى مكافى « أوزير » المقدسين (ما يقابل على الأرض الوجه القبلى والوجه البحرى) .

ولابد أن هذه التعويذة كانت تتلى للتمساح ذى الرأس الآدمى (انظر رقم ٨) ، وسمى ”الحارس صاحب الصوت المحزن“ .

ونجد داخل المستطيل الأصفر اللون أسماء طائفة من الجن وقد عبر عنهم بما يأتى : (١١) « هؤلاء الذين فيه » (أى فى هذا المكان) ، وهالك بعضهم : (١) « الصولجان المهتم » (٢) « الصولجان المحرق » (٣) « الصولجان العظيم » . وبعد ذلك نقرأ تعويذة خاصة بالمحافظة على الراحل من الأخطار التى تعترض سبيله وهى : (١٣) ” إنى واحد من قوادهم وإنى « أوزير » المنعم سيد المنعمين ، وواحد منعم يؤدى الشعيرة ، وأنه « أوزير » الذى يحيا ، وأنه « أوزير » الذى يحتفل بعيد اليوم الخامس عشر ، وأنه بشير عيد نصف الشهر . يا « أوزير » الراحل الذى يعمل دورته اليومية مثل الشمس ، ويا عين « حور » التى أعطيت « حور » ، وهى التى كانت قد أعطيت « تحوت » ليلا ؛ (هذه إشارة الى الاعتقاد القائل بأن عين « حور » اليسرى هى القمر) . عند ما كان يسبح فى السماء منتصرا فى سلام ، وأنه يسبح فى سفينة « رع » . تأمل إنى فلان عظيم الاسم ، وإناك تجعل اسمى عظيما على الطريق الحق ، وإن ما أرتعد منه هو قاعة محاكمة الشر ، وإن صفاتى هى صفات « حور » بكر أولاد « رع » الذى أوجد قلبه . إن « أوزير » الراحل ليس مصفدا فى الأغلال ، وأنه لم يطرد عند الأبواب . وفى رواية أخرى : ” أن ما يخافه « أوزير » الراحل هو أن تحفر الأرض بالدم ، وإن صفات « أوزير » هى صفات « حور » بكر أولاد « رع » الذى أحيا قلبه .

وعبارة «حفر الأرض» بالدم تشير هنا إلى شعيرة كانت مريجة خلال عيد يحتفل به في «بوصير»، وهذا العيد كان يطلق عليه اسم «عيد حفر الأرض بالدم». وتفسير ذلك أن الأرض كانت تحفر باحتفال بعد أن تروى بدم الأعداء لمذبحين، لأجل أن تصير خضبة، وخوف «أوزير» هنا هو خوفه من أن يراق دمه على الأرض التي ستحفر في هذا العيد (Relig. Urk. p. 127).

وهذا العيد في الأساطير المصرية كان يمثل في عصبة الإله «ست» إله الشر وشركائه في قتل «أوزير»، وهم الذين تحولوا إلى ماعز أو كباش في بلدة «بوصير»، ثم ذبحوا أمام مجلس القضاة، وبعد ذلك أخذت دماؤهم وأعطيت للسكان في «بوصير» ليسمدوا بها أراضيتهم.

وفي هذه التعويذة نشاهد أن الإله «تحت» ومذهبه الذي كان مقر عبادته بلدة «هرموبوليس» (الاشمونين الحالية) قد برزا تماما، كما يلاحظ أن الإله «تحت» هو الذي أعاد للإله «حور» عينه (والعين هنا هو القمر) بسلام في حين أن «تحت» نفسه كان يمثل القمر سابجا في كبد السماء متصرا على الظلام الذي كان يمثل «ست» إله الشر والظلمة.

ونرى أنه عندما صار المتوفى متصرا أى مبرءا من كل ذنوبه أمام محكمة العدل، وأصبح يتحلى بكل صفات «حور الأكبر»، أمر حارس الباب أن يخلى سبيله ليدخل من الباب الذي يؤدى إلى «روستاو». والظاهر أن هذه التعويذة كانت تتلى عند الاقتراب من البناء المستطيل الأصفر الثانى . (١٤) وهو الذى كتب فيه أسماء ستة عفاريت أخرى وهم (١) «انحر» (٢) «الصوت العظيم» (٣) «مين» (٤) «الشائر» (٥) «الهائج» (٦)

أما الشيطان الذى مثل بتساح له رأس حمار فاسمه «المراقب اللاعن» (١٥) وكذلك كتب في داخل المستطيل المقرب السقف (رقم ١٨) أسماء ستة

كائنات وهى إما جن خلقت من مارج من نار فى صورة كائنات ، وقد وصلتنا
أسمائهم أما صورهم فقد تركت لخيال القارئ وهاك الأسماء : (١٨)

Lacau, ibid, p. 197 (18); Berlin Coffin, Ch. XII b, 1-4.

(١) النار المحرقة (٢) اليقظ القلب (٣) المتنبه الوجه (٤) حاد الوجه (٥) الذرب
(٦) العالى الصوت .

أما اسم الشيطان الذى له رأس حمار وجسم ثعبان فهو المراقب : «المقنع الوجه» ،
(١٥) والثعبان النسارى يدعى : «البحيرة التى تقطر» (نارا) (٢٠) ؛ وقد وُصف بأنه
يعيش مع الذين يعيشون فى بيت الشاطئ (أى شاطئ بحيرة النار) .

بعد ذلك يجرد الراحل الطريق خالية مسافة قصيرة من الشياطين ، غير أننا نجد
الإرشادات التالية قد دَوَّنت فيها (١٦) : ” هذه هى الطريق ، وهذه هى التعويذة
للمرور عليها (أى على الطريق) “ . ثم يتلو الراحل التعويذة التالية التى على ما يظهر
تحدثنا عن أشياء خاصة بالسعادة المقبلة (١٧) :

” إن « أوزير » الراحل هو الإله « روتى » المسلح (أى الإله « رع » فى صورة
أسد) ، وإن « أوزير » الراحل يعتبر ضمن أتباع أول أهل الغرب (أى أتباع أوزير)
يوميا ، وأراضيه فى « حقل القربان » بين الذين يعرفون الشعائر المقدسة ، وبين عمال
« أوزير » الراحل ، وهو الكاتب الذى بجانب « تحوت » . وإنى أنا الراحل الذى
يطهر « أوزير » هذا ، ويطلق البخور يوميا بين الذين يحضرون للقربان . وقد
أمر « أنوبيس » (إله الجبانة) أولئك الذين يحملون القربان « لأوزير » الراحل
بالألا يأخذها منه أولئك الذين فى الأسر ، وإن « أوزير » الراحل مثله كمثل الأفق
الأعلى ، يبشر بمقدم المتوفى عند الباب (باب الجنة) “ .

والظاهر أن الباب المذكور هنا ، وهو باب المبنى الأصفر المستطيل ، فيه
الخيرات والنعيم ، ويدل على ذلك متن قد سبقه وهو بمثابة مشجع للراحل وعد فيه

بالمناخ الذى ينتظره فاستمع إلى ماجاء فيه (٢١): "إن كل روح من أرواح الشاطئين (أى شاطئا البعيرة النارية) قد وضع فيه (فى هذا المبنى) بين أتباع «أوزير» ، أما التابعون الذين يقطنونه فإنهم أولئك المنعمون الذين يجلسون فيه فى حماية الشاطئين هناك على مقربة من ربهم ، وهم سكان حقول القربان الذين يطعم معهم «أوزير» وكذلك كل سكان حقل القربان ممن يؤتى لهم بنجر منه مع «أوزير» يوميا .

ومن مدلول هذا المتن نعلم أننا أمام حقل القربان السماوى الذى جاء ذكره فى «متون الأهرام» بوصفها متونا شمسية ، ولكنه هنا قد صيغ بالمذهب الأوزيرى لشيوعه فى هذا العصر . وهو الذى كان مقره على الأرض فى «عين شمس» كما سبق تفصيل ذلك .

وكان الراحل يعتقد أنه ليس فى مقدوره التمتع بطيبات «حقل القربان» إلا إذا كان مجهزا بالتعويذة التالية التى كتبت فى المكان الذى يتلو هذا البناء الأصفر .
(Lacau, ibid, p. 191 (25-26) ; Berlin Coffin, Ch. XII b, 39-50.
وهى: (٢٥ و ٢٦) "تعويذة لوجود الإنسان فى «حقل القربان» بين الآلهة أتباع «أوزير» ، كل يوم طعامهم ... بين الأحياء ، وأنهم ليسوا أمواتا أبدا ، ونصيب الراحل من الحقول موجود هناك ، وهو يرى «أوزير» كل يوم ، وكذلك «تحت» ، وأنه لن يصدده الأشرار أرباب الأبواب ، (أى حراسها) ، لأنه ليس من بين أولئك الذين ذهبوا ليقع عليهم العقاب " .

وقد ذكرت هذه التعويذة على مصوّر تابوت «برلين» مع بعض اختلافات وهاك ما جاء فيها: "تعويذة لوجود الإنسان فى «حقل القربان» بين الذين بعثهم أوزير ، وبين أتباع «تحت» ومعهم خبزهم بين الأحياء الذين لا يموتون ، بل منحوا ربح الحياة فى أنوفهم ... وهم الذين لا يموتون أبدا ، وكل إنسان يملك نصيبه من الخصب فى حقل القربان ، وسيرى «أوزير» كل يوم مع «تحت» ولن يطرده الأشرار حراس الأبواب الذين يصدون البطش" .

وبهذا تنتهى المتون التى دؤنت على الجزء الأول من طريق الماء على تابوت القاهرة الذى نحن بصددده .

وصف طريق البر الى عالم الآخرة—والآن نعود بالقارئ لبحث الطريق اليابسة التى كان يسير عليها الراحل الى عالم الآخرة إذا وقع عليه اختيارها .

ولأنجل أن نفهم سيره فى هذه السبيل يجب علينا أن نعود بالقارئ إلى الحجرة الخلفية التى 'تتفرع' من الطريق الثانية من ركنها الأسفل الواقع خلف جدار من نار . عند هذه النقطة يتفرع طريق اليابسة ذو اللون الأسود ويسير بانحدار ملتو يأخذ فى الاتساع حتى يصبح منحنيا واسعا ، وعند هذه النقطة يعترض الراحل أول شيطان حارس للطريق فى صورة « بو الهول » له رأس إنسان ذو لحية طويلة ، ويحلى رأسه قرص شمس وضع على قرنى كبش وجسمه وقائمه الخلفيتان لأسد . أما قائمته الأماميتان فتشبهان الدودة التى كان المصرى يفزع منها فى كل زمان ومكان خوف أن تأكل جسمه بعد الموت ، والظاهر أن هذا الحيوان الغريب فى مجموع أعضائه كان من مارج من نار .

بعد ذلك يعترض الراحل فى سيره انحناء ثان يقوم بحراسته حارس فى هيئة كلب أصفر اللون، ويلاحظ أنه واقف على قائمته الخلفيتين، وقابض بمقدمته على سكين، ونجد فى نفس هذا الانحناء شيطانا آخر فى صورة « بو الهول » له رأس إنسان محلى بريشة ويقبض بمخالبه على سحلية ويلتفت خلفه، والظاهر أنه حارس غير مؤذ، إذ يتحدثنا المتن أنه يعلن قدوم الراحل . ويعقب هذا الانحناء سبيل مرتبك متشعب يخرج منه ثلاث طرق كلها مسدودة، والجزء الأول من هذا المكان المتشعب النواحي على هيئة مربع منحرف الأضلاع، ويرى فيه شيطان حارس جسمه جسم دودة ورأسه رأس ثور، وفى الجزء الثانى من هذا المكان، وهو بناء متوازى الأضلاع، يرى حارس فى صورة حيوان صغير ذى رأس أسود يشبه رأس الحمار وجسمه جسم نمس . ومن المعلوم أن النمس كان حيوانا مقدسا يرمز به للإله «آتوم» أى الشمس عند الغروب .

وبعد أن يخرج الراحل من هذا المكان المعقد المسالك بسلام يعترضه في بداية المنحنى الذى كان ينزل فيه، حارس فى صورة قط ليس له قوائم خلفية واقف فى الفضاء على مقدمتيه على ظهر سكين عظيم . ولا يكاد الراحل يفلت من خطر هذا الشيطان الحارس حتى يعترضه فى طريقه ثعبان أزرق اللون له رأسان، فى كل طرف من نهايتى جسمه رأس، ويشاهد بجواره ثعبان آخر يتجه اتجاها مضادا للحراس السابقين، وشكله عادى . وفى الانحناء العميق الذى يقع فوق هذين الثعبانين نشاهد كائنا خرافيا له رأس كبش أسود اللون وجسم دودة حمراء ، وكذلك يشاهد قبالة الثعبان الأزرق السالف الذكر فرس بحر ضخم أحمر اللون يقف على مؤخرتيه ويقبض بمقدمتيه على سكين ضخم . ويلاحظ أن الطريق من فوقه منحنية ومنحدرة الانحدارا شديدا ، متجهة إلى أعلى وينتهى هذا الانحدار عند بحيرة النار قبالة نهاية الطريق المسائى التى فى الصف الأعلى ، ويقف فى نهاية هذه الطريق البرية حارس آخر فى صورة قرد يُلَوِّح بيده سكين . ولا يفوتنا أن ننوه هنا بأن القرد هو الحيوان المقدس الذى كان يتمصه الإله «تحت»، كما كان يظهر القرد كذلك فى صورة روح غيف مسلح بشباك صيد السمك ، كما جاء ذكر ذلك فى كتاب الموتى :

“Book of the Dead”, Ch. CLVIII b.

ولابد أن نلاحظ هنا أن المصوّر الذى رسم على قعر تابوت «برلين» يختلف عن مصوّر تابوت القاهرة فى بعض النقط، هذا فضلا عن أنه خال من الرسوم الدالة على صور أولئك الحراس الذين وجدناهم على تابوت القاهرة وقد سبق وصفهم .

المتون المفسرة للمناظر السالفة :

وبعد وصف الطريق وما فيها من عقبات نتكلم عن المتون التى تفسر لنا ماهية الصور التى عليها وهى التى وصفناها فيما سلف .

فى البداية نجد متنا قصيرا بمثابة مقدمة وهو (٢٨) : ” هذه التعويذة خاصة بالمرور عليها (أى على الطريق) وإنهم (أى الحراس) أصحاب هذه البحيرة“ .

وهذا المتن في الواقع هو مقدمة لتعويذة يجب على الراحل تلاوتها . وكما أسلفنا فان هذه المتون التي نجدها مع "الطريق البرى" هي في الواقع خاصة بالطريق المائية إذ نجد متنا مقابلا لها على مصوّر متحف «برلين» غير أنه مهمش .

Lacau, ibid, p. 192 (30) ; Berlin Goffin, Ch. XII, c. 3-8)

والتعويذة (٣٠) هي : "دعنى أَمْزٍ بِسَلامٍ ، إني أسلك طريقى ، دعنى أقلع بالسفينة ، إن صفاتى هي صفاتها (أى السفينة) وما ينبغى أن يعمل ضدى سيعمل ضدها إذا اتفق أنكم فتم بعمل شئ ضدى ، وإن واجبى أن أكون ضدّ التمساح (الخطر) " .

وبعد هذه التعويذة يذكر لنا اسم الحارس الأول الذى مثل في صورة «بواهول» وهو (٢٩) : «اللاعن الذى يصعد التمساح» ، هذا هو حارس المنحنى وهذا هو اسمه . وبعد أن ينجو الراحل من خطر هذا الشيطان ، كان عليه أن يتلو التعويذة الآتية لأجل أن يعتصم من الأخطار التي كانت تقترب منه بسرعة وهي : (٣٢) «إني إنسان يصيد التماسيح عند ما تقترب منه ، ويملك بيضة «رع» (قرص الشمس) فيخفيها اليوم ويظهرها في الصباح المبكر ، وإن حارسها هو مخفيها ، وإني أنا المهاجم له ، وإن أبغض شئ عندى أن أنثى عند ما أتمزف عليه ، وإنه لن يسكن في الأفق ، لأنى سأقصيه مع الإله بوصفه نائرا " (ضدى) .

ويظهر أن هذه التعويذة كانت موجهة لشیطان حارس في صورة حيوان يشبه الكلب اسمه : «مدس حر» (صاحب الوجه القاطع) حارس الباب هذا هو اسمه . أما «بواهول» الذى يقوم بحراسة المنحنى الذى يأتى بعد الأول فقد كتب معه الشرح التالى (٣٣) : «اسمه «معكتى نر» (أى الحامى المقدس) وهذا هو حارس المنحنى ، وأنه حارس من يتزل فيه (أى المنحنى) " . على أنه توجد تعويذة لانتقاء خطر هذا الحارس وهي : (٣٤) "لقد أتى الراحل مثل «حور» نغار الأفق السماوى عند أبواب الأفق ، وإن الآلهة تفرح عند اقترابه ،

وحينئذ يكون شذى عير الآلهة متجها نحوه، ولن ينتابه شر حراس الأبواب، ولن يعادوه، وإنه الخفى الوجه في معبد الإله .

نذكر بعد ذلك التفسير الذى صحب الشيطان الممثل برأس ثور (٤١) وجسم دودة وهو ” (٤١) : « إن وجهك وجه فرس بحر يضرب الغاضب (أو القرن الذى يطعن الغاضب) » ؛ وعلى ذلك يلاحظ أن الرسام لابد قد أخطأ فى رسمه . وقد كان لزاما على الراحل أن يتلو التعويذة التالية ليمر بسلام فى الجزء الثانى من هذا المكان وهى : (٤٢) ” هذه هى التعويذة الخاصة باختراقها (أى الطريق) بالذين على بحيرتهم “ .

ويأتى بعد ذلك اسم الشيطان الحارس الممثل برأس حمار وجسم نمس وهو : « وجه حمار » هذا هو اسمه . أما التعويذة التى كان يتلوها الراحل لينجو من شر هذا الشيطان الحارس فهى (٣٥) : ” إني فلان صاحب الاسم العظيم ، وإني أنا العظيم الذى يمهّد طريق « ماعت » (العدالة) ، وإن ما أشتزم منه هو مكان المحاكمة الظالمة ، وإن صفاتى هى صفات حور الأكبر الذى نفذ ما يرغب فيه ، وعلى ذلك لن يقبض على ، ولن أصدّ عن الأبواب ، وإني الراحل بوصفى « روتى » (إله الشمس) المسلح ، وإني « حقات » (إلهة تسمى «أوزير») سيدة المحيط الأزلّى ، وإني أعيش على الآثم ، وإني أرث أفق «رع» ، وإني الراحل بوصفى «آثوم» (الشمس المغربة) رب السكين . وإني أقول بأني أرث الأفق ، وإني أمهد طريقا للإله «رع» عند ما يضع الوراثه ، وإني أعرف اسمه “ .

بعد ذلك يأتى متن فى صورة خطبة يشرح فيها الراحل كيف تفتتح أبواب السماء والأرض أمام قوة الشمس القاهرة . وهو (٤٤) :

«فصل فى تنعيم الروح الذى ولد من « أوزير» . يقول الراحل : لقد فتحت أبواب السماء ، لقد فتحت أبواب الأرض ، لقد فتحت أبواب الغرب (الآخرة) ، لقد فتحت أبواب الشرق ، لقد فتحت أبواب محاريب الجنوب والشمال ، ولقد

فتحت الأبواب والبوابات على مصارعها عند ما يشرق « رع » من الأفق، ولقد فتحت له أبواب سفينة الشمس الليلية، ولقد فتحت له أبواب سفينة الشمس النهارية عند ما يصل « شو » (إله الفضاء) وعند ما يخلق « تغنوت » (آلهة الندى) ، وهما اللذان كانا يتبعانه من بين الذين في ركابه .

وهنا نجد الثعبان أو الحية ذات الرأسين يعترض الطريق وقد كتب اسمه (٤٥):
« سركت » التي على امتداده (أى على امتداد الطريق) .

أما المنحنى العميق الذى يأتى بعد ذلك فكان يحتاج اجتيازَه إلى تمويذة خاصة يتلوها الراحل حتى يمر بالحارس دون أن يلحقه أذى . وعنوانها هو (٣٦) :
« إنه فصل للورور عليها (أى الطريق) :

(Lacau, ibid, 36 ; Berlin Coffin, Ch. XII d, 7)

أما التمويذة نفسها فهي (٣٧) : إني فلان الذى يبلغ رسالات الآلة « رع » ، ولقد حضرت ، وإني أبلغ الرسالة لسيدها . والظاهر أن التمويذة كانت موجهة للشيطان الذى رأسه رأس كبش وجسمه جسم دودة ، وقد كتب عنه (٣٨) : « أنه حارس المنحنى واسمه صاحب الوجه الذى ينبئ عنه والذى يعيش على القذى . وكذلك نعلم عنه ما يأتى (٤٦) : إنه هو الذى فى المنحنى » .

أما الثعبان العادى فقد ذكر عنه (٤٧ ، ٤٨) أنه حارس المنحنى (أو حارس منحنى البعيرة الذى يصطد حامل المقمعة ، والذى يخاطب والدته فى صورة « شيفت » (إله فى صورة كبش يعبد فى اهناسية المدنية ») .

أما التمويذة التى كان يجب على المتسوفى أن يتلوها ليفتر من سكين الحارس الذى فى صورة فرس البحر فإنها وجدت على كل من تابوت القاهرة وتابوت « برلين » وهى (٤٩) : إني فلان صاحب الأوجه العدة الذى يجعل صوت السماء يردد ، والذى يصعد إلى « رع » (أو الذى يبلغ الصدق « رع ») ، والذى يجمع قوة « أبوفيس » (الثعبان عدورع) ، ويخترق القبة الزرقاء ، ويقف عاصفة (أو ثورة)

نواتى الإله «رع»، وذلك لأنى أعطيت سيفى أخفينه، وأعلنت حضور رب القربان فى صوره إلى المكان الذى هى فيه (أى سفينة الشمس) .

وأخيرا قيل عن القرد الحارس الذى يقف فى نهاية الطريق البرية ما يأتى (٣٩ — ٤٠) : عظيم الوجه الذى يصدّ التماسيح حارس محرابه “وكذلك قيل عن القرد والتماسيح معا «إنهما حارسا منعطف البحيرة» .

وبذلك ينتهى الجزء الأول من الطريق البرية . والواقع أن وصفه هى وصف الطريق المائية .

الجزء الثالث من مصوّر تابوت القاهرة رقم (٢٨٠٨٣)

لقد لاحظنا فى الجزء السابق أن كلا من طريق البر وطريق الماء ينتهى عند شاطئ بحيرة النار أمام جدار سميك قد مثل عليه ثلاثة أبواب سود موضوعة بعضها فوق بعض يؤدى كل منها إلى الإقليم الذى يقع خلفه . فالباب العلوى منها على ما يظهر كان خطره لا يقل عن الخطر الذى كان يتهدد الراحل حتى الآن عند الأبواب التى مر منها . والمساحات التى تقع خلفها هذه الأبواب قد قسمت أفقيا فى الرسم ثلاثة أقسام يفصل كل منها عن الآخر حاجز من نار وكل جزء يحتوى على ساكنيه من الشياطين العجيبة الخلق، الشاذة التركيب، ولكن يظهر أنه لم يتخلق واحد منهم من مارج من نار . ففى القسم الأعلى نجد حارس الباب الرئيسى له جسم دودة ورأس تشبه رأس القط أو رأس ابن آوى، وكذلك مقدّماته . ويشاهد ملوحا بسكين فى كل من مخالبه ويشاهد خلفه مباشرة كبش أسود طبعى الشكل . هذا وقد رسم خلف الحارس الأول عشرة بكاش جاثمة، وكل منها على حامل، ويلحظ أنه فى يد كل من ثمانية منها سكين ، وكذلك يرى أن خمسة منها قد رشق فى مؤخر كل منها سكين . وهذا القسم يعلوه حاجز من نار .

أما الجزء الثانى الذى هو أسفل السابق فنجد أن الحارس الأول الذى عند الباب مباشرة قد مثل على هيئة رجل قد مثل نصفه الأسفل خط سميك متموج

أسود اللون ويحمل في يده عصا . أما الحارس الذى يليه فهو فى صورة آدمى مثل جالسا فى الفضاء ؛ وهذا الوضع نشأه كثيرا فى الرسوم الخاصة بعالم الأرواح المصرية، ويوجد بكثرة فى كتاب « ما يوجد فى العالم السفلى » وفى « كتاب البوابات » . وهذا المخلوق يحمل فى يده سيفاً عظيماً ويشاهد خلفه عشرة رعوس كل منها يمثل رأس أرنب ومرتكزة على حامل أسود متموج قد رشق فيه سكينتان واحد منهما أسود والآخر أبيض اللون .

أما القسم الثالث فنجد الحارس الأول الذى يقف عند الباب مباشرة قد مثل فى صورة آدمى محنط له رأس كلب أو ابن آوى . ويلاحظ أنه قد وضع يده على الباب إما ليفتحه للراحل الذى كان يعرف التعويذة السحرية الحقيقية، أو ليمنع فتحه لكل من يحمل هذه التعويذة، وخلف هذا الحارس يشاهد قط محنط يحمل فى يده قضيباً، وخلف هذا الحارس يأتى سبعة جعارين سود يرتكز أسفل كل منها على عماد ملتوى الشكل، وينتهى كل من هذه الأقسام الثلاثة بباب أسود كالذى نجاهه عند بداية كل منها . ومما هو جدير بالملاحظة هنا أن هذا الرسم يختلف عن الرسم الذى على توابيت القاهرة الأخرى .

وأهم ما يلفت النظر فى هذا الجزء من « كتاب الطريقين » هو أشكال الشياطين الخزاس، فبعضها قد صبغ بصبغة المذهب الشمسى الصريح، إذ نجد أن الكباش تمثل الكثير من الآلهة المصرية مثل الإله « آمون رع » والإله « خنوم » والإله « حرشاف » وكذلك الإله « رع » نفسه بوصفه إله الشمس لىلا .

أما مجموعة الكائنات الثانية التى مثلت فى الجزء الثانى برعوس اثنى عشر أرنباً فلأنها تعيد إلى ذاكرتنا فى الحال مجموعتى ساعات الليل والنهار، وقد رمز لعددهما هنا بالسكين الأسود والسكين الأبيض المرشوقة فى العمود الأسود المتموج الذى يرتكز عليه كل رأس من هذه الرعوس .

ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن الأرنب كان الحيوان المقدس الذى كانت تنقسمه
الإلهة « وننت » التى كان يرمز بها للمقاطعة الخامسة عشرة من مقاطعات الوجه
القبلى ، وعاصمتها « الأشمونين » الحالية . وهى المقاطعة التى كان يعبد فيها الإله
« تحوت » إله القمر ، هذا فضلا عن أن كلمة ساعة كانت تكتب بصورة الأرنب
فى اللغة المصرية القديمة .

أما مجموعة الكائنات الثلاثة فى القسم الثالث وهى الجعارين فهى معروفة لنا
بأنها صور لإله الشمس « خبر » وقت الصباح .

المتون الخاصة بهذا الجزء التى على التابوت ٢٨٠٨٣

نقرأ أمام الجدار الذى فيه الأبواب السوداء التعويذة التالية (٢٤) : « تلك
هى الثعابين حراس الأبواب المشرفون على الطريق » ؛ وتشير بطبيعة الحال هذه
التعويذة إلى أن بعض الثعابين كانت حراسا لأبواب هذا القسم الحديد من عالم
الآخرة ، غير أنه قد أهمل رسمها على المصوّرات التى وصلتنا حتى الآن ، ولكن من
جهة أخرى نجد فيما بعد فى « كتاب البوابات » أن كل بوابة من البوابات الإحدى
عشرة الخاصة بعالم الآخرة كان يحرسها ثعبان ، فى حين أن صلالا كانت تمطر من
الجزء الأعلى من البوابات وإبلا من اللهب (Budge, "E. H. H.", Vol. II, pp. 87, 101, 121 etc.)
ويشاهد على أول باب من مصوّرات المتن التالى (٥١)
(Lacau, ibid, p. 195.) « النار التى يبعدها هذا الشيطان » . وهذا المتن قد وجد
مكررا على البابين الآخرين .

والظاهر أن الحارس الأول لم يسم ، أما الحارس الآخر وهو فى صورة كبش
أسود فنعت (٥٤) « رب الغضب » . فى حين أن الكباش الجاثمة لم يذكر إلا اسم
واحد منها وهو (٥٥) « عظيم الريح » . وقد أطلق على جميعها اسم (٥٦) « الحراس »
عامة . ولذلك نجد أنهم نعتوا فى المتن بالذين فى حراسته (أى الباب) . ولا بد
أنهم هم الحراس الذين جاء ذكرهم فى التعويذة التى كان يتلوها الراحل لأجل اقتحام

هذه العقبة والتعويذة هي (٥٧) « إني فلان عظيم الصوت في السماء وأتم يأبها العظاء . ابتعدوا يأبها الحراس (أى الأموات) ، إني أنا الذى أمهد الطريق لأسياذك » . وعنوان هذه التعويذة هو : « فصل المرور عليها » (يقصد المرور بثلاثة الأبواب التى كان لا بد أن يمر منها الراحل . أما اسم الحارس الأول الذى يحرس القسم الثانى فهو (٦١) : بيت نافث اللهب » . واسم الشيطان الجالس فى الفضاء فى صورة إنسان هو (٦٢) : « صاحب الأوجه الثارية » . أما الكائنات التى مثل كل منها برأس أرنب فقد أطلق عليها اسم (٦٠) : « الحراس له » (أى الباب) ، وكذلك كانوا ينعنون (٦٣) : « أرباب الصولجانات » ، هذا فضلا عن أننا نجد العنوان التالى . « فصل المرور عليها (أى الطريق) » . ثم يتلو ذلك نص التعويذة (٦٤) : « إن وجهى مثل وجه « حور » ومثل وجه التاج العظيم ، والصولجانات ملكى . وإني أنا الراحل » .

والظاهر أن هذه التعويذة كانت تمكن المتوفى من المرور ؛ إذ نجده يوحد نفسه بتلك الكائنات التى كان لزاما عليه أن يمر بها ، وفى هذه الحالة كان يدعى لنفسه السيادة عليهم . وكان الحارس الأول للقسم الأول يسمى (٦٨) : « صاد الأعداء » . والحارس الذى يمثل فى صورة قط محنط يسمى (٦٩) : « ضارب الوجه » . أما تسعة الجمارين التى نشاهدها فى المصوّر بعد هذا القط فكان يطلق عليها لقب (٧٠) : « الذين وكل إليها أمرها » (أى أمر الطريق) . وكان لزاما على الراحل أن يتلو (٦٦) : « فصلا للورور عليها » ، وهذا الفصل هو (٧١) : « إني أنا الراحل الذى يجلس أمام عين « حور » لأقيم العدل بوصفى « تحوت » (مثل رع) . وإن صفاتى صفات « تحوت » (الذى كان يجلس عند المحاسبة ويشرف عليها) . وبعد ذلك يواصل الراحل سيره فيصافى بعد تخطى هذه الأبواب برجا عاليا أزرق اللون وقبته حمراء كتب عليها كلمة (٧٢) « نار » . والواقع أن الراحل قد دخل الآن جزءا هاما من عالم الآخرة ؛ وقد أطلع الرسام فى تصويره تصويرا منطقيا .

فقد قسم هذه المساحة المستطيلة الشكل ثلاثة أقسام أفقية ، يحتوى القسم الأسفل منها على ما يظهر على متن مؤلف من سبعة أسطر أفقية قد عى معظمها . أما القسمان الآخران فتدل ظواهر الأمور على أنهما كانا مهبطا لشياطين غريبة الشكل ، وسرى أنها قد وزعت على مقدار طول الطريق ، ويلاحظ هنا أنه قد صار يطلق على الطريق العلوية الطريق البرية ، وهى التى كانت حتى الآن تظهر فى الرسم بأنها الطريق المائية رغم أن المتن الذى كان يفسر مناظرها يدل صراحة على أنها الطريق البرية . ويلاحظ أنه كان مصورا على القسم الأول فى الأصل خمسة كائنات لم يبق منها إلا ثلاثة صوّرت فى شكل آدمى ملونة باللون الأحمر ، مما يدل على أنها قد خلقت من نار . غير أن كل واحد من هذه المخلوقات العجيبة له رأس جعل ، وقد مثل كل واحد منها جالسا فى الهواء ، ويحمل فى يده اليسرى صل ، وفى اليمنى سمعية . أما القسم الثانى فقد كان مسكونا بخمسة كائنات غريبة الشكل كذلك عى واحد منها .

ويلاحظ أن الكائن الأول قد مثل فى صورة إنسان له رأس كبش أحمر اللون يجلس فى الفضاء أيضا ويقبض بيده اليسرى على صل عظيم فى حين أن صلا آخر يرى خارجا من فمه ، ويواجه صفا من الكائنات العجيبة الشكل عى واحد منها ، واثنان منها قد أصابهما عطب فى النصف الأسفل منهما .

وأول هذه الكائنات الثلاثة الباقية ذولون أزرق ورأسه رأس حيوان يصعب تحقيق نوعه ، ويلاحظ أن سكيننا قد رشق فى كتفه وآخرقه مرقت فى دبره ، وفى يده سمعية حمراء اللون . أما الكائن الثانى فهو قط أصفر اللون . والكائن الثالث يمثل ابن آوى برأس أحمر وجسم إنسان أزرق .

وهنا ينتهى هذا القسم من « كتاب الطريقين » ببرج أزرق اللون تعلوه قبة من نار ، غير أنه ينقصه هنا شكل التيه الذى شاهدناه مرسوما فى نهاية القسم السابق . ومما أوضحناه نعرف أن الطريقين لا تزالان مستمزين ولكنهما ليستا فى العراء كما

كانت الحال من قبل إذ نشاهد من الآن فصاعدا أنهما تميزان في ربوع وطرق ومبان مسقوفة .

متون الجزء الثالث (Cairo Coffin (28083)

نجد أولاً مكتوبا على القبة الحمراء القائمة عند بداية هذا القسم كلمة « نار » ، كما كتب في داخل البرج نفسه تعويذة هامة وهى (٧٣) : ” تعويذة طريق « روستاو » وهما الطريقان اللتان توصلان إليه ، ومن سار على واحدة منهما فإنه محرم عليه السير على الأخرى إذ يصت . ومن يعرف هاتين الطريقين فإنه سيجدهما دائما ، وذلك لأن لهما جذرانا عالية تحميها مدى حادة خاصة « بروستاو » . وهاتان الطريقان إحداهما على الماء والأخرى باليابسة “ .

ومن هذه التعويذة نعرف بوضوح أن المتوفى قد حذر صراحة التردد بالعدول عن إحدى الطريقين بعد اختيارها ، لأنه لو حاول ذلك كان فيه هلاكه ، ومن ثم نعلم أن الطريقين لا تزلان مستميتين . أما الإشارة الى الجدران الشاهقة المحمية بالمدى فالمقصود منها ذلك البناء المقرب الذى وصفناه فيما سبق . والظاهر أن هذا الإقليم هو فى الواقع « روستاو » .

وبعد أن يمتاز المتوفى البرج فى سلام كان لزاما عليه أن يتلو تعويذة أخرى هى فى الواقع تكلمة للسابقة وهى (٧٤) : يا أيها المتعبون (الأموات) ، والذين قد أكبوا بوجوههم على أحجارهم ، ومن قد أخفيت مجاهم ، والذين يعيشون على صدقهم ، ومن أسنانهم هى سن « أوزير (أى عمرهم مثل عمر أوزير) . إني أنا عظيم القربان فى وقته المحدث ، والذى يسلك طريقه فى النار ، والذى أحيا « أوزير » ، وإني أنا الذى مهسد الطريق ، فدعوني أمر حرا ، وأرى « رع » ، وأكون بين أولئك الذين يقدمون القربان . (وإني أنا الواحد الخفى فى المحيط العظيم ، وإني محاكم الرجلين « حور » و « ست » ، وإني قد أتيت ومحوت كل ضار بأوزير) “ .

ومما ينبغي النص عليه هنا أنه بالرغم من أن هذا المتن أوزيرى الصبغة، وأنه خاص «بروستاو»، أن المتوفى كان يعتقد أمله الأخير على رؤية «رع»، على أن رؤيته كانت لا تنسئ له إلا نهارة في السماء أو ليلا في العالم السفلى . وكذلك يشير هذا المتن إلى «تخوت» إله القمر الذى لمح به عند ذكر الرجلين «حور» و «ست» . هذا ونجد في الجزء الأعلى من هذا القسم متنا مفسرا له هو : «الطريق إلى «روستاو» على اليابسة . الطريق إلى روستاو على الماء» .

وعلى أثر دخول الراحل في هذا القسم كان لزاما عليه أن يتلو التعويذة التالية (٧٦) «إنى أنا الراحل الخنى ، والفيضان الذى يفصل بين الرجلين ، («حور» و «ست») ولقد أتيت لأبعد الحزن وأخفف آلام «أوزير» ولقد أتيت لأصد الشر .

أما أول شيطان حارس في الصف الأعلى فينمت (٧٨) : « النيل المنتشر» واسم الحارس الثانى هو (٧٨) : « المعطى له » واسم الحارث الثالث (٧٩) : « نخب كاو » ، وهو ثعبان عظيم له رأسان وذيله ينتهى برأس ثالث كما جاء ذكر ذلك في كتاب « ما يوجد في عالم الآخرة » . وهو معروف بأنه مقدم القربان ، وقد ذكر عنه ما يأتى : « إن صاحب هذه الصورة موجود في مكانه » نت مو « على الطريق المقدس المؤدية لطريق «روستاو» ، وإنه يسافر إلى كل مكان يوميا ، ويعيش من فيض ما يخرج من فمه » .

ونجد هنا أنه رغم تغيير صورة هذا الحارس فإن « نخب كاو » كان يعمل بوصفه حارس طريق « روستاو » وهى الوظيفة التى كان يقوم بها على تابوت رقم ٢٨٠٨٣ . أما الحارس الرابع فاسمه (٨٠) « الآكل آبائه » .

أما في القسم الثانى فأول حارس فيه يسمى (٨٢) : « الطارد ست » . أما الحارس الثانى فيحمل اسما غربيا وهو (٨٣) : والد ثور عين شمس السيج الحظ ، واسم الحارس الثانى قد عي بعض الشيء ، وما تبقى من الأسماء الأخرى قد عي كلية .

والمثنى الذى يشغل الصف الأسفل من هذا الجزء من المصور قد هشم تهشما كبيرا وقد وجدنا فيما بعد أنه الفصل ١٤٦ من كتاب الموتى وهو (٨٨) : لقد بُتت بقسوة الأملاك فى العرابة ، وقد مهد الطريق « لروستاو » لأجل أن يختلط بأولئك الذين يرون الآلهة فى القصر العظيم ، وهم يقدمون له الشناء ؛ ولقد حضرت اليوم أمام باب « إمنت » (أى باب الآخرة فى الغرب) . وفى رواية أخرى « باب الأرباب » (أى أرباب الآخرة) .

الجزء الأخير من الصف العلوى

هذا الجزء من الصف العلوى لا يزال يمثل جزءا من البناء ، وهو الشرفة التى كان يطل منها الفرعون عادة ليوزع المكافآت على عظماء رجال دولته فى مناسبات خاصة فى عالم الدنيا ؛ غير أن الجزء الأسفل من مناظره قد هشم فى المصور الذى بين أيدينا والجزء الأعلى يحتوى على صورة قرد ضخم أحمر الوجه وخلفه يشاهد صورة آدمى يظهر كأنه جالس على الأرض .

بعد ذلك ننقل إلى جزء آخر مؤلف من قسمين وضع أحدهما فوق الآخر ، أعلاه يمثل مبنى طويلا مقسما عدّة أقسام ، فنجد فى بدايته جدارا من الخشب الأحمر يفصله أفقيا عن الجزء الأسفل حاجز من نار ، وخلف الحاجز الأحمر فاصل أصفر ففاصل أسود ، ثم آخر أصفر ، وإلى ذلك باب نارى يدور على عقب أسود ، ثم يصادف الراحل مساحة ملونة باللون الأصفر ومقسمة عموديا تسعة أقسام وفى نهاية ذلك يصادفنا حارس فى صورة إنسان عادى ، غير أن رأسه قد محى ، وهو يضع إحدى يديه على آخر جزء من القسم الأصفر الذى وصفناه الآن ، ويده الأخرى على مصراع الباب التالى الذى يشاهد خلفه وهو من نار أيضا . ويعقب ذلك فجوة فى التصميم قد زال كل ما عليها من صور ورسوم ، وبعد هذه الفجوة يشاهد بناء منحدر قد جثم فوقه صقر أزرق اللون يظهر أنه الإله « سكر » رب « روستاو » (أى صقر « روستاو » وهو إله الموتى فى « جبانة منف » أى صورة من

صور « أوزير » . ويُظن أن هذا البناء الذى على هيئة قصر يمثل نهاية المطاف وبعده « روستاو » ، وأن القرد الذى يمثل مكانة بارزة فى هذه المتون يمثل الإله « تحوت » ، كما أن الصقر يمثل « سكر » ، وهو مظهر من مظاهر « أوزير » .

أما الجزء الأسفل من هذا القسم فقد هشم معظمه اللهم إلا الجزء النهائى فقد حفظ لنا منظرا يشاهد فيه الراحل متجها نحو باب ، وهذه أول مرة يشاهد فيها المتوفى مرسوما فى « كتاب الطريقين » .

المتن الخاص بهذا القسم كما وجد على تابوت القاهرة

ومما يؤسف له جد الأسف أن المتن الخاص بهذا الجزء وجد مهشما تماما فى النسخة التى ندرسها (أنظر شكل ٣٤) ، غير أنه أمكننا أن نستبدل به متنا مقابلا له على تابوت القاهرة رقم ٢٨٠٨٥ . وهذا المتن يتفق بعضه مع متن تابوت « برلين » . ففى القسم الذى فيه الشرفة والقرد والإنسان نجد المتن التالى : (٦٧) إنه جدار من الخشب وإنى أفتح الطريق إلى « روستاو » وإنى أخفف آلام « أوزير » ، وإنى أنا الراحل الذى ينتج ما يوجد، والذى يتعرف على عرشه ، والذى يمهّد طريقه فى الوادى العظيم ، وإنى مهّد الطريق ، وحافظت على النور البهى (نور الشمس) ، لأجل أن أمرّ به . هذا هو ما تقوله بسبب ظلمة الليل ، وإن كل روح منعم سيعرفها (التعويذة) فإنها تعيش بين الأحياء ، وستحفظ النار جسم « أوزير » ، وكل إنسان يعرفها (أى التعويذة) لن يسقط أبدا فى « روستاو » ، ومكانه الخفى هو « روستاو » منذ أن عرف أنه قد أنزل فيها على جبله الرملى ، وستكون له الكلمة التى أعطيت فى « روستاو » (وفى رواية أخرى : أنه هو الذى جعل نفسه ينزل فيها على جبله الرملى ، وأنه صاحب « العرابة المدفونة » التى فيها بقايا « أوزير » سيد « روستاو ») .

« وجبل الرمل » المذكور هنا هو أحد مميزات « روستاو » ، كما جاء ذكر ذلك في متون الأهرام وفي كتاب « مايوجد في عالم الآخرة » . إذ المفهوم أن الرمال تحفظ الأجسام من البلى ولذا كانت الأجسام تدفن في الرمل .

ويتلو هذا المتن آخر وجد كذلك على تابوت « برلين » وهو (٦٨) : « كل إنسان سيعرفها (التعويذة) لن يسقط أبدا ، وذلك لأنه يعرف تعويذة المرور على الجحى الذين رهوسهم منكب على أحجارهم ، وهم أربعة الحراس للأبواب الأربعة . والراحل هذا هو صاحب الاسم العظيم يخلق النور ، ويأتى لك « بأوزير » ، وإنه يمدك ويساعد الذين جمعوا له مادة جسمه ، (أو الذين طهروا مادة جسمه) » . وما يلاحظ في هذا المتن أن الراحل يدعى أنه يخلق النور في الظلام ، وهذه فكرة موجودة منذ متون الأهرام .

ثم يتلو علينا الراحل بعد ذلك تعويذة طويلة يحتمل أنه كان يلقيها عند الاقتراب من باب النار المزدوج وهى (٧٢ - ٧٣) إنها طريق « تحوت » هذا صاحب بيت الصدق : مرحبا بك يا « تحوت » يا من مع أتباع « رع » . إن هذا الراحل قد أحضر العين السليمة ثانية ، وإنها للامعة ، وإن الراحل هذا قد أقصى عنها المرض ، وبذلك هى لامعة . تأمل ! إن الراحل يأتى إليك مع أتباعك الليليين بين أولئك الذين يقدمون القربان ، وإن الراحل قد نزل سفينتك يا « رع » ، وإن ماء الراحل فى النار التى تضىء الظلمة بين أولئك الذين يأتون بالقربان التى تجلب « لماعت » (العدالة) عندما تخترق بحيرتها . وإن الراحل يسمع كلام الثعبان « هيو » المشرف على الحى العظيم الشمالى (من السماء) ، وإن الراحل هذا يسرع الخطى ليحمى « رع » من غضب الثعبان « أبو فيس » (عدو « رع ») أثناء رحلته الليلية .

ففى هذه التعويذة نجد أن المتن قد صيغ بصيغة العقيدة الشمسية أى مذهب ديانة الإله « رع » ، وكذلك وجه الكلام فيها للإله « تحوت » ، وقد ادعى فيها

الراحل أنه قد أعاد عين الإله (أى القمر) إلى حالتها الأولى من الصحة بعد أن كان «ست» قد اقتلعها من «حور» ، وكذلك يلاحظ أن الراحل كان يتبع «تحوت» الذى كان يمثل هنا «القمر» فى عالم الظلام . أما الجزء الثانى فشمسى الصبغة ويشير إلى أن المتوفى يسبح مع الشمس فى سفينتها . ويظهر أن له ضلعا فى المحافظة على الإله «رع» من هجمات الثعبان «أبوفيس» الذى كان يعتبر أكبر عدو خطر لإله الشمس خلال رحلته فى عالم الآخرة السماوية (أى فى المخاطر التى كان لابد أن يقابلها هذا الإله كما جاء فى الأساطير أثناء سياحته السفلية) . وفى هذه الحالة كان الراحل يوحد نفسه بالإله « حور الأكبر » الذى يقوم غالبا بهذا الدور فى سفينة الشمس كما كان يقوم به «ست» أحيانا . ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن هذه المجموعة من المتون موجودة فى تابوت القاهرة رقم ٢٨٠٨٩ ولكن فى غير المكان الذى وجدت فيه على المصوّر فى متون تابوت ٢٨٠٨٣ ، هذا فضلا عن أن الأولى أطول ، ولكن تدل على نفس المعنى الذى فى الثانية وهى : أنها طريق « تحوت » إلى بيت الصدق ، وإنى من أتباع «تحوت» ليلا فى وقت تخبثهم . دعنى أحضر « تحوت » . وإنى أنا الذى فتحت العالم السفلى (دوات) إلى «رع» ، وإنى أنا الذى أرفع رأسك وأجذف فى سفينتك ، وإنى أمهد طريقك فى السماء ، وإنى أنزل فى مكان سفينتك التى أحملك فيها ليلا ، وإنى قابع فى جهة مياة «وعرت» (مكان فى السماء) ، وإنى أنا الذى مهدت الطريق ... والإله «حتي» قد أعد الطريق ، وإنى قد أقصيت مرض العين من وجه رب الخلق ، وإنى شفيت بالبصق جراح «رع» وبذلك سيعيش عيشة راضية ؛ وإنى أعرف الثعبان «أبوفيس» وأتبعه . مرحبا بك يا «تحوت» الذى بين أتباع «رع» . إنى أنا الذى أحضرت العين السليمة فهى براقة ، وإنى أنا الذى أقصيت الظلمة عن العين المتعبة ، وبذلك أصبحت براقة ثانية ؛ تأمل ! لقد أئيت إليك بين أتباعك هؤلاء مع أولئك الذين أحضروا القربان . ولقد نزلت فى سفينة «رع» ، ولقد أطفأت النار

بالماء وكشفت الظلمة عن أولئك الذين حضروا بالقربان التي جلبت لمساءت (العدالة) المسافرة بالماء ، ولقد سمع «رع» صوت الثعبان «هيو» في الإقليم الشمالى العظيم من السماء ... وإنى أنا مخلص «رع» من غضب الثعبان «أبوفيس» ، وأنه لن يضع فى أغلاله ، وإنى أنا الكائن «شد حرو» الذى يشفى الجروح ، ويخدم باب المعبد ويلبس الإله ما حيك له . دعى أحضر إليك يا «تحت» ، وإنى لن أطرده من جوارك خلال الليل ، فإنى أنا الذى أحضرت العين السليمة (أى القمر) ، والذى خلصها من الحق بها الأذى . وهذا هو خلاص بيت القمر (أى تحت) .

ومن المحتمل أن بيت «تحت» المشار إليه هنا هو القصر الذى أقيم على هيئة قبة فى مصور تابوت رقم ٢٨٠٨٣ ، ويلاحظ أنه قد صور فى أعلى صف فى هذا المصور فى داخل مبنى يحتوى على سلسلة من الحجرات الضيقة والأبواب النارية ، وكذلك نرى أن بداية هذا القسم هو حاجز من النار . ولدينا متن فى تابوت «برلين» يفسر لنا معناه ، وهو : "إنه جدار من الخشب الأحمر أفتح به الطريق إلى «روستاو» " .

والظاهر أن مجموعة التعاويذ الأخيرة التى على تابوت القاهرة رقم ٢٨٠٨٥ وهى التى تكلمنا عنها قريبا يجب أن نتخذ مكائنها فى الصف الأعلى كما يجب أن تكون هى نهايته ؛ ولكن إذا أنعمنا النظر نجد أن الأمر على خلاف ذلك ، إذ الواقع أن المتون التى درسناها حتى الآن خلافا للمقدمة كان معظمها متونا خاصة بعالم «روستاو» فى حين أننا نلاحظ فى المتون النهائية التى فى الصف الأعلى فى كل مصورات التوابيت التى فحصناها أن ذكر «روستاو» قد اختفى ، وأن المتون التى لدينا فيها هى فى الواقع مقدمة لموضوع آخر وأعنى بذلك رواية أشمونية ، أو عبارة أخرى مذهب العقيدة القمرية التى تمثل فى معبود «الأشمونين» وهى خاصة بسياحة الشمس فى سفينة الليل الذى يلعب فيه الإله «تحت» إله القمر دورا هاما .

وحقيقة الأمر على ما يظهر أن المتون الخاصة « روستاو » قد انتهت بالتعويذتين رقم ٦٩ ، ٧٠ من تابوت رقم ٢٨٠٨٥ وهما اللتان تحملان العنوان التالي : فصل الاستقرار في « روستاو ». وهذا يدل على أن الراحل قد وصل فعلا إلى « روستاو » حيث يسكن الإله « أوزير » ، وهنا يخلق الإله نورا ليضيء الظلمة . وعلى ذلك يجب أن نعتبر هذا الجزء من المصوّر المحاط ببرج عال يمثل « روستاو » ، إذ الواقع أننا لا نجد بعد ذلك ذكر الاسم « روستاو » في كتاب الطريقين . والظاهر من المتون أن الصف الأعلى من المصوّر يمثل الطريقين اللذين يؤديان إلى « روستاو » وهو كما ذكرنا عالم « أوزير » السفلى وهو مكان مظلم يشبه القبر ويحتمل أنه الهدف النهائي الذي يستقر فيه جسم المتوفى ، ومن ثم نعلم أن السباحة إلى « روستاو » هي للجسم فقط . وبعد ذلك تستمر الروح في سياحتها في عالم الآخرة مع إله الشمس حتى تظهر ثانية مع إله الشمس « رع » في الشرق يوميا . ولا أدل على صحة ذلك من التفسير الشافي الذي نجده في مقبرة « سيتي الأول » الرمزية المقامة في « العرابية المدفونة » (Frankfort, "The Cenotaph of Seti I at Abydos", Vol. I, pp. 37, 38)

وقبل أن ننقل إلى الصف الأسفل من المصوّر نذكر هنا متنا جاء على مصوّر تابوت برلين ولم نجد له مثيلا في متون توابت القاهرة في المكان المقابل للشرفة هو : أما فيما يخص أى رجل هناك فإنه سيرى « أوزير » كل يوم وسيكون الهواء في أنفه ، ولن يموت أبدا ما دام يعرف تعويذة المرور عليها (أى الطريق) .

وكذلك نجد عند النقطة المقابلة لمنظر القصر على « تابوت القاهرة » أن بعض عبارات الفصل الخامس عشر من متون تابوت « برلين » موحدة مع متن تابوت القاهرة رقم ٢٨٠٨٥ (٦٩ — ٧٠) وسندكر هنا بقية متن تابوت « برلين » لأهميته وها هو ذا : دعنى أمر في سلام ... أوزير مار بكل الأبواب . إني أقف متصبأ ، وقد جعلت اسمي في « روستاو » منذ عرفت أنى قد ثويت فيها .

مرحبا بك « ياوزير » — مرحبا بك « ياوزير » ، إني أرفع بقوتك وبسلطانك حسب المحاكمة ، وإليك قوى في «روستار» ، وإليك مهيمن في «العرابة المدفونة» عند ما تجول فيها ، ووجهك لسماء « رع » . وكل الناس قد رأوك ، إنك الواحد الذى بناديك «رع» عند ما يتزل إلى السماء (السفلى) ويسبح فيها إلى الأفق (الشرق ثانية) . وإنى أقول مثل « أوزير » : إنى الراحل — هذا الإنسان الروحانى ، الشريف القوى ، وإنى أنكلم بما يحدث مثل ما يقوله هو ، ولن أبعد من أمامك «يا أوزير» يا من قد قدم له القربان أمس ، وإنى قد أتيت بنفسى اليوم ، وقد مهدت طريق ، وإنى أفرح وأسير فى صورة «أنو يسر» (إله الموتى) ؛ وإنى أنا الراحل «شاد النواصى» الذى يخرج من الأفق . وإنى أنا الراحل ، وإنى أنا «نونت» هذه التى تأتى من صولجانها ، وإنى ذلك الراحل صاحب التاج العظيم ؛ وإنى أنا الراحل الثالث للإله «حقا» ، لأنتقم للآلهة «ماعت» (العدالة) ، وإنى أنا الراحل الذى أنتقم لعينه ، وإنى أنا الذى ثويت أمس وبعثت اليوم ، وإنى قد مهدت طريق . أما حارس الباب الذى أحاربه فى الطريق بقوة عند ما أخرج مثل «رع» ضد أعدائى فقد ظفرت به ، وقد جعلنى لا أدهه بنجو من أمامى عند ما سمعت أمام مجلس القضاة الذى وضعنى على الطريق الرئيسية . وصولجان الإله كان بين مغالي التى هى مغالب أسد ، وهى ملك كفى الذى يشبه كف التماسح . وإنى قد هيات طريقى التى أحضرت عليها أعدائى ، وإنى أنا الراحل ، وإنى « أوزير » صاحب المكان الخفى ، والذى على رأس أهل الغرب (الأموات) ، عند ما وضعت على رأس الأربعة (؟) . وإنى أنا الراحل ، وإنى سيد الدم فى أيام الظهور ، وإنى سيد الأقوياء (حراس الأبواب) ؛ وإنى لم أسرق ، وإنى قد مهدت طريقى التى أمام المعبد ، وأملك أكفانى من الكنان العجيب (؟) ، وهى التى قد أحضرت لى مع التاج الأحمر العظيم ، وهو الذى أعطيته حتى أتمكن من الظهور به فى هذا اليوم على أعدائى . ولقد أحضر لى لأكون قويا به .“

إيضاح — ”هذا الكتاب كان تحت جنب «نحوت» . لقد انتهى“ .

وبعد هذا الفصل نجد في نفس تابوت « برلين » أن الفصل السادس عشر يتلوه مباشرة وليس يفصله عن السابق إلا شريط رفيع جدا . وقد ذكرنا فيما سبق جزء ١ منه وهاك ما تبقى : ” إني ... إلى السماء والأرض ، وإني هذا الراحل القوي في قلبه ، وإني أملك إله القطيع ، وإني أملك الآلهة الخمسة أرباب القطيع ، وإني أنا ذلك المحصب أحمل بذرتي جاعلا هذا وذاك خصبا “ .

شرح — إن كل إنسان يعرف هذه التعويذة سيكون خصبا على هذه الأرض ليلا ونهارا ، وسيكون قلب زوجه ملكا له مادام يريد أن ينكحها ؛ وهذه التعويذة يجب أن تتلى على سوار من الجشت يضعه المتوفى على ذراعه اليمنى . ثم يستمر المتن فيقول : ” إن تاج «رع» فأنحر على رأس «ماعت» (العدالة) كل يوم ، وإنه يلبس التاج العظيم الكبير في حين أنى سليم عند ما أكون محيا ضد كل شريخ من فم كل إلهة ، وإني أنعم تلك الزوجة المتوفاة . ولن يكون في أول هذه السنة في هذا اليوم الجميل الخاص بمعبد « تننت^(١) » (أوزير) هناك شرفي هذا اليوم الجميل في معبد « تننت » لأجل عيد « نجح كاو » (إله القربان) (وهو عيد يقام في أول يوم من رأس السنة) ، في اليوم الجميل الخاص بمعبد « تننت » ، وهو الذى يكون فيه الأربعة الذين يحضرون القربان ، ويأتون بالقربان ، من « عين شمس » على مائدة قربان كل يوم جبا في « رع » يوميا ، وإني أنا الخارج من الأفق ، وقربانى فى الأمام ، وقربانى فى الأمام ، وقربانى يأتى فى المقدمة ، وقربانى يأتى فى المقدمة . وقد وضعت فى الأمام ، وإني أنا المقدم ، وإني أنا الذى نخرج من الكرنالين (الأحمر) أى نذير الشر ، والإله الأعظم يقاد أمامى ... وإني نور القربان المشرف على الأشياء (الطعام) فى ... صاحب الوجبات على الأرض مع « حور » والوجبات على الأرض مع الإله « مين » . وإني أجعل القربان تقدم لى ، وإني أذهب

(١) معبد فى « منف » للإله « بتاح » أو « أوزير » .

وحدى ، وعند ما أجلس لآكل الخبز فإن « رع » يجلس لآكل الخبز، ويجب إعطائي الماء على يد « إزيس » عند ما يقف الفيضان على شاطئ « أجب » (الفيضان الأبدى) . وإني أقرب منك يا ساق « رع » وإني أنا يجوارك ، وإنك تبهج وجه « رع » ، وإن وجه « إزيس » يشع لك ، وإنك تعطيني خبزا عند ما آتى جائعا ، وإنك تهني جمعة عند ما أكون عطشان . وإني الإله « نحتى إرتى » وإني آكل الشعير الذى فى الحقل ، وإني أحافظ على القربان الذى على شاطئ الإله ... » .

القسم الأسفل من مصور كتاب الطريقين

يظهر أن هذا القسم من المصور قد سجل عليه كما سبق سياحة سفينة الشمس الليلية فى العالم السفلى حاملة روح المتوفى . ولما كان متن تابوت القاهرة رقم ٢٨٠٨٣ مهشما فقد استعضنا عنه متن التابوت رقم ٢٧٠٨٥ وهو يتفق تمام الاتفاق مع سابقه من حيث الرسم ^(١) .

(١) لقد ضربنا صفحا هنا عن شرح القسم المقابل لهذا فى مصور تابوت « برلين » ، وذلك لأنه ليس لدينا إلا نسخة واحدة منه ، مما جعل فهمه غاية فى الصعوبة ، وبخاصة أنه يحتوى على لغوات وتهشيم فى المتن . والواقع أنه يوجد تشابه كبير بينه وبين مصورات القاهرة من حيث الرسم ، أما من حيث المتن فإنه يشمل على عشر فصول يتكلم فيها الراحل عن العقبات التى كان يقابلها والحراس الذين كانوا يعترضونه فى طريقه ، وكيف كان يتغلب عليها بالتعاوى والسحرية ، وبخاصة أنه كان يجبر هؤلاء الحراس المخيفين انه قد زار الأماكن المقدسة التى كان لزاما عليه أن يزورها جثمانه قبل أن يذهب إلى عالم الآخرة . فيخبرنا أنه قد زار « عين شمس » و « بوتو » و « نرعخا » (مصر العتيقة) و « العرابه » و بلد المجل « أيس » وغيرها من الأماكن المقدسة .

ونلاحظ فى الفصل الثانى أن الراحل يمدد الحراس بأنه رب الظلام ، وأنه صاحب سلطان ، وأنه أقى اليوم من « عين شمس » مقر حقول القربان وموطن عبادة « رع » . وأنه هو نفسه « ثور عين شمس » أى الإله « رع » ؛ ثم يمدد بعد ذلك الأماكن المقدسة التى زارها فى الفصول التالية ، وكذلك يجبر الحراس فى الفصل الثالث أنه أقى بموائد قربان مفضة بالخيرات ، وأنه الإله « حو » إله الأمر والنهى الذى يصحب الإله « رع » فى سفينه ، وأنه يمكنه أن يمر فى طريقة بمجرد ذكر اسمه . وأنه يمر فى طريقه لأجل أن يصبح من المنصين ، ولا أحديمكنه أن يعترضه فى تلك الطلبة ، لأنه رب الظلام وروحه . وكذلك نشاهد أنه يتفحص كل صور =

والرسم الأول الذى فى بداية هذا القسم يدل على أنه يمثل غروب الشمس إذ نجد فى الجزء الأعلى منه جمرانا فى سفينة (شكل ٣٤) ، ويلوح أنه يتسلم بيديه قرص الشمس الملون باللون الأصفر من سماء زرقاء نصبت فوقه . أما السفينة التى يقف فيها هذا الجمران فتمثل الثعبان « محن » . ولا غرابة فى ذلك إذ نجد فى القسم العاشر من « كتاب البوابات » أن الثعبان « محن » يظهر فى صورة سفينة ينتهى كل من طرفيها بثلاثة رؤوس نعاين منتصبه ، وفى الوسط يقف إله له رأسان واحد منهما يمثل رأس الإله « حور » والثانى يمثل رأس الإله « ست » وقد فسر هذا المنظر كالآتى : " هذا هو الثعبان « محن » ذو الصلين ، وهو الذى يمشى فرحا فى العالم السفلى ، وقد شدت الأقواس ليحمل عليها صاحب الوجهين « حور » و « ست » فى خفائه الخاص بهما " .

أما ما جاء فى وصف « محن » فى متن الطريقين فى مصوّرنا تفسيراً للسفينة فهو :

"إن « محن » هو الذى فى داخلها (السفينة) ، وإن « أوزير » هو الذى أحضره إلى « حور » الكبير ، وإن « رع » هو الذى صنعها (السفينة) لأجل أن يقضى على أى فرد ضده فى الأفق عند ما تكون حاشية الأفق مقسمة (قسمين من الملاحين) ، وذلك عند ما يحضرون عظيمهم (رع) ، لأن ما ينطق به موجود فى الآلهة الذين تتألف

= الإله « رع » . وفى الفصل الخامس يخبر الراحل الخراس أنه موقد النار ، وأنه الواحد العظيم الذى سجل اسمه فى كتب الأبدية ، وأنه السكين العظيمة المصنوعة من النار التى توضع فى أم رأسه . وفى الفصل السادس يخبرنا أنه هو بارى الإله « رع » نفسه ، وكذلك الإله « شو » رب القضاء وأنه الآلهة « ماعت » ربة العدالة التى تحل التاج ، ولذلك فإن كل من يقرب منه بسوء من هؤلاء الخراس فانه يقصيه فى الحال . وفى الفصل السادس نجد أسماء آلهة وشياطين يحتمل أنهم يترضون طريق المتوفى . أما الفصل الثامن فيذكر لنا بعض أسماء الخراس . ويشتمل الفصل التاسع على تمويذة فيها يطلب إلى الآلهة الأربعة أن يجلسوه على طريقه دون أن يصدّعه ، ثم نجده يخبر الخراس بأنه واحد لا يراه من حوله . وفى الفصل العاشر نجد تطلعات من المكان الذى سيأوى إليه لينام فيه بعد أن يقبى من قطع طريقه إلى عالم الآخرة .

منهم الحاشية، وهم من المواطنين، والذين سمحت لهم أن يذهبوا إلى سماء «رع» (وهذه السماء كانت من قبل وقفا على الملوك) ويضيئون فيها ليلا . وكل إنسان بين أتباعه سيعيش إلى الأبد في ركاب «تحوت» الذى منح قوة الاضاءة ليلا ؛ وجعل قلب «أوزير» فرحا لأنه أحد الذين يرافقونه ، وقد وضع بين أتباعه مثل رجال الحاشية“.

ومن أنتع ما جاء فى هذا المتن أنه ينتظم عدة آراء ترجع إلى متون قديمة وأخرى ظهرت فى العصر الذى نحن بصددده . فمثلا نجد أن الثعبان «عن» لم يأت ذكره فى متون الأهرام ، وقد صوّر هنا فى صورة صلل له رأسان فى نهايتى جسمه الذى شكل بصورة سفينة، وسرى فيما بعد أنه سيحل محل رأس إله وذراعيه؛ وكذلك نجد فى ”كتاب ما يوجد فى العالم السفلى“ أنه سيظهر بوصفه حامى الإله «رع»، لأنه يُشكل جسمه بطريقة تجعله يحل محل الناووس الذى يقف فيه الإله فى سفينة الشمس، وقد كان لا يوجد إلا فى سفينة الليل فقط، إذ أن ظهوره فى الصف الأسفل من المصوّر يبرهن على أن البحث هنا يخصص فى السياحة الليلية لإله الشمس «رع» . ومما يلفت النظر فى هذا المتن كذلك ما جاء فيه من أن القوم (الناس) سيسمح لهم بالذهاب إلى سماء رع ويضيئون هناك ليلا . وهذا القول بلا نزاع إشارة إلى الاعتقاد القديم الخاص بالعقيدة النجمية، وهى التى كانت حتى ذلك العهد وقفا على المتوفين من الملوك ، أى أن الملك كان يصبح نجما بعد أن يرتفع إلى السماء، ولكن أصبح الآن هذا الحق مشاعا لعامة الشعب كما أصبح المصير الشمسى حقا لهم . ولا أدل على أن هذا الحق المكتسب كانت لا تزال ذكراه قوية فى أذهان الكتّاب الدينيين مما جاء فى هذا المتن مشيرا إلى أن المتوفى كان ذاهبا إلى سماء «رع» مع أنه فى السطر التالى لهذه الفكرة نجد أن الإله الرئيسى المشار إليه هو «تحوت» الذى يضىء كذلك ليلا ويشرح قلب «أوزير» (المتوفى). وقد احتفظ عامة الشعب بما نالوه من حق التمتع بالآخرة النجمية ، ولذلك لم يعد الملك وحده

يتمتع بهذا الحق ويفتخر بأنه سيصير نجما لا يأفل ، بل نجد أنه حتى الموظف المشرف على البيت كان ينعم بمثل هذا الحق .

ونجد أسفل هذا المتن الافتتاحي في مصورنا (شكل ٣٤) رسما آخر يظهر أنه يمثل سفينة الشمس وهي تسبح في سماء صافية الأديم في وسطها إله أحمر الجسم جالس في الفضاء مُثل رأسه بجعران كما مُثل ذراعه بشعبانين ، هذا فضلا عن وجود صلين متدلين من ذراعيه . وقد أنتشرت فوق هذه السفينة سماء صافية في وسطها قرص الشمس . ويلاحظ في هذا الرسم أن قدم هذا الإله ترتكز على شعبان يتنهي طرفاه برأسى صلين متصبين أما المتن الخاص بهذه المجموعة فهو (٣) :

إن « أوزير » الراحل يتبع « رع » الذي يضيء السماء ، وإن قابع في محرابي مثل « حور » صاحب المهدي المرفوع ، وإن مكانه القريب من محرابه قد أخفى ، وإن الإله يفتحه لمن يريد « يا أوزير » الذي تحييه الإلهة « ماعت » (إلهة العدل) وترشده . وإن ما يهلع منه « أوزير » الراحل هو السحاب الذي يأتي بالمطر إلى جانبه (وذلك لأن المتوفى كان دائما يخاف الماء الذي كان يطنى على الموميّة ويتلفها ، ولهذا كان المصري يدفن موته في الأماكن الصحراوية هذا فضلا عن أن « أوزير » قد مات غرقا كما جاء في إحدى الروايات عن سبب وفاته) . وإن « أوزير » الراحل ولن يبعد عن « رع » ، ولن يصعد ، وذلك لأنه نشط بيديه المتمرنتين ، وإن « أوزير » الراحل لن يسير إلى وادي الظلام^(١) ، وأن « أوزير » لن يدخل بحيرة المحرّمين (أى بحيرة النار) ، وإن « أوزير » لا يقفز ليكون في قبضة القدر ، وإن « أوزير » الراحل لن يقع بين أولئك الذين يحبسون الأرواح ، أو يخرج أمام أولئك الذين يحرونه خلف مقصلة الذبح التي هي ملك الإله « سبدو » . السلام عليكم يامن رؤوسهم منكبة في أحجارهم ، إن السيف الإلهي محباً في يدى الإله « جب » (إله الأرض) وقت الصباح ، وذلك لأنه يسر

(١) كان المفروض أن الشمس تعمل رحلتها في العالم السفلي المظلم لتضيء لسكانه وهم الأموات .

عند ما يحضر لنفسه كلا من المسن والشاب في حينه (الإله جب هنا يمثل القبر الذى يدفن فيه أى ميت) . والآن تأمل ! إن « تحوت » على علم بخفايا أسرارها ، وإنه يقوم بالتطهير وبحساب لانهاية له ، مخترقا السماء (لأنه القمر) ومبتددا العواصف التى حوله ، وبذلك أصبح فى مقدور « أوزير » الراحل أن يصل إلى كل أماكنه (فى عالم الآخرة) . وإنى سويت عصاى وتسلمت قربان « رع » صاحب السير السريع ، والجمل الطلعة ، والمسيطر بما فعل ، وإنه قد وضع حدا لآلامه ومتاعبه ، وكذلك فإن « أوزير » الراحل قد وضع حدا لآلامه ؛ وفى الحق انه يدخل البشر على وجه « تحوت » (أو « رع ») وذلك بعبادة « رع » و « أوزير » .

إن « أوزير » الراحل قد دخل أفق « رع » وساح مظفرا ومضيئا وجهه « تحوت » (ولدنيا فى هذه العبارة برهان على أن القمر كان فى اعتقاد المصريين يأخذ نوره من الشمس) ، لأجل أن يصنى إلى « رع » ويقضى على العقبات التى تعترضه فى طريقه .

لا تدع « أوزير » الراحل يفرق فى سياحته على يد من وجهه فى حجره ، (اسم إله) وذلك لأن اسم « رع » فى جوف « أوزير » الراحل . (أى أن المتوفى يدعى هنا إنه يعرف الاسم السرى للإله « رع » وهو الاسم الذى كان يعرفه الإله وحده ولكن « إزيس » انتزعت منه بحيلة راجع "كتاب الأدب المصرى القديم" ص ١١٣) . وشرفه فى فمه ، وهو الذى يتكلم لمن يصنى إلى كلماته . الفخار لك يا « رع » يارب الأفق : سلام عليك يا من تطهر المنعمين ، وبما من تقرر ضد القدر . ان قيادة السفينة خالية من كل سوء . تأمل ! ها هو ذا « أوزير » الراحل (أى أنه قد وصل إلى نهاية المطاف) .

(١) ومن ثم نعرف السبب الذى من أجله قد اجتمعت النون الشمسية والأوزيرية والأشوتونية فى هذا الكتاب ، إذ نجد هنا أن عبادة « رع » و « أوزير » قد مرت « تحوت » الذى كان بطليمة الحال متصلا بهذين الإلهين فى كثير من الأحوال وبخاصة فى رحلة النوفى لىلا فى سفينته .

وبعد هذا المتن الطويل يسير الراحل نحو بناء مقسم أربعة أقسام لكل واحد منها باب خاص مستطيل الشكل . وهذه الأبواب رسمت في مصور برلين ، لكل منها مصراعان لونهما أحمر ، وكتب عليها كلمة « نار » . ويمتاز المصور الذي نجسته الآن بأن لكل باب حارسا خاصا من الجن قد هشموا كلهم أو محوا . ونجد منقوشا عند قمة الباب الأول ما يأتي (٤) : « إن الذي يبسط جزءه الأمامي هو حارس الباب الخلفي » . والواقع أن الحارس الذي قد أشير إليه في هذا المتن يمد رأسه إلى الأمام في المصور . وفي أسفل هذا الباب دقن المتن التالي (٨) : « إن الراحل هذا قد أتى اليوم بسكين عظيم ، وقد سلح نفسه بسيف طرفه قاطع في الحال دون أن يصد ، وإنه يصد الشرور الأربعة (يقصد بها هنا الحراس الأربعة) دون أن يصدوه عند ما يعترضونه . وإن من يبسط وجهه قد حمل هناك ، ولن يحدث ظلمة بين القوم المنعمين أتباع « رع » ، وإنه يخل سبيل الإله ، وإذا أتيت في صورة « حف آن » رب الموت ، فإن « رع » يذبك في الحال كما قرب « أبو فيس » (عدو رع) في داخل مكان المذبحة » . وهذه التعمية كانت موجهة طبعاً إلى حارس الباب الأول . أما الباب الثاني فقد نقش عليه ما يأتي (٥) : « إن « آنتي » هو حارس الباب الثاني » . أما التعمية التي كانت تتلى أمام هذا الباب فهي (٩) : (9) (Lacau, ibid, p. 214, No. 28083)

« إن رأس فلان هذا قد أصبحت محمية بهم وإن « هيو » (اسم ثعبان) ... الذي يقف ليصدقك عند ما تقف السفينة على الماء الراكد ، وإنك أنت الذي ميزته (؟) وقد أمر الإله « رع » بأنك لن تسير ضد أتباعه . ولديك البطش أمامك ... تهقر إلى مكانك ولا تأت ! وإنه هو الذي يراك كالتمساح باسم « الآتية عظيمة » (اسم للإله حتحور) (؟) .

أما اسم حارس الباب الثالث فإنه يحمل الاسم القبيح (٥) : « الآكل براز دبره » . ولا بد للراحل من أن يتلو التعمية التالية ليتخلص من شره (١٠) :

تقهقر أيها القبيح الذى يسكن المستنقع . إن ظهرك من الخشب الحشن لأنك تبتلع
بثمابة طعام نبات « ممت » . إن الراحل يعرفك ويعرف اسمك ... تقهقروا معبد ،
ودع ذراحيك يسقطان ، وبذلك يظهر نور الشمس ليلا عند ما يكون روحه فى السماء ،
وتبعد الظلمة عن الوجه (الوجه هنا هو السماء) . وهذه التعويذة موجهة للتمساح
غير أننا لا نعرف إذا كان حارس الباب قد مثل فى صورة هذا الحيوان أم لا .

أما اسم حارس الباب الرابع فقد شتم المتن الخاص به وما تبقى منه هو (٧) :
« ... هو حارس الباب الرابع » . ويدل ما بقى من رسمه على أنه كان فى صورة
حيوان . والتعويذة التى كان يتلوها الراحل عند الاقتراب منه هى (١١) : « يا « شو »
ويا « روتى » ، إن « شو » فى السماء و « روتى » فى الأرض (روتى يقصد بها
الإلهة « تفنوت ») . إن الراحل هذا يخاطبك لتفصل السماء عن الأرض . اعبد
تقهقر ... إنها تبعث الخوف ، وإن المنقوت الوجه يرتعد خلف الإله المقدس
الذى يعلن إعداد السفينة التى تقوم بالسياحة العظمى (أى سفينة الشمس التى
تسبح كل يوم من الغرب إلى الشرق) ، وإن شرفه قد فصل فيه . وقد أمر « تحوت »
أن يصلح من شأن السفينة المكسورة فى الصباح المبكر ، فإذا أتيت فإنك ستصعد
على يد الراحل هذا . وإن الراحل هذا يأتى فرحا معلنا صور « رع » الأربع عند ما
ولد « حور » بكر أولاد « رع » ، ويقوم بدورته السماوية . وكذلك يرى الراحل بين
أولئك المجدفين (الذين يمدفون فى سفينة الشمس) .

فيشاهد فى هذا المتن رغم ما فيه من الإبهام أن المتوفى يدعى لنفسه مكانة بين
المجدفين فى سفينة الشمس ، أى أنه يوحد نفسه بالنجوم الثابتة ، وهى التى نعلم
أنها تُسير سفينة الليل .

بعد ذلك نجد الراحل يقترب من جدار سميك فيه ثلاثة أبواب من نار
ولكن قبل أن يفتح أبوابه لا بد للراحل من تلاوة التعاويذ التالية (١٣) :

إن الراحل وهو « روتى » (إله الشمس) يأتى ، والراحل هذا ينبغى « ماعت » (العدالة) ؛ والراحل هذا يمهّد الطريق ، ويتسلم التاج العظيم المزدوج الذى على رأس « رع » ، و(أمراس) الراحل التى أحضرتها له ، وقد مهّدت الطريق التى يمرّ عليها الراحل . وإن العدالة هى دليل خلال الليل على يد روح الظلام ” .

ويتبع هذه التعميذة أخرى (14) —No. 28083 (13), p. 215, (Lacan, ibid) وهى (١٤) ”إن الراحل يأتى إليك يا عظيم الكبراء بين أرواح الليل ، وبين أربعة الآلهة السماوية ، لقد خلصت الراحل هذا ، أما إلهتا الصدق (أزيس ونفتيس) ...“ .

ففى هذه التعميذة نلاحظ أن العدد أربعة قد احتل مكانة بارزة ، وهو فى هذه المرة يعبر عن أربعة الأرواح التى فى السموات الأربع السالفة الذكر ، وهذه الأرواح التى هى أشير إليها فى كتاب ”ما يوجد فى العالم السفلى وهى « أوزير » ، و« رع » ، « وآتوم » ، و« خبر رع » ” . ورغم أن المتن هنا مهشم فإنه يحتمل أن فيه إشارة إلى محاسبة يخلص المتوفى منها العدالة المزدوجة ، وهما «أزيس» و« نفتيس» .

وفى داخل الباب نجد متنا مهشما جاء فيه (١٥) : ”إنه يعيش على حراس الأبواب الأربعة الذين لا يريدون أن يخبروا كيفية المرور منها “ .

”فصل للورور منها (الطريق) على يد من هو فى الأمام ولديه وقاية منه (الحارس) . وإن الراحل هذا هو فرد يعرف السياحة التى يقوم بها نفسه (وذلك لأنه موحد بإله الشمس الذى يعمل السياحة الشمسية من الغرب الى الشرق يوميا) “ . والسطر المحو فى بداية هذا المتن كان بطبيعة الحال يحتوى على اسم الحارس ، وقد ذكر فى الفصل ٤٤ من كتاب الموتى وهو :

”الحارس المنكس الرأس (أى الذى يقف على رأسه) والمتعدد الصفات . وهو حارس أول باب للاله « أوزير » “ . وقد مثل هذا الحارس فى ورقة « نو »^(١) بصورة إنسان أما ورقة « آتى »^(١) فله رأس أرنب وفى كلتا الورقتين يشغل وظيفة

(1) Budge Book of the Dead (Text) Vol. II, p. 218.

حارس الباب الأول . ويستدل من كتابة اسم هذا الحارس برسم رجل عاليه سافله ، أن هذا الباب الذى يحرسه هو باب العالم السفلى الذى ينزل منه المتوفى إلى الآخرة (أى أنه ينزل فى العالم السفلى برأسه). والظاهر أن أول تعبير عن هذه الفكرة مصدره «كتاب الطريقين» . والمتن السابق تعويذة من التعاويذ التى كان يهدد بها الأرواح ، إذا تحمت عن مساعدة الراحل أو أجمعت عن إطاعة فى تنفيذ ما يريد . والواقع أن مثل هذه المتون التى تنطوى ألفاظها على التهديد والوعيد ليست إلا متونا سحرية وهذا ما نراه فى كل متون هذا الكتاب . ويشاهد بعد ذلك فى المصور مساحة كبيرة مستطيلة تسبق بابا ناريا يمتد فى طول هذا القسم . ويشاهد أمام هذا الباب السالف الذكر ثلاثة حراس كل منهم فى صورة طائر يقبض على شبه عصا معقوفة ملونة باللون الأحمر ، والحارس الأول له رأس قط لونه أسود وجسمه أصفر . أما الحارس الثانى فقد عى رأسه فى حين أن الثالث قد محيت صورته تماما ، ولم يبق ما يدل عليه إلا جزء من العصا المعقوفة التى كانت بيده ، ويخاطب الراحل أولئك الحراس بالتعاويذ التالية (17-18) No, 28083 (15-16), Lacau, ibid, p. 210

”إن من يعيش على ... هو حارس الباب الأوسط، وإنه يعيش على من لا يعرف كيف يمشى إلى هذه السماء الخاصة «بحور» أكبر الثلاثة الذين صعدوا إلى سيده حيث مثل من أصبح ديدانا ، وأنها تأكله لأنه لا يعرف التعويذة الخاصة بالمرور منها (الأبواب) ، وأن من كان فى المقدمة لديه الوقاية من شر ذلك ، وأن الراحل يوحد نفسه بالثعبان «محن» فى مكان السباحة (أى فى السفينة) .

ونعلم من مضمون هذه التعويذة أن حراس الأبواب سيعيشون على الأرواح الجاهلة التى لا تعرف كيف تسير على الطريق . والحقيقة أن مثل هذه التعويذة ، إن هى إلا إغراء بارع على حض الناس على شراء نسخة من «كتاب الطريقين» لتوضع معهم فى القبر، هذا إلى أن ذكر «حور الأكبر» بوصفه أحد الثلاثة الذين صعدوا إلى سيدهم مما يلفت النظر ، ومن المحتمل أن هذا الثالوث مكون من «حور» و «أوزير» و «تحتوت» أما سيدهم فهو الإله «رع» .

ويستمر المتن فيقول : ”إن الذى يضع الرغفان بصوت عال“ هو اسم حارس الباب الثالث . وهو الثالث الذى قد صعد إلى سيده ، والذى يعيش على لبيب كلمته . فصل المرور فيها بالذى كان قبله وإن وقاية الراحل هذا فى يده ... “ .

وتستمر التعويذة على ما يظهر فى داخل الباب إذ جاء فيها : ”افتح لمن يقصى ظلمة « رع » (الكسوف والعاصفة) ، والذى يتسلح بسحر طيب شاف كل يوم ، والذى يقصى بناره الظلمة و(؟) . أن الراحل هذا قد حضر إلى « رع » فى سفينته ، وأن الراحل هذا هو أحد الالهة الذين فى جانب السماء ، وإنه يعلن ما فى يومه فرحا ، وأنه لن يصدك عن السبيل “ .

ومما يلاحظ هنا أن هذه التعويذة عند ما أصبحت جزءا من « كتاب الموتى » أخذت عنوانا جديدا يدل على أنها ترجع إلى أصل قمرى وهالك العنوان : ”فصل آخر يتلى عند ما يحدد القمر نفسه عند أول يوم فى الشهر“ ؛ فى حين أن الشرح الذى جاء فى نهاية الفصل يقول : ”إذا علم هذا الفصل فإن من يعرفه سيكون روحا ممتازا فى عالم الآخرة ؛ ولن يموت ميتة ثانية فى العالم السفلى ، وسيأكل طعامه بجانب « أوزير » ، وإذا عرفت هذه التعويذة لفرد على الأرض ، فانه سيكون مثل « تحوت » (أى عاقلا قويا) وسيعاد مع الأحياء ولن يقع (Budge, Text Vol. II, 179) فريسة لفضب الآلهة « باستت » الملكية (أكبر بنات الآله أنوم) ، وإن الأميرة القوية (باستت) تجعله يخطو فى سلام “ .

أما المتن الأصلى فانه لا يزال مستمر إذ يقول — (18) 216 (Lacau, ibid, p.

No. 28083 (19)

ارفع عاليا وصعد فلانا هذا ، ارفع عاليا فلانا هذا لان « أبو فيس » يفرع منه منذ أن شفى الجروح الأربعة ، وأن الراحل قد رأى يشفى الآلام ويخففها ، وأن الراحل هذا لم يصد أمام « رع » ، وأن « حور » الأكبر هو الذى فى هذه السماء التى تعد سيدة كل السموات ، وكل إنسان يعرف هذه التعويذة ، وهو عظيم فى صورته

سيكون عظيمًا هناك . مرحبا بك يا «رع» ، فان الراحل هذا عند ما يرى حسبك فلن تصل الروح الخبيثة إلى حارسك“ . وفي مصور التابوت رقم ٢٨٠٨٣ يستمر المتن قائلا : ” هذا هو مورد السماء السابع لمسكن الإله ، وأنه قد أسس في السماء وبدايته في النار ونهايته في الظلمة “ .

وان من قرأ « متون الأهرام » وما جاء فيها عن جنة النعيم لا يسمعه إلا أن يتصور أن هذه الصيحة قد أتت من حافة المياه السماوية حيث يحمد الإنسان المنعمين في جنة الخلد يشربون من رحيقها ، إلى هذا المكان الذي هو الجحيم والظلمة التي فسرت كذلك بأنها توجد في السماء أيضا . ! !

ففي هذا المكان الذي نحن بصددده في المصور نرى سفينة عجيبة الصورة لا يمكن تعرف كنهها إلا بعد إعمال الفكر ، وبخاصة عند ما يشاهد المجاديف الأربعة الصغيرة الموضوعة على إحدى جانبيها . وكذلك يلاحظ أن مؤخرتها ومقدمتها تنتهى بصقر جاثم على سكين . ويشاهد في وسطها مومية جالسة على عرش ، وهذه المومية لها رأس حيوان يعتقد البعض أنه رأس فأر أو ضفدعة ، غير أن الأذنين القصيرتين المنفصلتين ليستا من خصائص هذين الحيوانين ، بل تشبهان أذنى القط . ويشاهد خلف العرش الذى فى السفينة صل متفخ الصدر . وهذه السفينة تسير على سماء صافية زرقاء ، وبدل المتن المفسر لهذا المنظر أن السفينة تسبح فى مكان روح منعم حقيقة ، ولن ترسو قط على المرفأ (أى لن تموت قط) . ومن ذلك نستخلص أن المتوفى يعمل سياحة أبدية مع الشمس من الشرق إلى الغرب وبالعكس كل يوم فى سفينة « رع » التى تقوم كل يوم بسياحة بالليل وأخرى بالنهار .

أما الإله الذى فى السفينة فيقال عنه (٢٢ — ٢٥) . « ليس هناك إله يعرف أوله (أصله) » ، وله أربعة رعوس كل منها لكائن..... وفى الجهة أخرى من هذا النقش كتب « مكان الأرواح المنعمة » . وأخيرا كتب « أنه هو الإله نفسه » . ومن كل هذا يمكن أن نستخلص أن الإله الذى فى السفينة هو الإله « رع » بعينه رغم تمثيله بصورة

غير مالوفة . وبشاهد تحت هذه السفينة مكان محاط بمحدران سوداء يظهر أنها عماد ترتكز عليها السفينة وقد ذكر لنا المتن (٢٦) : "أنه مكان الروح الذى يعرف الموت فى نار الليل ، وروح الظلام الذى يعرف كيف يصعد إلى سماء «رع» ، وسماء «حور» الكبير الذى بين أتباع «رع» ، وأن «حور» الكبير فى سكينه فى أفق «رع» ، وأن «حور» الكبير هو عدالة الإله «رع» . والظاهر أن هذا المكان هو مأوى لهذه الأرواح التى رغم امتيازها كانت حتى الآن لا تعرف كيف يمكنها الاستمرار فى طريقها إلى السماء التى يسكنها «رع» ، و «حور» الكبير صاحب عدالة «رع» ، وذلك لخلوها من التعاويذ السحرية ، فكان لابد لكل من يريد الذهاب إلى الجنة من اصطحاب نسخة من هذا الكتاب ، وهذا ما يقابل بالضبط «صكوك الغفران» فى عهد القرون الوسطى فى أوروبا التى كان ينشرها القساوسة بمثابة جواز لدخول الجنة ، هذا ونجد قبل الصورة التالية متنا ، ورغم ما ينطوى عليه من غموض فإنه يحتوى على مادة شيقة وهو (٢٧) ؛ (Lacau, ibid, p. 217 (27)) : «إن كل فرد يعرف التعويذة الشافية سينعم هناك مثل «أوزير» ، وإنه سيتغلب على كل القضاة ، وإنه سيحيا مادام «نحوت» حيا ، وذلك لأن «نحوت» سيكون فى محبة «أوزير» . وإذا تلاها أى رجل عظيم على بحيرته التى يسير عليها إلى الغرب الجميل ، أو إذا تلاها أى إنسان فى مكان التحنيط عند بداية اليوم الثامن ، وكان قد مضى عليه أربعة أيام وهو ميت ، فإنها ستكون مفيدة له أكثر من أى شئ . ومن يرد معرفة القيامة فلا بد من أن يقولها كل يوم بعد أن يدلك أعضائه ببطور بنت من الأبنكار لم تختن ، وبريق رجل مسن لم يختن . ولا شك أن المقصود هنا من البنت البكر والرجل المسن هو الجمع بين فتوة الشباب وطول العمر .

وبعد ذلك ننتقل إلى صورة من أعظم الصور المنطقية فى كل صور هذا التابوت ، إذ نجد مجرى ماء متعرج يلف حول سفينة كبيرة تنتهى كل من مقدمتها ومؤخرتها برأس إنسان ذى لحية . ويظهر أن هذه السفينة قد صنعت من نار لأن لونها أحمر

وقد شغل كل سطحها مخزاب ذو لون أصفر حمل سقفه على عمودين على هيئة ساق بشنين ، وفي داخل المخراب يقف إله في صورة إنسان ذى لون أصفر . ومن المتن نفهم أنه الإله « أوزير » . أما المتن الخاص بهذه السفينة فهو ما يأتي (٣٣) : «ثابتة الحياة، هذا هو اسم هذه السفينة». والظاهر أن كلا من الرأسين اللذين يمثلان مقدمة السفينة ومؤخرتها يمثل إلهما . فالرأس الذى فى المقدمة يسمى (٣٢) : «نمخ» والذى فى المؤخرة يسمى (٣٤) «سبا». أما الإله الذى فى وسط المخراب فقد قيل عنه إنه (٢٨) : « أوزير » صاحب المعبد الأرضى للأرواح الأربعة » . ورغم أن الإله «ست» لم يرسم فى السفينة فإنه كان موجودا فيها كما يدل على ذلك المتن الذى يقول (٢٩) : «ست» صاحب الأرض ذات الأرواح الأربعة» .

ولدينا متن طويل فوق هذا المنظر جاء فيه : (30) Lacau, ibid, p. 217, «إن المخاطب هو « أوزير » ، وإن الماء حوله، وهو يعيش من كلمته (السحرية) . حقا إن « أوزير » هو الذى يجعل الحقول الأربعة المروية مفيدة، والإله «ست» يرفع ذراعيه تعبدا له، ولكل عضو من أعضائه فى كل مكان يصل إليه، (أى أن الإله « حور » عند ما تغلب على الإله « ست » قاتل والده وجعله يتعبد إليه) وإن أعضائه هذه أصبحت مفعمة بقوته . مرحبا بك يا « أوزير » الذى يملك معبده الخفى ، ويا من أتعب « ست » الشرير قلبه (أى قتله) . إن قلبك ثابت، وهو مظفر فى الحرب عند ما يقطع « ست » المشاغب إربا إربا ، وإن الراحل هذا يقول إن مانتوق إليه نفسى هو دم قوى القلب (أى الإله «ست»)، وإن الراحل هذا يقدرك يا « أوزير » ، ويجمع لك العظام الأربع السليمة الخاصة بالراحل هذا . وإن أعضاء الراحل قوية» .

والإشارة إلى أعضاء « أوزير » المنعمة هنا ترمز لأعضاء « أوزير » التى مزقها « ست » وطوح بها فى مختلف جهات القطر، وهى التى جمعتها «إيزيس» من كل هذه الجهات بعد أن أقامت لكل معبدا فى الجهات التى وجدت فيها .

ورغم أن رسم المتوفى غير ظاهر في السفينة إلا أنه يمكننا أن نتصور أنه كان مسافرا مع « أوزير » فيها إذ يقول المتن : (٣١) : (Ibid, (31)) ” إن فلانا هذا يقف مع « أوزير » عند ما يقف ، وإن روحك^(١) يأتي إليك فافتح حلقك مع « أوزير » صاحب الأشكال الأربعة ، وعندئذ يأتي إليك الريح الباردة ، وعند ما توضع في الأرض أى وقت الدفن) ؛ وإنها (الرياح) ستسرع عند ما تهب العاصفة عليها (أى السفينة) ” .

وكذلك نجد فوق السفينة مباشرة مكتوبا (٣٥) : ” أنه لا يجهل « ست » . قف « ياوزير » وانصب « نفسك » . وقرأ كذلك أمام السفينة العبارة التالية (٣٦) : ” إن روح الليل هي أذنالك وإن العين السليمة قد أعطيتها ” .

أما عن المتوفى فيقول المتن (٣٦ — ٣٨) : ” إن الراحل هذا يصعد إليك بعين « حور » (وعين حور هي القربان) لأجل « أوزير » ، وإن عينك قد طهرت . قم واحي ! وإن فلانا هذا قد ارتاح ، وإن « تحوت » سيد الأشياء (القربان) هو الذى يطهر محراب الراحل هذا ، وهو سيد طعام « أوزير » ، وسيد قربان الراحل هذا ابن « أوزير » ساكن الأرض العالية (أى الجبانة) التى يملكها الإله « أكبر » والإله « محنت » (؟) ” .

بعد ذلك ينتقل الراحل إلى منظر يمثل الواقعة التى حدثت بين إله الشمس « رع » فى سفينة وبين الثعبان « أبوفيس » عدوه . وقد مى الجزء العلوى من هذا المنظر ولكن لحسن الحظ مابق يمكننا من فهم الغرض الأساسى منه . والمتن فى هذا المنظر يتبدى بخطاب إلى الأبواب على لسان المتوفى : ومما يؤسف له أن هذه المتون قد محيت من مصورنا غير أننا أخذناها من مصور التابوت رقم ٢٨٠٨٥ (40, 218, p) وهى : مرحبا بك أيتها الأبواب صاحبة الأسماء الأربعة السرية ! أنت يا صاحبة الأماكن الرفيعة . ليسك تطلقين سراح الراحل

(١) يلحظ فى هذه المتون الدينية والسحرية تغير الضمير بصفة عامة .

هذا من كل بحر مؤذ للأحياء الذين أمامك إلى أن يصل فلان هذا أمام رب الكل ، وإلى أن يقوم السلام بين المتحاربين (« حور » و « ست ») ، وذلك إكراما للراحل هذا . وإن الراحل المواطن يبكي من أجله بسبب الجروح التي أصابت والده (أى « أوزير ») عند ما قطعت أوصاله على يد « ست » (وهذا مثل من الأمثلة النادرة التي تشير إلى فرد من الطبقة المتوسطة يذكر فيه أن رجلا من هذه الطبقة يمنحو على « أوزير » ، والمثل بعينه يدل على أن « أوزير » كان في الأصل إله الشعب) .

ويذكر لنا بعد ذلك المتن أسماء المشتركين في هذه المعركة المدهشة وهم (٤١ - ٤٦) أولا الثعبان « أبوفيس » . وقد ظهر الجزء الاسفل من صورته على المصوّر الذى فى أيدينا كما يلاحظ وجود إلهين يهاجمانه . ثم الآلهة « تسف » و « أمستى » ، و « حابى » ، و « دواموتف » . والآخر يهاجم « أبوفيس » بحربة طويلة ، أما الإله « كبح سنوف » الذى يهاجم « أبوفيس » بالقوس والنشاب فإنه لم يرسم هنا ، والظاهر أنه كان ينعت (٤٧ - ٤٨) " الذى يرى والده ، والذى عمل اسمه بنفسه " ؛ اللهم إلا إذا كان هذان الاسمان لآلهين لم يرسماهما (ibid, 47, 48) . (وهذه الآلهة هى أولاد حور) . ومما يجدر ذكره هنا أنه جاء فى « كتاب الموتى » أن أولاد « حور » كانوا يقومون بمثل هذا الدور فى « كتاب البوابات » " .

ونجد هنا كذلك متنا وضع على لسان إله السحر « حقا » (50) (ibid, p. 219) إذ يقول (٥٠) : " إنك الأمير (أوزير) الذى ترى ما يسقط أمامك ، وأنت الذى يقتنص له رؤوس البدو ، والذى يجترله الأشرار الأربعة " .

ولا نزاع فى أن هذا المتن يشير إلى الشياطين الذين يهاجمون « أبوفيس » عدو إله الشمس « رع » . وبل ذلك المنظر صورة كبيرة لسفينة الشمس ذات لون أصفر وهى تشبه السفينة التقليدية التى تعمل الشمس فيها سياحتها اليومية فنجد فى وسطها المحراب الذى يجلس فيه وبابه مفتوح على مصراعيه ، غير أننا لا نجد الإله جالسا فى محرابه ؛ ولكن نجد متنا صغيرا على جانب المحراب يخبرنا أن الإله « رع »

موجود في السفينة . وكذلك كتب اسم الإلهين (٥٧ - ٥٨) « سيا » و « حو » أى « الفهم » و « الأمر » ، وهما الإلهان اللذان لا يفارقان « رع » في سياحته اليومية في سفينته ويقفان دائما بجانب الدفة . ومما يلفت النظر هنا أن سفينة الشمس هذه قد وضعت هنا على جراحة لها رأس صقر مما يذكّرنا بالحرارات الخاصة بالقوارب الجنائزية ، وبخاصة نشاهد أن الجراحة لها رأس صقر وذلك مما يذكّرنا كذلك بالإله « سوكر » إله الموتى في جبانة « منف » وهو يمثل في صورة لإنسان برأس صقر في سفينة على شكل جراحة وينعت بأنه إله منف العظيمة وسيد « روستاو » . ويشد هذه الجراحة ثلاثة رجال وقد كتب بجوارهم المتن التالى (49) (ibid, ٤٩) :
 " أربع مجاميع من سكان السماء وأربع مجاميع من بحارة « رع » الذين لا حصر لهم " . وتفسير هذا المتن معروف لنا منذ عهد الأهرام إذ نعلم أن بحارة « رع » كانوا يتألفون من نجوم ثابتة ومن كواكب سیارة . ويمكن أن نستنبط هنا نفس هذه الحقيقة فالبحارة الذين لا يحصى عددهم هم بلا شك النجوم . والواقع أن نفس الفكرة قد تمسك بها رجال الدين فيما بعد ، كما نجد ذلك في " كتاب ما يوجد في العالم السفلى " ، وفي « كتاب البوابات » ، حيث نجد أن سفينة الشمس في سياحتها في العالم السفلى الذى لا هواء فيه تقوم برحلتها فيه حيث يجزها أولئك البحارة الذين يتألفون من النجوم ، ولكن يلاحظ أن الجراحة لم توجد في الكتابين الأخيرين إذ كانت السفينة تبحر على الماء بالأمراس لانعدام الهواء اللهم إلا في الجزء الذى كان يسمى « روستاو » ، وحيث كانت تغير صورتها وتبحر على رمال الصحراء . وعدد البحارة هنا كان يتألف من أربع مجاميع بدلا من المجموعتين العاديتين — واحدة لسفينة النهار والأخرى لسفينة الليل ، ومن المحتمل أنهم قسموا أربع مجاميع ليتفق هذا مع أربع السماوات السالفة الذكر ، أى أنه كان لكل سماء مجموعة تعمل فيه . وفي مصور التابوت رقم ٢٨٠٨٥ نجد أن الآلهة التالية أسماؤهم قد ذكروا مع هذا المنظر (ibid, 51-55 كما يأتي (٥١ - ٥٥) : " الحاشية الذين في المقدمة (أى مقدمة السفينة) ،

و « أريس » ، والإله « ست » والإله « حور » ثم الحاشية المؤلفة من الأربعة الذين في المؤخرة (أى مؤخرة السفينة) .

وأخيرا ينتهى هذا الصف من المصور بمتن طويل يدل على آخر المطاف فاستمع لما جاء فيه : (ibid, p. 220 (58) ” الشاطئ الشمالى للنهر المتعرج الذى لا نهاية لعرضه ، وهو يحيط به جميعه نار ارتفاعها ذراع . مرحبا بك يا من قد كفت شرهيتها ، ويا من أقصيت نارها عنك . وإن الراحل هذا قد ضرب على يد كل شر بسرذكانه الذى عمله . وإنه قد أصبح حيا بأعضائه ويتحرك بها وإن الراحل لا والد له ” .

ثم يتلو ذلك عنوان بالمداد الأحمر جاء فيه متن مهم . ويأتى بعده متن كتب بالمداد الأسود هو (٥٩) : ” إن رب الجميع تكلم للصامت (أى « أوزير ») عن الآلام فى السياحة : يارجال الحاشية الأصحاء بما أتم فيه من سكينه ، إني أكرركم أعمالى الجميلة جدا . لقد عملت ماسر قلبى فى داخل « محن » (السفينة) ، لأنى أحرست الشر وعملت الطيبات أربع مرات فى داخل باب الأفق ، وقد خلقت النفس الذى يستنشقه كل إنسان فى حياته . وإني أنا الذى خلقت الفيضان العظيم ، وجعلت الفقير قويا مثل العظيم . وهذا هو عملى هناك . وقد جعلت كل إنسان مثل أخيه ، ولم آمر بعمل شر لهم ، وبذلك أجعل قلوبهم راضية بما فعلت . هذا هو عملى هناك . ولقد جعلت أفئدتهم صالحة حتى يذكروا الغرب (الأخرى) ، ولأجل أن يقدموا للالهة الأربعة الخفية . هذا هو عملى هناك . ولقد خلقت الآلهة الأربعة من عرقى ، والناس من دموع عيني .

وإن الراحل هذا هو الضوء الذى ينير كل يوم (أى الشمس) فى مكان النوم عندما يذهب رب الجميع للنوم ، وعيني الخاصة بالليل (القمر) لتعب القلب (أى أوزير) ، وإن الراحل هذا ضمن بجارة سفينة « ماعت » (العدالة) ، وإن الراحل هذا هو رب الفيضان والسياحة السماوية التى لا يترك فيها عضو من أعضاء الراحل هذا . وإن الإله « حور » والإله « حقا » قد قضيا على هذا الشر جميعا ، الذى رآه

الراحل هذا وإن الراحل هذا قد جلس في مكانه ، وأنه يفصل بين التعس والقوى بالعدل ،... وإن الراحل يمضى ملايين السنين التى يملكها ”صاحب القلب المتعب“ (كتاب عن الموت) (أوزير) وهو ابن « جب » (إله الأرض) ...

ولا مرأى فى أن القارئ لا يتردد لحظة فى القول بأن هذا المقال الأخير هو أعظم قطعة خلقية قدمها لنا مؤلف كتاب الطريقين فى ختام مطافه . إذ نجد أن رب العالم أى الخالق يتحدثنا عن جزء من قصة خلق العالم ، فقد برأ الآلهة الأربعة من عرقه ، وذراً الناس من دموه ، وبذلك أوجد نفس الحياة للخلق ، وذراً الفيضان ، وجعل الضعيف والقوى أمامه سواءً فعدل بينهما ، وجعل كل الناس إخواناً ، وعرف أن قلوب الناس قد جبلت على الشر غير أنه تنحى عن المسئولية فى ذلك ؛ لأنه لم يخلقه كذلك ، بل على النقيض جعل قلوب الناس سليمة حتى يذكروا يوماً لا ريب فيه ويتدبروا واجبه نحو الإله خالقهم يوم يقدم كل إنسان ما عملت يداه ويكون الجزاء من جنس العمل .

فهرس الموضوعات

تمهيد .

الأسرة الحادية عشرة

١ مقدمة — ٢ مقبرة «إسى» حاكم مقاطعة طيبة — ٤ أصل فراغة الأسرة الحادية عشرة —
٥ أسرة «أنتف» .

٨ الملك «سهرتاوى أنتف» — ١١ الملك «واح عنخ — أنتف» — ١٢ لوحة «ثى» — ١٥ علاقات الملك مع أمراء المقاطعات في هذه الفترة — ٢٢ لوحة «واح عنخ أنتف» — ٢٤ قبر الملك — ٢٥ آثار أخرى لهذا الملك — ٢٦ مقابر الأسرة المالكة والأشراف .

الملك «نخت نب تب نهر — أنتف» : — ٢٧ لوحة «كارر — أنتف» — ٢٨ لوحة «حنون» — ٢٨ وفاة الأمير «أنتف» .

الملك «سعنخ اب تاوى» — «متوحب الأول» : — ٣٠ الحالة في «هيراكليون» — ٣١ حالة البلاد في الجنوب — ٣٢ وفاة الملك وآثاره .

٣٣ الملك «تحرزت» (فيما بعد) «نب حبت رع متوحب الثانى» : — ٣٣ حرب مع ملك «إهناسية المدينة» وأمير «سيوط» — ٣٤ الملك «نب — كار — رع» آخر ملوك إهناسية المدينة — ٣٥ توحيد البلاد — ٣٦ آثاره وأعماله — ٣٧ بدء العمل في بناء معبد «متوحب الثانى» — ٣٧ مقابر زوجات الملك — ٣٩ عبادة الإلهة «حنور» — ٣٩ مقابر الملكات ووصف محتوياتها — ٤١ وصف تابوت «كاريت» — ٤٤ تابوت الأميرة «كسيت» — ٤٥ مقبرة «عاشيت» — ٤٧ تابوت «مايت» — ٤٨ نهاية الحروب بين «هيراكليون» و«طيبة» — ٥١ استمال الكلاب في الحروب — ٥٢ لوحة الجنود النوبيين — ٥٣ لوحة «إتى» قائد الجيش — ٥٣ لوحة «حقا اب» — ٥٦ لوحتان لجنود من الأسرة الثانية عشرة — ٥٧ الملك «متوحب الثانى» موحد الأرضين — ٦٢ الاحتفال بعيد «سد» — ٦٣ الملك «نب حبت رع متوحب الثانى» وزيارته مع بلاطه لشط الرجال — ٦٤ وادى شط الرجال — ٦٥ وصف لوحة «متوحب الثانى» — ٧٣ زيارة شط الرجال بعد عهد «متوحب الثانى» — ٧٤ زوار «شط الرجال» في عهد الأسرة الثامنة عشرة — ٧٥ «شط الرجال» لم يستعمل

محجرا — ٧٧ الفرض من نقوش «شط الرجال» — ٧٨ بمض آثار الملك «متوحتب الثاني»
 — ٨٠ لوحا «خيتي» — ٨٢ مباني هذا الفرعون في «طود» — ٨٣ آثاره في «طبة»
 — ٨٤ مقابر هذا العصر — ٨٦ إقامة المعبد الجنائزي «بالدير البحري» — ٩٢ مقبرة الأميرة
 «نقرو» — ٩٤ لوحة «خنوم إردو» — ٩٦ مقابر الأشراف — ٩٨ وصف مقبرة
 «خيتي» — ٩٩ مقبرة «حورحبت» — ١٠٠ التحنيط في هذا العصر — ١٠٢ ما يوضع
 مع المتوفى .

١٠٥ الملك «سمنخ كارع متوحتب الثالث» : — ١٠٦ أعماله — ١١٠ حالة البلاد الزراعية
 والاجتماعية — ١١٢ رسائل «حقأب» — ١٢٤ آثار الملك «سمنخ كارع (متوحتب الثالث)»
 — ١٢٦ المعبد — ١٢٦ مقبرة «مكت رع» — ١٢٧ السرايب ومحتوياتها — ١٣٢ طريقة
 تسخين الثيران — ١٣٢ ذبح الثيران وتجهيف لحما — ١٣٢ أمراء الفلال — ١٣٣ النسيج
 والتجارة — ١٣٥ بيت «مكت رع» وحديقته — ١٣٦ نماذج سفن المختلفة .

الحروب الداخلية ونهاية الأسرة

١٤٠ الملك «نب تاوى رع متوحتب الرابع» : — ١٤٣ بموت هذا الملك إلى «وادي
 الحمامات» — ١٤٣ أسطورة الغزاة أثناء الحملة — ١٤٥ لوحة الوزير «أمنمحات» — ١٤٦
 عودة الحملة إلى مصر — ١٤٧ بموت القائد «سمنخ» — ١٤٨ «وادي الهودي» واستغلاله —
 بموت «متوحتب الرابع» إلى «وادي الهودي» .

١٥٢ نظام الحكم في العهد الإقطاعي الأول : في حكومة العهد الإقطاعي بالدلتا — ١٥٣
 عرافة مدينة الوجه البحري — ١٥٣ لوحة نعرمر والحكم الديموقراطى — ١٥٤ نظام الحكم
 في مدن الدلتا — ١٥٥ محكمة العدل العليا — ١٥٦ عودة الحكم الديموقراطى إلى الدلتا في العهد
 الإقطاعى — ١٥٧ حالة بلاد الدلتا من تعاليم «مرى كارع» — ١٥٨ نزاهة الحكم والعدالة
 — ١٥٩ يجب أن يكون الملك متعلما تقيا — ١٦٠ تفسير كلمة «عطاء» في العهد الإقطاعى
 — ١٦١ تقسيم الدلتا إلى مراكز ديموقراطية — ١٦١ وصف مدينة «أتريب» (بنا) وحكومتها
 — ١٦٢ سكان المدن من الطبقة الوسطى — ١٦٣ تكوين جيش الفرعون — ١٦٤ أسلحة
 الملك لمحاربة المدن الثائرة — ١٦٦ نظام الحكم الجمهورى في مدن الدلتا — ١٦٧ أهمية تعاليم
 «خيتي» في الأنظمة الحكومية .

الأسرة الثانية عشرة

الملك « أمنمحات الأول » : — ١٦٩ مقدمة — ١٧١ نبوة « حوروهو » — ١٧٣ وصف حالة البلاد المهزلة — ١٧٤ الدعاية لظهور نخلص للبلاد — ١٧٧ نشأة « أمنمحات » وعبادة الإله « آمون » — ١٧٨ مفز الملك الجديد — ١٧٩ نظرة عامة في أخلاقه وإصلاحاته — ١٨٠ تاريخ سيدنا ابراهيم وما يقال عنه — ١٨١ إصلاحاته وسياسة الداخلية — ١٨٤ بعثته إلى « وادي الحمامات » — ١٨٤ حروبه الخارجية ضد « آسيا » — ١٨٥ حروبه في بلاد « النوبة » — ١٨٥ إشراك ابنه « سنوسرت » معه في الحكم — ١٨٧ تفكير الفرعون في إصلاح « الفيوم » — ١٨٧ محاربته للروبيين — ١٨٨ المؤامرة ضد ولي العهد ونصيب « سنوهيت » فيها وفراقه — ١٩٠ الدعاية للـ « سنوسرت الأول » — ١٩٠ التعاليم المنسوبة إلى « أمنمحات الأول » — ١٩١ تحصيل العلماء لهذه التعاليم — ١٩٥ التعاليم والتعليق عليها — ١٩٩ هرم « أمنمحات » ومعبد ٢٠٠ حجر أساس الهرم وما وجد معه — ٢٠١ مدينة الهرم .

٢٠٣ الملك « سنوسرت الأول » : — ٢٠٤ مقدمة — ٢٠٤ وصف « سنوهيت » للـ « سنوسرت الأول » — ٢٠٥ حفلة تنصيب « سنوسرت » الأول — ٢٠٦ ملخص تمثيلية عيد التنصيب — ٢٠٩ مبانيه الدينية — ٢١١ مسلة عين شمس — ٢١٣ هدايا « سنوسرت » للآلهة المصرية — ٢١٤ آثاره في أنحاء البلاد — ٢١٥ مبانيه بـ « العراة المدفونة » — ٢١٦ أعماله في المناجم وآثاره الأخرى — ٢١٧ محاجر صحراء النوبة القريبة بـ ٢١٧ ما عثر عليه في هذه المحاجر — ٢١٧ بصوته إلى وادي المودى — ٢١٨ نص لوحة « متوحب » — ٢١٨ لوحة قائد الجيش « أنف » — ٢١٩ لوحة رئيس الخزنة « أنف إفر » — ٢٢٠ لوحة « حور » — ٢٢٢ بعض من أعمال دعائه لنفسه — ٢٢٣ أعماله الحربية — ٢٢٤ حملاته للبحث عن الذهب — ٢٢٥ حلة « أكوديدي » — ٢٢٦ حزم « سنوسرت » وملكوك حكام المقاطعات — ٢٢٦ وصف « أميني » لذلك — ٢٢٧ « زفاى حبي » حاكم بلاد النوبة من قبل « سنوسرت الأول » ومقبرته — ٢٢٩ تعليقات « زفاى حبي » لكاهن الروح — ٢٣٠ مقبرة « زفاى حبي » في « كرمة » ومخرباتها — ٢٣٠ زحف النوبيين على مصر في العهد الإقطاعي الأول — ٢٣٣ وصف « سنوهيت » لحياته مع بدو « آسيا » — ٢٣٤ المباراة بين « سنوهيت » والفلسطيني — ٢٣٦ حين « سنوهيت » إلى وطنه — ٢٣٧ صورة من القرار الملكي — ٢٣٧ قرار ملكي إلى التابع « سنوهيت » — ٢٣٧ وصف الاحتفال بالدفن — ٢٣٨ صورة

من الاعتراف بهذا القرار الملكي — ٢٤٢ إشتراك « سنوسرت » ابنه « أمنحات الثاني »
 في الحكم — ٢٤٣ وفاة « سنوسرت الأول » — ٢٤٤ هرم « سنوسرت الأول » .
 الملك « أمنحات الثاني » : — ٢٤٦ مجمل أعماله — ٢٤٦ بعونه الى « سينا » — ٢٤٧ آثاره
 في مختلف جهات القطر — ٢٤٧ البعث الى محاجر صحراء النوبة — ٢٤٨ بعونه الى بلاد
 « بنت » — ٢٥٠ أهمية البعث الى بلاد « بنت » — ٢٥٠ قصة الفريق — ٢٥٥ بلاد
 النوبة ونشاطه فيها — ٢٥٦ علاقة مصر ببلاد آسيا في عهد هذا الفرعون — ٢٥٦ كثر « طود »
 وأهميته — ٢٥٧ محافظته على مبادئ أسلافه — ٢٥٨ المباني — ٢٥٩ الادارة — ٢٦٠ « خنوم
 حنب الأول » أمير « منفات خوفو » ومقاطعة الغزال — ٢٦١ إشتراك « سنوسرت الثاني »
 في الحكم — ٢٦١ هرم الملك « أمنحات الثاني » — ٢٦٢ مقابر الأسرة الملكية ومحتوياتها
 — ٢٦٣ مجوهرات الملكة « خنت » — ٢٦٤ القيمة الفنية لمجوهرات الملكة « خنت »
 ٢٦٥ الملك « سنوسرت الثاني » : — ٢٦٦ اضطراب الأحوال في بلاد النوبة — ٢٦٧ لوحة
 « حابو » وأهميتها — ٢٦٧ نشاط « سنوسرت الثاني » — ٢٦٨ الملكة « نفرت » زوجة
 « سنوسرت الثاني » — ٢٦٩ منظر « العامو » الوافدين الى مصر بالجزيرة وما قبيل عنهم
 — ٢٧٠ علاقة مصر بجزيرة « كريت » في ذلك العصر — ٢٧١ نقوش « خنوم حنب الثاني » —
 ٢٧٣ بعونه الى الصحراء النوبة الغربية — ٢٧٤ هرم « سنوسرت الثاني » ومدينته — ٢٧٦
 وصف مدينة « سنوسرت الثاني » — ٢٧٦ مقبرة الأميرة « سات حتجورأت » ومحتوياتها .
 الملك « سنوسرت الثالث » : — ٢٧٨ مكانته في التاريخ المصري — ٢٧٩ الاستعداد للحاربة
 النوبيين — ٢٨٠ حفر ترعة الشلال من جديد — ٢٨١ العناية بمحصر الفنتين — ٢٨١ نتائج
 الحملة الثانية — ٢٨٢ الحملة الثالثة الى بلاد النوبة — ٢٨٣ الحصون التي أقامها هذا الفرعون
 — ٢٨٣ آلهة بلاد النوبة العليا وتآليه « سنوسرت الثالث » — ٢٨٥ نص لوحة الحدود الخالدة
 — ٢٨٦ ذكرى انتصارات « سنوسرت » في الأساطير وتسميته « سوزستريس » — ٢٨٦
 مارواه « هر دوت » عن فتوح « سنوسرت الثالث » — ٢٨٦ آخر حملاته الى السودان
 — ٢٨٧ آثاره — ٢٨٨ حملة البحر الأحمر — ٢٨٨ حكمه في « آسيا » — ٢٨٩ « خوسبك »
 يقص تاريخ حياته — ٢٨٩ العلاقات بين مصر و « آسيا » — ٢٩٠ تمثال « تحوت حنب » أمير
 مقاطعة الأشمونين — ٢٩٢ اهتمام « سنوسرت الثالث » بمدينة « العراية » وإلهها « أوزير » —
 ٢٩٣ مقبرة « سنوسرت الثالث » الثانية « بالعراية المدفونة » ووصفها — ٢٩٤ هرم « سنوسرت
 الثالث » — ٢٩٤ مقبرة الملكة والأميرات — ٢٩٤ مجوهرات الأميرة « سات حتجور »

— ٢٩٥ ميانى «سنمرت الثالث» وبعوثه لقطع الأجار — ٢٩٧ إشرارك «سنمرت الثالث» ابنه «أمنحات الثالث» فى الحكم — ٢٩٨ وفاة «سنمرت الثالث» وقداسته فى قوس شعبه — ٢٩٨ — الأناشيد التى ألقت فى مدحه .

٣٠٢ الملك «أمنحات الثالث» : — بعوثه الى شبه «جزيرة سينا» — ٣٠٢ بعثة «سبك حروب» لافتتاح منجم فى «سراية الخادم» — ٣٠٥ نقوش طريقة لبعض الموظفين الذين ذهبوا الى هذه المناجم — ٣٠٦ بعثة «سبك حروب» والتعامه مع البدو الأسويين — ٣٠٧ أهم لوحة فى «سينا» من عهد عصر «أمنحات الثالث» — ٣٠٩ نشاط «أمنحات الثالث» فى «وادي الحمامات» — ٣٠٩ بعوث «أمنحات الثالث» الى محاجر الديوريت فى صحراء النوبة الغربية — ٣١٠ لوحة «سابست» لاستخراج الأحجار الثمينة — ٣١٠ آثار «أمنحات الثالث» فى أنحاء القطر — نعاليم «سحب إربع» لأولاده ومكانتها التاريخية — ٣١٣ نصيحة مؤلف التعاليم لأولاده — «بحيرة قارون» (بحيرة موريس) — ٣١٧ العمل على تخفيف جز من مساحة البحيرة فى عهد «أمنحات الأول» — ٣١٨ جهود «أمنحات الثالث» فى عمل خزان «القيوم» — ٣١٩ إعادة بناء المعبد الذى أقامه «أمنحات الأول» فى «القيوم» — هرم «أمنحات الثالث» — ٣٢٤ دفن الأميرة «بتاح قسرو» فى مقبرة والدها «أمنحات الثالث» — ٣٢٥ مائدة قربان الأميرة «بتاح قسرو» — ٣٢٦ هرم «أمنحات الثالث» فى «دهشور» — ٣٢٦ مقبرة الأميرتين ومحتوياتهما — ٣٢٧ معبد الهرم (البرنت) — ٣٢٧ «البرنت» معبد «أمنحات الثالث» كما وصفه «هردوت» — ٣٣٠ «البرنت» كما وصفه «بليني» — ٣٣١ بقايا «البرنت» — ٣٣٢ رأى فى تفسير كلمة «البرنت» — ٣٣٢ احتفال «أمنحات الثالث» بعيد «سد» — ٣٣٣ ميانى «أمنحات الثالث» — ٣٣٤ أخلاعه من فن عصره — ٣٣٩ تأليه الفرعون «أمنحات الثالث» .

الملك «أمنحات الرابع» : — ٣٤١ حالة البلاد عند توليته الملك — ٣٤٣ مدينة «كوم ماخى» ومبعلها — ٣٤٤ وصف معبد الدولة الوسطى وأهميته — ٣٤٤ هرم «أمنحات الرابع» — ٣٤٥ آثار «أمنحات الرابع» فى أنحاء القطر — ٣٥٢ بعوث «أمنحات الرابع» الى وادى اليهودى — ٣٥٣ آثاره الأثرى المنقرضة .

الملكة «سبك نفرو» : — ٣٥٤ آثارها الباقية .

المدنية فى عهد الدولة الوسطى

٣٥٩ مقدمة — ٣٦٠ نظام الحكم فى العهد الإقطاعى — ٣٦٧ السلطات التى اكتسبها

الفرعون — ٣٦٨ قانون وراثة حكم المقاطعة — ٣٧٠ تعاليم «خيتي بن دواوف» — ٣٧٩ نظام الحكم في عهد الأسرة الثانية عشرة — ٣٨٢ تقسيم مصر الإدارى — ٣٨٤ الادارة الرئيسية — ٣٨٤ أعمال المالية العامة — ٣٨٥ بطاقة الفرعون — ٣٨٨ كتاب الإحصاء لبلاط الفرعون من عهد الأسرة الثالثة عشرة — ٣٨٩ الكتاب وسك دفتره — ٣٩٠ المصروفات التى كانت تعطى بأمر شفيو — ٣٩١ المصروف بأوامر مكتوبة — ٣٩٢ المصروف من غير أوامر — ٣٩٣ الدخل — ٣٩٦ المتأخر — ٣٩٧ الميزانية — ٣٩٩ الأشخاص الذين يطعمون في مناسبات متوعدة طعاما خاصا — ٤٠١ مقتطفات من يوميات الفرعون — ٤٠٢ زيارة تمثال الإله صاحب «الدمود» — ٤٠٧ عيد الإله «متو» — ٤١٠ نموذج الموظف المثالى فى هذا العهد .

٤١١ الحروب والعلاقات الخارجية : — ٤١٦ التحصينات التى أقامها « سنوسرت الثالث » فى بلاد النوبة — ٤٢٠ نشاط مصر خارج حدودها من جهة «آسيا» — ٤٢٤ الأمبراطورية المصرية فى «آسيا» فى عهد الدولة الوسطى — ٤٣٦ علاقة مصر بجزر البحر الأبيض المتوسط .
٤٣٩ المبساتى : — ٤٤٠ معبد « سنوسرت الأول » بالكرك وك وغيره — ٤٤٣ اتخاذ مقر الملك بجوار الجبانة .

٤٤٦ فن نحت التماثيل : — ٤٤٦ تماثيل الأفراد — ٤٥٠ تماثيل المال — ٤٥١ النقوش الفائرة والبارزة — ٤٥٢ الرسم بالألوان — ٤٥٣ الصناعات اليدوية — ٤٥٤ الصياغة فى هذا العصر — ٤٥٤ أول ظهور الجمارين — ٤٥٥ الأوانى الحجرية — ٤٥٥ صناعة الخزف .
٤٥٦ الأدب فى عهد الدولة الوسطى .

٤٥٧ العدالة الاجتماعية وتعميم المسئولية الخلقية فى عهد الدولة الوسطى .

٤٧١ الحياة الدينية فى عهد الدولة الوسطى : — ٤٧٦ شروط الوقف العشرة — ٤٨٥ تصوير الاحتفالات الدينية التى كانت تقام للأثير « زفانى حبي » — ٤٩٣ احترام مقابر الأجداد فى هذا العصر — ٤٩٦ ظهور متون التوابت — ٥٠٧ مسرحية آلام «أوزير» — ٥١٤ تعميم المحاكمة العامة أمام الإله — ٥١٥ ظهور الإله «آمون» لعبادته فى الدولة الوسطى .

٥١٩ كتاب الطريقين إلى عالم الآخرة : — ٥٢٤ مصادر كتاب الطريقين — ٥٣٤ شرح كتاب الطريقين — ٥٣٥ وصف مصور تابوت « سبي » رقم ٢٨٠٨٣ مع موازنته بتابوت « برلين » — ٥٤٦ ترجمة المتون الخاصة بالجزء السابق — ٥٥١ وصف طريق البر إلى عالم الآخرة — ٥٥٢ المتون المفسرة للناظر — ٥٥٦ الجزء الثالث من مصور تابوت القاهرة رقم ٢٨٠٨٣ — ٥٥٨ المتون الخاصة بالجزء الثالث التى على التابوت رقم ٢٨٠٨٣ — ٥٦١ متون الجزء الثالث — ٥٦٣ الجزء الأخير من الصف العلوى — ٥٦٤ المتن الخاص بهذا القسم كما وجد على تابوت القاهرة — ٥٧١ القسم الأسفل من مصور كتاب الطريقين .

الأشكال الايضاحية

صفحة	شكل	
٩	١	جبانة «طبة» في عهد الدولة الوسطى .
٣٨	٢	معبد « متوحب الثاني » .
٤٠	٣	(أ) منظر من تابوت الملكة « كايوت » .
٤١	٣	(ب) » » » »
٤٥	٤	منظر من تابوت الملكة « عاشيت » .
٦١	٥	تمثال الملك « متوحب الثاني » .
٦٣	٦	منظر لزيارة « متوحب الثاني » لشط الرجال مع ابنه وزوجه وحامل خنمه « ختي » .
٩٣	٧	معبد « متوحب الثاني » كما كان في الأصل .
١٢٩	٧	حاملة القرايين .
١٣٠	٨	إحصاء الماشية .
١٣١	٩	خظيرة الذبح .
١٣٣	١٠	حانوت النسيج .
١٣٤	١١	حانوت التجارة .
١٣٥	١٢	البيت والحديقة .
١٣٩	١٣	قاربان لصيد السمك .
١٦٩	١٤	أمنمحات الأول .
٢٠٣	١٥	سنوسرت الأول .
٢١٢	١٦	مسلة « سنوسرت الأول » بالمطرية .
٢٦٣	١٧	تاج الملكة « خمنت » من الذهب المرصع بالأحجار نصف الكريمة .
٢٦٤	١٨	» » » » محل زهيرات .
٢٦٥	١٩	سنوسرت الثاني .
٢٧٤	٢٠	هرم « سنوسرت الثاني » .
٢٧٧	٢١	صدرية « سنوسرت الثاني » .
٢٧٧	٢٢	صدرية « أمنمحات الثالث » .
٢٧٩	٢٣	الملك « سنوسرت الثالث » .

صفحة	شكل	
٢٨٢	٢٤	قلعة « صمنه » عند آخر حدود جنوبية في عهد « سنوسرت الثالث » .
٢٩١	٢٥	نقل تمثال الأمير « منحوت حنب » .
٣٠٢	٢٦	الملك « حور » ابن « أمنمحات الثالث » .
٣١٦	٢٧ و ٢٥	مناسيب بحيرة فارون قللا عن كتاب على بك شافى .
٣٢٢	٢٨ و ٢٦	هرم « أمنمحات الثالث » .
٣٣٥	٢٩	أ ، ٢٧ « أمنمحات الثالث » في مقتبل عمره .
٣٣٥	٢٩	ب ، ٢٧ « أمنمحات الثالث » في كهولته .
٣٣٦	٢٩	ج ، ٢٧ رأس « لأمنمحات الثالث » من حجر الثعالب في برلين يمثل شيخوخته المبكرة .
٣٣٦	٢٩	د ، ٢٧ « أمنمحات الثالث » في صورة « براهمول » .
٣٣٧	٢٩	د ، ٢٧ » » » » »
٣٣٧	٢٩	هـ ، ٢٧ » » من حجر الأبيديان يمثل في شيخوخته المتقدمة .
٣٣٨	٢٩ و ٢٧	تمثال « أمنمحات الثالث » من المראה في شيخوخته .
٣٤٢	٣٠	معبد مدينة « كرم ماضى » من عهد الدولة الوسطى .
٤٤٠	٣١	معبد « سنوسرت الأول » في الكرنك .
٤٤٤	٣٢	مقبرة « أمينى » .
٤٥٥	٣٣	صدرية « أمنمحات الثالث » .
٥٠٢	٣٤	قايوت من الخشب من عهد الدولة الوسطى .
٥٨٩	٣٥	مصور كتاب الطريقين .

ملاحظة : تلفت نظر القارئ هنا إلى أن أرقام الأشكال من ص ٣٠٢ إلى ٥٨٩ حدث فيها أخطاء تداركها في الأشكال الإيضاحية ، فلذا يمتد فقط على رقم الصحيفة التى جاء فيها الشكل .

فهرس الأعلام والألهة والأماكن وغيرها

(١)

أب (علم) : ٧٥

أبت (الأقصر) : ٦

إبراهيم (النبي) : ٢٧٠ ، ١٨٠

أبو (الإله مين) : ٢١٣

أبوت (ورقة) : ٨٩

أبوتيج : ٣٨٢

إبور (حكيم) : ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٢ ، ٤٦٥ ، ٤٦٨ ، ٤٦٧

أبوسنبل (بلد) : ٣٣٤ ، ٢٥٥ ، ٢١٧ ، ٧٨

أبوفيس (التبان المؤدى) : ٥٣٩ ، ٥٥٥ ، ٥٦٥ ، ٥٨٥ ، ٥٨٤ ، ٥٧٦ ، ٥٦٧

إبي (اسم أوزير) : ١٠٠ ، ٩٩

إبيت (علم) : ٩٨

إت (علم على امرأة) : ٩٧

آنا (اسم أميرة) : ٢٦٣ ، ٢٦٢

أتريب (بنا الحالية) : ١٦١ ، ١٦٥ ، ١٦٦

إت سنب (علم على امرأة) : ٩٧

إتو (مدير الوجه البحرى) : ٤١٠

أتوم (إله) : ٢٣٨ ، ٤٣٩ ، ٥٠٢ ، ٥٣٨ ، ٥٤٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥١ ، ٥٧٨

إنى (علم) : ٥٥

إثنوى (الشت) : ١٨٥ ، ١٤١ ، ١٧٨ ، ٢٢٢ ، ٢٤٤ ، ٣٦٤ ، ٣٨٥ ، ٤٤٤

أحسن (ملك) : ٥٩

إحى (علم) : ٥٧ ، ٢

إخت إسوت (اسم معبد الدير البحرى) : ٨٨

أخت خرب نب تاورى (لقب ملكى) : ٣٥٥

انز نوفرث (علم) : ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥١٠

إختاتون (ملك) : ٣٤٨

إداهت (اسم مكان) : ١٠٩

إدفو (بلد) : ٣ ، ٦٤ ، ٣٥٢ ، ٣٨٣ ، ٤١٨

إدى : ٣ ، ١٢ (أمير فقط ١٦٢)

أرمنت (بلد) : ١ ، ٢٦ ، ١٠٦ ، ١٧٧ ، ٢١٥ ، ٣٦٣ ، ٣٩٤

إرو (علم على امرأة) : ٣٠

آس (اسم حفية) : ٩١

أسى (ملك) : ٢٥٠

أسوان (بلد) : ٧٥ ، ١٤٩

أسوت خمر (اسم هرم) : ٢٠١

أشمنون (خنز، هرموبوليس) : ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٦ ، ٤٢٧

إع (اسم ملكة) : ٣٢ ، ٦٥ ، ٩٢

أفريتو بوليس (كوم شقار) : ٢٢ ، ٤٣ ، ٩٣ ، ٩٤

إفسوس (اسم معبد) : ٣٢٨

إفر (علم) : ٥٥ ، ١٠٠

أكو ديدى (علم) : ٢٢٥

إكوى (اسم امرأة) : ٤ — ٦

البطالة (ملوك) : ٣٦

الجبليين (بلد) : ١٠٩

الخورخ (مكان) : ٢

الدير البحرى (معبد) : ٣٢ ، ٧٠ ، ٧٩ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ٣٣٦

٢٥٠ — ٣٢٣ ، ٢٤٢ ، ٢٦١ ، ٢٩٤ ، ٣١٧

٣٣٤ ، ٣٦٤ ، ٣٨٥ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤٢١ —

٤٢٣ ، ٤٤٣ ، ٤٤٧ ، ٤٤٩ ، ٤٥٦ ، ٤٥٦

٤٦٣ ، ٤٥٩ ، ٤٦٧ ، ٥١٨ ، ٥٢٠

أمنعات الثاني: ١٥٧ ، ٢٤٣ — ٢٥٥ ، ٢٥٠ ، ٢٤٤

٢٥٦ ، ٢٦١ ، ٢٦٦ — ٢٦٩ ، ٢٦٨ ، ٤١٤

٤٢١ — ٤٣٠ ، ٤٣٣

أمنعات الثالث (ملك): ١٨٧ ، ١٩٩ ، ٢٩٧ ، ٣٠٢

٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١٣ ، ٣١٥

٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٢٠ — ٣٢٢ ، ٣٢٦ ، ٣٣١

٣٣٤ ، ٣٣٩ — ٣٤٩ ، ٣٥٤ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧

٣٨٤ ، ٤١٥ ، ٤٢٤ ، ٤٣١ ، ٤٣٩ ، ٤٤٩

٤٠٤

أموت (حظية): ٩١ ، ٩٧

أمنعات الرابع: ٧٤ ، ٣٠٩ ، ٢٤١ ، ٣٥٢ — ٣٥٥

٤٣٤

أمون (إله): ٢ ، ٥٠٢ ، ٣٩٠ ، ٨٣ ، ١٥١ ، ١٧٧ ، ١٨٦

٢٣٨ ، ٢٤٦ ، ٣٦٢ ، ٣٩٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤١ —

٤٤٣ ، ٤٥١ — ٥١٥ ، ٥١٩

إمى (علم امرأة): ٢

أمين سى (كاتب): ٤٩٥

أمينى (أمنعات الأول): ١٧٤ (أمير بنى حسن): ٢٢٣

٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٣٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٤١٣

٤١٤ ، ٤٦٤

أموى: ٩٨

أنير (علم): ١١٦ ، ١٢٢ (مهندس): ٢٧٥

أنس (مؤلف): ١٧

أنف (أمير): ٤ — ٤٦ ، ٨٠ ، ١١٠ ، ١٣٠ ، ١٤٣

٢٤٤ ، ٢٦٦ ، ٢٩٠ ، ٤١٠ ، ٦٥٣ ، ٧٣٦ ، ٧٦٠ ، ٨٠٧

الرزقات (بلد): ١١٤

المامو (الأسيريون): ٧٩ ، ٢٦٩ ، ٥٢١ ، ٤٣٠

المرأة المدفونة (بلد): ١٢ ، ١٤ ، ١٥ ، ٢١ ، ٢٨

٧١ ، ٨٤ ، ١٥٢ ، ٢٢٥ ، ٢٤٤ ، ٢٨٧ ، ٢٩٠ —

٢٩٣ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨ ، ٣٥٧ ، ٣٨٦ ، ٤٢١

٤٧٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٩ ، ٥٢٨ ، ٥٤٣ ، ٥٦٨ ، ٥٦٨

المصايف (قرية): ٣

الفتين (بلد): ٣ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤٣ ، ٢٩٣ ، ١٠٦ ، ١٩٨

٢١٦ ، ٢١٩ ، ٢٢٤ ، ٢٤٩ ، ٢٥٨ ، ٢٦٧

٢٦٨ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٢ ، ٤١٢

الكتاب (بلد): ٣ ، ٢٣١ ، ٢٣١ ، ٢٨٨ ، ٢٨٨

الكرنك (معبد): ١٠٠ ، ٨٤ ، ١٤٠ ، ١٨٣ ، ٢١٥ ، ٢٩٧

٢٣٤ ، ٢٨٢ ، ٢٣٩ ، ٤٤٠

اللاهون (بلد): ٢٧٠ ، ٢٤٣ ، ٣٥٣

المدود (بلد): ١ ، ٢٩٨ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣

المزرى (قبيلة): ١٧ ، ٤٨ ، ٣٨٦ ، ٣٩١ ، ٤٠٠

المحلة (مكان): ٢ ، ٧٦

ألن رو (مؤلف): ١٤٨

الهكسوس (ملوك): ٢٩٠ ، ٤٢٩

الواحة الخارجة (مكان): ٢٢١

أمادا (معبد): ٢٨٤ ، ٢٨٧

أمرافيل (هو حور أبى ملك بابل): ١٨٠

أمون رع (إله): ١٨٣

إمستى (إله): ٥٨٥

أمنحوتب الأول: ٧٤ ، ٨٣ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣

أمنحوتب الثاني: ١٥٧

أمنحوتب الثالث: ٢١٤ ، ٢٤٦ ، ٢٨٢ ، ٤٤٠

أمنعات الأول: ٨٥ ، ٩٠ ، ١١٠ ، ١٤١ ، ١٤٣ ،

١٤٤ ، ١٥١ ، ١٧٤ — ١٩٣ ، ١٩١ — ٢٠١

بحيرة موديس (بحيرة قارون) : ٣٢٧ ، ٣١٧ ، ٣١٦

برحاعا (مكان) : ١٢٠ ، ١١٨

بردوات (اسم حجرة) : ٤٢

برستد (مؤلف) : ٤٣٤ ، ٣٥٦ ، ٢٤٩ ، ٦٧

برشيع (اسم منجم) : ٨١

برما (البيت العظيم) : ١٥٨

برودر (معد) : ٩٦

بقعا (طريق لبناني) : ٤٣٥

بلرم (حجر) : ١٥٤ ، ١٦٣

بلاكان (مؤلف) : ٤٢٩

بليبي (مؤلف) : ٣٣٠

بنت (بلاد) : ١٠٨ ، ١٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣

٤٣٠ ، ٢٩٦

بني حسن : ١٩ ، ١٤٧ ، ١٦٥ ، ٣٣٤ ، ٣٦٦

٣٨٣ ، ٤٣٠ ، ٤٤٥ ، ٤٩٥ ، ٥٠٦

براي (علم) : ٩١

برتو (ابطو) : ٥٢٧ ، ٥٢٨

بورخارت : ٧٨ ، ٣٨٩

بوصير (بلده) : ٩٤

بياهو (مكان) : ٣٢٠ ، ٣٢٢

(ت)

تانيس (صان الحجر) : ١٨٣ ، ٢١٤ ، ٢٥٨ ، ٣٣٩

٣٥٥ ، ٤٤٣ ، ٤٤٩

تايت (إلهة الغزل والنسيج) : ٢٣٧

تبسيت (بلدة) : ١١٤

تحتمس الثالث (ملك) : ١١ ، ٦٥ ، ٧٥ ، ١٥٦

٢٨١ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٩٥ ، ٤١٥ ، ٤١٨

تحتمس الأول (ملك) : ٧٤ ، ٢٨١

تحتمس الثاني (ملك) : ٧٥

تحنو (قوم) : ٣٦ ، ٤٤٤ ، ٥٢ ، ١٨٨

تحت (آلهة) : ٢٠٧ ، ٤١١ ، ٩٠٩ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩

٥٥٢ ، ٥٥٩ ، ٥٦٢ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧

٥٧١ ، ٥٧٣ ، ٥٧٥ ، ٥٧٩ ، ٥٨٢ ، ٥٨٤

تحوقي حنب (علم) : ٢٩٠ ، ٢٦٣ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧

٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٩

تحوقي نخت (علم) : ١٧ ، ١٨٠ ، ٨٥

تركوفي (بإيطاليا) : ٤٣٨

تف لب (علم) : ١٩ ، ٢١ ، ٣٣ ، ٣٤٦

تفروت (مكان) : ٨١

تفروت (إلهة) : ٥٣٨ ، ٥٥٥ ، ٥٧٧

تل الشيخ موسى (مكان) : ٣٦

تل المقدام (مكان) : ٢٩٦

تل اليهودية (مكان) : ٣١١

تل العارئة : ٢١٦

تل بسطة : ١٨٣ ، ٢٥٨ ، ٢٨٨ ، ٢٩٧

تنت (علم) : ٨٢ ، ٨٣ ، ١٠٧ ، ٥٧٠ (معد)

تورين (ورقة) : ٤ ، ١١ ، ٢٩ ، ٥٢ ، ١٤٢ ، ٣٥٤

٣٥٥ ، ٣٥٦

توت عنخ آمون : ٢٧٨

تيتي (ملك) : ٥٢٦ ، ٥٣٤

(ث)

ثي (علم) : ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٤٩

ثري (علم) : ٥٩

ثنت (إقليم) : ٨١

ثيامو (علم) : ٧٧

(ج)

جارنو (مؤلف) : ٥٢٥

جب (إله الأرض) : ٢٢١ ، ٣٥١ ، ٥٠٠ ، ٥٣٢

٥٨٨ ، ٥٧٤ ، ٥٣٩

جبل السلسلة : ٦٤

جر (علم) : ١١٣

جرندر (مؤلف) : ١٩٠ ، ٤١٩

جريفث (مؤلف) : ٣١ ، ٣٨٩

جوتييه (مؤلف) : ٢٦

جولنيشف (مؤلف) : ١٧١

(ح)

حابي (علم) : ٩٧ ، ٥٨٥

حات مزو (حراس ملك الشمس) : ٥٤١

حاو (علم) : ١١٨

حبي (علم) : ٧٢

حت ورت . سو (محكمة ستة المجالس) : ١٥٥

حتب : ٩٧

حتبت : ١١٧ ، ١٢٣

حتب سنوسرت (مدينة الهرم) : ٢٧٦ ، ٤٤٤

حتبي : ٩٧ ، ٥٦٦

حتب ترو : ٢٩٥

حتحور (آلهة) : ٦ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٣٩ ، ٤٨ ، ٨٤

٩١ ، ٩٦ ، ١٠٧ ، ٢١٤ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٣٠٤

٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣١٠ ، ٣٤٩ ، ٣٥١

٣٥٢ ، ٤٣٩ ، ٤٤٩

حتحور حتب (ابنة أمتحات الثالث) : ٣٢٦

حتشبسوت (ملكة) : ٩٥ ، ٧١ ، ٣٠٩

حتسوب (مكان) : ١٧ ، ٢٤٧ ، ٣٦٦ ، ٣٨١

حتى بن نخت (علم) : ١١٤ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩

حشرف أوحريشان (إله سيد إهناسية المدينة) : ١١٩ ،

٢٩٦ ، ٤٤٣ ، ٥٥٧

حروت (مكان) : ٨١

حري وزب (علم) : ١٥٦

حزرواش (أمير) : ٣٦

حسم (علم) : ٩٧

حف آن (رب الموتى) : ٥٧٦

حقا إب : ٥٣ ، ٥٤

حقات = (جالون) : ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٤٧٧ ، آلهة

تحي أوزير : ١٦٢ ، ٥٥٤

حقانخت (كاهن) : ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٦ ،

١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢

حمورابي (ملك) : ١٨٠ ، ٤٧١

حنو (علم) : ٩٧ ، ١٠٨

حتو (علم) : ٩٩ ، ٢٢٠

حنون (موظف) : ٢٨ ، ٣٠

حور (إله) : ١٢ ، ٣٩ ، ٥٨ ، ٨٥ ، ١٠٧ ، ٢٠٥

٢٠٧ ، ٢١٤ ، ٢٣٨ ، ٤٢١ ، ٥٣٤ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠

٥٥٣ ، ٥٥٩ ، ٥٦١ ، ٥٦٢

حور أختي (إله الشمس) : ٤٧ ، ٢٠٩

حور حتب (علم) : ٩٧ ، ٩٩

حور - سام - ناوي (لقب ملك) : ٥٨

حور سفنج أب ناوي (متوجب ، ابن الشمس) : ١٧ ،

٢٧ ، ٢٩

حور سفنج ناوي اف (لقب ملكي) : ١٠٥ ، ١٠٧

خوق : ٣٩٩

خنوم حنب الأول (أمير) : ١٨١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ،

٢٥٩ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٣٦٨ ، ٤١٣ ، ٤٩٢ ،

٥٠٦

خنوم حنب الثاني (أمير) : ١٨٢ ، ٢٧٠ ، ٣٦٨ ، ٤٢٢ ،

خنوم حنب الثالث (أمير) : ٢٧٢ ،

خني (السلة) : ٤١٨

خوصبك (القائد) (لوحة) : ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٣٨٥ ،

خوفو (ملك) : ٢٩٨ ، ٣٨٦ ، ٤٩٥ ،

خوفو ح (م) أنظر (رخوف) : ٤١٢ ،

خيتي (أمير) : ٤٠٤ ، ١٥٩ ، ٢١٩ ، ٣٣٣ ، ٦٥٠ ، ٧٣٦ ،

٧٣٦ ، ٧٣٦ ، ٧٣٦ ، ٧٣٦ ، ٧٣٦ ، ٧٣٦ ، ٧٣٦ ، ٧٣٦ ،

١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٦٧ ، ٣٦٤ ، ٤٥٦ ،

خيتي بن دواوف (كاتب) : ١٩٠ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ،

٣٧٤ ، ٣٧٨ ، ٤٤٧ ، ٤٥٧ ، ٥٥٨ ،

(د)

دابود (مكان) : ٢٥٦ ،

داجي (علم) : ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ،

دارمي (مؤلف) : ٢٣ ، ٧٠ ، ٩١ ،

دارفور (بلد) : ٤١٢ ،

ددو (علم) : ٩٧ ،

ددون (إله) : ٢٨٣ ،

دديسوت (بلدة) : ١١٣ ، ١٢١ ،

در-وتيو (قلعتان) : ٤١٧ ،

دريتون (مؤلف) : ٧٨ ، ١٤٨ ،

دراو (بلد) : ٧٦ ،

دفرين (الورد) : ٨٩ ،

حورسهر تاوي (ملك) : ٨ ،

حورسنفر - تاوي - أف (لقب ملكي) : ٧٨ ،

حورنب تاوي بن رع (لقب ملكي) : ١٤١ ، ١٤٢ ،

حورنخت نب نب نقر أنف (ملك) : ٢٧ ، ٣٠٤ ،

حورنتر - حرت (لقب ملك) : ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٤٨ ،

حورواح عنخ (ملك) : ١١ ، ١٤ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٥ ،

٥١٦

حوروار (ملك) : ٦٤ ،

حوروررع (علم) : ٣٠٧ ، ٣٠٨ ،

(خ)

خبر - كا - رع (ملك) : ٢٣٦ ، ٢٤٣ ، ٤٥ ،

خبشيت (مكان) : ١١٨ ،

خيتي (علم امرأة) : ٧١ ،

خسف أونو (قلعة) : ٤١٧ ،

خرعما (مصر العتيقة) : ٢١٤ ، ٥٣٧ ،

خطاعة (بلد) : ٢٩٦ ، ٣٥٥ ، ٣٨٤ ،

خع خبر - رع - سن (ملك) : ١٧٣ ، ٤٥٨ ، ٤٦٨ ،

خع كا ورع (سنو مرت الثالث) : ٢٩٨ ، ٣٠١ ، ٤١٥ ،

خفرع (ملك) : ٢٩٨ ،

خشتاق ور (مدير مخازن أمنعات الثاني) : ٢٤٩ ،

خنتي أمتي (أوزير) : ٨٥ ، ٩٤ ،

خنسو (إله القمر) : ١٧٧ ،

خنم - أسوت (بلدة) : ١٨٧ ،

خنمت (ملكة) : ٢٦٣ ، ٢٦٤ ،

خنوم : ٣٥ ، ٢١٣ ، ٢٥٨ ، ٢٨٦ ، ٣١٤ ، ٤٢٦ ،

٥٥٧

خنوم أردو (أميرة) : ٩٣ ، ٩٦ ،

رعسيس الرابع (ملك) : ٤٣١

رعسيس التاسع (ملك) : ٢٤

رع نف (اسم أمير) : ٤٠٥

رع قمر (علم) : ١١٣ ، ١١٨ ، ١١٩

رقررت (مكان عبادة أنوبيس) : ٤٧٦

رنف أم أب (علم) : ٤٠١ ، ٣٩٦ ، ٣٩٠

رنكاس (علم) : ١٢٢

رو (الان رومؤلف) : ٥٢٣

روقي (إله الشمس) : ٤٧٨

روستار (مقر أوزير الأخير) : ٥٣٢ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ —

٥٨٦ ، ٥٦٧ — ٥٦١ ، ٥٤٣ — ٥٤١ ، ٥٣٩

ريزر (مؤلف) : ٤١٩ ، ٢٢٨

رشب (إله) : ٢٨٤

(ز)

زار (علم) : ٩٩

زاري (علم) : ٢١

زاف (موظف) : ٣٥٠ ، ٣٥١

زار (مكان) : ١٤٨

زفای حبي (حاكم النوبة) : ٢٢٧ ، ٢٣٠ ، ٢٦٠

٢٨١ ، ٣٠٢ ، ٤٣٣ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٩

٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٩٣

(س)

سابست بن زبيت نفرت : ٣١٠

سات أميني (علم امرأة) : ٤٩٤

سات (إلهة اللثال) : ٣٥ ، ٨٢ ، ٢٨١

سات حنحور (اسم أميرة) : ٢٦٤ ، ٢٩٤

سات حنحور أنت (اسم أميرة) : ٢٧٦

سات حنحور مريت (أميرة) : ٢٦٢

ذندرة (بلد) : ٤٣٩ ، ١٨٣ ، ٨٤ ، ٤٧ ، ٦ ، ١

دققة (بلد) : ٢٣٢ ، ٢٣١

دهشور (بلد) : ٢٦٥ ، ٢٩٥ ، ٣٢٢ ، ٣٢٦ ، ٣٣٥

٣٤٥ ، ٣٨٥ ، ٤٤٤ ، ٤٥٤

دهدمون (بلد) : ٢٥٨

دهيت (بلد) : ٧٧ ، ٢٥٦

دوات (العالم السفلي) : ٥٣٧ ، ٥٦٦

دواموتف (إله) : ٥٨٥

دي بك (مؤلف) : ١٩٠ ، ١٩٧

دير البلاص (بلد) : ٨٤

دير ريفه (بلد) : ٣٣

ديروط (بلد) : ٣١٨

دي مرجان (مؤلف) : ٣٢٦

(ذ)

ذراع أبو النجا (مكان) : ٣٦ ، ٥٥

ذيرس بوليس بارفا (هو الحالية) : ٣

(ر)

رنحرج (وزير) : ١٩١ ، ٤١٨

ورهنو (علم امرأة) : ٩٧

رشاوت (مكان) : ٨١

رع (إله) : ٢ ، ٢٥ ، ٧٢ ، ١٧٧ ، ٢٠٩ ، ٢١١

٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٣٦ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠

٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٥٣ — ٥٥٦

٥٦٢ ، ٥٦٥ — ٥٦٨ ، ٥٧٠ — ٥٨٦

رعسيس الثاني (ملك) : ٩٨ ، ٢٧٥ ، ٢٨٤ ، ٣٩٠

رعسيس الثالث (ملك) : ٩٤

سات حرت (امراة) : ٥٣٤
 سات رع (علم مؤنث) : ٦٨
 سادة (اسم أميرة) : ٣٩
 ساصيدو : ٣٤٩
 ساهرت (اسم معدن) : ٨١
 ساموس (معيد) : ٣٢٨
 ساوو (وادي جاسوس) : ٤٢٠
 سايس (بلد) : ٥٢٨ ، ٧٥٥
 سبد (رب الشرق) : ٥٧٤ ، ٣٥١ ، ٣٥٠
 سبك (إله) : ٤٣٩ ، ٣٥٤ ، ٣٤٣ ، ٣٤٠
 سبك إمساف (علم) : ٤٥٠ ، ٧٤٤
 سبك حنب (علم) : ٣٩٠ ، ٣٨٩ ، ٣٠٥ ، ٩٨ ، ٧٢
 سبك حوجب (علم) : ٣٠٦ ، ٣٠٥ ، ٣٠٤
 سبك خو (علم) : ٤٢٣
 سبك رع (علم) : ٢٤٨ ، ٩٨
 سبك كارع (علم) : ٣٥٦
 سبك نخت (علم) : ٩٨
 سبك نفرو (علم) : ٣٥٧ — ٣٥٥ ، ٣٤٨
 سبني (علم) : ٧٧
 ست (إله) : ٢٠٥ — ٢٠٧ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥٦١
 ست اشك (اسم امرأة) : ٩٧
 ست خيركا (علم) : ٤٢٧ ، ٤٢٦
 ست رع (علم) : ٧٩
 ست شوت (علم) : ٣١
 ست نت بر (علم) : ٣٩٩
 ست نفر (علم) : ٤٣٤
 سيندورف (مؤلف) : ٤١٧
 سة (عيد) : ٤٣ ، ٦١ ، ٦٨ ، ٧٢ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ١٤٤ ، ٢١٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٩ ، ٤٥١
 سحت (اسم قارب) : ١٣
 سحت آب رع (لقب ملك) : ١٥١ ، ٣١١ ، ٣٦٩
 سمورع (اسم ملك) : ٢٥٠ ، ٢٢٢
 سمخت (آلهة) : ١٩٠ ، ٣٠٠ ، ٣١٢
 سمخت حنب (اسم كاهن) : ٤٩٤
 سرنوت (علم) : ٤٩٣ ، ٢٦٨
 سمخ (اسم قائد) : ١٤٧
 سمخ آب تاوي (لقب ملك) : ٢٩ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٨٤ ، ٩٢
 سمخ تاوي — أف (لقب الملك) : ٧٨ ، ١٠٥
 سمخ كارع (متوحنب الثالث) : ١٠٧ ، ١٠٥ ، ٧٣
 ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٥١ ، ٢٥٠
 سمئة (قلمة) : ٢٨١ ، ٢٨٧ ، ٢٩٥ ، ٣٢٠ ، ٣٢١
 ٤٤٨ ، ٤٤٠ ، ٤٤٤
 سمتمو (علم) : ٢٤٤ ، ٢٤٣
 سنيوت (علم) : ١١٧
 سنت (اسم امرأة) : ٢٢٢
 سنت متو (اسم كاهنة) : ٢٢
 سفرو (ملك) : ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٧١ ، ٢٤٧ ، ٣٠٩
 ٤٤٥ ، ٤٤٤ ، ٤٢٢
 سموت (مكان) : ٢٥١
 سنن (علم) : ١٢٣
 سنوسرت الأول : ٤ ، ٨٥ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٨٥ —

سات حرت (امراة) : ٥٣٤
 سات رع (علم مؤنث) : ٦٨
 سادة (اسم أميرة) : ٣٩
 ساصيدو : ٣٤٩
 ساهرت (اسم معدن) : ٨١
 ساموس (معيد) : ٣٢٨
 ساوو (وادي جاسوس) : ٤٢٠
 سايس (بلد) : ٥٢٨ ، ٧٥٥
 سبد (رب الشرق) : ٥٧٤ ، ٣٥١ ، ٣٥٠
 سبك (إله) : ٤٣٩ ، ٣٥٤ ، ٣٤٣ ، ٣٤٠
 سبك إمساف (علم) : ٤٥٠ ، ٧٤٤
 سبك حنب (علم) : ٣٩٠ ، ٣٨٩ ، ٣٠٥ ، ٩٨ ، ٧٢
 سبك حوجب (علم) : ٣٠٦ ، ٣٠٥ ، ٣٠٤
 سبك خو (علم) : ٤٢٣
 سبك رع (علم) : ٢٤٨ ، ٩٨
 سبك كارع (علم) : ٣٥٦
 سبك نخت (علم) : ٩٨
 سبك نفرو (علم) : ٣٥٧ — ٣٥٥ ، ٣٤٨
 سبني (علم) : ٧٧
 ست (إله) : ٢٠٥ — ٢٠٧ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥٦١
 ست اشك (اسم امرأة) : ٩٧
 ست خيركا (علم) : ٤٢٧ ، ٤٢٦
 ست رع (علم) : ٧٩
 ست شوت (علم) : ٣١

سبح (المرخ ابن آتوم) : ٥٣٨

سى حان (علم) : ٩٨

سبحور (علم) : ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢

سينا (نظر) : ٨١ ، ١٧٩ ، ٢١٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥٥ ، ٢٩٦

٣٠٧ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٣١

(س)

سيا (إله الفهم) : ٥٣٩

سيوط (بلد) : ١٥ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢١ ، ١٦٣ ، ١٨٣

٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٣١٨ ، ٣٦٤ ، ٣٨٣

٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٩٣ ، ٥١١

(ش)

شارف (مؤلف) : ٢١١

شاحتب (شطب الحالية) : ٣٣ ، ٣٤

شايت (مكان) : ١٠٩

شديت (اليوم) : ١٨٣ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٢

شديت شا (اسم مكان) : ١٧ ، ١٨ ، ١٩

شس (العراة المدفونة) : ١٢

شستريتي (علم) : ١٩١ ، ١٩٢

شطب (بلدة) : ٢٣

شقرية (مهندس) : ٤٤٠ ، ٤٤١

شماي (أمير) : ٩٨ ، ٣

شمو (علم) : ١٢ ، ١١٤

شو (إله الفضاء) : ٥٧٧

(ص)

صف (نوع من المقابر) : ٩ ، ١٠ ، ٧٠

١٩٤ ، ٢٠٠ ، ٢٠٥ ، ٢١١ ، ٢٢٧ ، ٢٢٣

٢٤٢ ، ٢٤٥ ، ٢٦١ ، ٣٠٣ ، ٣٢٦ ، ٣٦٥

٣٦٨ ، ٣٨٢ ، ٤١٠ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤٢٣

٤٣٧ ، ٤٣٩ ، ٤٤٢ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٥٠

٤٥٦ ، ٤٦٨ ، ٤٧٤ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧

سنومرت الثاني : ٢٤٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٥ ، ٢٧١ ، ٢٧٦

٢٧٨ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٣١١ ، ٣٨٠ ، ٤١٤

٤٣٧ ، ٤٣٩

سنومرت الثالث : ١٩٩ ، ٢٢٣ ، ٢٥٦ ، ٢٦١

٢٦٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٢٩٨ ، ٣١٩

٣٢٣ ، ٣٣٥ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٤١٤ ، ٤١٩

٤٢٣ ، ٤٢٥ ، ٤٢٧ ، ٤٢٩ ، ٤٣١ ، ٤٣٣

٤٣٩ ، ٤٤٣ ، ٤٤٨ ، ٥٠٨ ، ٥١٨

سنومرت غنغ (علم) : ٤٣٤

سنوهيت (علم) : ١٨٧ ، ١٨٩ ، ٢٠٤ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥

٢٣٧ ، ٢٨٩ ، ٤٢٢ ، ٤٣٥ ، ٤٥٦

سنى إفر (علم) : ٣

مهرتاوى (لقب الملك) : ٨ ، ١٠ ، ١١ ، ١٤ ، ١٥

٢٤ ، ٢٥

مهرتاوى انتف (ملك) : ٨

سوريا (بلاد) : ٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٥ ، ٤٢٩

٤٣٢ ، ٤٣٥

سوكار اوسكر (آله) : ٩٦ ، ٥٦٣ ، ٥٨٦

سومرز كلارك (مؤلف) : ٤١٧

سى أب (علم) : ٩٨

سى اعح (علم) : ٩١

سى أنخورد (علم) : ١٢٦

سنى الأول (ملك) : ٥٦٨

سينيو (أسبوى) : ٣٦

لبسيس (مؤلف) : ٤٤

ليتوبوليس (أوسيم الحالية) : ٢٠٧

لوط (علم) : ١٨٠

ليوتر (مؤلف) : ٤١٧

(م)

ماجاجي (علم) : ٩٧

ماجيبي (علم) : ٢٨

ماري (علم امرأة) : ٣٠

ماعت (إلهة) : ٤٤ ، ٧٩ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ٢١٨

ماكي (مؤلف) : ٣٤٤

ماثيون (مؤرخ مصري) : ٢٦٦ ، ٣٥٤ ، ٣٥٦

مايت (اسم أميرة) : ٣٩ ، ٤٥ ، ٤٧

متوكا (اسم قلعة) : ٤١٧

متون الأهرام : ٤٩٦ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٦

٥٢٧ ، ٥٢٩ — ٥٣٣ ، ٥٤٢ ، ٥٨١

متون التوابيت : ٥٢٠ ، ٥٢٣

مجدو (بلد) : ٤٢٦ ، ٤٢٩ ، ٤٣٦

محن (نعبان) : ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٨٩

(سفينة ٥٧٨)

محن (آلهة ؟) : ٥٨٤

محيسا بن دجا (علم) : ٧٠

مغني إرق (آلهة) : ٥٧١

مرت (إلهة) : ٤٨ ، ٤٩

مرجيس (قلعة) : ٤١٧

مرسو (علم) : ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٩

١٢٠ ، ١٢٦

كتاب الطريقين : ٤٠٠ ، ٥٠٠ ، ٥١٩ ، ٥٢٢ — ٥٢٤

٥٣٢ ، ٥٣٧ ، ٥٤٢ ، ٥٦٠ ، ٥٦٤ ، ٥٧٩ ، ٥٨٨

كتاب الموق : ٥٢٠ ، ٥٢٣ ، ٥٣٦ ، ٥٤٣ ، ٥٨٥

كتاب ما يوجد في العالم السفلي : ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣

٥٣٦ ، ٥٥٦ ، ٥٦٥

كدي (بلدة) : ٢٣٧ ، ٢٣٩

كومة (بلد) : ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٨١ ، ٤١٩

كوي (تاجر مصري) : ٤٣٥

كرت (جزيرة) : ٢٧١ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨

ككي (علم) : ٤٠٢

كلبنة (بلد) : ٧٧ ، ٧٨

كنا ونغت (علم) : ٣٤٩

كسيت (ملكة) : ٣٩ ، ٤١ ، ٤٤

كمي (علم مؤنث) : ٧٤

كتوسوس (عاصمة كريت) : ٤٣٨

كهيو (مكان) : ٨١

كوش (إقليم) : ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣

٢٨٢ ، ٤١٣

كوم إشقاد (بلد) : ٢٣ ، ٣٨٢

كوم أميو (بلد) : ٧٦

كوم المقارب (بلد) : ٣٥٦

كوم ماضي (بلد) : ٣٤٠ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤

كياث فاروس (بلد) : ٣٢٣

(ل)

لايرت (معبد هرم أشمعات الثالث) : ٣٢٨ — ٣٣٣

٣٥٥ ، ٤٥٥

لاكو (مؤلف) : ٤٤٠

متوحتب الثاني : ٤٤٤ ٤٥٧ ٤٦٦ ٤٦٨ ٤٧٢ ٤٨٤
١١٢ ٢٢٧ ٤١٠ ٤٤٧ ٤٥٠ ٤٥١

متوحتب الثالث : ٧٠ — ٧٨ ١٠٧ ١١٤ ١٢٧
١٤٤ ٤٣٣ ٤٣٨

متوحتب الرابع : ١٤٤ ١٤٩ ١٥٠ ١٦٩

متوحتب بن حابو (علم) : ٦١

متوحتب نب تاوى رع (ملك) : ١٤٩

متوخت (علم) : ١٠٠

متيو (الأسويون) : ٤١٢

منعات خوفو (بلده) : ١٤٧ ١٤٨ ١٨١ ٢٥٩
٢٧٢ ٣٦٨ ٣٦٩ ٤٢٢

منف (بلد) : ١ ٣ ٨ ١١٣ ١١٩ ١٥٥
١٨٣ ٣٥١ ٣٦٩ ٤٣٩ ٤٦٠ ٥٤٢
٥٨٦

منكاو (مكان) : ٨١

موت (إلهة) : ١٧٧ ٢٤٧

مين (إله) : ٢ ٣٥ ٤٤٧ ١٣٩ ١٤٤ ٢٤٤٧
٢٤٩ ٤٤٢ ٤٥١ ٥٧٠

مينا (نعرمر) ملك : ١٥٤ ١٥٦ ١٦٦

(ن)

ناروف (جبانة إهناسية المدينة) : ٥٤٣

نافيل (مؤلف) : ٣٩ ٩٠ ٩٢ ٢٨٨ ٣٥٦

نب أوقف (علم) : ٩٧

نب تاوى رع (لقب ملكي) : ١٤٠ — ١٤٤ ١٤٧
١٤٨ ١٥٠

نب . تب . نفر (لقب ملكي) : ٢٨ — ٣٠

نبت أوتف (علم امرأة) : ٩٧

نبت يونت (علم امرأة) : ٩٧

مرنوع (ملك) : ٥٢٦

مرو (علم) : ٧٠ ٧٩ ٩٧ ٩٩

مرى (علم) : ١٠٠ ١٤٨ ٢٤٤ ٤٧٤

مرى — اب — رع خيتى (ملك) : ٤

مرى نثى (حاكم) : ٧٩

مرى كارع (ملك) : ١٩ ٣٠ ٣٤ ١٥٢

١٥٦ ١٦٥ ١٦٧ ١٧٥ ٤٢١ ٤٦٥
٤٧٣ ٥١٥

مريت (مؤلف) : ٢٢٥ ٢٣٥ ٢٦٠ ٢٩٤ ٣٨٨

مزغونة (بلد) : ٣٤٤

مسبرو (مؤلف) : ٢٣

مسحيتى (علم) : ٤٨

مسى (علم) : ٩٨

مقى (مكان) : ٣١

مكت رع (علم) : ٧٠ ١١١ ١١٢ ١٢٣ ١٣٠
١٣٢ ١٣٥ — ١٣٧

مكتو (علم) : ٧٤

مكى (علم) : ٢٣٩

منت (أميرة) : ٢٩٤

متو (إله الحرب) : ٦ ٢٠١ ٢٣ ٣٥ —
٨٠ ٨٣ ١٠٦ ١١٧ ١٢٣ ١٨٥

١٨٧ ٢٣٥ ٢٣٨ ٢٣٩ ٣٩٥ — ٣٩٧
٤٠٣ ٤١٧ ٤٤٢

متواوى (علم) : ٧٣

متوحتب (وزير) : ٢١٥ ٢١٨ ٢٢٣

(م)

متوحتب الأول : ١١ ١٧ ٢٧ ٢٩ ٣٣ — ٣٦
٣٩ ٤٤٧ ٤٤٩ ٥٠٨ ٥٧٦ ٥٧٧ ٨٢ ٨٤

٩١ ١٠٢ ٤٤٩

قحرب (علم) : ٢٨٩ ، ١٠٣ ، ٧٤ :

قحرب الزاى (علم) : ٩٨ :

قحرب (علم امرأة) : ٢٩٥ * ١٢٢ :

قحرب هنت (ملكة) : ٢٩٥ ، ٢٩٤ :

قحرب هسو (حكيم مصرى) : ١٧١ — ١٨٠ ، ٤٥٦ ، ٤٥٩ :

٤٦٥ ، ٤٥٩ :

قحرب حورو (ملك) : ١٦٢ ، ١٥٢ :

قحرب (ملكة) : ٩٣ ، ٩٢ ، ٦٧ :

قحرب كابت (ملكة) : ٩٥ ، ٩٣ :

قحرب (بلد) : ٥٠ :

قحرب (علم) : ١٢٠ :

قحرب (علم امرأة) : ٩٧ :

قحرب (آلهة السماء) : ٥٣٨ ، ٥٣٧ ، ٥٠٠ :

قحرب (أمنحوت الثالث) : ٣٠٢ :

قحرب (مؤلف) : ٤٢٩ ، ١٠٠ ، ٧١ :

(٥)

قحرب (ورقة) : ١٢٤ :

قحرب (مؤلف) : ٣٣١ ، ٣٢٧ ، ٢٨٨ ، ٨٦ ، ٥١١ ، ٥١٠ ، ٣٣٢ :

قحرب (أمنحوت شمس) :

قحرب (أميرة) : ٦٨ ، ٣٩ :

قحرب (بلد) : ٧٧ :

قحرب (بلد) : ٤٤٥ ، ٤٤٤ :

قحرب (إماتة المدنية) : ١٦٦ ، ١٥٤ ، ٤٤١ ، ٤٤٠ ، ٤٣٨ ، ٣٥ ، ٣٤ ، ٢١٦ ، ١٩٤ ، ١٧ ، ٤٢٩ :

قحرب (إماتة المدنية) : ١٦٦ ، ١٥٤ ، ٤٤١ ، ٤٤٠ ، ٤٣٨ ، ٣٥ ، ٣٤ ، ٢١٦ ، ١٩٤ ، ١٧ ، ٤٢٩ :

٤٢٩ :

قحرب (إماتة المدنية) : ٤٢٧ ، ٣٨٨ :

قحرب (لقب ملكى) : ٤٤٧ ، ٣٧ — ٣٥ ، ٤٤ :

٨٠ ، ٦٩ ، ٧٧ ، ٧٢ ، ٦٦ ، ٦١ ، ٥٨ ، ٤٤٩ :

٨٧ — ٨٢ ، ٩٢ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٢٣ ، ١٤١ ، ١٤٤ :

٥١٩ ، ٥١٨ ، ٥١٧ ، ١٤٤ :

قحرب (لقب ملكى) : ٦٣ :

قحرب (اسم أميرة) : ٣٢٦ :

قحرب (إله الحب) : ١٩٨ ، ١٩٢ :

قحرب (علم) : ٩٨ :

قحرب (بلد) : ١٢١ ، ١١٨ ، ١١٦ :

قحرب (علم) : ١٦ :

قحرب (إله القربان) : ٥٦٢ :

قحرب : ٣٦٩ ، ٨٦ ، ١٩ — ١٦ :

قحرب بن أبى (أمير) : ١٢٠ :

قحرب (علم) : ٣٦٨ :

قحرب (علم) : ٥٥ ، ٢٨ :

قحرب (علم) : ٨٠ :

قحرب بن خنخاني (علم) : ٣١٠ :

قحرب الثاني : ٢٧٢ :

قحرب (اسم أمير) : ٤٩٤ :

قحرب (اسم كاهن) : ٨٠ :

قحرب (بلد) : ٤٠٥ :

قحرب (إقليم) : ٢٤٨ ، ١٥١ :

قحرب (علم امرأة) : ٧٠ :

قحرب (علم) : ٩٨ :

قحرب (قائد) : ٤١٢ :

قحرب (أمنحوت الثالث) : ٣٤٧ ، ٣٢٣ :

قحرب (آلهة) : ٥٧٨ ، ٢٠٨ :

واحة كركور : ٧٧	(و)
واح كارع (ملك) : ٣١	وادی الحمامات : ٣٩٥ ٢١٦ ١٤٧ ١٤٣ ٣٦
واح كارع خيبي (ملك) : ٣٠	٤٣١ ٤٢٠ ٣٣٢ ٣٠٩ ٢٩٦
وحيت (عشيرة) : ١٦٠	وادی العلاق : ٤١٤
واح (عبد) : ٤٨٢ ٤٨٠ ٤٧٩	وادی حلفا : ٤١٧ ٤١٣ ٢٨٣ ٢٨١ ٢٢٣
واست (طيبة) : ٥٠١	٤١٩ ٤١٨
واوات (إقليم) : ١٥١ ٧٩ ٧٢ ٦٨ ٤٨ ١٧	وادی الهودی : ٢٤٨ ٢٣١ ٢١٧ ١٥٠ ١٤٨
٤١٣ ٢٥١ ١٩٨ ١٨٥	٣٥٢
ورقة بولاق : ٤٠٩	وادی شط الرجال : ٧٧ ٧٦ ٧٢ ٦٩ ٦٤
وسر - از (اسم حفار) : ٦٩	١٢٦
وعرت (اسم ماء) : ٥٦٦ ٥٣٨	وادی طلمات : ٤٢٢ ٣١١
وعف خاسوت (قلعة) : ٤١٧	وادی مغارة : ٤٣١
وناص (ملك) : ٥٣٤ ٥٢٦ ٨٧	وبوات (إله) : ٤٨٥ ٤٧٦ ٤٧٥ ٨٥ ١٥
ونلك (مؤلف) : ١٢٧ ٩٢ ٧٨ ٤٤ ٣٩ ١٤	٥٠٩ ٤٩٣ ٤٩١ ٤٨٦
٢٠٠ ١٤٠ ١٣٩	وبوات نحت (علم)
ونفت (آلهة) : ٥٥٨	وازيت (إلهة) : ٥٤١ ٣٨٢ ٢١٤ ١٠٦
ونيس عنخ (علم) : ٢	واح عنخ (أمير) : ٣٥ ٢٢ ١٥ ١٤ ١٣ ١١
ويجول (مؤلف) : ٣٣٣ ٣٣٢ ٣٣١ ٢٩٣	٥١٦ ١٥١ ٣٣ ٢٨
	واح عنخ أننف (أمير) : ٢٢

تنبيه : رفعت بعض أخطاء في أسماء الأعلام في متن الكتاب تداركها في فهرس الأعلام والأماكن .

قائمة المصادر المختصرة

List of Abbreviations

A. J. S. L. = The American Journal of Semetic Languages and Literature.

Anthes, "Hatnub" = Anthes, "Die Felseninschriften von Hatnub". Leipzig, 1928.

A. S. = "Annales du Service des Antiquities de l'Egypte", Cairo.

A. Z. = "Zeitschrift fur Agyptische Sprache", Leipzig.

B. I. F. A. O. = Bulletin de l'Institut Français d'Archeologie Orientale, Cairo.

Birch, "Alnwick" = Birch, "Catalogue of the Collection of Egyptian Antiquities at Alnwick Castle".

Blissing and Kees, Munich Ak. S. B. = "Sitzungsberichte der Bayer. Academie der Wissenschaften Munchen".

Blackman, "Meir" = Blackman, "The Rock Tombs of Meir", London, 1914-15.

Borchardt, "Statuen" = Borchardt, "Statuen und Statuetten von Konigen und Privatleuten", (Vol. 33, Catalogue General, Cairo Museum) Berlin, 1911.

Breasted, A. R. = *Breasted, "Ancient Records of Egypt", Chicago, 1906.

Breasted, "Dawn" = Breasted, "The Dawn of Conscience", New York, 1934.

Budge, "Sculpture" = Budge, "A Guide to the Egyptian Galleries, (Sculpture)", London, 1909.

Carnavon and Carter, "Explorations" = Carnavon and Carter, "Five Years Explorations at Thebes", Oxford, 1912.

Couyat et Montet, "Hammamat" = Couyat et Montet, "Inscriptions Hieroglyphique et Hieratique du Ouadi Hammamat", (Vol. 34, Mém. de l'Inst.) Cairo, 1912.

De Morgan, "Cat. Mon." = De Morgan, "Catalogue des Monuments et Inscriptions de l'Egypte Antique", Cairo, 1893.

De Morgan, "Dahchour" = De Morgan, "Fouilles à Dahchour", Vienna, 1895.

- Drioton and Vendier, "L'Egypte"** = Drioton and Vandier, "Les Peuples de l'Orient Medeterraneen. L'Egypte", Paris, 1938.
- Gardiner and Peet, "Sinai"** = Gardiner and Peet, "Inscriptions of Sinai", London, 1917.
- Griffith, "Sult"** = Griffith, "Inscriptions of Suit and Der Rifeh", London, 1889.
- Griffith "Kahun Papyri"** = Griffith, "Hieratic Papyri from Kahun and Gurob", London, 1897-98.
- Hall, "Ancient History"** = Hall, "The Ancient History of the Near East", London, 1920,
- Hall, "Catalogue of Scarabs"** = Hall, "A Catalogue of Egyptian Scarabs in the British Museum", London, 1913.
- J. E. A.** = "The Journal of Egyptian Archaeology", London.
- J. N. E. S.** = The Journal of Near Eastern Studies.
- Junker, "Agypter"** = Junker, "Die Volker des Antikens Orient. Die Agypter", Freiburg im Breisgau, 1933.
- Kees, "Kulturgeschichte"** = Kees, "Kulturgeschichte des Alten Orients", Munchen, 1933.
- Lacau, T. R.** = Lacau, "Textes Religieux Egyptiens", Paris, 1910.
- Lange and Schafer, "Grab und Denkstein"** = Lange und Schafer, "Grab und Denkstein des Mittleren Reiches", Vol. 5, 7, 36, (Cat. Gen. Cairo Mus.), 1902, 1908.
- Legrain, "Statues"** = Legrain, "Statues et Statuettes de Rois et de Particuliers", (Vol. 30, 49, 71, Cat. Gen. Cairo, Mus.) Cairo, 1906-1914.
- L. D.** = Lepsius, "Denkmaler aus Aegypten und Aethiopien", Berlin, 1849-56.
- MacIver and Mace, "El Amrah"** = MacIver and Mace, "El Amrah and Abydos", 1899-1901, London, 1902.
- Maspero, "Melange d'Arch."** = Maspero, "Melange d'Archaeologie".
- M. M. A.** = The Metropolitan Museum of Arts Bulletin, New York.

Meyer, "Gesch" = Meyer, "Geschichte des Altertums Nachtrag", Stuttgart and Berlin, 1910.

Naville, "Ahnas" = Naville, "Ahnas el Medineh", London, 1894.

Naville, "Goshen" = Naville, "Goshen and the Shrine of Saft el Henna", London, 1887.

Naville, "Temple" = Naville, "The Eleventh Dynasty Temple at Deir el Bahari", London, 1909-1910, 1913.

Newberry, B. H. = Newberry, "Beni Hasan", London, 1893-1900.

Petrie, "History" = Petrie, "A History of Egypt", London.

Petrie, "Hist. Scarabs" = Petrie, "Historical Scarabs", London, 1889.

Petrie, "Labyrinth" = Petrie, "Labyrinth and Gerzeh", London, 1911.

Petrie, "Scarabs" = Petrie, "Scarabs and Cylinders", London, 1917.

Petrie, "Season" = Petrie, "A Season in Egypt", London.

Petrie, "Tarkhan" = Petrie, "Tarkhan and Memphis", London, 1913.

P. S. B. A. = The Proceedings of the Society of Biblical Archaeology", London.

Quibell, "Sakkara" = Quibell, "Excavations at Sakkara" (1905-1906", Cairo, 1907.

Scharff, "Merikare" = Scharff, "Die Historische Abschnitt der Lehre für König Merikare", in Sitzungsberichte des Bayerischen Akademie der Wissenschaften", München, 1936.

Scott-Moncrieff, "B. M. Stelae" = Scott-Moncrieff, "Hieroglyphic Texts in the British Museum", London, 1911-1925.

Sethe, "Achtung" = Sethe, "Achtung Feindlicher Fürsten Völker und Dinge", Berlin, 1926.

Sethe, "Amun" = Sethe, "Amun und die Acht Urgötter", von Hermopolis, Berlin, 1929.

Sethe, "Lesestücke" = Sethe, "Ägyptische Lesestücke", Leipzig, 1928.

Sethe, "Pyramidentextes", "Pyr." = Sethe, "Die Altägyptischen Pyramidentextes", Leipzig, 1908-1922.

Sethe, "Urkunden IV" = Sethe, "Urkunden der 18 Dynastie", Leipzig, 1908.

Vyse, "Operations" = Vyse, "Operations Carried on at the Pyramids", London, 1840-42.

Weigall, "Guide" = Weigall, "A Guide to the Antiquities of Upper Egypt", London, 1913.

Weigall, "History" = Weigall, "A History of the Pharaohs", London, 1931.

Weigall, "Lower Nubia" = Weigall, "Report on the Antiquities of Lower Nubia", Oxford, 1907.

Weill, "Rec." = Weill, "Recueil des Inscriptions Egyptiennes du Sinai", Paris, 1904.

Wiedemann, "Geschichte" = Wiedemann, "Ägyptische Geschichte", Gotha, 1884.

Winlock, "Deir el Bahari" = Winlock, "Excavations at Deir el Bahari, 1911-1931", 1942.

كتب للمؤلف

بالعربية :

(١) مصر القديمة : الجزء الأول في عصر ما قبل التاريخ الى نهاية العهد الإهناسى .

(٢) مصر القديمة : الجزء الثانى فى مدينة مصر وثقافتها فى الدولة القديمة والعهد الإهناسى .

(٣) مصر القديمة : الجزء الثالث فى العصر الذهبى فى تاريخ الدولة الوسطى ومدنيتها وعلاقتها بالسودان والأقطار الآسيوية ولوبيا .

(٤) جغرافية مصر القديمة : (محلاة بإحدى وأربعين خريطة) .

(٥) الأدب المصرى القديم أو أدب الفراعنة : الجزء الأول فى القصص والحكم والتأملات والرسائل .

(٦) الأدب المصرى القديم أو أدب الفراعنة : الجزء الثانى فى الدراما والشعر وفنونه .

(٧) تاريخ مصر من الفتح العثمانى الى قبيل الوقت الحاضر : بالاشتراك مع عمر الاسكندرى .

(٨) تاريخ أوروبا الحديثة وحضارتها : (جزءان) بالاشتراك مع عمر الاسكندرى .

(٩) صفوة تاريخ مصر والدول العربية : (جزءان) بالاشتراك مع عمر الاسكندرى والشيخ أحمد الاسكندرى .

(١٠) تاريخ دولة المماليك فى مصر : (تعريب) بالاشتراك مع محمود عابدين .

(١١) ديانة قدماء المصريين : (تعريب) .

(١٢) صفحة من تاريخ محمد على : (تعريب) بالاشتراك مع طه السباعى .

بالفرنسية :

(1) "Hymnes Religieuses du Moyen Empire"; 199 pages (1928) Cairo.

(2) "Le Poeme dit de Pentaour et le Rapport Officiel sur la bataille de Qadesh". 162 plates. Université Egyptienne, Faculté des Lettres. (1929), Cairo.

بالإنجليزية :

- (3) "Excavations at Giza", Vol. I (1929-1930); 119 pages, 81 plates, 187 illustrations in the text, plan (Oxford 1932).
- (4) "Excavations at Giza", Vol. II (1930-1939); 225 pages, 83 plates, 251 illustrations, in the text, 2 plans (Cairo, 1936).
- (5) "Excavations at Giza", Vol. III (1931-1932); 292 pages, 71 Plates, 227 illustrations in the text, 2 plans (Cairo, 1941).
- (6) "Excavations at Giza", Vol. IV, (1932-1933); 218 pages, 62 plates, 159 illustrations in the text, 3 plans (Fourth Pyramid) Cairo, 1943.
- (7) "Excavations at Giza", Vol. V (1933-1934); 325 pages, 79 plates, (3 coloured), 169 illustrations in the text, 2 plans (Cairo, 1944).
- (8) "Excavations at Giza", Vol. VI, part I, II, III, (1934-1935); (in the Press), Cairo. 1945.
- (9) "Excavations at Giza", Vol. VI, Part II, The Offering-list in the Old Kingdom (in the Press).
- (10) "Excavations at Giza", Vol. VI, Part III, A Description of the Mastabas and their Contents, (in the Press).



رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠٠٠/١٠٥٧٤

I.S.B.N. 977-01-6774-6

الهيئة المصرية العامة للكتاب